

مصادر الشعر الجاهلي

وقيمتها التاريخية

الدكتور ناصر الدين الأسد

دار الحديث

بيروت

مصادر الشعر الجاهلي

وقيمتها التاريخية

الدكتور ناصر الدين الأسد

دار الحديث

بيروت

- الطبعة الأولى ١٩٥٦
الطبعة الثانية ١٩٦٢
الطبعة الثالثة ١٩٦٦
الطبعة الرابعة ١٩٦٩
الطبعة الخامسة ١٩٧٨
الطبعة السادسة ١٩٨٢
الطبعة السابعة ١٩٨٨
الطبعة الثامنة ١٩٩٦

بحث نال به مؤلفه درجة الدكتوراه في الآداب
من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز سنة ١٩٥٥

جميع الحقوق محفوظة لإدار الجليل

مصادر الشعر الجاهلي



مقدمة

صلى بالشعر الجاهلى قديمة ، ترجع إلى أكثر من عشرين سنة ، أيام كنا نحفظ المعلقات . فاستهوتنى كما لم يستهونى سائر الشعر الذى كنا نحفظه . ثم تدرجت فى مراحل الدراسة ، وزاد محفوظى من الشعر العربى على اختلاف عصوره ، ولكن استهواء الشعر الجاهلى كان يزداد حتى ليطغى على غيره . وكان شعوراً ساذجاً غير معتل ، وما كنت مستطيعاً تعليله ولو أردت .

ثم قرأت - قبيل دخولى الجامعة - كتاب الأستاذ الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » ، ففتح أمامى آفاقاً فسيحة من التفكير ، ودفعنى إلى أن أنظر فى هذا الشعر نظر المتسائل عن قيمته ومحتته ، وحملنى على أن أستقصى الموضوع من جلوره ، وأتبعه من جميع أطرافه .

وصرت - كلما قطعت شوطاً فى دراستى الجامعية - أستبين جوانب جديدة من قيمة العصر الجاهلى وشعره ، وخطرها فى دراسة الأدب العربى فى عصوره الإسلامية . فالعصر الجاهلى - فى حساب الزمن - أول عصور التاريخ العربى ، ونحن لا نستطيع أن نعرف قومنا فى مراحل تطورهم ، ومواطن انتشارهم ، إذا لم نعرفهم فى موطنهم الأصيل وفى عصرهم الأول . ثم إن الشعر الجاهلى هو الأصل الذى انبثق منه الشعر العربى فى سائر عصوره ، وهو الذى أرسى عمود الشعر ، وثبت نظام القصيدة ، وصاغ المعجم الشعرى العربى عامة ، ولست أفهم كيف نستطيع أن نحكم على ما فى شعر العصور الإسلامية من تطور وتجديد إذا لم نصل من أمر الشعر الجاهلى إلى مفصل نظمنا عنده .

ثم إن في هذا الشعر الجاهلي وفرةً من القيم الفنية الأصيلة لم يحظَ بها كثير من الشعر العربي بعده : ففيه من خصب الشعور ، ودقة الحس ، وصدق الثمن ، وصفاء التعبير ، وأصالة الطبع ، وقوة الحياة ، ما يجعله أصفى تعبير عن نفس العربي ، وأصدق مصدر لدراسة حياته وحياة قومه من حوله .

من أجل ذلك كله عزمت ، حين أنهيت دراستي الجامعية الأولى ، على مواصلة بحث الشعر الجاهلي ودراسته . فقضيت أربع سنوات أبحث فيها بعض هذا الشعر ، وبعض ما كتبه القدماء والمحدثون عنه وعن العصر الجاهلي عامة ، وخرجت من هذه الدراسة برسالتى الأولى للدرجة (الماجستير) عن « القيان وأثرهن في الشعر العربي في العصر الجاهلي » . ومع ما بذلت من جهد ، وأنفقت من وقت ، وحققته البحث من نتائج ، فقد كنت أحس أنني أسير في طريق لا أكاد أستبين فيها مواطئ قدمي ، وأن على أن أعود أدراجي ، ثم أبدأ بداية جديدة لا أخطو فيها خطوة إلا بعد تثبت وتيقن .

وعدت ، وبدأت الطريق من أوله ، وقضيت أربع سنوات أخرى ، خرجت منها بهذا البحث للدرجة (الدكتوراه) ، وأنا مقتنع بأن هذا الموضوع الذى أبحثه هو الخطوة الأولى الصحيحة التى تسبق كل خطوة غيرها - فى سبيل دراسة الشعر الجاهلي ؛ وأن بحث هذا الشعر بحثاً مجدياً لا يتم إلا عن طريق دراسة خارجية أولاً ، تعنى بمصادره جملة فى مجموعها ، وتبحث رواية هذه المصادر وتسلسلاتها ، وروايتها ومدى الثقة بهم ، ثم تتبع المصادر الأولى التى استقى منها أولئك الرواة ، خطوة خطوة ، حتى تصل بين هؤلاء الرواة والشاعر الجاهلي نفسه . وكل دراسة قبل هذه إنما هى تجاوز عن الأصل الأول الذى لابد من البدء به ، وأحسب أن كثيراً من الخطأ الذى وقع فيه من ضعفوا وسيلة حفظ هذا التراث الخالد ، وهنأوا طريقة نقله وروايته ، إنما أتوا من هذا التجاوز والإغفال لنقطة البدء الصحيحة .

• • •

وقد بذلت أقصى الجهد في أن أنهج نهجاً علمياً خالصاً: لا أميل مع هوى ، ولا أتعصب لرأى ، ولا أعتسف الطريق من أمامي اعتسافاً . بل لعل من الصواب أن أذكر أنني ، حين دخلت في الموضوع ، لم يكن يحفزني إلا الموضوع نفسه ؛ ولم يكن نصب عيني غاية بذاتها أتوخاها وأرمى إلى إقامة الدليل عليها ، غير الغاية المجردة التي سينتهي إليها البحث الموضوعي وحده ؛ فقد كان قلبي مع هذا الشعر حين كنت أقرأه ، وكان عقلي عليه حين كنت أقرأ عنه ، فأردت أن أصل إلى يقين يجتمع عنده اقتناع العقل واطمئنان القلب معاً . ولم يكن أمامي سبيل لذلك إلا أن آخذ نفسي بتحرّي المنهج العلمي الدقيق ، والتزام حدوده التزاماً لا ترخص فيه .

فشرعت أقرأ ، والغموض يحيط بي ، والحيرة تأخذني من كل جانب . وقضيت نحو ثلاث سنوات لا أكتب في الموضوع شيئاً غير ما كنت أدوّن في جزازات متفرقة من نصوص وأخبار وروايات ، تتصل بالموضوع في صميمه ، أو تدور عليه من حوله . وكنت كلما قطعت شوطاً اتضح لي جانب ، فأضطر أحياناً إلى أن أقرأ مرة أخرى بعض ما كنت قرأت ، لأسجل منه — على ضوء فهمي الجديد — بعض ما كنت أغفلت . ولم أبدأ الكتابة إلا بعد أن جمعت من النصوص ما أتاح لي تمثّل الموضوع تمثلاً كاملاً أو مقارباً .

ثم عدت إلى النصوص : أستكمل جمعها وتقييدها ، وأرتبها في مجموعات ، يستظم كل مجموعة منها موضوع واحد ، وتلتقي الموضوعات في فصول ، والفصول في أبواب . ثم مضيت أفحص هذه النصوص ، وأدرسها دراسة دقيقة : تقوم على استقراء النص واستنطاقه ، واستشفاف دلالاته ، في حدود ألفاظه ومراميّه ، من غير تحميل له فوق ما يحتمل ، ولا توجيهه وجهة بعينها لا تتضمنها ألفاظه .

ولم أكن أكتفي بوجه واحد من الأمر حين يكون له وجهان أو وجوه ، وإنما كنت أعرض كل وجه ، وأقلّبه على جوانبه ، وأستوفي أدلته وشواهدّه ، ثم أقابل بين هذه الوجوه المختلفة وأناقشها ، وأنتهي إلى ترجيح واحد منها حين يتيسر الترجيح .

ولذلك كانت نتائج البحث الأدبي والتاريخي عامة تعتمد - في أغلبها - على الروايات والأخبار والنصوص ، فإن من الطبيعي أن تجيء نتائج ظنية ترجيحية ، لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بجمع هذه الروايات والأخبار والنصوص ، واستقصائها ، ودراستها دراسة قوامها : مقابلة بعضها ببعض ، ومناقشتها ، ونقد إسنادها ومحتوا ، بحيث ينتهي كل ذلك إلى تغليب نص على آخر ، أو ترجيح رواية على غيرها ، أو تفضيل خبر على سائر الأخبار . ولا سبيل في مثل هذه الأبحاث إلى اليقين القاطع ، والقول الفصل ، اللذين لا يتوافران إلا في العلم التجريبي وحده ، حين يستطيع المرء ، في معمله أو مختبره ، أن يعيد التجربة عملياً ليقم البرهان على صحة ما يذهب إليه . ومن أجل ذلك تجنبت أن ألقى الأحكام لإلقاء عاماً قاطعاً ، وإنما سقتها في صيغ ترجيحية غالبية .

ومع هذا كله ، ففي البحث حماسة أحياناً ، وإلحاح على مسائل بعينها أحياناً أخرى ، ولكن ذلك كله إنما هو نتيجة طبيعية لاحقة ، وليس مقدمة مفتعلة سابقة . فإن من الطبيعي ، في المنهج العلمي نفسه ، أن يندفع الباحث - في غير مغالاة ولا إسراف - في حماسه لبحثه وآرائه ، بعد أن يكون قد وصل - عن طريق هذا المنهج العلمي - إلى أدلة يقتنع بصوابها ، وحجج يطمئن إلى سلامتها ، فيؤكدُها كلما سنحت له فرصة للتأكيد ، وبلغُ عليها كلما أمكنه الإلحاح . وأحسب أن الفرق واضح بين الحماسة البصيرة للرأى حين يصل إليه المرء بعد بحث وتحقق ، وبين التعصب الأهوج للفكرة التي يدخل المرء بها في بحثه ابتداءً . فالحماسة الأولى من أمارات الحياة السليمة في البحث والباحث ، والتعصب الثاني من علامات عجز الفكر وضيق الأفق . ومن هنا أرجو ألا أبعد عن الحق حين أقول : إن كل رأى في هذا الكتاب قد قامت من بين يديه وفرة من النصوص قادت إليه وانتهت به ، وأن النص هو الذي وجهه البحث إلى ما فيه من آراء ، وليست الآراء هي التي وجهت البحث إلى النصوص : يجتلبها ، ويقتنصها ، ويستكثر منها ، ويقسرها قسراً لما يريد .

• • •

والباحث في العصر الجاهلي يلقي عناء كبيراً من مصادر بحثه ، وذلك لأن الحديث عن الجاهلية - في المصادر العربية - لم يكن يقصد لذاته : فتُسَبَّرَ أغواره ولم تُشَتَّاه ، وإنما كان يقصد لغيره من موضوعات العصور الإسلامية التي كان المؤلفون يكتبون فيها ، فيستطردون للحديث عن الجاهلية : للتمثيل والاستشهاد ، أو للمقابلة والموازنة ، أو للوعظ والإنذار ، أو للتمهيد بين يدي حديثهم الأصيل تمهيداً موجزاً يدخلون منه إلى الحديث عما يقصصون . فيكاد يكون حديثهم عن الجاهلية حديثاً عابراً ، منثوراً نثراً متباعداً في تضاعيف كتبهم وثنايا رسائلهم . ومن هنا كان لا بد للباحث في العصر الجاهلي من أن يقرأ الكتاب العربي قراءة متمعنة دقيقة ، يجرّدُه فيها جرّداً كاملاً من عنوانه حتى ختامه ، لا يغنيه عن ذلك تبويب الكتاب ، ولا هذه الفهارس الدقيقة الشاملة التي يصنعها المحدثون للطبعات الحديثة من تلك الكتب القديمة . وقد يقرأ الدارس الكتاب ثم لا يخرج منه بشيء ، أو يخرج بخبر أو خبرين لعله كان قد استخرجهما من كتاب غيره ، فلا يضيفان إليه جديداً .

ولا يقف بحثنا عند حدود الجاهلية ، وإنما يتجاوزها حتى يشمل القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، وذلك لأننا ندرس الشعر الجاهلي في الجاهلية نفسها ، ثم نتبعه خلال هذه القرون حتى نصل به إلى مرحلة التدوين العلمي عند رجال الطبقة الأولى من الرواة العلماء ، ثم تلاميذهم من رجال الطبقة الثانية والثالثة . ومن أجل ذلك اقتضى هذا البحث دراسة تلك القرون ، والرجوع إلى مصادرها ، بالإضافة إلى دراسة الجاهلية نفسها .

وقد ألحقنا بآخر هذا البحث جريدة مفصلة فيها أسماء المؤلفين مرتبة على حروف المعجم ، وسنوات وفياتهم ، وأسماء كتبهم وطبعاتها التي رجعنا إليها .

* * *

أما أساتذتي الدكتور شوقي ضيف المشرف على هذا البحث ، والدكتور إبراهيم سلامة ، والأستاذ مصطفى السقا ، والدكتور عبد اللطيف حمزة ، والأستاذ السباعي بيومي ، أعضاء لجنة المناقشة - فلهم الشكر صادقاً كفاه

« ما أنفقوا من وقت في قراءة هذا البحث ، ومن جهد في مناقشة صاحبه ، وكفاء ما حبّسوني به من رعاية وتشجيع ، وأسبغوه على البحث من ثناء وتقدير .

أما أخى الصديق الأستاذ محمود محمد شاكر فإن فضله لا يقتصر على هذا البحث وحده ، فلطالما اغترفت من علمه ، وأفدت من مكتبته ، وانتفعت بنصحه وتوجيهه ، وما أكثر ما كان ينفق من وقت يناقش معي فيه بعض وجوه الرأي ، ويبصّرني بما لم أكن لأصل إليه لولا غزير علمه وسديد نصحه . ولقد كان له أكبر الفضل — بإخائه وعونه الكريم — في حثّي على مواصلة العمل ، وفي إخراج هذا البحث في كتاب يتداوله القراء .

• • •

وبعد :

فإن هذا البحث — كما ذكرت — هو الخطوة الأولى في سبيل دراسة هذا الموضوع ، وأرجو أن تتلوا خطوات ، تكمل ما فيه من نقص ، وتقوم ما قد يكون فيه من عوّج ، وحسب هذا البحث أنه شقّ الطريق ، وألقى فيها من المعالم ما يهدى السالكين ، وحسبي منه أني أخلصت النية ، وبذلت أقصى الجهد . ومن الله الهداية وبه التوفيق .

ناصر الدين الأسد

فهرست الموضوعات

مقدمة

فهرست الموضوعات

تمهيد : مجتمعات العرب في الجاهلية وتفاوتها في الحضارة

عوامل الوحدة والتنوع في الوطن العربي - القبيلة العربية -

الأعراب - الطبقات الاجتماعية في الجاهلية - الحضارة

العربية الجاهلية : معناها ، عوامل إنشائها ، آثارها ، سبل

اتصال العرب بغيرهم من الأمم ١ - ١٩

الباب الأول

الكتابة في العصر الجاهلي

الفصل الأول : انتشار الكتابة بين العرب في العصر الجاهلي

نشأة الخط العربي وتطوره - النقط والشكل والإعجام -

تعليم الكتابة في الجاهلية وشيوعها - تجهيل الجاهلية -

معنى الأميين - معرفة الجاهليين بضروب من العلم -

المدارس والمعلمون في الجاهلية - كتاب رسول الله -

الكامل في الجاهلية - تعلم اللغات الأخرى - نساء كاتبات

في الجاهلية - آيات وأحاديث عن الكتابة ٢٣ - ٥٨

الفصل الثاني : موضوعات الكتابة وأدواتها

موضوعات الكتابة في الجاهلية : معنى شيوع الكتابة بين

عرب الجاهلية - كتابة الكتب الدينية - العهود والمواثيق

والأحلاف - صكوك الدين - الرسائل - مكاتبة الرقيق -
موضوعات أخرى فرعية - أدوات الكتابة في الجاهلية :
الجلد ، المهارق ، أنواع النبات ، العظام ، الحجارة ،
الورق - أسماء المواد التي يكتب عليها - المواد التي يكتب
بها : القلم ، الدواة والمداد - وصف الخط في الجاهلية ٥٩ - ١٠٣

الباب الثاني

كتابة الشعر الجاهلي وتدوينه

الفصل الأول : تقييد الشعر الجاهلي

التقييد والتدوين - أدلة عقلية استنباطية على تقييد الشعر
الجاهلي : قيمة الشعر للقبيلة وللممدوحين ، قيمته للشاعر
نفسه ، بعض الشعراء الكتاب ، الشعر الحولي المحكك ،
ذكر الكتابة وصورها وأدواتها في الشعر الجاهلي - أدلة
صريحة مباشرة : نصوص وأخبار ١٠٧ - ١٣٣

الفصل الثاني : تدوين الشعر الجاهلي

نشأة التدوين العام عند العرب وأوائل المؤلفات - كثرة
الصحف وشيوعها - الصورة اللغوية للتدوين في صدر
الإسلام - تدوين الحديث والفقهاء - تدوين التفسير -
تدوين المغازي والسيرة - تدوين الشعر الجاهلي ضمن هذه
الموضوعات - لإفراد الشعر الجاهلي بالتدوين : أبو عمرو
ابن العلاء ، حماد الراوية ، نصوص على تدوين الشعر
الجاهلي ، معنى كتاب القبيلة ، كتب الحكم والأمثال ،

المعلقات : مناقشة عامة — اعتماد الطبقة الأولى من الرواة
العلماء على مدونات الشعر الجاهلي وأخذهم منها : نصوص ،
التصحيح معناه ودلالاته — سبب إغفال هؤلاء العلماء
ذكر الصحف المدونة التي أخذوا منها — معنى الرواية —
معنى السماع ١٣٤ — ١٨٤

الباب الثالث الرواية والسماع

الفصل الأول : اتصال الرواية من الجاهلية حتى القرن الثاني
معنى الرواية والرواية وتطورهما اللغوي — عمل الرواة ،
تدوينهم الشعر — تعقيب ابن سلام على قول لعمر بن
الخطاب : مناقشة عامة — رواية الشعر الجاهلي زمن بني
أمية — روايته زمن رسول الله والخلفاء الراشدين — روايته
في العصر الجاهلي نفسه — النسابون ورواية الشعر الجاهلي . ١٨٨ — ٢٢١

الفصل الثاني : طبقات الرواة
الشعراء الرواة — رواة القبيلة — رواة الشاعر — رواة
مصلحون للشعر — رواة وضّاعون — رواة علماء : الفرق
بين الرواية والرواية العالم ٢٢٢ — ٢٥٤

الفصل الثالث : الإسناد في الرواية الأدبية
الإسناد بين الحديث والأدب — أخبار ذات إسناد متصل
أو منقطع إلى الجاهلية — المعمرين وإسناد الرواية — إغفال
الأسانيد — معنى الإسناد في الرواية الأدبية ٢٥٥ — ٢٨٣

الباب الرابع الشك في الشعر الجاهلي

(الوضع والنحل)

الفصل الأول : المشكلة الهومرية

دراسة مقارنة : المشكلة الهومرية - وجوه الشبه بين الشعر
الجاهلي والشعر الهومري - ناظم الإلياذة والأوديسة - وسيلة
حفظ الشعر الهومري - المدارس التي عنيت بهومر . ٢٨٧ - ٣٢٠

الفصل الثاني : وضع الشعر الجاهلي ونحله - عند الأقدمين

الوضع والنحل والانتحال ظواهر أدبية عامة - في النسب -
في الحديث - في الشعر الجاهلي منذ الجاهلية وصدر
الإسلام - تنبه العلماء القدامى للوضع والنحل : نصوص
وأخبار - ابن هشام في السيرة - ابن سلام في طبقات
فحول الشعراء ٣٢١ - ٣٥١

الفصل الثالث : النحل والوضع في الشعر الجاهلي -

آراء المستشرقين

مرجوليوت : عرض مفصل لآرائه واستدلالاته شارلس
جيمس ليال وردوده على مرجوليوت - جورجيو ليفي
دلافيدا ورأيه في الموضوع ٣٥٢ - ٣٧٦

الفصل الرابع : النحل والوضع في الشعر الجاهلي - آراء العرب المحدثين

مصطفى صادق الرافعي - الدكتور طه حسين : عرض
مفصل لآرائه واستدلالاته - الذين ألفوا كتباً في الرد على
الدكتور طه حسين : عرض مفصل لهذه الردود . ٣٧٧ - ٤٢٨

الفصل الخامس : توثيق الرواة وتضعيفهم

مدرستا البصرة والكوفة : في الحديث والفقه ، في اللغة ، في
الشعر - منهجا المدرستين ومصادرها ، والخلاف بينهما -
الروايات والأخبار التي توثق حامداً الراوية وخلفاً الأحمر والتي
تضعفهما : عرضها ومناقشتها - الأصمعي - ضروب الشعر
الجاهلي من حيث الصحة والنحل - مقاييس العلماء القدامى
للحكم على الشعر الجاهلي - معنى النحل . ٤٢٩ - ٤٧٨

الباب الخامس

دواوين الشعر الجاهلي

الفصل الأول : الدواوين المفردة

بحث عام - ديوان امرئ القيس : أصول رواياته وأنواعها ،
نسخه المختلفة ، قيمة هذه الروايات والنسخ - مقياس
حديث لمعرفة الشعر الصحيح من غيره - قصائد امرئ
القيس ومقطعاته من رواية الأصمعي ومقارنتها بالروايات
الأخرى - رواية المفضل - ديوان زهير بن أبي سلمى :
أصول رواياته وأنواعها ، نسخه المختلفة ، قيمة هذه

الروايات والنسخ - قصائده ومقطعاته من رواية الأصمعي
ومقارنتها بالروايات الأخرى ٤٨١ - ٥٤٢

الفصل الثاني : دواوين القبائل

بحث عام : دواوين القبائل التي ذكرتها المصادر العربية
وصانعوها ، ما بقي منها ، معنى ديوان القبيلة ، متى بدأ
تدوين دواوين القبائل - ديوان هذيل : عدد من فيه من
الشعراء وأبيات الشعر ومدى النقص فيه ، أصول رواياته
 وأنواعها ، طبعاته ونسخها ، قيمة هذه الروايات والنسخ ٥٤٣ - ٥٧٢

الفصل الثالث : المختارات

المفضليات : روايتها ، تحقيق عدد قصائدها - الأصمعيات
روايتها والإسناد فيها ، تحقيق ما ذكره ابن النديم عنها -
حماسة أبي تمام : مصادرها ، روايتها - جمهرة أشعار العرب :
نسبتها ، التعريف بصاحبها ، روايتها - قيمة كتب
المختارات في تاريخ الرواية الأدبية ٥٧٣ - ٥٩١

الفصل الرابع : الشعر الجاهلي في غير الدواوين

كتب النحو : كتاب سيبويه - كتب اللغة : إصلاح
المنطق وتهذيب الألفاظ - كتب السيرة والتاريخ : ابن
هشام وسيرة ابن إسحق - كتب الأدب العامة : البيان
والتبيين ، الحيوان - رواية الشعر الجاهلي وإسنادها في هذه
الكتب - قيمة الشعر الجاهلي المتضمن فيها . ٥٩٢ - ٦١٤

٦١٧

الخاتمة : خلاصة البحث

٦٣٧

المصادر والمراجع

٦٥٣

الفهارس العامة

تمهيد

مجتمعات العرب في الجاهلية

وتفاوتها في الحضارة

١

موطن العرب ، في جاهليتهم ، يمتد في رقعة من الأرض واسعة^(١) ، ذات بقاع متباينة ، تختلف بيئاتها الطبيعية اختلافاً يكاد يجعل منها مواطن متعددة وإن كانت ، مع ذلك ، وطناً واحداً متأسكاً . فما بين البحر الهندي في أقصى الجنوب إلى ما بعد دمشق في أقصى الشمال ، وما بين بحر فارس ونهرى دجلة والفرات في الشرق إلى البحر الأحمر بل إلى نهر النيل في الغرب^(٢) — كانت تسبح

(١) « ليس في خريطة الأرض شبه جزيرة تهاهبها حجماً ، فهي أكبر من شبه جزيرة الهند ، ومساحتها ثمانية أضعاف الجزر البريطانية ، وأربعة أضعاف فرنسا . . . » تاريخ العرب (مطول) لحنى وجرجى وجبور ١ : ١٥ . « وهي تعادل ربع أوربا أو ثلث الولايات المتحدة مساحة . . . » المرجع السابق ص : ١ .

(٢) تحديد البلاد التي سكنها العرب ليس بالأمر اليسير المتفق عليه ، وإنما يحتاج إلى تحديد المراد بلفظ العرب أولاً وإلى تحديد الزمان الذي تدور فيه أحداث البحث ثانياً :

(١) كان الفراعنة والآشوريون والفينيقيون يقصدون بالعرب أهل البادية في البقعة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب ، ويدخلون فيها — عدا بادية العراق والشام وشبه جزيرة سيناء — صحراء مصر الشرقية ما بين وادى النيل والبحر الأحمر . وقد كانت بلاد العرب في عصر جيولوجي مبكر متصلة في جنوبها عند اليمن بإفريقية عدا اتصالها بها في شمالها ، فكان البحر الأحمر آنذاك بحيرة داخلية ، (انظر : De Lacy O'Leary, Arabia Before Mohammad, 1927, p. 11) وكان بذلك نهر النيل هو الحد الغربي لبلاد العرب .

(ب) وكان اليونان القدماء يعدون جنوبي جزيرة العرب بين خليج فارس والبحر الأحمر من الحبشة ، فيجعلون الحبشة واليمن وضفاف خليج فارس إقليماً واحداً يسمونه « إثيوبيا آسيا » . ثم أطلق اليونان في عهد البطالسة على الجزيرة كلها اسم بلاد العرب ، وقسموها ثلاثة أقسام : البادية =

هذه الأمة العريقة : في الأغوار والأنجاد ، وفي السهول وفوق قنن الجبال ، وفي أجواف الصحارى وعلى سواحل البحار . وكان لا بد لهذه الرقعة المترامية الأطراف ، المتباعدة الأقطار ، من أن يختلف مناخها كما اختلفت طبيعة أرضها : ففيها مُشَاطٌ من لهب الحرّ يشوى الوجوه ، وسموم تُلسّخ الأبدان ؛ وفيها ثلوج تكفل الجبال ، وصقيع يجمّد الدم في أطراف الأحياء ويقفّع الجلود^(١) ، وفيها ما بين

= Arabia Deserta ، والحجرية Arabia Petra ، والسعيدة Arabia Felix .

(٢) وأما جغرافيو العرب فهم يقصدون ببلاد العرب الجزيرة العربية كلها ، ويدخلون فيها بادية سيناء وبلاد الشام جميعها وجزءاً من العراق ؛ فيحددها الهمداني بقوله : « جنوبها اليمن ، وشمالها الشام ، وغربها شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى القلزم وفسطاط مصر ، وشرقها عمان إلى البحرين وكاظمة والبصرة ، وموسطها الحجاز وأرض نجد والمروص . وتسمى جزيرة العرب لأن اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل . . . » (صفة جزيرة العرب ص : ١) . ويفصل ياقوت القول عند كلامه على تحديدها تفصيلاً نذكر مبتدأً ومنتهاه قال : « قد اختلف في تحديدها ، وأحسن ما قيل فيها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب مستنداً إلى ابن عباس ، قال : اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام ؛ قال : وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها ، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر . وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ، ثم انحط على أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر في ناحية البصرة والأيلة . . . ثم ساحل الطور وخليج أيلة وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها ، وأقبل النيل في غرب هذا الملتقى من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فر بمسقلان وسواحلها وأتى صور ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق » (معجم البلدان - جزيرة العرب) .

وببلاد العرب في هذا البحث هي الجزيرة العربية التي يحدها من الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب البحر العربي ، ومن الشرق خليج فارس ، وتمتد في الشمال حتى تشمل هذه البقاع التي قامت فيها دولات عربية كالمناذرة في الحيرة ، والفساستة في الشام ومن قبلهم الأنباط في بئرا وتدمر .

(١) يبلغ ارتفاع أعالي الجبال في اليمن أكثر من اثني عشر ألف قدم ، ونحو عشرة آلاف قدم في كل من مدين وجبال السراة في الحجاز والجبل الأخضر في عمان . بل إن في نجد - وهي هضبة متوسط ارتفاعها ٢٥٠٠ قدم - جبلا يبلغ ارتفاعه ٥٥٥٠ قدماً وهو جبل أجبا (انظر تاريخ العرب - مطول - ١ : ١٦) . وقد ذكر عرام بن الأصمغ السلمي في كتابه « أسماء جبال تهامة وسكانها » بعض هذه الجبال الشاهقة ، وأشار إلى ارتفاعها وذهابها في السماء ، من ذلك قوله عن جبل ورقان : « جبل أسود عظيم كأعظم ما يكون من الجبال » (ص : ١٥) وقال عن جبل آرة « جبل من أشمخ ما يكون » (ص : ١٩) . وقال عن جبل شمنصير : « جبل ململم لم يعلمه أحد قط ولا درى ما على ذروته » (ص : ٢٦) . وقال عن جبل يسوم وقرقه « لا يكاد أحد يرتقيهما إلا بعد جهد » (ص : ٤١) =

هذا وذاك مناخ معتدل فيه دفء لا يفلو فيصبح حرّاً، ولا يقصر فيصبح برداً.. وفيها مع ذلك أمطار غزار تنساب أنهاراً وجداول^(١)، تقوم على حفافيتها مدن

= وقد كان الماء يجمد على بعض قمم الجبال وذلك مثل جبل صنعاء وجبل غزوان بجوار الطائف (انظر الهمداني : الإكليل ص : ٩ ، والإصطخرى : مسالك الممالك ص : ١٩). «يكثوا سنة جرداء، وسوها سنة الجمود لجمود الرياح فيها» (الهمداني : صفة جزيرة العرب ص : ٢١٤). وكانت الثلوج تنقط على جبل حضور الشيخ في اليمن في شتاء كل عام تقريباً ، وأما الصقيع فهو أكثر من ذلك شيوفاً (انظر تاريخ العرب - مطول ١ : ٢١).

(١) كانت الأمطار في جزيرة العرب في العصر الجاهل غزيرة غزارة لا تعرفها الجزيرة الآن، ولغزارة الأمطار في الجاهلية آيات : أولاها - وهي أهمها في نظرنا - ما يحفل به الشعر الجاهل من وصف السيول الدافقة ، وذلك أكثر من أن يشار إليه . وثانيها : كثرة الأودية ومسائل المياه التي تشاهد في الجزيرة - ليومنا هذا - غائرة غائصة . وقد عقد الهمداني فصلاً عن أودية السراة ومسائل المياه فيها في صفة جزيرة العرب (من ص : ٧١ إلى ٧٨) حيث يفصل القول فيها تفصيلاً ويعد منها شيئاً كثيراً ، وانظر كذلك ص : ٢١٤ وما بعدها . وثالثة هذه الآيات ما يذهب إليه بعض العلماء في قولهم : « وكانت الرياح الغربية التي تروى غيوبها الآن مرتفعات سورية وفلسطين تصل في الأزمنة الغابرة إلى الجزيرة قبل أن تفقد هذه الغيوم رطوبتها » (تاريخ العرب - مطول - ١ : ١٥) . والعلماء هؤلاء يشيرون إلى أن ذلك كان في عصور جيولوجية صحيحة في القدم - ولكن ما ذكرناه من أمر الشعر الجاهل دال على أن ذلك كان مألوفاً في العصر الجاهل الأخير . وما يؤيد ذلك أن ديودوروس الصقلي - في القرن الأول قبل الميلاد - يذكر أن بلاد العرب التي تقع في الشمال من العربية السعيدة وتمتد حتى تجاور سورية « يتخللها كثير من الأنهار ويهطل عليها مطر غزير في الصيف فيكون لسكانها بذلك موسمان زراعيان في السنة الواحدة » (انظر : Diodorus Siculus, London, Book 2, p. 54).

وقد ذكر عرام السلمي أسماء كثير من القرى الزراعية وأنواع فواكهها وثمارها وأشار إلى كثرة ماثها ، من ذلك قوله عن جلي رضوى وعزور : « في الجبلين جميعاً مياه أوشال، والوشل : ماء يخرج من شاهقة لا يطورها أحد ولا يعرف منفجرها . . ويصب الجبلان في وادي غيقة ، وغيقة تصب في البحر ، ولها مسك : وهي مواضع تملك الماء ، واحدها مساك » (ص : ٦). ويذكر « ينبع » فيقول : « قرية كبيرة غناء . . فيها عيون عذاب غزيرة الماء واديها يليل يصب في غيقة . . وفي ليليل هذه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماء . . » (ص : ٨ - ٩) ويذكر « الصفراء » فيقول : « قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها ، وهي فوق ينبع ما على المدينة ، وماؤها يجري إلى ينبع » (ص : ٨) ويذكر قرية السوارقية وفواكهها فيقول : « قرية غناء كثيرة الأهل . . ولهم مزارع ونخيل كثيرة وفواكه وموز وتين ورمان وعنب وسفرجل وخوخ . . » (ص : ٦٥).

وهو يذكر كثرة المطر فيقول : « وغدير خم هذا . . لا يفارقه ماء أبداً من ماء المطر » (ص : ٣٣) ويذكر الآبار التي في بعض الجبال فيقول عن ماثها إنه « ماء سماء لا تنقطع هذه المياه لكثرة ما يجتمع فيها » (ص : ٥٤).

وقرى ، وتهتز الأرض فتخرج من ثمرها وبقلها وفاكهتها ما شاء لها الله ؛ ويكون من كل ذلك تلك الحفصارة الزراعية التي عرفها التاريخ في العرب والأمم الأخرى ذات طابع واضح ومعالم مميزة . وقد تضمنت الطبيعة بماؤها فلا تكاد ترسله إلا بمقدار ، ثم تمسك إمساك الشحيح يندم على ما بسط من يده ؛ فيكون من هذا الرذاذ الهين اللين سوب ومراع يتجمعها قطنان الصحارى بأنعامهم يلتمسون الكلاء ، ثم لا تكاد تطمئن بهم النوى حتى تقتلهم اقتلاعاً ، وتقذفهم إلى مرعى جديد يكون أوفر حظاً وأوفى نصيباً . فتنشأ من ذلك طبقة اجتماعية عرفها التاريخ كذلك في سيرة الطويل بطابعها الواضح ومعالمها المميزة .

وهذه الصحراء العربية يضيق جوفها عن أن يمد لقطنائها من أسباب العيش غير ما كان يعيش عليه رجل الغابة الأول : يتنكب قوسه ويعلق كنانته ، أو يحمل رمحه ويتقلد سيفه ، ثم يضرب في الأرض باحثاً عن قوته بين حيوان الصحراء . وقد يؤوب بصيد سمين وقد يكون هو الصيد ، أو قد يفوته ما أمّل ، فلا يجد له بدءاً من أن يجعل هدفه أخاً له يفتك به ويمجّده مما يحوز . فتكون من ذلك طبقة اجتماعية ثالثة هي أولى الجماعات التي عرفها التاريخ منذ أن وجد الإنسان .

ولقد كانت هذه البلاد في مكان سوي بين أعم العالم ، يتوسط الشرق والغرب ، ويصل الجنوب بالشمال ، فلا بدّ إذن من أن تكون طريقاً تجتازه التجارة من الشرق والجنوب إلى الشمال والغرب . وكان لا بدّ أن يكون لهذه التجارة قوامون يبذلون من مالهم ومن جهدهم في شرائها ونقلها وحراستها ثم يبيعها ما يضطرهم إلى تنظيم أمرها وهيئة وسائلها ، فنشأت من ذلك تجارتان : تجارة داخلية محلية ،

= بل إن هذه الأمطار ما زالت إلى يومنا هذا تهطل على الصحارى نفسها - بله السهول والجبال - كصحارى النفود والربع الخالي حتى إنها لتنطفيها «ببساط من الحفصة يحولها إلى جنة للإبل والأغنام» ، «وتغنى الأرض بالمراعى» (انظر تاريخ العرب - مطول - ١ : ١٧) وانظر كذلك ص : ٢٠ - ٢١ ففهما وصف الخصب والحفصة في هضبة نجد وفي الحجاز وعسير واليمن في أيامنا هذه .

وتجارة خارجية عالمية . وكان لا مفرّ من أن تقوم طبقة اجتماعية رابعة بجانب الطبقات الثلاث المتقدمة .

وكانت ثمة حِرَفٌ صغيرة ، وصناعات كثيرة ، تتناول من الأمور دقيقتها وجليلتها ، وكانت بعض المدن تختصّ بضرب من هذه الصناعات دون غيره ، فتشهر به ، ويؤمها الناس يتعلمون هذه الصناعة من أهلها ، ثم يعودون إلى موطنهم بطريف لم يكونوا يعهدونه^(١) . وكان لا بدّ من أن يقوم على هذه الحرف والصناعات رجال مختصون : من العرب الخلّص ، ومن الرقيق المجتبى ، فكانت منهم جميعاً طبقة اجتماعية خامسة ، ذات طور حضارى يختلف عن الطبقات السابقة .

ولعل آخر هذه الطبقات هؤلاء السادة المترفون من الملوك والأمراء والحكام والأثرياء ممّن كان يجتمع لهم السلطان والمال .

٢

والقبيلة عند العرب فى حاجة إلى دراسة مستفيضة خاصة ، لا يتسع لها مثل هذا العرض التمهيدى ، وبحسبنا أن نشير إلى أن الشائع المتعارف أن القبيلة كانت فى الجاهلية جماعات من الأعراب البدائيين : يسكنون الخيام ويقطنون الصحراء ، لا همّ لهم إلا الغزو وانتجاع الكلاء . وقد يصدّق ذلك على بعض تلك القبائل ، أو على أقسام منها . غير أن الذى لا يتطرق إليه ريب ، فيما نرى ، أن قبائل كثيرة كان منها من يسكن فى الحواضر والقرى مستقرّاً ثابتاً : فالأوس والخزرج

(١) من أمثلة ذلك ذهاب عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من الطائف إلى جرش فى اليمن ليتعلما بعض الصناعات الحربية . قال ابن إسحق : « ولما قدم قل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها - وصنعوا الصنائع للقتال . ولم يشهد حينئذٍ ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمهانيق والضبور » (السيرة ٤ : ١٢١)

كانتا تسكنان المدينة ، وثقيف كانت تسكن الطائف ، وقريش البيطاح كانت تسكن بطحاء مكة ، وتغلب وبكر وإياد كان بعضها حاضرة تسكن الجزيرة وما بين النهرين ، وعبد القيس كان منها حاضرة تسكن عُمان والبحرين ، وغيرها وغيرها من القبائل التي كانت تستوطن قرى الهامة وقرى اليمن . فهذه وأشباهاها من قبائل العرب كان أكثرها أهل مدَر ، مستقرة في موطنها ، لا يُعجلها التنقل والارتداد عن أن تقيم لنفسها من حولها حياة مدنية لا تختلف في شيء عما نعرفه من حياة سكان المدن في بلاد العرب لذلك العهد . وما أوضح ما رَوَى لنا عن أحد أحلاف الجاهلية من أن ذلك الحلف كان « في أهل الوَبَر في الجاهلية فلما جاء الإسلام — وكانت حنيفة بقيت من قبائل بَكْر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف — قال : وذلك أنهم أهل مدَر — فدخلوا في الإسلام مع أخيه عِجْل فصاروا لِهَزيمة »^(١).

ونص آخر لا يقل وضوحاً وإبانة ، قالوا^(٢) : « قريشُ الأباطح أشرف وأكرم من قريش الظواهر ، لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قَطَّان الحرم ، والظواهر أعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة » .

فكثيراً ما نجد إذن قبيلة واحدة تحيا حياتين مختلفتين : كان قسم منها يتحضر ويستقر ويسكن المدر ، على حين يبقى قسم منها بادياً في أهل الوبر ، في أطراف القرى والمدن . وقد كان هذا شأن القبيلة في الجاهلية والإسلام معاً ؛ فمن ذلك : جُهَيْنَّة ، كان قسم منها يسكن في الوبر دون المدر في نواحي جبَلِي رَضَوَى وعَزْوَر^(٣) على حين يسكن قسم آخر منها في المدر في ينبع « وهي قرية كبيرة غناء . . . فيها عيون عذاب غزيرة الماء . . . »^(٤) ويسكن قسم ثالث منها في

(١) النقائص : ٧٢٨ .

(٢) اللسان (ضحا) .

(٣) عرام بن الأصم السلمي ، كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، ص : ٧ .

(٤) المصدر السابق : ٨ .

الصفراء « قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها ، وهى فوق ينبع مما يلي المدينة ، وماؤها يجرى إلى ينبع »^(١) .

ومثال آخر : نههد ، كانت كجهينة تسكن في الوبر دون المدر في جبلى رضى وعزور^(٢) ، وكان قسم منها يسكن في قرية الصفراء .

ومثل ثالث : مزينة ، كان قسم منها يسكن في جبل ورقان^(٣) ، وقسم آخر في جبلى القديسين^(٤) ، وقسم ثالث في جبلى نهبتان^(٥) على حين يسكن قسم منها في قرية الفرع « وهى قرية غناء كبيرة »^(٥) .

ومثل رابع : هذيل ، كانت أقسام منها تسكن ضرعاء وهى « قرية بها قصور ومنبر وحصون »^(٦) ، وقسم يسكن في قريتي رهاط والحديبية^(٧) ، وقسم يسكن في مر الظهران وهى « قرية في واديا عيون كثيرة ونخيل وجميز » ، إلى آخر ما شئت من الأمثلة .

وإذا كان يحلو لبعض الباحثين أن يجعلوا « لأهل الكتاب » في الجاهلية سهماً في الحضارة أوفر من سهام « الأميين » - ولعلمهم على شئ من الحق في ذلك - فمن يكون أهل الكتاب أولئك ؟ وكيف يغرب عنا أن نصارى بلاد العرب ويهودها لم يكونوا - ما عدا قلة قليلة من الوافدين - غير قبائل قد تنصرت وتهودت - قبائل كاملة بفضها وقضيضها^(٨) .

(١) عرام بن الأصبح : ٨

(٢) المصدر السابق : ٧

(٣) المصدر السابق : ١٦

(٤) المصدر السابق : ١٨

(٥) المصدر السابق : ١٩

(٦) المصدر السابق : ٢٥ - ٢٦

(٧) المصدر السابق : ٢٧ - ٢٨

(٨) ابن حزم ، الجمهرة : ٤٥٧ - ٤٥٨ ، فيقال إن إيراداً كلها ، وريمية كلها ، وبكر ، وتغلب ، والنمر ، وعبد القيس كلهم نصارى ، وكذلك غسان ، وبنو الحارث بن كعب بنجران ، وطى ، وتنوخ ، وكثير من كلب ، وكل من سكن الحيرة من تميم ونظم وغيرهم .

ثم إن القبائل البادية نفسها التي لم تستوطن الحواضر والقرى ، ولم تنتصر أو تهود - هذه القبائل كانت تتفاوت تفاوتاً كبيراً في نظام حياتها ، وطرق معيشتها وطبقها الاجتماعية ؛ وبحسبنا أن نشير إلى ما رُوي عن عائشة ، قالت : لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقبل هدية من أعرابي ، فجاءت أم سنبلة الأسلمية بلبن ، فدخلت به علينا فأبيننا قبله ؛ فنحن على ذلك إلى أن جاء رسول الله معه أبو بكر ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : يا رسول الله هذه أم سنبلة أهدت لنا لبناً ، وكنت نهيئنا أن نقبل من أحد من الأعراب شيئاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوها ، فإن أسلمَ ليسوا بأعراب هم أهلُ باديئنا ، ونحن أهل قاريئتهم ، إذا دعوناهم أجابوا ، وإن استنصرناهم نصرونا ^(١) .

وثمة نصّان لا يقلان عن هذا النصّ وضوحاً وقيمةً : أولهما ما ذكره عرّام ابن الأصمغ في حديثه عن السّوّارقيّة قال : « قرية غناء كثيرة الأهل » ثم قال : كان لبنى سليم فيها « مزارع ونخيل كثيرة وفواكه من موز وتين ورمّان وعنب وسفرجل وخوخ . ولم يخل ولم يلب وشاء كثير ، وهم بادية ، إلا من ولّد بها فلمهم ثابتون بها ، والآخرون بادون حوالها ويمبرون طريق الحجاز ونجد في طريق الحاج » ^(٢) .

وثانيهما ما ذكره عرّام أيضاً في حديثه عن قرية خيف سلام قال : « وفيه منبر وناس كثير من خزاعة ، ومياهاها فقُرٌّ أيضاً ، وباديئها قليلة ، وهي : جُشَم وخزاعة وهذيل » ^(٣) .

فنحن نفهم من هذه النصوص الثلاثة المتقدمة أن المقصود بالبادية إنما هو

« وكانت حبر يهوداً ، وكثير من كندة » . وذكر أبو عبيد (معجم ما استمع ١ : ٢٩) أن قبيلة من بني نزلت أرضاً بين تيماء والمدينة « فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فأدخلوهم المدينة . . . »

(١) ابن سعد ، الطبقات ٨ : ٢١٥ ، والقارية : الحاضرة الجامعة .

(٢) كتاب أسماء جبال تامة وسكانها : ٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ٣٥ ، والفقر : قفى الماء ، واحدها : فقير .

ظاهر القرية ، أو ضاحيتها وما أحاط بها ، وأن كثيراً من القبائل كانوا يقطنون في هذه البوادي قريبين من الحواضر ، مُطِيفِينَ بها ، مُتَّصِلِينَ بِسكَّانِهَا ؛ فهم إذن غير تلك القبائل الموزعة في الصحراء ، الضاربة في الفياض ، البعيدة عن العمران ، الذين قست قلوبهم وغلظت أكبادهم فوصفهم القرآن الكريم بشدة الكفر والنفاق ، هؤلاء هم الأعراب ؛ أما القبائل القريبة من القرى ، المطيفة بها « فليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا ونحن أهل قاريتهم » .

ونحب أن نخلص من كل ما قدّمنا من أمر عرب الجاهلية وبلادهم إلى أنهم لم يكونوا مجتمعاً واحداً ، بل كانوا طبقات اجتماعية مختلفة متباينة تمثل المجتمعات الإنسانية التي مرت بها البشرية في تاريخها الطويل .

وقد استبانَت هذه الفروق الاجتماعية بين تلك المجتمعات منذ القدم لِمَنْ كُتِبَ عن العرب من مؤلفي اليونان والرومان . فهذا ديودوروس الصقلّي — في القرن الأول قبل الميلاد — يُفِيضُ في حديثه عن الحضارة الزاهية التي قامت في بعض أنحاء الجزيرة العربية ، ويصوِّرُ لنا الحياة المترفة الراقية التي كان يجيهاها عرب اليمن ؛ ثم يتحدث عن الأجزاء الداخلية المتوسطة في بلاد العرب فيقول : إنه « كان يقطنها جمهور كبير من العرب الرُّحَّل الذين اتخذوا لأنفسهم حياة النجاش ، وكانت لهم قطعان كثيرة من الأنعام ، وينصبون مضاربهم في السهول الواسعة المنبسطة . . » ثم يقول : « إن الأجزاء الباقية من بلاد العرب المتاخمة للبحر والتي تقع إلى الشمال من العربية السعيدة وتمتد حتى تجاور سورية — يقطنها جمهور من المزارعين والتجار على اختلاف أنواعهم ، يبيعون ما عندهم ويبتاعون ما عند غيرهم في مواسم وأسواق تجارية . . . وتتخلل هذه البلاد كثير من الأنهار ، ويهطل عليها مطر غزير في

الصيف ، فيكون لهم بذلك موسمان زراعيان في السنة الواحدة « (١) .

وقد لاحظ بعض الذين كتبوا في العصور الإسلامية عن العصر الجاهلي هذه الفروق في المجتمعات الجاهلية — فهم يقسمون عرب الجاهلية قسمين رئيسيين : الملوك ، وغير الملوك . ثم يقسمون غير الملوك قسمين رئيسيين : أهل مدَر وأهل وَبَر ، ويقسمون أهل المدر إلى زراع وتجار . قال ابن العبري (٢) « وأما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين : أهل مدر وأهل وبر . فأما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى ، وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة . وأما أهل الوبر فهم قُطَّان الصحارى وكانوا يعيشون من ألبان الإبل ولحومها ، منتجعين منابت الكَلأ ، مرتادين لمواقع القطر ، فيُخَيِّمُونُ هنالك ماسعدهم الخصب وأماكنهم الرعى ، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه ، فلا يزالون في حلٍّ وترحال . . . »

٤

ولذلك كان من الإخلال الفاضح بالمنهج السديد أن يُنظَر إلى العصر الجاهلي نظرة واحدة ، وأن يُحكم عليه حكمٌ عامٌ مطلق ، وأن يُوصَمَّ عرب الجاهلية جميعاً بالبداءة والجهالة ، فلا تُراعى هذه الفروق الواسعة في البيئات الاجتماعية المتباينة . فإنَّ صحَّ أن بعض الأعراب في صحراوات الجزيرة كانوا في معزل عن العالم المتمدين آنذاك ، فإنه من الصحيح كذلك أن بعض البيئات الاجتماعية الأخرى كانت متصلة بمعالم المدنية لذلك العهد ، مواكبةً لركب الحضارة .

والحضارة في العصر الجاهلي موضوع يحتاج إلى شيء من البحث المتعمق

(١) Diodorus Siculus, London, William Heinemann Ltd. Cambridge, Book 2, p. 54

(٢) مختصر الدول — ط . بيروت ص ١٥٨ - ١٥٩ ، وكذلك صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم

الدقيق ، ويستحق منا في هذا المجال وقفة قصيرة نُلم به لإلمامة سريعة .
 وأول ما يلفت نظرنا من أمر هذه الحضارة الجاهلية الأخيرة أنها حضارة
 ظاهرة تأثيرية (سلبية) ، لم تبلغ من العمق أولاً ومن القوة ثانياً ما يجعل لها طابعها
 الخاص الذي تتسم به ، وما يبعث في حناياها الحياة القوية حتى تندفق على
 الحضارات الأخرى فتؤثر فيها أو تتفاعل معها . وتعليل ذلك أن هذه الحضارة في
 الجاهلية الأخيرة إنما انحدرت من جدولين : أولهما تليد موروث ، وثانيهما
 طريف مقبوس .

أما الجدول الأول فهو صورٌ مطموسة ، وأطلال مدروسة ، وظلال باهتة ،
 كان يحس بها عرب هذا العصر إحساساً غائماً ، ويسمعون بها سماعاً غامضاً ،
 ويرون من آثارها ما لم يحسنوا الانتفاع به أو ما لم تنطق حالتهم آنذاك أن تبعث فيه
 الحياة دافقة كما كانت . ومعالم تلك الحضارة التليدة قائمة في بلاد العرب في هذه
 النقوش والآثار التي اكتُشف بعضها في اليمن حيث قامت دول معين وسبأ وحِمْيَر ،
 وفي الحِمْيَر حيث وجدت لحيان وثمود ، وفي بَرا حيث قامت دولة الأنباط .
 وقد أشار كثير من المعنيين بالدراسات الشرقية من الأوروبيين إلى هذه
 الحضارة العربية القديمة بعد استقراء النقوش واستنطاق الآثار . فقال ونكلر
 Winckler^(١) إن تاريخ الجزيرة العربية كما توضحه النقوش يُظهر لنا مجموعة من
 الحكومات والدول المنظمة منذ أقدم القدم . وقال سايس A.H. Sayce « لم يكن
 المسلمون الذين انطلقوا من الجزيرة العربية وفتحوا العالم المسيحي وأسسوا الممالك
 إلا من نسل أولئك الذين كان لهم في القدم أثر عميق في مصير الشرق »^(٢) .
 وقال هومل Hommel : « إن الحضارة العربية الجنوبية بأهلها ومذابحها ذات البخور
 ونقوشها وحصونها وقلاعها لا بد أن تكون مزدهرة متحضرة منذ الألف الأول قبل
 الميلاد . . » وقال : « إن أهمية العرب في الشرق القديم تكمن في مجال الحضارة

Margoliouth, Relations Between Arabs and Israelites Prior to The Rise (١)

of Islam, 24.

A.H. Sayce, Early Israel, 128.

(٢)

والدين ، ويكفى أن نذكر كلمتي : البخور وعبادة النجوم ، لنذكر أثر العرب في الأثم المجاورة لهم ولا سيما العبرانيين واليونان ،^(١) .

أما نحن فحسبنا هذه الاستشهادات ، ولن نعرض بالقول المفصل لهذه الدول ، فما زال الحديث عنها مبتوراً يحتاج إل استكمال التنقيب والكشف في مجاهل الصحراء وبطون الرمال . ولكننا نحب أن نشير إلى أن المستشرق أوليري قد فصل القول ، في فصول كتابه « بلاد العرب قبل محمد » ، عن علاقة الأمة العربية بغيرها من الأثم المجاورة لها منذ أقدم الأزمنة ، وكشف عن الروابط القوية التي كانت قائمة بين العرب وبين دول ما بين النهرين والمصريين والأحباش والهنود والفرس واليونان والرومان^(٢) .

٥

فلإذا ما انتقلنا بعد ذلك إلى العصر الجاهلي الأخير وجدنا أن هذه الحضارات العربية جميعها قد انحطت وانقرضت منذ أزمان متفاوتة . ويذهب فريق من الباحثين إلى أن انحطاط هذه الدول العربية وانقراضها إنما يرجع إلى عوامل اقتصادية ؛ وهم يرون أن هذا الانحطاط قد بدأت بوادره منذ ابتداء التاريخ المسيحي ، واستمرت تقوى حتى قوضت أركان هذه الحضارات . وأهم الأسباب التي يوردها هذا الفريق لتعزيز رأيه : زوال المدن العظيمة في سهول جزيرة الفرات بعد سقوط بابل وآشور ، وما لهذا الزوال من أثر في الممالك العربية التي كانت منذ القدم السحيق تسيطر على الطرق التجارية . وتلا ذلك زوال الأسواق الفينيقية ؛ وأهم

(١) Farmer, History of Arabian Music, Introduction نقلا عن : Hommel

Ancient Hebrew Tradition, 77

(٢) وانظر أيضاً : الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ٢ : ٢٧٧ - ٤٢٤ ؛

٣ : ٢٧٤ - ٤٢٣ .

من ذلك كله فتح الرومان الطريق التجارى البحرى خلال البحر الأحمر فى نحو القرن الأول الميلادى . وكان من أثر هذا أن تضاءلت تجارة القوافل البرية فى الجنوب ، وكانت هذه التجارة عماد الممالك العربية الجنوبية . وزادت المشكلات السياسية هذه العوامل قوة : ففى الشمال قضى الرومان على بتراسنة ١٠٦ م بقيادة تراجان ، ثم قضوا على تلمر سنة ٢٧٢ م بقيادة أورليان ، وقد كان الأنباط مستودع تجارة القوافل الشمالية . ولم تنتعش الممالك العربية بعد هذا الاضطراب السياسى والاقتصادى ، فانتشرت الهجرة وترك الناس المدن التى كانت عاصمة فزالت . ويعقب فارمر H.G. Farmer على هذا بقوله ^(١) : « ومع ذلك كله فلإن الجزيرة العربية لم تُصَبَّ بالعمى ، فن هذه البلاد التى كانت مهد الساميين ولدت الحضارة الإسلامية التى صارت بحق خير خلف لحضارة الساميين العظيمة فى القدم » .

• • •

ونحن نرى أن هذا العصر الجاهلى الأخير الذى توسط بين الحضارتين : العربية القديمة والإسلامية الناشئة ، لم يكن فجوة عميقة واسعة بحيث تقطع الأواصر بين الحضارتين . فقد كان العرب فى هذه الجاهلية الأخيرة يعرفون عن ماضيهم قبسات أوصلها إلينا المؤرخون الإسلاميون غائمة غامضة تشوبها الأساطير والخرافات .

وهذا القرآن الكريم فى خطابه لعرب الجاهلية الأخيرة حافل بالإشارات التى تدل على ما كان يرفل فيه أولئك الأقوام ودولهم فى الجاهلية الأولى من نعيم وترف ، وما كانوا يتمتعون به من قوة ومنعة . وفيه أيضاً تأنيب لعرب الجاهلية الأخيرة الذين كانوا يسبزون فى الأرض فيمرون بآثار منازل هؤلاء الأسلاف الأقدمين ، ويعلمون من أمرهم ما يعلمون ، ولكنهم مع ذلك لا يتعظون بمصيرهم ، ولا يعتبرون بما آتوا إليه . فالقرآن الكريم يصف سبأ بالحياة الزراعية المستقرة الناعمة ، وبضر بهم فى الأرض آمنين ، وذلك قوله تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ : جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ۝﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا
فِيهَا السَّبْرَ ، سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝﴾ ^(١) .

فإذا ما عرض لذكر عرب الجاهلية الأخيرة وصفهم بأنهم لم يبلغوا معشار
ما أوتيت الدول من قبلهم :

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِغْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ، فَكَذَّبُوا
رُسُلِي ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝﴾ ^(٢) .

ويصف القرآن الكريم قوم عاد بفساد العمارة والصناعة ، وذلك قوله تعالى :

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ؟ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ !
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا
تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝﴾ ^(٣) .

ويصف ثمود بالحياة الزراعية المستقرة الحصبة وفساد العمارة كذلك ، وذلك
قوله تعالى :

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا آمِنِينَ ؟ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضْبٍ ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ؟ ۝﴾ ^(٤) .

وأما إشارات القرآن الكريم إلى مرور عرب الجاهلية بديار أولئك الأقوام

(١) سورة سبأ ، آية ١٥ وآية ١٨

(٢) سورة سبأ ، آية ٤٥

(٣) سورة الشعراء ، آيات ١٢٨ - ١٣٤

(٤) سورة الشعراء ، آيات ١٤٦ - ١٤٩

من أسلافهم ومعرفهم أخبارهم وأحوالهم فكثيرة ، منها :

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ ^(١) .

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ؟ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ ^(٢) .

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى ﴾ ^(٣) .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٤) .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ .

ولا ريب أن القرآن الكريم ليس كتاباً تاريخياً يقصد إلى ذكر الحوادث مفصلاً القول في أجزائها ، ولكنه يعرض للحادثة التاريخية ليبين عن العظة والعبرة . وإنما عرضنا هذه الآيات لندل على أن عرب الجاهلية الأخيرة كانوا يدركون طرفاً من أخبار أسلافهم ، ويعرفون شيئاً عن هذه الحضارات التليدة التي ورثوا

(١) سورة النكبات : ٣٨

(٢) سورة الفرقان : ٤٠

(٣) سورة طه : ١٢٨

(٤) سورة الروم : ٩

(٥) سورة غافر : ٢١

بعض بقاياها ورواسبها ، وذلك هو ما أشرنا إليه بالجدول الأول لحضارة العصر الجاهلي الأخير .

وأما الجدول الثاني - وهو ما سميناه بالحضارة الطريفة المقبوسة - فيكفيها منه ما كفانا في سابقه : إشارات عامة تكشف لنا عن خطوطه الكبرى . وتمثل هذه الحضارة في ذلك الاتصال الوثيق الذي كان يربط عرب الجزيرة بالحضارات القائمة في جوارها من فارسية ورومية ومصرية إلخ . . وربما كانت أهم سبل هذا الاتصال هي :

أولاً : هاتين الإمارتين العربيتين اللتين كانتا تتاخنان الحضارتين الكبيرتين لذلك العهد ، واللتين كانتا أشبه ما تكونان بالثغور على الحدود ، وهما : المناذرة في الحيرة ، والغساسنة في الشام . فقد كان اتصال هاتين الدولتين بالفرس والروم من جانب ، وبالجزيرة العربية من الجانب الآخر ، اتصالاً وثيقاً . فكانتا لذلك قناتين كبيرتين انسرب منهما أثر هاتين الحضارتين إلى الجزيرة العربية .

ثانياً : هذه الطرق التجارية المنظمة التي كانت تتخلل صحراوات بلاد العرب ، وتلك الموانئ والعهود التي كانت تربط العرب الذين تمر تلك القوافل ببلادهم فيتمهدون بالمحافظة عليها لقاء جعل يدفع إليهم .

ثالثاً : هذه الأسواق والمواسم العربية التي كان العرب يقيمونها في أطراف الجزيرة حيناً وفي قلبها حيناً آخر . فكان يؤمها العرب من مختلف بقاعهم وعلى تباين حظوظهم من الحضارة والمدنية . وكان يؤمها كذلك بعض التجار الفرس والهنود والمصريين والرومان ، فكان كل أولئك يلتقون في صعيد واحد ، يأخذون ويعطون ويتبادلون ما عندهم من متاع وعروض ، ومن آراء وأفكار ، ومن مظاهر الحضارات المختلفة ^(١) .

(١) كان كثير من تجار الأمم المحيطة ببلاد العرب - سواء في ذلك الأمم القريبة والناحية - ينتقلون إلى جزيرة العرب ، فكان بعضهم يوافي أسواق العرب ويجمعون فيها للتجارة ، كما كانت

رابعاً : هذه الجاليات الأجنبية الكبيرة التي كانت تغد على الجزيرة العربية فتقيم فيها وتطيل المقام ، بل تتخذ منها موطناً آخر تقضي فيه حياتها وتنشئ فيه فريتها . فكانت هذه الجاليات مختلفة الأديان والأجناس والأهداف : فمنهم النصراني واليهودي والمجوسي والوثني ؛ ومنهم الفارسي والرومي والمصري والهندي والحبيشي ؛ ومنهم من جاء الجزيرة للتجارة فافتتح فيها دوراً للهو من غناء وشراب وبغاء ، ومنهم من جاءها فانشأ فيها مستعمرات زراعية فعمر الأرض وأثارها هناك ؛ ومنهم من جاءها لغير هذا وذلك كالبعثات التبشيرية الدينية التي انبثت في أنحاء الجزيرة وجاست خلالها وانتشرت بين أهلها وأقامت البيعة والصوامع والأديرة في المدن والصحراء^(١) .

خامساً : هذه الجماعات والأفراد من العرب أنفسهم الذين كانوا يفدون على فارس وبلاد الروم والحبيشة ومصر للتجارة حيناً ، وللتعرض لعتاء الملوك والسادة حيناً آخر ، ولطلب العلم والهداية حيناً ثالثاً . أما التجار العرب فكانوا يضربون في الأرض ضرباً بعيداً فيصلون إلى أقصى ما كان يعرف من عالمهم آنذاك^(٢) .

تفعل فارس حيناً كانت توافي سوق المشقر يقطعون البحر إليها ببياعاتها (ابن حبيب ، المهر ص : ٢٦٣ - ٢٦٥) وكان يجتمع في دها تجار الهند والسند والصين وأهل الشرق والغرب فيشترون بها يبيع العرب والبحر ثم يسرون بجميع من فيها من تجار البحر والبر إلى الشحر ، شحر مهرة ، ويبيعونهم ما ينفق بها من الأدم والبز ومائر المرافق ، ويشترون بها الكندر والمر والصبر والدخن (أبو علي المرزوقي الأصفهاني ، الأزمنة والأمكنة ، ط . الهند ، الباب الأربعون) .

(١) عقد ابن حبيب النسابة (في المهر ٣٠٦ - ٣٠٨) فصلا ذكر فيه أبناء الحبيشيات في الجزيرة العربية ، غير ما نجاهه من أسماء الحبيشيات مبثوثاً في بطون المراجع الأخرى . وفي سيرة ابن هشام (ط بولاق ١ : ٥٧) ذكر بلحالية حبشية من النصارى . وفي أسد الغابة أسماء كثير من الروم والروميات (١ : ٢١٢ ، ٤ : ٢٣٢ ، ٥ : ١٩٤ ، ٤٦٢ ، ٤٨٠) وفي سيرة ابن هشام (١ : ٦٥) ذكر لرجل قطبي نجار بمكة ، وفي (١ : ٦٢) ذكر ليهودي من الشام قدم على بني قريظة وأقام عندهم ، وفي (١ : ١٤٧) ذكر لنصراني من أهل نينوى ، وفي (٣ : ٤٥) ذكر لنبطي من نبط الشام قدم بالطعام يبيعه بالمدينة .

(٢) مثل : هاشم وكان متجراً إلى الشام فهلك بغزة ، وعبد شمس وكان متجراً إلى الحبيشة ، والمطلب وكان متجراً إلى اليمن ، ونوفل وكان متجراً إلى العراق . وهم أصحاب الإيلاف من قريش (راجع لذلك المهر لا ابن حبيب ص ١٦٢ - ١٦٤ ، والسيرة ، بولاق ١ : ٤٧) .

وأما المتعرضون للعطاء فكانوا من الشعراء ورؤساء القبائل وأصحاب الرأى فيها ،
يفقدون إلى ملوك المتأخرة أو الفاسقة أو بلاط كسرى أو بلاد مصر والحبشة ،
فيقيمون هناك ما شاء لهم الله أن يقيموا يرون ما لم يروا في بلادهم ، ويتزودون
بالحديد الطريف من ألوان الحضارة المتباينة . وأما طالبو العلم والهداية فقد كانوا
من استبدت بهم نزعات نفسية أو خواطر فكرية فكانوا يطلبون فيما نأى عن
ديارهم ما يفيدهم علماً أو يكسبهم يقيناً واطمئناناً ^(١) .

٦

وبعد ، فإن حياة العرب في الجاهلية — فيما بدا لنا — بعيدة كل البعد عما
يتوهمه بعض الواهمين ، أو يقع فيه بعض المتسرعين الذين لا يتوقفون ولا يتثبتون ،
فيذهبون إلى أن عرب الجاهلية لم يكونوا سوى قوم بدائيين ، يحيون حياة بدائية
في معزل عن غيرهم من أمة الأرض . ونحن لا نحب أن نغلو كما يغلون ، ونسرف
على أنفسنا وعلى الحقيقة كما يسرفون ، ونذهب إلى أن عرب الجاهلية الأخيرة كانوا
من الحضارة بمنزلة لا سبيل إلى تجاوزها ، ولا مزيد عليها لمستزيد ، وإنما نحب
أن نشير إلى ما قررناه من أمر اتصال العرب بالحضارات المجاورة لهم أولاً ، ومن
أمر حضاراتهم التليدة الموروثة ثانياً . ونزيد أن تليدهم هذا إنما كان حضارات
متعاقبة موصولة ذات حلقات ، أخذ بعضها برقاب بعض ، بدأت منذ شاء الله
لها أن تبدأ ، وانتهت قبيل الإسلام بزمن لا يعدو مائة ، أو خمسين ومائة ،
من السنين . وكان من ذلك الحضارات المعينية والسبئية ، والعدانية والثمودية ، والنبطية ؛
التي ازدهرت في شمال الحجاز وجنوب الشام أربعة قرون ، وزال سلطانها السياسى
في القرن الثانى بعد الميلاد ؛ ثم الحميرية التي استطالت حتى أشرفت على أوائل

(١) مثل : زيد بن عمرو بن نفيل الذى شك في الأوثان ورحل يطلب دين إبراهيم حتى
بلغ الموصل والجزيرة ثم جال في الشام (السيرة : ١ : ٧٦ والأغانى - دار الكتب : ٣ : ١٢٦ - ١٢٧)
ومثل الحارث بن كلدة الثقفى الذى تعلم الطب وضرب العود بفارس واليمن (طبقات الأُم لصاعد الأندلسى
ص ٧٤) .

القرن السادس للميلاد . فلم يكن إذن ما ذكرناه من هذه الحضارات أمراً جمع إليه الخيال ، وأثبتته الوهم ، ولم يكن شيئاً قد تطاول عليه الزمن حتى عفى عليه ، واندرست معالمة ، وانمحى أثره ، وخلّف من بعده أحقاباً طوالاً ، وقروناً ممتدة ، أرجعت هؤلاء العرب على أعقابهم ، وأعادتهم إلى النشأة الأولى والحياة البدائية . وما ينبغي لمثبّت أن يغفل عن الفروق الكثيرة في المعالم الاجتماعية بين قوم لم يكن لهم في حياة الجماعة سابقة من حضارة أو علم ، أو كانت لهم ثم عفى عليها الزمن ، فعادت كأن لم تكن . . فأولئك هم البدائيون حقاً ؛ وبين قوم قد كان لهم ما كان ثم تقلص ظله ، وتسرب الوهن إلى كيانه ؛ ولكنه لم يزل حياً في نفوسهم وضمائرهم ، قائماً في خيالهم وتصوّره ، مبثوثة معالمة في حيث كانوا يحصون خلال ديارهم . ولقد تكلفنا ما تكلفنا من القول ، وحشدنا له ما حشدنا من الأمثلة والشواهد في إيجاز شديد واقتضاب من القول ، لأننا إنما عُنينا - في هذا البحث التمهيدي - بتبيان الخطوط الرئيسية التي نستدل بها على أن عرب العصر الجاهلي ليس بمستنكر عليهم - بما كان لهم من حظ موروث في حضارات أصيلة سامقة ، وما كان لهم من سهم موفور في الاتصال بالحضارات المنتشرة لعهدهم - أن يحبوا ؛ على تفاوت بيئاتهم ، حياة حضارية ، من ألوانها : معرفتهم بالكتابة معرفة سنفضل القول فيها فيما سيتلو من صفحات .

وإذا كنا لا نقصد بما قدمنا أن نثبت - ابتداءً ومن غير سند من نص أو رواية - انتشار الكتابة في الجاهلية ، فإننا نريد أن ننبه على سقوط حجة من يسرع ابتداءً - كذلك - إلى نفي أي نص أو رواية فيهما ما يدل على انتشار هذا اللون من الحضارة ، بحجة أن الجاهلية جاهلة ، وأن العرب كانوا قوماً بدائيين لم يعرفوا هذا الضرب من الحضارة . أما وقد أسقطنا الحجة بما قدمنا من القول فقد سقط بذلك الاحتجاج كله ، وأصبحنا نحن وهم على أرض سواء لا يبغي فيها إلا دليل من نص ، أو برهان من رواية ؛ وذلك ما نسأل الله تعالى أن يعيننا على الوفاء به فيما سيلي من أبواب وفصول .

الباب الأول

الكتابة في العصر الجاهلي

فصل الأول

انتشار الكتابة بين العرب في العصر الجاهلي

نشأة الخط العربي وتطوره :

أصل الخط العربي مشكلة كانت مستعصية تتأرجع حولها الآراء ولا تكاد تستقر. وللعرب القدماى فى ذلك روايات مختلفة ، والمستشرقين المحدثين آراء متباينة ، لا يعيننا منها جميعاً إلا هذه الإشارة العابرة إليها^(١) . فسواء عندنا فى هذا البحث ،

(١) انظر أصل الخط العربى فى :

- (١) البلاذرى ، فتوح البلدان : ٤٧٦ - ٤٧٧ .
- (٢) ابن أبى داود السجستانى ، كتاب المصاحف ، ٤ - ٥ .
- (٣) ابن عبد ربّه ، العقد ٤ : ٢٤٠ وما بعدها .
- (٤) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب : ١٢٤ ، ١ - ١٤ .
- (٥) الصولى ، أدب الكتاب : ٢٨ - ٣٠ .
- (٦) ابن فارس ، الصحاح فى فقه اللغة ص ٧ وما بعدها .
- (٧) حمزة بن الحسن الأصفهاني ، التنبيه على حدوث التصحيف (مصورة فوتوغرافية) أدب تيمور ٨٩٦ ، ص ٢٠ - ٣٥ .
- (٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ٣ : ١١ وما بعدها . وغيرها كثير .
- (٩) الكتانى ، التراثيب الإدارية ص ١١٤ وما بعدها - المطبعة الأهلية بالرباط سنة ١٣٤٦ .
- (١٠) ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية : ١٦١ - ٢٠٦ .
- (١١) خليل يحمى نائى ، أصل الخط العربى وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام - مجلة كلية الآداب مايو ١٩٣٥ =

أن يكون الخط العربي توقيفاً علّمه الله آدم ثم أصابه إسماعيل بعد الطوفان^(١) ،
 — وأن يكون اختراعاً أخذته العرب عن الحيرة ، والحيرة أخذته عن الأنبار ، والأنبار
 أخذته عن اليمن^(٢) ، أو أخذته عن العرب العاربة الذين نزلوا في أرض عدنان^(٣) ،
 — وأن يكون مشتقاً من الخط الآرامى كما كان يذهب بعض المستشرقين^(٤) ، أو مشتقاً
 من الخط النبطى كما يذهب المستشرقون اليوم ، وهو أرجح الآراء عند الباحثين
 فى هذا الموضوع .

فأصل الخط العربى إذن مرحلة سابقة لبحثنا هذا متقدمة عليه فى الزمن ،
 لانحب أن نضلّ فى تيهها ، ونبعد بذلك عن موضوع بحثنا . وإنما الذى يعنيننا
 من كل ذلك أن نصل إلى معرفة أمرين ؛ الأول : صورة الحروف التى كان
 يكتب بها عرب الجاهلية الأخيرة ؛ والثانى : أقصى زمن نستطيع أن نؤرخ به
 وجود الكتابة العربية فى الجاهلية بهذه الحروف التى عرفنا صورها . وسيلنا إلى
 معرفة هذين الأمرين أن نتبع النقوش العربية الجاهلية التى اكتُشفت حتى الآن ،
 ونستقرّها فلعل فيها الخبر اليقين .

وتفصيل ذلك أن المنقبين من المستشرقين قد عثروا على نقوش عربية شمالية :
 ثمودية ولحيانية ونبطية كثيرة . ولا يعنيننا منها هنا إلا النقوش النبطية وحدها .

-
- (١٢) إبراهيم جمعة ، قصة الكتابة العربية ، رقم ٥٣ من سلسلة اقرأ .
 (١٣) طه باقر ، أصل الحروف الهجائية — مجلة سومر تموز ١٩٤٥ ص ٥٦ — ٦٠
 (١٤) ناصر النعشبدى ، منشأ الخط العربى وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين —
 مجلة سومر — كانون الثانى ١٩٤٧ ص ١٢٩ — ١٤٢ .
 (١٥) جواد على ، تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ١٨٦ وما بعدها ؛ ٣ : ٤٣٦ وما بعدها .
 (١٦) بلاشير ، تاريخ الأدب العربى ص : ٧٠ — ٧٦ .
 (١٧) N. Abbott, The Rise of The North Arabic Script..., Chicago 1939

- (١) ابن فارس ، الصحاحى : ٧ .
 (٢) ابن النديم ، الفهرست : ٦ — ٧ ، والصول ، أدب الكتاب : ٣٠ ، والقاموس (جزم)
 (٣) الفهرست : ٦ .
 (٤) ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية : ١٧١ .

ونستطيع - بعدما بذله العلماء المختصون في الكشف عنها وقراءة حروفها - أن ندرسها دراسة توضح بعض الغموض الذي غشّى تاريخ الكتابة العربية في الجاهلية . ولن نتعرض في دراستنا للجوانب اللغوية ، ولكننا سنقصر حديثنا على الجانب الخطّي المتصل بصورة الحروف وأشكالها . وقد رأيت أن أقسم هذه النقوش إلى ثلاث مجموعات تتدرج تدرجاً تاريخياً . فالمجموعة الأولى هي نقوش القرن الثالث الميلادي ، والمجموعة الثانية : نقوش القرن الرابع ؛ والمجموعة الثالثة : نقوش القرن السادس .

وقد أهملت الإشارة إلى النقوش المؤرخة قبل القرن الثالث لأنني - بعد دراستي لها بالقدر الذي أستطيعه - لم أجد فيها من الكلمات الكاملة ما يتفق صورة حروفها في الخطّ مع الخط العربي الإسلامي ؛ وإن كان فيها من الحروف المفردة المنفصلة ما يتفق مع حروف الخط العربي ، أو ما يصح أن يكون أصلاً تطورت عنه هذه الحروف لقرب الشبه بينهما .

١ - نقوش القرن الثالث الميلادي :

وهي خمسة ، وقد جمعها في ضرب واحد معاً لأنني رأيت أن الكلمات التي تشبه صورة حروفها في الخط صورة كلمات اللغة العربية قليلة جداً تراوح في النقش الواحد بين كلمة وثلاث كلمات . وهذه النقوش جميعها لا تتصل بموضوعنا إلا من حيث هي تمهيد لنقوش المجموعتين التاليتين ، وربما كانت أصلاً لهما .

(أ) فالنقش الأول مؤرخ سنة ١٠٦ من سقوط سلع ، أي سنة ٢١٠ للميلاد . وقد اكتشف في وادي المكتب في شبه جزيرة طورسينا . وكلماته التي تشبه صورتها صورة كلمات اللغة العربية هي : « بن » (الكلمة الرابعة في السطر الأول) و « يعلى » (الكلمة الخامسة في السطر الأول كذلك) .

(ب) والنقش الثاني مؤرخ سنة ١٢٦ من سقوط سلع ، أي سنة ٢٣٠ للميلاد . وقد اكتشف في وادي فران في شبه جزيرة طورسينا كذلك . وكلماته

التي تعنيها هي : « سلم » أو « سلام » (الكلمة الأولى في السطر الأول) و « بن » (الكلمة الأخيرة في السطر نفسه) .

(ح) والنقش الثالث وجيد كذلك في طور سينا ، وتاريخه سنة ١٤٨ من سقوط سلع ، أى في سنة ٢٥٣ للميلاد . وكلماته هي « كلب » (الكلمة الثانية في السطر الأول) « وبن عمرو » (الكلمتان الأخيرتان في السطر نفسه) .

(د) نقش اكتشف في الحجر (مدائن صالح) وتاريخه سنة ١٦٢ من سقوط سلع ، أى سنة ٢٦٧ للميلاد . وكلماته هي « بن » (الكلمة الأخيرة في السطر الأول) و « عبد » (الكلمة الأولى في السطر الثالث) و « لعن » (الكلمة الأخيرة في السطر السادس ، وكررت في السطر التاسع - الكلمة الثانية) .

(هـ) والنقش الأخير من هذه المجموعة نقش اكتشف في بلدة أم الجمال - في حوران - وهو غير مؤرخ ، ولكن الكونت De Vogue وليمان يرجح أن تاريخه سنة ٢٧٠ للميلاد . وكلماته هي : « سلى » - وهو اسم علم (الكلمة الثانية في السطر الثاني) و « جذيمة » (الكلمة الأخيرة في السطر نفسه) و « ملك » (الكلمة الأولى في السطر الثالث) .

٢ - أما القرن الرابع الميلادي : فلم يُعثر فيه إلا على نقش واحد ، كشف في مدفن امرئ القيس بن عمرو ملك العرب في النمارة - وهي من أعمال حوران . وتاريخه سنة ٢٢٣ من سقوط سلع ، أى في سنة ٣٢٨ للميلاد .

ولهذا النقش قيمة كبيرة في بحث تاريخ الكتابة العربية ، وذلك أن كثيراً من كلماته ، بل ربما كانت جميع كلماته ، ذات صورة تشبه شهاً كبيراً صورة الخط العربي الإسلامي ، وحسبنا أن نشير إلى بعضها :

السطر الأول : نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب (من الكلمة الثانية حتى السابعة) .

السطر الثاني : وملك الأسد بن ينزرو وملوكهم وهرب مذحجو (من الكلمة الأولى إلى السادسة) .

۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰

رقم (۶) نقش النارة

۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰

رقم (۷) نقش زبد

۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰
 ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰ ۱۳۰۰

رقم (۸) نقش حران

السطر الرابع : الشوب ... فلم يبلغ ملك مبلغه (الكلمة الأولى ، ثم من الخامسة إلى آخر السطر) .

السطر الخامس : عكدى (أى فى القوة) هلك سنة (الكلمات الأولى والثانية والثالثة) .

فهذا نقش عربى يبين العربية ، عربى فى أكثر لغته ، عربى فى صورة خطه . وهو فى مرحلة تاريخية تظهر فى وضوح جلىّ تطور الخط العربى إذا ما قيس بالنقوش التى ذكرنا أنها ترجع إلى القرن الثالث الميلادى .

٣ - أما القرن السادس الميلادى : فقد اكتشف فيه نقشان :

أولهما : نقش وجد فى خربة زبد - بين قنسرين ونهر الفرات - وتاريخه سنة ٥١١ للميلاد ؛ وعليه ثلاث كتابات : اليونانية والسريانية والعربية . وخطه قريب الشبه بالخط الكوفى الإسلامى - وإن كانت بعض كلماته ما زالت غير مقروءة ، وهى لا تعدو كلمة واحدة فى السطر الأول وكلمة أو كلمتين فى آخر السطر الثانى ؛ أما سائر كلماته فهى عربية الخط على اختلاف العلماء فى قراءتها . وهى :

السطر الأول : ... الإله شرحو بر .. منفو و .. بر امرئ القيس

السطر الثانى : وشرحو بر سعدو وسترو وشريحو ...

وثانيهما : نقش مؤرخ فى سنة ٤٦٣ من سقوط سلع أى سنة ٥٦٨ للميلاد . عليه كتابتان باليونانية والعربية . وقد وجد منقوشاً على حجر فوق باب كنيسة بجرّان اللجا فى المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، وهذا النقش كما يلى :

السطر الأول : أنا شرحيل بن ظلمو بنيت هذا المرطول

السطر الثانى : سنة (٤٦٣) بعد مفسد

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي هدانا لهذا
 الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله رب العالمين
 والصلوة والسلام
 على من لا نبي بعده
 بعد ذلك

رقم (٩) نقش القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي هدانا لهذا
 الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله رب العالمين
 والصلوة والسلام
 على من لا نبي بعده
 بعد ذلك

رقم (١٠) رسالة رسول الله إلى المنذر بن ساءى

السطر الثالث : خير

السطر الرابع : بعام^(١)

• • •

ولكن لا بد لنا من أن نعرف، اعترافاً واضحاً لا لبس فيه ، أن كل دراسة لموضوع الكتابة في العصر الجاهلي ستبقى دراسةً مبتورة ناقصة ما دامت ومال الجزيرة العربية تضمن بهذه الكنوز ، التي ترقد في بطونها ، عن أن تجلوها لأبصار الدارسين ، حتى يسائلوها أخبار هؤلاء الأسلاف الذين شاء لهم جحود التاريخ أن يوصموا بالجهل والبدائية^(٢) . ولا بد لنا من أن نقرر كذلك أن في هذه النصوص التي بين أيدينا — على جليل قدرها وعظيم نفعها للدارس — ثلاث نقائص :

الأولى : قلة عددها قلة تلجئ الدارس إلى أن يحتاط في حكمه ويلقى القول إلقاء مقيداً بعيداً عن التعميم .

والثانية : تباعدُ فتراتِها ، وانفصال أوائلها عن أواخرها ، لوجود فجوات زمنية عريضة . فقد أغفلنا ذكر قرن كامل بسنيه المائة ، هو القرن الخامس الميلادي ، لأننا لم نجد نقشاً عربياً يرجع تاريخه إلى هذا القرن . وكذلك لم نعر في القرن الرابع إلا على نقش واحد يرجع إلى ثلثه الأول ، وأما ثلثاه الأخيران فخاليان أصمّان . ولم يعثر في القرن السادس إلا على نقشين : أولهما في سنواته الأولى (سنة ٥١١ م) ، والآخر بعد منتصفه (سنة ٥٦٨ م) ، وما بينهما نصف قرن صامت مُصمّت . ومن هنا كان لا بد للدارس الذي يريد تتبع البحث من أن يملأ هذه الفجوات بالاستنتاج والاستنباط .

(١) يقول ليّان : إن مفسد خير إنما يشير إلى غزوة أحد أمراء بني غسان لخير ، ويستدل بقول ابن قتيبة (المعارف — طبعة وستيفيلد : ٣١٣) : ثم ملك بعده الحارث بن أبي شمر . . . وكان غزا خير ، فسي من أهلها ثم اعتقهم بعد ما قدم الشام (ولفنون : تاريخ اللغات السامية : ١٩٢) .
(٢) انظر : جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ١٩٥ - ١٩٦ ، ٢٠١ .

وأما النقيصة الثالثة - وهي أخطرها في نظرنا - فهي أن هذه النقوش كلها قد اكتشفت في المنطقة الشمالية من بلاد العرب التي تمتد من العلا ومدائن صالح إلى شمال بلاد حوران؛ وأما مُوسَط بلاد العرب وصميمها : الحجاز ونجد، فلم يُعثر - حتى الآن - على شيء من النقوش الجاهلية فيها . فإذا كانت هذه النقوش بكلماتها الفصيحة وخطها العربي قد اكتشفت في منطقة كانت مسرحاً لآثار ورواسب من النوبة والآرامية والنبطية لغةً وخطاً، فكيف تكون هذه النقوش التي قد تكتشف في الحجاز ونجد ؟ وإذا كانت اللغة الفصيحة والقلم العربي قد نُقِشَا في تلك المنطقة منذ أوائل القرن الرابع الميلادي - بل ربما قبله - فإلى أيِّ عهد ترجع بنا نقوش الحجاز ونجد ؟

ومن تمام هذا البحث أن نشير إلى الكتابات العربية التي يرجع تاريخها إلى صدر الإسلام - عصر الرسول الكريم وخلفائه الراشدين - وذلك ليستبين لنا مدى الشبه - بل المطابقة - بينها وبين هذه النقوش الجاهلية ، وخاصة في طورها الأخير : نقش حرَّان . وهذه الكتابات الإسلامية على ضربين : نقوش وكتابة .

١ - النقوش :

(أ) نقش القاهرة ، وهو مؤرخ في سنة ٣١ للهجرة - أي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه - وهو محفوظ في دار الآثار العربية (انظر صورة رقم ٩) .

(ب) وقد كان يُظنُّ أن نقش القاهرة أقدم نقش إسلامي عُثِرَ عليه ، ولكن الدكتور محمد حميد الله عثر على عدة نقوش على قمة الطرف الجنوبي لجبل سلع في المدينة المنورة خارج سورها الشمالي . ويرجع الدكتور حميد الله أن هذه النقوش ترجع في تاريخها إلى غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة ^(١) .

٢ - الكتابات : وهى ثلاث رسائل أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وإلى المنذر بن ساوى، وإلى النجاشي في الحبشة . وقد عثر على ما يُظن أنه الأصول الحقيقية لهذه الرسائل . وقد كتب الدكتور حميد الله بحثاً قيماً في مجلة "Islamic Culture" عرض فيه صورتين لرسالتى المنذر والمقوقس (انظر رسالة المنذر صورة رقم ١٠) وتحدث مفصلاً القول في اعتراضات بعض المستشرقين على صحة هذه الرسائل وأصالتها ، وفندها جميعها ، وانتهى إلى أن هذه الاعتراضات لا تثبت أمام البحث العلمى الدقيق . ومع ذلك فهو ، فى بحثه السليم ، يتوقف توقف العالم المثبت ، فلا يقطع بصحة هذه الأصول ، بل يكتفى برد تلك الشبهات التى حامت حول صحتها ، ثم يدعها قائمة تنتظر نقياً أو إثباتاً جديدين .

ومهما يكن من أمر ، فنحن - فى بحثنا هذا - فى موقف بعيد عن هذه المزالق ، وذلك أننا نكتفى بهذه النقوش الإسلامية التى اكتشفت على الحجر والصخر والتى ترجع إلى صدر الإسلام ، وهى أصول ثابتة يقينية - مهما يكن تاريخ نقوش جبل سلع - نعتد عليها فى أمر واحد لا نعدود ، هو تبيان هذا التشابه بين كتابة صدر الإسلام وكتابة العصر الجاهلى الأخير ، وإظهار أنه ليس بينها من فروق إلا ما يقتضيه عامل الزمن من تطور .

* * *

فقد كان العرب إذن يكتبون فى جاهليتهم ثلاثة قرون على أقل تقدير بهذا الخط الذى عرفه بعد ذلك المسلمون . وقد أصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة ، معرفة قديمة ، أمراً يقينياً ، يقرره البحث العلمى القائم على الدليل المادى المحسوس ؛ وكل حديث غير هذا لا يستند إلا إلى الحدس والافتراض . ولا ريب فى أن ما سيُعثر عليه فى مُقبل الأيام من نقوش فى قلب الجزيرة سيدعم رأى الذين يذهبون إلى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون الكتابة منذ قرون قبل الإسلام ، وسيبقى كثيراً من النور على ما لا يزال خافياً من أجزاء الموضوع .

* * *

النقط والشكل والإعجام :

وهذه النقوش تقودنا إلى الحديث في نقطة أخرى لها خطرهما الكبير في تاريخ الكتابة العربية في الجاهلية . ونحن نعرض في هذا الموضوع ما وصلنا إليه في بحثنا ؛ وسنكتفي بالعرض المجرّد وحده ، لا نثبت ولا ننفي ، فحسبنا أن نثير هذا الموضوع ونجعله ميداناً للبحث لعل مُقبل الأيام يتكفل بجلائه ويُمدنا بما نستطيع أن نلقى به القول الفصل مطمئنين واثقين .

تلك هي مسألة النقط والإعجام . فهذه النقوش التي عرضناها جميعاً خالية من النقط خلواً كاملاً ، فليس فيها حرف واحد منقوط ، وكذلك كانت الكتابة النبطية - التي يرجع أن الخط العربي مشتق منها ومتطور عنها - لا تعرف النقط والإعجام ^(١) . وقد كان من الجائز أن نقف عند هذا الحد الذي أوقفنا عنده هذه النقوش ، وأن نردّد مع جميع الباحثين قبلنا رأيهم في أن الكتابة العربية ، في أول نشأتها ، كانت غير منقوطة ، بل إنها استمرت خالية من النقط حتى زمن عبد الملك بن مروان ^(٢) . ولكن وجهاً آخر استبان لنا في أثناء الدراسة فوجدنا حقاً علينا أن نعرضه . وبخلاصة ذلك أننا عثرنا في خلال بحثنا على قول أورده القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه « العواصم من القواصم » ، قال ^(٣) : « وكان نقل المصحف إلى نسخه على النحو الذي كانوا يكتبونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابة عثمان وزيد وأبي سواهم من غير نقط ولا ضبط . واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف نوع من الرفق في القراءة باختلاف الضبط » .

(١) خليل يحيى ناس ، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ، ص : ٨٧ .

(٢) انظر كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (ورقة ٣٧ - ٤٠) حيث

يذكر أن الحجاج أمر كتابه أن يضموا للحروف المشبهة - مثل الباء والتاء والثاء والنون - علامات تميزها .

(٣) ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ (ط . الجزائر) .

وقد استوقفنا كلام ابن العربي على غموضه وحاجته إلى فضل بيان بوضوحه، فلما قرأنا ما سنعرضه من كلام ابن الجزرى كان خير موضح، قال (١) «... ثم إن الصحابة رضى الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جرّدها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرصة الأخيرة مما صغ عن النبي صلى الله عليه وسلم. وإنما أخلّوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المتقولين المسموعين المتلوّين شبيهةً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين. فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن: لفظه ومعناه جميعاً، ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم ولا يمنعوا من القراءة به». وقول ثالث روى عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال (٢) «جرّدوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا يتأى عنه كبيركم...» وقد ذكر الزمخشري شارحاً قول ابن مسعود أنه «أراد تجزيده من النقط والقواتح والعشور لثلا ينشأ نشء فبرى أنها من القرآن».

وهذه الأقوال الثلاثة يفهم منها أن النقط أمر قد كان معروفاً قبل كتابة مصحف عثمان، ثم عدل عنه عدلاً مقصوداً، وجرّد القرآن منه تجريداً متعمداً. والقول في «تجريد» القرآن طويل، ونحن نعلم أن من ضمن ما يقصد من «التجريد» أن يكتب القرآن وحده في الصفحة لا يختلط به شيء من التفسير أو الحديث أو القصص أو أية كتابة أخرى، لثلا يختلط على القارئ فيتوهم أن جميع المكتوب هو من القرآن الكريم. ولكن كلام الزمخشري وابن العربي وابن الجزرى واضح وضوحاً لا لبس فيه، وهو ينص على أن «تجريد القرآن» يتضمن تجزيده من النقط أيضاً.

وقد يكون المقصود من النقط هنا «النقط بالنحو» أى نقط أبى الأسود

(١) النشر في القراءات العشر (ط: دمشق) ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) الزمخشري، الفائق ١: ١٨٦.

الدَّوْلَى ، وهو بيان حركات أواخر الكلام بوضع نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة ، ونقطة تحت الحرف للدلالة على الكسرة ، ونقطة بين يدي الحرف للدلالة على الضمة ، بجبر يخالف لونه لونَ حبر الكتابة نفسها ^(١) .

ومع تقريرنا لهذا المعنى فلإننا نرى في قول ابن الجزرى : « وإنما أدخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوّين شبيهةً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين » - تفريقاً بين النقط والشكل ، وذكراً لكل منهما وحده ؛ ونرى كذلك أن تجريد الكلمات من النقط لاحتمال الكلمة القراءات المختلفة يقتضى أن يكون من معاني النقط المعنى الذى نفهمه منه اليوم . وللقراءات التى تحتلها الكلمة الواحدة الحالية من النقط أمثلة كثيرة ^(٢) ، لعل أوضحها وأشهرها ما ورد فى سورة النساء آية ٩٤ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ۖ ﴾

وفى قراءة : « فتثبتوا » ورسم هذه الكلمة « فسوا » محتمل للقراءتين .

كانت إذن هذه الأقوال الثلاثة : قول الزمخشري وابن العربى وابن الجزرى ، أول ما وقفنا عند أمر النقط ، فضينا فى أثناء بحثنا نجمع من الروايات والنصوص والأدلة ما قد يدعم هذا الوجه ؛ فكان من ذلك :

(١) انظر لبيان المقصود بنقط المصحف : السحتانى ، كتاب المصاحف : ١٤٣ ، وانظر لبيان نقط أبى الأسود : ابن النديم - الفهرست ص ٦٠ ، والسيرائى : ١٥ - ١٨ .
(٢) انظر بعض هذه الأمثلة فى كتاب جولد تسيهر : المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ، ترجمة على حسن عبد القادر ، ص : ٤ - ٦ .

١ - ما رواه الفرّاء قال ^(١) : « حدثني سفيان بن عبيّنة ، رفعه إلى زيد ابن ثابت ، قال : كتب في حجر : بسرّها ، ولم نس ، وأنظر إلى زيد بن ثابت فنقط على الشين والزاي أربعاً ، وكتب " يتسنه " بالهاء » .

٢ - وروى عن ابن عباس قال ^(٢) : « أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان ، وهى قبيلة سكنوا الأنبار ، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة ، وهم : مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدرة - ويقال مروة وجدلة - فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام » .

وقد ذكرنا في صدر هذا البحث أن صحة هذه الرواية وأمثالها عن أصل الخط العربى لا تعيننا فى شىء ، ونحن هنا لا نسوقها إلا لأمر واحد لا نعدوه ، وذلك أن فى هذا القول لابن عباس - إن كان قاله - دليلاً واضحاً على أن ابن عباس كان يعرف الإعجام ، وأنّ من قبله كانوا يعرفونه ؛ وأما إن لم يكن قاله فما زال يحمل من الدلالة ما لا يصح معها أن نغفله ، وذلك أن واضع هذا القول وناسبه إلى ابن عباس كان لا بد يعرف أن ابن عباس كان يعرف الإعجام - وإلا لما قبل الناس قوله .

٣ - وقد ذكر السجستانى أن « الحجاج بن يوسف غير فى مصحف عثمان أحد عشر حرفاً ، قال : ... وكانت فى يونس (آية ٢٢) " هو الذى ينشركم " فغيره " يسيركم " » .

وقد نقبل أن يكون الحجاج هو الذى نقط هذه الكلمة وكانت من قبل غير منقوطة كما يزعمون ، ولكن أن يكون غير نقطها فذلك هو ما نقف عنده ،

(١) معانى القرآن ١ : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) مصاحف السجستانى : ٤٩ ، ١١٧ .

ونفهم منه أنها كانت منقوطة قبله ، ثم غير هذا النقط ، وإلا فالكلمة من غير نقط - تحتمل الوجهين ولا سبيل إلى ذكر أن الحجاج قد غير نقطها .

٤ - ولقد كانت الكتابة الحميرية والصفوية والنمودية واللحيانية ، والكتابة النبطية التي يرجع أن الكتابة العربية مشتقة منها - كانت كل هذه الكتابات غير منقوطة^(١) ، ولكن المدقق فيها يجد أن الكثرة الغالبة من حروفها يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يمنع اللبس والاختلاط ، ومن هنا لم تكن في حاجة إلى نقط . وأما الخط العربي فكثير من حروفه متشابهة في الكتابة تشابهاً كاملاً ، مختلفة في الصوت اختلافاً تاماً ، ولا سبيل إلى التفرقة بينها إلا بالنقط ، بل إن هذا التشابه العجيب بين الحروف ليكاد يجعلنا نظن أن الحرف منذ أن وُجد وُجد معه نقطه ، وأن النقط ضرورة من ضرورات هذه الحروف منذ نشأتها^(٢) ، إلا إذا كان يفرق بينها بوسيلة أخرى من وسائل الخط توضحها وتمنع اختلاطها مع غيرها . وإلا لكانت الكتابة ، وخاصة الطويلة منها ، عسيرة القراءة لا سبيل إلى فهمها . ولا عبرة في تجريد القرآن الكريم فإن الأصل فيه أن يكون محفوظاً في الصدر ، وأن يرجع الحافظ إلى الكتاب للتذكر ، أو أن يتلقاه المتعلم من معلم يحفظه إياه ثم يعود إلى الكتاب للاستدكار .

٥ - ومن أوضح الأحاديث وأصرحها عن النقط ما أورده ابن السبّك البطليني وهو يتحدث عن الكتاب ، قال^(٣) : . . . فإذا نقطته قلت : وشمتة وشماً ،

(١) انظر جرائد حروف هذه اللغات في ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٧٩ وص ٢٠٠ .

(٢) وفي ذلك يقول القلقشندي (صبح الأعشى ٣ : ١٥٥) « والظاهر ما تقدم - يعني : أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف - إذ يبعد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عربية عن النقط إلى حين نقط المصحف » ، وانظر كذلك كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم للمول أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة ج ١ ص ٨٠ .

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٩٣ .

ونقطته نقطاً، وأعجمته إعجاماً، ورقمته ترقيماً». وكان من اليسير علينا أن نمر بهذا القول مرّاً هيناً ثم نتجاوزة من غير أن نقف عنده، معتقدين أنه ينصرف إلى أزمنة تالية للقرن الأول الهجري—لولا أن ابن السِّيد نفسه يستشهد—بعد قوله المتقدم—بأشعار جاهلية فقد أورد—دليلاً على هذه الألفاظ الدالة على النقط—أبياتاً لأبي ذؤيب والمرقش وطرفة. قال أبو ذؤيب :

برقم ووشم كما نمنمت بيئسيهما المُردهاة الهدى

وقال المرقش :

الدار قفرٌ والرُسومُ كما رَقش في ظَهرِ الأديمِ قَلَم

وقال طرفة :

كُسطورِ الرِّقِّ رَقْشُهُ بالضحي مُرْقَشٌ بِشِمْهُ

وقد كدنا ننسب قول ابن السيد إلى التعجل والتسرع وإغفال الدقة في تحديد أزمان الألفاظ—فقد كان يبدو لنا أن الوشم والرقم والترقيش، في هذه الأبيات، لا تعني أكثر من تجويد الخط وتحسينه—لولا أن الأعلام الشنتَمَرِيّ يذكر ما ذكره ابن السيد. قال الأعلام في شرح بيت طرفة المتقدم^(١) «وقوله : كسطور الرق : شبه رسوم الربيع بسطور الكتاب، ومعنى رَقْشُهُ : زينه وحسنه بالنقط» —ولولا أن أبا عليّ القالي قد ذهب إلى ذلك أيضاً، قال^(٢) : « رَقَشَتِ الْكَتَابَ رَقْشاً وَرَقْشَتُهُ : إِذَا كَتَبْتَهُ وَنَقَطْتَهُ ». ثم استشهد ببيت طرفة .

٦— وربما كان أخطر ما يواجه إلى من يدعى نقط الكتابة في الجاهلية هو هذه النقوش الجاهلية الخالية من النقط . وهو دليل لا سبيل إلى إنكاره ، وإن كان لا بأس في التحدث عنه حديثاً قد يكون فيه بعض حجة ؛ وذلك أن

(١) ديوان طرفة (ط . شالون سنة ١٩٠٠) ص : ٦٩ .

(٢) الأمايل ٢ : ٢٤٦ .

جميع ما عثرنا عليه من الكتابة الجاهلية كان نقوشاً على الحجر والصخر ، وكان سطوراً قلائل بل كلمات معدودات ؛ ولم نعثر على كتابة جاهلية على الرق أو البردى مثلاً كثيرة السطور والكلمات . فربما كان عدم النقط ناجماً عن اطمئنان الكاتب إلى أن كلماته هذه المنقوشة في نجاة من التصحيف والخلط في القراءة ، لأنها أسماء أعلام ، وسنوات ، وكلماتٌ بينهما من اليسير معرفتها ؛ وربما كان مما يسوغ له إهمال النقط فوق ذلك صعوبة فنية وشقة عملية في النقش .

٧ - ولعل خير ما يدعم هذه النقطة السابقة من حديثنا : تلك الوثيقة البردية التي يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هجرية على عهد عمر بن الخطاب وهي مكتوبة باللغتين العربية واليونانية^(١) . والذي يعنينا من هذه البردية أن بعض حروفها منقوطة مُعجم وهي حروف : الحاء والذال والزاي والشين والنون . وكذلك الشأن في نقش وُجد بقرب الطائف ومؤرخ في سنة ٥٨ هجرية على عهد معاوية ابن أبي سفيان ، فإن أكثر حروفه التي تحتاج إلى نقط منقوطة مُعجمة^(٢) .

فنحن نرى إذن أن تاريخ الوثيقة البردية وهو سنة ٢٢ هجرية سابق بسنوات كثيرة على ما ذكره الكتّاب العرب في نشأة النقط والإعجام ، وكذلك هذا النقش المؤرخ في سنة ٥٨ هجرية . وثمة أمر آخر يجدر بنا أن ننبه عليه وهو أن أكثر الوثائق البردية - التي عثر عليها مؤرخة في القرن الأول الهجري - غير منقوطة ولا معجمة ، وذلك يعني أن إهمال النقط فيما عثرنا عليه من نقوش جاهلية لا يعني ضرورة أن النقط لم يكن معروفاً مستعملاً ، لأن إهمال النقط في النقوش وأوراق البردى الإسلامية لم يمنع وجود وثائق ونقوش منقوطة . وجددير بالذكر أن إهمال

(١) صورة هذه البردية في كتاب الدكتور جروهمان From The World Of Islamic Papyri, Pl. II (a) ووصفها ونصها مع ترجمتها في ص ١١٣ - ١١٤ ؛ ثم انظر ص ٨٢ من الكتاب نفسه .

(٢) انظر مقالة : ج . س . مايلز عن : النقوش الإسلامية المبكرة بقرب الطائف في الحجاز G.G. Miles. Early Islamic Inscriptions Near Taif in The Hijaz. JNES. 7 (1948). وصورة النقش هناك رقم ١٨ .

النقط أمر كان شائعاً في العهود الإسلامية قروناً متوالية ، بل لقد عد بعضهم الإعجام والنقط مما لا يليق في الكتب والرسائل لأنه يدل على أن الكاتب يتوهم فيمن يكتب إليه الجهل وسوء الفهم^(١) .

• • •

وخسبنا ما قدمنا عن النقط ، ونحن أول من يعرف أن هذا كله لا يقوم وحده دليلاً قاطعاً على وجود النقط قبل الإسلام ، ولكننا أحببنا أن نشبه الأسباب التي قد منهاها ، فلعل غيرنا قادر من بعدنا على الوصول إلى مفصل من الأمر يتم به ما بدأنا .

• • •

تعلم الكتابة في الجاهلية وشيوعها :

١

لم يُعْنِ القدماء من المسلمين — فيما وصل إلينا من كتبهم — بدراسة مناحي الحياة الجاهلية دراسة مفصلة ، تتناول أجزائها ودقائقها في كتب أو رسائل مفردة ، يختص كل كتاب بمنحى من مناحي تلك الحياة المتشعبة . ولا يعنى ذلك أن هؤلاء القدامى قد أغفلوا الجاهلية إغفالاً ، بل لا يكاد كتاب عربي قديم يخلو من ذكر الجاهلية وحياة أهلها — ولكن الحديث عن هذه الجاهلية لم يكن يُقصد لذاته ، فتُسبَرُ أغواره ويُلمَّ شتاته ، وإنما كان يُقصد لغيره من موضوعات العصور الإسلامية التي كانوا يكتبون فيها ، فيستطردون للحديث عن الجاهلية : متمثلين مستشهدين ، أو مقابلين موازين ، أو واعظين منذرين ،

(١) قال أبو بكر الصولي في كتابه أدب الكتاب ص ٥٧ - ٥٨ : « كره الكتاب الشكل والإعجام إلا في المواضع الملتبسة من كتب العظماء إلى من دونهم ، فإذا كانت الكتب من دونهم إليهم ترك ذلك في الملتبس وغيره ، إجلالاً لهم عن أن يتوهم عنهم الشك وسوء الفهم ، وتنزيهاً لعلومهم وعلو معرفتهم عن تقييد الحروف » .

أو متهدين بين يدي حديثهم الأصيل تمهيداً موجزاً يدخلون منه إلى الحديث عما يقصدون . فيكاد يكون حديثهم عن الجاهلية حديثاً عابراً مثوراً نثراً متباعداً في تضاعيف كتبهم وثنايا رسائلهم . ومن هنا كان لا بد للدارس المدقق ، الذي يبحث في العصر الجاهلي ، من أن يقرأ الكتاب العربي القديم قراءة متمعة دقيقة ، يَجْرُدُهُ فيها جرّداً كاملاً من عنوانه حتى ختامه ، لا يفنيه عن ذلك تبويب الكتاب ، ولا هذه الفهارس الدقيقة الشاملة التي يضعها المحرّون للطبعات الحديثة من تلك الكتب القديمة .

وكان من أثر هذا الذي قلّمنا أن أخبار حضارة الجاهلية جاءت في هذه الكتب ناقصة شائبة ، ثم متناقضة متنافرة في الكتاب الواحد للمؤلف الواحد . ولكن الصفة الغالبة والسمة الظاهرة التي لا يكاد يشذّ عنها كتاب قديم ، هي وصف تلك الجاهلية بأنها كانت قليلة الحظ من كل عمران ورقى ، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الحضارة والمدنية ، وأن العرب كانوا أمة أميّة جاهلة لا حظ لها من علم أو معرفة أو كتابة .

ولتجهيل الجاهلية في الكتب العربية أمثلة عديدة أكثر من أن تُستقصى ، وحسبنا منها بعضها الذي يشير إلى أميئتهم وجهلهم بالكتابة :

قال الجاحظ ^(١) : « وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال . . ثم لا يقيده (العربي) على نفسه ولا يدرّسه أحداً من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون . » مع أن الجاحظ نفسه ، الذي ينكر على العرب معرفتهم بالكتابة ، ويعمّهم بوصف الأمية ، لا ينكر على أي جنس من الأجناس وأمة من الأمم ذلك ، فيقول ^(٢) : « وليس في الأرض أمة بها طيرق أو لها مسكة ، ولا جيل لهم قبض وبسط ، إلا ولم خط . . . »

وابن سعد في طبقاته يسمّى عدداً كبيراً من الرجال كانوا يكتبون في الجاهلية ،

(١) البيان والتبيين ٣ : ٢٨ .

(٢) الحيوان ١ : ٧١ .

ولكنه لا يكاد يذكر ذلك حتى يعقب عليه بقوله : « وكانت الكتابة في العرب قليلة » . وهو يقول ذلك في كل مرة يذكر فيها كاتباً في الجاهلية ، لا يكاد يُخِيلُ بـذلك مرة واحدة ، ذلك مع أننا جمعنا من كتابه وحده عدداً وافراً من الأخبار عن الكتابة في الجاهلية وأسماء الذين كانوا يكتبون .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما يردده بعضهم من أنه لم يكن أحد يكتب بالعربية حين جاء الإسلام إلا بضعة عشر نفرًا^(١) .

وهذا عبد القادر البغدادي صاحب الخزانة يورد بيت الخطيب^(٢) :

سيرى أمامَ فإن الأكثرين حصاً والأكرمين ، إذا ما يُنسبون ، أبا

ثم يقول : « معنى الحصا : العدد ، وإنما أطلق على العدد لأن العرب أميون لا يقرءون ولا يعرفون الحساب ، إنما كانوا يعدون بالحصا ، فأطلق الحصا على العدد ! ! أبعده هذا تجهيل ؟ أو بعد هذا أمية وبدائية ؟^(٣) .

وكان من أثر هذه المحاولة التي ترمى إلى تجهيل الجاهلية أن امتد أثرها إلى تجهيل الصحابة أنفسهم — رضى الله تعالى عنهم — بالكتابة ، ونعتهم بالأمية . وما ذلك إلا مبالغة في وصم الجاهلية نفسها بهذا الجهل ، لأن هؤلاء الصحابة ، أو أكثرهم الكاثرة ، إنما نشأوا وتم تكوّنهم الثقافي الفكري في الجاهلية . فقد قال عالم جليل هو ابن قتيبة حين تعرض في حديثه لسماح الرسول الكريم لعبد الله ابن عمرو بتقييد الحديث ، قال ابن قتيبة^(٤) : « لأنه (أى عبد الله بن عمرو) كان قارئاً للكتب المتقدمة ، ويكتب بالسرانية والعربية ، وكان غيره من الصحابة

(١) ابن عبد ربه ، العقد ٤ : ٢٤٢ .

(٢) الخزانة — سلفية ٣ : ٢٦٠ — ٢٦١ ، والبيت في ديوان الخطيب : ٦ .

(٣) ومع ذلك فإن في هذا الكلام وجه حق لو أنه حدد ووضع ونصر على أن كلمة « أحصى » من أقدم الكلمات تاريخياً في اللغة العربية لأنها شاهدة على أنها كانت تعيش في الزمن الأول البدائي الذي كان العرب فيه لا يعرفون الحساب وإنما يعدون بالحصى .

(٤) مختلف الحديث (ط . مصر) ١٣٢٦ ص : ٣٦٥ — ٣٦٦ .

أميين ، لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان ، وإذا كتب لم يتقن ولم يُصب التهجى .

ولا ريب أن هذا القول من ابن قتيبة افتتات على الحقيقة التاريخية ، وتعميم لا سند له من الحق . ولو قال ابن قتيبة إن بعض الصحابة كان أمياً اكان قوله سليماً لا ريب فيه ، أو لو قال إن أكثر الصحابة كان أمياً لقبّلنا هذا القول على أنه حق أو على أنه تجوُّزٌ وتعميم لا يبعدان عن الحق كثيراً . أما أن يقول إن الصحابة كانوا « أميين لا يكتب منهم إلا الواحد أو الاثنان » ثم لا يلبث أن يستنكر عليهم أن يكون منهم كاتب واحد أو كاتبان فيستدرك بقوله « وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجى » فذلك هو الإسراف الذى ننكره . وكيف لا ننكره وكتب الطبقات والرجال تعدُّ من الصحابة عشرات بعد عشرات كلهم كاتب ضابط لما يكتب ؟ وقد نسى ابن قتيبة فى سورة رغبته فى تجهيل الجاهلية ، أن هؤلاء الصحابة الكاتبين إنما تعلم أكثرهم الكتابة فى الإسلام — لا فى الجاهلية ، وأن حَضَّ الرسول الكريم المسلمين والصحابة على التعلم ، وأمره إياهم بتعلم الكتابة خاصة ، وعناية المسلمين والصحابة بذلك — كلها أمور فى غنى عن الإفاضة فى الشرح والاستشهاد .

• • •

ولا بد لنا من أن نستدرك قبل أن نمضى ، وننبه على أن القرآن الكريم قد وصف العرب فى جاهليتهم بأنهم أميون ، وورد ذلك فى ثلاث آيات : قال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾ (آل عمران : ٢٠) ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران : ٧٥) ؛ وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (الجمعة : ٢٠) .

غير أن هذا الوصف بالأمية لا يعنى - فى رأينا - الأمية الكتابية ولا العلمية ، وإنما يعنى الأمية الدينية ، أى أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني ، ومن هنا كانوا أميين دينياً ، ولم يكونوا مثل « أهل الكتاب » من اليهود والنصارى ، الذين كان لهم التوراة والإنجيل .

ومن الأدلة التى نسوقها للاحتجاج لهذا الرأى أن القرآن الكريم قد وصف فريقاً من أهل الكتاب بالأميين ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة : ٧٨ ، ٧٩) . فأمية هذا الفريق ليست أمية كتابية ، لأنه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم ، وإنما هى أمية دينية أى جهل بالدين وإنكاراً له وعدم تصديق ، ومن أجل هذا فسر ابن عباس هاتين الآيتين فيما رواه ابن جرير الطبرى بإسناده إليه (١) ، قال : « ومنهم أميون ؛ قال : الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ، ولا كتاباً أنزله الله ، فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جهال : هذا من عند الله . وقال : قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سماهم أميين ، بلحودهم كتب الله ورسله » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » . فلا ينقض ما قد منا من رأى ، وذلك لأنه قال ذلك فى حديث الصيام عن رؤية الهلال ، وفى الحديث بقية ، وهو كاملاً : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا » .

(١) تفسير الطبرى ، تحقيق محمود محمد شاكر ٢ : ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ وانظر كتاب « المرأة فى الشعر الجاهلى » للدكتور أحمد محمد الحوقى ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

فهذا الحديث - أولاً - لا يعنى إلا ضرباً خاصاً من الكتابة والحساب ، هو حساب سير النجوم ، وتقييد ذلك بالكتابة لمعرفة مطلع الشهر ، فقد أخبر أن هذا الضرب من العلم المدون المسجل القائم على الحساب والتقويم لم يكن للعرب عهد به ، ومن هنا علق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير .

وهذا الحديث - ثانياً - لا يعنى نفي الكتابة والحساب نفيّاً عاماً شاملاً ، وذلك لأن عرب الجاهلية قد كانوا يكتبون ويحسبون ، وإنما هو نفي لأن تكون الكتابة وأن يكون الحساب نظاماً عاماً متبعاً في كل الشئون كما كان ذلك عند بعض الأمم الأخرى ذات التقاويم الفلكية .

ومن أجل هذا رأينا أن الحديث لا يتقضى ما قدمنا من أمر معرفة العرب بالكتابة بعد أن أقمنا عليها من الشواهد والأدلة ما أقمنا .

٢

لقد فرغنا منذ قليل من الإشارة إلى أن عرب الجاهلية قد عرفوا الكتابة العربية بهذا الخط الذى عرفه الصحابة ، رضوان الله عليهم ، في صدر الإسلام ، وأن معرفة الجاهليين بهذه الكتابة قد امتدت ، في الجاهلية ، ثلاثة قرون على أقل تقدير ، وأن ذلك ثبت بالبرهان القاطع ، والدليل المادى الملموس الذى لا سبيل إلى دفعه . وسنفصل القول هنا ، وفيما سيتلو من صفحات ، في معرفة الجاهلية بالكتابة - تفصيلاً يدعم ما أظهرته لنا النقوش الجاهلية ويزيد جوانب الأمر جلاءً ووضوحاً^(١) .

(١) من خير ما كتب في هذا الموضوع الفصل الذى عقده الدكتور أحمد محمد الحوق في كتابه « المرأة في الشعر الجاهل » من ص : ٣٢٧ - ٣٣٤ .

ونحب أن نبدأ حديثنا بإيراد نص لابن فارس ، مشرق العبارة ، ناصح
الحجة ، هو خير ما قرأناه في هذا الموضوع . قال ابن فارس بعد أن عرض
لذكر بعض الأعراب ممن كان لا يحسن الكتابة ^(١) : « . . . فأما من حُكِيَ
عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجرو والكاف والذال ، فلإنا لم نزم أن العرب
كلها ، ممدراً ووبراً ، قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها . وما العرب في
قديم الزمان إلا كنعن اليوم : فما كل^٢ يعرف الكتابة والخط والقراءة ، وأبوحية
(النُمَيْرِيّ الذي لم يعرف الكاف) كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الأطول
من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ ، وكان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاتبون . . أف يكون جهل أبي حية بالكتابة حُجّة على هؤلاء الأئمة ؟ والذي نقوله
في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض . والدليل على صحة هذا وأن القوم قد
تداولوا الإعراب أنا نستقرئ قصيدة الخطيئة التي أولها :

شَاقَتَكَ أَظْمَأْتُ لِيْلَيْ لِي دُونَ نَاطِرَةِ بَوَاكِيرِ

فنجده قوافيها كلها عند الترم والإعراب نجىء مرفوعة ، ولولا علم الخطيئة
بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها لأن تساويها في حركة واحدة - اتفاقاً من غير
قصد - لا يكاد يكون .

فلإن قال قائل : فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية ،
وأن الخليل أول من تكلم في العروض ، قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول
إن هذين العلمين قد كانا قديماً ، وأنت عليهما الأيام ، وقللاً في أيدي الناس ،
ثم جددهما هذان الإمامان ، وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب . وأما العروض
فنرى الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا

القرآن قالوا - أو من قال منهم - : إنه شعر . فقال الوليد بن المغيرة منكراً عليهم : لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقرء الشعر : هزجه ورجزه وكذا وكذا ، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك . أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ؟ ...

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذى يعلله النحويون فى ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر . فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً فى مثل " الحباء " و " الدفاء " و " الملاء " فصار ذلك كله حجة ، وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره .

فابن فارس يذهب إذن إلى تقرير معرفة بعض العرب فى الجاهلية وصلو الإسلام بالكتابة معرفة " دقيقة " ، ثم يذهب إلى أبعد من هذا حين يقرر معرفتهم بعلوم اللغة وقواعدها وعروضها ؛ ويرد على من يذهب إلى استحداث هذه العلوم بعد الإسلام بدهر - رداً يغنيها عن أن نتصدى نحن له . ومع أن ابن فارس قد قيد كلامه هذا بقوله : « فإننا لم نزعم أن العرب كلها : مدرأ ووبرأ ، قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العرب فى قديم الزمان إلا كنحن اليوم : فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة . . . » ، نقول : مع أن ابن فارس قيد كلامه وحصر معرفة العرب بهذه العلوم فى أهل المدر والبيئات المتحضرة ، إلا أننا فضلاً عن ذلك ، نستبعد أن يكون العرب ، حتى أهل المدر منهم ، قد عرفوا النحو والعروض من حيث هما علمان لهما مصطلحات وقواعد ، بالمعنى الذى عرفه المسلمون بعد ذلك . والأرجح أن ابن فارس يقصد أن العرب كانوا يعرفون من أمر النحو ومن أمر العروض وعيوب القافية ما يستطيعون به أن يميزوا الصحيح من الخطأ ، وما أصبح بعد ذلك أساساً لعلمى النحو والعروض . فإن كان ابن فارس يعنى هذا الذى قدمناه ، فإننا نحب أن نضيف إلى ما أورد أمثلة أخرى تسند أمثلته وتقويها .

فن أمثلة ما ذكره عن معرفة الجاهليين بالعروض ما أورده ابن سعد والزحشرى في حديث إسلام أبي ذر الغفارى (١) ، وذلك قول أبي ذر : « قال لى أنهى أنيس : إن لى حاجة بمكة . فانطلق ، فراث ، فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت رجلاً على دينك يزعم أن الله أرسله . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : ساحر كاهن شاعر . وكان أنيس أحد الشعراء فقال : والله لقد وضعت قوله على أقرء الشعر فلا يلتئم على لسان أحد . . »

ومثل ثان لمعرفتهم بالعروض وعيوب القافية ، ما ذكره أبو عبيدة قال (٢) : « حدثنى أبو عمرو بن العلاء قال : فحلان من الشعراء كانا يقويان : النابغة وبشر بن أبى خازم : فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره ، ففطن فلم يعد إلى إقواء . وأما بشر فقال له سواده أخوه : إنك تقوى . فقال له : وما الإقواء ؟ . » وفي رواية أخرى « فقال له أخوه سمير : أكفأت وأسأت . فقال : وما ذاك ؟ . »

فقد كان القوم إذن يعرفون الإكفاء والإقواء ، وإن جهله أحدهم أو بعضهم فاحتاج إلى من يذكره به ويعرفه إياه .

ومثل ثالث : تلك القصة التى جرت بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت (٣) ولا يعنينا منها إلا قول النابغة لحسان حين أنشده قصيدته التى فيها :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرْيَلَمَعْنَ فِي الصُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
قال النابغة : « أقلت جفانك وأسيافك ! » وذلك لأن « أسيافاً » جمع لأدنى العدد ، والكثير « سيوف » ، و « الجفنات » لأدنى العدد ، والكثير « جفان » . فهل كان النابغة يعرف جموع القلة وجموع الكثرة ؟ لست أدرى لم ننكر عليه ذلك بالمعنى الذى أوضحناه ، إلا أن يكون إنكارنا ضرباً من ضروب « تجهيل الجاهلية » الذى أسلفنا الإشارة إليه .

(١) الطبقات الكبير ١/٤ : ١٦١ - ١٦٢ ، والفائق ١ : ٥١٨ .

(٢) المرزبانى ، الموشح : ٥٩ .

(٣) الموشح : ٦٠ .

فإذا كان القوم ، أو بعض القوم ، يعرفون الكتابة وبعض ضروب المعرفة الأخرى فأين تراه تعلموها ؟ أتناقلوها تناقلًا شفهيًا عابراً من غير أن يوصلوا إلى تعلمها قصداً ، ومن غير أن يعملوا إلى معرفتها عمداً ؟ أم أخذوها عن معلمين كانوا منقطعين إلى تعليمها في أماكن خاصة أُعِدَّتْ لتلقّي هذه الضروب من المعرفة ؟

أما وجود المعلمين في الجاهلية فأمر ثابت منصوص عليه في وضوح لا يقبل الشك ، فقد عقدت بعض المصادر العربية فصلاً خاصاً أثبتت فيه جريدة بأسماء المعلمين في الجاهلية والإسلام^(١) . فن هؤلاء المعلمين في الجاهلية : عمرو ابن زُرّارة ، وكان يسمى كذلك الكاتب ؛ وغيلان بن سلمة بن مُعْتَب ، جاهلي أسلم يوم الطائف ، - والطائف هي التي أخرجت ، بعد غيلان ، يوسف بن الحكم الثقفي ، وابنه الحجاج بن يوسف المعلمين فيها ، وشهرة الطائف ، وقبيلة ثقيف خاصة ، بالكتابة وإتقانها منذ الجاهلية ، دعت عمر بن الخطاب إلى أن يعمل كَتَبَة المصحف من قريش وثقيف ، ودعت عثمان بن عفان إلى أن يقول : « اجعلوا اُمَمِي من هذيل والكاتب من ثقيف » . بل إن هذه المصادر لتذكر أن بشر بن عبد الملك السكوني لم يمنعه شرفه ، ولا كونه أخا أكيدر صاحب ذؤمة الجندل ، من أن يكون معلماً في الجاهلية .

وأما تعلم الكتابة في مدارس خاصة بهذا الغرض فأمر لا يقل عن سابقه يقيناً وثباتاً ، فقد ذكر ابن سعد والطبري^(٢) أن جفينة - وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظُفراً لسعد بن أبي وقاص - أقدمه للصلح الذي بينه وبينهم ، وليعلم بالمدينة الكتابة .

وذكر البلاذري نقلاً عن الواقدي أنه^(٣) : « كان الكتاب في الأوس

(١) ابن حبيب ، المهر : ٤٧٥ ؛ وابن رسته ، الأعلام النفيسة : ٢١٦ .

(٢) الطبقات ١/٣ : ٢٥٨ ، وتاريخ الطبري (مصر) ٥ : ٤٢ .

(٣) فتوح البلدان (مصر) : ٤٧٩ .

والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون .

وذكر الطبري أنه ^(١) « حين نزل خالد بن الوليد الأنبار رآهم يكتبون العربية ويتعلمونها » . وقال ياقوت ^(٢) : إن خالد بن الوليد لما خرج إلى عين تمر وجدوا في كنيسة صبياناً يتعلمون الكتابة في قرية من قرى عين التمر يقال لها النقيصة ، وكان فيهم حُمران مولى عُثمان بن عفان رضى الله عنه .
وقال أمية بن أبي الصلت يمدح بني إيلاد ^(٣) :

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعًا وَالْقِطُّ وَالْقَلَمُ

وذكروا كذلك أن عدى بن زيد العبادي حين نما « وأيفع طرحه أبوه في الكتاب » ^(٤) حتى حذق العربية .

وكما كانت الكتابة في الجاهلية تُدرّس وتُعلّم في الكتاب ، كانت للعلم مجالس تعقد فتتدارس فيها الأخبار والأشعار والأنساب . قال ابن عباس رضى الله عنه ^(٥) : « كانت قریش تألف منزل أبي بكر رضى الله تعالى عنه لخصلتين : العلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان مُجالسه » .

وكان في الجاهلية من ينصب نفسه لتعليم الأخبار وقصص التاريخ ، فيقصده من يقصده يستملها ويكتبها ، وقد أنبأنا النبأ اليقين بذلك كتاب الله ، قال تعالى ^(٦) :

﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

(١) تاريخ ٤ : ٢٠ .

(٢) معجم البلدان (نقيرة) .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١ : ٤٨ .

(٤) الأغاني ٢ : ١٠١ .

(٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ٤ : ٧٦ .

(٦) سورة الفرقان : ٥ .

وذهب المفسرون والمؤرخون إلى أن هذه الآية نزلت في بعض من كان يقول ذلك ، مثل : النضر بن الحارث ، الذي « كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريباً ما أصاب الأمم الحالية — خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رسم السنديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، اكتبها كما اكتبتها » (١) .

فقد كان إذن في الجاهلية معلمون يعلمون القراءة والكتابة وضروباً من العلم ، منها : أخبار الأولين وقصص التاريخ ، وقامت في البيئات الجاهلية المتحضرة مثل : مكة والمدينة والطائف والحيرة والأبواب وغيرها — مدارس يتعلم فيها الصبيان الكتابة العربية .

٣

ولشيوخ الكتابة في الجاهلية أمثلة أخرى كثيرة ، لعل من أنصعها بياناً ما أورده الجهمشياري (٢) ، وابن عبد ربه (٣) ، والمسعودي (٤) ، من ذكر أسماء الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد جعلوهم مراتب ، وقد روه منازل : فكتباب يكتبون بين يديه صلى الله عليه وسلم فيما يعرض من أموره وحوائجه ، وآخرون يكتبون بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات ، وآخرون يكتبون أموال الصدقات ، وكاتب يكتب خيـرُص الحجاز (٥) ، وآخر يكتب مغام رسول

(١) ابن هشام ، السيرة ١ : ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب : ١٢ - ١٤ .

(٣) المقدم ٤ : ٢٤٦ .

(٤) التنبيه والإشراف : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٥) الحرص (بفتح الحاء) : حزر ما على النخل من الرطب تمرأ (أي تقديره) ؛ وكم حرص أرضكم (بكسر الهمزة) ، أي : ما حرص فيها . فالمصدر بالفتح ، والاسم بالكسر .

الله صلى الله عليه وسلم ، وثالث يكتب إلى الملوك ويحجب رسائلهم ويترجم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، وكتاب آخرون يكتبون الوحي . ثم يعقب المسعودي بعد أن ينتهي من ذكر أسماء هؤلاء الكتاب واختصاصهم بقوله : « وإنما ذكرنا من أسماء كتّابه صلى الله عليه وسلم من ثبت على كتابته ، واتصلت أيامه فيها ، وطالت مدته ، وصحت الرواية على ذلك من أمره ، دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يُسمّى كاتباً ويضاف إلى جملة كتّابه » .

فأى شيوع نرجوه للكتابة أكثر من أن يبلغ الكاتبون من الكثرة منزلة تجعلهم يتخصصون في أنواع ما يكتبون ، يستقل كل فرد منهم أو كل جماعة بضرب واحد ؟ وما أكثر هؤلاء الكتاب الذين يورد المسعودي ما شاء من أسمائهم ثم يقول إنه أغفل تسمية الذين كتبوا الكتاب الواحد والكتابين والثلاثة إذ كانوا لا يستحقون بذلك أن يُسمّوا كتّاباً !! إن هذه الكثرة في عدد الكتّابين هي التي دعت عمر بن الخطاب إلى أن يقول^(١) : « لا يُمْلَيْنَ في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » ، ودعت كذلك عثمان بن عفان إلى أن يقول : « اجعلوا المولى من هذيل والكتّاب من ثقيف » . إذ لو كانت الكتابة قليلة بين العرب لقبل عمر وعثمان من أى كاتب أن يكتب ، فحسبهما أن يعثرا على كاتب ، ولما كان لهما هذا المجال للانتقاء والاختيار .

وعلى ضوء ما قدمنا نستطيع أن نفهم فداء الأسرى في بدر حين أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لمن كان كاتباً من الأسرى أن يفدى نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة^(٢) . إذ لا ريب أن هذا الإذن لم يكن منصباً على حالة فردية ، وإنما يدل على أن هؤلاء الكتّابين من الأسرى كانوا جماعات . ثم ما قيمة هذه الكتب التي كان يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأفراد

(١) ابن فارس ، الصاحي : ٢٨

(٢) ابن سعد ، الطبقات ١/٢ : ١٤

والقبائل يؤمنهم فيها - إذا لم يكن القوم يعرفون القراءة حتى يتم للمؤمن هدفه من بلوغ الأمن عند من يتعرض له^(١) .

وكانت الكتابة في الجاهلية شرطاً لا بد منه للعربي ليكون ذا مكانة في قومه . فقد كان من يحسن العوم والرمي والكتابة يُسمَّى كاملاً^(٢) ؛ وقد زاد بعضهم أن الكامل لا بد أن يكون - مع معرفته العوم والرمية والكتابة - شاعراً شجاعاً^(٣) . وهذه الخصال ، متفرقة ، كثيرة شائعة بين القوم آنذاك ، وإن كانت ، مجتمعة ، أقل من ذلك شيوعاً وكثرة . فكم كان في العرب آنذاك من شاعر ! وكم كان فيهم من شجاع ! وكم كان فيهم من رام ! وكم كان فيهم ممن يعرف العوم ؛ فلم تكن الكتابة وحدها - من بين هذه الخصال كلها - عزيزة نادرة ؟ ولم لا نقول - كما قلنا في الخصال الأخرى - : وكم كان في العرب آنذاك من كاتب ! ثم إذا كانت الكتابة شرطاً لا بد منه ليكون المرء من الكُمَّلة ، فلم لا يكون الساعون إلى الكمال كثيرين ؟

٤

ولم يكن العربي يكتفى بمعرفة الكتابة العربية وحدها ، بل لقد تجاوز - فيما يبدو - هذه المرحلة الأولى من تعلم الكتابة ، واضطرته أحوال معاشية تجارية ، وأخرى فكرية ثقافية ، إلى أن يتعلم كتابة اللغات الأخرى . فقد مرّ بنا أن عدى ابن زيد العبادي تعلم في الكتاب الخط العربي ثم الخط الفارسي « فصار أفصح

(١) انظر مثلاً كتابه صل الله عليه وسلم لبني زهير بن أقيش في ابن سعد ٢/١ : ٣٠ ، وكتابه إلى ماعز البكائي في ابن سعد ٧ : ٣١

(٢) ابن سعد ٢/٣ : ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٨ وغيرها .

(٣) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني (ط . دار الكتب) ٣ : ٢٥

الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، ثم انتقل إلى بلاد فارس فأصبح كاتباً بالعربية ومتربحاً في ديوان كسرى ^(١) . وكذلك كان لقيط بن يعفور الإيادي كاتباً بالعربية ويحسن الفارسية ، فكان من أجل ذلك مترجماً في ديوان كسرى . وكان ورقة بن نوفل « يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب » ^(٢) . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص كثير العناية بكتب أهل الكتاب ^(٣) ، وكان يقرأ بالسريانية ^(٤) . وزيد بن ثابت تعلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتابة العبرانية ^(٥) والسريانية ^(٦) والفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ^(٧) . ويبدو أن كتب أهل الكتاب ، سواء أكانت مترجمة إلى العربية أم مكتوبة بغيرها من اللغات ، كانت تلقى من العناية لدى بعض العرب ما يحملهم على مدارسها ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما ذكره خالد بن عرفة قال ^(٨) : كنت جالساً عند عمر ، إذ أتني برجل من عبد القيس ، سكنه بالسوس ، فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال : نعم . قال : وأنت النازل بالسوس ؟ قال : نعم . فضربه بقناة معه . فقال الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : اجلس . فجلس ، فقرأ عليه « بسم الله الرحمن الرحيم ، آلر ، تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص » إلى « لمن الغافلين » . فقرأها عليه ثلاثاً ، وضربه ثلاثاً . فقال له الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذى نسخت كتاب دانيال ؟ قال : مرني بأمرك أتبعه . قال : انطلق

(١) الأغاني ٢ : ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) الأغاني ٣ : ١٢٠ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ١ : ١٨٤ ؛ وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١ : ٢٨٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٢/٤ : ١١ ؛ وابن قتيبة ، المعارف : ١٢٥ .

(٥) البلاذرى ، فتوح البلدان : ٤٧٩ .

(٦) السجستاني ، كتاب المصاحف : ٣ .

(٧) المسعودى ، التنبيه والإشراف : ٢٤٦ .

(٨) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم : ٥١ .

فأعجه بالحميم والصوف الأبيض ، ثم لا تقرأه ولا تقره أحداً من الناس — فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهم كُنْتُ عاقوبة^(١) . ثم قال له : اجلس . فجلس بين يديه ، فقال : انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ، ثم جئت به في أديم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا في يدك يا عمر ؟ قال : قلت : يا رسول الله كتاب انتسخته لتزداد به علماً إلى علماً . ففضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه . . .

وكما كان بعض العرب يعرفون اللغات الأخرى ويكتبونها فقد كان بين الأقباط الأخرى من يعرف العربية ويكتبها ، فقد كان بعض اليهود في المدينة يعرف الكتابة العربية^(٢) ، وكان في مصر من يكتب العربية كذلك^(٣) ، كما كان في بلاط كسرى كتاب ومترجمون يكتبون العربية ويترجمون منها إلى غيرها من اللغات ، ومن تلك اللغات إلى العربية .

ولم يكن الرجال وحدهم هم الكاتبين القارئين ، وإنما كان بعض النساء كذلك يكتبن^(٤) ، ومنهن : الشفاء بنت عبد الله العدوية ، من رهط عمر بن الخطاب ، « وكانت الشفاء كاتبة في الجاهلية » ؛ وهي التي علمت الكتابة حفصة بنت عمر زوج الرسول الكريم .

• • •

(١) التهك : المبالغة في العقوبة .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف : ١٩٢ ؛ والبلاذري ، فتوح البلدان : ٤٧٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها : ٤٧ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان : ٤٧٧ - ٤٧٨ .

وحقيق بنا ، ونحن نتحدث عن الكتابة في الجاهلية وشيوعها ، ألا نفعل الإشارة إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ذكرت الكتابة . أما الآيات الكريمة التي تضمنت الإشارة إلى معرفة الجاهلية العربية بالكتابة معرفة واسعة عميقة ، فحسبنا أن تقتصر على ذكر ثلاث منها ، والحق أن قيمة هذه الآيات لا تقتصر على وضوح دلالتها ، وإنما تتجاوز ذلك إلى قيمتها التاريخية إذ أنها وثيقة أولى لا سبيل إلى التشكيك فيها .

أما الآية الأولى فقد أشرنا إليها من قبل في معرض حديثنا عن مجلس العلم في الجاهلية ، إذ أنها تبين عن أن بعض الجاهليين كانوا يدونون الأخبار والقصص والتاريخ ، وأن هناك من كان يملئ هذه الموضوعات في مجالسه ، قال تعالى (١) :

﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ، فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

والآية الثانية تبين عن أن عرب الجاهلية كانوا يطالبون الرسول بآيات ومعجزات تقنعهم بنبوته ، ومن هذه الآيات والمعجزات ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء يقرءونه ، قال تعالى (٢) :

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ... أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه . قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ .

وفي الآية الثالثة يشير تعالى إلى أن هؤلاء العرب مكابرون ، وسيشكون في هذا الكتاب ولو نزل عليهم في صورة مادية يرونها ويلمسونها . قال تعالى (٣) :

(١) سورة الفرقان ، آية : ٥ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٩٠ - ٩٣ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ٧ .

﴿ولو نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

أما الأحاديث فكثيرة ، متضاربة في ظاهرها . تناولها علماء الحديث والنقح بالبحث ، وسنعود إليها في مكان آخر حين نتحدث عن نشأة التدوين في الفصل التالي . وحسبنا الآن أن نشير إلى كتاب « تقييد العلم » للخطيب البغدادي ، فقد قسم المؤلف كتابه أقساماً ، عرض في أحدها الأحاديث الناهية عن الكتابة . وعرض في قسم آخر الأحاديث المبيحة للكتابة الحادثة على تقييد العلم ، ثم خلص من هذا وذاك إلى ما يراه في هذا الموضوع فيقول ^(١) : « فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول ، إنما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره ، أو يشتغل عن القرآن بسواه ، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ . لأنه لا يُعرف حقها من باطلها وصحيحها من فاسدها ، مع أن القرآن كفى منها ، وصار مهيمناً عليها . ونهى عن كتب العلم في صدر الإسلام وجديته لقلّة الفقهاء في ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحي وغيره ، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن » .

فالخطيب البغدادي إذن إنما يرجع سبب النهي عن الكتابة في الحديث النبوي إلى « قلّة الفقهاء في ذلك الوقت » ، ولم يرجعها إلى قلّة الكتّابين أو إلى أن العرب والصحابة كانوا أميين كما ذهب كثير من الذين يلقون الكلام إلقاءً عاماً لا تحقيق فيه ولا تدقيق . بل إننا لتريد على ذلك فنرى أن هذه الأحاديث نفسها الناهية عن الكتابة إنما تدلّ على وجود الكتابة وشيوعها آنذاك شيوعاً جعل الرسول الكريم ينهاهم عن كتابة الحديث . ولولا ذاك لكان في غنى عن هذا النهي .

افصل الثاني

موضوعات الكتابة وأدواتها

موضوعات الكتابة في الجاهلية :

١

وصلنا - بعد الذى قدمنا من شواهد وأدلة - إلى مفصل من الأمر نطمئن عنده إلى أن الكتابة كانت شائعة عند عرب الجاهلية شيوعاً يكتفى لأن ينقى عنهم ما ألحقه بهم تاريخنا الأدبي من وصمة الجهل والأمية . ولعلنا فى غنى عن أن نقرر أننا - فى حكمنا هذا بشيوع الكتابة فى الجاهلية - لا نملك الوسيلة التى تحدّد لنا مدى هذا الشيوع . ولعلّ لا أجانف الحق إذا ذكرت أن التاريخ لم يحفظ لنا هذه الوسيلة عند سائر الأمم التى سبقت عرب الجاهلية أو عاصرتهم أو تلتهم . فعلم الإحصاء علم حديث النشأة لم نعرفه إلا فى عصرنا الحديث ، وبغيره لا سبيل إلى القطع الجازم فى مدى شيوع الكتابة عند أمة من أمم الأرض^(١) . وحكمنا على عرب الجاهلية لا يختلف عن حكمنا على الإغريق أو

(١) لقد أدرك الباحثون فى هذا الضرب من الموضوعات كثرة العقبات التى تعرّض سبيلهم فيقول بول مونرو Paul Monroe فى مقدمة كتابه The Educational Renaissance of The Sixteenth Century « إنه لمن الشاق السير أن يحاول الإنسان أن يحصل على معلومات دقيقة عن النشاط التعليمى فى العهد الماضى وبخاصة ما يتعلق بتفاصيل عن الحياة المدرسية » . وقد أورد الدكتور أحمد شلبى هذا القول فى كتابه « تاريخ التربية الإسلامية » (ط . دار الكشاف ١٩٥٤ ص : ١) ثم عقب عليه بقوله : « وقد لمست أن ما قرره بول مونرو عن صعوبة الحصول على هذه المادة فيما يتعلق بالتعليم فى أوروبا ، ينطبق تمام الانطباق على النظم التعليمية عند المسلمين » .

فإذا كانت هذه الصعوبة قائمة عند المسلمين بعد أن كثر العلم وشاعت الكتابة وانتشرت المدارس ، وإذا كانت كذلك قائمة عند الأوروبيين ، فما أخرى أن تكون قائمة عند دراستنا لهذا الموضوع فى العصر الجاهل .

البابليين أو الفينيقيين أو المصريين القدماء في إبان حضارتهم . فهل كانت الكتابة شائعة عند الإغريق والفينيقيين والمصريين القدماء؟ أحسب أن نعم . وهل كان شيوخاً عاماً يشمل كل فرد في تلك الأمم؟ أو كان تعميمياً غالباً يشمل الكثرة الكثيرة منها؟ سؤال لا سبيل إلى القطع فيه ، ولكن المنطق المادى لتاريخ أدوات الكتابة وآلاتها - يجعلنا نرجح أن الشيوخ العام الشامل أو التعميمى الغالب عسير المنال في مثل تلك الأطوار التاريخية . بل ما لنا نُبعد والأمثلة قريبة بين أيدينا ؟ فهل الكتابة شائعة الآن في البلاد العربية ؟ لا ريب أنها كذلك ، وأمثلة شيوخها واضحة في هذه الجامعات والمعاهد العالية ، والمدارس المختلفة ، والمطبوعات والمنشورات والصحف ؛ فهل شيوخها عام شامل لكل فرد ، أو هو تعميمى غالب يشمل الكثرة الكثيرة؟ الحق أنه لا هذا ولا ذاك . ومع أننا نفتقد الإحصاء الدقيق إلا أن المعروف أن شيوخ الكتابة في البلاد العربية ، لعصرنا هذا ، لا يشمل إلا نسبة ضئيلة من قُطَّان هذه البلاد تتراوح بين عشرين وثلاثين لكل مائة . أما الثمانون أو السبعون الباقون من كل مائة فما زالوا بعيدين عن أن تصل إليهم معرفة الكتابة . ومع أن هذه النسبة للكاتبين نسبة ضئيلة إلا أن عددهم كبير ، فهم - على قلتهم - يُعدُّون بالملايين .

فنحن إذن لا نقصد بشيوخ الكتابة بين عرب الجاهلية أن كل عربى آنذاك كان كاتباً ، بل لا نقصد أن الكثرة الغالبة كانت كاتبة ، وإنما نقصد أن الكتابة كانت أمراً معروفاً مألوفاً شائعاً عند قومنا آنذاك ، كما كانت الأمية شائعة منتشرة ؛ وأن عدد الكاتبين كان كبيراً ، كما كان عدد الأميين كبيراً . أما تحديد العدد وتحديد النسبة فأمران لا سبيل لنا ولا لغيرنا إلى بيانها .

بقى أمران يتم بهما هذا الفصل ، أولهما : استقراء الموضوعات التى كان عرب الجاهلية يكتبونها ، وثانيهما : الكشف عن أدوات الكتابة وآلاتها آنذاك .

أما موضوعات الكتابة في العصر الجاهلي فقد كانت - فيما يبدو لنا من استقراءنا - كثيرة متنوعة ، فقد كان القوم آنذاك يكتبون كثيراً من شؤون حياتهم وألواناً متعددة من الموضوعات التي يفرضها عليهم نشاطهم العملي أو العلمي أو الوجداني . ومع اعترافنا بأن استقراءنا ناقص - بسبب إغفال المصادر العربية هذا اللون من النشاط العلمي في الجاهلية - فقد وصلنا إلى أمور نراها جديدة بالذکر والتسجيل . وسنسردها هنا غير مراعين في ترتيبنا لها تقديم الأهم على المهم ، ولا الأكثر على الكثير ، لأن الحكم على أهمية هذه الموضوعات أو كثرتها حكم لا نملك الآن وسائله .

وأول هذه الموضوعات التي كانوا يدونونها : الكتب الدينية : - ونحن لا نشك في أن أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، كانت كتبهم مدونة بين أيديهم يتلونهم ، وأن هذه الكتب لم تكن نسخاً قليلة العدد موقوفة على الرهبان والأخبار وحدهم ، وإنما كانت مصاحف كثيرة يتداولها أهل هاتين الديانتين ، حتى إن المسلمين بعد فتح خيبر وجدوا مصاحف فيها التوراة فجمعوها ثم ردوها على اليهود (١) .

وقد مرّ بنا أنّ ورقة بن نوفل « كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب » (٢) . ومع أن هذا النص يشير إلى أن التوراة والإنجيل كانا مكتوبين بالعبرية أو السريانية (٣) ، وأن بعض العرب كان يقرأهما بهذه اللغة فإنه - مع ذلك - لا ينو أن هذين الكتابين كانا يكتبان بالعربية ، وأن بعض العرب كان يقرأهما بهذه اللغة . فنحن نعلم أن قبائل عربية

(١) المقرئى ، إمتاع الأسماع : ٣٢٣

(٢) الأغاني (دار الكتب) ٣ : ١٢٠ .

(٣) يذكر الأب لويس شيخو عند حديثه عن كتابة ورقة بالعبرانية أن « عبرانية ذلك العهد هي الآرامية أو السريانية » انظر كتابه « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » ص : ١٥٧ .

كاملة كثيرة العدد كانت قد تهودت أو تنصرت^(١). فهل كان هؤلاء العرب لا يقرأون كتبهم الدينية ؟ أو هل كانوا يقرأونها باللغة العبرية أو بغيرها من اللغات ؟ وهل من المعقول أن نفترض أن هؤلاء العرب كانوا ، حين يتهودون أو يتنصرون ، يشترط فيهم أن يتعلموا العبرية أو الآرامية ؟ الأقرب إلى المعقول أن نفترض أنهم كانوا يقرأون كتبهم الدينية مترجمة إلى لغتهم العربية . وليس هذا في الحق فرضاً أو استنتاجاً لا تدعمه النصوص ، وإنما هو نتيجة أمثلها علينا - مع سلامة المنطق - شواهد من الروايات :

في حديث سويد بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال : وما الذي معك ؟ قال سويد : مجلة لقمان^(٢) - يريد كتاباً فيه حكمة لقمان^(٣). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علي . فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى ، هو هدى ونور^(٤) .

وقد مر بنا حديث خالد بن عُرْفُطَةَ حين كان جالساً مع عمر بن الخطاب فأتى برجل من عبد القيس نسخ كتاب دانيال ، فضربه عمر وقال له : انطلق فاحمه بالحميم والصوف الأبيض ، ولا تقره أحداً من الناس ، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهنكك عقوبة . ثم قال عمر : انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ، ثم جئت به في أديم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا في يدك يا عمر ؟ قلت : يا رسول الله كتاب

(١) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب : ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٢) الزمخشري . الفائق ١ : ٢٠٦ .

(٣) لسان العرب (جلد) .

(٤) ابن هشام ، السيرة ٢ : ٦٨ .

انتسخته ، لتزداد به علماً إلى علمنا . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ^(١) .

وقال عمرو بن ميمون الأودي ^(٢) : كنا جلوساً بالكوفة فجاء رجل ، ومعه كتاب ، فقلنا : ما هذا الكتاب ؟ قال : كتاب دانيال . فلولا أن الناس تحاجزوا عنه لقتل ، وقالوا : أكتاب سوى القرآن !

وقال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمستهوكون أنتم كما استهوكت اليهود والنصارى ؟

وقال مرة ^(٤) : بينما نحن عند عبد الله بن مسعود إذ جاء ابن قرة بكتاب قال : وجدته بالشام ، فأعجبني فجئتك به . فنظر فيه عبد الله ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب : وتركهم كتابهم . ثم دعا بطست فيه ماء فائه فيه ثم محاه . فقال مرة ^(٥) : أما إنه لو كان من القرآن أو السنة لم يحمه ولكن كان من كتب أهل الكتاب .

يفهم من هذه الأخبار والأحاديث أن هذه الكتب كانت مكتوبة بالعربية لغة القوم ، وإلا فهل كان سويد بن الصامت يحمل معه مجلة لقمان وهي مكتوبة بغير العربية ؟ وهل قرأها على رسول الله بتلك اللغة وفهمها رسول الله ؟ ثم هل كان هذا الرجل العربي من عبد القيس قد نسخ كتاب دانيال من لغة غير عربية ؟ وهل نهاه عمر أن يقرأه وأن يقرئه أحداً من الناس بتلك اللغة غير العربية ؟ وهل كان ذلك شأن عمر حينما نسخ كتاباً من كتب أهل الكتاب فأغضب رسول الله ؟ ثم هذا الكتاب الذي جاء به ابن قرة من الشام « فنظر فيه » عبد الله بن

(١) تقييد العلم : ٥١ - ٥٢ .

(٢) تقييد العلم : ٥٦ - ٥٧ .

(٣) الفائق ٣ : ٢١٨ .

(٤) تقييد العلم : ٥٣ .

(٥) سنن الدارمي ١ : ١٢٣ .

مسعود ثم محاه لأنه لم يكن من القرآن أو السنة وإنما كان من كتب أهل الكتاب
 — أترى عبد الله بن مسعود نظر فيه وعرف ذلك وهو مكتوب بغير العربية ؟
 فلعل القوم كانوا يكتبون الكتب الدينية بالكتابة العربية كما كانوا يكتبونها
 بغير العربية .

ومن الشعر الجاهلي الذي يشير إلى معرفة عرب الجاهلية بهذه الكتب الدينية
 قول خُزَر بن لُؤْذَانَ (١) :

وكذلك لا خَيْرٌ ولا شَرٌّ على أَحَدٍ بدائِمْ
 قد خَطَّ ذلك في الزُّبُو رِ الأوَّلِيَّاتِ القَدائِمْ

ومنه قول امرئ القيس (٢) :

أَنْتَ حِجَجٌ بَعْدَى عَلَيْهَا فَاصْبَحْتُ كَخَطِّ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانٍ

وقول السموءل يصف اليهود (٣) :

وبقايَا الأَسْبَاطِ أَسْبَاطٌ يَعْقُو بَ دِرَاسِ التُّورَةِ والتَّابُوتِ

وقول النابغة يمدح الفساسة النصراني ويذكر الإنجيل (٤) :

مَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الإِلهِ وَدِينُهُمْ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

(١) لسان العرب (حتم) ، وانظر خزانة الأدب ٣ : ١١ حيث يذكر أن خزز بن لؤذان
 السدوسي جاهلي .

(٢) ديوانه ط . هندية سنة ١٩٠٦ ص : ١٢٥ .

(٣) ديوانه (ط . شيخو) ص : ١٢ .

(٤) ديوانه (خسة دواوين سنة ١٢٩٣) ص : ٨ ، ويروى في عجز البيت : « خير

العواقب » برفع « خير » خبر « ما يرجون » .

ولعل الموضوع الثاني الذى كانوا يكتبونه ، حريصين على كتابته ماوسعهم
الحرص ، هو هذه المهود والمواثيق والأحلاف التى يرتبطون بها فيما بينهم أفراداً
وجماعات . قال الجاحظ (١) : « كانوا يدعون فى الجاهلية من يكتب لهم ذكر
الحلف والهدنة تعظيماً للأمر ، وتبعداً من النسيان » . وقد ورد ذكر هذه المهود
المكتوبة فى الشعر الجاهلى ، قال الحارث بن حلزة البشكري فى شأن بكر وتغلب (٢) :

واذكروا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وما قُدِّمَ فيه ، الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ (٣)
حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدَّى ، وهل يَنْدُ قَضُ ما فى المَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ ؟
وذكر الجاحظ أنه « لا يقال للكتب : مَهَارِقُ ، حتى تكون كتب دين
أو كتب عهود وميثاق وأمان » .

ومن الشعر الجاهلى الذى تذكر فيه هذه المهارق قول الأعشى (٤) :

رَبِّى كَرِيمٌ لَا يُكْثِرُ نِعْمَةً وَإِذَا يُنَاشِدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا
وربّه هذا إنما يعنى به سيّداً كريماً متفضلاً عليه - كما يتضح من البيت
السابق لهذا البيت - والمهارق هنا قد تعنى الكتب الدينية ، فيصف هذا السيّد
بالتدين وبأنه يلجى داعى الدين إلى صلة المحروم وإعطاء المحتاج ، وقد تعنى
المهارقُ كتبَ المهود والأحلاف ، فيكون معنى البيت أن هذا السيّد الكريم
لا يخفّر ذمته ولا ينقض عهده ، وإنما يبقى بما عاهد عليه ، فإذا ما ذكره بهذه
المهود المكتوبة فى المهارق بادر إلى المحافظة عليها والوفاء بها .

(١) الحيوان ١ : ٦٩ - ٧٠

(٢) شرح المملكات للتبريزى : ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وقد شرح التبريزى البيتين بقوله :
إن كانت أهوازكم زينت لكم الغدر والخيانة بعد ما تعالفنا وتماقدنا ، فكيف تصنعون بما هو فى
الصحف مكتوب عليكم من المهود والمواثيق والبيّنات ذمّا علينا وعليكم ؟

(٣) الكفلاء : الرهائن .

(٤) ديوانه : قصيدة : ٣٤ ، بيت : ١٣

ومن أوضح الشعر الجاهلى الذى يذكر هذا الضرب من تسجيل الأحلاف
والعهود : قول درهم بن زيد الأوسى يُذكرُ الخزرج ما بينهم من عهود مكتوبة
على الصحف ^(١) :

وإنَّ ما بيننا وبينكم حين يُقال: الأرحامُ والصحفُ

وقول قيس بن الخطيم ^(٢) :

لما بدت غلوةٌ جباههم حنَّتْ إلينا الأرحامُ والصحفُ

يعنى بالصحف : العهود والمواثيق والأحلاف المسجلة فى الصحف .
ومن الأحلاف التى كتبت فى الجاهلية حلف خزاعة ، بين عبد المطلب
ابن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجال من خزاعة ، وكتب لهم
الحلف أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وعلقوا الكتاب فى الكعبة ^(٣) ؛ وقد
جاء خزاعة رسول الله يوم الحديبية بكتاب جده فقرأه عليه أبى بن كعب ^(٤) .
وقد زعم أبو حنيفة الدينورى ^(٥) أن عمر بن إبراهيم من ولد أبرهة بن الصباح
ملك حير أرسل إلى الكرماني نسخة حلف اليمن وربيعة الذى كان بينهم فى
الجاهلية . ثم أورد نص هذا الحلف .

ومن أشهر هذه العهود والمواثيق : صحيفة قريش التى تعاقدوا فيها « على
بنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً
ولا يبتاعوا منهم . فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاقدوا وتواثقوا
على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ^(٦) » .

(١) ديوان حسان بن ثابت . مخطوط فى مكتبة أحمد الثالث بإسطنبول ، رقم ٢٥٣٤ ،
وميكررو فيلم فى معهد المخطوطات ، ورقة : ٢٠ .

(٢) ديوانه : ١٩ .

(٣) ديوان حسان - مخطوطة أحمد الثالث ، ورقة : ١٥ - ١٦ .

(٤) محمد حيد الله ، الوثائق السياسية : ٥٠ وقد خرج هناك مصادره .

(٥) الأخبار الطوال (ط . السعادة ١٣٣٠ هـ) ص : ٣٣٦ .

(٦) ابن هشام ، السيرة ١ : ٣٧٥ - ٣٧٦ .

وكما كانوا يكتبون العهود والأحلاف بين الجماعات ، كانوا كذلك يكتبون العهود والمواثيق بين الأفراد . ومن أمثلة ذلك حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال (١) : كاتبتُ أمية بن خلف كتاباً في أن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة (٢) .

ويبدو أنهم كانوا يسجلون كل أمر عامّ ذى بال يتصل بمجموع الناس أو بجماعات منهم — إذا أرادوا لهذا الأمر تأكيداً أو أرادوا أن يشهدوا عليه الملأ — ولا يقتصرون في ذلك على الأحلاف والمواثيق . فمن أمثلة هذه الأمور العامة التي كانوا يسجلونها ما قاله أبو جهل للعباس بن عبد المطلب حين شاعت في مكة رؤيا أخته عاتكة بنت عبد المطلب ، قال (٣) : « يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال (٤) : انفروا من ثلاث . فسنربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب » .

وبما يتصل بكتابة العهود والمواثيق والأحلاف كتابة كتب الأمان ، وربما كانت أقل من سابقتها إذ أنها لا تصدر إلا في حالات لا تتكرر كثيراً . فمن ذلك كتاب النعمان الذي أرسله إلى الحارث بن ظالم وهو في مكة يؤمّنه (٥) ، فلما ذهب إليه الحارث ودخل عليه قال : أنعم صباحاً أبيت اللعن . قال النعمان : لا أنعم الله صباحك . فقال الحارث : هذا كتابك ! قال النعمان : كتابي والله ما أنكره أنا كتبه لك . . .

(١) الزنجشري ، الفائق ٢ : ٢٦

(٢) الصاغية : هم الذين يصفون إلى المرء ويميلون إليه ، أى : جماعته .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٢ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ وانظر أيضاً ابن سعد ، الطبقات ٨ : ٣٠ ؛

والأغاني (دار الكتب) ٤ : ١٧٢ .

(٤) القائل هنا راكب رآته عاتكة في نومها مقبلاً على بعير له حتى وقف بالأبطح .

(٥) الأغاني ١١ : ١٢٠ .

وموضوع ثالث لعله أكثر هذه الموضوعات اتساعاً ، وألصقها بمحاجات المرء وحياته المعاشية ، هو الصكوك التي كان عرب الجاهلية يكتبون فيها حساب تجاراتهم وحقوقهم على غيرهم . وأوضح ما ورد في ذلك كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للثقيف ، فقد جاء فيه ^(١) : « وما كان لهم من دين في رهن فيلغ أجله فإنه لو أط منبراً من الله . وما كان من دين في رهن وراء عكاظ فإنه يقضى إلى عكاظ برأسه . وما كان للثقيف من دين في صحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم » .

ومن أغرب ما جاء في هذه الصكوك ما ذكره ابن النديم قال ^(٢) : « وكان في خزائن المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم فيه : ذكر عبد الحمير ^(٣) عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعا عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابه ، شهد الله والمملكان . قال : وكان الخط شبه خط النساء . »

ووجه الغرابة في هذا النص أنه يوم أن ابن النديم — أو الذي روى عنه ، إذ أن في أول النص خروماً — رأى هذا الصك ، ولكن قوله بعد ذلك : على فلان ابن فلان الحميري من غير ذكر للاسم ، يدعونا إلى الشك في أنه رآه ، وإلى ترجيح أن غيره هو الذي رآه ثم نسي اسم المدين وهو يروي الخبر . ووجه ثان للغرابة أنه ينص في أول الخبر أن الكتاب بخط عبد المطلب بن هاشم ، ولم يذكر في الكتاب ما يدل على ذلك ، فكيف أتبع له أن يقطع بأنه بخطه ، وهل قوله

(١) الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ١٦٠ وفيها مصادره .

(٢) الفهرست : ٧ - ٨ .

(٣) « ذكر حق » معناه « صك الدين » انظر مجالس ثعلب ١ : ٢٧ .

في آخر الخبر : « وكان الخط شبه خط النساء » ناقض لقوله إنه بخط عبد المطلب ؟ أو أنه يقصد إلى القول إن هذا الخط الذي هو خط عبد المطلب شبه خط النساء ؟ فنحن إذن نضعف ذلك الخبر على هذا الوجه الذي ورد عليه ، وإن كنا مع ذلك لا نستطيع أن نقطع بنفيه ، لأننا نرى أن الخبر في جوهره : وهو أن ثمة صكاً ما فيه حق لعبد المطلب على رجل حميري - لا سبيل إلى الطعن فيه .

وقد كان كثير من القوم آنذاك تجاراً ، فكان من الطبيعي أن يكثر عندهم هذا الضرب من الكتابة يحفظون به حقوقهم أن تضع ، حتى لقد كانت النساء التاجرات يلجأن إلى هذه الوسيلة ، شأنهن في ذلك شأن الرجال . فقد روى أن عبد الله بن أبي ربيعة كان يبعث بعطر من اليمن إلى أمه أسماء بنت مخزومة ، وهي أم أبي جهل - فكانت تبعه إلى الأعطية ، فذهبت إليها الربيع بنت معوذ في نسوة من الأنصار ليشتري منها العطر ؛ قالت الربيع : فلما جعلت لي في قواريري ، ووزنت لي كما وزنت لصواحي ، قالت : اكتب لي عليكن حق . فقلت : نعم ، اكتب لها على الربيع بنت معوذ . . . (١)

وقد حفظ لنا الشعر الجاهلي ذكر هذا الضرب من الصحف التي يسجل فيها الدين ، قال علباء بن أرقم بن عوف من بني بكر بن وائل (٢) :

أَخَذْتُ لِدَيْنٍ مُطْمَئِنٍّ صَحِيفَةً وَخَالَفْتُ فِيهَا كُلَّ مَنْ جَارٍ أَوْ ظَلَمٍ

وقال أبو ذؤيب الهذلي يصف كاتباً من اليمن يكتب دينه على رجل آخر يُثنى عليه الناس بالوفاء (٣) :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَا وَ يَزْبُرُهُ الْكَاتِبُ الْحِمَيْرِيُّ

(١) الواقدي ، المغازي : ٦٥ ؛ وابن سعد ، الطبقات ٨ : ٢٢٠ .

(٢) الأسمعيات (برلين ١٩٠٢) ص : ٦٣ ، وانظر اسم الشاعر وبيتين من القصيدة في

معجم المرزباني : ٣٠٤ .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٦٤ .

بِرَقْمٍ وَوَحْيٍ كَمَا زُخْرِفَتْ بِمِيشِيهَا الْمُزْدَهَاءُ الْهَدْيُ
أَدَانٌ وَأَنْبَاءُ الْأَوَّلُو نَ أَنَّ الْمُدَانَ الْمَلِيَّ الْوَفِيَّ
فَنَمْنَمَ فِي صُحُفٍ كَالرِّيَّا طِ فِيهِنَّ لِرِثُ كِتَابٍ مَحِيٍّ

وثمة ضرب آخر من الصكوك ، وهي التي يسجل فيها ما كان يقطعه الأمير
أو السيد للمتعرض لنواله ، وكان هذا الصك يُسمى : الوِصْر ، والإصر ،
والأوِصر ، والوَصْرَة . ووصره : أقطعه أرضاً وكتب له الوِصْر^(١) . قال عدي
ابن زيد^(٢) :

فَأَيُّكُمْ لَمْ يَنْلُهُ عُرْفُ نَائِلِهِ دَثْرًا سَوَامًا وَفِي الْأَرْيَافِ أَوْصَارًا

أى : أقطعكم وكتب لكم السجلات .
وذكر شاعر ، بعده ، هذا الضرب من الصكوك فقال — يشير إلى فرسه :
صِدَامٌ ، ويخاطب خاتمه^(٣) :

وَمَا اتَّخَذْتَ صِدَامًا لِلْمُكُوثِ بِهَا وَلَا انْتَقَشْتُكَ إِلَّا لِلْوَصْرَاتِ

وهذا الضرب من الصكوك قد يسمى أيضاً القِط ، وجمعها : قطوط . قال
الأعشى^(٤) :

وَلَا الْمَلِكُ النَّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيْتُهُ بِإِمْنِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ

أى : يدفع إلى الناس صكوكهم بما أقطعهم أو بما قسم لهم من جوائز .
وقال المتلمس لما ألقى الصحيفة المشهورة في نهر الحيرة^(٥) :

(١) الزنجشري ، أساس البلاغة (وصر) .

(٢) الزنجشري ، الفائق ٣ : ١٦٦ ، والدثر : المال الكثير .

(٣) أساس البلاغة (وصر) ، وصدام : اسم فرسه .

(٤) ديوانه ق : ٣٤ ، ب : ١٣ ، والإمة : النعمة ؛ ويأفق : يطبع القطوط (أى :

صكوك الجوائز) ويختمها .

(٥) ابن السيد البطليوسي ، الانتصاب في شرح أدب الكتاب : ٩٣ .

وَأَلْقَيْتُهَا بِاللَّيْلِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَلْقَى كُلَّ قِطْعٍ مُضَلَّلٍ

وقد جاء ذكر القط أيضاً في التنزيل الحكيم ، قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا : رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ ^(١).

٥

وضرب رابع أحسبه لا يقصّر عن الضروب السابقة كثرةً واتساعاً وخطراً ، وهو كتابة الرسائل بين الأفراد ، يحملونها أخبارهم ، ويضمّنونها ما تتطلبه شؤون حياتهم . ومن يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ يعجب لكثرة رسائلهم آنذاك ، ويكذب يلمس أن كتابة الرسائل في الجاهلية أمر مألوف ميسور شائع في شتى الشئون . وسنكتفي - توخياً للإيجاز - بذكر أمثلة قليلة ، ثم لا نثبت نصوصها بل نشير إشارة مقتضبة إلى موضوعها .

فن رسائلهم التي كانوا يحملونها أخبارهم ما كتبه حنظلة بن أبي سفيان إلى أبيه - وكان أبو سفيان مع العباس بن عبد المطلب بنجران في اليمن - فكتب حنظلة إليه يخبره بقيام محمد بن عبد الله يدعو إلى الله ^(٢) .

ومنها كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرهم ، وكان كتابه إلى ثلاثة نفر : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، يقول فيه : إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد بكتابي إليكم ^(٣) .

(١) سورة « ص » آية : ١٦ .

(٢) الأغاني (دار الكتب) ٦ : ٢٥٠ .

(٣) المقرئ ، إمتاع الأسماع : ٣٦٢ .

ومنها رسالة الوليد بن الوليد بن المغيرة إلى أخيه خالد بن الوليد ، وذلك أن خالدًا خرج من مكة فراراً أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عمرة القضية ، كراهةً للإسلام وأهله ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الوليد ، وقال : لو أنا لأكرمناه ، وما مثله سقط عليه الإسلام في عقله . فكتب بذلك الوليد إلى خالد أخيه ، فوقع الإسلام في قلب خالد ، وكان سبب هجرته ^(١) .

وقدم على الحارث بن ماربة الغساني الجفني رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما : حزن وسهل ابنا رزاح . وكان عندهما حديث من أحاديث العرب ، فاجتباها الملك ، ونزلا بالمكان الأثير عنده ، فحسدهما زهير بن جناب الكلبي — وكان يتادم الحارث ويحادثه — فقال له إنهما عين عليه للمنذر الأكبر — جد النعمان بن المنذر — وهما يكتبان إليه بعورتك وتخلل ما يريان منك ^(٢) .

وكانوا يكتبون الرسائل يطلبون فيها العون والنصرة ، ومن أمثلة ذلك : كتاب قُصيّ بن كلاب إلى أخيه ابن أمه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري يدعو إلى نصرته ^(٣) ، وكتاب السموءل إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يوصي بامرئ القيس لعله يمدّه بما يحقق له أمله ^(٤) .

وكان المسافرون التازحون يكتبون إلى أهلهم بما يعرض لهم من أمور . فهذه أم سلمة لما قدمت المدينة ، وذلك قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرتهم أنها بنت أبي أمية بن المغيرة ، فكذبوها ، وقالوا : ما أكذب الغرائب ! « حتى أنشأ ناس منهم للحج ، فقالوا : أتكتبين إلى أهلِكَ ؟ فكتبت معهم . فرجعوا إلى المدينة فصدقوها » ^(٥) .

(١) نسب قريش : ٣٢٤ .

(٢) الأغاني (دار الكتب) ٥ : ١١٨ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١ : ١٢٤ ؛ وابن سعد ، الطبقات ١ : ٣٨ .

(٤) الأغاني (دار الكتب) ٩ : ٩٩ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ٨ : ٦٥ .

وكتب الزبرقان بن بدر إلى زوجته أن تحسن إلى الخطيئة وتستوصي به خيراً^(١).

وقد كانوا يبدأون كتبهم هذه بـ «باسمك اللهم» ، ويقال إن أمية بن أبي الصلت هو الذي علم أهل مكة ذلك فجعلوها في أول كتبهم^(٢) . فكانت قریش تكتب في جاهليتها «باسمك اللهم» وكان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ، ثم نزلت سورة «هود» فيها «بسم الله مجراها ومرساها» ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكتب في صدر كتبه «بسم الله» ، ثم نزلت في سورة «بنى إسرائيل» : «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» فكتب «بسم الله الرحمن» ثم نزلت في سورة «النمل» : «لأنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» فجعل ذلك في صدر الكتب إلى الساعة^(٣) .

٦

وضرب سادس من الكتابة لا ندرى عنه إلا التزر اليسير ، ولكننا مع ذلك لا نستبيح إغفاله لأننا في هذا الاستقصاء إنما نثبت كل ما عثرنا عليه ، وعسى أن يكمل غيرنا ما فيه من نقص ، أو يفصل ما فيه من إيجاز . وهذا الضرب السادس هو : مكاتبه الرقيق . وذلك أن يتفق العبدُ وسيّده على قدر معلوم من المال يكون في الغالب مساوياً لثمنه ، فإذا أداه لسيده عتق وأصبح حراً .

وأغلب الظن أن هذا الاتفاق كان يتم في بعض الأحوال شفاهاً لا تسجيل فيه ، ولكنه كان في حالات أخرى يسجل ويكتب ، فقد روى أن أبا أيوب

(١) الأغاني ٢ : ١٨٠ .

(٢) الأغاني ٣ : ١٢٣ .

(٣) المصول ، أدب الكتاب : ٣١ ؛ وابن السيد البطليوسي ، الاقتضاب ، ١٠٣ - ١٠٤ .

الأنصاريّ تَدْنِمُ عَلَى مَكَاتِبَةِ مَوْلَاهُ أَفْلَحَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْكِتَابِ ، وَأَنْ تَرْجِعَ كَمَا كُنْتَ . فَقَالَ لِأَفْلَحَ وَلَدُهُ وَأَهْلُهُ : أَرْجِعْ رَقِيقًا وَقَدْ أَعْتَقَكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ أَفْلَحُ : وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي شَيْئًا إِلَّا أُعْطِيْتَهُ إِيَّاهُ . فَجَاءَهُ بِمَكَاتِبَتِهِ فَكَسَرَهَا^(١) .

وكذلك قال بكار بن محمد : « مَكَاتِبَةُ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ سِيرِينَ الصَّلَكِ فِي صَحِيفَةِ حِمْرَاءَ عِنْدَنَا : هَذَا مَا كَاتَبَ عَلَيْهِ . . . ، قَالَ بَكَارُ : الطَّيْنَةُ الَّتِي فِيهَا الْخَاتَمُ وَسَطُ الصَّحِيفَةِ وَالْكِتَابُ حَوْلَهَا »^(٢) .

والمرجح أن هذه المكاتبة لم تكن أمراً مستحدثاً في الإسلام ، وإنما كانت من أمور الجاهلية التي أقرّها الإسلام وثبّتتها ، وإنما كانت في الجاهلية تتوقف على رغبة السيد أو المالك ، فقد يأذن لعبده أن يَكَاتِبَهُ وقد يمنعه . فلما جاء الإسلام فرض على المسلم أن يستجيب لعبده إذا أراد المكاتبة ، وذلك في قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ . . . »^(٣)

ودليل وجود هذا الضرب من الكتابة في الجاهلية ما تذكره كتب التفسير من أسباب نزول هذه الآية ، وذلك أنها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له : صَبِيحٌ - وقيل صَبِيحٌ - طلب من مولاه أن يَكَاتِبَهُ ، فَأَبَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ فَكَاتَبَهُ حَوَيْطَبُ^(٤) . فقد طلب الغلام المكاتبة إذن قبل نزول هذه الآية ، وذلك امتداد لما ألفوه قبل الإسلام ، ولكن مولاه أبى عليه ، حتى إذا نزلت الآية كاتبه . وبذلك أصبحت المكاتبة نظاماً مُلْزِماً في الإسلام .

(١) ابن سعد ٥ : ٦٢ .

(٢) ابن سعد ٧ : ٨٧ .

(٣) سورة النور ، آية : ٣٣ .

(٤) تفسير القرطبي ١٢ : ٧٤٤ .

٧

وئمة موضوعات أخرى للكتابة فرعية جزئية ، آثرنا أن نجعلها معاً ونقرنها في عقال واحد . فمنها : النقش في الخاتم . والخاتم على أنواع :

(١) فمنها الخاتم الذى تختم به الرسائل ، وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلى ، فمن ذلك قول امرئ القيس ^(١) :

تَرَى أَثَرَ الْقَرْحِ فِي جِلْدِهِ كَنَقْشِ الْخَوَاتِمِ فِي الْجَرْجِسِ

والجرجس هنا : إما الطين الذى يختم به ، وإما الصحيفة نفسها .
وقال الخبيل السعدي يذكر رجلاً أعطاه النعمان بن المنذر خاتمه — ويقال لخاتم الملك الحليق ^(٢) :

وَأَعْطَى مِنَّا الْحَلِيقُ أَبْيَضُ مَا جَدُّ رَدِيفُ مُلُوكٍ مَا تَغْبُ نَوَافِلُهُ

ويقال إن أول من ختم الرسائل وطبعها عمرو بن هند ^(٣) وذلك بعد الذى حدث من المتلمس في صحيفته .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم من ورق نقش عليه « محمد رسول الله » ^(٤) ؛ وكذلك اتخذ الصحابة رضوان الله عليهم نقوشاً مختلفة ^(٥) .

(١) ديوانه (السندوبى) : ١٠٢ ، وقد ورد البيت في الاقتضاب للبطلينوس ص : ٩٧ هكذا :

ترى أثر القرح في جلدي كما أثر الختم في الجرجس

(٢) البطلينوس ، الاقتضاب : ٩٧ .

(٣) الاقتضاب : ١٠٤ .

(٤) الصولى ، أدب الكتاب : ١٣٩ ؛ والزعمشلى ، الفائق ٢ : ٧٢ - ٧٣ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ١/٣ : ١٩ - ٢٠ ، ١٥٠ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ، وج ٦ :

٢٦ ، ٥١ ، ٩٦ ، ١٤٦ ، وج ٧ : ٥ ، ١١ ، ١٤ .

وكانت هذه النقوش إما كتابة عربية وإما علامات وصوراً^(١).
 (ب) ومن أنواع الخاتم: الطابع الذى تُطبع وتُختم به أوعية الطعام أو الشراب،
 قال الأعشى^(٢) :

وَصَهْبَاءٌ طَافَ يَهُودِيَّهَا وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَتَمٌ
 ومن أسماء هذا الضرب من خاتم الطعام : الرَّؤْسَمُ ، وهى خشبة مكتوبة
 بالنقر يختم بها الطعام والأكداس . والرواسيم كتب كانت فى الجاهلية^(٣) .
 ومن أنواع النقش : الحفر والكتابة على الخشب ، فقد روى أن أبا سفيان
 حين أراد الخروج إلى أحد امتنعت عليه رجاله . فأخذ سهمين من سهامه ،
 فكتب على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا ، ثم أجالهما عند هَبِيل ، فخرج
 سهم الإنعام ، فاستجرهم بذلك^(٤) !

ومن تمام الحديث عن النقش أن نشير إلى موضوع آخر كانوا ينقشونه وهو :
 شواهد القبور على الحجارة والصخور . وقد مر بنا طرف من ذلك حين تحدثنا
 عن نشأة الخط العربى ، ونزيد عليه ما ذكره ابن النديم^(٥) من أن حجراً عُمِرَ
 عليه بمسجد السور عند قبر المريين حينما حسم السيل عن الأرض ، وفيه كتابة
 نقشها أسيد بن أبى العيص تشبه أن تكون شاهد قبر .

* * *

بقى موضوع أخير هو كتابة النسب والشعر والأخبار : وقد أخرجنا الإشارة
 إلى هذا الضرب من موضوعات الكتابة ، لأننا نقصد إلى أن نخصه وحده بمحدث
 واف سنجعله موضوع الباب الثانى .

* * *

(١) ابن سعد ٦ : ٩٦ ، ١٤٦ ، وج ٧ : ٥٠ ؛ ويذكر الأستاذ جروهمان أنه عثر على
 ورقة بردى كتبها عمرو بن العاص نفسه وعليها خاتمه وهو صورة ثور هائج ، انظر :

Dr. A. Grohmann, From The World of Arabic Papyri, Cairo, 1952, P. 115.

(٢) ديوانه ق : ٤ ، ب : ١٠ .

(٣) لسان العرب والتاج (رسم) .

(٤) الفائق ٣ : ١٩٠ .

(٥) الفهرست : ٨ .

أدوات الكتابة في الجاهلية :

١

سيتناول حديثنا عن أدوات الكتابة ثلاث نقط ، الأولى : المواد التي كانوا يكتبون عليها ، والثانية : المواد التي كانوا يكتبون بها ، والثالثة . أنواع كتابتهم .

أما المواد التي كانوا يكتبون عليها ففصروب شتى ، منها :

الجلد : وكانوا يسمونه : « الرق » و « الأديم » و « القضم » . والفرق بينها غير واضح من النصوص والروايات نفسها ، ولكن المعاجم تجعل « الرق » : الجلد الرقيق الذي يسوى ويرقق ويكتب عليه ؛ وتجعل « الأديم » : الجلد الأحمر أو المدبوغ ؛ وتجعل القضم : الجلد الأبيض يكتب فيه . وقد ورد ذكرها كلها في الشعر الجاهلي .

ففي الرق : قول طرفة (١) :

كَسَطُورِ الرِّقِّ رَقَشَهُ بِالضُّحَى مَرَقَشَ بِشِمَةٍ

وقول معقل بن خويلد الهذلي (٢) :

ولمى كما قال مُمِلِي الكِتَا بَ فِي الرِّقِّ إِذْ خَطَّهُ الْكَاتِبُ

وقول الأخنس بن شهاب التغلبي (٣) :

(١) ديوانه - شالون سنة ٩٠٠ م : ٦٨ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ : ٧٠ .

(٣) الأمدى ، المؤلف والمختلف : ٢٧ .

لَابِنَةِ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَّشَ الْعُنْوَانُ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ
وقول حاتم الطائي^(١) :

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَ وَنُوبًا مُهْدَمًا كَخَطِّكَ فِي رَقٍّ كِتَابًا مُنَمَّنًا

وقد جاء ذكر « الرق » في القرآن الكريم ، قال تعالى^(٢) :

﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ .

وفي « الأديم » : يقول المرقش الأكبر^(٣) :

الدَّارُ وَخَشَّ والرُّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ

وقد ورد ذكر الأديم فيما رُوِيَ لنا من كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم : « عن رافع بن خديج . . . فإن المدينة حرام ، حرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني »^(٤) . وذكر ابن سعد^(٥) أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع العباس السلمي ركيةً بالدثينة ، قال أبو الأزهر : وكان نائل - حفيد العباس السلمي - نازلاً بالدثينة وكان أميرهم ، فأخرج إلى حقة فيها كراع من آدم أحمر فكان فيه ما أقطعه . وكانوا يكتبون الوحي في زمن رسول الله على الأديم « قال عثمان : . . . فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ،

(١) ديوانه (لندن) : ٢٣ .

(٢) سورة الطور ، آيات : ١ - ٣ .

(٣) البيان والتبيين : ٣٧٥ ؛ الأغاني ٦ : ١٢٧ ؛ معجم المرزبانى ٢٠١ .

(٤) مستند أحمد ٤ : ١٤١ ؛ وانظر تقييد العلم : ٧٢ .

(٥) الطبقات ٧ : ٥٤ .

وكان الرجل يحمي بالورقة والأديم فيه القرآن . . . (١)، وذكر عمر بن الخطاب أنه انتسخ - على عهد رسول الله - كتاباً من أهل الكتاب ثم جاء به في أديم (٢). وكذلك كتب سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ديناً على نفسه في قطعة أديم ابتغاها عند خراز قريب من بيته (٣).

وفي القضم : يقول النابغة الذبياني (٤) :

كَأَنَّ مَجْرَ الرِّامِسَاتِ ذُبُولَهَا عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَقَتْهُ الصَّوَانِعُ

وقد ذكر شارح الديوان الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب أن القضم هو الأديم المخروز ، ثم قال إن القتبى قال : القضيمة : الصحيفة البيضاء تقطع ثم ينقش بها النطع .

ويقول امرؤ القيس (٥) :

وَعَادَى عِدَاءَ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبٍ

ويقول زهير (٦) :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْمُؤَسَّدَاتِ بَنَحَرَهَا أَطْبَةُ صِرْفٍ فِي قَضِيمٍ مُسَرَّدٍ

والقضم : الجلد الأبيض ، فلعله شبه طرائق الدم بنحرها بطرائق جلد أبيض مكتوب عليه أو منقوش عليه باللون الأحمر .

وقد ورد أن الوحي كان يكتب لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على

(١) السجستاني ، المصاحف : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) تقييد العلم : ٥٢ .

(٣) المصعب الزبيري ، نسب قریش : ١٧٧ - ١٧٨ .

(٤) ديوانه (خسة دواوين) ٥٠ . الرامسات . الرياح .

(٥) ديوانه (مطبعة هندية ١٩٠٦) : ٨٦ ، الشوب والقره : الثور الفتي الكبير .

(٦) ديوانه (ثعلب) : ٢٣١ . المؤسّدات : المغريات بالصيد . أطبة (مفردا : طبابة) :

السيور والجلود . صرف : صبغ أحمر تصبغ به شرك النعال . المسرد : المخروز .

القُضْم ، قال الزهرى : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن في العصب والقضم والكرانيف^(١) .

قال الزمخشري في تفسير الكلمة : القضم جمع قضيم ، وهى جلود بيض ، ثم استشهد ببيت النابغة الذى ذكرناه .

وربما كتبوا على جلد لم يُعَدَّ للكتابة ، وإنما تلجئهم الحاجة الملحة إلى أن يكتبوا عليه ، قال سعيد بن جبير « كان ابن عباس يملئ على فى الصحيفة حتى أملأها وأكتب فى نعل حتى أملأها »^(٢) .

٣

القماش : وهو إما حرير وإما قطن ، ويطلقون على الصحف إذا كانت من القماش : المهارق ، مفردها : المَهْرَق . قال الأصمعى^(٣) « هو فارسى معرب ، وكان أصله خرق حرير تصقل وتكتب فيها الأعاجم ، تسمى : مهركد ، فأعربته العرب وجعلته اسماً واحداً فقالوا : مهرق ... وقال الأصمعى أيضاً : المهارق : كرايس كانت تصقل بالخرز ويكتب فيها ، فأراد : مهركد ، أى : صقل به . » والكرايس جمع كرباس - بالكسر - : ثوب من القطن الأبيض ، معرب ، فارسىته بالفتح^(٤) .

وقال التبريزى^(٥) : « المهارق : الصحف ، واحدها : مهرق ، فارسى معرب ، خرزة يصقلون - ثياباً كان الناس يكتبون فيها قبل أن يصنع

(١) الفائق ٢ : ١٥٠ ، والكرانيف (مفردها : كرنافة ، بضم الكاف وكسرهما) : أصول السعف الغلاظ العراض اللاصقة بالجذع .

(٢) تقييد العلم : ١٠٢ .

(٣) الفضليات (ليال) : ٢٥ .

(٤) القاموس (كرباس) .

(٥) شرح المملقات : ٢٦٨ - ٢٦٩ .

القراطيس بالعراق»، وقال الزوزنى (١) : «المهاريق : يأخذون الخرقه ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئاً . وقال ابن السكيت (٢) : «المهريق : ثوب جديد أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه» .

ويبدو لنا أن هذا الضرب من مواد الكتابة يحتاج إلى إعداد خاص فكان عزيزاً نادراً غالى الثمن ، ولذلك كانوا لا يكتبون فيه إلا الجليل من الأمر، قال الجاحظ (٣) : « لا يقال للكتب مهاريق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان » .

وقد ورد ذكر المهاريق في الشعر الجاهلي ، فمن ذلك ما ذكرناه من بيتي الحارث بن حلزة في معلقته :

واذكروا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وما قُدِّمَ فيه ، الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ
حَذَرَ الْجَوْرِ والتَعَدَّى ، وهل يَنْقُصُ ما في المهاريق الْأَهْوَاءُ

وقال الحارث أيضاً (٤) :

لمن الديارُ عَفْوَنَ بِالْحَبْسِ آياتُها كَمَهَارِقِ الْقُرْسِ
وقال الأعشى (٥) :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً وَإِذَا يُنَاشِدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا
وقال الأعشى أيضاً (٦) :

(١) المعلقات : ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) ابن سيده ، المخصص ١٣ : ٨ - ٩ .

(٣) الحيوان ١ : ٦٩ - ٧٠ .

(٤) المفضليات : ٢٥ .

(٥) ديوانه ق ٣٤ ب ١٣ .

(٦) الصولي ، أدب الكتاب : ١٠٦ ، ولم أجده في ديوانه . والسملق (وزان جعفر) : القاع المصنّف .

سَلَا دَارَ لَيْلَى : هَلْ تُبَيِّنُ فتنَطِقُ وَأَنْتَى تَرُدُّ الْقَوْلَ بَيِّضَاءُ سَمَلَقُ
وَأَنْتَى تَرُدُّ الْقَوْلَ دَارُ كَانَهَا لِيَطُولَ بِلَاهَا وَالتَّقَادُمُ مُهَرَّقُ

وقال شُعَيْمُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْفَزَارِيُّ (١) :

تَسْمَعُ أَصْوَاتَ كُذْرِيَّ الْفِرَاحِ بِهِ
مِثْلَ الْأَعَاجِمِ تُغْشِي الْمُهَرَّقَ الْقَلَمَا

وقال الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفر :

سُطُورُ يَهُودِيَّيْنِ فِي مُهَرَّقِيهِمَا
مُجِيدَيْنِ مِنْ تَيْمَاءٍ أَوْ أَهْلِ مَدْيَنِ

وقال سلامة بن جندل (٢) :

لَبَسَ الرِّوَامِسُ وَالْجَدِيدُ بِلَاهِمَا
فَتَرَكْنَ مِثْلَ الْمُهَرَّقِ الْأَخْلَاقِ

وقال سلامة أيضاً (٣) :

لِمَنْ طَلَّلَ مِثْلَ الْكِتَابِ الْمُنْمَقِ
أَكْبَ عَلَيْهِ كَاتِبٌ بِلَوَاتِهِ
خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطَرَقِ
وَحَادِثُهُ فِي الْعَيْنِ جِدَّةُ مُهَرَّقِ

٤

النبات — وأشهر أنواعه : العسيب ، وجمعه : عسب ، بضمين —
وهو السعفة أو جريدة النخل إذا يبست وكشط خوصها ، فن الشعر الجاهلي
الذي ورد فيه ذكر العسيب قول لبيد يصف كاتباً (٤) :

(١) النقاظ : ١٠٦ .

(٢) ديوانه : ١٥ .

(٣) ديوانه : ٥ .

(٤) ديوانه — الأول — ط . فينا سنة ١٨٨٠ ق ١٣ ب ٢ .

مُتَعَوِّدٌ لِحِنْ يُعِيدُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبٍ ذَبْلَنَ وَبَانَ
وقول امرئ القيس (١) :

لِحِنْ طَلَّلُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ الزَّبُورِ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي

وقريب من العسب : اليكرنافة ، وجمعها : كرانيف ، وهي أصول
السعف الغلاظ المراض الالاصقة بالخذع (٢) . وقد ورد أن الوحي كان يكتب
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على العسب والكرانيف (٣) .

ومما يتصل بهذا الكتابة على الخشب ، والخشب على أنواع أيضاً ، منه :
الرحل : قال زيد بن ثابت : فانبعت أجمع القرآن من الرقاع والأكتاف
والأقتاب ... (٤) . فالأقتاب : جمع قتب - بفتحتين أو بكسر فسكون -
وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

وقد روى لنا أيضاً أن المرقش بن سعد بن مالك كتب على رحل أبياتاً
من شعره (٥) . وقد استمر الرحل أداة من أدوات الكتابة في صدر الإسلام ،
فهذا سعد بن سعد بن مالك - وهو أنصاري شهد بدرأ - أوصى للنبي
صلى الله عليه وسلم فكتب وصيته في مؤخر رحله ، فأوصى له برحله وراحلته
 وخمسة أوسق من شعر ... (٦) .

بل لقد قال سعيد بن جبير (٧) : كنت أسمع من ابن عمر وابن عباس
الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي حتى أصبح فأنسخه .

(١) ديوانه : ١٢٠ .

(٢) القاموس (كرب ، وكرناف) .

(٣) الفائق ٢ : ١٥٠ .

(٤) مصاحف السجستاني : ٢٠ .

(٥) الفضليات : ٤٥٩ - ٤٦٠ ، والأغانى ٦ : ١٣٠ .

(٦) ابن سعد ٢/٣ : ١٥١ .

(٧) تقييد العلم : ١٠٢ .

وواضح من هذه الأخبار أن الرجل لم يكن أداة ثابتة من أدوات الكتابة ، إنما كان مما يضطر إليه المرء اضطراراً حين لا يجد غيره يكتب عليه .

ومن أنواع الخشب التي كانوا يكتبون عليها : الرسوم . وقد مر بنا أن الرسوم خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الطعام والأكداس في الجاهلية ^(١) . ومن أنواع الخشب التي كانوا أحياناً يكتبون عليها أو يخطون علامات تميزها : السهام ، وقد مر بنا خبر أبي سفيان حين أراد الخروج إلى أحد فامتنعت عليه رجاله فأخذ سهمين من سهامه ، فكتب على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا . ثم أجالهما عند هُبَل ، فخرج سهم الإنعام فاستجرهم بذلك ^(٢) .

وقد استمروا يكتبون أحياناً على هذا الضرب من الخشب بعد ذلك ، فالحكم بن عبدل الشاعر كان يكتب حاجته على عصاه ويبحث بها مع رسله فلا يجيبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ^(٣) .

وقد رأيت كلمة « ألواح » ترد في بعض ما جمعت من أخبار ، منها : ما ذكره عبيد الله بن أبي رافع قال : كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول : ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها ^(٤) .

ومنها ما قاله ابن أبي مليكة ^(٥) : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فيقول ابن عباس : اكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله .

(١) تاج المروس (رسم) .

(٢) الفائق ٣ : ١٩٠ .

(٣) الأغاني ٢ : ٤٠٤ .

(٤) تقييد المم : ٩١ - ٩٢ ، وانظر أيضاً ص : ١٠٩ .

(٥) الطبري ، التفسير ١ : ٣١ .

ولست أدري ما هذه الألواح ؟ أمن خشب هي ؟ أم من جلد ؟ أم أنها من عظم عريض ؟ أم لعلها من رصاص كما ذكر الفيروزبادي عن ألواح الرقيم (١) .

٥

العظام — وأشهر أنواع العظام التي كانوا يكتبون عليها : الكتف والأضلاع وكان يكتب عليها الوحي ، قال زيد بن ثابت (٢) « ... فجعلت أتبع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع ... » وقال زيد أيضاً (٣) : لما نزلت هذه الآية « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتف ، ودعاني ، وقال : اكتب ... ويروى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثقل دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : اثني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه (٤) .

وكان صحابة رسول الله يكتبون كذلك على الكتف ، قال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله (٥) : يا عبد الله اثني بالكتف التي كتبت فيها شأن الجدة بالأمس ... وعن هاني قال (٦) : كنت عند عثمان رضى الله تعالى عنه ، وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها : « لم يتسن » و « غامهل الكافرين » و « لا تبدل للخلق » . قال فدعا بالدواة

(١) القاموس (رقم)

(٢) أبو عمرو الداني ، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار (ط . الترقى بدمشق

١٩٤٠) ص : ٣ .

(٣) ابن سعد ١/٤ : ١٥٤ .

(٤) ابن سعد ١/٣ : ١٢٨ .

(٥) ابن سعد ١/٣ : ٢٤٦ و ٢٤٧ .

(٦) ابن فارس ، الصحاح : ١٠ .

فحما إحدى اللامين وكتب « لخلق الله » ، و« فأمهل » وكتب « فمهل » ،
وكتب « لم يتسنه » ألحق فيها هاء .

واستمروا أيضاً يكتبون في الكتف بعد ذلك بدهر : روى أن عمر بن
أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة إذ مرت بهما امرأة من
آل أبي سفيان ، فدعا عمر بكتف فكتب إليها شعراً^(١) . بل لقد بقي العظم
مادة من مواد الكتابة حتى العصر العباسي الأول - في النصف الأخير من
القرن الثاني الهجري - قال الشافعي^(٢) فكنت أجالس العلماء وأحفظ
الحديث أو المسألة ، وكان منزلنا بمكة في شعب الحَيْف ، وكنت أنظر إلى
العظم يلوح ، فأكتب فيه الحديث أو المسألة ، وكانت لنا جرة قديمة ،
فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة .

وقال الشافعي كذلك^(٣) : طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد ، كنت
أجالس العلماء وأتحفظ ، ثم انتهيت أن أدون ، وكان لنا منزل بقرب شعب
الحَيْف ، وكنت آخذ العظام والاكتاف فأكتب فيها ، حتى امتلأ في دارنا
من ذلك حُبَّان .

٦

الحجارة : وقد مضى لنا من القول في الكتابة والنقش على الحجارة
والصخور ما حسبنا أن نشر إليه هنا إشارة عابرة مذكرين به ، فقد فصلنا
فيه الكلام في موطين ، الأول : عند حديثنا عن نشأة الخط العربي
وتطوره ، والثاني : عند حديثنا عن موضوعات الكتابة . ونزيد على ما قدمنا

(١) الأغاني ٩ : ٢٤٠ .

(٢) ابن أبي حاتم ، آداب الشافعي ومناقبه : ٢٤ .

(٣) المصدر السابق : ٢٥ .

أن الكتابة والنقش على الحجر كانا يسميان : الوحي ، قال لبيد^(١) :
فَمَدَّافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوَحْيُ مِثْلَهَا
وقال زهير^(٢) :

لِمَنْ الدِّبَارُ غَشِيَتْهَا بِالْفَدْفِدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ
وقال أيضاً^(٣) :

لِمَنْ طَلَّلَ كَالْوَحْيِ عَافٍ مَنَازِلُهُ عَفَا الرَّؤْسُ مِنْهُ فَالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُهُ

وكانت آيات القرآن تكتب - على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - على حجارة رقيقة ، قال زيد بن ثابت حينما أمره أبو بكر أن يجمع القرآن^(٤) : فجعلت أتبعه من الرقاق والعشب واللخاف . واللخاف : حجارة بيض رفاق ، واحدته : لخرة ، بفتح اللام . قال ابن النديم^(٥) « والعرب تكتب في أكتاف الإبل ، واللخاف ، وهي الحجة الرقاق البيض ، وفي العشب عشب النخل » .

ومن تمام الحديث عن النقش على الحجارة أن نشير إلى النقش والكتابة على البناء . فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل الكعبة يوم الفتح حتى أمر بالزخرف فحى ، وأمر بالأصنام فكسرت - أراد النقوش والتصاوير^(٦) . وقد روى كذلك أن ابن الكلبي أخذ بعض علمه بأنساب

(١) شرح المعلقات للتبريزي : معلقة لبيد . الوحي (يضم الواو وتشديد الياء) جمع ، مفردا الوحي (بفتح الواو وسكون الحاء) وهو : الكتابة . السلام : الحجارة ، واحدتها : سلمة (بفتح السين وكسر اللام) .

(٢) ديوانه (ثعلب) : ٢٦٨ . الفدغد : الأرض المرتفعة المستوية . المخلد : المقيم .

(٣) ديوانه : ١٢٦ .

(٤) الفائق ٢ : ١٥٠ .

(٥) الفهرست : ٣١ .

(٦) الفائق ١ : ٥٢٥ .

العرب مما وجدته على جدران كنائس الحيرة^(١) ، مما سنقصّله في حديثنا عن تدوين الشعر الجاهلي في الباب الثاني . .

٧

الورق : وقد آثرنا أن نؤخر الحديث عن الورق ، وكان حقه التقديم ، وذلك لأن حديثنا عنه قد يطول ويتشعب . فن المعروف المتداول عند المعينين بمثل هذه الأبحاث أن الورق لم ينتشر استخدامه للكتابة إلا منذ أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، وذلك أن الجيوش الإسلامية انتصرت في سنة ١٣٣ هجرية (٧٥١ م) بقيادة والي سمرقند - على إخشيد فرغانة الذي كان يناصره ملك الصين . وقد أسر المسلمون عشرين ألف رجل فيهم صينيون كانوا يعرفون صناعة الورق . ويقال إن الصينيين عرفوا هذه الصناعة منذ مطلع القرن الثاني الميلادي . فأدخل هؤلاء الأسرى صناعة الورق إلى العالم الإسلامي بعد أسرهم بسنوات قليلة ، ثم انتشرت بعد ذلك هذه الصناعة حتى دخلت أوروبا بعد قرون^(٢) .

فهذه الرواية التاريخية إذن لا تشير إلا إلى صناعة الورق ، ونحن إذا سلمنا بصحتها - وليس عندنا ما يضعفها غير ما أورده ابن النديم من حديث عن الورق الخراساني يذكر فيه تاريخ معرفة العرب به ، وهو حديث يشتمل على هذه الرواية التاريخية ، ولكنه يذكر معها أقوالاً أخرى متناقضة تجعلنا نتوقف عن قبول أحدها ، قال^(٣) « فأما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ،

(١) الطبري ، تاريخ ٢ : ٣٧ .

(٢) انظر لذلك :

Dr. A. Grohmann, From The World of Arabic Papyri, Cairo 1952, P. 51.

وكذلك دائرة المعارف البريطانية مادة Paper

(٣) الفهرست : ٣١ .

ويقال إنه حدث أيام بنى أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل إنه قديم العمل ، وقيل إنه حديث ، وقيل إن صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني . . . » - نقول إن هذه الرواية التاريخية عن الورق الخراساني والصيني - على فرض صحتها - لا تشير إلا إلى صناعة الورق ، ولا تعني أن الورق لم يكن معروفاً قبل هذا التاريخ في بلاد العرب - وإن لم يكن يُصنع فيها . فإذا كانت بعض البلاد المجاورة للصين كالهند وجارتها بلاد فارس قد عرفت الورق الصيني - سواء أكانت صنعته في بلادها أم اجتلبته مصنوعاً من الصين - فليس ثمة ما يمنع أن يعرفه العرب في جاهليتهم ، وقد كانت صلاتهم التجارية وثيقة بفارس والهند بل بالصين نفسها . على أن هذا ليس فرضاً عقلياً مجرداً حسب بل إننا عثرنا على ما نستروح منه أنه يدعم هذا الفرض :

فابن النديم يذكر أنه رأى أوراقاً يحسبها من ورق الصين بخط يحيى ابن يعمر^(١) ، ويحيى بن يعمر توفي في سنة ٩٠ للهجرة ، وقد يكون كتب هذه الأوراق قبل وفاته بسنوات ، وبذلك يكون العرب قد عرفوا الورق الصيني - على ما يروى ابن النديم - قبل أسر هؤلاء الصينيين بنحو نصف قرن على الأقل .

وليس عندنا ما نزيده على ما قدمناه عن الورق الصيني ، وإن كان لنا حديث طويل عن الورق بعامة . فكلمة « الورق » ترد في الشعر الجاهلي وأخبار صدر الإسلام ، وقد ذهب بعضهم إلى أنها تعني الجلد الرقيق الذي يشبه في رفته ورق الشجر ، وليس عندنا ما يدعم هذا المذهب ، وهو في رأينا لا يعدو أن يكون استنتاجاً استنتجه من ذهب إليه بعد أن فرض أن العرب في جاهليتهم لم يعرفوا الورق . وهذا - كما نرى - فرض على فرض ، واستنتاج مبني على استنتاج .

وسأعرض بعض ما عثرت عليه من أخبار الصدر الأول ومن الشعر الجاهلي

فما فيه ذكر للورق ، وسأبدأ برواية تتصل بعهد عثمان بن عفان يُفَرَّق فيها بين الورق والأديم ، وبذلك يقوى ما ذكرناه آنفاً من أنهما شيان لا شيء واحد . وذلك أن عثمان بن عفان عزم على كل رجل معه من كتاب الله شيء أن يذهب به إليه « وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن ^(١) » .

وقال عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب ^(٢) « كنت أكتب المصاحف في عهد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستكتبني حفصة بنت عمر مصحفاً لها . . . فلما بلغت إليها حلت الورقة والدواة » . وسئل ابن الحنفية عن بيع المصاحف فقال ^(٣) « لا بأس إنما تبيع الورق » . وكان مطَّـر بن طهمان مولى عليّ بن أبي طالب يُعَرَّف بمطريّ الوراق ^(٤) . وقال أبو حبيدة إن المهلب قال لبنيه في وصيته ^(٥) « يا بني لا تقوموا في الأسواق إلا على زَرَّاد أو وَرَّاق » .

وهذه أحاديث قد تطول ، ولا غناء في سردها ، وأهمها عندنا هو الخبر الأول الذي فُرِّق فيه بين الورق والأديم ، وسنذكر ثلاثة شواهد فيها ما يقوى الخبر الأول في التفريق بين الجلد والورق . أما الأول فقول عبد الله بن عامر معاوية بن أبي سفيان حينما طلق هند بنت معاوية ، قال له ^(٦) : « فرأيت أن أردّها إليك لتزوّجها فتى من فتيانك كأن وجهه ورقة مصحف » . وأما الثاني فقول حسان بن ثابت ^(٧) :

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بالكَيْبِ كخَطِّ الوَحْيِ في الوراقِ القَشِيبِ

(١) المصاحف : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) المصاحف : ٨٦ .

(٣) المصاحف : ١٧٥ .

(٤) المصدر السابق : ١٧٧ ، وانظر ترجمة مطر في التلخيص ، وفي ابن سعد ٢ / ٧ / ٦٩ .

(٥) الجاحظ ، الحيوان ١ : ٥٢ .

(٦) نسب قریش : ١٤٩ .

(٧) ديوانه (مطبعة النيل ١٩٠٤) : ١١ .

والثالث قول أبي ذؤيب (١) :

فَتَمَنَّمْ فِي صُحُفٍ كَالرِّيَا ط فِيهِنَّ إِرْثُ كِتَابٍ مَجِي

فما نحسب أن ابن عامر كان يقصد إلى تشبيه وجه ذلك الفتى بالجلد ، وإلا لكان وجهاً صفيقاً متيناً!! ولكنه — في رأينا — قصد إلى أن ذلك الوجه في نضارته ورونقه وبهائه وصفائه ومائه ، وما شئت من هذه الأوصاف — يشبه الورقة ، ولا بد أن تكون هذه الورقة التي يشبه بها هذا الوجه فيها من هذه الصفات النضرة الصافية الرقيقة ما يصح معه التشبيه . ونرى كذلك في وصف حسان للورق بأنه « ورق قشيب » ، وتشبيه أبي ذؤيب الصحف بأنها « كالرياط » ما يتسق مع ما قدمناه عن قول ابن عامر .

فقد استقام عندنا إذن أن الورق في هذه الأمثلة كلها شيء آخر غير الجلد أو الأديم ، شيء أرق وأصنى ، فما عسى هذا الورق أن يكون ؟ إذا كنا ما زلنا في شك من أمر معرفة الجاهليين بالورق الصبني أو الخراساني بعد الذي قدمناه من حديث عنه ، فإننا نكاد نظن أن عرب الجاهلية قد عرفوا ورق البردى . فقد رُوي أن خالد بن الوليد كتب كتاب الأمان لأهل الشام في سنة ٦٣٥ م على القرطاس (٢) . ويسمى ابن النديم ورق البردى القرطاس المصري والطومار المصري (٣) . والقرطاس وارد في الشعر الجاهلي وأخبار الصحابة ، ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن المقصود بالقرطاس فيها كلها هو ورق البردى ، لأن من معاني القرطاس : قطعة من أديم تنصب للنضال فإذا أصابه الراي قيل : قرطس (٤) .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٦٤

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان (مصر) : ١٢٧ .

(٣) الفهرست : ٣١ .

(٤) القاموس واللسان (قرطس) .

فالقريطاس ، في رأينا ، كلمة عامة تطلق على كثير من مواد الكتابة ومنها ورق البردي . ولعل من الأمثلة التي يرد فيها القريطاس بمعنى ورق البردي خاصة قول طرفة يصف ناقته (١) :

وَحَدَّ كَقَرِطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٍّ كَسَبْتِ الْيَمَانِي قِدَهُ لَمْ يُجَرِّدِ

قال الأعلام في شرحه الديوان « وقوله : وخد كقريطاس الشامي ، شبه بياض خدّها ببياض القريطاس ، ويقال : أراد أنه عتيق لا شعرفيه ، وإنما قال : الشامي ، لأنهم نصارى أهل كتاب » . وقال أبو زيد القرشي (٢) : « شبه خدّها بالقريطاس وهو الورق من جهة الشام » .

ونحن نرجح أنه أراد بالقريطاس هنا ورق البردي - لا الجلد - لأنه ذكره في مقابل « السبت » وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ ، فحينما أراد تشبيه خدّها شبهه في نقائه وبياضه بالورق ، ثم شبه مشافرها بالجلد المدبوغ بالقرظ . ولعل من الأمثلة التي يرد فيها القريطاس بمعنى الورق ما ذكر من أن أبا بكر الصديق « كان جمع القرآن في قراطيس » .

فنحن نرجح إذن أن المقصود بالورق والقريطاس - في بعض أنواعه - ورق البردي . وحسبنا هذا القدر من الحديث عن الورق .

• • •

فها نحن نرى أن العرب لم يغادروا وسيلة يكتبون عليها إلا التمسوها ، سواء عندهم أن تكون قد أعدت للكتابة وأن تكون عارضة طارئة . فكتبوا على ورق البردي ، والحزير الناعم ، والقطن المصقول ، والجلد الرقيق ، وكتبوا على السعف والخشب والعظام والحجارة ، بل لقد كتبوا حين ألجأهم

(١) ديوانه ١٩ - ٢٠ . المشفر من البعير كالشفة من الإنسان . السبت : جلود البقر المدبوعة القد : ما قد من الجلد ، وهو هنا : النمل نفسها . وعص اليماني لأنهم ملوك ونعالم أحسن النعال .

(٢) جمهرة أشعار العرب : ١٧٧ .

الضرورة على أكفهم ونعالم ، قال سعيد بن جبير (١) « كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفتي حتى أملأها ، ثم أكتب في ظهر نعلي ، ثم أكتب في كفي » . وعن عبد الله بن حنش قال (٢) « رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء » . وقال معمر (٣) « إن الزهري ربما كتب الحديث في ظهر نعله مخافة أن يفوته » .

٨

ولقد كانت لهذه المواد المكتوبة أسماء عامة يطلقونها عليها ليدلوا على المكتوب وما كتب عليه معاً ، لا يخصصون بذلك نوعاً بعينه ، ولا يقصدون إلى ضرب منها بذاته . ومن أشهر هذه الألفاظ وأكثرها وروداً :

١ - الصحيفة : فنحن نعر على هذه الكلمة في القرآن الكريم ، وفي كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار صحابته رضوان الله عليهم ، وفي الشعر الجاهلي ، ولكننا لا نستطيع أن نصرفها إلى مادة بعينها من هذه المواد التي عددناها للكتابة ؛ وإنما هي لفظة قد تدل على أي من هذه الأنواع ، فقد تكون جلدأ أو قماشأ أو نباتأ أو حجراً أو عظماً أو ورقأ .

ففي القرآن الكريم وردت ثمانى مرات كلها بصيغة الجمع « صحف (٤) » . وأما ورود هذه الكلمة في كتب رسول الله والصحابة فيفوت الحصر ، ومن أمثله ما جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم « بين المؤمنين والمسلمين من قريش

(١) تقييد العلم : ١٠٢ .

(٢) تقييد العلم : ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ١٠٧ .

(٤) التكويد ١٠ ، الأعلى ١٨ ، ١٩ ، النجم ٣٦ ، عبس ١٣ ، طه ١٣٣ ، البينة ٢ ،

وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . فقد تكررت فيه كلمة الصحيفة سبع مرات كلها بلفظ الأفراد^(١) .
 وما وردت فيه من الشعر الجاهلي : أبيات لقيط^(٢) وأبي ذؤيب^(٣) وعلباء ابن أرثم^(٤) وقيس بن الخطيم^(٥) . وقد أشرنا إلى هذه الأبيات في مواطن سابقة .

٢- الكتاب : وهي لفظة قد تكون أعم من الصحيفة ، وأكثر منها شيوعاً فيما نقرأ ، إذ أنها مصدر كالكتابة ، ولكنها أطلقت على الشيء المكتوب حتى كادت لا تنصرف إلا إليه . وقد وردت في القرآن الكريم إحدى وستين ومائتي مرة ، إفراداً وجمعاً^(٦) . ووردت أيضاً في كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه ، وحسبنا أن نشير إلى الكتاب نفسه الذي ذكرناه منذ قليل والذي كتبه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود فقد وردت فيه كلمة « الكتاب » مرتين . واللفظة من الكثرة والشيوخ في كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار صحابه بما لا مجال لتتبعه والاستكثار بسرد أمثلته . أما في الشعر الجاهلي فقد جاءت في شعر لقيم بن أبي بن مقبل العامري قال^(٧) :

منهنَّ معروف آيات الكتاب وقد تعتاد تكذب ليلى ما تُمنِّينا
 وقال لقيط بن يعمر الإباضي^(٨) :

(١) الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ١ - ٧ .

(٢) الشعر والشعراء ١ : ١٥٢ .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٦٤ .

(٤) الأصمعيات : ٦٣ .

(٥) ديوانه : ١٩ .

(٦) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن من ص ٥٩٢ إلى ص ٥٩٥ .

(٧) جهرة أشعار العرب : ٣١٨ .

(٨) مختارات ابن الشجري : ٧ .

هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

لمن الدار أقفرت بالجناب غير نؤي ودمنة كالكتاب

وقال عدى بن زيد (٢) :

تعرف أمس من ليمس الطلل مثل الكتاب الدارس الأخول

وقال عدى أيضاً (٣) :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفع

وقال سلامة بن جندل (٤) :

لمن طلل مثل الكتاب المنقى خلا عهده بين الصليب فمطرق

وقال زهير (٥) :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

٣- الزبور : جمعها زبر . وقد يراد بها الكتاب الديني ، ولكنها تطلق أيضاً على غيره من الكتب ، فن الضرب الأول قول أمية :

وأبرزوا بصعيد مستو جرر وأنزل العرش والميزان والزبر

(١) مختارات ابن الشجري : ١٠٥ .

(٢) الأغاني ٢ : ١٥٣ .

(٣) شعراء النصرانية : ٤٧٢ .

(٤) ديوانه : ١٥ .

(٥) ديوانه (ثعلب) : ١٨ .

وقول امرئ القيس^(١) :

أَنْتَ حَجَجْتُ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحْتُ كَخَطِّ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانٍ

وقول عمرو بن أحر^(٢) :

أَمْ لَا تُزَالُ تُرَجِّى عَيْشَةً أَنْفًا لَمْ تُرَجَّ قَبْلُ وَلَمْ يُكْتَبْ بِهَا زُبُرٌ

ومن الضرب الثاني الذى لا إشارة فيه تخصصه بالكتاب الدينى وإنما يدل على مطلق الكتاب قول لبید^(٣) :

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا

وقول امرئ القيس^(٤) :

لَمِنْ طَلَلٍ أَبْصَرْتَهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ الزُّبُورِ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي

وقول لبید أيضاً^(٥) :

فَنِعَافٍ صَارَةً فَالْقَنَانِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ يُرْجَعُهَا وَلَيْدٌ يَمَانٍ

ومن الزبور اشتقوا الفعل : يزبر ، بمعنى : يكتب ، قال أبو ذؤيب^(٦) :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَاةِ يَزْبُرُهَا الْكَاتِبُ الْحِمَيْرِيُّ

وقد وردت الزبور فى القرآن الكريم فى تسعة مواطن^(٧) كلها بمعنى

(١) ديوانه : ١٢٥ .

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٣١٥ . أنف : بمعنى متأنفة .

(٣) شرح المعلقات للتبريزى : ١٣٤ .

(٤) ديوانه : ١٢٠ .

(٥) ديوانه ق ١٣ ب ٢ .

(٦) ديوان الهذليين ١ : ٦٤ .

(٧) الأنبياء ١٠٥ ، الإسراء ٥٥ ، النساء ١٦٣ ، الشراء ١٩٦ ، القمر ٤٣ ، ٥٢ ،

النحل ٤٤ ، آل عمران ١٨٤ ، فاطر ٢٥ .

الكتاب الديني ، وجاءت في موطنين منها خاصة بكتاب داود (١) ، وكان ورودها لإفراداً وجمعاً .

٩

ذلك ما يُكْتَب عليه ، أما ما يكتب به فسيُورد حديثنا عنه على ثلاثة أمور : القلم ، والدواة ، والحبر .

١ - القلم : فالقلم حديثه طويل ، ولو أوردنا ما ذكره ابن قتيبة وابن النديم والصول وابن السيد البطليوسي والقلقشندي في وصفه وأنواعه للملأنا صفحات ، ونكون بذلك قد انحرفنا عن النهج الذي خططناه لأنفسنا منذ بدء هذا البحث ، واتكأنا على غيرنا حيث كان يجدر بنا ألا نتكئ إلا على استقصائنا وجده . فنحن إنما نؤرخ العصر الجاهلي ، وما كتبه هذه الكتب العربية عن مواد الكتابة عام لا يحدّه عصر ، مطلق لا يقيدّه زمن ، وهو منصبٌ على ما عرفوه من العصور الإسلامية . ومن الإخلال بمنهجنا أن نسجبه على العصر الجاهلي . ولذلك لم نورد فيما مضى من الحديث ، ولن نورد فيما سيستقبلنا منه ، إلا ما استنبطنا من الشعر الجاهلي ، أو من أحاديث الرسول وأخبار الصحابة ؛ وبذلك تضيق علينا رقعة البحث ، ونقل بين أيدينا مادته ، وقد تنقطع بنا المسالك ، ولكن هذا هو بحثنا ، وتلك هي طبيعته ، فلا معدى لنا عن أن نتقيد بهما .

والقلم في الجاهلية كما تصفه هذه النصوص مصنوع من القصب يُقَطُّ ويقلم أو يُبرَى ثم يغمس في مداد الدواة ويكتب به . وقد مر بنا قول عبد الله

ابن حنش^(١) « رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء » . وأكبر ظني أنهم كانوا يستخدمون ضرباً آخر من الأقلام يكتبون به - دون حبر - حينما تلجئهم الحاجة إلى أن يسجلوا بعض شؤونهم في عجلة من أمرهم ، ودون أن يعدوا للأمر عدته ، فالشاعر الجاهلي الذي كان يحتضر فلم يجد وسيلة للكتابة إلا أن يتخذ من رحل قاتله صحيفة يكتب عليها ما كان يريد^(٢) ، والصحابي الذي أوصى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب وصيته في مؤخر رحله^(٣) ، والتابعي الذي كان يسمع الحديث من بعض الصحابة في الليل فيكتبه في واسطة رحله حتى يصبح فينسخه^(٤) - هؤلاء جميعاً لم يكونوا مُعِدِّين للكتابة أمرها ، ولم يكونوا متخذين لها أسبابها ، وليس مما يقبله العقل أن يكونوا في مثل أحوالهم تلك يحملون معهم قصبهم المقطوط المبرى ودُوِيَّهم الملائى بالمداد ، وإنما كانوا - فيما أرجح - يكتبون بمادة ترك لوناً أو أثرها على الرحل ، ولعلها مادة طباشيرية ، أو فحمية أو رصاصية ، وقد أشارت إحدى الروايات إلى أن قيسبة بن كلثوم السكوني كتب على خشبة رحل أبي الطمحان القيني بسكين^(٥) . وكذلك الشأن فيمن كانوا يكتبون على الحجارة ، فقد كانوا ينقشون عليها نقشاً ، ويستخدمون في نقشهم مواد صلبة ينحتون بها وينقشون .

وقد ورد ذكر القلم ، مفرداً وجمعاً ، بهذا المعنى الذي نقصده ، ثلاث مرات في القرآن الكريم^(٦) . وورد ذكره كذلك في الشعر الجاهلي . قال عدى ابن زيد^(٧) :

لَهُ عُنُقٌ مِثْلُ جَذْعِ السَّحْوِ فِي الْأُذُنِ مُصْعَنَةٌ كَالْقَلَمِ

(١) تقييد العلم : ١٠٥ .

(٢) المفضليات : ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٣) ابن سعد ٣/٣ : ١٥١ .

(٤) تقييد العلم : ١٠٢ .

(٥) الأغاني ١١ : ١٣١ .

(٦) العلق : ٤ ، القلم : ١ ، لقمان : ٢٧ .

(٧) سبط الكلى : ٨٧٦ . السحوق من النخل : الطويلة . مصعنة : منصوبة محددة .

وقال عدى أيضاً (١) :

ما تبين العين من آياتها غير نؤي مثل خط بالقلم
وقال الزبرقان بن بدر (٢) :

هم يَهْلِكُونَ ويبقى بعد ما صنعوا كأن آثارهم حُطَّت بأقلام

وقد مرت بنا أبيات : أمية بن أبي الصلت (٣) ، والمرقس (٤) ، وشُتيم
ابن خويلد (٥) ، ولييد (٦) ، وفيها كلها ذكر القلم .

وربما سمي القلم : مِزْبَرًا . فقد روى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه
دعا في مرضه بدواة ومزبر ، فكتب اسم الخليفة بعده (٧) . قال الزخشرى :
المزبر هو القلم ؛ وأنشد الأصمعى :

• قد قُضِيَ الأمرُ وجفَّ المِزْبَرُ •

٢ - الدواة والمداد : وقد ورد ذكرهما كذلك في الشعر الجاهلى ، قال
عبد الله بن عَنَمَة (٨) :

فلم يَبْقَ إِلَّا دِمْنَةٌ وَمِزَازٌ كما رُدَّ في خطِّ الدواة مِدَادُهَا

وقد مر بنا بيتان لأبي ذؤيب (٩) ولسلامة بن جندل (١٠) فيهما ذكر

(١) الأغاني ٢ : ١١٩ .

(٢) البيان والتبيين ٣ : ١٧٩ .

(٣) ابن هشام ١ : ٤٨ .

(٤) معجم المرزبانى : ٢٠١ ، والأغاني ٦ : ١٢٧ .

(٥) النقاظ : ١٠٦ .

(٦) شرح المعلقات للتبريزى : ١٢٨ .

(٧) الفائق ١ : ٥٢٢ .

(٨) الفضليات : ٧٤٣ .

(٩) ديوان الهذليين ١ : ٦٤ .

(١٠) ديوانه : ١٥ .

الدواة . وكانوا أيضاً يسمون المداد « نِقْساً » ، قال حميد بن ثور^(١) :

لِمَن الدِّيارُ بجانبِ الحُبْسِ كَخَطِّ ذِي الحاجاتِ بالنَّقْسِ

وكانوا أحياناً يمحون المكتوب بالمداد حين تنقضي حاجتهم منه ، ثم يستخدمون الصحيفة لكتابة شأن آخر من شؤونهم . ويسمون هذه الصحيفة التي يكتبون فيها ثم يمحونها ثم يكتبون فيها « طرساً »^(٢) . وكانوا ربما محوا المداد بغسله بالماء ، فقد كان عبد الله بن مسعود إذا عرف أن في مجلسه من يكتب حديثه يدعو بالكتاب ويلجأه من ماء فيغسله^(٣) . وكذلك كان يفعل أبو موسى الأشعري^(٤) . وقد مر بنا قول عمر للرجل الذي كتب كتاب دانيال^(٥) :
« انطلق فاعمه بالحميم والصوف الأبيض » .

١٠

وصف الخط في الجاهلية :

وقد كدت أجعل عنوان هذا الجزء من البحث « أنواع الخط في الجاهلية » . ولكن أننى لنا أن نعرف أنواع هذا الخط ، والأمر في أخبار الجاهلية على ما ذكرنا في غير موطن من هذا الفصل ؟ أما ما ذكره ابن مقلة ونقله عنه ابن النديم^(٦) وابن السيد البطليوسي^(٧) من أنواع الخطوط ووصف الأقلام فلا يرقى إلى

(١) ديوانه : ٩٧ .

(٢) القاموس وإساس البلاغة (طرس) ، والاقتضاب : ٩٣ ، والفائق ٢ : ٨١ .

(٣) تقييد العلم : ٣٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ .

(٤) المصدر السابق : ٤٠ .

(٥) المصدر السابق : ٥١ .

(٦) الفهرست : ٦ - ٧ .

(٧) الاقتضاب : ٨٧ - ٩٠ .

الجاهلية ، والقليل منه لا يعلمو أن يكون إشارة عابرة إلى الخط في العصر الأموي ؛ وإنما جُلَّ الحديث كان عن العصر العباسي . فلا معدى إذن عن أن أقصر عنوان هذا الجزء من البحث على « وصف الخط في الجاهلية » ، ولا معدى كذلك عن أن أعود إلى النهج الذي سلكته من قبل وهو استنطاق الشعر الجاهلي وأخبار صدر الإسلام .

ولقد وجدت مما بين يديّ من نصوص وروايات أن عرب الجاهلية كانوا يفتشون في خطوطهم وكتاباتهم ، ويحبرونها ويذهبون فيها مذاهب من التجويد والإتقان . وكان هذا الخط المحجود المحبر المتقن يوصف بالترقيش والتمنمة والرقم والوشم والتنميق . وقد أشرنا من قبل إلى بيت أبي ذؤيب الذي يصف فيه الكتابة فتبدو كأنما بلغت شأواً بعيداً في الزينة والجمال حتى شبهها في رقمه ووشمها بالعروس التي استكملت زينتها وبهاءها واستخفها الحسن والعجب ^(١) . وأشرنا كذلك إلى أبيات للأخنس بن شهاب التغلبي ^(٢) ، وحاتم الطائي ^(٣) ، وسلامة بن جندل ^(٤) يصفون فيها الكتابة بالترقيش والتمنمة والتنميق .

وما يدخل في هذا الباب الإشارة إلى مهارة الكاتب وإجادته الخط وتعوده الكتابة ، قال لبید ^(٥) :

مَتَعَوَّدٌ لَحِنْ يُعِيدُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبٍ ذُبُلْنَ وَبَانِ

وقال معاوية بن مالك بن جعفر ^(٦) :

فَإِنَّ لَهَا مَنَازِلَ خَاوِيَاتٍ عَلَى نَمَلٍ وَقَفْتُ بِهَا الرُّكَابَا

(١) ديوان الهذليين ١ : ٦٤ - ٦٥ .

(٢) المؤتلف والمختلف : ٢٧ .

(٣) ديوانه : ٢٣ .

(٤) ديوانه : ١٥ .

(٥) ديوانه : ق ١٦ ب ٢ .

(٦) المفضليات ٢ : ١٥٧ .

من الأجزاء أسفل من نُمِيلٍ كما رَجَعْتَ بالقلم الكتابا
كتاباً مُجَبَّرٌ هاجٍ بصيرٍ يُنْقِصُهُ وحاذِرٌ أَنْ يُعَابَا

وكان من جملة ما يتصف به هذا الخط المتقن استواءُ سطوره وتناسقُ كلماته وحروفه ، ومن هنا جاء التشبيه به في الاستقامة والاستواء ، فقد ورد في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُسَوِّي الصفوف حتى يدعها مثل القيدح أو الرقيم^(١) ؛ والرقيم هو الكتاب المرقوم ؛ أى كان يفعل في تسوية الصفوف ما يفعل السهام في تقويم قداحه ، أو الكاتب في تسوية سطوره .

وهذا الضرب من الكتابة المحبودة التي يتأنق فيها الكاتب ويخود هي التي رجحنا في أول هذا الفصل أنها كانت مُعْجَمَةً منقوطة .

وأما الضرب الثاني من الخط فهو الذي يكتبه الكاتب ، وهو في عجلة من أمره لا يتأنى ولا يتأنق ، وإنما يخط حروفاً وكلمات ليس فيها أثر من جمال ولا من زينة . وهذا الخط يكون في الغالب غفلاً من النقط والإعجام . وقد عثرتُ على لفظتين كانتا تدلان على هذا الضرب من الخط الغفل غير المتقن ، أولاهما التعريض ، وقد وردت في بيت للشماخ^(٢) .

كما خَطَّ عِبْرَانِيَّةً بِيَمِينِهِ بَتَيْمَاءَ حَبْرٌ ثُمَّ عَرَّضَ أَسْطُرَا

وتعريض الخط - كما في المعاجم - تشبيجه وتعميته وترك تبين حروفه وعدم تقويمه . واللفظة الثانية التي تدل على هذا الضرب من الخط الغفل السريع الذي لا إتقان فيه هي : المَشْشَق . وقد وردت في أخبار عن رجال الصلر الأول ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال^(٣) : « شرّ الكتابة

(١) الفائق : ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) ديوانه : ٢٦ ، وديوان زهير (ثعلب) : ٥ .

(٣) الصول ، أدب الكتاب : ٥٦ .

المشق، وشرّ القراءة الهذيمة . . وروى ابن سيرين أنه كره أن تكتب المصاحف مشقاً ، فلما قيل له : لم كره ذلك ؟ قال « لأن فيه نقصاً ، ألا ترى الألف كيف يفرقها ينبغي أن ترد ! »^(١) وذكر ابن السيد البطليوسي أن أهل الأنبار كانوا « يكتبون المشق ، وهو خط فيه خفة . . . ، ولأهل الحيرة خط الجزم وهو خط المصاحف ، ونخط أهل الشام : الجليل »^(٢) وقال أيضاً^(٣) : « فإذا أمد الحروف قيل : مشق مشقاً ويقال : المشق سرعة الكتابة وسرعة الطعن . . وكذلك جاء في المعاجم أن المشق : سرعة الكتابة وفسادها . وهذا الخط المعرض أو المشق هو الخربشة ، قال زيد بن أوزم الطائي : سمعت ابن دؤاد يقول : كان كتاب سفيان مخربشاً^(٤) .

(١) السجستاني ، المصاحف : ١٣٤ .

(٢) الاقتضاب : ٨٩ .

(٣) المصدر السابق : ٩٤ .

(٤) اللسان (خربش) .

الباب الثاني

كتابة الشعر الجاهلي وتدوينه

الفصل الأول

كتابة الشعر الجاهلي

١

فإذا صح ما ذهبنا إليه في بحثنا في الباب السابق - ونرجو أن يكون في جملة صحيحاً - فإن من الطبيعي أن نستنبط منه ثلاث نتائج ، ذكرناها في مواضعها ، ونجمعها الآن لنقدم بها بين يدي هذا الفصل .

الأولى : قِدَمُ الكتابة في بلاد العرب ، فقد استبان لنا بالدليل المادي الملموس ، المتمثل في النقوش الحجرية المكتشفة ، أن عرب الجاهلية قد عرفوا الكتابة بالحروف العربية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي : وكتبوا بهذا الخط العربي ثلاثة قرون قبل الإسلام على أقل تقدير .

والثانية : معرفة عرب الجاهلية بالكتابة معرفة فيها شيء من الانتشار يُبْعِدُ عنهم ما وُصِّمُوا به من الجهل بها ، وقد دللنا على ذلك بوفرة من النصوص والروايات تنبئ عن النشاط التعليمي في الجاهلية ، وقيام « الكُتَّاب » أو « المكتب » آنذاك ، وتوافر عدد المعلمين الذين كانوا يعلمون الكتابة ، وذلك كله في البيئات المتحضرة مثل : مكة والمدينة والطائف والحيرة والأنبار .

والثالثة : اتساع ميدان الكتابة وتشعب موضوعاتها ، فذكرنا ضروباً عادة من الموضوعات التي كانوا يقيّدونها بالكتابة ، وأثبتنا وصفاً لأدوات الكتابة وآلاتها وأوصاف الخط الجاهلي . وكان عمادنا في كل ما ذكرنا : النقوش الحجرية ، والشعر الجاهلي ، والروايات والنصوص الجاهلية . وبعض الروايات والنصوص الإسلامية التي تنسحب في دلالاتها وإشاراتها على العصر الجاهلي .

وقد انتهى بنا بحثنا المتقدم إلى أن عرب الجاهلية قد عرفوا من الكتابة

صورتها الساذجة اليسيرة حين كتبوا رسائلهم ، وصكوك حسابهم وعهودهم ومواثيقهم ، ونقشوا خواتمهم وشواهد قبورهم . وهذه كلها لا تتجاوز في حجمها صحيفة واحدة قد تنقص قليلاً أو تزيد قليلاً . وقد عرفوا أيضاً من الكتابة صورة أرقى من هذه الصورة الساذجة ، وأكبر حجماً ، وأشد تعقيداً ، وهى التدوين . والفرق بين الصورتين - لغة واصطلاحاً - واضح ، إذ أن الأولى لا تعنى أكثر من مجرد التقييد العابر لما يعرض من شئون الحياة ، ولكن التدوين إنما يعنى جمع الصحف وضم بعضها إلى بعض حتى يكون لنا منها ديوان - وهو مجتمع الصحف . ولا بد للتدوين من أن يكون عملاً مقصوداً متعمداً يرمى إلى هذه الغاية ، لا عملاً عابراً عارضاً . ولم نذكر في الفصل السابق من أمثلة هذا التدوين إلا مثلاً واحداً هو الكتب الدينية .

وهدفنا في هذا الفصل تخصيص الحديث بكتابة الشعر الجاهلى منذ أول عهدها الذى استطعنا أن نكشف عنه ، ثم نمضى بها حتى نصلها بتدوين هذا الشعر الجاهلى الذى وصل إلينا فى هذا العصر والذى جمعه الرواة العلماء فى أواخر القرن الثانى للهجرة .

٢

وموضوع كتابة الشعر الجاهلى - كموضوع الكتابة عامة - ذو شقين ، الأول : الكتابة الضيقة التى لا تعدو مجرد التقييد ، والثانى : الكتابة الواسعة التى تتجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة التدوين . وقد رأينا أن نبدأ بالحديث عن تقييد الشعر الجاهلى ، ونؤخر الحديث عن تدوينه إلى أن نضعه فى مكانه المناسب له من حديثنا عن أوائل التدوين وتأليف الكتب فى الجاهلية وصدر الإسلام . ويبدو لنا أن الأدلة على تقييد الشعر فى الجاهلية يصح أن تُقسّم ضربين ؛ الضرب الأول : أدلة عقلية استنباطية ؛ والثانى : أدلة صريحة مباشرة .

أما الأدلة العقلية الاستنباطية فجماعتها في أربعة أمور :

الأول : هو هذا الذى قلعناه في الفصل السابق ، وتجشمتنا مشقة الخوض فيه وبيانه والكشف عن أجزائه وتفاصيله . ولم نكن لتركب هذا المركب لمثل هذا البحث لولم نرمِ إلى أن نتخذ منه مُتَّكاً نعتمد عليه في بحث كتابة الشعر الجاهلى بمخاصة . وذلك أن عرب الجاهلية هؤلاء الذين كانوا يقيدون بالكتابة دينهم ورسائلهم وعهودهم وصكوك حسابهم وسائر ما قلعناه في بحثنا عن موضوعات كتابتهم — لا يصح في الفهم أن يقيدوا كل ذلك من أمورهم : دقيقها وجليلها ، صغيرها وكبيرها ، حقيرها وعظيمها — ثم يحملوا تقييد شعرهم . والشعر عندهم كما هو معروف متداول ، في الذروة العليا من القيمة والخطر ، إذ هو ديوان أعجادهم وأحسابهم ، وبجل مفاخرهم ومآثرهم ، قال الجاحظ ^(١) : « . . . فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال . وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها » . وقال ابن قتيبة ^(٢) عن الشعر إن الله جعله لعلوم العرب مستودعاً ، ولآدابها حافظاً ، ولأنسابها مقيداً ، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الزمان .

فلذا كانت القبائل تقيّد عهودها ومواثيقها — كما مر بنا — أفليس من الطبيعي إذن أن تقيّد شعر شعرائها الذين يدافعون به عن حياتها ، وينودون به عن أعجادهما ، ويسجلون به وقائعها وأيامها ، ويعتدون فيه انتصاراتها ومآثرها ؟ ونحن نعلم أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنتها بذلك ، وصنعت الأطلعة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ^(٣) .

(١) الحيوان ١ : ٧١ - ٧٢ .

(٢) تأويل مشكل القرآن : ١٤ .

(٣) ابن رشيّق ، العمدة ١ : ٤٩ .

وقد قال الأعشى يخاطب قومه وبينهم لم فضله عليهم^(١) :

وَأَذْفَعُ عَنْ أَغْرَاضِكُمْ وَأَعِيرُكُمْ لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مِلْحَجًا

وبلغ من عناية القبائل بالشعر أن بنى تغلب كانوا يعظمون قصيدة عمرو ابن كلثوم المعلقة ، وكان يروونها صغارهم وكبارهم حتى هُجُوا بذلك ، فقال بعض شعراء بكر بن وائل^(٢) :

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةُ قَالِهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ
يَرَوُونَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ بِالرِّجَالِ لِشَعْرِ غَيْرِ مَسْثُومٍ

ومن أبين ما يدل على خطر الشعر عند القوم آنذاك ما ذكره أبو عبيدة قال^(٣) : كان الرجل من أنف الناقة إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى قريع . فإما هو إلا أن قال الخطيئة :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّ بِأَنْفِ النَّاqَةِ الذَّنْبَا ؟

فصار الرجل منهم إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بنى أنف الناقة . وكما كانت القبائل حريصة على تسجيل مفاخرها في شعر شعرائها كانت كذلك حريصة على أن تتجنب ذم شعراء القبائل الأخرى وهجاءهم . وهل أبلغ في الدلالة على خشيتهم الهجاء وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب وَيُسَبَّبَ به الأحياء والأموات — من أنهم كانوا إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا لسانه بِنِيسْغَةٍ كيلا يهجوهم ، كما صنعت بنو تميم بعد يفتوح ابن وقاص الحارثي حين أُسِرَ يوم الكُلاب ، فقال في ذلك عبد يفتوح^(٤) :

(١) ديوانه : ق ١٤ ب ٣١ . الملحق : القاطع .

(٢) الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٥٤ .

(٣) البيان والبيان ٤ : ٣٨ .

(٤) البيان والبيان ٤ : ٤٥ ، وانظر تفصيل أثر الشعر في القبائل والأفراد في المصدر

نفسه ج ٤ من ص ٣٥ إلى ص ٤٨ .

أَقُولُ ، وقد شَلُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمْعَشَرَ نَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا

ذلك هو شأن القبائل . أما الأفراد فلا يقولون في هذا عن قبائلهم . فإن هذا الملك أو السيد أو الشريف أو الثرى الذى كان يقيد صك حسابه ، ويقيد قسوط جوائزه وعطاياه ، ويكتب الرسائل فى شتى شؤونه — أيعقل أنه كان يغفل عن أن يولى الشعر الذى يمدح به مثل هذه العناية ؟ وقد كانت عناية المملوح بمدح الشاعر تتمثل فى هذه الهبات السخية من الإبل والملابس والحلى والقيبان التى كان يهبها المملوح للشاعر ، لأنه بمدحه يذيع اسمه فى العرب ، ويُعلي من قدره بينهم ، ويخلد ذكره على مر السنين . فكان المملوح حريصاً أشد الحرص على مدح الشاعر ، يجهد فى إرضائه بما يقدمه إليه من عطايا ، ويتكلف لذلك فوق ما فى وسعه ، حتى إذا أعبته الحيلة ولم يجد وسيلة إلى إرضاء الشاعر بات كثيراً يخشى مغبة الهجاء ، وهذا مخارق بن شهاب سيد بنى مازن، أتاه محرز بن المُكَعْبِير العنبري الشاعر فقال : إن بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسع لى فيها . فقال مخارق : وكيف وأنت جار وِرْدَان ابن مَحْرَمَة ؟ فلما ولى عنه محرز محزوناً بكى مخارق حتى بلّ لحيته، فقالت له ابنته : ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكى ، واستغاثنى شاعر من شعراء العرب ولم أغثه ؟ والله لئن هجانى ليفضحنى قوله ، ولئن كف عني ليقتلنى شكره ! ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردت عليه إبله (١) .

ولقى الزبرقان بن بدر الخطيئة فطمع فى أن يصفيه مدائحه فسيّره إلى زوجته ، أو أمه ، وكتب إليها أن تكرمه وتحسن إليه . ولكن بغيفض بن عامر — وكان ينازع الزبرقان الشرف — مازال يسعى حتى استمال إليه الخطيئة، فارتحل إليه ، فضرب له بغيفض وإخوته قبة ، وربطوا بكل طنّب من أطناها حلة

هَجَرِيَّة ، وأراحوا عليه إبلهم ، وأكثروا عليه التمر واللبن . فلما قدم الزبرقان ولم يجده وعلم بقصته ، نادى فى قومه ، وركب فرسه وأخذ رجه ، وسار حتى وقف على بغيض وقومه ، وطلب منهم رد الشاعر ، وكاد أن يقع بين الحيين حرب . كل ذلك إكراماً للشاعر وطمعاً فى مدحه ونحوها من هجائه^(١) .

فلذا كان أمر الشعر بهذا الخطر للممدوحين ، فهل كان ملوك الحيرة ، وملوك غسان ، وأشراف المدينة والطائف وساداتها وأثرياءها ، وسادات نجران واليمن ، هل كان كل أولئك لا يقيّدون ما يمدّحون به من الشعر مع أنهم كانوا يقيّدون سائر أمورهم ؟

ورب معترض يقول : فما بال الشعر القديم فى جاهلية الأمم الأخرى لم يكن مكتوباً - فيما يقال - ثم نفرض أن العرب فى جاهليتهم قد كتبوه ؟ وما أيسر الإجابة عن هذا الاعتراض ! فنحن إنما قلنا ما قلنا فى الفصل الأول من هذا البحث لندل على أن جاهلية العرب تختلف اختلافاً واسعاً عن جاهلية الأمم الأخرى . فجاهلية تلك الأمم إنما هى الطور البدائى الساذج من حياتهم قبل أن ينتقلوا إلى طور حضاراتهم . فى ذلك الطور البدائى كان من الطبيعى ألا يكتبوا شعرهم لأنهم لم يكونوا يعرفون من صور الكتابة ما يعينهم على تقييد أمورهم ؛ وأما جاهلية العرب فيغنيها عن إعادة القول فيها ما قدمناه من تبيان معرفتها بالكتابة معرفة قديمة العهد ، فيها شئ من الانتشار وتعدد الموضوعات والأدوات . ولذلك نعجب لقوم تكون معرفتهم بالكتابة هذه المعرفة التى بسطنا فيها القول ثم لا يقيّدون شعرهم . ونحن إنما نتحدث عن تقييد بعض الشعر لا كله ، حتى يستقيم لنا الاستنتاج والاستنباط ؛ ونقصد بالتقييد - كما قلنا - مجرد الإثبات بالكتابة لأبيات أو قصائد متفرقة من الشعر ، ولا نعرض الآن لذكر التدوين الشامل المقصود ، فلذلك مجاله بعد صفحات من هذا الباب .

الثاني : أما الدليل الثاني من هذه الأدلة العقلية الاستنباطية فتصل أوثق الاتصال بالدليل الأول . فإذا كان الشعر المسجل لمفاخر القبائل ومحامد الأفراد له خطره وقيمته عند القبائل والأفراد الممدوحين ، فقد كان له من الخطر والقيمة عند الشعراء المادحين أنفسهم ما يضارع ما كان له عند الممدوحين أو يزيد . فقد كان هذا الشعر عند غير المتكسبين بالمدح واجباً قومياً تفرضه على الشاعر طبيعة ارتباطه بقبيلته ، أو واجباً أخلاقياً تمليه عليه مآثر سلفت من صاحبها لقبيلة الشاعر أو للشاعر نفسه . وأما المتكسبون بالشعر فقد كان هذا الشعر مورداً من موارد ارتزاقهم ، أو لعله هو المورد الوحيد لرزقهم . فكان الشاعر منهم يكثر التجوال والتطواف ، ويقطع على ظهر ناقته الآماد الواسعة يستسهل طي المقاوز ، ويستعذب تحمل المشاق والأهوال في سبيل وصوله إلى ممدوحه الذي سيجزيه عما تعشم وتكلف ، ويقضى حاجته ، ويكفيه رزقه . أليس عجيباً بعد ذلك ألا يُعْنَى الشاعر ، وهذه قيمة الشعر عنده ، بأن تحفظ الكتابة شعره أو بعضه ؟ وسيشند العجب إذا علمنا أن بعض الشعراء لم يكونوا في حاجة إلى أن يتلمسوا الوسائل البعيدة لكتابة شعرهم ويتطلبوا من يكتبه لهم لأنهم كانوا هم أنفسهم يحسنون الكتابة ويتقنونها . على أنه كانت ثمة دواع تضطر حتى من لا يعرف الكتابة من الشعراء ، إلى أن يستكتب من يعرفها ، ومن أنصع الإشارات إلى ذلك ما ذكره ابن الأعرابي قال (١) : بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب ، فكتب إليه :

أَلَا أَبْلُغُ النَّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَمَدْحُكَ حَوْلِي وَذَمُّكَ قَارِحُ

(١) الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٥٨ .

مَنْ تَلَقَّى فِي تَغْلِبِ ابْنَةِ وائِلٍ وَأَشْيَاعِهَا تَرْقَى إِلَيْكَ الْمَسَالِحُ

فلذا كان هذا شأن من لا يعرف الكتابة من الشعراء ، فما ظنك بمن كان هو نفسه كاتباً ؟

وحسبنا أن نعرض أسماء من عثرنا عليهم من شعراء الجاهلية ممن كانوا يكتبون ، على أن نشير إلى أن إغفال النص على معرفة غيرهم بالكتابة لا يعني أن هؤلاء الذين لم ينص على علمهم بالكتابة كانوا جميعاً يجهلونّها .

فمنهم عدى بن زيد العبادي : الذي طرحه أبوه - حين أيفع - في الكتّاب ، حتى إذا حلق الخط العربي أرسله إلى كتّاب الفارسية ، فصار أفصح الناس وأكثبهم بالعربية والفارسية ، ثم انتقل إلى بلاط فارس فأصبح كاتباً بالعربية ومترجماً في ديوان كسرى^(١) .

ومن الشعراء الذين كانوا كتاباً بالعربية ومترجمين في بلاط فارس : لقيط ابن يعمر الإيادي^(٢) . وهو الذي أرسل إلى قومه ينذرهم بعزم كسرى على قتالهم ، وصحيفته في ذلك مشهورة ابتدأها بقوله :

سَلَامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيْطٍ إِلَى مَنْ بِالْجَزِيرَةِ مِنْ إِيَادٍ وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ :

هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمِنْ سَمِعَا
وهي قصيدة طويلة تزيد على الخمسين بيتاً .

ومن الشعراء الذين تعلموا الخط والكتابة في مدارس الحيرة : المرقش وأخوه حرّملة ، وكان أبوهما سعد بن مالك وضع مرقشاً وأخاه - وهما أحب بنيه إليه -

(١) الأغاني ٢ : ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) مختارات ابن الشجري (المطبعة العامرة سنة ١٣٠٦ هـ) ص ٢ - ٧ ، وانظر أيضاً

ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١ : ١٥٢ ، والأغاني (سامي) ٢٠ : ٢٤ .

عند رجل من أهل الحيرة ، فعلمهما الخط والكتابة^(١) .

ومن شعراء المدينة الذين كانوا يكتبون : سويد بن صامت الأوسى^(٢) ،
وعبد الله بن رَوَاحَة^(٣) ، وكعب بن مالك الأنصارى وقد كتب شعراً في يوم
أحد ذكر فيه أسماء النقباء وأرسله إلى أبي سفيان بن حرب وأبي بن خلف
الجمحي يرد عليهما^(٤) .

ومن الشعراء الكتاب كذلك : الربيع بن زياد العبسي ، وكان هو وإخوته
من الكمّلة ، وقد مر بنا أن من صفات الكامل في الجاهلية أن يحسن الكتابة ،
وقد كتب الربيع بن زياد إلى النعمان بأبيات يعتذر إليه فيها^(٥) .

ومن هؤلاء الشعراء الكتاب : الزبرقان بن بدر^(٦) ، والنابعة الذبياني ،
وقد كتب قصائد أرسلها إلى النعمان يعتذر إليه بها ويحلف له : أنه
ما فرط منه ذنب^(٧) .

ومنهم كعب بن زهير بن أبي سلمى وأخوه بُجَيْر بن زهير ، وقد كتب إلى
بجير شعراً يلومه فيه على إسلامه^(٨) ، فكتب إليه بجير ينذره ويعلمه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قد قتل بالمدينة كعب بن الأشرف^(٩) .

ومن هؤلاء الشعراء الكتاب : لبيد بن ربيعة العامري ، وقد كان عمر بن
الخطاب أرسل إليه يطلب منه أن يكتب له ما قاله في الإسلام من الشعر ،
فانطلق لبيد إلى بيته فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها فقال : أبدلني
الله هذه في الإسلام مكان الشعر^(١٠) . وقد كان من الناس من يكتب إلى لبيد

(١) المفضليات : ٤٥٩ - ٤٦٠ ، وانظر الأغاني ٦ : ١٣٠ .

(٢) الأغاني ٣ : ٢٥ .

(٣) ابن سعد ٢/٣ : ٧٩ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر : ٢٧١ - ٢٧٤ .

(٥) الأغاني ١٦ : ٢٢ - ٢٣ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٣٦ ، وشرح شواهد المفتي : ٦٨ .

(٦) الأغاني ٢ : ١٨٠ .

(٧) البغدادى ، الخزائن ٢ : ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٨) الشعر والشعراء ١ : ٩١ .

(٩) جمهرة أشعار العرب : ٢٤ .

(١٠) الخزائن ٢ : ٢١٥ .

أيضاً شعراً ، وذلك أن الوليد بن عقبة خطب الناس بالكوفة في يوم صَبَا ، وقال : إن أخاكم لبيداً آلى ألا تهب له الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وهذا اليوم من أيامه ، فأعينوه ، وأنا أول من أعانه . ونزل ، فبعث إليه بمائة بكرة ، وكتب إليه أبياتاً من الشعر . . فلما أتاه الشعر قال لابنته : أجيبه^(١) . وما يؤيد معرفة لبيد بالكتابة في الجاهلية أن في شعره الجاهلي كثيراً من الإشارات والمعاني الدينية التي تدل على أنه كان في الجاهلية يؤمن بالبعث . وقد كان أكثر هؤلاء الذين كانوا على دين في الجاهلية يحسنون الكتابة^(٢) .

ومن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يؤمنون بالبعث في الجاهلية ويقرأون الكتب الدينية : أمية بن أبي الصلت^(٣) .

ومن هؤلاء الشعراء المخضرمين الذين ولدوا في الجاهلية وعُثمروا في الإسلام إلى زمن عبد الملك بن مروان واشتهروا بالعلم والفقه : مسروق بن عبد الرحمن^(٤) ، وشريع بن الحارث الكندي^(٥) .

ولا بد من الإشارة إلى أن النص على معرفة الشعراء بالكتابة لم يكن في الكتب العربية نصّاً صريحاً مقصوداً لذاته ، وإنما أكثر ما يكون استطراداً عابراً لتوضيح سياق قصة تتصل بالشاعر ، أو بقومه ، أو بحادثة بعينها . ويبدو لنا أن الذين خلّفوا لنا هذه الكتب - وهم الذين سجلوا تاريخنا الأدبي - كانوا يتوهمون أن معرفة الشاعر بالكتابة عيب ينتقص من شاعريته ، وذلك لأنهم كانوا يظنون أن معرفة الكتابة أمر حادث طارئ على العرب ، وهو من أمور المدنية التي كانت تفسد الأعراق وسليقتهم اللغوية الفطرية ، فكانوا يشكّون

(١) الشعر والشعراء ١ : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) انظر إيمان لبيد بالبعث في الجاهلية في الإصابة ٦ : ٤ - ٥ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف : ٢٨ ؛ والأغاني ٣ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) ابن سعد ٦ : ٥٠ ، ٥٣ .

(٥) المصدر السابق ٦ : ٩٠ .

في كل أعرابي يتصل بالمدينة ويكتسب من مظاهر حضارتها . قال الجاحظ^(١) :
 « سمعت ابن بشير ، وقال له أبو الفضل العنبري — يبدو أنه أحد الأعراب — :
 إني عثرت البارحة بكتاب ، وقد التقطته ، وهو عندي ، وقد ذكروا أن فيه
 شعراً ، فإن أردته وهبته لك . قال ابن بشير : أريده إن كان مقيداً . قال :
 والله ما أدرى أمقيد هو أم مغلول . ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته » .

وهذا الحكم الذي فرضوه على الأعراب يحبه أيضاً على الشعراء أنفسهم ،
 حتى الشعراء الإسلاميين الذين كانوا معروفين باتصالهم الوثيق بالبادية ، فكانوا
 لذلك مصدرًا لهؤلاء اللغويين والرواة ومعتمدًا لهم فيما يذكرونه من شواهد وأمثلة .
 وأوضح ما يبين لنا ذلك أن أبا النجم العجليّ الراجز وذو الرمة قد عييا بمعرفة
 الكتابة فأنكرها ذو الرمة . قال أبو بكر الصولي^(٢) : قد عيب أبو النجم بهذا
 [أي بقوله :

أقبلتُ من عند زيادٍ كالخرفِ تخطُ رجلاي بخطٍ مُختلفِ
 كأنما قد كتبًا لامَ ألف]

فقيل : لولا أنه يكتب ما عرف صورة لام ألف ، كما عيب ذو الرمة
 في وصف ناقته :

كأنما عينها فيها — وقد ضمرتُ وضمها السيرُ في بعض الأضاميم^(٣)

وقال أيضاً : « قرأ حماد الراوية على ذي الرمة شعره ، قال : نراه قد ترك
 في الخط لأمًا — فقال له ذو الرمة : اكتب لأمًا . فقال له حماد : وإنك لتكتب ؟
 قال : اكتم على فإنه كان يأتي باديتنا خطاطٌ فعلمنا الحروف تخطيطاً في الرمال

(١) البيان والتبيين ١ : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) أدب الكتاب : ٦٢ ، وانظر أيضاً الشعر والشعراء ١ : ٥٠٧ ، قال ابن قتيبة :

وقال عيسى بن عمر (توفي سنة ١٤٩) قال لي ذو الرمة : ارفع هذا الحرف فقلت له : أنكتب ؟
 فقال بيده على فيه ، أي : اكتم على ، فإنه عندنا عيب .

(٣) الأضامة : الغدير . يقول : كأن عينها دارة ميم لتدويرها .

في الليالي المقمرة فاستحسنها فثبتت في قلبي ، ولم تخطها يدي .

فإذا كان هذا رأى هؤلاء العلماء الرواة في القرن الثاني الهجري في الشعراء الإسلاميين أنفسهم ، فلا بد أن يكون رأيهم هذا أكثر تشدداً وغلواً في الشعراء الجاهليين ، ولذلك نحسب أن أخبار معرفة الشعراء الجاهليين بالكتابة قد وصلتنا ناقصة مبتورة مشوهة ، ولولا هذا الوهم الخاطي لوصلنا الشيء الكثير الذي يدم ما نذهب إليه .

٤

الثالث : وثالث هذه الأدلة متصل كذلك بالسابقين لا يكاد ينفصل عنهما ، ومدارة على طبيعة ضرب من الشعر هو هذا الشعر الذي كان يتكلفه صاحبه تكلفاً بعد جهد ومشقة ، لا يرتجله ارتجالاً ، ولا ينساب منه عن طبع وفي بسر وسماحة ، وإنما يقول البيت أو الأبيات ثم يطويها إلى أن توافيه أبيات أخرى يضمها إلى سابقتها ، فإذا ما اكتملت له القصيدة طواها كلها ، وأخذ بعيد فيها نظره : يهذب من ألفاظها كلما سنع له وجه من وجوه التهذيب ، ويقوم بعض ما لم يكن قد استقام له من معانيها كلما وافته فرصة التقويم . ذلك هو الشعر الحولي المحكك ، وأولئك الشعراء هم عبيد الشعر كما سماهم الرواة العلماء^(١) . قال الجاحظ^(٢) : « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريئاً ، وزمناً طويلاً ، يردد فيها نظره ، ويجعل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، أتماهاً لعقله ، وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زمناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوله الله تعالى

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ١ : ٢٣ .

(٢) البيان والتبيين ، ٢ : ٩ .

من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات والمقلدات والمنقحات والمُحكّمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلحاً . « وقال ابن جني (١) : « ليس جميع الشعر القديم مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه ، والملاطفة له ، والتلوّم على رياضته ، وإحكام صنعتته نحوّ مما يعرض لكثير من المولّدين ، ألا ترى إلى ما يروى عن زهير ، من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين ، فكانت تسمى حوليات زهير ، لأنه كان يحرك القصيدة في سنة ؟ ... » .

وهذا شاعر جاهلي هو امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن حارث الكندي ، ويقال له الذائد ، يصف « عملية الانتخاب الفنى » للألفاظ فيقول (٢) :

أَذُودُ الْقَوَافِي عَنِّي ذِيَادَا	ذِيَادَ غُلَامٍ غَوَى جَرَادَا
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَأَغْيَيْنَنِي	تَنَقَّيْتُ مِنْهُنَّ عَشْرًا جِيَادَا
فَأَغَزِلُ مَرَجَانَهَا جَانِبًا	وَأَخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا

ويقول كعب بن زهير (٣) :

فَمَنْ لِلْقَوَافِي - شَانَهَا مَنْ يَحْكُوكَهَا -	إِذَا مَا ثَوَى كَعْبٌ وَفَوْزَ جَرُولُ
يَقُولُ فَلَا يَغَيَّا بَشِيءٌ يَقُولُهُ	وَمِنْ قَائِلِيهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ
نُقُومُهَا حَتَّى تَقُومَ مُتُونُهَا	فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يَتَمَثَّلُ
كَفَيْتُكَ ، لَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا	تَنْخُلُ مِنْهَا مِثْلَ مَا نَتَنَخَّلُ

(١) الخصائص ١ : ٣٣٠ .

(٢) الأمدى : المولّدات والمختلف : ١٠ .

(٣) ديوانه : ٥٩ - ٦٠ .

وقد كان طُفَيْلُ الغنوى في الجاهلية يدعى: المهبر، لتحسينه الشعر^(١).
وقد مر بنا أن ابن فارس^(٢) يرى أن بعض شعراء الجاهلية كان يعرف علم
العربية والعروض: ما كان منه متصلاً ببحور الشعر أو بقوافيه وعبوبها - مهما
تكن الألفاظ الاصطلاحية التي كانوا يستخدمونها -، وقد أضفنا بعض ما عثرنا
عليه مما يؤيد رأى ابن فارس في معرفة الشعراء الجاهليين بهذه العلوم.

ولا ريب أن ما قلنا من حديث واضح الدلالة على أننا لا نعم فيما نلقى
من أحكام، فنحن لا نقصد أن كل شعراء الجاهلية كانوا يعرفون هذه العلوم،
ولا نقصد كذلك أن جميع شعراء الجاهلية كانوا يتروون في نظم قصائدهم
ويقفونها وينقحونها. ولكننا نخصّ بمحدثنا هذه الفئة من الشعراء التي كانت
نرى الشعر عملاً عقلياً تفكر فيه بعقلها كما تحسه بعاطفتها، وتنظمه وترصعه
كما ترصع حجارة الفسيفساء.

وإذا كنا لا ننكر أن بعض الشعراء كانوا يرتجلون الشعر ارتجالاً، وأن
بعضهم كان يندلث منه الشعر اندلائاً هيناً سمحاً، وأن هاتين الطائفتين، أو
بعض رجالهما، لا تضطرم طبيعة هذا الضرب من الشعر إلى تقييده وإثباته
بالكتابة - إذا كنا لا ننكر ذلك، فإنه لا بد لنا أن نريث قليلاً عند الفئة
الأخرى من الشعراء وشعرهم، وأن نتوقف عن أن نسحب عليهم حكم الضرب
الأول. فنحن لا نفهم كيف يستطيع الشاعر الذي تمكث عنده القصيدة
«حولا كريماً، وزمناً طويلاً»، يردد فيها نظره، ويجبل فيها عقله،
ويقلب فيها رأيه، اتهاماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً
على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، وإحرازاً لما خوله الله
تعالى من نعمته...، والشاعر الذي كان يعرض له في الشعر من «الصبر

(١) الزغشري: الفائق ١: ٥٤١.

(٢) الصاحبى في فقه اللغة: ٨ - ١١.

عليه ، والملاطفة له ، والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعتته نحو مما يعرض
لكثير من المولدين . . . » والشاعر الذى كانت تكثر عليه القوافى فيذودها عنه
زياداً ، ثم ينتقى منها الجيد انتقاءً ، وينظر إلى قوافيه وألفاظه نظرة الجوهري
إلى لآله : يعزل مرجانها جانباً ، ويأخذ المستجاد من درها . . . ، والشاعر الذى
يتنخل كلامه تنخلا ، ويثقف ألفاظه وقوافيه حتى تلين متونها - نحن لا نفهم
كيف يستطيع هؤلاء الشعراء أن يقوموا بهذا العمل العقلى الذى يستغرق هذا
الوقت المديد دون أن يكون الشعر مقيّداً أمامهم على صحيفة يرجعون إليها بين
وقت وآخر : يزدون عليه أو ينقصون منه ، ويستبدلون لفظة بلفظة ، وقافية
بقافية . وهل يصح بعد هذا أن نذهب إلى أن هؤلاء الشعراء الذين كانوا
يصنعون الشعر صناعة ، بل يصنعونه تصنيعاً ، ويعرفون من بحوره وقوافيه ولغته
ولعابه ما لا يُكتسب إلا بالتعليم والدراسة ، هل يصح أن نذهب إلى أن هؤلاء
الشعراء كانوا أميين ويستطيعون أن يقوموا بهذه « العمليات » المعقدة المتراكبة
فطرةً وطبعاً ، والشعر معلق في ذاكرتهم لا يعدوها ؟

أحسب أن لا ، وأحسب أن الأرجح أن هذا الضرب من الشعر المنقح
كان يفرض عليهم أن يقيده على ما كانوا يملكون من صنف الكتابة التى بيّنا
أنواعها فى فصل سابق .

الرابع : وآخر هذه الأدلة العقلية الاستنباطية : هذا الشعر الجاهل الحافل بذكر الكتابة وصورها ، والإشارة إلى أدواتها ، وتشبيه الأطلال والرسوم ببقايا الخطوط على الرقّ أو المهارق أو سائر أنواع الصحف ، مما يدل على أن هؤلاء الشعراء الجاهليين كانوا على علم دقيق بأنواع الكتابة والحروف^(١) . وقد ذكرنا هذا الشعر الجاهل ، الذى يحفل بذكر الكتابة ، متفرقاً فى مواطنه من الباب السابق حين تحدثنا عن أدوات الكتابة وآلاتها ، واستشهدنا به لكل جزء من أجزاء البحث ، ووجدنا أن الشعر الجاهل لم يغفل صغيرة ولا كبيرة فيه ، وإنما استوعب الموضوع من نواحيه ، ولمنه من أطرافه كلها . ومع ذلك فإننا سنشير إلى أبيات قليلة فيها من الصور الشعرية المركبة ما ينبئ عن أن قائلها لا بد أن يكون عالماً بهذه الصور ، وأن الجاهل بها لا يتأتى له ذكرها ووصفها على هذا الوجه المفصل .

فأبو ذؤيب الهذلى يشير إلى كاتب يكتب ديناً له - وليس فى هذا دلالة على شيء مما نذهب إليه لو وقف عنده - ولكنه يصف فى بيتين كتابة هذا الكاتب الدائن ، وأنها كانت كتابة دقيقة يتأنق فيها حتى يجعلها مزخرفة مزينة كالعروس ليلة تهنأ إلى زوجها . فوصف أبو ذؤيب هذه الكتابة بأنها « رقم » و « وشى » و « نمنمة » . ثم يصف لنا الصحف التى كان يكتب عليها ، ويذكر أنها ناعمة رقيقة « كالرياط » ، ولا يكتفى بذلك بل إنه ليعرف أن هذه الصحف لا يكتب عليها الكاتب أول مرة ، وإنما يستخدمها بعد أن استخدمها غيره من قبله ، فجاء صاحبنا الدائن فحما الكتابة السابقة ، وكتب عليها دينه ، ولكن آثار الكتابة

(١) كتب الأستاذ المستشرق كرنكو مقالة عنوانها « استخدام الكتابة فى حفظ الشعر العربى القديم » "The Use of Writing for The Preservation of Ancient Arabic Poetry" ونشرت فى سنة ١٩٢٢ مع مجموعة مقالات أخرى لكتاب مختلفين فى : A Volume of Oriental

Studies to E.G. Browne, Edited by J.W. Arnold ص : ٢٦١ - ٢٦٨

وقد أقام بحثه على نقطتين : ذكر الكتابة فى الشعر القديم ، واختلاف القراءات للفظة الواحدة . وانظر كتاب « تاريخ الأدب العربى » للمستشرق بلاشير ص ٩٣ - ٩٩ .

السابقة ما زالت باقية يشاهدها أبو ذؤيب فيعرفها ويصفها ، وذلك قوله ^(١) :

عرفتُ الديَّارَ كَرَقَمِ الدَّوَا يَزْبُرُهَا الْكَاتِبُ الْحَمِيرِيُّ
بِرَقَمٍ وَوَشْيٍ كَمَا زُخِرَتْ بِمِشْمِهَا الْمُزْدَهَاءُ الْهَدْيُ
أَدَانَ وَأَنْبَأَهُ الْأَوَّلُو نَ أَنَّ الْمُدَانَ الْحَمْلِيَّ الْوَفِيُّ
فَنَمَنَمَ فِي صَحْفٍ كَالرِّيَا طِ فِيهِنَّ إِرْثُ كِتَابٍ مَحْيُ

وفي أبيات لخزرج بن لوذان السدوسي يذكر فيها إنكاره لما كان يعتقد أنه أهل زمانه آنذاك من التشاؤم والتفاؤل بالسوانح والبوارح وعقد التائم لدفع الغوائل .
ويقرر فيها أن الدهر قُلْبٌ لا يدوم له خير ولا يتصل له شر . ولو أننا لم نقف عند هذه المعاني العقلية التي لا تصدر إلا من مثقف متعلم يثور على معتقدات أهل زمانه وأباطيلهم ، فلنأنا لا نستطيع إلا أن نقف عند آخر بيت منها ، إذ نكاد نفهم منه أن هذا الشاعر قد قرأ الكتب الدينية القديمة ، واشتق منها هذه المعاني التي يصورها ، وذلك قوله ^(٢) :

لَا يَمْنَعُنْكَ مِنْ بُغَا خَيْرِ تَعْقَادِ التَّمَانِمِ
وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ
فَإِذَا الْأَشَانِمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشَانِمِ
وَكَذَلِكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمِ
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزُّبُو رِ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمِ ^(٣)

ويصور لنا لبعد صورة غريبة مركبة حين يصف لنا الأطلال ، وذلك في قوله ^(٤)

أَوْ مُذْهَبٌ جُدَّدٌ عَلَى الْوَا حَهُ ——— النَّاطِقُ الْمَبْرُوزُ وَالْمَخْتُومُ

(١) ديوان الهذليين ١ : ٦٤ - ٦٥ .

(٢) لسان العرب (حتم) . ٠ والمؤتلف والمختلف : ١٠٢ ، والخزانة ٣ : ١١ حيث يذكر

أن خزرجاً جاهلي .

(٣) الزبور (بضم الزاي) = جمع زبر (بكسرها) ، وهي الكتب .

(٤) ديوانه (فيها ١٨٨٠) ق : ١٦ ، ب : ٣ .

فيشبه رسوم الديار بلوح مذهب عليه جُدد ، وهي الطرائق التي فيه ، ويقول الطوسي شارح ديوان لبيد ، فما ينقله عن ابن الأعرابي ، إن المذهب لوح ضُمَّت إليه ألواح من جوانبه ، كانوا يضعون عليه الكتب - التي ترسل إلى الملوك - تعظيماً للملك . لا تمسه إلا يده يأخذ ما شاء ويترك ما شاء . فكانت هذه الكتب الموضوعة إما مبروزة : أي منشورة ، وإما مختومة لم تنشر بعد ، وعبر عن الكتاب المرسل بالناطق .

ومن الأبيات التي تشتمل على ذكر للكتابة ، وقد تدل على أن للشاعر معرفة بالكتابة والقراءة : بيتا معقل بن خويلد ، اللذان يذكر فيهما ما يفهم منه أنه قرأ بيته الثاني في كتاب فاقتبسه ، وذلك قوله (١) :

ولمّنى كما قال مُملي الكِتابِ ب في الرّقِّ إذ خطّه الكاتبُ :
«يرى الشاهد الحاضر المطمئنُّ من الأمر ما لا يرى الغائبُ »

ونحن نكتفي بهذا القدر من الأبيات التي تشتمل على دلالة تشير إلى معرفة قائلها بصور متعددة من الكتابة والقراءة . وأما سائر الأبيات التي تشتمل على ذكر الكتابة وما يتصل بها فقد عرضناها في مواطنها من الفصل السابق ولأحاجة بنا إلى إعادتها والاستكثار بها .

٦

تلك هي الأدلة العقلية الاستنباطية التي رأينا أنها قد تشير إلى معرفة الشعراء الجاهليين بالكتابة وإلى أن بعض هؤلاء الشعراء ربما استخدم الكتابة في تقييد

(١) ديوان الهذليين ٣ : ٧٠

بعض شعره . أما الأدلة الصريحة المباشرة فتتمثل في هذه الروايات والنصوص التي لمنا نثارها ، وجمعنا متفرقة . وننظمها الآن في سلك واحد لنرى أنها واضحة صريحة في أن بعض الشعر الجاهلي كان يُقيد . سواء أكان الذين يقيدونه هم الشعراء الجاهليين أنفسهم بخط يدهم أم كان هؤلاء الشعراء يستكتبون غيرهم لتقييد شعرهم .

وقد لاحظنا - بعد أن جمعنا مادة هذا الفصل - في هذه الروايات والنصوص أمرين ؛ الأول : أن أكثرها يشير إلى أن هذا الشعر المقيد بالكتابة إنما كان رسائل يبعث بها الشاعر ، ومع ذلك فقد عثرنا على روايات قليلة تشير إلى تقييد الشعر للحفظ . والثاني : أن هذه الرسائل الشعرية كانت شيئاً مألوفاً في العصور الإسلامية ، وبين أيدينا أخبار ونصوص عنها في زمن عمر ومعاوية خاصة . وحسبنا أن نشير إلى مواطنها ^(١) . ونحب أن نقدم بخبرين من صدر الإسلام ثم نتقل إلى أخبار الجاهلية نفسها ونصوصها :

فقد اجتمع الأنصار في مجلس ^(٢) ، فتذاكروا هجاء النجاشي إياهم ، فقالوا : من له ؟ فقال الحارث بن معاذ بن عفرء : حسان له . . . فتوجه نحوه . والقوم كلهم مُعظمٌ لذلك ، حتى دق عليه الباب . . . فلما دخل عليه كلمه . فقال : أين أنتم عن عبد الرحمن ؟ قال : إياك أردنا ، قد قاله عبد الرحمن فلم يصنع شيئاً . فوثب ، وقال : كن وراء الباب ، واحفظ ما ألقى . . . فدخل وهو يقول :

(١) نسب قريش : ١١٠ ، ٢٠٩ ، الفائق ١ : ٢٧٤ ، ٢ : ٢٦٦ ، الأغاني (دار الكتب) ٥ : ١٧ - ١٨ و (سأسي) ١٣ : ١٥١ و ١٢٣ : ١٤ ، الجاحظ ، المحاسن والأضداد ١٨٩ ، والحيوان ٢ : ٨٥ ، ابن رشيقي ، العمدة (تصحيح النمساني سنة ١٩٠٧) ١ : ١٧ - ١٨ ، ابن عبد ربه ، العقد ٦ : ١٣١ - ١٣٢ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥٢ - ٢٥٥ ، ابن سعد ١/٣ : ٢٥٥ ، الأمدى ، المؤلفات والمختلف ٦٣ ، البغدادي ، الخزانة ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦ و ٤ : ٥٩ - ٦٥ .
(٢) ديوان حسان (ط . النيل سنة ١٩٠٤) ص ١٣١ - ١٣٢ ، وانظر أيضاً البغدادي ، خزانة الأدب (سلفية) ٤ : ٥٥ - ٥٦ .

أَبْنَى الْجِمَاسِ أَلَيْسَ مِنْكُمْ مَا جِدُّ إِنَّ الْمُرُوءَةَ فِي الْجِمَاسِ قَلِيلُ
(ثمانية أبيات) ثم مكث طويلاً على الباب يقول : والله ما أبجرت ، ثم
ألقى على :

حَارِبِنَ كَعْبٍ أَلَا الْأَحْلَامَ تَزْجُرُكُمْ	عَنِّي ، وَأَنْتُمْ مِنَ الْجُوفِ الْجَمَاحِيرِ
لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَلَا عِظَمٍ	جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ
كَأَنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ ، مَكَاسِرُهُ	مُثَقَّبٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الْأَعَاصِيرِ
دَعُوا التَّخَايُوءَ وَامْشُوا مِشْيَةَ سُجْحَا	إِنَّ الرِّجَالَ أَوْلَوْ عَضْبٍ وَتَذَكِيرِ
لَا يَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُوكِ الْقُلُوبِ ، وَلَا	يَهْدِي الْإِلَهَ سَبِيلَ الْمُعْشِرِ الْبُورِ
إِنِّي سَأَنْصُرُ عَرْضِي مِنْ سَرَاتِكُمْ	إِنَّ الْجِمَاسَ نَسَى غَيْرُ مَذْكُورِ
أَلْفَى أَبَاهُ وَأَلْفَى جَدَّهُ حُسْبَا	بِعَزْلِ عَنْ مَعَالِي الْمَجْدِ وَالْخَيْرِ

ثم قال للحارث : اكتبها صكوكا ، فألقها إلى غلمان الكتاب . قال
الحارث : ففعلت . . . »

وقد ذكر الزمخشري أن طلحة رضى الله عنه أنشد قصيدة ، فما زال شائناً
ناقته حتى كتبت له القصيدة ^(١) .

وحينما علم كعب بن زهير بإسلام أخيه بُجَيْرَ كتب إليه ^(٢) :

أَلَا أَبْلُغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً	فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَ ؟
سُقِّيتَ بِكَأْسٍ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ	فَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
فَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَتَبِعْتَهُ	عَلَى أَى شَيْءٍ ، وَيَبْغِيرُكَ ، ذَلِكَ ؟

(١) الفائق ١ : ٦٧٧ .

(٢) الشعر والشعراء ١ : ٩١ ، وانظر أيضاً ابن هشام، السيرة ٤ : ١٤٤ - ١٤٥ .

فلما أتى الكتابُ يُخبراً كتب إلى كعب يقول ^(١) :

مَنْ مُبْلِغٌ كُتْباً فَهَلْ لَكَ فِي الْقِيَمَةِ
إِلَى اللَّهِ - لَا الْعُزَى وَلَا اللَّاتُ - وَحْدَهُ
تَلَوُّمٌ عَلَيْهَا بَاطِلٌ وَهِيَ أَخْزَمُ
فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَليْسَ بِمُقْلِتٍ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَلَيْتُ زَهْرٍ - وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ -
وَدِينُ أَبِي سُلَيْمٍ عَلَى مُحَرَّمٍ

وكان أبو سفيان بن حرب وأبي بن خلف الجمحي قد كتبا إلى الأنصار كتاباً يعاتبانهما فيه على إيوائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطلبان منهم أن يخلوا بينه وبين قريش . فكتب إليهما كعب بن مالك الأنصاري في يوم أحد بهذا الشعر - وهو أربعة عشر بيتاً - يرد عليهما فيه ، ويذكر أسماء النقباء ^(٢) :

أَبْلِغْ أَبِيًّا أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُهُ
وَحَانَ غَدَاةَ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَاقِعُ
أَبِي اللَّهِ مَا مَتَّكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ
بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاهٍ وَسَامِعُ
وَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ أَنَّهُ قَدْ أَضَا لَنَا
بِأَحْمَدِ نَوْرٌ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعُ
فَلَا تَرَعَيْنِ فِي حَشْدِ أَمْرِ تَرْيَدِهِ
وَأَلْبُ وَجَمْعُ كُلِّ مَا أَنْتَ جَامِعُ
وَدُونِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عَهْدِنَا
أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَبَايَعُوا

ثم يذكر أسماء النقباء ، ويختم الأبيات الأربعة عشر بقوله :

أَوَّلَاكَ نَجُومٌ لَا يُغِيثُكَ مِنْهُمْ
عَلَيْكَ بِنَحِيسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعُ
وَذَكُرُوا أَنَّ النَّاسَ أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَكَّةَ ، فَرَأَوْا مَكْتُوبًا عَلَى دَارِ النَّدْوَةِ ^(٣) :

(١) ابن هشام : السيرة ٤ : ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) المعجم : ٢٧١ - ٢٧٤ ، والأبيات في السيرة ٢ : ٨٧ - ٨٨ .

(٣) ابن سلام - طبقات فحول الشعراء : ١٩٦ - ١٩٧ السقاير : مفردا سفسير ،

أَلْهَى قُصِيًّا عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرُ وَرَشَوَةً مِثْلَ مَا تُرْتَضَى السَّفَامِيرُ
وَأَكَلُهَا اللَّحْمَ بَحْنًا لَا خَلِيطَ لَهُ وَقَوْلُهَا : رَحَلَتْ عَيْرٌ ، أَنْتَ عَيْرُ

وذكروا أن النعمان بن المنذر ولَّى بعض الأعراب بابَ الحيرة مما يلي البرية ،
فصاد الأعرابي ضبًّا ، فبعث به إلى النعمان وكتب إليه^(١) :

جَبَى الْمَالَ عُمَالِ الْخَرَجِ وَجَبَوْنِي مُقَطَّعَةُ الْأَذَانِ صُفْرُ الشَّوَاكِلِ
رَعَيْنَ الرُّبَا وَالْبَقْلَ حَتَّى كَأَنَّمَا كَسَاهُنَّ سُلْطَانُ ثِيَابِ الْمَرَاجِلِ

ويبدو أن طبيعة حياة القصور في بلاط النعمان وما يكثر فيها من فسادٍ
واقعية وشايات كانت تضطر الشعراء إلى أن يدفعوا عن أنفسهم هذه الدسائس ،
فينجوا بأنفسهم مخافة الفتك بهم ، ثم يقولوا شعراً ويكتبوه ويرسلوه إلى النعمان .
فمن ذلك تلك القصائد الكثيرة التي كان يقولها عدى بن زيد في سجنه ويكتب
بها إلى النعمان^(٢) . ومن ذلك أيضاً أن النابغة — بعد أن هرب من النعمان ومكث
عند آل جفنة — أرسل إلى النعمان قصائد يعتذر إليه بها ، ويحلف له : أنه
ما فرط منه ذنب^(٣) .

ومن ذلك أيضاً أن النعمان أمر الربيع بن زياد العبسي بالانصراف ،
فلحق بأهله وكتب إلى النعمان أبياتاً يعتذر فيها ، وهي^(٤) :

لَئِنْ رَحَلْتُ جَمَالِي إِنَّ لِي سَعَةً مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ عَرَضًا وَلَا طَوْلًا

(١) الزجاجي : الأماي : ١١٥ . الشواكل : الخواصر . ثياب المراحل : ثياب مخططة
تعمل في اليمن .

(٢) الأغاني ٢ : ١١٥ .

(٣) البغدادى : الخزافة ٢ : ٣٩٢ - ٣٩٣

(٤) الأغاني ١٦ : ٢٢ - ٢٣ وأما السيد المرتضى ١ : ١٩٢ .

بحيث لو وُزِنَتْ لَخُمَ بِأَجْمَعِهَا لم يَعْدِلُوا رِيْشَةً من ريش شَمُوِيلا
 ترعى الروائم أحرارَ البَقُولِ بها لا مثلَ رَعِيْكُمْ ملحاً وغَسُوِيلا
 فابترقْ بأَرْضِكَ يا نَعْمَانُ مُتَكِناً مع النطَاسِيَّ يوماً وابنِ نَوْفِيلا

فكتب إليه النعمان جواباً عن أبياته بأبيات أخرى هي قوله .

شَرُّدُ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شَنْتَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنكَ الْإِبَاطِيلا
 فَقَدْ ذُكِرْتَ بِهِ وَالرَّكْبَ حَلْمُهُ وَرَدّاً يعلُّ أهل الشام والنِيلا
 فَمَا انْتَفَاوُكُ مِنْهُ بَعْدَ مَا خَرَعْتَ هُوجَ المَطْيِ بِهِ إِبراق شَمِيلا
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِباً فَمَا اعْتَذَارَكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلا
 فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسِعَةً وَاَنْشُرْ بِهَا انْظُرْفَ إِنْ عَرْضاً وَإِنْ طَوِلا

وبلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعدّه فدعا كاتباً من العرب
 فكتب إليه ^(١) :

أَلَا أَبْلُغُ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَمَدْحُكَ حَوَّلِيَّ وَذَمُّكَ قَارِحُ
 مَتَى تَلْقَنِي فِي تَغْلِبِ ابْنَةِ وائِلٍ وَأَشْيَاعِهَا تَرْقِي إِلَيْكَ الْمَسَالِحُ

وغضب الحارث بن مارية الغساني على عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي
 فتهدده ، فدعا عبد العزى ابنه : شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى
 قومه ^(٢) :

جَزَائِي - جَزَاهُ اللَّهُ شَرُّ جَزَائِهِ - جَزَاءَ سَيْنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَنْبُ
 سِوَى رَصِّهِ الْبُنْيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يعلِّ عليه بالقَرامِيدِ وَالسَّكْبُ

(١) الأغانى (دار الكتب) ١١ : ٥٨ .

(٢) الخزائن ١ : ٢٦٨ .

وهي أبيات^(١) .

ولما طال سجن عدى بن زيد ، في حبس النعمان ، كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى بهذا الشعر^(٢) :

أَبْلِغْ أَبِيَا عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ
بَأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَادِ دِ كُنْتَ بِهِ وَائِقًا مَا سَلِمَ
لَدَى مَلِكٍ مُؤْتَقٍّ فِي الْحَدِيدِ إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا ظُلْمٍ
فَلَا أَعْرِفَنَّكَ كَذِبَاتِ الْغُلَا مَ مَا لَمْ تَجِدْ عَارِمًا تَغْتَرَمُ^(٣)
فَارْضَكَ أَرْضَكَ إِنْ تَأْتَيْنَا تَنْمَ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ

فكتب إليه أخوه أبي رسالة شعرية أخرى أبياتها عشرة نكتني بذكر مطلعها :

إِنْ يَكُنْ خَلَّتْكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جِزُ بَاعٍ وَلَا أَلْفٌ ضَعِيفُ^(٤)

ثم قام أبي إلى كسرى فكلمه في أمره وعرفه خبره ، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه .

وكان أحر بن جندل أسيراً ، في يدي صَعْصَعَةَ بن محمود بن عمرو بن مرثد ، فأطلقه ؛ فقال أخوه سلامة بن جندل هذه الأبيات وبعث بها إلى صَعْصَعَةَ^(٥) :

سَاجِزِيكَ بِالْقِدِّ الَّذِي قَدْ فَكَّكَتَهُ سَاجِزِيكَ مَا أَبْلَيْتُنَا الْعَامَ صَعْصَعَا

(١) الأبيات في الثعالب ، ثمار القلوب : ١٠٩ .

(٢) الأغاني ٢ : ١١٨ - ١٢٠ .

(٣) العارم : الراضع ، يقول : إن لم تجد من يرضع منها درت هي فعلبت ثديها ، وربما رضعته ثم مجته من فيها .

(٤) الألف : الثقيل البطيء الكلام .

(٥) ديوان سلامة : ٢١ - ٢٢ ، وأنظر البيان والتبيين ٣ : ٣١٨ مع اختلاف في الألفاظ

وترتيب الأبيات .

فَلَا نَبْكُ مَحْمُودَ أَبَاكَ فَإِنَّا وَجَدْنَاكَ مَنْسُوباً إِلَى الْخَيْرِ أَرْوَعَا
سَاهِدِي ، وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ ، مِدْحَةٍ إِلَيْكَ ، وَإِنْ حَلَّتْ بِبَيْتِكَ لَقَلَّمَا
فَلَا نَشْتِ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً وَإِنْ شَفَتْ عَدِينَا لَكُمْ مَائَةً مَعَا

وكان الأسرى ينتهزون كل فرصة ليكتبوا إلى قومهم يعلمونهم بحالهم ، فن
ذلك أن رجلاً من بني تميم كان أسيراً فكتب إلى قومه ^(١) :

حُلُّوا عَنِ النَّاقَةِ الْحَمْرَاءِ أَرْحَلْكُمْ وَالْبَازِلَ الْأَصْهَبَ الْمَقُولَ فَاصْطَنِعُوا
إِنَّ الذَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بِرَائِثُهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بِكَرٍّ إِذَا شِيعُوا

ومن ذلك أيضاً أن قيسية بن كلثوم السكوني أسرته بنو عامر بن عقيل ،
فمرّ به أبو الطمحان القيني ، فوعده مائة ناقة إن هو بلغ قومه رسالة ، ثم كتب
على مؤخر رحل أبي الطمحان ^(٢) :

بَلِّغَا كِنْدَةَ الْمُلُوكِ جَمِيعاً حَيْثُ سَارَتْ بِالْأَكْرَمِينَ الْجَمَالَ
أَنْ رِدُّوا الْعَيْنَ بِالْخَمِيسِ عِجَالاً وَاصْلُرُوا عَنْهُ وَالرَّوَايَا يُقَالُ
هَزْنَتْ جَارَتِي وَقَالَتْ عَجِيباً إِذْ رَأَتْنِي فِي جَيْدِي الْأَغْلَالُ
إِنْ تَرَيْتَنِي عَارِي الْعِظَامِ أَسِيرَا قَدْ بَرَأَنِي تَضَفُّعٌ وَاخْتِلَالُ
فَلَقَدْ أَقْدَمُ الْكِتَابَةَ بِالسَّيِّءِ فِي عَلَيِّ السَّلَاحُ وَالسَّرْبَالُ

وقد مر بنا ذكر الكتابة على الرحل حين تحدثنا عن أدوات الكتابة ، وقلنا
أنذاك إنه كان أمراً مألوفاً حين يضطر المرء وتُعجزه وسيلة أخرى للكتابة ، ومثلنا
على ذلك بالكتابة على الرحل زمن الرسول والصحابه ^(٣) .

(١) القائل ، الأمال : ١ : ٧ .

(٢) الأغاني : ١١ : ١٣١ .

(٣) انظر ابن سعد ٢/٣ : ١٥١ ، وتقييد العلم : ١٠٢ .

وكان أيضاً ممن كتب على الرجل من الشعراء الجاهليين : المرقش ^(١) ، وذلك أنه مرض في الطريق - وكان معه عَسِيفٌ له من غفيلة ، ووليدة هي امرأة الغفلى - فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سُقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً . فجعلت الوليدة تبكي من ذلك ، فقال لها زوجها : أطيعيني ، وإلا فلاني تاركك وذاهب . . . فلما سمع مرقش قول الغفلى للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرجل هذه الأبيات :

يا صاحبي تَلَبَّثًا لَا تَعَجَّلَا إِنْ الرِّوَّاحَ رَهِينُ أَلَّا تَفْعَلَا
فَلَعَلَّ لُبُّشُكُمَا يُفْرِطُ سَيِّئًا أَوْ يَسْبِقُ الْإِسْرَاعُ سَيِّئًا مُقْبِلَا
يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْ أَنْتَ بَيْنَ سَعْدٍ إِنْ لَقِيتَ ، وَحَرَمَلَا
لِلَّهِ دَرُكُمَا وَدَرُُّ أَبِيكُمَا إِنْ أَفَلَتَ الْعَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلَا
مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنْ مُرَقَّشًا أَضْحَى عَلَى الْأَصْحَابِ عَيْنًا مُثْقَلَا
وَكَاثِمًا تَرِدُّ السَّبَاعُ بِشِلْوِهِ إِذْ غَابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ - مَنَهَلَا

وهل أبلغ في الدلالة على شيوع كتابة الشعر في الرسائل من هذه الأبيات التي أرسلها الحارث بن كلدة إلى بني عم له يعاتبهم لأنه كتب إليهم قبلها فلم يجيبوه ، قال ^(٢) :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاتَبَتِي وَقَوْلِي بَنِي عَمِّي فَقَدْ حَسَنَ الْعِتَابُ
وَسَلْ : هَلْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهِمْ وَهُمْ مِنْهُ - فَأَعْتَبَهُمْ - غَضَابُ
كُتِبَتْ إِلَيْهِمْ كُتُبًا دِرَارًا فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ لَهَا جَوَابُ
ومن أشهر الشعر الجاهلي الذي قيد بالكتابة على الصحف : قصيدة لقيط

(١) المفضليات : ٤٥٩ - ٤٦٠ ، وانظر الأغاني ٦ : ١٣٠ - ١٣١

(٢) حسان ابن الشجري : ٦٨ .

ابن يعمر الأيادي التي أرسلها إلى قومه ينذرهم غزو كسرى إياهم ، وقد كتب قبل القصيدة مقدمة شعرية من أربعة أبيات جعلها كالعنوان ، وهي (١) :

سَلَامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيطٍ إِلَى مَنْ بِالْجَزِيرَةِ مِنْ إِيَادٍ
بِأَنَّ اللَّيْثَ كَسَرَى قَدْ أَتَاكُمْ فَلَا يَشْمَلُكُمْ سُوقُ النَّقَادِ
أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُونِ أَلْفًا يُزْجُونَ الْكَتَائِبَ كَالْجَرَادِ
عَلَى حَنْقٍ أَتَيْنَكُمْ ، فَهَذَا أَوَّانُ هَلَاكِكُمْ كَهَلَاكِ عَادٍ

أما القصيدة نفسها بعد هذه المقدمة الشعرية فهي العينية المشهورة التي يصف فيها الشاعر حال قومه وضعفهم وتخاذلهم وقوة عدوهم ، ثم يبين لهم ما يجب أن يتحلى به من يولونه قيادتهم من صفات ، ومطلعها (٢) :

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَاعَا هَاجَتْ لِي الْهَمُّ وَالْأَخْزَانُ وَالْوَجَعَا
وهي خمسة وخمسون بيتاً يختمها بقوله :

هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا

• • •

ذلك هو تقييد الشعر الجاهلي ، وقد جمعنا ما استطعنا أن نعرّ عليه من أدلة عقلية ونقلية تسنده . وقد انتهت بنا كلها إلى ترجيح أن الشعر الجاهلي كان يقيّد في صحف متفرقة لأغراض شتى . غير أن هذا كله مرحلة واحدة من مراحل بحثنا تقودنا إلى مرحلة تالية نتحدّث فيها عن تدوين الشعر الجاهلي .

(١) الشعر والشعراء ١ : ١٥٢ .

(٢) مختارات ابن الجبّري : القصيدة الأولى .

لفصل الثاني

تلوين الشعر الجاهلي

١

والحديث عن تلوين الشعر الجاهلي لا تستقيم أمامنا طرائقه إلا إذا جئنا من حوله سبل الحديث عن نشأة التلوين العام وأوائل المؤلفات الملوّنة . وذلك لأنه لا تخصيص إلا بعد تعميم ؛ فإذا كان الأصل الكلّي - وهو التلوين عامة - ما زال غامض النشأة ، مشكوكاً في بداياته ، منكوراً قديمه وسبقه ، فإن الفرع الجزئي - وهو تلوين الشعر الجاهلي بخاصة - لا يصح أن يقوم وحده معلقاً في الفضاء ، وحوله محبب الشك والإنكار^(١) .

فلذا ما أضفنا إلى ذلك أن هذا التلوين العام : سواء أكان تفسيراً أم حديثاً أم لغة أم أدباً عاماً - يشتمل في طياته على شعر جاهلي ، بل على شعر جاهلي كثير - استنبأ ، لهذين الأمرين مجتمعين ، ضرورة الإمام بأطراف من نشأة التلوين على أن نوجز القول بإيجازاً ، ونقتضبه اقتضاباً ، ونكتفي منه باللمحة

(١) وتفصيل ذلك أن المشهور المتداول أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت تغفل بالرواية الشفهية جيلاً بعد جيل نحو مائة سنة أو تزيد ، حتى قبض لها أن تدون . وأقدم زين تحدهه الروايات لتلوين الحديث يتصل بعهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز . أما كتب اللغة والشعر والأدب عامة ، فإن المعروف أنها لم يبدأ تلوينها إلا في نهاية القرن الثاني الهجري ومطلع القرن الثالث . بل لقد وجد من ينكر هذا التاريخ المتأخر ، ويعد ما وصل إلينا من مخطوطات منسوبة إلى رجال نهاية القرن الثاني لم يكن إلا دروساً شفوية لم يدونها وإنما دونها تلامذتهم أو تلامذة تلامذتهم ثم نسبوها إلى شيوخهم . وبذلك لا يبدأ التلوين ، فيما يرى هذا الفريق ، إلا في نهاية القرن الثالث الهجري . (انظر ما كتبه المستشرق هـ . ا . ر . ر . جب في مجلة الأدب والفن - السنة الأولى ، الجزء الثاني ، سنة ١٩٤٣ ، بعنوان « بدء التأليف النثرى » وخاصة من ص ١٢ - ١٨) .

الدالة . فلسنا نقصد إلى هذا الحديث لذاته ، وإنما نتوسل به إلى موضوعنا الأصيل ، ونتخذة معبراً نجتازه إلى بحث تدوين الشعر الجاهلي .

* * *

وأول ما يعرض لنا ، قبل المضي في البحث ، سؤالان تعتمد على إجابتهما خطاؤنا التالية . الأول : هل كانت الصحف من الكثرة والشيوخ بمنزلة يتيسر معها أن يوجد التدوين ؟ والثاني : ما هو المظهر اللغوي ، أو الصورة اللغوية للتدوين في صدر الإسلام ؟

وتبدو لنا قيمة السؤال الأول في أن التدوين والتأليف لا يقوم لهما وجود إلا إذا كانت الصحف التي تُتخذ للكتابة من الوفرة والانتشار بمنزلة يتيسر معها ، لمن أراد ، أن يشتري منها ما يفي بحاجته ، فيستطيع أن يضم بعضها إلى بعض ، ويؤلف أجزاءها ، ويجعل من مجموعة هذه الصحف ديواناً مؤلفاً . أما إذا كانت الصحف مفقودة أو نادرة أو عزيزة مرتفعة الثمن لا يُستطاع الحصول عليها إلا بشق النفس أو بعد أن يُبذل في شرائها من المال ما لا يطيقه إلا الموسرون الأثرياء ، فإن استخدام الصحف للكتابة في هذه الحالة لا يكون إلا في نطاق ضيق محدود لا يتيسر معه وجود التدوين والتأليف .

ويبدو لنا ، مما عثرنا عليه من روايات ونصوص ، أن الصحف كانت منذ المصادر الأول كثيرة شائعة ، وأنه كانت لها أسواق أو متاجر خاصة تباع فيها ، ويقوم على بيعها رجال يختصون بهذا الضرب من التجارة ويُعرفون به ويُلقَّبون بالوراقين . ويبدو لنا كذلك أن هذه الصحف كانت أثمانها زهيدة يستطيع الناس أن ينالوا منها ما يريدون من غير أن يتكلفوا من أمر ما لهم رهقاً .

ومما يدل على هذا الضرب من التجارة ، وعلى توافر الصحف في الأسواق ، وسهولة الحصول عليها ، ما رُوي من أن علي بن أبي طالب خطب الناس في الكوفة ، فقال : من يشتري علماً بدرهم ؟ فاشترى الحارث الأعور صحفاً بدرهم ،

ثم جاء بها علياً ، فكتب له علماً كثيراً^(١) . وما روى أيضاً عن أبي الشعثاء سليم بن أسود قال : كنت أنا وعبد الله بن مرداس ، فرأينا صحيفة ، فيها قصص القرآن ، مع رجل من النسخ ، قال : فواعدنا المسجد ، قال ، فقال عبد الله ابن مرداس : أشتري صحفاً بلدرهم^(٢) (يريد أن ينسخها فيها) . وعن إبراهيم أن علقمة اشترى ورقاً فأعطى أصحابه فكتبوه له^(٣) . وعن وكيع عن 'محل' قال ، قلت لإبراهيم : لا بد للناس من المصاحف . فقال : اشتر المداد والورق واستعين^(٤) (يعني من يكتب له)^(٥) .

وكان مطر بن دهمان مولى علي بن أبي طالب يُدعى مطراً الوراق^(٥) ، ويروى أبو عبيدة أن المهلب قال لبنيه في وصيته : يا بني لا تقوموا في الأسواق إلا على زرد أو وراق^(٦) .

وما يؤيد ما ذكرناه من انتشار الصحف وبيعها في الأسواق وسهولة الحصول عليها وجود طبقة من النساخ كان بعضهم يحترف النسخة ويؤجر عليها . ومن كان ينسخ في الصحف : عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب^(٧) ، ومالك ابن دينار الذي قال^(٨) : دخل علي جابر بن زيد ، وأنا أكتب مصحفاً ، فقلت : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ فقال : نعم الصنعة صنعتك ، ما أحسن هذا تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به . وكان سلمة بن دينار الأعرج أيضاً من

(١) ابن سعد ٦ : ١١٦ ، وتقييد العلم : ٩٠ .

(٢) تقييد العلم : ٥٥ .

(٣) مصاحف السجستاني : ١٣٣ .

(٤) مصاحف السجستاني : ١٦٩ و ١٧٢ ، وانظر : ٩٠ (هامش : ٤) من هذا الكتاب .

(٥) المصدر السابق : ١٧٧ .

(٦) الحيوان ١ : ٥٢ .

(٧) مصاحف السجستاني : ٨٦ .

(٨) المصدر السابق : ١٣١ .

هؤلاء النساخين^(١) ، وكان يأتيه الناس يكتبون حديثه ، ومن كان يأتيه ابن شهاب الزهري ، فكان الزهري يأخذ ورقة من ورق الأعرج فيكتب فيها الحديث ثم يقرأه ثم يحويه مكانه ؛ وربما قام بها معه ، فيقرأها ثم يحويها .

ومهما يكن عمل هؤلاء النساخ ، أو الموضوع الذي ينسخونه ، فإن الذي يعيننا من أمرهم أن قيام طبقة خاصة من النساخ دليل نضمه إلى الأدلة السابقة ، فتشير كلها إلى توافر الصحف في الأسواق ، ووجود محال خاصة لتجارتها ، وقيام أفراد يختصون ببيعها وبالنسخ عليها ، واستطاعة الناس آنذاك شراءها^(٢) .

٢

فإذا كان ذلك كذلك ، فما هو المظهر اللغوي ، أو الصورة اللغوية ، للتدوين في هذا العصر المبكر ؟ . وتقصد بذلك الألفاظ التي كانوا يطلقونها ليدلوا بها على مجموعة الصحف المدونة . فإذا كانوا قد عرفوا التدوين والتأليف فلا شك في أنهم استخدموا ألفاظاً خاصة لمجموعة صحفهم تختلف عن ألفاظهم

(١) تنبيه العلم : ٥٩ .

(٢) أما ما روى من قول عمرو بن ميمون : ما زلت أطف أنا وعمر بن عبد العزيز في أمر الأمة حتى قلت له : يا أمير المؤمنين ، ما شأن هذه الطوامير التي يكتب فيها بالقلم الجليل عمد فيها وهي من بيت مال المسلمين ؛ فكتب في الآفاق أن لا يكتب في طوامير بقلم جليل ولا يمدن فيه . قال : فكانت كتبه إنما هي شبر أو نحوه (ابن سعد ٥ : ٢٩٥ - ٢٩٦) ؛ وما روى أيضاً من أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم : أما بعد ، فكتبت تذكر أن القراطيس التي قبلك قد فُتدت وقد قطعنا لك دون ما كان يقطع لمن كان قبلك ، فأدق قلمك وقارب بين أسطرك واجمع حوائجك ؛ فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به . (المصدر السابق) ، فهذان النصابان لا ينقصان ما قدما ، ولا يعنيان أن الصحف آنذاك كانت قليلة فادرة غالبية التمن - كما ذهب الأستاذ جب في مقالته عن « بدء التأليف النثرى » ص : ٦ . فنفس هاتين الروايتين واضح في أن ذلك إنما هو « لطف في أمر الأمة » وكره لأن « يخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به » . فردّه إذن إلى القصد والاعتدال والتوفير وعدم الإسراف والتبذير .

الدالة على الصحيفة المفردة . وسنعرض هنا بعض هذه الأبيات ليزداد اطمئناننا إلى معرفتهم بالتدوين آنذاك . فنها :

الدفر : ذكر الصولي^(١) أنه ما سُمع شيء في اشتقاقه إلا أنه عربي فصيح . وقد ورد ذكره في كلام لعمر بن الخطاب ، حينما جاءه بنو عدى يكلمونه في أمر ترتيب عطايتهم في الديوان ، فقال^(٢) : بخ بخ بني عدى ، أردتم الأكل على ظهري لأن أذهب حسناتي لكم ، لا والله حتى تأتيتكم الدعوة ، وإن أطبق عليكم الدفر . يعني : ولو أن تكتبوا آخر الناس .

وقال ابن شهاب الزهري^(٣) : خرجنا مع الحجاج بن يوسف إلى الحج ، فلما كنا بالشجرة ، قال : تبصروا الهلال ، فإن في بصرى عهدة . فقال له نوفل ابن مساحق : أتدرى ممّ ذاك ؟ ذاك من كثرة نظرك في الدفاتر . وورد ذكر الدفر كذلك في الشعر الإسلامي المبكر . قال جندل بن المنفى الطهوي^(٤) :

هَلَّا بِحَجَرٍ يَا رَبِيعُ تُبْصِرُ قَدْ قُضِيَ الدِّينُ وَجَفَّ الدَّفْتُ

الكراسة : وربما سموا مجموعة الصحف أو الأوراق كراسة ؛ قال إبراهيم^(٥) وما فرغ علقمة (ابن قيس النخعي المتوفى سنة ٦٢) من مصحفه حتى بعث إلى أصحابه الكراسة والكراسيتين والورقة والورقتين .

وكان الضحاك يقول^(٦) : لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف .

(١) أدب الكتاب : ١٠٨

(٢) ابن سعد ١/٣ : ٢١٢ .

(٣) تقييد العلم : ١٤٠ .

(٤) الصولي : أدب الكتاب : ١٠٨ .

(٥) مصاحف السجستاني : ١٦٩ .

(٦) تقييد العلم : ٤٧ .

الكتاب : وقد مر بنا ، في حديثنا عن أدوات الكتابة ، بعض ما ورد فيه لفظ الكتاب من الشعر الجاهلي ، وقلنا آنذاك إن الكتاب مصدر كالكتابة ، ولكنه لكثرة استعماله ودورانه أصبح اسماً يطلق على الشيء المكتوب . وسنعرض بعض الروايات التي يرد فيها لفظ الكتاب بمعنى : الديوان أو الصحف المجموعة ، وبذلك يكون معناه آنذاك كعناه عندنا الآن .

فقد جاء ابن قرّة بكتاب إلى ابن مسعود، وقال^(١) : وجدته بالشام فأعجبني فجئتكم به . قال : فنظر فيه ابن مسعود ، ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم .

وهذا عبيدة بن عمرو السلماني المرادي (- ٧٢) دعا بكتبه عند موته ، فحاجها ، وقال^(٢) : أحشى أن يليها أحد بعدى فيضعوها في غير مواضعها . وكذلك وضع كُريب (- ٩٨) عند موسى بن عُقبة حمل بعير من كتب ابن عباس (- ٦٨)^(٣) . وأوصى كذلك أبو قلابة عبد الله بن زيد (- ١٠٤) ، ١٠٥ ، ١٠٧) أن تُدفع كتبه بعد موته إلى أيوب السختياني إن كان حياً وإلا فلتحرق^(٤) . وكذلك أمر شعبة بن الحجاج ابنه أن يغسل كتبه ويدفنها بعد موته^(٥) .

ألفاظ أخرى : وكانوا كذلك يطلقون على الكتاب المجموع لفظ : المصحف - ويقصدون به مطلق الكتاب لا القرآن الكريم وحده . فن ذلك ما ذكره بقية قال^(٦) : دفع إلى بجير مصحفاً لخالد بن معدان (الكلاعي المتوفى سنة ١٠٤) فيه علمه أخذه منه مكتوباً في تختين وله مثل دفني المصحف وله عُرى وأزرار .

(١) تقييد العلم : ٥٣ .

(٢) ابن سعد : ٦ : ٦٣ .

(٣) ابن سعد : ٥ : ٢١٦ .

(٤) ابن سعد : ١/٧ : ١٣٥ و ٢/٧ : ١٧ .

(٥) تقييد العلم : ٦٢ .

(٦) مصاحف السجستاني : ١٣٤ - ١٣٥ .

وثمة ألفاظ أخرى ذكرنا بعضها في الفصل الأول ، وليس من هدفنا استقصاء هذا البحث ، وإنما أوردنا هذه اللوحة العامة لنبين أن الألفاظ التي كانوا يطلقونها على تلك المجموعات توضح - بصورتها اللغوية وبالأخبار التي وردت فيها - أن القوم قد عرفوا التدوين بالمعنى الاصطلاحي منذ عهد التابعين الأولين ومن قبلهم الصحابة أنفسهم . بل لقد أوردنا في الفصل الأول ألفاظاً استعملت في الجاهلية تدل على المجموع الملبس وكانت خاصة بالكتب الدينية مثل : السفر والزبور ، وذكرنا هناك من أمثلة الكتب المدونة : التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى من العرب ، وأشرنا إلى مجلة لقمان مع سويد بن الصامت^(١) ، وكتاب دانيال زمن عمر بن الخطاب ، وأن عمر بن الخطاب نفسه انتسخ كتاباً من كتب أهل الكتاب في أديم ففضب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

ويبدو أن هذه الكتب قد بلغت في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من الكثرة والانتشار ما كان يُخشى منه الضلال والانصراف إليها عن قراءة القرآن . قال القاسم بن محمد^(٣) إن عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب ، فاستنكرها وكرهها ، وقال : « أيها الناس ، إنه قد بلغني أنه ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعد لها وأقومها ، فلا يُبقين أحدٌ عنده كتاباً إلا أتاني به ، فأرى فيه رأيي . قال : فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم ، فأحرقها بالنار » .

وقد تعني لفظة الكتب هنا : الكتب الدينية ؛ ولكنها قد تحتل أيضاً سائر الكتب . فالحوف من الضلال والانصراف إلى هذه الكتب عن القرآن الكريم ينسحب على الكتب جميعها ؛ وقد تتضمن هذه الكتب بعض ما كان يدونه

(١) ابن هشام ، السيرة ٢ : ٦٨ .

(٢) تقييد العلم : ٥١ - ٥٢ .

(٣) تقييد العلم : ٥٢ .

الجاهليون من كتب حكمهم وعلمهم^(١) ؛ وقد تتضمن كتب الأدب والأخبار الجاهلية التي تنقص أخبار الجاهلية وأشعارها بما فيها من أيام ووقائع ونازعات ، فتشير الخصومات ، وتحبي حمية الجاهلية ، مما لا تحمد عقباه . فإذا كانوا آنذاك يهنون عن رواية الشعر الجاهلي الذي يبعث هذه المنازعات ، فإن الأولى أن يحرقوا ويمزقوا تلك الكتب التي تشتمل على هذه الأخبار والأشعار .

ثم لا يكاد يمضي من القرن الأول نصفه حتى ترى قيام ناد فيه مكتبة عامة تحوى كتباً في شتى الموضوعات ، يؤمها الناس فيقرءون ما يشاءون منها ؛ فقد كان « عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجهمي » قد اتخذ بيتاً ، فجعل فيه شطرنجات ونردات وقِرَقات ، ودفاتر فيها من كل علم . وجعل في الجدار أوتاداً ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرّ دفتراً فقرأه ، أو بعض ما يُلعب به فلعب به مع بعضهم^(٢) .

وليس في هذا ما يُستغرب فقد كان عدد القارئین الكاتبين كبيراً حتى إن الضحّاك بن مزاحم — في النصف الثاني من القرن الأول — كان في مكتبته ثلاثة آلاف صبي ، وكان يطوف عليهم على حمار^(٣) .

وهل أدل على هذه النهضة العلمية التأليفية المبكرة في القرن الأول — من أن خالد بن يزيد بن معاوية — وقد كان خطيباً شاعراً وفصيحاً جامعاً وجيد الرأي كثير الأدب — قد انصرف إلى العلم وتأليف الكتب وترجمة بعضها إلى العربية ، فكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء^(٤) .

وما يدل على وجود خزائن الكتب في زمن الأمويين ، وعلى قِدَم حركة النقل والترجمة ، ما ذكره ابن جُلجل في ترجمة ماسرجويه من أنه « كان يهودي

(١) انظر ص : ١٦٥ - ١٦٦ من هذا البحث .

(٢) الأغاني ٤ : ٢٥٣ .

(٣) ياقوت : إرشاد (ترجمة الضحّاك بن مزاحم) .

(٤) البيان والتبيين ١ : ٣٢٨ .

المذهب سريانياً ، وهو تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن بن أعيين القس إلى العربية ، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب ، فأمر بإخراجه ووضعه في مُصلاه ، فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به ، فلما تمّ له في ذلك أربعون صباحاً أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم ،^(١) .

فند مطلع القرن الأول الهجري إذن حتى نهايته - فيما تتبعناه - كانت صحف الكتابة كثيرة ، موجودة في الأسواق ، زهيلة الأثمان ، وبذلك وجدت الكتب والمخطوطات . وكان عدد القارئین كثيراً ؛ ولم تكن هذه الكتب والمخطوطات خاصة بالأفراد أو مقصورة على الاستعمال الشخصي ، بل لقد كانت تُعرض في مكتبات عامة كما رأينا . وكانت ، فوق هذا ، تباع في الأسواق لمن أراد أن يشتريها ويقتنيها ؛ فقد ذكروا أن همام بن منبه كان يشتري الكتب لأخيه وهب ابن منبه (المتوفى سنة ١١٠ هـ) وكان وهب هذا مشهوراً بسعة اطلاعه وكثرة الكتب التي قرأها^(٢) .

٣

غير أن هذا إجمال عام يقتضينا أن نشير إشارة موجزة إلى أنواع هذا التلوين ، وذكر الموضوعات التي كانوا يلونونها ، لنستبين الصلة بين التلوين العام وتلوين الشعر الجاهلي خاصة . ونقصد من هذا العرض السريع أن نوضح أن تلوين الحديث والتفسير واللغة والأنساب والشعر قد بدأ منذ عهد مبكر جداً ؛ وأنه ليس صحيحاً ما يُذكر من أن التلوين لم يعرفه العرب إلا في آخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث .

(١) طبقات الأطباء والحكماء : ٦١ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١ : ٦٧ ، وابن سعد ٥ : ٣٩٥ .

الحديث والفقه :

لقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة ما يستفاد منه كراهةُ كتابة الحديث . وقد جمع الخطيب البغدادي هذه الأحاديث والآثار في القسم الأول من كتابه « تقييد العلم »^(١) . ولكنه في القسم الثاني من كتابه جمع من الأحاديث والآثار ما يكشف عن سبب هذه الكراهة ، ثم يعقب عليها بما يُفنى عن إطالة الحديث ، قال^(٢) : فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول ، إنما هي لثلاثٍ يضاهي بكتاب الله غيره أو يشتغل عن القرآن بسواه ، ونُهي عن الكتب القديمة أن تُتخذ ، لأنه لا يُعرف حقها من باطلها ، وصحيتها من فاسدها ، مع أن القرآن كفى منها ، وصار مهيمناً عليها . ونُهي عن كتب العلم في صدر الإسلام وجدته لقلة الفقهاء في ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحي وغيره ، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يُؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلامُ الرحمن .

غير أنه قد وردت كذلك أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار عن صحابته رضي الله عنهم ، تحض على كتابة الحديث ، وقد جمعها الخطيب كذلك في القسم الثالث من كتابه^(٣) .

ولن نعرض لهذه الأحاديث والآثار بشيء ، ففما صنعه الخطيب البغدادي ما يكفيننا ويكفي غيرنا ممن يحب التوسع في هذا الموضوع . ولكننا سنورد من الأخبار ما يدحض الزعم الشائع أن الحديث ظل أكثر من مائة سنة يتناقله

(١) من ص : ٢٩ إلى ص : ٤٩ .

(٢) ص : ٥٧ .

(٣) من ص : ٦٤ إلى ص : ١١٤ .

العلماء حفظاً دون أن يكتب. وسنبين أن الحديث قد دُون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواصل الصحابة والتابعون تدوينه بعد ذلك ؛ وأن الحفاظ والرواية الشفهية قد سارتا جنباً إلى جنب مع الكتابة والتدوين لا يفصل بينهما فاصل من الزمن ، ولا ينفي وجود أحدهما وجود الأخرى .

فبعد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلمه وإذنه ، ولقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد أن أذن له بكتابة حديثه - : هل يكتب كل ما يسمع ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : اكتب فوالذي نفسى بيده ما خرج مني إلا حق^(١) . وكان عبد الله بن عمرو يسمى صحيفته التي كتب عليها الأحاديث : الصادقة . قال مجاهد^(٢) : رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة ، فسألته عنها ، فقال : هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيني وبينه فيها أحد . ويقال إن فيها ألفاً من الأحاديث^(٣) ، وقد بقيت هذه الصحيفة عند أهل بيته فكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث^(٤) منها . وقد ضمن أحمد بن حنبل هذه الصحيفة مسنداً فصانها من الضياع^(٥) .

وصحابي جليل آخر كتب الأحاديث الشريفة هو عبد الله بن عباس . ذكر موسى بن عقبة قال^(٦) : وضع عندنا كُزَيْبُ حَمَلٍ بَعِيرٌ مِنْ كُتُبِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَكَانَ عَلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِذَا أَرَادَ الْكِتَابَ ، كُتِبَ إِلَيْهِ : أَبْعَثْ إِلَيَّ بِصَحِيفَةٍ كَذَا وَكَذَا ، فَيَنْسَخُهَا وَيَبْعَثُ بِهَا .

وصحابي جليل ثالث هو أنس بن مالك خادم رسول الله وملازمه في بيته ليلاً

(١) مسند أحمد : حديث رقم ٦٥١٠ ورقم ٦٨٠٢ .

(٢) ابن سعد ٢/٧ : ١٨٩ .

(٣) أسد الغابة ٣ : ٢٣٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٨ - ٤٩ .

(٥) الدكتور محمد حميد الله : أقدم تأليف في الحديث النبوي - مقالة في مجلة المجمع العلمي

العربي بدمشق - الجزء الأول سنة ١٩٥٣ ص : ١٠٥ .

(٦) ابن سعد ٥ : ٢١٦ .

ونهاراً عشر سنوات . فقد روى هبيرة بن عبد الرحمن أن أنس مالك كان إذا حدث فكثر عليه الناس ، جاء بمجال من كتب ، فألقاها ثم قال : هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه ^(١) . وكان أنس يحض بنيه على كتابة الحديث ^(٢) .

وصحابي جليل رابع هو أبو هريرة أكثر الصحابة رواية للحديث . قال ابن "لعمر بن أمية الضمري" ^(٣) : تحدثت عند أبي هريرة بحديث ، فأنكر ، فقلت : إني قد سمعته منك . فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي . فأخذ بيدي إلى بيته ، فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد ذلك الحديث . وقد كتب عبد العزيز بن مروان إلى كثير بن مرة الحضرمي - وكان قد أدرك سبعين بديراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديثهم ، إلا حديث أبي هريرة فقد ذكر أنه عنده ^(٤) . وعن بشير بن نهيك ^(٥) قال : أتيت أبا هريرة بكتابي الذي كتبه فقرأته عليه ، فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم .

ومن كبار التابعين الذين دونوا الحديث : عروة بن الزبير (المتوفى سنة ٩٤) - وكانت عائشة خالته - قال هشام بن عروة بن الزبير ^(٦) : أحرق أبي يوم الحرّة كتب فقه كانت له ؛ فكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندي أحبّ إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي .

(١) تقييد العلم : ٩٥ .

(٢) ابن سعد ٧ : ١٤ .

(٣) الدكتور حميد الله - المقالة المذكورة سابقاً - نقلًا من جامع بيان العلم ١ : ٧٤ .

(٤) ابن سعد ٢/٧ : ١٥٧ .

(٥) ابن سعد ٧ : ١٦٢ .

(٦) المصدر السابق ٥ : ١٣٣ .

وكان أول كتاب ظهر للشيعة : كتاب سُلَيْم بن قيس الهلالي من أصحاب علي^(١) .

وكان سعيد بن جبير يسائل ابن عباس وابن عمر ، فيكتب ما يسمع منهما من الحديث^(٢) . وكانت للحسن البصري كتب حديث وفقه ، وكان بعض أصحابه يأخذها فينسخها ثم يردّها^(٣) .

وَهَمَّام بن مُنْبَه جالس أبا هريرة ، وسمع منه أحاديث ، وكتبها في مجموعة سماها : الصحيفة الصحيحة ، كأنه سماها على مثال الصحيفة الصادقة التي كتبها عبد الله بن عمرو . والراجع أن هماماً كتبها في حياة أبي هريرة قبل سنة ٥٨ هجرية . وقد نقل أحمد بن حنبل هذه الصحيفة كاملة في مسنده^(٤) ، ونقل البخاري عدداً كبيراً من أحاديثها في أبواب شتى^(٥) . وقد عُثِر حديثاً على مخطوطتين من هذه الصحيفة ، ونشرت في مجلة المجمع العلمي بدمشق^(٦) .

فلم يبق عندنا شك إذن في أن بعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب منذ عهده ، واستمر الصحابة والتابعون في كتابته ، وليس من الصواب في شيء أن يُزعم أن الحديث الشريف بقي مائة سنة أو تزيد يتناقله الناس حفظاً ، ولم يدونوه إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة .

التفسير :

ولا يختلف التفسير عما قدّمنا من أمر الحديث ، فسبيلهما في ذلك واحدة . إذ يبلو لنا أن كتابة التفسير قد بدأت كذلك من عهد الصحابة ،

(١) ابن النديم : الفهرست : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) ابن سعد ٦ : ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) المصدر السابق ٢/٧ : ١٧ .

(٤) ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٤ .

(٥) انظر مقالة الدكتور محمد حميد الله السابق ذكرها .

(٦) الجزء الثاني والجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين سنة ١٩٥٣ .

وتابعهم فيها التابعون ، حتى وصلت إلى ما نعرف من أوائل كتب التفسير التي بين أيدينا .

فقد مرّ بنا أن كتب عبد الله بن عباس بلغت حمل بعير ، وأن كُريباً وضعها عند موسى بن عقبة ، فكان على بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب - كتب إلى موسى أن يبعث إليه بالصحيفة التي يريد ، فينسخها على ويردها إليه . وقد أوردنا هذا النص في حديثنا عن الحديث النبوي ، غير أن كتب ابن عباس هذه لم تكن كلها في الحديث ، وإنما كان بعضها في التفسير وما يتصل به من أسباب النزول وأحكام القرآن : فقد كان لابن عباس كتاب في التفسير رواه عند مجاهد ^(١) ، وعكرمة ^(٢) . وروى عكرمة كذلك كتاب ابن عباس في نزول القرآن ^(٣) . أما كتاب ابن عباس في أحكام القرآن فقد رواه عنه الكلبي ^(٤) . ومن كتب التفسير أيضاً عروة بن الزبير ، وقد مرّ بنا أن عروة كتب الحديث كذلك . ونجد في سيرة ابن هشام ^(٥) وطبقات ابن سعد ^(٦) قطعة طويلة من تفسيره تتضمن ما يتصل بالآيات من حوادث تاريخية وأسباب النزول . وذلك أن ابن أبي هنيدة ^(٧) صاحب الوليد بن عبد الملك كتب إلى عروة بن الزبير يسأله عن قول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُونَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ ^(٨) .

فكتب إلى عروة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشاً يوم

(١) الفهرست : ٥٠ .

(٢) الفهرست : ٥١ .

(٣) المصدر السابق : ٥٧ .

(٤) المصدر السابق : ٥٧ .

(٥) ج ٣ ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٦) ج ٨ ص ٦ - ٧ .

(٧) في طبقات ابن سعد « هيرة » مكان « ابن أبي هنيدة » .

(٨) سورة « المتحنة » آية ١٠ .

الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يُردّذن إلى المشركين إذا هنّ امتحن بمحنة الإسلام . . . (إلى آخر النص) .

ومن كتب التفسير من التابعين أيضاً : سعيد بن جبير ؛ فقد أرسل إليه عبد الملك بن مروان أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير إليه بتفسيره ، فحفظه عبد الملك عنده في الديوان . وقد روى عطاء بن دينار هذا التفسير عن سعيد بن جبير ، ولكنه لم يسمعه منه ، وإنما وجد عطاء هذا التفسير في الديوان ، فأخذه ، فأرسله عن سعيد بن جبير^(١) . ومع أن عطاء لم يسمعه من سعيد بن جبير إلا أن غيره سمعه منه وكتبه عنه ، فقد كان عزرة يختلف إلى سعيد « معه التفسير في كتاب ومعه الدواة يُغيّر »^(٢) .

وقد كان كثير من التابعين يكتبون التفسير . وحسبنا أن نذكر كتابين من هذه الكتب : الأول — كتاب تفسير الحسن بن أبي الحسن البصري^(٣) . والثاني — كتاب تفسير السدّي ، هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة المتوفى سنة ١٢٧ ، روى عن أنس وغيره من الصحابة . وقد جمع السدي تفسيره بطرق ثلاث : عن اثنين من التابعين عن ابن عباس ، وعن تابعي واحد عن ابن مسعود ، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة ، وقد رأى تفسيره الإمام أحمد بن حنبل ، ونقل منه كثيراً الطبري في تفسيره^(٤) .

(١) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ١/٣ : ٣٣٢ .

(٢) ابن سعد ٦ : ١٨٦ .

(٣) الفهرست : ٥١ .

(٤) انظر تفسير الطبري ط . دار المعارف ١ : ١٥٧ - ١٥٩ من كلام الشيخ أحمد

المغازى والسيرة :

وأول ما يلفتنا من المغازى والسيرة أنها كانت مادة من مواد المفسر يلجأ إليها حين يعرض لأسباب نزول الآية أو للأخبار والحوادث المتصلة بها ، كما مر بنا في تفسير عروة بن الزبير لآية من سورة الممتحنة إذ فصل القول في الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش يوم الحديبية ؛ وكذلك كان دأب المفسرين . ولكن عروة كانت له كتابات تاريخية خالصة ، حفظها لنا بعض كتب التاريخ التي وصلت إلينا . فقد كان عبد الملك بن مروان يرسل إليه يسأله عن بعض الحوادث التاريخية ، فكتب إليه يسأله مرة عن هجرة الحبشة ^(١) ، ومرة أخرى عن وقعة بدر وخروج أبي سفيان ^(٢) ، ومرة ثالثة عن خالد بن الوليد وفتح مكة ^(٣) . وكان عروة بن الزبير في كل مرة يكتب إلى عبد الملك مجيباً له عما يسأله ؛ فكان مما كتبه مثلاً « أما بعد ، فإنك كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً ، من قبائل قريش كلها ، كانوا تجاراً بالشام . فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجاريتهم ؛ فدُكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى . . » ثم يمضى يفصل القول تفصيلاً في مقدمات وقعة بدر مما نقله الطبري في تاريخه . ولذلك قيل إن عروة أول من صنف في المغازى ^(٤) .

ولم يكن عروة وحده يدون هذه المغازى ، بل كان يدونها غيره من معاصريه ، مثل أبان ابن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (توفي أبان سنة ١٠٥) ، وقد أخذ

(١) الطبري : تاريخ ١ : ١١٨٠ .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٦٣٤ .

(٤) حاحي خليفة : كشف الظنون ٥ : ٦٤٦ .

هذه المغازى عن أبان : المغيرة بن عبد الرحمن ، وكانت كثيراً ما تُقرأ عليه^(١) .
 ووهب بن منبه كتب كذلك المغازى والسيرة^(٢) . وقد وجد بيكر C.N. Becker
 بين مجموعة أوراق بردى Shott-Reinhardt المحفوظة في هيدلبرج - مجلداً يرجح
 أنه يحوى قطعة من كتاب المغازى لوهب بن منبه ، وتاريخ نسخ هذه القطعة
 سنة ٢٢٨ ، فهي بعد وفاة وهب بنحو قرن واحد^(٣) .

وجاء بعد ذلك ابن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤) ، وقد طلب منه
 خالد بن عبد الله القسري أن يكتب له السيرة^(٤) ، فقال له ابن شهاب : فإنه
 يمرّ بي الشيء من سيرة على بن أبي طالب ، فأذكره ؟ فقال له خالد : لا ،
 إلا أن تراه في قعر الحميم !! وللزهري كتاب عن مشاهد النبي صلى الله عليه
 وسلم رواه عنه يونس بن يزيد^(٥) ، لا أدري أهو نفسه كتاب السيرة الذى كتبه
 لخالد القسري ، أم أنه كتاب غيره .

ثم خلف بعد هؤلاء موسى بن عقبة ومحمد بن إسحق صاحب السيرة .

٤

لقد كانت هذه الموضوعات الثلاثة : الحديث ، والتفسير ، والسير والمغازى
 - إسلامية في مادتها . وقد دلت بما لا يقبل الشك على أن تدوين الموضوعات
 في كتب - مهما يكن حجمها - قد بدأ في عهد مبكر جداً : منذ عهد الرسول
 والصحابة ، وأن هذه الموضوعات لم تُنقل بالرواية الشفهية قرناً أو يزيد حتى

(١) ابن سعد ٥ : ١٥٦ .

(٢) حاجي خليفة رقم ١٢٤٦٤ .

(٣) يوسف هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها - ترجمة حسين نصار - ص : ٣٤ - ٣٥ .

(٤) الأغاني ١٩ : ٥٩ .

(٥) السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : ٨٨ .

دونت ، كما ذهب إليه الكثيرون .

أما تدوين ما يتصل بالجاهلية من أخبار وأنساب وأشعار ، فسوردها مجتمعة لأنها متداخلة متشابكة في تدوينها منذ بدأ هذا التدوين . وكان العالم الذي يدون الجاهلية ، أو يرويها ، يذكر الخبر ثم يستشهد عليه بالشعر ويفصل القول في أنساب من يرد ذكرهم في حديثه ، أو يذكر الشعر ثم يورد من الأخبار والأنساب ما يفسره ويتصل به .

وأول ما يبدو لنا في هذا الموضوع أن الذين دونوا تلك الموضوعات الإسلامية التي ذكرناها ، كانوا أيضاً يعرضون لذكر الجاهلية : ففي كتب المغازي والسير كانوا يعرضون لذكر العرب الجاهليين والأنبياء السابقين ويفصلون القول في نسب الرسول الكريم وأخبار مكة وقريش ومن يتصل بهما من أفراد وقبائل . وكانت هذه الكتب التاريخية في السيرة والمغازي تشتمل على كثير من الشعر الذي قاله الشعراء الجاهليون الخالصون والشعراء الجاهليون المخضرمون . وقد كان كتاب السيرة والمغازي — في الصدر الأول — يحفظون كثيراً من الشعر الجاهلي ويستخدمونه في الاستشهاد على ما يكتبون أو يتحدثون . قال أبو الزناد عن أنان بن عثمان ابن عفان — وقد مر بنا أنه من كتاب السيرة والمغازي — إنه قلما كان في مصبته دون أن يتمثل بأشعار شاعر المدينة اليهودي الربيع بن أبي الحقيق ، وذلك قوله (١) :

سَمِيتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الْفِرَا شِ مِنْ جُرْمِ قَوْمِي وَمِنْ مَغْرَمِ
وَمِنْ سَفْوِ الرَّأْيِ بَعْدَ النَّهْيِ وَعِيبِ الرَّشَادِ وَلَمْ يُفْهَمِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيمَ لَمْ يَتَعَدَّوْا وَلَمْ يُظْلَمِ
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا الْفَوَاةَ حَتَّى تَعَكَّسَ أَهْلُ الدِّمِ (٢)

(١) الأغاني ٢١ : ٩٢ ، ونسبها المرزباني في معجم الشعراء (ص : ٣٥٢) لكنانة بن أبي الحقيق .

(٢) في معجم الشعراء : ٣٥٢ : « تلفظ أهل الدم » مكان « تعكس »

فَأَوْدَى السَّفِيهَ بِرَأْيِ الْحَلِيِّ م. وانتشر الأمر لم يُبْرَم.

وذكروا أن عروة بن الزبير - وهو أيضاً من كتب السير والمغازي كان من أروى الناس للشعر^(١).

وكذلك كان المفسرون يعتمدون على الشعر الجاهلي وكلام العرب في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه : فقد رُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر^(٢) : ما تقولون فيها ؟ (يقصد في قوله تعالى « أو يأخذهم على تخوف ») ، فسكتوا . فقام شيخ من هذيل ، فقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص . فقال : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ^(٣)

فقال عمر : عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

وُروى قريب من هذا عن ابن عباس ، فقد ذكر أبو بكر الأنباري^(٤) قال : أتى أعرابي إلى ابن عباس فقال :

تَخَوَّفَنِي مَالِي أَخْ لِي ظَالِمٌ فَلَا تَخْذُلْنِي الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَ

فقال ابن عباس : تخوفك أي تنقصك ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! « أو يأخذهم على تخوف » أي تنقص من خيارهم .

وقد كان ابن عباس حريصاً على الشعر الجاهلي يحث الناس على تعلمه

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ١٠١ .

(٢) تفسير البيضاوي - سورة النحل آية : ٤٦ .

(٣) التامك : السنام . القرد : الكثير القردان أو السمين . السفن : حجر ينحت به .

(٤) القالي ، الأمال ٢ : ١١٢ .

وطلبه لتفسير القرآن ، فما قاله في ذلك ^(١) : « إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب » .

وقد حاجَّ ابنُ عباسٍ عمرو بنَ العاص في مجلس معاوية رضى الله عنهم في آية ^(٢) ، فقال عمرو : تغرب في عين حامية ؛ وقال ابن عباس : حمئة . فلما خرج إذا رجل من الأزد قال له : بلغنى ما بينكما ، ولو كنتُ عندك أفدتك بأبيات قالها تُبَعَّ :

فَرَأَى مَغَارَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَمِنْ عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأُطٍ حَرَمِدٍ ^(٣)

فقال ابن عباس : اكتبها يا غلام .

وقال عثمان بن أبي العاصي الثقفي لبيته : « يا بني ، إني قد أجدتكم في أمهاتكم ، وأحسنتم مهنة أموالكم ، وإني ما جلستُ في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه . والناكح مُغتَرَس ، فليُنظر امرؤُ منكم حيث يضع غُرْسُه ؛ والعرق السوء قلما يُنَجِب ولو بعد حين » . فقال ابن عباس : يا غلام اكتب لنا هذا الحديث ^(٤) .

وقال ابن عباس كذلك ^(٥) : ما كنت لأدرى ما « فاطر السموات والأرض » حتى احتكم إليّ أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهَا - أى ابتدأت حفرها .

وقد ذكر عكرمة ^(٦) أنه ما سمع ابن عباس يفسر آية من كتاب الله عز وجل

(١) السيوطي ، المزهري ٢ : ٣٠٢ .

(٢) الزمخشري ، الفائق ١ : ٢٩٧ .

(٣) الخلب : الطين اللزج . الثأط : الحمأة . الحرمد : الأسود .

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ٢ : ٦٧ .

(٥) الفائق ٢ : ٢٨٣ .

(٦) التبريزي ، شرح الحماسة : ١ - ٣ .

إلا نزع فيها بيتاً من الشعر ، وكان يقول : إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب .

وكذلك كان ابن مسعود يُعنى بالعربية والشعر ، وقد كان يسأل في ذلك زرع بن حبيش - وكان أعرب الناس ^(١) .

وكذلك كان ابن شهاب الزهري ؛ فقد قال ابن أبي الزناد ^(٢) : كنا لانكتب إلا سنة ، وكان الزهري يكتب كل شيء ، فلما احتيج إليه عرفت أنه أوعى الناس . وقد كان الزهري يضرب في كل فن بسهم وافر ، وقد كتب في الأنساب كتاباً لم يُتمه ، قال الزهري ^(٣) : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب . فبدأت بنسب مضر ، وما أتممته ، فقال : اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم . وكان علمه بالأنساب والأخبار مضرب المثل ؛ قال الليث ^(٤) : « .. وإن حدثت عن العرب والأنساب قلت : لا يُحسن إلا هذا . » وكان راوية للشعر يحفظ الكثير منه ^(٥) ، حتى كان الخلفاء الأمويون يرسلون إليه يسألونه عن الشعر والشعراء ^(٦) .

وليس أدل على كثرة ما ألفه الزهري في شتى الموضوعات من أنه حينما قتل الوليد ابن يزيد سنة ١٢٦ هـ حملت الدفاتر على الدواب من خزائنه ، وكانت من علم الزهري ^(٧) . وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من أهول الدنيا ، فقالت له امرأته يوماً ^(٨) : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر .

• • •

(١) ابن سعد ٦ : ٧١ .

(٢) البيان والتبيين ٢ : ٢٩٠ .

(٣) الأغاني ١٩ : ٥٩ .

(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء ٣ : ٣٦٠ .

(٥) الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٢٣ - ٢٦ .

(٦) الأغاني ٤ : ٢٤٨ .

(٧) ابن سعد ٢ : ١٣٦ .

(٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١ : ٥٧١ .

فقد كان إذن هؤلاء المدونون للحديث والتفسير والمغازي يضمّنون مدوناتهم شيئاً من أخبار الجاهلية وأشعارها وأنسابها ، وربما أفردوا النسب بالتأليف . فهل دونت العرب — تدويناً مستقلاً قائماً بنفسه — ما يتصل بالجاهلية من أخبار وأشعار وأنساب ، كما دونت الحديث والتفسير والسيرة والمغازي ، أو أن تدوين أخبار الجاهلية وأشعارها وأنسابها لم يبدأ إلا منذ نهاية القرن الثاني على أيدي العلماء الرواة المشهورين ؟

٥

وسنبداً بذكر عالين من علماء الشعر الجاهلي متعاصرين ، هما : أبو عمرو ابن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤) ، وحامد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦) ، وستحدث عنهما هنا في أمر لا تعدّوه : هو أن نكشف عن أن عنايتهما بالشعر الجاهلي لم تكن مقصورة على دروس شفوية يتلقاها تلاميذهما من غير تدوين ، وإنما كانا ، وغيرهما من العلماء ، يثّلان إلى دواوين ومجموعات مكتوبة توارثها عن قبلهما ، وذلك فضلاً عما كانا هما يقيدانه ويدوانه مما يسمعان من الأعراب والرواة ، فيضيفانه إلى ما بين أيديهما من الدواوين زيادة في الرواية ، أو شرحاً وتفسيراً واستشهاداً على بعض المشكل من المعاني أو الغريب من الألفاظ .

أما أبو عمرو بن العلاء فقد بلغت عنايته بالشعر الجاهلي مبلغاً كبيراً حتى قال الأصمعي^(١) : جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتاج بيت إسلامي . وقال أبو عمرو مرة : لقد كثّر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته !! يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما ! وقد كانت عناية أبي عمرو بالكتابة والتدوين لا تقلّ عن عنايته بالحفظ

والرواية ؛ فقد كان يرسل إلى الحارث بن خالد بن العاصي — الشاعر الغزل المشهور — أخاه معاذ بن العلاء ومعه كتاب فيه مسائل يسأله عنها^(١) ؛ وكان كذلك يكتب إلى عكرمة بن خالد — محدث جليل من وجهه التابعين ، وهو أخو الحارث الشاعر — يسأله كما يسأل أخاه^(٢) .

وكان أبو عمرو يذهب إلى عمرو بن دينار ومعه كتابه ، فكان يقيد في كتابه مما يسمعه ما لم يكن فيه^(٣) . وقال شعبة^(٤) : كنت أجمع أنا وأبو عمرو ابن العلاء عند أبي نوفل بن أبي عقرب فأسأله عن الحديث خاصة ، ويسأله أبو عمرو عن الشعر واللغة خاصة ، فلا أكتب شيئاً مما يسأله عنه أبو عمرو ، ولا يكتب أبو عمرو شيئاً مما أسأله أنا عنه .

وكان من أثر شغفه بالتدوين أن كتبه « ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها ؛ فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه . وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية »^(٥) .

• • •

وأما حماد الراوية فالأخبار التي جمعناها عنه تدل دلالة صريحة على أنه كانت عنده كتب فيها أخبار الجاهلية وأنسابها وأشعارها ، بعضها كتبه بنفسه ، وبعضها كُتِب من قبله فقرأه واستفاد منه في تدوين كتبه .

(١) الأغاني ٣ : ٣١٢ ، وفيه أن الحارث كان آنذاك والى مكة أي سنة ٧٥ هـ . وقد ذكروا في سنة ولادة أبي عمرو أنها ٧٠ هـ ، وهذا لا يعقل ، إذ يكون أبو عمرو عالماً باللغة والشعر ويسأل عنهما إلى مكة وعمره خمس سنوات . ولكن في سنة ولادة أبي عمرو خلافاً ، قال ابن الجزري في طبقات القراء : ولد سنة ٦٨ ، وقيل سنة ٧٠ ، وقيل سنة ٦٥ ، وقيل سنة ٥٥ فإذا صح ما ذكرناه عن مكاتبة للحارث سنة ٧٥ كان أقرب إلى المقول أن تكون سنة ولادته أقدم ما ذكر ابن الجزري أي سنة ٥٥ .

(٢) أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، ورقة : ٢٤ .

(٣) ابن سعد ٢/٧ : ٤٢ .

(٤) السيوطي ، المزهر ٢ : ٣٠٤ .

(٥) البيان والتبيين ١ : ٣٢١ .

قال حماد الراوية^(١): « أرسل الوليد بن يزيد إلى بماتى ديناراً ، وأمر يوسف بن عمر بحمل إلى علي البريد . قال ، فقلت : لا يسألني إلا عن طرفيه : قُرَيْشٍ وَتَقِيفٍ ؛ فنظرت في كتابي قُرَيْشٍ وَتَقِيفٍ . فلما قدمت عليه سألتني عن أشعار بلي ، فأنشدته منها ما استحسنته ، ثم قال : أنشدني في الشراب - وعنده وجوه من أهل الشام - فأنشدته . . »

وقد كان أمرُ كتب حماد المشتمة على شعر الجاهلية معروفاً مشهوراً ، حتى إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك - حين أراد أن يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها - استعار من حماد ومن جناد بن واصل الكوفي ما عندهما من الكتب والدواوين فدونها عنده ، ثم ردَّ إليهما كتبهما^(٢).

وما يُروى لنا عن حماد أنه كان في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فتقب ليلة على رجل فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد ، فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ^(٣).

وقد رأى أبو حاتم السجستاني بعض كتب حماد في الشعر الجاهلي ، وكان يرجع إليها ، ويثبت ما يجده فيها زائداً على ما جمع من الشعر ، وإن كان نصيً على أن هذه الزيادات هي من الشعر المصنوع^(٤).

وما يؤيد ما ورد عن كتاب شعر الأنصار الذي وجده حماد أن شعر الأنصار

(١) الأغاني ٦ : ٩٤ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست : ١٣٤ ، وقد قال ابن النديم عن جناد بن واصل الكوفي (ص ١٣٥) إنه كان أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها .

(٣) الأغاني ٦ : ٨٧ .

(٤) أنظر مختارات ابن السجري : ١٢٣ و ١٢٧ و ١٣٦ . ولذلك كان عجباً أن يقول ابن النديم « ولم ير لحام كتاب ، وإنما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده ! ! » فلعن ابن النديم لم يصله شيء من كتبه فأنق هذا القول العام إلقاء .

قد كُتِبَ منذ زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ؛ وبقيت الأنصار بعد ذلك تجددّه كلما خافت بلاءه . وتفصيل ذلك أن عبد الله بن الزبيري السهميّ وضرار بن الخطاب الفهريّ أنشدا حسان بن ثابت شعراً مما كانا قالاه قبل الإسلام - وكان عمر قد نهى عن إنشاد ذلك الضرب من الشعر لئلا تتجدد الضغائن - فغار حسان حتى صار كالمرجل غضباً ، ثم دخل على عمر بن الخطاب وقص عليه قصتهما ، فأرسل إليهما عمر رسولاً فردهما إليه ، ثم دعا لهما بحسان - وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال لحسان : أنشدّهما مما قلتَ لهما . فأنشدّهما حتى فرغ مما قال لهما ، فوقف . فقال له عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . فقال له : أنشداك في الخلاء وأنشدتهما في الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيما وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إني قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشرّكين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذْ أَبَوْا فَا كْتَبُوهُ واحفظوا به . فدوّنوا ذلك عندهم . قال خلاد بن محمد : فأدرّكته والله وإن الأنصار لتجدّدّه عندها إذا خافت بلاءه^(١) .

• • •

ولم يكن الوليد بن يزيد - الذي جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها من كتب حماد وجناد - هو وحده الذي بذل مثل هذه العناية ؛ بل كان من سبقه من خلفاء بني أمية يفعلون كما فعل . فقد كان للوليد بن عبد الملك كاتب خاص نصّبه لكتابة المصاحف والشعر والأخبار ، وهو خالد بن الهياج^(٢) .

وقد مر بنا أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتبه ، فحفظه عبد الملك عنده في الديوان . وكان

(١) الأغاني ٤ : ١٤٤ - ١٤١ .

(٢) الفهرست : ٩ - ١٠ . وقد ذكر ابن النديم خالداً هذا في موضع آخر من كتابه (ص :

(٦) وقال عنه إنه صاحب على رضى الله عنه ، فلمله هو نفسه عاشر حتى كتب للوليد !

عبد الملك يُعْنَى بأخبار العرب وأشعارها، وفعل فيها ما فعل بالتفسير، وأمر من جمع له المعلقات (١).

أما معاوية بن أبي سفيان فقد كانت له ساعات من كل يوم يقعد فيها فيحضر غلمان « الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون ، وقد وُكِّلُوا بحفظها وقراءتها (٢) . وكانت من جملة تلك الأحاديث: أحاديث عبيد بن شريّة عن وقائع العرب وأخبارها وأشعارها ، فكان معاوية يأمر أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوا هذه الأحاديث ويدونوها في الكتب وينسبونها إلى عبيد بن شريّة (٣) .

وقد ذكر ابن سلام (٤) في معرض حديثه عن قصيدة أبي طالب التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

أنه رأى هذه القصيدة مُلَوَّنة في « كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة » . ولا نعرف متى كتب ابن سلام كتابه حتى نعرف متى كتب يوسف بن سعد هذه القصيدة في كتابه قبل مائة سنة من كتاب ابن سلام . غير أن يوسف بن سعد هو : يوسف بن سعد الجهمي ، مولاهم ، أبو يعقوب ، روى عن عمر وعلى وزيد بن ثابت (٥) . فهو إذن من كبار التابعين ، وبذلك نرجح أنه كتب كتابه هذا وفيه قصيدة أبي طالب ما بين منتصف القرن الأول ونهايته .

ولم يكن سماح عمر بن الخطاب بتلوين الشعر الجاهلي بدعاً من الأمر ،

(١) البغدادى ، الخزانة ١ : ١٢٤ .

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ٣ : ٤٠ - ٤١ .

(٣) أخبار عبيد بن شريّة : ١١٣ ، والفهرست : ١٣٢ .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٢٠٤ .

(٥) انظر ترجمته في : البخارى : التاريخ الكبير ٦ : ٣٧٣ ، وابن حجر : تهذيب

التهذيب ١١ : ٤١٣ .

فقد كان بعض الصحابة يعنون كذلك بتلوين هذا الشعر . وقد مر بنا أن طلحة رضى الله عنه أنشد قصيدة فما زال شائفاً ناقته حتى كتبت له ^(١) . فهو إذن يلون بعض الشعر ويجمعه ويحفظه .

وما يتصل بهذا أيضاً أن دَعَفَلًا النسابة — وهو جاهلى أدرك الإسلام — كان يكتب الأنساب ويلونها فى الصحف ويبدو لنا ذلك واضحاً من قول الفرزدق ^(٢) :

أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ عِنْدَ الشَّهَادَةِ فِى الصَّحِيفَةِ دَعَفَلُ
أَنَّ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرٌ وَالِدًا وَأَتَمُّ فِى حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ

وفى هذه القصيدة نفسها يعدد الفرزدق الشعراء الجاهليين ، ويفخر أنه قد ورث عنهم الشاعرية المتدفقة الفحلة، ولكن فى ألفاظه ما قد يفهم منه أنه كانت بين يديه مجموعات شعرية لشعراء جاهليين أو نسخ من دواوينهم ، وذلك قوله :

وَالْجَعْفَرِيُّ وَكَانَ بِشْرُ قَبْلَهُ لِي مِنْ قِصَائِهِ الْكِتَابُ الْمُجَمَّلُ

وبعد أبيات يقول :

دَفَعُوا إِلَى كِتَابِهِنَّ وَصِيَّةً فَوَرِثْتُهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الْجَنْدَلُ

ونحب هنا أن نذكر بما كتبناه فى حديثنا عن تقييد الشعر الجاهلى من أمر هذه القصائد التى كان يكتبها : النابعة الديباني ، وعدى بن زيد العبادى ،

(١) الزمخشري ، الفائق ١ : ٦٧٧ .

(٢) التوائف ١ : ١٨٩ .

والربيع بن زياد العبسي وغيرهم كثيرين ، ويرسلونها إلى بلاط المناذرة معتلّين عاتيين ، ونصل هذا الذي قدمناه بما يُروى عن حماد الراوية من قوله (١) : أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج - قال : وهي الكراريس - ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفزه فأخرج تلك الأشعار .

وقد يحلو لبعض القدامى أن يطعنوا في حماد ويكذّبوه - وسنعرض لذلك في بحثنا عن الرواية والرواة في الباب التالي - وقد يحلو لبعض المحدثين أن يطعنوا في هذه الرواية بذاتها ويكذبوها ، ولكنهم لا يقدمون دليلاً يقوم عليه طعنهم وتكذيبهم ، وإنما هم يرسلون الكلام لإرسالاً ويلقونه على عواهنه ؛ وهذا ابن سلام - وهو من هو شكاً في الشعر الجاهلي وفي بعض رواته - يسوق من هذه الرواية المتقدمة جوهرها ومضمونها ، وإن كان لا ينسبها إلى حماد ؛ وهو في إيراده هذه الرواية يقبلها ولا يشكك فيها . قال ابن سلام (٢) : « وقد كان عند النعمان ابن المنذر منه (أى من شعر العرب في الجاهلية) ديوان فيه أشعار الفحول وما مُدح هو وأهل بيته به ، فصار ذلك إلى بني مروان ، أو صار منه » . فالروایتان رواية واحدة ، وهي رواية تتسق اتساقاً كاملاً مع ما قدمنا من تقييد الشعر الجاهلي وتدوينه ، ولا نجد ما يسوغ التشكيك فيها ، إلا أن يقوم دليل لم نستبته بعد .

وثمة خبر آخر يؤيد الخبر السابق ويدعمه ، ويدل على مبلغ عناية بلاط المناذرة وأهل الحيرة بتدوين الأخبار والأشعار الجاهلية . فقد قال الطبري (٣) : « كان أمر آل نصر بن ربيعة ، ومن كان من ولاية ملوك الفرس وعالمهم على فخر العرب الذين هم ببادية العراق ، عند أهل الحيرة متعالملاً مُثبتاً عندهم في

(١) ابن جني ، الخصائص ١ : ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٢٣ .

(٣) تاريخ (ط . مصر) ٢ : ٣٧ .

كتائبهم وأسفارهم» ، ثم يذكر الطبرى أن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: « كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها » .

وقد قبل الباحثون من المستشرقين هذا القول ، فقال الأستاذ هـ . ا . ر . جب^(١) : « ويُزعم من ناحية أخرى أنه ربما وُجدت كتب ملونة في الحيرة ، وأنموجلت بالفعل بعض المقييدات التاريخية هناك ، فهذا لامراء فيه » . بل إن الأستاذ أولندر ليذهب إلى أبعد من ذلك فيقول عن ابن الكلبي إنه كان مؤرخاً حذراً مثبِتاً على خلاف ما يصممه به خصومه من القدامى ، ثم يقول^(٢) : « ومن المؤكد أنه استخدم النقوش والمدونات التاريخية في الحيرة واستفاد منها ، ولذلك أكد الباحثون المحدثون أقواله مراراً ، وفي حالات منها أكدوها تأكيداً عجبياً ، مثال ذلك : تأكيدهم أقواله حينما اكتشفوا شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو الحيرى^(٣) » .

فأما الآن — في هذه النصوص والروايات الثلاث الأخيرة : شعر الفرزدق عن صحيفة دغفل في النسب وما يُفهم من قوله عن وجود دواوين شعر جاهلي عنده ، ثم رواية حماد وابن سلام عن جمع النعمان للشعر الجاهلي وتلويته ، ثم رواية ابن الكلبي عن أسفار الحيرة ونقوش كتائبها وما فيها من أخبار العرب الجاهليين وأنسابهم — أمانا إذن ، في هذه النصوص والروايات ، شعر جاهلي وأخبار جاهلية ملونة كلها في كتب وأسفار ودواوين من الجاهلية نفسها . وما زال في الحديث فضلٌ حقيق بأن يُذكر ليزيد ما تقدمُ حجةٌ وإيضاحاً .

(١) مقالة عنوانها « بدء التأليف النثرى » في مجلة الأدب والفن — السنة الأولى — الجزء

الثاني — سنة ١٩٤٣ ص : ٤ .

(٢) Gunnar Olinder, Kings of Kinda P. 16-17. (٢)

(٣) انظر أيضاً : جواد على ، تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٤٧ — ٤٨ ؛ وما كتبه

الأستاذ أحمد زكى باشا في مقدمة كتاب الأستام ص : ١٢ — ١٨ .

وقد أشرنا في حديث سابق إشارة عابرة إلى بيتي مَعْقِل بن خويلد الهللي - وهو شاعر جاهل أدرك الإسلام - وهما ^(١) :

فِيئِي كَمَا قَالَ مُمْلِي الْكُتَا بَ فِي الرَّقِّ إِذْ خَطَّهُ الْكَاتِبُ :
«يَرَى الشَّاهِدُ الْحَاضِرُ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ»

وقد وضعنا علامات الترقيم هذه لتدل على المعنى الذي قصدنا إليه من أن هذا الشاعر قد قرأ بيته الثاني - بهذه الألفاظ أو بألفاظ مقاربة تُؤدِّي هذا المعنى - في كتاب من كتب الشعر أو الأخبار الجاهلية ، ثم اقتبسه وضمنه قصيدته هذه .

وليس الأمر مجرد استنتاج ، فلهذين البيتين أخ ثالث قاله شاعر آخر وهو أوضح في دلالاته وأبين في حجته لنا من هذين البيتين ، وذلك قول بشر بن أبي خازم - وهو شاعر جاهل لم يُدرك الإسلام ^(٢) :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ : «أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمِعَارُ»
فبشر يذكر ، في وضوح ، أنه وجد في كتاب بني تميم أن : أحق الخيل بالركض

(١) ديوان الهذليين ٣ : ٧٠ .

(٢) المفضليات : ٩٨ وينسب البيت أيضاً للطرماح كما في اللسان . وليس البيت في ديوان الطرماح ، وإنما هو من الأبيات التي جمعت وأضيفت إلى آخر الديوان ، وهو هناك بيت مفرد منقول من اللسان . وذكر كرتكو (وهو عمق الديوان) ص : ١٤٨ بعد البيت أنه « قد ورد هذا البيت في قصيدة لبشر ابن أبي خازم الأسدي ، وقال أبو عبيدة إنه للطرماح » .
وقد أورده الفيروزبادي في قاموسه المحيط (عبر) ، وقال إنه « قول بشر بن أبي خازم ، لا الطرماح ، وغلط الجوهري » .

وما يقوى نسبه لبشر أن في كتب اللغة والأدب أبياتاً متفرقة من هذا البحر والروى منسوبة لبشر بحيث يصح أن تكون في أصلها قصيدة واحدة منها هذا البيت .
ومهما يكن ، فإن البيت حتى إذا لم تثبت نسبه لبشر ، وكان حقاً للطرماح ، فإن دلالاته ما زالت قائمة ، لأن الطرماح مات في نحو سنة ١٠٥ ، فيضم هذا البيت إلى الشواهد والأدلة التي تثبت وجود كتب القبائل ودواوين الأفراد منذ القرن الأول الهجري .

المعار . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت ^(١) ، ولكنه أورد — قبل هذا البيت — في أثناء حديثه عن هذه المادة اللغوية — بيتاً آخر يختلف عنه في الصدر ، ويتفق معه في العجز اتفاقاً تاماً ، وهو :

أَعْيَرُوا خَيْلَكُمْ ثُمَّ ارْكُضُوهَا أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارُ

وابن منظور لا ينسب هذا البيت الأخير لشاعر بعينه ؛ وبذلك ترك لنا المجال مفتوحاً لنساق مع صريح ألفاظ بشر بن أبي خازم في بيته السابق ، فنفترض أن بيت اللسان غير المنسوب هو لشاعر تميمي جاهلي ، وأن بشراً قد قرأ هذا البيت في كتاب شعر بني تميم ، فاقتبس عجزه في بيته ، ولذلك وضعناه بين علامتي اقتباس .

وقد أورد المرزباني بيت بشر هذا وقال بعده ^(٢) : « فعناه : وجدنا هذه اللفظة مكتوبة » .

• • •

فما هو كتاب بني تميم إذن ؟ الذي نراه أن كل قبيلة من القبائل كانت تجمع شعر شعرائها ، وحكم حكمائها ، وأقوال خطبائها ، وأخبارها ومفاخرها ومآثرها وأنسابها في كتاب . وقد احتفظ العرب بهذه التسمية لكتب القبائل بعد ذلك في العصور الإسلامية لتدل على هذا نفسه الذي قدّمنا . وسنعود إلى هذا الموضوع بالحديث المفصل حين نتكلم على دواوين القبائل في الفصل الثاني من الباب الأخير .

وقد مرّ بنا ذكر كتابي قريش وثقيف اللذين كانا عند حماد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦) وأنه نظر فيهما حين أرسل إليه الوليد بن يزيد ^(٣) . ونضيف إلى كتب القبائل هذه التي تحوى أخبارها وأنسابها وشعر شعرائها :

(١) لسان العرب (غير) .

(٢) الموشح : ١٧٩ .

(٣) الأغاني ٦ : ٩٤ .

كتاب نسب قريش الذي كان مع ابن شهاب الزهري^(١) (المتوفى سنة ١٢٣ - ١٢٥).

وما يدل أيضاً على قدم وجود كتب النسب هذه ، ويزيد اطمئناننا إلى أنها كانت مدونة منذ الجاهلية ، ما قاله عبد الله بن محمد بن عمار^(٢) « فرئى : أم^٣ لم (أى لبني حزم) في الجاهلية من بَلَقَيْنِ ، كانوا يُسَبِّون بها ، لا أدري ما أمرها ، قد طرحوها من كتاب النسب » . وما ذكره أبو الفرج أيضاً عند حديثه عن قريظة والنضير وبنى قيسنق وغيرهم قال^(٣) « لم أجد لهم نسباً فأذكره لأنهم ليسوا من العرب ، فتدون العرب أنسابهم ، إنما هم حلفاؤهم » . وهذا النص الأخير على تدوين العرب أنسابهم منصرف حتماً إلى العصر الجاهلي ، لأن اليهود لم يكونوا حلفاء للعرب بعد الإسلام .

فكتب القبائل هذه - وإن كانت فيها زيادات إسلامية - توضح لنا معنى كتاب القبيلة في الجاهلية ، فهي - كما قدمنا - مجموعة فيها كل ما يتصل بالقبيلة من أخبار حروبها وأيامها ، وذكر مفاخرها وآثرها ، وشعر شعرائها ، وحكم بلغائها .

• • •

وربما أفردوا الحِكم وجوامع الكلم في كتاب خاص ، وتكون في هذه الحالة إما حِكماً عامة مما قالته حكماء العرب من شتى القبائل ، وإما مما قالته الحكماء من غير العرب ثم عرفه العرب ونقلوه إلى لغتهم ، وذلك هو معنى قول عامر ابن الظرب للملك الغساني حينما خافه على نفسه وأراد أن ينجو منه^(٤) : « إن لي كتر علم وإن الذي أعجبك من علمي إنما هو من ذلك الكثر أحتذى عليه ، وقد خلقتة خلقي ، فإن صار في أيدي قومي علم كلهم مثل علمي ، فأذن لي حتى

(١) ابن عبد البر ، القصد والأهم : ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الأغاني ٤ : ٢٣٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١١٦ .

(٤) أبو حاتم السجستاني ، كتاب الممرين : ٤٨ - ٤٩ .

أرجع إلى بلادى فأتيتك به . فليس هذا الكثر من العلم — فيما نرى — إلا كتاباً جُمِعت فيه أقوال بليغة وأمثال وحكم وأشعار وأخبار . وآية ذلك أن هذا الذى أعجبه من علمه لم يكن إلا أنه « أعجبه نحوه » ، فكلمه فإذا أحكمُ العرب وأحلمهم قولاً وفعلًا » .

ولو جاء ذكر كتب العلم (أى الحكمة وجوامع الكلم والأمثال) فى خبر واحد لشككنا فيه وتوقفنا عن قبوله ، ولكن ذكر هذا الضرب من الكتب قد تردد فى أخبار كثيرة لاسبيل إلى إهمالها ، فأكرم بن صَيْقَى أحد هؤلاء العلماء الحكماء فى الجاهلية ، كانت بعض حكمته تُكتب ، وكان بعض الملوك يرسلون إليه يستكتبونها ، فقد « كتب إليه ملك هَجَرَ ، أُوذَجْرَان ، أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها ، وأن يوجز » ، فكتب إليه : إن أحق الحقم الفجور ، وأمثلُ الأشياء ترك الفضول . . . »^(١)

وكتب إليه أيضاً الحارث بن أبى شَمير الفسافى ملك عرب الشام « ... فاعهد إلينا أمراً نعرف به أن فى العرب . . . حكمةً وعقولاً وألسنة . فكتب إليه أكرم : إن المروءة أن تكون عالماً كجاهل ، وناطقاً كعمى . . . »^(٢)

وكتب إليه كذلك النعمان بن المنذر « أن اعهد إلينا أمراً نُعجِب به فارس ونرغبهم به فى العرب . فكتب أكرم : لن يهلك امرؤ حتى يضيع الرأى عند فعله ، ويستبدّ على قومه بأموره . . . »^(٣)

فإذا أضفنا إلى هذين الحكيمين العالمين حكيماً عالماً ثالثاً هو قُسّ بن ساعدة ، وعلمنا أنه كان أيضاً كاتباً^(٤) ، رجع عندنا أن هؤلاء الحكماء كانوا — أو كان أكثرهم — من الذين يعرفون الكتابة ويأجأون إليها فى تسجيل حكمهم

(١) كتاب المعمرين : ١٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٨ .

(٣) المصدر السابق : ١٩ .

(٤) المصدر السابق : ٦٩ .

في مثل هذه الكتب التي سميت كتب العلم .
وقد عُني بعض الدارسين المحدثين بدراسة الأمثال عند العرب ومقابلتها بالأمثال عند الأمم القديمة وخاصة الساميين . ومن هؤلاء الدكتور عبد المجيد عابدين^(١) الذي تحدث في أحد فصول رسالته عن الصلات الثقافية بين بلاد الشرق القديم ، وخاصة الحكمة والمثل^(٢) ، وانتهى إلى قوله^(٣) : « ولم تكن العلاقة بين العرب وأصحاب هذه الحكم ضعيفة واهية ، فقد أشارت النقوش البابلية غير مرة إلى صلات ملوك بابل وآشور ببلاد العرب ، وكان بعض شخصيات سفر أيوب من أصل عربي . وفي عصور ما بعد الميلاد أخذت الثقافة الآرامية تغزو مناطق عدة من شبه الجزيرة العربية كما رأينا فيما سبق . وكانت الحكمة اليونانية قد انتشرت في مدارس الرها وجنديسابور والحيرة على أيدي علماء السريان الذين بدأوا منذ حوالي ٣٠٠ سنة بعد الميلاد ينقلون هذه الحكمة ، وواصلوا حركتهم إلى سنة ٧٠٠ م أي إلى عصر بني أمية في تاريخ المسلمين . وكان السريان في القرن الخامس الميلادي يبشرون بالمسيحية في الحبشة على المذهب القائل بالطبيعة الواحدة ، وهو المذهب الذي اعتنقه الغساسنة في الشام . وكانت الصلات بين الحبشة واليمن قديمة ومستمرة . وبذلك أهدقت الآثار الكتابية ببلاد العرب وتسربت هذه الآثار إليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ، وتعاونت جهود السلطات الحاكمة في العراق والشام واليمن ، في الجاهلية ، على تشجيع هذه الدعوات الكتابية مادياً وأدبياً . وفي فترة هذه الدعوات نشطت حكمة العرب ، في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة . وفي الوقت الذي كانت فيه الحكمة الشعبية تلاقى ازدهاراً على أيدي العراقيين ، وتجدد تغاضياً من جانب الغساسنة وسادة

(١) في بحثه « الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى » .

(٢) ص : ١٢٦ - ١٢٩ .

(٣) ص : ١٢٩ - ١٣٠ .

الحجاز واليمن قبل الإسلام ، كانت الحكمة الكتابية تشق طريقها في أنحاء البلاد دون تفرقة بين شرق وغرب وشمال وجنوب ، وتلقى عناية القائمين بالأمر في هذه المناطق جميعاً . وإذا كان الفلاسنة وسادة الحجاز واليمن قد انصرفوا عن جانب التراث الشعبي في منطقهم ، فقد عضدوا الدعوات الكتابية ، وساندوا حركاتها ، وشجعوا حكماء العرب ما وسعهم التشجيع » . ثم ينتقل إلى الحديث عن هؤلاء الحكماء من بين عرب الجاهلية ، وبعد أن يذكّر بعضهم بقول^(١) : « والذين اشتهروا من هؤلاء الحكماء كانوا يهجون نهجاً يذكّرنا بنهج حكماء الشرق الأدنى القديم ، فكان الحكماء العرب كالحكام البابلي والعبري يجمع أحياناً إلى عمل القاضي والمشرّع حرفة الكاهن والطبيب والمنجم ، فكان الحكماء هو الرجل المثقف ثقافة جامعة اشقى ألوان المعرفة ، وكان بعض حكماء العرب يورثون الحكمة أبناءهم كما صنع حكماء الشرق القديم حين كانوا يلقنون أولادهم تعاليم الحكمة . . . »

ولعل مما يدل على عناية عرب الجاهلية بكتابة الأمثال عناية قديمة أن من أوائل المؤلفات التي حفظت لنا المصادر العربية ذكرها في العصر الإسلامي : كتب الأمثال ؛ فنذ أيام معاوية ألف صُحَّار بن عبيّاش العبدى (من عبد القيس) كتاباً في الأمثال^(٢) . وكذلك ألف في زمانه عبيد بن شربة كتاباً آخر في الأمثال ذكر ابن النديم^(٣) أنه رآه في نحو خسين ورقة . وقد روى علاقة بن كريمة الكلّابي عن عبيد كتابه هذا في الأمثال^(٤) .

ومما يدل أيضاً على أن هذه الحكم كانت مدونة منذ الجاهلية وبقيت إلى عهد الرسول والصحابة أن عمران بن حصين قال^(٥) : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الحياء لا يأتي إلا بخير . فقال بشير بن كعب - وكان قد

(١) ص : ١٣٠ .

(٢) فهرست ابن النديم : ١٣٢ ، وانظر أيضاً البيان والتبيين ١ : ٩٦ .

(٣) الفهرست : ١٣٢ .

(٤) ياقوت : إرشاد ١٢ : ١٩٠ .

(٥) المسكوى : التصحيح والتحريف (مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٩٠٨) ص : ٨ .

قرأ الكتب - : « إن في الحكمة : أن منه ضعفاً . ففضب عمران بن الحصين وقال : أحدثك بما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحديثي عن مصحفك هذه الخبيثة ؟ »

ثم هذه الصحيفة التي كانت مع سويد بن الصامت ، والتي لم تكن إلا كتاباً فيه حكمة لقمان ^(١) ؛ وقد قرأها ، قبل أن يسلم ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستحسنها رسول الله وقال : « إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا : قرآن أنزله الله تعالى عليّ ، هو هدى ونور » .

• • •

بقى أمر أخير في النفس منه شيء ، بل أشياء : ذلك هو تسمية القصائد السبع أو العشر الجاهليات « بالمعلقات » . فقد ذكر القدماء أنه قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له « أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبها بماء الذهب في القبايطي المدرجة ، وعلقها في أستار الكعبة ، فنه يقال : مذهب امرئ القيس ، ومذهب زهير . . . والمذاهب السبع ، وقد يقال لها : المعلقة » ^(٢) . وقد نقل البغدادى ما يشبه هذا الكلام ثم قال ^(٣) : « ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه ؛ لتكون في خزانته » .

ولكن هذا الرأي في تفسير كلمة « المذاهب » أو « المعلقة » لم يسلم من النقد والاعتراض سواء من القدامى أو من المحدثين . فن القدامى أبو جعفر أحمد ابن محمد النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨) الذي ذكر ^(٤) « أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والفائق ١ : ٢٠٦ ، ولسان العرب (جلد) .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ٦ : ١١٩ .

(٣) الخزانة ١ : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) ياقوت ، إرشاد (حماد)

أما المحدثون فلا يسوقون على اعتراضهم دليلاً ، ولكننا نحسب ، من سياق حديثهم ، أن لاعتراضهم أساسين : الأول — أن العرب لم يكونوا في جاهليتهم أمة كاتبة تبلغ بها معرفتها بالكتابة أن تسجل شعرها وتكتبه . والثاني — أن الكعبة لها من الاحترام والقلمسية ما لا يبيح أن تُعلّق فيها المدونات والمكتوبات .

وأما نحن فلإننا لا نملك وسيلة قاطعة للإثبات أو النفي ؛ ولا نحب أن نعتسف الطريق ونقتحم كما يقتحم غيرنا . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الاعتراض الذي قدمه القدماء كاعتراض ابن النحاس ، والذي قدمه المحدثون ، لا يثبت — في رأينا — للتحقيق والتحجيص ؛ فلذا ما استطعنا أن ننفي هذا الاعتراض بقى القول الأول بكتابة المعلقة وتعليقها — سواء في الكعبة أو خزانة الملك أو السيد — قولاً قائماً ، ترجيحاً لا يقيناً ، إلى أن يتاح له اعتراض جديد بنفيه ، أو سند جديد يؤيده ويثبته .

أما ما ذكره ابن النحاس من أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال فإنه لا يقوم دليلاً على أنها لم تكن موجودة من قبله وأنها لم تكن مكتوبة أو معلقة ؛ وإلا لكان معنى ذلك أن الدواوين التي صنعها وجمعها أبو عمرو بن العلاء وأبو عمرو الشيباني والمفضل والأصمعي والسكري وثعلب — كلها غير موجودة من قبلهم ؛ وهو كلام لم يقله أحد ، ولا معنى له . والذي نعرفه ، مما قدمنا ، أن حماداً كان يجمع الشعر الجاهلي وكان يدونه ، وأنه كانت بين يديه نسخ من دواوين هذا الشعر ، فلذا صح أن حماداً هو الذي جمع — في ديوان واحد أو مجموعة واحدة — هذه القصائد السبع بعد أن كانت مفرقة ، أو جددها بعد أن كادت تبلى ، فإن ذلك لا يقوم حجة على بطلان ما أوردناه من أمر تعليقها . وقد ذكرنا من قبل عناية بعض الخلفاء الأمويين بجمع الشعر الجاهلي وكتابته وحفظه في الديوان . وقد ورد أن عبد الملك بن مروان عني أيضاً بجمع هذه القصائد المعلقة « فطرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة ^(١) » . فلذا صح ذلك

وصح ماروى من أن معاوية بن أبي سفيان قال ^(١) « قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرأ » — كان هذان دليلين على معرفة القوم بأمر المعلقات وكتابتها وتعليقها قبل حماد بدهر .

أما اعتراض المحدثين فقد تحدثنا — في كل ما كتبنا — عن نفي الشق الأول منه ، وأبناً في وضوح أن الجاهلية العربية عرفت الكتابة معرفة قديمة واسعة ، واستخدمتها في جُلِّ شئونها ، وكتبت بعض شعرها وأخبارها وأنسابها ، ودونها في صحف وكتب ودواوين . فالقول إذن بأمية الجاهلية فرض واهم يجب أن نُسقط جميع ما رُتّب عليه من نتائج باطلة .

وأما الشق الثانى من اعتراض المحدثين فهو كذلك لا يثبت للنظر والتحقيق ، إذ أن عرب الجاهلية كانوا يعلقون وثائقهم وكتاباتهم ذات القيمة في الكعبة لقداسها في نفوسهم ، وذلك إظهار لعلو مكانة هذه الوثائق والكتابات ولييان قيمتها وخطورها . وأوضح مثال على أن تعليق هذه الكتابات كان أمراً مألوفاً متعارفاً عند عرب الجاهلية ما ذكره محمد بن حبيب عن حلف خزاعة لعبد المطلب ، قال ^(٢) : « ... وكتبوا بينهم كتاباً ، كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ... ثم علقوا الكتاب في الكعبة » .

ومثل ثان :

هذه الصحيفة التى كتبها قريش حينما اجتمعت على بنى هاشم وبنى المطلب ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً على أنفسهم ^(٣) . وقد بقيت هذه الصحيفة في الكعبة دهرأ ، فلما أخرجوها بعد ذلك وجعلوا أن الأرض لم تدع في الصحيفة إلا أسماء الله ^(٤) .

(١) الخزانة ٣ : ١٦٢ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت — مخطوط بمكتبة أحمد الثالث ورقة : ١٥ - ١٦ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١ : ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ١٦ وانظر مثلاً تعليق المهود في الكعبة في المصور الإسلامية ،

في مروج الذهب ٣ : ٤٠٤ .

فإذا كان كلامنا هذا كافياً في نفي هذين الاعتراضين - وإذا ضممتنا إلى هذا ما ذكرناه من تدوين الشعر الجاهلي ، رجح عندنا أمر كتابة هذه المعلقات وتعليقها ، وصح عندنا أن نتخذها مثلاً آخر ، نورد في هذا البحث ، من أمثلة تدوين الشعر الجاهلي وكتابته (١) .

٦

وبعد ،

فإن جميع ما ذكرناه لا يعلم أن يكون أمثلة قليلة ، نقبنا عنها تنقيباً طويلاً في أرض غفل ، قد طمست آثارها ، وعفت رسومها واندرست معالمها ؛ ولكننا مع ذلك قد استطعنا أن نقيم فيها هذه الصوئى لتدل عليها وتحدد اتجاهها . فإذا صح ما ذكرناه من أن هذا الشعر الجاهلي قد دُونَ بعضه منذ الجاهلية ، واتصل تدوينه وتجديده في الإسلام ، فإننا نحب - استيفاءً للبحث - أن نصله بعصرنا هذا الذي نعيش فيه ، ونكشف عن صلة تلك المدونات الجاهلية والإسلامية المبكرة بهذه الدواوين التي بين أيدينا من الشعر الجاهلي ، والتي صنعها ورواها أبو عمرو بن العلاء والأصمعي والمفضل الضبي وأبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي . ولذلك حق لنا أن نسأل : هل أخذ هؤلاء العلماء الرواة ، في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث ، الشعر الجاهلي الذي رووه - من مدونات قديمة ؟ أو أنهم أخذوه كله من أفواه الرواة ؟ أما الرواية الشفهية فجال بحثها في الكتاب التالي ، ولذلك لن نعرض لها الآن ، وحسبنا أن نجيب عن الشق الأول من السؤال ، ونرى هل اعتمد هؤلاء العلماء على كتب ودواوين للشعر الجاهلي أخذوا منها - جمعاً أو اختياراً - ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي ؟

(١) للأستاذ مصطفى صادق الرافعي بحث جيد عن المعلقات (تاريخ آداب العرب ٣ : ١٨٦ - ١٩٣) وهو في جملة يخالف رأينا . وانظر كذلك « نقض كتاب في الشعر الجاهلي » لليد محمد الخضر حسين ص : ٣٠٧ - ٣٠٩ .

وللإجابة عن هذا السؤال طريقان نحن سالكوهما ، الأول - عرض " لبعض الروايات والأخبار عن هؤلاء العلماء الرواة ، وكيف أخذوا علمهم ؛ والثاني - دراسة بعض الشعر الجاهلي الذي رواه ، واستبانة « القراءات » المختلفة للفظ الواحد عند بعض هؤلاء العلماء .

أما الطريق الأول فقد عفى العلماء أنفسهم آثاره نغفية مقصودة متعمدة مما سنفصل القول فيه بعد قليل في ختام هذا الفصل ، واكتننا مع ذلك عثرنا على بعض ما يصح أن ننصبه في طريقنا ليهدينا السبيل :

فقصة ابن الأعرابي (أبي عبد الله محمد بن زياد ١٥٠ - ٢٣١) مع الكتب قصة مشهورة ، فقد كان كثير المكوف عليها ، والمدايسة لها ، والنظر فيها ، والأخذ منها . ولما بعث إليه أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع غلاماً من غلمانه يسأله المحيء إليه ، عاد إليه الغلام فقال : قد سأله ذلك فقال لي : عندي قوم من الأعراب ، فإذا قضيت أربي معهم أتيت . قال الغلام : وما رأيت عنده أحداً إلا أني رأيت بين يديه كتباً ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة (١) .

أما الأصمعي (عبد الملك بن قُرَيْب ١٢٣ - ٢١٦) فقد قرأ بعض دواوين الشعر الجاهلي على شيوخه ؛ قال الأصمعي (٢) : قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة . وقال أيضاً (٣) : قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني . وقال أبو حاتم السجستاني (٤) : قرأ الأصمعي على أبي عمرو بن العلاء شعر الخطيئة . وقرئ يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب : بأسفل ذات الدَّيْر أفرِدَ جَحْشُهَا . فقال أعرابي حضر المجلس للقارئ : ضلّ ضلالك أيها القارئ ، إنما هي « ذات الدَّيْر » وهي ثنية عندنا ؛ فأخذ الأصمعي بذلك

(١) ياقوت ، إرشاد (محمد بن زياد) .

(٢) السيوطي ، المزهر : ١ : ١٦٠ .

(٣) المرزبان ، الموشح : ٤٢ .

(٤) المزهر ٢ ، ٣٥٥ .

فيا بعد ^(١).

وكذلك كان أبو عبيدة (معمّر بن المثنى ١١٤ - ٢١٠) وأبو حاتم السجستاني يتداولان الشعر الجاهلي في كتب ؛ قال أبو حاتم ^(٢) : جثت أبا عبيدة يوماً ومعى شعر عُرْوَةَ بن الورد ، فقال لى : ما معك ؟ فقلت : شعر عُرْوَةَ . قال : فارغْ حَلَّ شعر فقير ليقرأه على فقير !

وأما أبو عمرو والشيباني (إسحق بن مِرَّار ، توفى سنة ٢٠٦ أو ٢١٣ ، وعمره ١١٠ أو ١١٨ سنة) فقد كان كذلك يكتب الشعر والأخبار ويأخذها من الكتب . قال يعقوب بن السكيت ^(٣) : مات أبو عمرو الشيباني وله مائة وثمانى عشرة سنة ، وكان يكتب بيده إلى أن مات ؛ وكان ربما استعار منى الكتاب وأنا إذ ذاك صبيٌّ أخذ عنه وأكتب من كتبه . وقد قرأ أبو عمرو الشيباني دواوين الشعراء على المفضل ^(٤).

أما أبو عمرو بن العلاء فقد مر بنا ذكر كتبه وكثرتها ثم إحراقها بعد أن تقرأ .

وهذا حديث بين ابن منذر الشاعر وخلف الأحمر يدل - فيا نرى - على أن الشعر الجاهلي كان مدوناً في الكتب قبل عهدهما ، وأنهما كانا يعرفان هذه الكتب ويأخذان منها . قال ابن منذر لخلف ^(٥) : يا أبا مُحَرَّرْ ، إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري إلى شعرهم ، واحكم فيها بالحق ؛ فغضب خلف . . .

ومن أوضح الأمثلة على هذا الذى نحن بسبيله : ما ورد عن أبي تمام (توفى سنة ٢٣١) حينما اختار حماسته ؛ وذلك أن الثلج عاقه عن السفر ، وكان في

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١ : ٢٩ .

(٢) المزمع ١ : ١٦١ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ١٠٢ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١ : ٦٥ .

(٥) ياقوت ، إرشاد (خلف) .

العراق ، فاستضافه أبو الوفاء بن سلمة ، وأحضره خزانة كتبه ، فطالها ، واشتغل بها ، وصنف خمسة كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة والوحشيات^(١) .

وما ورد كذلك عن المفضل الضبي (توفي سنة ١٦٨ أو ١٧٨) حين قال له العباس بن بكار^(٢) : ما أحسن اختيارك للأشعار ، فلو زدتنا من اختيارك . فقال المفضل : والله ما هذا الاختيار لي ، ولكن إبراهيم بن عبد الله استر عندي (في نحو سنة ١٤٥) فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار ، فيأنس ويحدثني ؛ ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياماً ، فقال لي : اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها . فتركت عنده قمطرين فيهما أشعار وأخبار ، فلما عدت وجدته قد علم على هذه الأشعار ، وكان أحفظ الناس للشعر ، فجمعته وأخرجته ، فقال الناس : اختيار المفضل .

فهذه كلها أخبار صريحة الدلالة على أن هؤلاء العلماء الرواة إنما وجدوا أمامهم دواوين الشعر الجاهلي مكتوبة قبل عهدهم ، وأنهم قرءوها وتدارسوها وأخذوا منها ؛ ومن هنا كانت الدواوين التي صنعوها أو المجموعات التي احتاروها قائمة - في أساسها - على ما كان مُدَوَّنًا من قبل عصرهم .

أما الطريق الثاني لمعرفة أخذ هؤلاء العلماء المتقدمين أشعار الجاهلية من الكتب - فيقوم على جمع بعض الأمثلة على اختلاف اللفظة الواحدة عندهم . وأسباب اختلاف الرواية كثيرة ، لا يعنيها هنا إلا ما له دلالة على بحثنا ، ونقصه به : التصحيف ، لأن « أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب^(٣) » . ولن نعرض إلا لما وقع فيه رواية آخر القرن الثاني ، أما من جاء بعدهم فقد أخذوا من

(١) التبريزي ٤ شرح الحماسة : المقدمة ص : ٤

(٢) المزمع ٢ : ٣١٩ ، وانظر أيضاً : مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٢٧٢

(٣) المزمع ٢ : ٢٥٣ .

كتب هؤلاء ، ولا حاجة بنا إلى عرضه إذ لا دليل فيه .

فن أمثله : ما ذكره أبو حاتم السجستاني قال ^(١) : قرأ الأصمعي على أبي عمرو بن العلاء شعر الخطيئة ، فقرأ قوله :

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا بَيْنَ بِالضَّيْفِ تَامِرٍ

— أي كثير اللبن والتمر — فقرأها . « لا نبي بالضيف تامر » يريد : لا تتواني عن ضيفك تأمر بتعجيل القرى له . فقال له أبو عمرو : أنت والله في تصحيفك هذا أشعر من الخطيئة !!

وقال الأخفش ^(٢) : أنشدت أبا عمرو بن العلاء .

قَالَتْ قَتِيلَةٌ مَالَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبًا شَوَانَةً

فقال أبو عمرو : كبرت عليك رأس الرء فظننتها واوا . قلت : وما سراته ؟ قال : سراة البيت : ظهره . قال الأخفش : ما هو إلا « شوانه » ، ولكنه لم يسمعها .

ولهذين الخبرين قيمة خاصة إذ يدلان صراحة على أن الأصمعي والأخفش وأبا عمرو بن العلاء قد قرءوا هذا الشعر في كتب ، وبذلك يسرا لنا سبيل التدليل على أن هذا الضرب من التصحيف لا يكون من خطأ في السماع ، وإنما ينشأ من خطأ في القراءة .

وقال أبو حاتم أيضاً ^(٣) : صحف الأصمعي في بيت أوس :

يَا عَامٍ لَوْ صَادَقْتِ أَرْمَاحَنَا لَكَانَ مَثْوَى خَدَّكَ الْأَحْزَمَا

— يعني بالأحزم : الحزم الغليظ من الأرض . قال أبو حاتم : والرواة على

(١) المزمع ٢ : ٣٥٥ ، وانظر كتاب التصحيف والتحريف للمسكوي : ٥٥ .

(٢) المزمع ٢ : ٣٦٠ .

(٣) المزمع ٢ : ٣٥٥ .

خلافه ، وإنما هو : الأخرم (بالراء) ، وهو طرف أسفل الكتف ، أى كنت
تقتل فيقطع رأسك على آخرم كتفك .
وقال القالى فى أماليه ^(١) : أنشد أبو عبيد :

أشكو إلى الله عيالا دردقا مفرقمين وعجوزا سملقا

— بالشين معجمة — وهو أحد ما أخذ عليه : وروى ابن الأعرابي : « سملقا »
— بالسين غير المعجمة — وهو الصحيح .
وقال القالى أيضا ^(٢) فى قول الأعشى :

تروح على آل المخلط جفنة كجابية الشيوخ العراقى تفهق

كان أبو محرز (يقصد خلفا الأخرم) يرويه « كجابية السبح » ، ويقول :
« الشيخ » تصحيف ، والسبح : الماء الذى يسبح على وجه الأرض .
وأنشد أبو زيد فى نواتره ^(٣) :

إن التى وضعت بيتا مهاجرة بكوفة الخلد قد غالت بها غول

قال الرباشى : الأصمعى يقول « بكوفة الجند » ، ويزعم أن هذا تصحيف .
وقال الجرمى : كوفة الخلد ، أى أنها دار قرار لا يتحولون عنها .
وقال أبو عمرو الشيبانى ^(٤) : كنا بالركة فأنشد الأصمعى بيت الحارث
ابن حلزة :

عننا باطلا وظلما كما نعننر عن حجرة الربيض الطباء

(١) المزمهر ٢ : ٣٥٦ ؛ وأمالى القالى ٢ : ٢٤٦ . دردق : صفار . مفرقمين : لا يشبون
لسوء غذائهم ، سملق : المعجوز الكبيرة .

(٢) المزمهر ٢ : ٣٥٦ ، وأمالى القالى ٢ : ٢٩٦ الجابية : الحوض الكبير . تفهق :
تمتلئ حتى تفيض .

(٣) المزمهر ٢ : ٣٥٧ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ٣٥٩ تعنز : تظمن بالعتزة ، وهى الحربة .

فقلت له : إنما هو « تُعْتَر » من العتيرة ، والعتر : الذبح

والحديث عن التصحيف لا ينتهى كثرة ، وهو متفرق فى كتب الأدب ،
مجموع فى مظانه ، من مثل كتاب العسكرى « التصحيف والتحريف » ، وكتاب
البصرى « التنبيهات على أغاليط الرواة » وكتاب حمزة بن الحسن الأصفهاني
« التنبيه على حدوث التصحيف » وكتاب السيوطى « المزهر » . ولعل خير مانعهم
به هذه الأمثلة ما قاله أبو عمرو الشيباني ^(١) : « روى أبو عبيدة بيت الأعشى :

..... وسبق إليه الباقر العثْلُ

فأرسلت إليه : قد صحفت ، إنما هو « الغَيْلُ » أى الكثير — يقال : ماء غَيْلٌ
إذا كان كثيراً — وروى عنه أيضاً أنه قال : الغَيْلُ : السمان ، من قولهم : ساعد
غَيْلٌ . وكان أبو عبيدة يروى هذا البيت :

إِنى لَعَمْرُ الذى حَطْتُ مَناسِمُها تَخْدِى وَيَسِيقَ إِلَيْهِ الباقرُ العَثْلُ

وحكى ابن قتيبة أن أبا حاتم قال له : سألت الأصمعى عنه فقال : لم أسمع
بالعثل إلا فى هذا البيت ، ولم يفسره . قال : سألت أبا عبيدة عنه فقال :
العثل : الكثير . قال ابن قتيبة : وخبرنى غيره أن الأصمعى كان يروى « وجدٌ »
عليها النافر العَجَلُ « يريد : النفار من مَنِى ، والنافر لفظه لفظ واحد وهو معنى
جمع . . . ورواه أبو عبيدة : « حَطْتُ مناسمها » بالخاء غير معجمة ، وقال :
يعنى حطاطها فى السير وهو الاعتماد . ورواه الأصمعى « حَطْتُ » بالخاء ،
أى شقت التراب ، وأنشد للنابغة « فاحططتُ غبارى » أى شققته . وقال
الأصمعى : « حطت » خطأ . — فانظر إلى اختلافهم فى هذا البيت ، ورَدَّ بعضهم
على بعض ، ومراسلة أبى عمرو أبا عبيدة فيه .

(١) البصرى ، التنبيهات على أغاليط الرواة ورقة : ١ . الباقر : اسم جمع للبقر .
العثل : الكثير .

فإذا كان الأمر على ما بيننا ، وإذا رجح عندنا أن هؤلاء العلماء قد أخذوا بعض ما جمعوا وما اختاروا من الشعر الجاهلى - من صحف وكتب ودواوين ربما كتب بعضها فى العصر الجاهلى وُجدت فى القرن الهجرى الأول - فما بالهم إذن لا يصبرّ حون بذلك ؟ وكيف يكون الأمر على هذا الوجه ثم لا يذكر أحد من هؤلاء العلماء أنه أخذ هذه القصيدة أو ذلك البيت من كتاب عالم قبله ، أو من ديوان جُمع فى القرن الأول أو توارثوه من الجاهلية ؟

والجواب عن هذا السؤال سنفصل القول فيه تفصيلاً حين نتحدث عن طريقة أخذ هؤلاء العلماء علمهم ، وعن الرواية والرواة بعامة ، فى الباب التالى . ولكن ذلك لا يعفينا من أن نشير فى هذا الموضع إشارة فيها بعض ما يجب هذا التساؤل .

فإغفالهم ذكر الكتب التى أخذوا منها راجع ، فيما يبدو لنا ، إلى طريقتهم فى أخذ العلم وتحصيله آنذاك . فقد كان العالم الحق الجدير بالثقة هو الذى يتصل بالعلماء من ذوى السن ، فيحضر مجالسهم ويلازمهم ويستمع إليهم ويأخذ عنهم ، والكتاب فى كل ذلك ، أو فى أكثره ، هو الوسيلة أو الأداة : يقرأ على شيخه ، أو يستمع إلى بعض من يقرأه ، وقد تكون فى يده نسخة أخرى من الكتاب يتابع قراءة القارئ ، والشيخ يستمع : يصحح الخطأ ، ويشرح الغامض ، ويذكر من وجوه الخلاف فى الألفاظ ما بلغ إليه علمه ، ويتحدث عما حول النص من جو تاريخى ، وقد يقوده اللفظ أو الخبر إلى لفظ فى بيت آخر ، أو إلى خبر فى حادثة أخرى ، فيستطرد ، ثم يعود إلى موضوعه الأصل .

أما من كان يكتفى بالأخذ من الكتاب وحده ، دون أن يعرضه على العلماء ،
وهو أن يتلقى علمه في مجالسهم ، فقد كان عرضةً للتصحيف والتحريف ،
وبذلك لم يعدوا علماء ، وسموه مصحفياً لا عالماً . قال ابن سلام ^(١) في معرض
حديثه عن الشعر القديم « وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه
عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد — إذا أجمع أهل العلم
والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه — أن يقبل من مصحفة ولا يروى عن
مصحفي » . وشبهه بهذا قول ثعلب عن كتاب العين للخليل ^(٢) « وقد حشا الكتاب
أيضاً قوم علماء إلا أنهم لم يؤخذ منهم رواية » ، وإنما وجد بنقل الوراقين ،
فاختل الكتاب لهذه الجهة .

ومن هنا ضعفوا الأخذ من المدونات في التفسير والحديث ؛ فكان بعضهم
يتقن تفسير مجاهد (توفي سنة ١٠٣ وعمره ٨٣ سنة) لأنهم « كانوا يرون أن مجاهداً
يحدث عن مصحفة جابر » ^(٣) وقال يحيى بن سعيد القطان في أحاديث سمرية التي
يروها الحسن عنه : سمعنا أنها من كتاب ^(٤) ؛ وقال سفيان الثوري عن حديث
عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ^(٥) : كنا نرى أنه من كتاب ، وكان ضعيفاً في
الحديث . وقال يحيى بن معين ^(٦) : إذا حدث عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جده (يعني عبد الله بن عمرو بن العاص) فهو كتاب ، ومن هنا جاء ضعفه ،
وإذا حدث عن سعيد بن المسيب أو سليمان بن يسار أو عروة ، فهو ثقة عن
هؤلاء . وقال كذلك أبو زرعة إن عمرو بن شعيب ^(٧) « إنما سمع أحاديث يسيرة ،

(١) طبقات فحول الشعراء : ٥ - ٦ .

(٢) أبو الطيب اللؤلؤ ، مراتب النحويين ، ورقة : ٤٩ .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ٥ : ٣٤٤ .

(٤) ابن سعد ٧ : ١١٥ .

(٥) ابن سعد ٦ : ٢٣٣ .

(٦) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٩ .

(٧) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٩ .

وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها . . . وهو ثقة في نفسه ، إنما تُكلم فيه بسبب كتاب عنده .

ومن أجل ذلك كان مما يهيجني به العالم الاكتفاء بالأخذ عن الصحف وحدها، وإهمال الإسناد إلى الشيوخ، فقال بعضهم يهجو أبا حاتم السجستاني^(١) :

إِذَا أَسْنَدَ الْقَوْمُ أَخْبَارَهُمْ فِإِسْنَادُهُ الصُّحُفُ وَالْهَاجِسُ

ومن أجل ذلك أيضاً كان مما يُمدح به العالم أنه لا يكتفي بالأخذ عن الصحف وحدها فلا يقع في التصحيف ، ومن ذلك ما مدح به أبو نواس خلفاً للأحر^(٢) :

لَا يَهْمُ الْحَاةُ فِي الْقِرَاءَةِ بَأً حَاةٌ وَلَا لَامَهَا مَعَ الْأَلِفِ
وَلَا يُعْنَى مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا يَكُونُ إِنْشَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ

وقال فيه أيضاً :

فَكُلَّمَا نَشَأَ مِنْهُ نَفْتَرِفْ رَاوِيَةً لَا يَجْتَنِي مِنَ الصُّحُفِ

أفليس من الطبيعي بعد هذا كله أن يتجنب هؤلاء العلماء النص على الكتب التي أخذوا منها ، وأن يكتفوا بسماعهم شيخهم أو قراءتهم عليه ؟

ثم إذا بلغ هذا المتعلم من العلم مبلغاً يتبع له أن يجلس منه المتعلمون مجلسه من أولئك العلماء ، أسند ما يلقيه من العلم إلى شيوخه ، فيقول : حدثنا فلان ، وأخبرنا فلان ، وسمعت فلاناً يقول . وهذه الصيغ المختلفة للتحديث موهمة أنها كانت رواية شفوية ، وأن مجلس العلم كله كان حديثاً لا كتاب فيه . ولكن الأمر على غير ذلك . فإن هذه الصيغ كلها إنما تدل على ما ذكرناه من حديث

(١) العسكري ، التصحيف والتحريف : ١٣ .

(٢) التصحيف والتحريف : ١٣ والبيتان فيه متداخلان محرفان ، وصوابهما من دهرانه

ص : ١٣٥ ؛ المطبعة المصيرية بمصر سنة ١٨٩٨ .

العالم الشيخ في مجلسه ، والمتعلمون والعلماء من حوله يقرأون أو يستمعون إلى من يقرأ ، والشيخ العالم يشرح . والدليل على ما ذكرنا من أن مجالس العلم كانت تقوم على قراءة الكتاب وحديث الشيخ معاً ، وأن إسناده التحديث إنما هو في حديث الشيخ وحده ، وأنه لا يننى وجود الكتاب - الدليل على ذلك ما نجمعه هنا :

قال محمد بن عمر الواقدي^(١) : سألت ابن جريج (توفي سنة ١٥٠ وعمره ٧٦ سنة) عن قراءة الحديث على المحدث ؛ فقال : ومثلك يسأل عن هذا ؟ إنما اختلف الناس في الصحيفة يأخذها ويقول : أحدث بما فيها ، ولم يقرأها ، فأما إذا قرأها فهو سواء .

وقال عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع^(٢) : رأيت من يقرأ على الأعرج (هو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١٧٧) حديثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : هذا حديثك يا أبا داود ؟ قال : نعم . قال : فأقول حدثني عبد الرحمن ، وقد قرأت عليك ؟ قال : نعم ، قل : حدثني عبد الرحمن بن هرمز .

وهل أدل على وجود الإسناد - مما يومم السماع وحده - بينما يكون المصدر الأصيل هو الصحيفة - من هذه الكتب التي كتبها عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان يجيبه فيها عما يسأله، ويذكر فيها بعض الحوادث التاريخية؟ فمع أنها مدونة في صحف نجد الطبري ، حينما يوردها في تاريخه ، يذكر لها إسناداً فيقول^(٣) «... أبان العطار قال : حدثنا هشام بن عروة أنه كتب إلى عبد الملك ...»

(١) ابن سعد ٥ : ٣٦١ .

(٢) المصدر السابق ٥ : ٢٠٩ .

(٣) تاريخ الطبري ١ : ١١٨٠ .

فهذه كلها صريحة في أن الإسناد لا ينفي وجود الصحيفة أو الكتاب ، وأن الكتاب والسماع جزءان يتم أحدهما الآخر . بل إن الإسناد قد يوهم السماع حيث لا سماع ، وإنما هو أخذ من صحيفة أو كتاب من غير قراءة على الشيخ وسماع منه . قال الواقدي^(١) عن عبد الرحمن بن أبي الزناد أنه شهد ابن جريج جاء إلى هشام بن عروة فقال : يا أبا المنذر ، الصحيفة التي أعطيتها فلاناً هي حديثك ؟ قال : نعم . قال الواقدي : فسمعت أن جريج بعد هذا يقول : حدثنا هشام بن عروة ، ما لا أحصى . فابن جريج في هذا الخبر لم يسمع هشام ابن عروة ، وإنما أخذ من صحيفة ولم يستمع إليه وهو يحدث بها ، ومع ذلك فهو يسند ، ويقول : حدثنا هشام بن عروة ، وذلك لأنه اطمأن إلى أن ما في الصحيفة من حديث هشام حقاً .

وخبر آخر يؤيد هذا الخبر السابق ، وهو عن ابن جريج نفسه . قال الواقدي^(٢) : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة قال : قال لي ابن جريج : اكتب لي أحاديث سنن قال : فكتبت له ألف حديث ثم بعثت بها إليه ، ما قرأها على فما قرأتها عليه . قال الواقدي : فسمعت ابن جريج بعد ذلك يحدث يقول : حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة ، في أحاديث كثيرة .

وقد مر بنا أن عطاء بن دينار روى التفسير عن سعيد بن جبير ، ولكنه لم يسمعه منه ، وإنما وجد عطاء هذا التفسير في ديوان عبد الملك بن مروان ، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير^(٣) .

ومن هذا القبيل ما يورده أبو الفرج في أغانيه عن أبي خليفة عن محمد ابن سلام ، إذ يقول أبو الفرج^(٤) « أخبرني أبو خليفة لإجازة عن محمد بن سلام قال . . . وأبو الفرج لم يلق أبا خليفة ، وإنما كان يكتب إليه ، ويؤيد ذلك

(١) ابن قتيبة ، المعارف : ٢١٤ .

(٢) ابن سعد : ٣٦١ .

(٣) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ١/٣ : ٣٣٢ .

(٤) الأغاني ٢ : ٣٣١ .

قوله (١): « أخبرني الفضل بن أبي الخطاب الحمصي أبو خليفة في كتابه إلى بإجازته لي يذكر عن محمد بن سلام . . . » فهذا إسناد وإجازة معاً من غير سماع ولا لقاء .

• • •

وذلك كله ينتهي بنا إلى ما ذكرناه قبل قليل من أن طريقة السلف في أخذ العلم وتحصيله تعتمد على الرواية ، وأن الرواية تقوم على دعائتين ؛ الأولى - الكتاب : يقرأه أحد الحاضرين في مجلس العلم ، والآخرون يستمعون إليه أو يتابعون ما يقرأ في نسخ بين أيديهم من الكتاب نفسه . والثاني - السماع : وذلك حينما يتحدث الشيخ نفسه بصحيح خطأ ، أو يشرح غامضاً ، أو يذكر ما حول النص من حوادث تاريخية . وأن لفظ « حدثنا » أو « أخبرنا » لفظ عام ، قد يدل على الرواية بدعائتيها : القراءة والسماع : وقد يدل على السماع وحده ؛ وقد يدل على القراءة وحدها دون سماع - كما رأينا في الأمثلة الأربعة الأخيرة .

الباب الثالث

الرواية والسمع

افصل الأول

اتصال الرواية

من الجاهلية حتى القرن الثاني

١

والرواية ، بمدلولها العلمى الأدبى ، طور لغوى متأخر ، سبقه - فيما نرى - طور ذو دلالة مادية حسية ، نحسبها كانت فى بدء أمرها محصورة فيما يتصل بالماء من إناء يحمل فيه كالمزادة ، ومن حيوان يحمل عليه كالبعير ، ومن إنسان يحمله مستقيماً أو متعهداً دابة السقاية.^(١) قال لبيد من أبيات^(٢) :

فَتَوَلَّوْا فَاتِرًا مَشِيئُهُمْ كَرَوَايَا الطَّبْعِ هَمَّتْ بِالْوَحْلِ

فالرواية من الإبل : الحوامل للماء ، وأحدثها : رواية .
وقال الأعشى^(٣) :

وَتَقَوَّادُهُ الْخَيْلَ حَتَّى يَطُورَ لَ كَرُّ الرُّوَاةِ وَإِيْخَالُهَا

فالرواية هنا : من يقومون على الخيل ، مفردها : راوٍ .
ثم صارت الرواية تطلق على مطلق الحمل ، والرواية على الدابة التى تُتَّخَذُ لحمل المتاع إطلاقاً ، كقول زهير^(٤) :

يَسِيرُونَ حَتَّى حَبَسُوا عِنْدَ بَابِهِ يُقَالُ الرُّوَايَا وَالْهَجَانُ الْمَتَالِيَا

(١) قال الجاحظ (الحيوان ١ : ٣٣٣) « الرواية » هو الحمل نفسه ، وهو حامل المزادة ، فسميت المزادة باسم حامل المزادة ، ولهذا المعنى سمول حامل الشمر والحديث راوية » .

(٢) ديوانه (القسم الثانى ط . بريل ١٨٩١) ص : ١٧ . الطبع : السقاء ، أو نهريعيته .

(٣) ديوانه ق : ٢١ ، ب : ٣٧ .

(٤) ديوانه : ٢٩١ . الهجان : كرام الإبل . المتالى : التى يتبعها أولادها ، الواحدة : متلية .

فالرواية هنا : الإبل التي يحمل عليها المتاع إطلاقاً .
ومن مجاز هذا الحمل : حمل الدُّبَّات ، كقولهم : « إن فلاناً لرواية الديبات »
أى : حاملها ، و « بنو فلان روايا الحمالات » . قال أبو شأس^(١) :
وَلَنَا رَوَايَا يَحْمِلُونَ لَنَا أَنْقَلْنَا إِذْ يُكْرَهُ الْحَمْلُ

وقال الكميت :

وَكُنَّا قَدِيمًا رَوَايَا الْمِثِينِ بَنًا يَثِيقُ الْجَارِمُ الْمُبْسَلُ
ثم صارت الرواية تدل على السادة ، لأنهم يقومون بأعباء غيرهم ويحملون
عنه أنقالمهم .
قال رجل من بني تميم - وذكر قوماً أغاروا عليهم - « لقيناهم فقتلنا الروايا ،
وأبحنا الزوايا » أى : قتلنا السادة وأبحنا البيوت^(٢) .
ومن مجاز هذا الحمل أيضاً : حمل الشعر أو الحديث ، فقالوا : فلان
راوية للأدب والشعر ، وراو للحديث . وراوية الشعر فى الجاهلية هو من يحمل
شعر الشاعر وينقله ويذيعه ، قال النابغة الذبياني^(٣) :

إِلْكِنِي يَا عُبَيْنُ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتُهُدِيهِ الرَّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي

وقال حميرة بن جَعْلٍ - وكان قد هجا قومه بنى تغلب ثم ندم^(٤) :

نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِ الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا مَضَتْ وَاسْتَتَبَتْ لِلرَّوَاةِ مَذَاهِبُهُ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْطِيعُ دَفْعًا لِمَا مَضَى كَمَا لَا يَرُدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ حَالِبُهُ

(١) أساس البلاغة (روى) .

(٢) أساس البلاغة (روى) .

(٣) تفسير الطبري ١ : ١٥٦ والذي فى ديوانه (خمس دواوين) ص : ٧٩ « ساهديه

إليك عنى » .

(٤) الشعر والشعراء ٢ : ٦٣٢ .

وقال حميد بن ثور^(١) :

لأَعْتَرَضَنُ بِالسَّهْلِ ثُمَّ لَأَخْذُونُ قَصَائِدَ فِيهَا لِلْمَعَادِيرِ زَاجِرُ
قَصَائِدَ تَسْتَحْلِي الرُّوَاةُ نَشِيدَهَا وَيَلْهُو بِهَا مِنْ لَاعِبِ الْحَيِّ زَامِرُ
وقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « بأبي أنت ، ما أنت
بشاعر ولا راوية ، ولا ينبغى لك » . ولما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه
قومه فقالوا^(٢) : « يَا أَبَا مُلَيْبِكَةَ ، أَوْصِرْ » . فقال : « ويل للشعر من راوية السوء » .
وذلك كله إنما الأصل فيه هو الماء : حمله وحامله من رجل أو دابة . غير
أن هذا الضرب الأخير من المجاز ، وهو الحمل الأدبي ، قد مرك ذلك ، فيما
يبدو ، في مرحلتين : الأولى خاصة بالشعر وحده — وتعني مجرد حفظه ونقله
وإنشاده ، ولا تتجاوز ذلك إلى ضبطه وتحقيقه والنظر فيه وتمحيصه . واستمر
مدلول هذه المرحلة الأولى في تاريخ الرواية الأدبية حتى آخر القرن الأول
وبداية القرن الثاني . قال محمد بن المنكدر (التيمي المدني المتوفى سنة ١٣٠)^(٣) :
« ما كنا ندعو الرواية إلا رواية الشعر ، وما كنا نقول هذا يروى أحاديث
الحكمة إلا عالم » .

فلما أُصِّلَتْ أصول علم الحديث ، وأُرسيت قواعده ، وعُتِيَ فيه بالإسناد ،
وتصدر المحدثون للتحديث في مجالس العلم من حفظهم ، صار يطلق عليهم
أيضاً لفظ الراوية ، فصرنا نجد للمحدثين ، في آخر القرن الثاني ، رواية
كما كان للشعراء رواية ، ومنهم « النضر بن طاهر راوية مالك بالبصرة »^(٤) .
ومن هنا دخلت الرواية الأدبية في طورها الثاني ، وهو ما يصح أن نطلق

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) ابن سعد ٢/٤ : ١٦ .

(٣) الأغاني (دار الكتب) ٢ : ١٩٥ وانظر أيضاً : الشعر والشعراء ١ : ٢٨١ .

(٤) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، المطبعة المنيرية ١٣٤٦ ، ٥ : ٤٧ : ٢ .

(٥) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين : ٦ .

عليه دور الرواية العلمية . وهي تقوم على الحفظ والنقل والإنشاد ، كالرواية المجرّدة في دورها الأول ، وأضيف إليها الضبطُ والإتقان والتحقيق والتحصيل والشرح والتفسير وشيء من الإسناد ، كما سيمر بنا في الفصل التالى عند حديثنا عن طبقات الرواة ، وفي الفصل الثالث حين نتحدث عن الإسناد في الرواية الأدبية . وهذا الدور من الرواية الأدبية هو الذى قامت فيه مجالس العلم والدرس ، وصار لهذه المجالس شيوخ يتصدرون ، وتلاميذ يستمعون ويقرأون ، وكانت لهذه الرواية العلمية — على ما بينّا طرفاً منه — دعامتان : القراءة من الكتاب ، والسماع من الشيخ .

وما ذكرناه في الباب الأول من أمر الكتابة والتدوين بعامة ، وكتابة الشعر وتدوينه بخاصة ، ثم ما ذكرناه بعد ذلك من أمر اتصال العلماء الرواة في القرن الثانى بالمدونات السابقة واستمدادهم منها — كل ذلك حديث موهّم ، قد "يحمل محملاً" فيه سعة وتعميم لم نقصد إليهما . ومن هنا ينبغى لنا أن نقرر أموراً ثلاثة يستقيم بها للبحث وجهه ، الأول : أن هذا التدوين الذى ذكرناه — على ما كان من وجوده بل انتشاره — لم يكن له من سعة هذا الانتشار ما يتيح وجود نسخ كثيرة من الديوان الواحد تفي بحاجة القارئ آنذاك . وأن ذبوع شعر الشاعر أو أخبار القبيلة وما أثرها لم يكن قائماً على القراءة من الديوان أو الكتاب ، وإنما كان يقوم على الرواية الشفهية من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل . أجل ، لقد كان هذا الشعر أو بعضه مدوناً — كما بينّا — ولكن تدوينه كان مقصوراً على نسخة واحدة — هى الأم أو المرجع — أو على نسخ قليلة محدودة ينسخها أفراد قلائل من الرواة أو الشعراء أو أبناء قبيلة الشاعر أو المدوحين من السادة والأشراف ، ثم يحفظ هؤلاء جميعاً ، أو بعضهم ، هذا الشعر ، ويتناقلونه إنشاداً — لا قراءة — في مجالسهم ومشاهدهم وأسواقهم ، ويرددونه شفاهة في سمرهم ومحافلهم ومنافراتهم ومواقف فخرهم ، فيشيع بين العرب ، ويتناقله الركبان ، عن هذا الطريق من الرواية الشفهية ، لا عن طريق القراءة والمدارسة من الكتاب

أو الديوان . وذلك أمر طبيعي عند العرب وعند غيرهم ، في تلك العصور وفي العصور التي تلتها إلى عهد قريب حينما اكتشفت الطباعة فيسرت كتابة النسخ الكثيرة من الكتاب الواحد .

وأما الأمر الثاني فيتصل بالأمر الأول ، وذلك أن رواية الشاعر نفسه — وهم أول من يسمع شعر الشاعر وأهم وسيلة من وسائل نشر شعره وإذاعته — هؤلاء الرواة كانوا يكتبون شعر الشاعر حقاً ، ويحفظونه في صحف ودواوين ، ولكنهم مع ذلك يحفظون هذا الشعر في صدورهم وذاكرتهم ، وينقلونه في المجالس والمحافل إنشاداً لا قراءة من صحف . وقد كان ذلك كذلك في جميع العصور الإسلامية : فقد كان جرير يريد أن يهجو بني نمير ، فأقبل إلى منزله وقال للحسين راويته^(١) : زد في دهن سراجك الليلة وأعدّ ألواحاً ودواة . قال : ثم أقبل على هجاء بني نمير ، فلم يزل حتى ورد عليه قوله :

فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا
فَقَالَ جَرِيرٌ لِلْحُسَيْنِ رَاوِيَتَهُ : « حَسْبُكَ أَطَى سَرَاجِكَ ، وَنَمْ ، فَقَدْ فَرِغْتَ مِنْهُ » — يعني قتلته .

وهجت بنو جعفر بن كلاب قوم الفرزدق ، فأراد أن يهجوهم ، ولكنه قال^(٢) : « والله ما أعرف مثالبهم ولا ما يهجون به » . فبينما هو كذلك إذ قدم عمر بن لجأ التيمي البصرة ، فنزل في بني عدى في موضع دار أعين الطبيب . فقال الفرزدق لابن مثنويه — وهو راوية الفرزدق وكان يكتب شعره : « امض بنا إلى هذا التيمي » . قال : فخرجنا حتى وقفنا على الباب الذي هو فيه ، فأستأذنا ، وعند ابن لجأ فتيان من بني عدى يكتبون فخره بالرباب وهذا شيخ من هذيل ، كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه ، يقول^(٣) :

(١) النقائض: ٤٣٠ .

(٢) النقائض: ٩٠٧ - ٩٠٨ .

(٣) الأغاني (دار الكتب) ٤ : ٢٥٦ - ٢٥٨ .

« . . . فجثت الفرزدق . . . ودخلت على روايته فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره ، فأخذتُ من شعره ما أردت . . . ثم أتيت جريراً . . . وجثت روايته وهم يقومون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد ، فأخذت ما أردت . . »

ومع ذلك فقد كان هؤلاء الرواة - على كتابتهم للشعر في الدواوين وحفظهم إياه في الصحف - ينشدون الشعر إنشاداً ويلدبعونه بين الناس والقبائل عن طريق الرواية الشفهية ، ومن أجل ذلك قال جرير^(١) :

وَعَاوِ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، رَمَيْتُهُ بِكَافِيَةِ أَنْفَاذِهَا تَقَطَّرُ الدِّمَا
خُرُوجَ بِأَفْوَاهِ الرَّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هُنْدُوَانِي إِذَا هَزَّ صَمَمًا

وقال الفرزدق^(٢) :

تَغْنَى يَا جَرِيرُ لَغَيْرِ شَيْءٍ وَقَدْ ذَهَبَ الْقَصَائِدُ لِلرُّوَاةِ
فَكَيْفَ تَرُدُّ مَا بِحُمَانٍ مِنْهَا وَمَا بِجِبَالٍ مِصْرَ مَشْهُرَاتِ

وأمر ثالث يكمل سابعه ، وهو متصل بهؤلاء العلماء الرواة الذين عاشوا في نهاية القرن الثاني ومطلع الثالث والذين حفظوا لنا هذا الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا . فقد ذكرنا من أمر تدوينهم للشعر وأخذهم بعضه من الدواوين والكتب التي دونت قبلهم - ما لاجاجة بنا إلى إعادة القول فيه ، ولكننا نريد أن نقول إنهم ، مع ذلك ، كانوا ينقلون بعض الشعر الجاهلي والأخبار الجاهلية في مجالسهم نقلاً شفهياً . والأمثلة على ذلك كثيرة حسبنا أن نشير إلى بعضها . فقد مر بنا أن كتب ابن الأعرابي كانت كثيرة وأن رسولا لأحد ذوى السلطان جاءه يستدعيه فقال له ابن الأعرابي : عندي قوم من الأعراب

(١) النقاظ: ٤٣٠ .

(٢) النقاظ: ٦٢ .

فلإذا قضيتُ أربي معهم أتيت . قال الغلام « وما رأيت عنده أحداً إلا أني رأيت بين يديه كتباً ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة » . ابن الأعرابي هذا — على أخذه من الكتب — يقول عنه ثعلب^(١) : شاهدت ابن الأعرابي ، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان ، كل يسأله أو يقرأ عليه ، ويجب من غير كتاب ، قال : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ، وما أشك في أنه أُملي على الناس ما يُحمل على أجمال .

وقد كان ثعلب مثل أستاذه ابن الأعرابي « لا يُرى بيده كتاب ، ويتكلم على حفظه^(٢) » . بينما كان معاصره أبو سعيد السكري « كثير الكتب جداً ، وكتب بخطه ما لم يكتبه أحد ، وكان إذا لقي الرجال لا يفارقه كتاب^(٣) » .

وكان هؤلاء العلماء يأخذون عن الأعراب ، وقد يرحلون إلى البادية وراء الأعراب ، أو يفد هؤلاء الأعراب إلى الأمصار ليتكسبوا بما يأخذونه عنهم العلماء . ومن أمثلة ذلك ما ذكره ثعلب من أن أبا عمرو الشيباني « دخل البادية ومعه دَسْتِيَجْتَان من حبر فما خرج حتى أفناهما بكتّيب سماعه عن العرب^(٤) » .

وكان هؤلاء العلماء قد يأخذون أيضاً عن غير الأعراب من الرواة وأصحاب الأخبار أخذ سماع من أفواههم لا أخذ قراءة من كتبهم . ومن أمثلة ذلك أن الجاحظ — على ما هو معروف عنه من كثرة جمعه للكتب وشغفه بها ونقله منها في كتبه^(٥) — كان يكتب كثيراً مما يورده في كتبه إما من السماع وإما من

(١) ياقوت ، إرشاد (محمد بن زياد) ، وانظر أيضاً نزعة الألباء : ١٠٨ ففيه « قال أبو جعفر القحطبي : ما رُئي في يد ابن الأعرابي كتاب قط » .

(٢) القفطي ، إنباء الرواة ١ : ١٤٨ .

(٣) القفطي ، إنباء الرواة ١ : ١٤٨ .

(٤) الأنباري ، نزعة الألباء : ٦٣ .

(٥) انظر مثلاً البيان والتبيين ٣ : ٥٧ — ٥٨ حيث يورد حديثين عن العتي عن أعرابيين في العصا ، ثم يقول « وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم ، وإنما قرأتها في بعض الكتب من كتب المسجدين » . وانظر أيضاً لأخذه من الكتب : البيان والتبيين ١ : ٩٢ ، ١٣٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

حفظه فهو يقول^(١) : « وقد جمعت لك في هذا الكتاب جملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار » ، وهو يورد بيتاً ثم يقول^(٢) : « وهي أبيات لم أحفظ منها إلا هذا البيت » .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره أحمد بن حبيد الله بن عمار قال^(٣) : « كنا نختلف إلى أبي العباس المبرد ، ونحن أحداث ، نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار . . . فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحح المجلس الذي شهدناه . . »

وقد أوردنا هذه الأمثلة — على الأمور الثلاثة كلها — من عصور مختلفة تشمل القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، وهي تدل على أن الرواية الشفهية كانت تسير جنباً إلى جنب مع الكتابة والتلوين ، لا تعارض بينهما ، ولا ينفي وجود أحدهما وجود الآخر . ومن هنا كان لابد لنا — بعد أن استوفينا البحث ، بالقدر الذي بلغه جهدنا ، عن تدوين الشعر الجاهلي — من أن نعقد فصول هذا الباب الثالث عن الرواية الشفهية ، حتى تم بذلك الدعامتان اللتان قام عليهما حفظ الشعر الجاهلي وحمله ، وهما : النقل من الكتاب ، والسماع من أفواه الرواة .

٢

أورد ابن سلام في طبقاته قول عمر بن الخطاب^(٤) « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » . ثم عقب عليه بقوله « فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولغت عن الشعر وروايته .

(١) البيان والتبيين ٢ : ١٨ .

(٢) الحيوان ٢ : ١٣ .

(٣) الأغاني (دار الكتب) ٧ : ١٢٠ .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٢٢ .

فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمن ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير .

وكلام ابن سلام هذا ثلاثة أشرطة : آخرها حق ، وموسطها باطل ، وأولها يحتاج إلى فضل بيان يوضحه . أما الحق الذي لا مرية فيه فقوله « فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير » . وسنعود في صفحات مقبلة إلى هذا القول ونفصل وجه الحق فيه . وأما الباطل الذي لم نعد نشك في بطلانه وفساده فهو هذا التعميم الواسع في قوله « فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب » . وقد كان في البابين الأول والثاني من هذا البحث من البيان والتفصيل ما نحسب أنه يغنينا عن تكرار القول . وحسبنا أن نورد ثلاثة أمثلة من كتاب ابن سلام نفسه تنقض هذا القول ، أو على الأقل - تضييق مافيه من تعميم واسع . فقد عاب ابن سلام بعض العلماء قبله - أي علماء القرن الأول الهجري - باكتفائهم بالأخذ عن الدواوين المدونة والكتب المكتوبة ، فنبرهم بأنهم صحفيون وذلك قوله عن الشعر القديم ^(١) « وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء . وليس لأحد - إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى » . وقد قال عقب قوله السابق الذي أنكر فيه هذه المدونات ^(٢) : « وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به ، فصار ذلك إلى بني مروان أو صار منه » . ثم ذكر ابن سلام نفسه أنه رأى شعراً جاهلياً في

(١) طبقات فحول الشعراء: ٦ .

(٢) المصدر السابق: ٢٣ .

كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة^(١) . فإذا ما أضفنا إلى كلام ابن سلام ما فصلنا فيه القول في البابين الأول والثاني - وضع لنا ما في قوله « فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب » من خلل وفساد .

وأما الشطر الثالث الذي يحتاج إلى فضل بيان يوضحه فهو قوله : « فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر . . . وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل » . ولا يستين لنا خطر هذا القول إلا حين نطرق إلى الحديث عن الشك في الشعر الجاهلي ونحله ، في الباب الرابع من هذا الكتاب . ولا بد لنا قبل ذلك من أن نتساءل هنا : أحق أن العرب قد لتهوا عن رواية الشعر في هذه الفترة من حياتهم ، فغفلوا عنه ، ونسوا ذكره ، وأضربوا عن روايته ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فكف من السنين أو من القرون بلغت هذه الفترة ؟ ثم أمن الحق أنهم حينما راجعوا روايته - إذا سلمنا بانقطاعهم عنها - ألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة لابد لنا من استقراء تاريخي ، نتبع فيه حياة الرواية عند القوم مبتدئين بالمعالم الواضحة في منتصف القرن الثاني الهجري ، ومتدرجين فيها إلى الوراء حتى نصل إلى أقصى ما نستطيع أن نصل إليه من معالم حياة الرواية الأدبية .

فإذا ما بدأنا بعهد بني أمية ، وجدنا أن بعض القوم آنذاك كان يرى أن العلماء العارفين بالشعر الجاهلي قد ماتوا . ونحن نحسب أن هذا الضرب من الكلام موجود في كل عصر ، وأنه لا يصح أن يُحمَل محملاً لفظياً قاطعاً ، وإنما هو ضرب من التحسر على الماضي ، وتمجيد القدماء ، والإقرار بضعف الحاضر وعجزه إذا ما قيس بالقديم السابق عليه . فأبو عمرو بن العلاء حينما سئل

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٠٤ .

عن قول امرئ القيس^(١) .

نَطْعُنُهُمْ سُلْكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ

قال : قد ذهب من يُحْسِنه .

وحين سئل عن قول الشاعر^(٢) :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْسَرَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ

قال : مات الذين يعرفون هذا .

بل إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال على المنبر^(٣) : « ذهب قوم يعرفون شعر أُمّية وكذلك اندراسُ الكلام !! » وبين الحجاج وأُمّية بن أبي الصلت نحوًا من ثمانين سنة !

وسنسوق في إيجاز بعض ما يكشف لنا عن عناية القوم ، حتى منتصف القرن الأول ، برواية الشعر الجاهلي وأخبار الجاهلية ، وسنصرف أكثر كلامنا إلى زمن عبد الملك بن مروان ومعاوية بن أبي سفيان ، ليكون ذلك أبعدَ زمنًا وأدلّ على ما نقصد إليه :

ذكر الأصمعي يوماً بني أُمّية وشغفهم بالعلم ، فقال^(٤) : « كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام في بيت من الشعر ، أو خبر ، أو يوم من أيام العرب ، فيبردون فيه بربداً إلى العراق » . وقال غيره « كنا نرى في كل يوم راكباً من ناحية بني أُمّية ينيخ على باب قتادة (توفي سنة ١١٨) يسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، وكان قتادة أجع الناس » . وقال عامر بن عبد الملك المِسْمَعِي : كان

(١) المزهري ٢ : ٣٢٣ - ٣٢٤ . سلكى : طعناً مستويًا . المخلوجة : المعوجة عن يمين وعن شمال : الكر : الرد . الأمان : السهمان .

(٢) المصدر السابق . العير : الوند . أى أنهم يلزمونها ذنوب الناس .

(٣) الأغاني ٣ : ١٢٣ .

(٤) المسكوى ، التصحيف والتحريف : ٤ .

الرجلان من بنى مروان يختلفان فى بيت شعر ، فيرسلان راكباً إلى قتادة يسأله ،
ولقد قدم عليه رجل من عند بعض أولاد الخلفاء من بنى مروان فقال لقتادة :
من قتل عمرأ وعامراً التغلبين يوم قِصَّة ؟ فقال : قتلها جحدر بن ضبيعة
ابن قيس بن ثعلبة . قال : فشخص بها ثم عاد إليه فقال : أجل قتلها جحدر ،
ولكن قتلها جميعاً ؟ فقال : اعتوراه فطعن هذا بالسان وهذا بالزُج فعادى
بينهما ^(١) .

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج ^(٢) : أنت عندى كسالم . فلم يدر
ما هو . فكتب إلى قتيبة يسأله ، فكتب إليه : إن الشاعر يقول :

يُدِيرُونِنِي عَنْ سَالِمٍ وَأَذِيرُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ سَالِمٌ

ثم كتب إليه مرة أخرى : أنت عندى قِدْحُ ابنِ مُقْبِل . فلم يدر ما هو .
فكتب إلى قتيبة يسأله - وكان قتيبة قد روى الشعر - فكتب إليه : أن ابن مقبل
نعت قِدْحاً له فقال :

مُفْدَى مُودَى بِالْيَدَيْنِ مُلَعَنٌ خَلِيعٌ قِدَاحٍ فَائِزٌ مُتَمَنِّعٌ
خَرُوجٌ مِنَ الْغَمَى إِذَا صُكَّ صَكَّةٌ بَدَا وَالْعَيُونُ الْمُسْتَكِفَّةُ تَلَمَعُ ^(٣)

وقال أبو عبيدة ^(٤) : حدثني قيس بن غالب عن مشيخة قومه أن عبد الملك
ابن مروان سأل رجلاً من بنى فزارة كانوا عنده : من كان على الناس يوم
النَّسَار ؟ قالوا : كانوا متساندين . قال : ويدخل أبو قشع - وكان أعلمنا -

(١) المسكوى ، التصحيح والتحرير : ٤ ، وانظر طبقات ابن سلام : ٥١ - ٥٢ .

(٢) القال ، الأمالي ١ : ١٥ ، وانظر أيضاً ياقوت : إرشاد ١ : ٩٧ ، وفي ياقوت
... فسأل قتيبة بن مسلم وكان راوية عالماً عن ذلك .

(٣) المتمنع : المستعار . الغمى : الجماعة من القداح . المستكة : المهذقة به .

(٤) النقائض : ٢٤٠ .

فسأله عبد الملك عن ذلك فقال : والذى نفسى بيده يا أمير المؤمنين للناس يوم النّسار أطوعُ لحصن بن حذيفة من بعض غلمانك لك .

وقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (توفى سنة ٨٤) يذكر أخذه الشعر والنسب عن الشعراء والنسابين^(١) « قدم عبد الملك - وكان يحب الشعر - فبعث إلى الرواة ، فما أتت على سنة حتى رويت الشاهد والمثل وفضولاً بعد ذلك . وقدم مصعب (توفى سنة ٧٣) - وكان يحب النسب - فلدحوت النسابين فتعلمته في سنة . ثم قدم الحجاج - وكان يُدعى على القرآن ، فحفظته في سنة . »

وتبدو لنا عناية عبد الملك بالشعر وروايته - فضلاً عما تقدم - في قوله لمؤدّب ولده^(٢) : « رَوْهم الشعر ، رَوْهم الشعر ، يمجّلوا وينجلوا » . وقال مرة لمؤدّب أولاده^(٣) : « أدبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه علوبة » . وهل أدل على معرفة عبد الملك بالشعر الجاهلى معرفة دقيقة من قوله^(٤) . إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزُّرْق من بنى قيس بن ثعلبة - وهم رهط أعشى بكر - ، وبأصحاب النخل من يثرب - يريد الأوس والخزرج - ، وأصحاب الشعف من هذيل (والشفف رؤوس الجبال) .

بل هل أدل على معرفة عبد الملك بشعر الجاهلية وأخبارها وعنايته بجمع ذلك مما أورده ياقوت في قوله^(٥) : « كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : انظر لى رجلاً عالماً بالحلل والحرام ، عارفاً بأشعار العرب وأخبارهم ، أستاذس به وأصيب عنده معرفة ، فوجهه إلى من قبلك . فوجه إليه الشعبي ، وكان أجمع أهل زمانه ، قال الشعبي : فلم ألقَ والياً ولا سوقةً إلا وهو يحتاج إلى ولا أحتاج

(١) الجاحظ ، الحيوان ٥ : ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ٦ : ١٢٥ .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٦٣ .

(٤) العقد ٦ : ١٢٤ .

(٥) ياقوت ، إرشاد ١ : ٩٦ - ٩٧ .

إليه ما خلا عبد الملك ، ما أنشدته شعراً ولا حدثته حديثاً إلا وهو يزيلني فيه ،
وكنيت ربما حدثته وفي يده اللقمة فأمسكها ، فأقول : يا أمير المؤمنين أسغ
طعامك ، فإن الحديث من ورائه ، فيقول : ما تحدثني به أوقع بقلبي من
كل لذة ، وأحل من كل فائدة .

أما معاوية بن أبي سفيان فقد مرت بنا أطراف من عنايته بأخبار الماضين ،
وأيام العرب في جاهليتهم ، وشعر شعرائهم . وذكرنا أنه كان له غلمان مرتبون
يكتبون هذه الأحاديث في دفاتر ويقرأونها عليه في ساعات معينة من ليله .
وكانت لمعاوية - فضلاً عن ذلك - مجالس يُنشد هو ما يحفظ من الشعر فيها ،
ويستنشد من يحضر من الرواة والعلماء والأعراب ، ويستمع فيها إلى أحاديث
العرب وأخبارها . وقد قال مرة للنخار بن أوس^(١) : « ابغني محدثاً . قال : ومعي
يا أمير المؤمنين تريد محدثاً ! قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك . . . »
وقد التفت معاوية في أحد مجالسه إلى عبد الله بن الزبير وقال متمثلاً^(٢) :

وَرَامَ بِعُورَانِ الْكَلَامِ كَأَنَّهَا نَوَافِرُ صُبْحِ نَفَرَتِهَا الْمَرَائِعُ
وَقَدْ يَذْخُضُ الْمَرْءُ الْمُوَارِبُ بِالْخَنَاءِ وَقَدْ تُذَرِّكُ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ الْمَصَانِعُ

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع . فقال : أترويه ؟
قال : لا . فقال : من ها هنا يروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال :
أنا أرويه يا أمير المؤمنين . فقال : أنشدني . فأنشده حتى أتى عليها . . . فزاد
معاوية في عطائه .

وخاصم رجل إلى معاوية في ابن أخيه ، فجعل الرجل يُحج خصمه ، فقال
معاوية : أنت كما قال أبو دُوَاد^(٣) :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣٣٣ .

(٢) الأغاني ٣ : ١٠٠ - ١٠١ . يذخض : يزل ويزلق .

(٣) الزمخشري ، الفائق ١ : ٢٤٠ . الحرباء مذكر ، والأُنثى حرباءة . التنضية : شجرة =

أَنْتَى أَتِيحَ لَهَا حَرْبَاءُ تَنْضِيَّةٍ لَا يَرْسُلُ السَّاقُ إِلَّا مُنْسِكَ سَاقًا

وسأل معاوية شيخاً من بقايا العرب^(١) : أى العرب رأيت أضعف شأنًا ؟ قال : حصن بن حذيفة - قائد دُبيان يوم شِعْب جَبَلَة - رأيت متوكتاً على قومه يقسم فى الحليفين : أسد وغطفان .

وذكر عند معاوية ، فى أحد مجالسه ، ملوك العرب ، فلما ذكرت الزباء وابنة عفزر قال معاوية^(٢) : إني لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم . فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . فقال : إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت . . . إلى آخر القصة .

وبعث زياد بن أبيه بولده إلى معاوية^(٣) ، فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً بكل ما سأله عنه ، ثم استنشد الشعر ، فقال : لم أرو منه شيئاً ! فكتب معاوية إلى زياد : ما منعك أن تُرويه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبر ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل .

ولم تكن هذه المجالس ، التى تذكر فيها أخبار الجاهلية ويُروى فيها شعر شعرائها ، مقصورة على معاوية وعبد الملك وخلفاء بنى أمية وبنى مروان ، بل كان الأشراف والسادة والولاة يعقلون مثل هذه المجالس . فقد كان سعيد ابن العاص على المدينة ، فبينما هو يُعشى الناس^(٤) ، وهم يخرجون أولاً

= ضخمة تقطع منها الأعمدة للأخبية . وصف ظناً ساقها سائق مجد ، فتمجب كيف أتيج لها هذا السائق المجد الحازم . وهذا مثل يضرب للرجل الحازم ، لأن الحرباء لا يفارق الفصن الأول حتى يثبت على الفصن الآخر .

(١) البيان والتبيين ٣ : ٩ .

(٢) ديوان حاتم - خمسة دواوين العرب - ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) العقد ٦ : ١٢٥ ، وانظر أيضاً المزهري ٢ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) الأغاني ٢ : ١٦٧ ، وانظر الشعر والشعراء ١ : ٢٨٤ .

أولاً ، إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب
سمره ، فذهب الشرطُ يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ،
فقال : دعوا الرجل . فتركوه ، ونحاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مكيلاً ،
فقال لهم الخطيئة ، — وكان هو ذلك الرجل — : والله ما أصبتم جيد الشعر
ولا شاعر العرب . فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم . قال :
فن أشعر العرب ؟ قال : الذي يقول :

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْإِعْدَامُ
وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : من يقولها ؟ قال : أبو داود الإيادي .
قال : ثم من ؟ قال : الذي يقول :

أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ بَأْ جَهْلٍ وَقَدْ يُخْدَعُ الْأَرِيبُ
ثم أنشدها حتى فرغ منها . قال : ومن يقولها ؟ قال : عبيد بن الأبرص ، قال :
ثم من ؟ قال : والله لستحبك بي عند رغبة أو رهبة . . .
وأنشد ابن أبي عتيق يوماً قول قيس بن الخطيم ^(١) :

بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا حَذَوًا فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصَفُ
فقال : لولا أن أبا يزيد — كنية قيس بن الخطيم — قال « حذواً » ، ما درى
الناس كيف يحشون هذا الموضع .

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لمعلم ولده ^(٢) : لا تُروم قصيدة
عروة بن الورد التي يقول فيها :

دَعَيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فِإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ

(١) الأغاني ٣ : ١ - ٢ .

(٢) الأغاني ٣ : ٧٥ .

وكان يقول : إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .
والأخبار عن معرفة ابن عباس بالشعر الجاهلي ، وروايته إياه ، وحضه على طلبه وتعلمه وتفسير كتاب الله تعالى به ، أخبار كثيرة ^(١) ، حتى إنه كان يقول ^(٢) : إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب . وكان يسأل عن القرآن فينشد الشعر . وسنكتفي بإيراد مثل واحد من أخبار ابن عباس ، وسيمرّ منها خبر أو خبران عند حديثنا عن معرفة عمر بن الخطّاب بالشعر الجاهلي . قال الشعبي ^(٣) : كنا عند ابن عباس وهو في ضفة زمزم يفتي الناس ، إذ قال أعرابي : أفتيت الناس فافتنا . قال : هات . قال : أرايت قول الشاعر المتلمس :

لِذِي الْحَلَمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَاتَ قَرْعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
قال ابن عباس : ذاك عمرو بن حُصَمة الدَّوْسِي ، قضى على العرب ثلاثمائة سنة ، فكبير فالزموه السابع من ولده ، فكان معه ، فكان الشيخ إذا غفل كانت بينه وبينه أن تقرع العصا حتى يعاوده عقله ، وذلك قول المتلمس البشكري من بكر بن وائل : لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا . قال ذو الإصبع العدواني بعد ذلك بدهر :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوِّ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

.....

وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضَى فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضَى
يعنى : عامر بن الظرب .

• • •

(١) انظر مثلا مفصلا لذلك في الإتيقان للسيوطي ١ : ١٤٨ - ١٦٤ .

(٢) المبرد ، الفاضل : ١٠ .

(٣) السجستاني ، الممرين : ٤٥ ، وافتقر الفاضل للمبرد : ١٢ .

ونحن نرى من كل هذا ، ومن كثير غيره ، أن القوم ، في القرن الأول الهجري ، لم يكونوا يكتفون برواية الشعر الجاهلي وإنشاده في المجالس والمحافل ، وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليماً . وقد وضع لنا ذلك من قول عبد الملك لمؤدّب ولده يأمره أن يروّهم الشعر وخاصة شعر الأعشى ، ومن كتابة معاوية إلى زياد بطلب منه أن يعلم ابنه الشعر ويرويه إياه ، ومن سبي جعفر بن أبي طالب معلم ولده عن أن يعلمهم قصيدة عروة بن الورد لأنها تحض على الاغتراب عن الأوطان .

وسنذكر ، في حديثنا عن طبقات الرواة ، ما يزيد هذا الجانب وضوحاً ، وذلك حينما نتحدث عن شعراء القرن الأول ورُجّازَه : العجاج ورؤبة والأخطل وجريير والفرزدق والكميت ، ومعرفتهم بأخبار الجاهلية ، ومثالب العرب ومفاخرها ؛ وروايتهم الشعر الجاهلي ، بل نظرهم فيه نظر الناقد الحصيف المميز .

٣

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى صدر هذا القرن ، ونظرنا في أخبار الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة ، بل أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدنا أن الأمر لا يختلف عما عهدناه في عهد بني أمية وبني مروان .

قيل للحسن البصري^(١) : أكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزحون ؟ قال : نعم ويتقارضون . — من القريض وهو الشعر .

وقال جابر بن سمرة^(٢) : جالست رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية

(١) الفائق ٢ : ٣٣٩ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ٢/١ : ٩٥ - ٩٦ .

فربما تبصم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو سلمة ^(١) : لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم متحرزين ولا متهاوتين ، كانوا يتناشدون الأشعار ويدكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدُهم على شيء من أمر دينه دارت حاليق عينيه كأنه مجنون .

وسنعرض هنا أخبار بعض الصحابة - غير من ذكرنا - وروايتهم الشعر . قال مطرف ^(٢) : خرجت مع عمران بن حصين (صحابي) من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى علينا يوم إلا ينشدنا فيه شعراً ، ويقول : إن لكم في المعارض لندوحة عن الكذب .

ودخل غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب أيام خلافته - وغالب شيخ كبير - ومعه ابنه همام الفرزدق - وهو غلام يومئذ . فقال علي رضي الله عنه ^(٣) : . . . من هذا الغلام معك ؟ قال : هذا ابني . قال : ما اسمه ؟ قال : همام وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين ، وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً .

وهؤلاء أهل الكوفة لم يصرفهم ما كانوا فيه زمن علي عن رواية الشعر وإنشاده ، حتى قال لهم : إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حليقاً عزيزين ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار .

وقد مر بنا خبر حسان حين طلب أن يكتب شعره قاله في الهجاء ، وتوزع الصحف على الصبيان في المكتب ليتعلموه ويرووه .

وكان أبو زبيد الطائي شاعراً معمراً عاش خمسين ومائة سنة ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً . وكان عثمان بن عفان يقرب أبا زبيد ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم ، فلدخل عليه يوماً وعنده

(١) الفائق ١ : ٢٥٧ .

(٢) ابن سعد ٢/٤ : ٢٦ .

(٣) البغدادى ، خزنة الأدب ١ : ٢٠٦ .

المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا ما أثر العرب وأخبارها وأشعارها ^(١) .

وأما عمر بن الخطاب فأمر معرفته بالشعر وروايته له مشهور معروف ، فقد كان يستنشد من يحضر مجلسه في حِلِّه ، أو من يرافقه في سفره . وكان ذواقة ، بصيراً بالشعر ، ناقداً له ، يحكم على الشعراء . وكان هو نفسه يحفظ كثيراً من الشعر الجاهلي ، حتى لقد قال محمد بن سلام عن بعض أشياعه ^(٢) : « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر » . ومن أمثلة ذلك أنه قيل له ^(٣) : « قيل للأوسية : أى منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض في حدائق خضر » . فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب بيت على ابن زيد العبادي :

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَأُ بَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ

وقال العائشي ^(٤) : كان عمر بن الخطاب - رحمه الله - أعلم الناس بالشعر ، ولكنه كان إذا ابتلى بالحكم بين النجاشي والعجلاني (تميم بن أبي بن مقبل) ، وبين الحطيئة والزبرقان ، كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد للفريقين رجالاً مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليهم سبائهم ، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليماً . فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره .

قال : ولقد أنشدوه شعراً لزهير - وكان لشعره مقدماً - فلما انتهوا إلى قوله :

وإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءٌ

(١) ياقوت: إرشاد (حرمة بن المنذر) .

(٢) البيان والتبيين ١ : ٢٤١ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٤٥ .

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ١ : ٢٣٩ - ٢٤١ .

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها :

وإن الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءٌ

يردّد البيت من التعجب .

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التي على اللام ، فلما بلغ المنشد قوله :

والمرءُ ساعٍ لشيءٍ ليس يُدْرِكُهُ والعيشُ شُعْ وإشفاقٌ وتأميلٌ

قال عمر متعجباً : والعيشُ شُعْ وإشفاقٌ وتأميلٌ - يعجبهم من حسن ما قسم وفصل .

وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين ، وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ من الإِ شَفَاقٍ والفَهْمَةُ والهَاعِ

أعاد عمر البيت وقال :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ من الإِ شَفَاقٍ والفَهْمَةُ والهَاعِ

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه .

وقال عمر بن الخطاب لابن عباس (١) : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قال ابن عباس فقلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أَنَّ حَمْدًا يُخْلِدُ النَّاسَ أَخْلَدُوا وإِكْنٌ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان شاعر

(١) الأغاني (دار الكتب) ١٠ : ٢٨٨ - ٢٩١ ، وانظر أيضاً ابن قتيبة ، الشعر والشعراء

١ : ٩٣ ، والزغزري ، الفائق ٢ : ١٦٥

الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظم في الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . . . ثم قال : أنشدني له . قال ابن عباس : فأنشدته حتى برق الفجر .

وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هَرَم^(١) : « أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده . فقال عمر : إنه كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطية . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم . وفي رواية عمر بن شبة : قال عمر لابن زهير : ما فعلت الحُلل التي كساها هَرَمُ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحُلل التي كساها أبوك هَرماً لم يبلها الدهر .

وقال عمر للوفد الذين قدموا عليه من غطفان^(٢) : من الذي يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وليس وراء الله للمرء مَذْهَبٌ

قالوا : نابغة بنى ذبيان . قال لهم : فمن الذي يقول هذا الشعر :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي على وَجَلٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كذلك كان نوحٌ لا يَخُونُ

قالوا : هو النابغة . قال : هو أشعر شعرائكم .

ومن أحكام عمر النقدية التي صارت وشاعت — غير حكمه المشهور على زهير — قوله حينما سئل عن الشعراء^(٣) « امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين

(١) البغدادى ، الخزائن ٢ : ٢٩٢ .

(٢) المقد ٦ : ١٢٠ - ١٢١ ، وانظر الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٤ - ٥ .

(٣) الأغاني ٨ : ١٩٩ ، والفائق ١ : ٣٤٣ . افتقر : أنبط وأغزر . يريد أنه أول

من فتق صناعة الشعر ، وفن معانيها وكثرها وقصدها ، فاحتذى الشعراء على مثاله . وقد جعل للشعر بصراً صحيحاً . والمراد أن امرأ القيس قد أوضح معاني الشعر ونقصها وكشف عنها الحجب ، وجانب التعميص والتعقيد ؛ كأنه قال : فتح للشعر أصبح بصر مجاوزاً للمعاني المور متخفياً لها .

الشعر ، فافتقرَ عن معانٍ حُورٍ أصحَّ بصيرٍ .

وكذلك كان أبو بكر راوية للشعر الجاهلي ، يتمثل به في مواقفه ويستشهد الشعراء ما قالوه في جاهليتهم وإسلامهم . فقد رقى أبو بكر المنبر يوماً ، وقال - فيما قال - يخاطب الأنصار (١) : . . . فنحن وأنتم كما قال الغنوي :

جَزَى اللهُ عَنَا جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَقْتَ بَنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُؤُنَا ، وَلَوْ كَانَتْ أَمْنًا تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ
هُمْ أَنْسَكُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ ظِلَالِ بَيْوتِ أَذْفَاتٍ وَأَكْنَتِ

واستشهد أبو بكر يوماً معديكرب - وقال (٢) : أما إنك أول من استشهدته في الإسلام . وهذا الخبر يقودنا إلى الحديث عما كان عليه أبو بكر قبل الإسلام : فقد كان عالماً من علماء النسب والأخبار ، بل لقد كان أعلم قريش بأنساب العرب ، حتى إن حسناً لما أراد أن يهجو قريشاً قال له رسول الله (٣) : استعن بأبي بكر فإنه علامة قريش بأنساب العرب . فلما سمعت قريش بعد ذلك هجاءه قالوا (٤) : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة . وقال بعضهم - ولم يكونوا علموا أن حسناً قاله (٥) : لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا !

بل لقد كان منزل أبي بكر في الجاهلية مثابة لقريش يؤمنونه لخصلتين : العلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه (٦) .

وقبل أن نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستنشاده الشعر ، وإنشاده

(١) الصول ، أدب الكتاب : ١٩٠ .

(٢) ابن سعد : ٥٧ .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٢٣ .

(٤) الأغاني : ٤ ، ١٣٨ ، والفائق : ٢ : ٢٤٤ .

(٥) الأغاني : ٤ : ١٣٨ .

(٦) البيان والتبيين : ٤ : ٧٦ .

الصحابة والرواقين يديه وفي مجلسه - نشير إلى ما يروى من أخبار عن غزارة حفظ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر للشعر الجاهلى ، وتمثلها به ، واستنشادها إياه . والروايات كثيرة عن وفرة ما كانت ترويه من الشعر الجاهلى ، منها قولها عن نفسها ^(١) : إني لأروى ألف بيت للبيد ، وإنه أقل ما أروى لغيره ! وقالت كذلك ^(٢) : لقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك .

وقد أنشدت عائشة - لما مات أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر - متمثلة قصيدةً بائنةً لحجبة بن المضرب الكندى فى أخيه سعدان بن المضرب ^(٣) . ولما بلغها موت على بن أبي طالب أنشدت متمثلة شعراً للمعقر بن أوس بن حمّار البارقى ^(٤) .

وكانت أيضاً تحث على طلب الشعر وتعلمه وروايته ، وما كانت تقوله فى ذلك ^(٥) : رَوَوْا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم .

وكانت أسماء بنت أبي بكر - أخت عائشة - ممن يروى عنها الشعر الجاهلى ، فقد روى عنها عروة قصيدتين ، إحداهما لزيد بن عمرو بن نفيل ، والأخرى لورقة بن نوفل ^(٦) .

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يستنشد الصحابة الشعر ^(٧) ، ويسألهم عنه ، ويستعيد ما يستحسنه منه ، ويبدى إعجابه ببعضه ، وقد ينهى عن رواية بعضه لأسباب مذكورة . فما يدل على معرفتهم آنذاك بأخبار الجاهلية

(١) ابن عبد ربه ، العقد ٦ : ١٢٥ .

(٢) السيوطى ، المزمع ٢ : ٣٠٩ .

(٣) المرزبانى ، معجم الشعراء ٢٣٤ .

(٤) المرزبانى ، المعجم ٢٠٤ .

(٥) العقد ٦ : ١٢٥ .

(٦) الأغاني ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٧) انظر : المبرد ، الفاضل : ٩ - ١٠ .

وشعراتها أن رسول الله كتب لعيينة بن حصن كتاباً ، فلما أخذ عيينة كتابه قال (١) : يا محمد ، أتراني حاملاً إلى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس ؟

وما يدل على استنشاده الشعر ومساءلته الصحابة الحاضرين مجلسه عنه ، ما رواه أنس بن مالك قال (٢) : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرَجِي ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم - يعنى قوله :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعِمْرَةٍ وَخَشًا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبٍ
فَأَنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَانَ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لَاعِبٍ

فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس ، وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة موضة فجالدنا كما ذكر .

وقال أبو وداعة (٣) : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بنى شيبه ، فرجل وهو يقول :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بَالَ عَبْدِ الدَّارِ
هَبْلَتِكَ أُمُكَ لَوْ نَزَلْتَ بِرَحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عُدْمٍ وَمِنْ إِقْتَارِ

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بَالَ عَبْدِ مَنَافٍ

(١) الزنجشري ، الفائق ٢ : ١٣ .

(٢) الأغاني ٣ : ٧ .

(٣) القالي ، الأماي ١ : ٢٤١ .

مَبْلَتَكَ أُمَّكَ لَوْ نَزَلْتَ بِرَحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عُدْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ
الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيَهُمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
وَيُكَلِّلُونَ جِفَانَهُمْ بِسَدِيدِهِمْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ (١)

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هكذا سمعتُ الرواة ينشدونه .

وقال عدى بن أبى الزغباء يوم بدر (٢) :

أَنَا عَدِيٌّ وَالسَّحْلُ أَمْثِي بِهَا مَثَى الْفَخْلُ

يعنى درعه . . . قال النبي صلى الله عليه وسلم « وما السحل » ؟ قال : الدرع .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم العدى عدى بن أبى الزغباء .

بل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل ببعض هذا الشعر الجاهل
فقد كان إذا استراث الخبر يتمثل بعجز بيت طرفة (٣) :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَبَاتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مِنْ لَمْ تُزَوِّدْ

ومن الشعر الجاهل الذى كان ينشد بين يدى رسول الله فيستحسنه ، ما قالته
حائشة (٤) : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثل بهذين البيتين :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزِرُ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال صلى الله عليه وسلم : رُدِّى عَلَى قَوْلِ الْيَهُودِ قَاتِلَهُ اللَّهُ ، لقد أتانى جبريل
برسالة من ربى : أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه
والدعاء له فقد كافأه .

(١) الرجاف : البحر .

(٢) الواقلى ، المغازى : ٦٠ .

(٣) معجم المرزبانى : ٢٠٣ ، وانظر الفاضل للمبرد : ٩ .

(٤) الأغاني ٣ : ١١٧ .

وقال مسلم الخزاعي (١) : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومشيد بنشده :

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ حَتَّى تُلَاقِيَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الإسلام !
وأنشد صلى الله عليه وسلم قول عنزة (٢) :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فقال صلى الله عليه وسلم : ما وُصفَ لي أعرابي قط فأحببتُ أن أراه إلا عنزة !
وقال الشريد بن سُوَيْد التَّقِيُّ (٣) : استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم شعر
أمية بن أبي الصلت ، فأنشدته ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : هيه
هيه ، حتى أنشدته مائة قافية .

وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية (٤) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمَسَّنَا وَمُصْبَحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَحَنَا رَبِّي وَمَسَانَا
(خمسة أبيات) فقال صلى الله عليه وسلم : إن كاد أميةُ لبسلم . وقال مرةً
أخرى (٥) : آمن شعره وكفر قلبه .

(١) الفائق ٣ : ٥٢ . يمتنى : يقدر الله ، ومنه المنية . يريد : حين تلاق ما يقدره لك الله .
والبيتان لسويد بن عامر (انظر الزمخشري في الفائق ٣ : ٥٢) .

(٢) الأغاني ٨ : ٢٤٣ .

(٣) المزهر ٢ : ٣٠٩ نقلا عن البخاري في الأدب المفرد ، وانظر ابن سعد ٥ : ٣٧٦ ،
والخزاعة ١ : ٢٢٧ نقلا عن صحيح مسلم . وقد وقع في الخزانة « الرشيد » وهو خطأ ، صوابه « الشريد » .

(٤) الأغاني ٤ : ١٢٩ .

(٥) المصدر السابق ٤ : ١٣٠ .

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن رواية بعض الشعراء الجاهلي وإنشاده . فمن ذلك أنه لما بلغه صلى الله عليه وآله وسلم هجاء الأعشى علقمة بن علاثة العامريّ نهي أصحابه أن يرووا هجاءه ، وقال : إن أبا سفيان شعث مني عند قيصر فردّ عليه علقمة وكذب أبا سفيان ^(١) . ونهى كذلك عن إنشاد قصيدة الأوفى الأودّي لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام ^(٢) .

وكان أمية بن أبي الصلت يحرض قريشاً بعد وقعة بدر ، وكان يرثى من قُتل من قريش فمن ذلك قوله ^(٣) :

ماذا يبدرُ والعَقْدُ قَلِي من مَرَاذِبِ جَحَا جَعِ

وهي قصيدة نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها .
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري ينشد ^(٤) :

ألا هل أتى غَسَانُ عَنَّا ودُونَنَا من الأَرْضِ خَرَقُ غَوْلُهُ مُتَنَعِّعُ
مُجَالِدَنَا عن جِذْمِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ مُدْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ

فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقل عن «جذمننا» وقل «عن ديننا» . فكان كعب يقرأ كذلك ويفتخر بذلك ، ويقول : ما أعان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً في شعره غيري .

(١) الفائق ١ : ٦٦٤ .

(٢) الميخى ، الطرائف الأدبية : ٣ ؛ وهي قصيدة الأوفى التي أولها :

إن ترى رأسي فيه نزع وشوى خلة فيها دوار

ويهو فيها بنى هاجر .

(٣) الأغاني ٤ : ١٢٢ - ١٢٣ . المعنقل : كتيب رمل بيدر . المرازبة : جمع مرزبان وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك . وجحاجح : جمع جحجج ، وهو السيد المسارع إلى المكارم .

(٤) المبرد ، الفاضل : ١٢ ؛ وانظر أيضاً ابن هشام ٣ : ١٣٩ .

ولقد كان إنشاد الشعر وروايته دأب العرب في جاهليتهم القريبة المتصلة بمطلع الإسلام ، حتى حين كانوا - وهم مشركون - يحاربون رسول الله . فكانوا لا يكادون يجتمعون في مجلس أو يضمهم نادٍ حتى يَزُجُوا أوقاتهم بهذا الشعر يشدونه . ومن أمثلة ذلك أن المشركين لما توجهوا « إلى بدر كان فتيان ممن تخلف عنهم سُمَّار يسْمرون بذي طُوًى في القمر ، حتى يذهب الليل ، يتناشدون الأشعار ويتحدثون »^(١). ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لي بآبن الأشرف ؟ ... » خرج أبو نائلة سلُكَّان بن سلامة إلى كعب ، فلما رآه كعب أنكر شأنه وكاد يذعر . . . فقال أبو نائلة : حدثت لنا حاجة إليك . . . فتحدثنا ساعة وتناشدا الأشعار ، وانبسط كعب ، وهو يقول بين ذلك : حاجتك . وأبو نائلة يناشده الشعر . . . »^(٢)

٤

وطبقة أخرى من العلماء هم النسابون ، وصلتهم بالشعر الجاهلي صلة واضحة ، إذ أن معرفتهم بالنسب كانت تقتضيهم معرفة واسعة بأخبار هؤلاء القوم وأشعارهم . وقد ذكرنا من قبل أن كتب القبائل كانت كتباً تتضمن أنساب العرب وأخبارهم وأشعارهم ، ونستطيع أن نتلمس ما ذكرناه تلمساً واضحاً في كتب الأنساب التي كتبها النسابون في العصور الإسلامية ، ولعل من أقدمها كتاب نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ، فإن في هذا الكتاب - مع سلاسل النسب - أخباراً تاريخية وأدبية ، وشعراً يساق مع هذه الأخبار ويذكر مع تلك الأحاديث ، وكذلك كانت سُنَّة كتب النسب كلها التي سبقتة فيما نرجح . وما يدعم ذلك أننا نجد دائماً ذكر

(١) الواقدي ، المغازي : ٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٤٦ .

علماء النسب مقروناً بذكر علمهم بالشعر وروايته ، وبأيام العرب وأخبارهم ، فقد قال الجاحظ عن علماء النسب^(١) : « وأربعة من قریش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار » . وقيل عن عقيل بن أبي طالب^(٢) : « ويُجتمَعُ إليه في علم النسب وأيام العرب » .

وسنذكر في هذه الصفحات ، ذكراً موجزاً ، هؤلاء النسّابين الذين أخذ عنهم علماء القرن الثاني ، والذين عاشوا في القرن الأول ، وفي صدر الإسلام ، وفي آخر العصر الجاهلي ، لئلا نرى من ذلك — كما رأينا في إنشاد الشعر الجاهلي وروايته — أن الصلة قائمة في العصور المتعاقبة ، وأنها كانت أشبه بالسلسلة ذات الحلقات المتصلة آخذاً بعضها برقاب بعض ، لم تنقطع ، ولم ينفطر عقدها ، ولم تكن ثمة فجوة تفصل بين أخبار الجاهلية وعلماء القرن الثاني ورواته .

فهذا هشام بن محمد بن السائب الكلبی — عالم الأنساب المشهور — يقول^(٣) « قال لي أبي : أخذت نسب قریش عن أبي صالح . وأخذته أبو صالح عن عقيل بن أبي طالب . وأخذت نسب كندة عن أبي الكناس الكندي ، وكان أعلم الناس . وأخذت نسب معدّ بن عدنان عن النخّار^(٤) بن أوس العذريّ ، وكان أحفظ الناس ممن رأيت وسمعت به . وأخذت نسب إیاد عن عدیّ بن رثاث الإبادی ، وكان عالماً بإیاد » .

وقد ذكر شعراء القرن الأول بعض هؤلاء النسّابين ، ووصفوا ما كان مشهوراً من مدى علمهم بأخبار الجاهلية ، فن ذلك قول سمالك العكرميّ^(٥) :

(١) البيان والتبيين ٢ : ٣٢٣ .

(٢) الصفدي ، نكت الهميان : ٢٠٠ .

(٣) ابن الندیم ، الفهرست : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٤) في الأصل : « النجار بن أوس العدواني » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من معجم المرزبان

٢٣٧ ، ومن الحيوان ١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٠٩ - ٢١٠ وغيرها .

(٥) البيان والتبيين ١ : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

فَسَائِلُ دَغْفَلًا وَأَخَا هِلَالٍ وَحَمَادًا يُنبِئُكَ الْبَقِيَّةَ^(١)
وقال مسكين الدارمي^(٢):

وَعِنْدَ الْكَيْسِ النَّمْرِيُّ عِلْمٌ وَلَوْ أَمْسَى بِمُنْخَرِقِ الشَّامِ
وقال ثابت قطنه^(٣):

فَمَا الْعِضَانِ لَوْ سُئِلَا جَمِيعًا أَخُو بَكْرِ وَزَيْدُ بَنِي هِلَالٍ^(٤)
وَلَا الْكَلْبِيُّ حَمَادُ بْنُ بَشِيرٍ وَلَا مَنْ قَادَ فِي الزَّمَنِ الْخَوَالِ
وقال زياد الأعجم يهجو بني الحبناء^(٥):

بَلْ لَوْ سَأَلْتَ أَخَا رَبِيعَةَ دَغْفَلًا لَوَجَدْتَ فِي شَيْبَانَ نِسْبَةَ دَغْفَلٍ
إِنَّ الْأَحَابِنَ وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ شَرُّ الْأَنَامِ وَنَسْلُ عَبْدِ أَغْرَلٍ^(٦)
وقال القطامي^(٧):

أَحَادِيثُ مِنْ أَنْبَاءِ عَادٍ وَجُرْهُمِ يُثَوِّرُهَا الْعِضَانُ زَيْدٌ وَدَغْفَلٌ
وقال عمرو بن المرادة البلوي يهجو النخار بن أوس العذري النسابة الراوية لأنه
استلمحق بطناً من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة وذكر أنهم من قومه^(٨):

وَقَدْ كُنْتُ يَا نَخَّارُ مَا تَدْعِيهِمْ وَتَعْرِضُ عَنْهُمْ فِي السَّنِينَ الْعَوَارِقِ
يُمْنِيهِمُ النَّخَّارُ إِلْحَاقُ نِسْبَةٍ بِلَايٍ وَمَا النَّخَّارُ فِينَا بِصَادِقِ

(١) دغفل : هو دغفل بن حفظة النسابة المشهور . أخو هلال : هو زيد بن الكيس ،
وبنو هلال حتى من النمر بن قاسط . وحامد : هو حماد بن بشر .

(٢) البيان والتبيين ١ : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٣) الغص : الداهية من الرجال . وفاد : هلك .

(٤) الأحابن : بنو الحبناء . والأغرل : الأقف .

(٥) ديوانه : ٣١ .

(٦) المرزبانى ، معجم الشعراء : ٢٣٧ .

وحسبنا هذه الإشارة المقتضبة إلى نسابي القرن الأول ، فأخبارهم كثيرة مبسطة في مظانها^(١) . وسنتقل إلى الحديث عن نسابي الصدر الأول ومن شهد منهم الجاهلية ، ونوجز كذلك الإشارة إليهم بإيجازاً .

فن أشهر هؤلاء : دغفل النسابة^(٢) . ذكر الهيثم بن عدي في « كتاب المثالب »^(٣) أن أبا عمرو بن أمية - جد عتبة بن أبي مُعيط - كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه . وذكر أن دغفلاً النسابة دخل على معاوية ، فقال له معاوية : من رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس . فقال : صفهما لي . فقال : كان عبد المطلب . . . قال : فصف أمّية . قال : رأيت شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان : فقال : مه ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قلتموه بعدُ وأحدثتموه ، وأما الذي عرفتُ فهو الذي أخبرتك به .

وقال معاوية يوماً لدغفل^(٤) : بم ضبطت ما أرى ؟ قال : بمفاوضة العلماء . قال : وما مفاوضة العلماء ؟ قال : كنت إذا لقيت عالماً أخذتُ ما عنده وأعطيته ما عندي .

ويبدو أن القوم كانوا - على عهد عمر - مقبلين على تعلم النسب ، معنيين بدراسته ، وكانت العصبية القبلية ، والعصبية القومية العربية ، تحمل كثيراً منهم على أن يتخذ من علمه هذا وسيلة للطعن في أنساب غيره ، ولذلك نهى عمر عن هذا الضرب من العلم ، أو عن هذا الضرب من التوسل بالعلم ، فقال^(٥) :

(١) انظر مثلاً: البيان والتبيين ١ : ٣١٨ - ٣٢٤ ، والحيوان ١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٠٩ -

(٢) أخباره في الفهرست : ١٣١ .

(٣) الأغاني ١ : ١٢ .

(٤) الزنجشري ، الفائق ٢ : ٣٠٤ .

(٥) الفائق ٢ : ٣٨ .

أيها الناس ، إياكم وتعلم الأنساب والطعن فيها . والذي نفس عمر بيده لو قلت لا يخرج من هذا الباب إلا صمّدت ما خرج إلا أفلحكم .

ومع ذلك فقد كان عمر يستعين بهؤلاء النسابين كلما احتاج إليهم في أمر ، فحينما أراد أن يكتب الناس في الديوان للعطاء دعا « عقيل بن أبي طالب وغرمة ابن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا من نسائي قريش » فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا ، فبدأوا ببني هاشم ^(١) .

ولما أتى عمر بسيف النعمان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم فسلمه إياه ، ثم قال ^(٢) : يا جبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قنص بن معد .

وجبير هذا معروف بعلمه بالنسب حتى قيل عنه إنه أنسب العرب ، وقد أخذ النسب عن أبي بكر الصديق ، وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب ^(٣) .

بل لقد كان عمر نفسه عالماً بالنسب ، وقد أخذ علمه هذا عن أبيه الخطاب ، وكان كثيراً ما يقول ^(٤) : سمعت ذلك من الخطاب ، ولم أسمع ذلك من الخطاب .

وأما عقيل بن أبي طالب الذي ذكرناه في خبر عمر حينما دعا النسابين ليكتبوا الناس على منازلهم ، فهو أخو علي ، وعقيل أسن من علي بعشرين سنة ، ومات في زمن معاوية في نحو سنة خمسين للهجرة . وكان عقيل من أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم ، وكانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصلى عليها ، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب ^(٥) . وكان عقيل أكثر النسابين ذكراً لمثالب الناس وتعداد مساويهم فعادوه لذلك ، وقالوا فيه وحمقوه ^(٦) .

(١) ابن سعد ١/٣ : ٢١٢ .

(٢) البيان والتبيين ١ : ٣٠٣ .

(٣) البيان والتبيين ١ : ٣٠٣ ، والفائق ١ : ٦٠٨ - ٦٠٩ .

(٤) البيان والتبيين ١ : ٣٠٤ .

(٥) نكت الهميان : ٢٠٠ .

(٦) البيان والتبيين ٢ : ٣٢٤ ، ونكت الهميان : ٢٠٠ .

وأما مخزومة بن نوفل فقد أسلم عام الفتح ، وتوفى بالمدينة سنة أربع وخسين للهجرة ، وقد بلغ مائة وخمس عشرة سنة . وكان له سن وعلم بأيام قريش ، وكان أحد علمائهم ، ويؤخذ عنه علم النسب ^(١) .

ومن هؤلاء النسابين المعمرين : أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر « كان من مشيخة قريش عالماً بالنسب ، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من معمرى قريش ، بنى فى الكعبة مرتين : مرة فى الجاهلية ومرة فى الإسلام ، حين بناها قريش وحين بناها ابن الزبير » ^(٢) .

ومن هؤلاء النسابين العلماء فى الجاهلية : الخطاب بن نفيل وأبوه نفيل بن عبد العزى الذى « تنافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية ، فنفر عبد المطلب — أى حكم له » ^(٣) .

ومنهم أيضاً الأقرع بن حابس ، وكانوا يحكمونه فيما يشجر من أمورهم ، وكان عالم العرب فى زمانه ^(٤) .

وقد مر بنا ذكر علم أبى بكر بالنسب ، وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يرجع إلى أبى بكر لمعرفة نسب قريش قبل أن يهجوم . وقد كان بيت أبى بكر فى الجاهلية مجلساً عاماً يقصده الناس لطلب العلم والقيرى .

• • •

فنحن نرى إذن — مما قدمنا من الأمثلة والشواهد — أن رواية الجاهلية : أشعارها وأخبارها ، لم تنقطع منذ الجاهلية ، بل لقد اتصلت فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وخلفائه الراشدين ، واستمرت طوال القرن الأول حتى

(١) نسب قريش : ٢٦٢ ، ونكت الهيمان : ٢٨٧ .

(٢) نسب قريش : ٣٦٩ .

(٣) البيان والتبيين ١ : ٣٠٤ .

(٤) النفاض : ١٤١ .

تسلمها العلماء الرواة من رجال القرن الثاني . ولم تكن ثمة فجوة تفصل هؤلاء الرواة العلماء عن العصر الجاهلي ، وإنما تلقفوه عن تقديمهم ، وورثوه عن سبقهم ، رواية متصلة ، وسلسلة محكمة ، يأخذها الخلف عن السلف ويروونها الجليل بعد الجليل ، حريصين عليها معنيين بها . ولم يشغلهم عن إنشاد الشعر وروايته ، وذكر أخبار العرب وأيامهم ومفاخرهم ومثالبهم ، في مجالسهم ومحافلهم ، شاغل من حرب أو فتنة ، حتى لقد رأينا المسلمين الأولين ، والمشركين من كفار قريش ، لا ينقطعون عن إنشاد الشعر الجاهلي واستنشاده وروايته والتمثل به وتعلمه وحفظه . فأين هذا كله من قول ابن سلام وغيره إن العرب تشاغلن عن الشعر لما جاء الإسلام « وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولط عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، واجمعوا رواية الشعر » .

ولا نحب أن نتأول كلام ابن سلام ، فألفاظه صريحة واضحة ، ولكننا نحسب أنه يقصد إلى أن الرواية العلمية المنظمة ، والضبط والتدقيق والتحري ، وتلوين ذلك كله — لم يستطع العرب أن يتلمسوا إليه السبيل إلا بعد أن استقروا في الأمصار . فإن كان ذلك هو قصده ، فلا ريب أننا لا نستطيع له دفعا . وأما إذا كان يقصد ، كما يفهم من صريح ألفاظه ، مجرد رواية الشعر وإنشاده وحمله ونقله شفهيًا ، فما قدمنا من أمثلة لا يتيح لنا أن نقبل دعواه . وسيزيد الأمر بسطاً حين نتحدث في الفصل المقبل عن طبقات الرواة .

افصل الثانی

طبقات الرواة

۱

الشعراء الرواة :

أولى هذه الطبقات وأولاًها بالتقديم طبقة الشعراء الرواة ، وهم - فيما يبدو لنا - طائفتان : شعراء يروون ، فيما يروون ، شعر شاعر بعينه ، فيحفظون هذا الشعر ، ويتلمذون للشاعر ، ويحتذون فيما ينظمون شعره ، واعين مقلدين في بدء أمرهم ، ثم يصبح التقليد طبيعة وفطرة يصدرن عنها صلوراً فنياً . وبذلك تكتمل لدينا سلسلة من الشعراء الرواة يكون لهم من الخصائص الفنية التي تجمع بينهم ما يتيح لنا أن نسميهم « مدرسة شعرية » كما سماها الأستاذ الدكتور طه حسين^(١) . وطائفة ثانية من هؤلاء الشعراء الرواة يروون شعراً لمن سبقهم ولبعض من عاصرهم من الشعراء ، لا يخصون شاعراً بعينه يتلمذون له ، وإنما يرددون مناهل شتى يستقون منها ما شاء لهم الفن الشعري أن يستقوا ، ثم يصدرن وقد اكتملت لهم شخصيتهم الفنية المستقلة .

وقد قسم النقاد الأقدمون الشعراء طبقات أربعة ، وجعلوا الطبقة الأولى المقدمة على سائر الطبقات : الشعراء الفحول ، وقد عرفوا الفحول بأنهم الشعراء الرواة^(٢) . وسنعرض أمثلة قليلة لأكمل من الطائفتين فيها غناء عن الإكثار .

فأما الطائفة الأولى ، وهم الذين يتسلسلون في نسق ، ويكونون مدرسة شعرية ، فن أشهرها المدرسة التي تبدأ بأوس بن حجر وتنتهي بكثير . فقد كان زهير بن

(١) في الأدب الجاهل (ط . رابعة) ص : ٢٩٧ .

(٢) البيان والبيان : ٢ : ٩ ، وانظر المدة ١ : ٧٣ .

أبي سلمى راوية أوس وتلميذه^(١)؛ ثم صار زهير أستاذاً لابنه كعب والحطيئة^(٢)، حتى لقد قال الحطيئة لكعب بن زهير^(٣) : « قد علمتم روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم ، فلو قلت شعراً تذكروني فيه نفسك ثم تذكروني بعلدك . ثم جاء هذبة بن خشرم الشاعر وتعلمد للحطيئة وصار راويته^(٤) . ثم تتلمذ جميل بن معمر العذري لهذبة وروى شعره ، ثم كان آخر من اجتمع له الشعر والرواية كُثْبَرًا تلميذ جميل وراويته^(٥) .

ولسنا في سبيل دراسة الخصائص الفنية لهذه المدرسة الشعرية^(٦) ، فحسبنا هذا العرض التقريري الذي أورده النقاد الأقدمون ، وأقرّ به بعض هؤلاء الشعراء أنفسهم . ومع ذلك فإننا سنعرض لخصيصة واحدة تجلو لنا حقيقة الصلة بين تلامذة هذه المدرسة ؛ تلك هي : الثاني في نظم الشعر وإعادة النظر فيه وتنقيحه ، حتى لقد قال الأصمعي^(٧) : زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحوّلِي المحكّك . وكان زهير يسمى كُبْرَى قصائده الحوليات . وذكر كعب بن زهير في شعر له هذه « العملية الفنية » في نظم الشعر^(٨) ،

(١) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء : ٨١ ، وابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ١ : ٨٦ . ومع ذلك فإنه يروى أنه كان لزهير أستاذ آخر هو خاله بشامة بن القدير وأن زهيراً قد ورث شعر خاله بشامة ورواه عنه ، انظر الأغاني ١٠ : ٣١٢ ، والآمدي ، المؤتلف والمختلف رقم ٥٣٩ .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ١ : ٩٣ .

(٣) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء : ٨٧ وابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ١٠٦ . وانظر أيضاً الأغاني ٢ : ١٦٥ .

(٤) الأغاني ٨ : ٩١ ، ولسان العرب (رتب) .

(٥) الأغاني ٨ : ٩١ .

(٦) لقد فصل القول فيها الدكتور طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي) انظر ص :

٢٩٨ وما بعدها .

(٧) الشعر والشعراء : ١ : ٢٣ .

(٨) انظر ديوانه ص : ٦٤ .

فأشار إلى أنه يتتقن ألفاظه وقوافيه انتقاءً ، ويتنخلها تنخلًا ، ويثقف شعره حتى تلين متونه ويستوى بين يديه على ما يحب . ومن هنا جاز أن تسمى هذه المدرسة الشعرية مدرسة الصنعة ^(١) .

ولم تكن الرابطة الفنية وحدها هي التي تجمع بين بعض هؤلاء الشعراء ، فقد ذكر لنا الرواة أن أوساً كان زوج أم زهير ^(٢) ، وكعب هو ابن زهير . وصلة الرحم هذه التي تربط بين أفراد المدرسة الفنية الواحدة ، تنقلنا إلى مدرسة أخرى : فقد كان المسيّب بن عكّاس خال الأعشى بن ميمون ، وكان الأعشى راويته وكان يطرّد شعره ويأخذ منه ^(٣) .

وكذلك كان أبو ذؤيب الهذلي راويةً لساعدة بن جؤيّة الهذلي ^(٤) .

ولو تتبعنا هذه الصلة بين شعراء الجاهلية لوجدنا الكثيرين منهم ذوى رحم . ومن أشهر الأمثلة على ذلك - غير من ذكرنا - هؤلاء الثلاثة : المرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وطرفة بن العبد . فقد كان المرقش الأكبر عمّ الأصغر ، والأصغر عم طرفة ^(٥) . وكذلك كان مهلهل خال امرئ القيس . فلعل الأمر في هؤلاء الشعراء قد جرى على ما جرى عليه الشعراء السابقون من أصحاب المدرسة الفنية الواحدة ، ولعل المرقش الأصغر كان راوية عمه المرقش الأكبر ، وطرفة راوية عمه المرقش الأصغر ، ولعل امرأ القيس كان كذلك راوية خاله مهلهل ^(٦) .

والأمر بعد هذا يحتاج إلى دراسة فنية ، ليس هذا مجاها ، لشعر هؤلاء الشعراء حتى تنجلي لنا الأصول الشعرية التي قامت عليها كل مدرسة ومدى تأثير

(١) الدكتور شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ط . ثانية) ص ١٣ - ١٥ .

(٢) ابن سلام : ٨١ .

(٣) الموشح : ٥١ ، والشعر والشعراء : ١٢٧ .

(٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ٦٣٥ .

(٥) ابن سلام : ٣٤ ، ومعجم المرزبانى : ٢٠١ ، والأغانى : ٦ : ١٣٦ .

(٦) ذكر ابن رشيق في العمدة : ١ : ٦١ (مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧) أن امرأ القيس

كان راوية أبي دوداد الإيادى ، قال : « وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروى شعره » .

التلاميذ الرواة من هؤلاء الشعراء بأساتذة مدرستهم وشيوخها .

والطائفة الثانية هم الشعراء الذين لم يختصوا برواية شعر شاعر بذاته يتعلمون له ، وإنما يروون لشعراء كثيرين يتعلمون لهم جميعاً ، حتى يستقيم عودهم ، ويشقوا طريقهم الشعرى الذى يتفردون به ويتميزون . وهذه الطائفة من الشعراء قيمة كبيرة فى بحثنا هذا ، إذ أنهم جميعاً ، فى أمثلتنا التى سنوردها — من شعراء القرن الأول الهجرى ، وهم جميعاً قد رَووا الشعر الجاهلى وحفظوه وتمثلوا به ، بل لقد فقدوه وحكموا عليه وفاضلوا بين الشعراء الجاهليين . وقد اعتمد الرواة من علماء القرن الثانى أحكام هؤلاء الشعراء الرواة وروايتهم للشعر الجاهلى وأخذوا عنهم . وبذلك يكون أولئك الشعراء الرواة الذين عاشوا فى القرن الأول الهجرى حلقة من السلسلة التى أشرنا إليها فى الفصل الأول حين تحدثنا عن اتصال الرواية الأدبية من الشاعر الجاهلى إلى علماء القرن الثانى .

فن الشعراء الرواة فى القرن الأول : الطُّرُمَاح . قال محمد بن سهل راوية الكميت (١) : أنشدتُ الكميت قول الطرماح :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطُّرِمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ

فقال الكميت : إى والله وعنان الخطابة والرواية .

والكميت بن زيد هذا كان كذلك راوية عالماً بلغات العرب خبيراً بأيامها ومثالبها . ويقال : ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ، فن صحح الكميت نسبه صحح ، ومن طعن فيه وهن .

وكذلك كان رؤية بن العجاج ، فقد أخذ عنه كثير من العلماء الرواة اللغة ، وكانوا كذلك يأخذون عنه رواية الشعر الجاهلى ونقدَه والحكم عليه .

(١) البيان والتبيين ١ : ٤٦ ، والشعر والشعراء : ٥٦٧ .

أخذ عنه يونس بن حبيب شرح قول امرئ القيس «صَفِرَ الوطاب» (١). وكان يونس يأخذ عنه كذلك الغريب ، فقال له رؤبة يوماً : حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك ! أما ترى الشيب قد بلّغ في رأسك ولحيتك ؟ وروى عنه أبو عمرو بن العلاء أبياتاً لامرئ القيس فاضل بينها ونقدها (٢).

وكان ذو الرمة راوية الراعي (٣) ، يروى شعره ويجعله إماماً (٤) ، وكان كذلك يؤخذ عنه بعض الشعر الجاهلي ، فقد أخذ عنه يونس بن حبيب قصيدة عبيد بن الأبرص الحاثية التي يصف فيها المطر ، وجعلها يونس ، من أجل ذلك ، لعبيد ، وإن كان المفضل صرفها إلى أوس بن حجر (٥) .

ومما يدل على معرفة ذي الرمة بالشعر الجاهلي معرفة دقيقة ، وطول نظره فيه ، ما روى من أن حماداً الراوية قدم على بلال بن أبي بُرْدَة البصرة ، وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حماد شعراً مدحه به ، فقال بلال لذي الرمة (٦) : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً ، وليس له . قال : فنن يقوله ؟ قال : لا أدري إلا أنه لم يقله . فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه . . . قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا . قال : فنن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري . قال : فنن علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

(١) ابن سلام : ٤٥ ، وبيت امرئ القيس هو :
وأفلقن علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب

(٢) الموشح : ٢٧ .

(٣) ابن سلام : ٤٦٧ .

(٤) الموشح : ١٧٠ .

(٥) ابن سلام : ٧٦ - ٧٧ .

(٦) الأغاني ٦ : ٨٨ .

فإذا ما انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن جرير والفرزدق ، وجدنا في الحديث عنهما ما يكشف عن مدى معرفة هؤلاء الشعراء بأخبار الجاهلية وأيامها ورواية شعرها . وعرفنا شيئاً آخر ذا قيمة خاصة ، وهو أن علماء القرن الثاني قد أخذوا بعض علمهم عن الجاهلية وشعرها عن هؤلاء الشعراء ، وخاصة جريراً والفرزدق .

فأما جرير فقد كان جدُّه الحَطَفَيّ ، واسمه حذيفة بن بدر ، من القدماء العلماء بالنسب وأخبار العرب ^(١) ، وكان كذلك شاعراً وقد أدركه جرير وأخذ عنه ^(٢) . وروى أبو عبيدة عن مِسْحَل بن زَيْدَاء - وهي بنت جرير - عن أبيها جرير ، أخباراً عن أيام الجاهلية منها خبر عن يوم ذى قار ^(٣) ، وكذلك روى عنه نقداً مفصلاً لشعر بعض شعراء الجاهلية ^(٤) . وكان خلفاء بني أمية يسألونه عن الشعراء : الجاهليين منهم والإسلاميين ، فيخبرهم بشعرهم وبنقده وأحكامه على هؤلاء الشعراء ^(٥) . فن أمثلة ما كان يقوله : إن طرفة - وقد كنى عنه بابن العشرين - أشعر الناس ، وإن زهيراً والنابغة كانا ينيران الشعر ويسديانه ، وإن امرأ القيس اتخذ من الشعر نعلين يطوهما كيف شاء . . .

وقد كان طلب جرير والفرزدق لأخبار الجاهلية وأنساب العرب مما يضطران إليه ، ليضمّنّا شعرهما حين يهجون وحين يمدحان ، ولذلك قال أبو عبيدة عنهما ^(٦) « هما بشس الشيخان ، ما خلق الله أشأم منهما على قومهما ، لإنهما أخرجا مثالب بني تميم وعبوبهم ، وكانا أعلم الناس بعيوب الناس » .

(١) البيان والتبيين ١ : ٣٦٦ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣١٩ - ٣٢١ .

(٣) النقاظ : ٦٤٧ .

(٤) النقاظ : ١٠٤٧ - ١٠٤٨ ، وانظر الأغاني ٨ : ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) أمالي القالي ٢ : ١٧٩ .

(٦) النقاظ : ١٠٤٩ .

أما الفرزدق فقد تعلم الشعر وروايته وكلام العرب صغيراً ، وهذا أبوه غالب ابن صعصعة حينما وفد على علي بن أبي طالب في خلافته ومعه ابنه الفرزدق قال لعل^(١) : قد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً . وقد كان بعد ذلك يطلب الأنساب والأخبار والمثالب ليضمها شعره حتى إنه حين قدم عمر بن لُحَا التيمي البصرة خرج إليه الفرزدق ومعه رايته ابن مسويه ، وكان يحب شعره ، فقال الفرزدق لابن لُحَا^(٢) : يا أبا حفص ، إن ابن عمي شبة بن عقال كتب إلى أن بني جعفر هجوه وهو مفحم ، وقد استغاث بي ، ولست أعرف مثالبهم ولا ما يهيجون به . قال عمر : لكني قد طابيتهم في الحال ، وسأيرتهم في النجع ، وحضرت معهم وبدوت . فقال الفرزدق : هاتوا لي صحيفة أكتب فيها ما أريد من ذلك . قال : فأتوه بصحيفة فكتب فيها المثالب التي هجاهم بها في القصيدة التي يقول فيها :

وَبَشَّتْ ذَا الْأَهْدَامِ يَغْوِي وَدُونَهُ مِنْ الشَّامِ زَرَاعَاتُهَا وَقُصُورُهَا^(٣)

ويبدو أن الفرزدق كان كثير الرواية لشعر امرئ القيس حافظاً لأخباره ، ويعمل العلماء كثرة رايته لشعر امرئ القيس وأخباره بأن امرأ القيس صحب عمه شرحبيل بن الحارث قبل يوم الكلاب ، وكان شرحبيل مسترضعاً في بني دارم وهط الفرزدق ، فلاحق امرؤ القيس بعمه ، فلذلك حفظ الفرزدق أخباره^(٤) . وبعض أخبار الفرزدق عن امرئ القيس متصلة إلى الجاهلية نفسها ، وربما إلى عصر امرئ القيس نفسه ، فالفرزدق يذكر أن جده قد حدثه بها ، وجده شيخ كبير وهو يومئذ غلام حافظ لما يسمع^(٥) .

(١) البغدادى ، الخزائن ١ : ٢٠٦ .

(٢) النقاظ : ٩٠٧ - ٩٠٨ .

(٣) ذو الأهدام : اسمه نفيع ، وهو أحد بني جعفر بن كلاب . وزراعاتها : الأرض التي تزرع منها .

(٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١ : ٧٠ - ٧١ ، وجمهرة أشعار العرب : ٨٥ .

(٥) المصدران السابقان .

وللفرزدي أحكام نقدية على الشعراء الجاهليين والمخضرمين أخذ بعضها الرواة العلماء وتناقلوها ، فمن ذلك حكم الفرزدق على نابغة بنى جعدة في قوله (١) :
كان صاحب خلقتان عنده مطرفٌ بألف وخمارٌ بواف .

وقد قال الجاحظ (٢) : إن الفرزدق راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم . وقال يونس بن حبيب : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس . فهل أبلغ من هذا في الدلالة على مبلغ علم الفرزدق بأيام العرب وأخبارهم وشعرهم ؟ بل حسبنا أن نذكر الأبيات التالية التي قالها من قصيدته اللامية ، فإن ما فيها من تعدادٍ لشعراء الجاهلية ، وبلغ من أخبارهم ، ونقداً سريعة لشعرهم ، دالٌّ أبلغ الدلالة على معرفته هؤلاء الشعراء وبشعرهم معرفة واضحة المعالم . قال الفرزدق (٣) :

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوْا	وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ (١)
وَالْفَحْلُ عُلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ	حُلُلُ الْمُلُوكِ ، كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهُنَّ قَتَلَنَّهُ	وَمُهْلَهُلُ الشَّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ (٥)
وَالْأَعَشِيَّانِ كِلَاهُمَا وَمُرْقَشُ	وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ
وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عَبِيدٌ إِذْ مَضَى	وَأَبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ
وَابْنَا أَبِي سُلَيْمَى زُهَيْرٌ وَابْنُهُ	وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ الْمِقُولُ
وَالْجَعْفَرِيُّ وَكَانَ بَشَرٌ قَبْلَهُ	لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ
وَلَقَدْ وَرِثْتُ لَأَلِ أَوْسٍ مَنْطِقًا	كَالْسَمِّ خَالَطَ جَانِبَيْهِ الْحَنْظَلُ

(١) الأغاني ٥ : ٢٨ والموشح : ٦٤ .

(٢) البيان والتبيين ١ : ٣٢٢ .

(٣) النقاظ : ٢٠٠ - ٢٠١ وديوانه ص : ٧٢٠ - ٧٢١ .

(٤) النوابيع : النابغة الذبياني والجمدي والشيباني . وأبو يزيد : المجل السدي . وذو القروح :

أمرؤ القيس . وجرول : الخطيئة .

(٥) أخو بني قيس : طرفة .

وَالْحَارِثِيُّ أَخُو الْحِمَاسِ وَرِثَتْهُ صَدْعًا كَمَا صَدَعَ الْمَصْفَاءَ الْمِعْوَلُ

وما يدخل في هذا الباب قصيدة سُرَاقَةَ الْبَارِقِ ، وهو معاصر لجرير والفرزدق ، ووجهُ الشبه بين القصيدتين في تعداد أسماء الشعراء ، وذكر طرف من أخبارهم ونقد شعرهم - واضح بيّن. وقصيدة سُرَاقَةَ التالّية تدل على أن غير جرير والفرزدق من شعراء القرن الأول قد شركوهما في العلم بشعراء الجاهلية ورواية شعرهم مما لا يبلغه إلا الرواة العلماء النقاد الدارسون لهؤلاء الشعراء وشعرهم . قال سُرَاقَةُ (١) :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْقَرِيضِ طَرِيقَةً أَغَبْتُ مَصَادِرُهَا قَرِينَ مُهْلَهْلٍ (٢)
بَعْدَ امْرِئٍ الْقَيْسِ الْمُنَوَّهِ بِاسْمِهِ أَيَّامَ يَهْدَى بِالْذُّخُولِ فَحَوَلٍ
وَأَبُو دُوَادٍ كَانَ شَاعِرَ أُمّةٍ أَفَلَتُ نُجُومَهُمْ وَلَمَّا يَأْفِلُ
وَأَبُو ذُؤَيْبٍ قَدْ أَذَلَّ صِعَابَهُ (لَا يَنْصِبَنَّكَ) رَابِضٌ لَمْ يُذَلِّلِ
وَأَرَادَهَا حَسَنًا يَوْمَ تَعَرَّضْتُ بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّجِيقِ السَّلْسَلِ
ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَتَمَنَعْتُ وَلِإِخَالٍ أَنَّ قَرِينَهُ لَمْ يَخْذُلِ
وَبَنُو أَبِي سُلَيْمَى يُقَصِّرُ سَعْيُهُمْ عَنَّا كَمَا قَصَرَتْ ذِرَاعَا جَرَوَلٍ
وَأَبُو بَصِيرٍ ثُمَّ لَمْ يُبْصِرْ بِهَا إِذْ حَلَّ مِنْ وَادِي الْقَرِيضِ بِمَخْضِلِ
وَإِذْ كُرَّ لَبِيدًا فِي الْفُحُولِ وَحَانِمًا سَيَلُومُكَ الشُّعْرَاءُ إِنْ لَمْ تَفْعَلِ
وَمُعَفَّرًا فَادْكَرْ وَإِنْ أَلَوَى بِهِ رَيْبُ الْمَنُونِ وَطَائِرُ الْأَخْيَلِ
وَأُمَيَّةَ الْبَحْرِ الذِي فِي شِعْرِهِ حِكْمٌ كَوَحْيِ فِي الزُّبُورِ مُفْصَلِ

(١) ديوانه - تحقيق حسين نصار - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ ، ص ٦٤ - ٧١

(٢) قرين الشاعر : شيطانه .

وَالْبَثْمَرِيُّ عَلَى تَقَادُمِ عَهْدِهِ مِمَّنْ قَضَيْتُ لَهُ قِضَاءَ الْفَيْصَلِ
 وَأَقْدِفُ أَبَا الطَّمْحَانِ وَسَطَ خَوَانِهِمْ وَابْنُ الطَّرَامَةِ شَاعِرٌ لَمْ يُجْهَلِ
 لَا وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ لَوْ شِئْتُ إِذْ حَدَّثْتُكُمْ لَمْ أَتَلِ
 مَا نَالَ بَحْرَى مِنْهُمْ مِنْ شَاعِرٍ مِمَّنْ سَمِعْتُ بِهِ وَلَا مُسْتَعَجِلِ^(١)

٢

رواة القبيلة :

وقد سبق لنا قول مفصل عن قيمة الشعر الجاهلي وخطره للقبيلة^(٢) ، إذ هو ديوان أمجادها وأحسابها ، ومجل مآثرها ومفاخرها ، ومستودع آدابها وأنسابها وأخبارها . وأشرنا إلى عناية القبيلة بمدح الشعراء ، وحرصها على إكرامهم واستمالتهم وذكرنا كيف كانت القبيلة تحتفي إذا نبغ فيها شاعر : فتصنع الأطعمة ، وتجتمع النساء يلعبن بالزاهر ، كما يصنعن في الأعراس ، وتأتى القبائل فتنهنها^(٣) . ودلنا على مبلغ عناية القبيلة بالشعر بأن بنى تغلب كانوا يعظمون قصيدة عمرو بن كلثوم المعلقة ، وكان يروونها صغارهم وكبارهم حتى هُجُوا بذلك ، فقال بعض شعراء بكر بن وائل^(٤) :

أَلْهَى بَنَى تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةُ قَالِهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
 يَرَوُّونَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لِلرِّجَالِ لِشِعْرِ غَيْرِ مَسْثُومِ

(١) مستعجل : كذا في ديوانه المطبوع ، ولا أعلم لها وجهاً ، وقد وقف عندها محقق الديوان .

(٢) انظر الباب الثاني ، الفصل الأول ، فقرة (١) .

(٣) ابن رشيقي ، العدة ١ : ٤٩ .

(٤) الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٥٤ .

ولذلك كانت القبيلة مصدراً من مصادر شعر شعرائها ، ومصدراً من مصادر الشعر الذى يمدحها به شعراء القبائل الأخرى . ومن أجل ذلك أخذ العلماء الرواة فى القرن الثانى بعض شعر الجاهلية من هذه القبائل ، وما يرويه رواة منها من شعر شعرائها . وسنسرده بعض الأمثلة على رواية أفراد من القبيلة لشعر شعرائها ، مبتدئين بعصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومنتهين بآخر القرن الثانى .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما أراد أن يسمع بعض شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ، استنشد رجلاً من ثقيف ، قبيلة الشاعر ، هو الشريد بن سويد الثقفى ، فأنشده مائة بيت ^(١) .

وحينما أراد عبد الملك بن مروان أن يسأل عن ذى الإصبع العدناني وأخباره ونسبه ، وحينما أراد أن يسمع من ينشده قصيدته « عذير الحى من عدوان . . » سأل فى كل ذلك رجلاً من جديلة - وعدوان قبيلة ذى الإصبع بطن من جديلة فلما أجاب الرجل عن كل ذلك قال له عبد الملك ^(٢) : « ادنُ منى ، فلانى أراك بقومك عالماً » .

وكذلك روى خراش بن إسماعيل عن رجل من بنى تغلب ثم من بنى عتاب خبراً عن بنت مهلهل وابنها عمرو بن كلثوم ، وعمرو بن كلثوم من تغلب ^(٣) . ويروى ابن الكلبي بعض أخبار حاتم عن أفراد قبيلته طيى فيقول ^(٤) : « حدثني الطائيون . . . »

وحينما دخل ثمامة بن الوليد على المنصور ، قال له المنصور ^(٥) : يا ثمامة ، أت حفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك بن الورد العبسى ؟ فقال : أى حديثه

(١) ابن سعد ٥ : ٣٧٦ ، وانظر المزمهر ٢ : ٣٠٩ ، والخزاعة ١ : ٢٢٧ .

(٢) الأغاني ٣ : ٩١ - ٩٣ .

(٣) الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٥٢ .

(٤) ديوان حاتم (ط . لندن) ص : ٣٠ .

(٥) الأغاني ٣ : ٨٣ - ٨٥ .

يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه . فلما ذكر له المنصور الحديث قال ثمة : إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا .

وإذا رجعنا إلى كتاب واحد من كتب الأدب العامة هو كتاب « المعمرين من العرب » لأبي حاتم السجستاني ، وجدنا كثيراً من أخباره مروية عن أشياخ من قبيلة المعمر الذي يترجم له ، فزهير بن جَنْاب من كلب ولذلك قال (١) : « حدثنا أبو حاتم قال - وقال العمري - أخبرني محمد بن زياد الكلبي عن أشياخه من كلب قالوا : ... » وقال أيضاً (٢) : « حدثنا أبو حاتم قال : وزعم هشام بن محمد عن أبيه محمد بن السائب قال : سمعت أشياخنا الكلبين يقولون ... » ، وشريح بن هاني من بني الحارث بن كعب ، ولذلك أورد بعض أخباره عن (٣) « ابن الكلبي عن أبي مخنف قال : أخبرنا أشياخنا من بني الحارث قالوا ... » . وشربة بن عبد جُعْفَى ، فأورد بعض أخباره عن (٤) « ابن الكلبي قال : سمعت أبا بكر بن قيس الجعفي يذكر عن أشياخه . » ويورد بعض أخبار ثعلبة بن كعب الأوسي عن (٥) « ابن الكلبي عن عبد الحميد ابن أبي عيس الأنصاري عن أشياخ قومه » . ويورد بعض أخبار طي بن أدّ عن (٦) « هشام أنه سمع أشياخاً من طي يذكر ذلك ... » . ويروي بعض أخبار هاجر بن عبد العزى عن أحد أفراد قبيلته خزاعة هو : طلحة بن عبيد الله ابن كريز الخزاعي (٧) . وكذلك يروي بعض أخبار جلييلة بن كعب عن بعض

(١) كتاب المعمرين : ٢٥ .

(٢) ص : ٢٨ .

(٣) ص ٣٨ رقم : ٣٦ .

(٤) ص : ٣٩ رقم ٣٧ .

(٥) ص ٧١ - ٧٢ رقم ٧٣ .

(٦) ص : ٧٢ رقم ٧٤ .

(٧) ص : ٧٣ رقم ٧٦ .

أفراد قبيلته بنى جُعْفَى هو : الوليد بن عبد الله الجُعْفَى^(١) . ويروى أخبار كعب ابن رداة النَّخَعِيّ عن بعض النخعيين^(٢) . ويروى بعض أخبار حارثة بن عبيد الكلبي عن : شَمْلَةَ بن مُغِيث وهو رجل من ولد حارثة^(٣) . ويروى بعض أخبار القُدَّار الصَّنَزِيّ عن^(٤) : خِرَاش قال : حدثني به قوم من عَنَزَةَ .

ومع ذلك فقد كان بعض أفراد القبائل يجهلون أخبار شعرائهم ؛ وليس في الأمر ما يستغرب ، فليس كل القبيلة معنيًا بذلك ، وإنما العناية بهذا الضرب من العلم مما تغنى فيه معرفة طائفة دون أخرى ؛ غير أن ابن فارس يقول^(٥) - ولعل في قوله هذا استنكاراً واستهجاناً - : « سمعت أبي يقول : حججت فلقيت بمكة ناساً من هُذَيْل ، فجاريهم في ذكر شعرائهم ، فما عرفوا واحداً منهم ، ولكني رأيت أمثال الجماعة رجلاً فصيحاً وأنشدني . . . » ثم يذكر أبياتاً .

فإذا كان أفراد القبيلة يعنون هذه العناية برواية شعر شعرائها ، فما بالك بأولاد الشاعر صليبة ؟ لقد كان ابن الشاعر يروى شعر أبيه حتى لقد قال الراعي^(٦) : من لم يرو من أولادى هذه القصيدة (قصيدته اللامية) وقصيدتى التى أولها :

بَانَ الْأَجِيَّةُ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَهْدُوا
فَقَدْ عَقْنَى .

وكثير من أبناء الشعراء الجاهليين عاشوا في الإسلام^(٧) ، وبعضهم عُمر

(١) ص : ٧٣ رقم ٧٧ .

(٢) ص : ٧٣ رقم ٧٨ .

(٣) ص : ٧٤ - ٧٥ ، رقم ٨١ .

(٤) ص : ٧٦ رقم ٨٤ وانظر كذلك رقم ٨٥ و ٨٨ .

(٥) مقدمة الصاحي ، ص : ب و ج .

(٦) البغدادى ، الخزانة ٣ : ١٣١ .

(٧) من أمثلة ذلك : ابن عبيد بن الأبرص الأسدى ، وقد روى عن علي بن أبي طالب (ابن سعد ٦ : ١٦٤) وعلى بن علقمة بن عبدة (الإصابة ٥ : ١١٢) ، والقاسم بن أمية ابن أبي الصلت الثقفى (معجم المرزبانى : ٣٣٢) ، وحبة بنت وهب بن أمية بن أبي الصلت تزوجها =

طويلاً ؛ وقد وفد بعضهم على خلفاء بني أمية فاستنشدوهم شعر آبائهم ، وأخذ العلماء الرواة بعض هذا الشعر عنهم . فن أمثلة ذلك :

أن معاوية بن أبي سفيان حجّ فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام ، فسأل عنه فقالوا^(١) : سَعْيَةُ بن غَرِيصٍ . فاستدعاه ، في حديث طويل ، ثم قال له : أنشدني شعر أبيك يرثى به نفسه (أى شعر السموأل) فقال : قال أبي :

يَا لَيْتَ شِعْرِي جِئْتَ أَنْدَبُ هَالِكًا ماذا تُؤَبِّنُنِي بِهِ أَنْوَاحِي
أَيَقْلُنَ : لَا تَبْعُدْ قُرْبُ كَرِيهَةٍ فَرَجْنَهَا بِشَجَاعَةٍ وَسَمَاحِ

وهي خمسة أبيات :

وُبرِوى أن عدى بن حاتم الطائي عاش مائة وثمانين سنة^(٢) ، وقد روى عنه بعض أخبار أبيه حاتم^(٣) .

ودخل إبراهيم بن متم بن نويرة على عبد الملك بن مروان ، فرأى فيه عقلاً وفضلاً ، فقال له : أنشدنا بعض مرأى أبيك عمك . فأنشده^(٤) :

نِعْمَ الْفَوَارِسُ يَوْمَ نُشْبَةِ غَادِرُوا تَحْتَ التَّرَابِ قَتِيلَكَ ابْنُ الْأَزْوَارِ
حتى انتهى إلى قوله :

عبد الله بن صفوان (نسب قريش : ٣٩٠) ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وابنه سعيد بن عبد الرحمن (معجم المرزباني : ٣٦٦) ، وكعب بن زهير بن أبي سلمى وابنه عقبة بن كعب (الشعر والشعراء ١ : ٩٢) ، ومكنف وحريث ابنا زيد الحليل بن مهلهل وقد شهدا قتال الردة (الشعر والشعراء ١ : ٢٤٤) ، وإبراهيم وداود ابنا متم بن نويرة . وفد إبراهيم على عبد الملك ابن مزوان (الشعر والشعراء ١ : ٢٩٨) وابن المتلمس ، كان اسمه عبد المنان أدرك الإسلام (الأغاني : ساسي ٢١ : ١٢٢) .

(١) الأغاني ٣ : ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) المعمرين : ٣٦ .

(٣) ديوان حاتم (ط . لندن) : ٣١ .

(٤) الموشح للمرزباني : ٢٤٠ .

أَدْعَوْتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِمِثْلِهَا لَمْ يَخْغِرِ

وأخذ الرواة العلماء شعر متمم بن نويرة عن حفيده ابن داود بن متمم ، قال ابن سلام ^(١) : أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البلوى في الجلب والميرة ، فنزل النحيب ، فأتيته أنا وابن فوح العطاردي ، فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته . فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذى على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدا ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله .

وذكر الأصمعي أن حماد بن ربيعة بن النمر بن تولب قد روى ^(٢) :

أَهْيَمُ بَدْعِدِ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْصُ بَدْعِدِ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
ونسبه إلى جده النمر بن تولب مع أن الناس يروون البيت لنصيب .
ودخل ابن أبي مِحْجَنٍ الثَّقَفِي على معاوية فقال له معاوية ^(٣) : أبوك الذي يقول :

إِذَا مِتُّ فَأَذْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تَرَوِي عِظَامِي بَعْدَ مَوْنِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَذْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذْوقَهَا
فقال ابن أبي مِحْجَنٍ : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . قال :
وما ذاك ؟ قال : قوله :

لَا تَسْأَلِي النَّاسَ مَا مَالِي وَكَثْرَتُهُ
الْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِيهِمْ
وسألي القوم ما حَزَمِي وما خُلِقِي
إِذَا تَطْيِشُ يَدُ الرُّغْدِيْدَةِ الْفَرْقِ

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٠ .

(٢) الشعر والشعراء ١ : ٢٦٩ .

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٣٨٨ .

قد أركبُ الهولَ مَسْدُولًا عَسَاكِرُهُ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ

ووفد على عبد الملك وفد أهل الكوفة ، فلما دخلوا عليه وكلمهم رأى فيهم رجلاً آدَمَ طويلاً ، فكلّمه فأعجبه ببيانه ، فلما تولى تمثل عبد الملك بقول عمرو ابن شأس (١) :

وإِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنَكِبِ الْعَمَمِ
فالتفت الآدَمُ إلى عبد الملك فضحك ؛ فقال عبد الملك : علىّ به . فلما جرى به قال : ما أضحكك ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين عرار ! فأقعده وقدمه وسامره . وقد أخذ العلماء بعض شعر تميم بن أبيّ بن مُقبل عن ابنته أمّ شَرِيك ، بل لاهم رَوَوْا عنها تفسيرها لكلمات في شعره (٢) .

وقد روى العلماء شعراً لعمرو بن العاص ، قال الواقدي (٣) : أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابن ابنه : عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو يذكره بلحده .

ولا سبيل إلى الإطالة في إيراد الأمثلة فحسبنا ما قدمنا فإن فيه لغتاً .

رواة الشاعر :

وقد كان لبعض الشعراء ، وخاصة الفحول منهم ، راوٍ أو رواة ، يصحبونهم ويلامزونهم في حلّهم وترحالهم ، ويحفظون شعرهم ويروونه وينشدونه في المجالس والمحافل . وقد جرى أمر الشعراء ورواتهم في العصور الإسلامية على ما جرى عليه

(١) الشعر والشعراء ١ : ٣٨٨ ، وانظر معجم المرزباني : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم (أذرع) ١ : ١٣١ .

(٣) الأغاني ٩ : ٥٨ .

في الجاهلية . فقد كان للفرزدق رواية أحدهم رجل من بني ربيعة بن مالك - وهم الذين يقال لهم ربيعة الجُحُوع - ويبدو أن هذا الراوية كان يروى عامة شعر الفرزدق ، بينما كان راوية آخر لا يروى من شعر الفرزدق إلا ما كان هجاء أو نقضاً لقصائد جرير وغيره من الشعراء ، وكان اسم هذا الراوية عبيداً وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ^(١) . وبقي لنا من أسماء رواية جرير اسم واحد هو الحسين ، وكان يكتب شعر جرير ، وروى عنه العلماء بعض أخباره ^(٢) . وكان السائب ابن ذَكْوَانَ راوية كُثَيِّر عزة ^(٣) . وأما راوية الكيث ابن زيد الأسدي فهو محمد بن سهل ^(٤) . وكان كذلك للأحوص راويته ^(٥) ، ولذي الرمة راويته ^(٦) . وربما اجتمع بعض هؤلاء الرواة يتناشلون أشعار شعرائهم ويتفاخرون بها ، كما حدث حين اجتمع بالمدينة راوية جرير ، وراوية نُصَيْب ، وراوية كُثَيِّر ، وراوية جميل ، وراوية الأحوص ، وادّعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر ^(٧) . ولسنا في حل من الإسهاب في الحديث عن هؤلاء الرواة في العصر الأموي ، فأخبارهم مستفيضة ، وهي موجودة في مظانها التي أشرنا إليها . وإنما ذكرناهم هذا الذكر العابر العارض ، لنستأنس به على أن رواية الشاعر كان أمراً موروثاً وعادةً موصولةً منذ الجاهلية ، وإن كانت كتب الأدب العربي وتاريخه تسعقنا بوفرة من الأخبار عن العصور الإسلامية ثم تشحُّ كلما استعنتنا بها في العصر الجاهلي .

ومع ذلك فقد بقي لنا من أسماء رواية الشعراء الجاهليين اسم راوية الأعشى ، أو أسماء ثلاثة من رواته . أول هذه الأسماء : عبيد « وكان عبيد هذا يصحب

(١) النقايف : ١٠٤٩ ، والموشح : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) النقايف : ٤٣٠ .

(٣) الأغاني ٩ : ٢٢٤ ، والموشح : ١٥٠ و ١٥١ .

(٤) الأغاني ٢ : ٤١٢ و ٤١٧ ، والموشح : ١٩٣ و ١٩٥ .

(٥) الأغاني ٤ : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٦) الموشح : ١٨٤ .

(٧) الموشح : ١٥٩ .

الأعشى ويروى شعره ، وكان عالماً بالإبل ، وله يقول الأعشى في ذكر الناقة :

لَمْ تَعْطَفْ عَلَى حَوَارِ لَمْ يَقْطَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالٍ ^(١) ،

وقد روى عبيد هذا عن الأعشى نفسه خبر قلمومه على النعمان وإنشاده بين يديه بعض شعره ^(٢) . وروى أيضاً أنه سأله ^(٣) : ماذا أردت بقولك :

وَمُدَامَةٍ مِمَّا تُعْتَقُ بَابِلُ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جَرِيالَهَا

فقال الأعشى : شربتها حمراء ، وبسببها بيضاء [فسلبتها لونها] ^(٤) .

وقد ذكر أبو الفرج اسماً ثانياً لراوية الأعشى وهو : يحيى بن متى ، وقال عنه إنه ^(٥) « كان نصرانياً عبيادياً وكان معمرًا . قال : كان الأعشى قد ربيًا وكان لبيد مشبهاً . قال لبيد :

مِنْ هَذَا سُبِّلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلُّ

وقال الأعشى :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِأَلْ هَذِلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

وحين سئل من أين أخذ الأعشى مذهبه ، أجاب : « من قبل العبياديين نصارى الحيرة ، كان يأتهم يشتري منهم الخمر فلقتنوه ذلك » .

أما الجواليقي في المعرَّب فقد ذكر اسماً ثالثاً لراوية الأعشى هو ^(٦) : يونس ابن متى . ثم يورد الخبر الذي أوردناه آنفاً والذي سأل فيه هذا الراوية الأعشى عن معنى قوله : « سلبتها جريالها » .

(١) الشعر والشعراء : ١ : ٢١٦ . الحوار : ولد الامة . والجمال : داء يصيب القوائم .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٢١٥ - ٢١٦ .

(٤) الزيادة بين المعكفين من الجواليقي ، المغرب (ط . ليسك) ص : ٤٦ .

(٥) الأغاني ٩ : ١١٢ ، وقد ذكره أبو الفرج في موطن آخر (الأغاني - ساسي ٢١ :

١٢٦) باسم : عبيد .

(٦) المغرب ص : ٤٦ ، وانظر أيضاً البغدادي ، الخزائن (سلفية) ٤ : ١٩٧ .

فنحن إذن أمام ثلاثة أسماء ؛ فهل هي لثلاثة رواة مختلفين ، أو أنه رواية واحد وأخطأ القدماء في اسمه (١) ؟

أما نحن فنذهب إلى أن الأسماء الثلاثة كلها صواب ، ولكنها إنما تدل على رجل واحد لا ثلاثة رجال . وليس بين أيدينا الدليل القاطع ، وإنما ثمة أمران نستأنس بهما فيكون من ذلك ترجيحٌ ما ذهبنا إليه . الأمر الأول أن الراوية الذي يروى عن هذا الراوية - رواية الأعشى - واحد في جميع الروايات وهو سمّاك بن حرب (٢) . فابن قتيبة يروى عن : . . حماد الراوية قال : حدثني سمّاك عن عبيد رواية الأعشى ؛ ثم يقول في موطن آخر : وحدثني الرياشي عن مؤرّج عن شعبة عن سمّاك عن عبيد رواية الأعشى ؛ وأبو الفرج يروى عن رجاله عن : أبان بن تغلب عن سمّاك بن حرب قال : قال لي بجي بن متى رواية الأعشى . ويقول الجواليقي : روى عن الأصمعي عن شعبة عن سمّاك بن حرب عن يونس بن متى رواية الأعشى . فسمّاك بن حرب هو وحده الراوية الذي يروى عن رواية الأعشى الذي يدعى حيناً عبيداً ، وحيناً آخر بجي ، وحيناً ثالثاً يونس . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الخبر الذي يورده ابن قتيبة مروبياً عن : الرياشي مؤرّج عن شعبة عن سمّاك عن عبيد رواية الأعشى ، هو الخبر نفسه الذي يورده الجواليقي مروبياً عن الأصمعي عن شعبة عن سمّاك بن حرب عن يونس بن متى رواية الأعشى ، وهو سؤاله إياه عن معنى قوله « سلبتها جريالها » وتكاد ألفاظ الروایتين تكون واحدة - إذا أضفنا هذا إلى ذلك رجّحنا أن رواية الأعشى هو رجل واحد وليس ثلاثة رجال .

(١) ذهب الأستاذ أحمد محمد شاكر في تحقيقه لكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص : ٢١٦ هامش : ١) إلى أن الجواليقي أخطأ في اسم رواية الأعشى حينما ذكر أنه يونس بن متى . (٢) ترجمته في القفطي ؛ إنباء الرواة على أنباء النحاة ٢ : ٦٥ وانظر تخريج ترجمته هناك في الحاشية .

فكيف اختلفت الأسماء إذن ؟ لقد كان هذا الراوية عِبَادِيًّا من نصارى الحيرة ، فالغالب على ظننا أن يكون اسمه في أصله : يوهانس أو يوحانس ، ثم مر هذا الاسم عند العرب في طورين ؛ الأول : الترجمة ؛ والثاني : التعريب . ففي الطور الأول ترجوا معنى اسمه الذي يدل على العبودية للخالق فجعلوه العربية : عبيداً . وأما طور التعريب فقد مر أيضاً في مرحلتين ، الأولى : مرحلة حرفية لا تتغير عن الأصل كثيراً ، فعرّبوا يوهانس وجعلوه : يونس . وأما المرحلة الثانية فقد كانت مرحلة غير مباشرة ، وذلك أن يوحنا هو طور من أطوار هذا الاسم : يوحانس ، فجاء العرب فعرّبوا يوحنا وجعلوه يحيى .

فنحن إذن نرجّح ، لما فصلناه من وجوه الرأي ، أن هذه الأسماء الثلاثة ، المختلفة في ظاهرها ، ليست إلا اسماً واحداً في حقيقتها ، يدل على راوية واحدة بعينه .

٤

رواة مصلحون للشعر :

وليس هؤلاء الرواة — فيما يبدو لنا — طبقة خاصة قائمة بذاتها . فلم يكن من بين الرواة من نصب نفسه لإصلاح الشعر واختص بهذا الأمر واقتصر عليه . فقد يكون هؤلاء الرواة المصلحون للشعر : من الشعراء الرواة ، أو من رواة القبيلة ، أو من رواة الشاعر — وقد تحدثنا عنهم جميعاً — وقد يكونون من الرواة العلماء الذين سنتحدث عنهم بعد قليل . غير أن إصلاح الشعر موضوع قائم بذاته ، ومن هنا كان إفرادنا إياه في طبقة خاصة توضيحاً للأمر وتفصيلاً لأقسامه .

وأول ما استرعى انتباهنا أننا رأينا رواة في القرن الأول يصلحون بعض الشعر الأموى ؛ فن ذلك أن شيخاً من هذيل — كان خالاً للفرزدق — دخل على رواة الفرزدق فوجدهم « يعدلون ما انحرف من شعره » ، ولما جاء رواة جرير وجدهم

كذلك « يقومون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد »^(١) .

وجدنا الرواة يقولون^(٢) : أخطأ ذو الرمة حيث يقول :

قَلَّاصٍ مَا تَنَفَّلَتْ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَزَّيَ بِهَا بِلْدًا قَفْرًا

ومن أجل ذلك غيره بعض الرواة « ممن يريد أن يحسن قوله » فجعلوه : آلا مناخة . وقالوا : إنما قاله ذو الرمة على هذا . وكان إسحق الموصلي ينشده : آلا ، ويقول : نحتال لصوابه^(٣) .

وقال الأصمعي^(٤) : قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله :

فِيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ وَاشْيَبَ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ

فقال خلف : وبيله ، وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقال الأصمعي له : هكذا قرأته على أبي عمرو . فقال : صدقت وكذا قاله جرير ، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقترنك إلا كما سمع . فقال الأصمعي : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال : فيالك يوماً خيره دون شره . فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء . فقال له الأصمعي : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا .

فخلف إذن يعلم أن الرواة كانوا قديماً يصلحون من أشعار القدماء ! وهو في أثناء حديثه يسوغ هذا الإصلاح إذا كان الشاعر قليل التنقيح مشرد الألفاظ . ومن هنا كان من العسير على الرواة ، فيما يبيلو ، أن يجدوا في شعر شاعر يتروى في شعره ، وينقحه ويهذب به ، كزهير مثلاً ، ما يصلحونه له . ولذلك نرى من

(١) الأغاني ٤ : ٢٥٨ .

(٢) الموشح : ١٨٤ .

(٣) الموشح : ١٨٢ .

(٤) الموشح : ١٢٥ ، وانظر أيضاً المدة ٢ : ١٩٢ - ١٩٣ ورد ابن رشيق على هذا

الصحيح .

الأمثلة التي سنوردها أنها تدور على إصلاح شعر امرئ القيس وعددي وليبد .
فقد قال امرؤ القيس ^(١) :

فلو أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا

وقد وجد الرواة أن « سوية » لا تقابل « تساقط أنفساً » ومن هنا أرادوا أن يعدلوا
عن هذا العيب ، عيب فساد المقابلات ، فغيّروه ، وأبدلوا مكان « سوية »
« جمية » لأنها في مقابلة « تساقط أنفساً » أليق من « سوية » .

وكذلك قال امرؤ القيس ^(٢) :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ

فقالوا . « قد حذف الشاعر الإعراب ، وليس بالحسن » . وذهبوا إلى أنه يريد
« أشرب » فحذف الضمة ؛ ولذلك غيّروه ، فجعله بعضهم « فاليوم فاشرب »
بصيغة الأمر ..

وقال امرؤ القيس أيضاً ينوح على أبيه ^(٣) :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنَى ثَعْلٍ مُخْرِجٍ زَنْدِيهِ مِنْ سُرَّةٍ ^(٤)

فلما أنشد الأصمعي البيت قال : أما علم أن الصائد أشدّ ختلاً من أن يُظهر
شيئاً منه ؟ ثم قال « فكفيه » — إن كان لا بدّ — أصلح . قال المازني :
فالأصمعي أصلحه : كفيه .

وقال عددي بن زيد العبادي ^(٥) :

(١) المرزبانى ، الموشح : ٨٥ .

(٢) المصدر السابق : ٩٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٨ .

(٤) في رواية : متلج كفيه ؛ أى : مدخل .

(٥) المصدر السابق : ٢٢ .

فَقَاجَاها وَقَدْ جَمَعَتْ جُحُوءًا عَلَى أَبْوَابِ حِصْنِ مُضَلِّيِنَا^(١)
فَقَدَّمَتْ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينَا

وهذه هي الرواية الأولى ، ولكن في قوله « مِينَا » سناداً ، ولذلك أراد المفضل الضبي أن يفرّ من هذا السناد فغيرها وجعلها « كَذِباً مُبِينَا » .
وقال ليبد^(٢) :

أَوْ مُذَهَبٍ جُدَدٍ عَلَى الْوَاوِيهِ النَّاطِقُ الْمَبْرُورُ وَالْمَخْتَوْمُ

والكلمة الأولى من عجز البيت ألفها ألف وصل ، ولكنها في هذه الرواية قُطِعَتْ
« فعدك عن ذلك بعض الرواة استيحاشاً من قطع ألف الوصل » ، فغيروه ،
وجعلوه :

« عَلَى الْوَاوِيهِ — النَّاطِقُ »

وقال ابن مقبيل^(٣) : « إِنِّي لِأَرْسِلَ الْبُيُوتَ عَوْجاً فَتَأْتِي الرِّوَاةُ بِهَا قَدْ أَقَامَتِهَا » .

•

رواة وضاعون :

ومجال الحديث عن الوضع والنحل ذو سعة ، سنفرده في بحث خاص ونفصل
القول فيه في الباب التالي . غير أننا سنشير هنا إلى بعض الموضوعات التي كان

(١) يذكر خبر الزبراء وغدرها بجذيمة الأبرش . الأديم : النطع . راهشيه : عرق جذيمة الأبرش .

(٢) لسان العرب (ذهب) .

(٣) مجالس ثعلب : ٤٨١ .

يكثر فيها وضع الشعر الجاهلي ونحله ، ثم نورد عليها أمثلة من الرواة الوضّاعين ومن الشعر الموضوع .

وربما كان أوسع موضوع وجد فيه الرواة الوضّاعون مجالاً فسيحاً للوضع والنحل هو القصص وأحاديث السمر . وقد كان خلفاء بني أمية وبني مروان ، وخاصة معاوية وعبد الملك ، يعتقدون مجالس خاصة للسمر والقصص . وقد مرّ بنا أن معاوية كان يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها وأنه كان له غلمان مرتبون يقرأون عليه الأخبار والسير والآثار من دفاتر ، وكلوا بحفظها وقراءتها^(١) . وكان أيضاً من محدّثي معاوية وقصاصيه : النخار بن أوس ، ولم يكتف معاوية به بل أمره ذات ليلة أن يبغيه محدثاً غيره . فلما قال له النخار : ومضى يا أمير المؤمنين تريد محدثاً ؟ أجابه معاوية : نعم ، أسترّج منك إليه ومنه إليك^(٢) . ولما رأى عمرو بن العاص شغف معاوية بالمسامرة وأحاديث من مضى أشار عليه باستدعاء عبيد بن شريّة الجرمي من الرقّة ، وقال له إن عبيداً من بقايا من مضى ، وإنه أدرك ملوك الجاهلية ، وهو أعلم من بقى آنذاك في أحاديث العرب وأنسابها ، وأوصفهم لما مرّ عليه من تصارييف الدهر ، فاستدعاه معاوية ، فصار عبيد في وقت السمر سمير معاوية في خاصته من أهل بيته . ثم أمر معاوية أهل ديوانه وكتّابه أن يوقعوا هذه المجالس وأحاديثها ويدونوها في الكتب^(٣) .

ولم يكن القصص والسمر وقفاً على بلاط الخلفاء الأمويين ، بل شاعت عند جمهور العامة ، وانتشر القصص في المساجد يخلطون الوعظ بالقصص والأحاديث وأخبار من مضى من العرب وغيرها من الأمم ، يسوقونها للعظة والعبرة وللتنسيلة والسمر معاً . وأخبار هؤلاء القصص في مساجد الأمصار كثيرة مبثوثة في مظانها^(٤) . إنما يعني أن نشير إلى أمرين ، الأول : أن المتصدرين في المساجد

(١) المسوي ، مروج الذهب ٢ : ٥٢ .

(٢) البيان والتبيين ١ : ٣٣٣ .

(٣) أخبار عبيد بن شريّة : ٣١٢ - ٣١٣ .

(٤) انظر مثلاً : ابن سعد ٦ : ١٨٠ ، ٢٠٠ ، ١/٧ : ١٢١ ، ٢/٧ : ٣٩ . والبيان -

لتفسير القرآن الكريم كانوا آنذاك يستطردون في تفسيرهم إلى ذكر أخبار العرب في الجاهلية . وأخبار سائر الأمم في قصص وأحاديث . فقد كان أبو على الأسواري مثلاً يقص في البصرة في مسجد موسى بن سيار الأسواري ستاً وثلاثين سنة « فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فاختتم القرآن حتى مات ، لأنه كان حافظاً للسير ، ولوجوه التأويلات ، فكان ربما فسر آية واحدة في عدة أسابيع كأن الآية ذُكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيراً . وكان يقص في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك » (١) . والأمر الثاني أن هؤلاء القصاص لم يكونوا يكتفون بذكر الأخبار مجردة ، وإنما كانوا يتمثلون في وعظهم ، ويستشهدون على قصصهم ، بشعر جاهلي (٢) .

ويبدو أن هؤلاء القصاص قد بدأوا قصصهم من عهد مبكر إذ يُذكر أن أول من قصّ كان الأسود بن سريع التيمي ، وكان من الصحابة ، وكان يقول في قصصه في الميت (٣) :

فَإِنْ تَنَجُّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَلَمُنَى لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

فسرقه الفرزدق !

ولو وقفنا قليلاً عند أخبار عبيد بن شَرِيَّة التي ذكرنا أنه ألقاها في مجالس معاوية وسمعه ، لوجدنا فيها كثيراً من الشعر الجاهلي . بعضه صحيح منسوب إلى

= والتبيين في مواطن متفرقة كثيرة في الجزء الأول ، منها من ص ٣٦٧ إلى ٣٦٩ ؛ وابن قتيبة ، المعارف : ٢٠٢ وغيرها .

(١) البيان والتبيين ١ : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٢) انظر مثلاً البيان والتبيين ١ : ١١٩ ، ففيه أن صالحاً المرى تمثل في قصصه بالبيت :

فَبَاتَ يَرْوِي أَصُولَ الْفَسِيلِ فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ

وتمثل الحسن في قصصه بشعر لعدي بن الرعلاء الفسائي ، وتمثل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي بأبيات للأسود بن يعفر .

(٣) المعارف (أوروبا) : ٢٧٦ ، والبيان والتبيين : ٣٦٧ .

شعراء معروفين ، وهو محفوظ في دواوينهم ^(١) . ولكن بعضه الآخر موضوع منحول لا شك في وضعه ونحله ، من مثل الشعر الذي نسبته إلى يعرب بن قحطان ^(٢) ، وإلى عاد بن عوص ^(٣) ، وإلى ثمود وأخيه جديس ^(٤) ، وإلى عمليق وأخيه طسم ^(٥) ، وإلى حفدة عمليق وجديس ^(٦) . ومن مثل الشعر الذي قيل في وفد عاد إلى مكة حينما ذهبوا يستسقون ^(٧) ، وما قاله لقمان في نسوره السبعة ^(٨) . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهو كله شعر غثٌ بارد وضع وضعاً لتزيين هذه القصص والخرافات . ويبدو أن هذا الشعر كان يكسب تلك القصص شيئاً من القيمة في نفوس السامعين فيصبح موضع ثقهم وتصديقهم ، بل لقد كان معاوية — فيما يورد كتاب أخبار عبيد — يسأل عبيداً : هل قيل في بعض تلك الأخبار والقصص شعر ؟ ^(٩) .

وإذا كان وضع الشعر ونحله في مثل هذه القصص والخرافات أمراً لا غرابة فيه ، فإن العجب أن تصبح هذه القصص وما قيل فيها من شعر منحول مادةً تاريخية تضمّنتها كتب السير والمغازي والتاريخ . ومن أجل ذلك تصدّى الرواة العلماء لهذه الأشعار في الكتب التاريخية ونسبها على زيفها ونحلها . فنحن نجد في كتاب السيرة لابن إسحق كثيراً من هذا الشعر المنحول الموضوع — على كثرة ما فيه أيضاً من الشعر الصحيح الثابت عند العلماء والرواة — فاستلكره عليه ابن

(١) مثل العباس بن مرداس ، وأعشى بن وائل ، وحسان بن ثابت ، وأمّية بن أبي الصلت ، وأمرئ القيس ، وعبيد بن الأبرص ، والناطقة الديباني — انظر لذلك : حسين نصار . نشأة التدوين التاريخي ص : ١٩ .

(٢) أخبار عبيد ص : ٣١٦ .

(٣) ص : ٣١٧ .

(٤) ص : ٣١٨ .

(٥) ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٦) ص : ٣٢٠ .

(٧) ص : ٣٤١ - ٣٥٣ .

(٨) ص : ٣٥٦ - ٣٦٦ .

(٩) انظر مثلاً ص : ٣٢٧ و ص : ٣٣٥ .

هشام، وأسقط كثيراً منه وبين زيفه، وذكر نقد العلماء له. وقد نبه ابن إسحق نفسه على ذلك، فاعتذر عن إيراد مثل هذا الشعر المنحول بقوله^(١): «لا علم لي بالشعر، أوتى به فأحمله». وقد عقّب ابن سلام على ذلك بقوله^(٢): «ولم يكن له ذلك عذراً، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أدّاه منذ آلاف من السنين، والله تبارك وتعالى يقول: «فقطّع دابر القوم الذين ظلموا». أي: لا بقية لهم. وقال أيضاً: «وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقي». وقال: في عاد: «فهل ترى لهم من باقية؟» وقال: «وقروناً بين ذلك كثيراً» وقال: «ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم: قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله؟»

ونقد ابن النديم ابن إسحق أيضاً فقال^(٣): «ويقال: كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها في كتاب السيرة، فيفعل، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر».

وكذلك فعل الواقدي في مغازيه، فقد أدخل فيها بعض الشعر الموضوع، وإن كان نبه على وضعه في مواطن من كتابه، فقد ذكر أن عباد بن بشر قال في مقتل كعب بن الأشرف قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً أولها^(٤):

صَرَخْتُ بِهِ فَلَمْ يَحْفِلْ لِيَصَوْتِي وَأَوْفَى طَالِعاً مِنْ فَوْقِ قَصْرِ
فَعُدْتُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْمُنَادِي فَقُلْتُ: أَخُوكَ عَبَّادُ بْنُ بَشْرِ
فَقَالَ مُحَمَّدٌ أَسْرِعْ إِلَيْنَا فَقَدْ جِئْنَا لِنَشْكُرَكَ وَتَقْرِي

(١) طبقات فحول الشعراء: ٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفهرست: ١٣٦.

(٤) المغازي: ١٤٩.

وهي - في رأينا - أبيات غثة مرذولة لا شعرَ فيها ، وهذا الأسلوب القصصي أشبه بأسلوب شاعر الربابة الذي يعدّ الحوادث تعداداً منظمّاً على أسلوب خاص . وقد ذكر الواقديّ بعد أن أوردها أن ابن أبي حبيبة قال : أنا رأيت قائل هذا الشعر . فقال ابن أبي الزناد : لولا قول ابن أبي حبيبة لظننت أنها ثبت ! !

ونحن لا نقصد إلى أن نستقصي جميع الموضوعات التي كانت مجالاً للوضع والنحل ، ولكننا نشير إلى موضوع آخر غير القصص وأحاديث السمر ، وهو : الأنساب . ولنسب عند العربي قيمة وخطر ، ولذلك كان حريصاً على كل ما يثبت أنه عربي صريح أو أنه من القبيلة التي ينتسب إليها حقاً . وكان بعض الرواة يتقربون إلى ذوى السلطان أو ذوى المال بوضع شعر منحول فيه إشارات إلى نسبهم . فمن ذلك أن قُضاعة من معدّة ، ولكنها انتسبت إلى حمير ، « وزوروا في ذلك شعراً فقالوا^(١) :

يَا أَيُّهَا الدَّاعِي أَذْعَنَّا وَأَبْشِرِ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تَنْزِرِ
قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ حَمِيرٍ النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ

ومن ذلك أيضاً أنهم صنعوا أبياتاً يذكرون فيها نسب جُدّام ولحم وعاملة ، ونحلوها أبا سمال الأسديّ ، وهي^(٢) :

أَبْلَغُ جُدَامًا وَلَحْمًا إِنْ عَرَضَتْ بِهِمِ وَالْقَوْمُ يَنْفَعُهُمْ عِلْمًا إِذَا عَلِمُوا
وَالْقَوْمُ عَامِلَةٌ الْأَثَرَيْنِ قُلْ لَهُمْ قَوْلًا سَتَبْلَغُهُ الْوَسَاجَةُ الرَّسْمُ
لَأَنْتُمْ فِي صَيِّمِ الْحَقِّ إِخْوَتُنَا إِذْ يُخْلَقُ الْمَاءُ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّسْمُ
لَمْ أَرْ مِثْلَ الَّذِي يَأْتُونَ جَاءَ بِهِ قَوْمٌ يُدْرُ عَلَى مَخْنُومِهِمْ خُمٌّ

(١) أبو عبد الله المصعب الزبيري ، نسب قريش : ٥ .

(٢) المصدر السابق : ٩ .

وقد هقب أبو عبدالله المصعب الزبيري بعد أن أورد هذه الأبيات بقوله :
 « وقال بعض من يعلم : لما قدم خالد بن عبد الله القسري أميراً على العراق ، ومعه
 قوم من جند الشام ، فيهم من نلح وجذّام ، فأهلت لهم بنو أسد بن خزيمة ،
 فقالوا : أنتم قومنا ! وأحدثوا هذا الشعر ، إلا بيتاً منه : لم أر مثل الذي يأتون جاء
 به - فإنه قديم لا يدري لمن هو ؟ ولا من عني به . »

وموضوع ثالث - غير القصص والأسفار وغير الأنساب - كان مجالاً
 واسعاً أيضاً للوضع والنحل هو أخبار أيام العرب في الجاهلية . وهو موضوع
 يتصل بسابقه اتصالاً وثيقاً ، وتكاد ثلاثتها تكون موضوعاً واحداً متصلاً ذا
 فروع مختلفة . فن أمثلة وضع الشعر في الأخبار ونحله للشعراء الجاهليين ليكون
 ذلك سنداً للخبر الذي يساق - ما أورد أبو عبيدة في حديث البراجم قال (١) :
 قال عوف بن عطية التيمي يعيرُ لقيط بن زُرارة أسَرَ بنى عامر معبد بن زُرارة
 وفرارَ لقيط عنه :

هَلَّا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتُمْ عَشْرًا تَنَآوَحُ فِي سَرَارَةٍ وَادٍ
 لَا تَأْكُلُ الْإِبِلُ الْغَرَاثُ نَبَاتَهُ مَا إِنْ يَقُومُ عِمَادُهُ بِعِمَادٍ
 هَلَّا كَرَزْتَ عَلَى ابْنِ أَمْلَكَ مَعْبِدٍ وَالْعَامِرِيُّ يَقُودُهُ بِصِفَادٍ
 وَذَكَرْتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِي شَرِبَةً وَالْخَيْلُ تَعْدُو فِي الصَّعِيدِ بَدَادٍ (٢)

قال أبو عبيدة : وبقية هذه القصيدة مصنوعة .

وقال أبو عبيدة أيضاً في يوم النّسار (٣) : وأنشدوني في تصدّاق ذلك (أن
 الأسود كان رئيس الرّباب يوم النّسار) قول عوف بن عطية بن الحَرَج التيمي :

(١) النقاظ : ٢٢٨ .

(٢) العشر : شجر كبير له شوك . تنأوح : تتقابل . الغراث : الجياع . المحلق : إبل
 ستمها على هيئة الحلقة على أفخاذها . بداد : متفرقة .

(٣) النقاظ : ٢٤٠ .

ما زال حَيْنُكُمْ وَنَقَصَ حُلُومِكُمْ حَتَّى بَلَوْتُمْ كَيْفَ وَقَعَ الْأَسْوَدُ
وَقَبَائِلُ الْأَخْلَافِ وَسَطَ بَيُوتِكُمْ يَغْلُونَ هَامَكُمْ بِكُلِّ مُهَنْدٍ
قال بنو أسد وغطفان : هذه مصنوعة ، لم يشهد الأسود النصار .

وحسبنا ما قدمنا في هذا الموضوع ، ولنا إليه عودة في الباب التالى عند
حديثنا المفصل عن الشك في الشعر الجاهلى .

٦

رواة علماء :

وهذا العنوان الفرعى لا يبنى العلم عن سائر طبقات الرواة التى قدمناها ؛ فقد
كان بعض الشعراء الرواة علماء ، وكان بعض رواة الشاعر علماء ، وكان بعض
رواة القبائل علماء ، وكان بعض الرواة المصلحين للشعر بل بعض الرواة
الوضاعين علماء . غير أن علم أكثر رواة الطبقات الثلاث الأولى كان محدوداً
محصوراً في شعر شاعر بعينه أو في شعر قبيلة بعينها ، وعلم أكثر رواة الطبقة
الخامسة كان يدور على الموضوعات التى ذكرناها من قصص وأشعار وما
يشبهها . ومن هنا قصدنا بهذا العنوان أن يدل على طبقة خاصة متميزة من
الطبقات التى أشرنا إليها . ومدار تميزها وتفرداها على أنها اتخذت من الشعر
موضوعاً علمياً ، تدرسه دراسة ، وتأخذه عن شيخ أو أستاذ ، في مدرسة من
مدارس علم الشعر وروايته آنذاك ، ونعنى بها تلك المجالس والحلقات التى كانت
تعقد في المساجد أو منازل الشيوخ ، ويجتمع فيها التلاميذ من العلماء والمتعلمين ،
يتحلقون حول شيخ شهد له بالحفظ والرواية ومعرفة كلام العرب والإحاطة الواسعة
بشعرهم ، وذلك بالاطلاع على ما سبق عصره من جهود الرواة في حفظ الشعر
وتدوينه . وتكون وسيلة الدرس مزدوجة تقوم على أمرين : على قراءة ديوان الشاعر

أو ديوان القبيلة والتلاميذ يتابعون القراءة في نسخ بين أيديهم أو يستمعون لمن يقرأ ، وعلى ما يلقبه الأستاذ الشيخ من تصحيح لبعض الأخطاء ، أو ذكر لوجه الروايات ، أو تفسير لغريب الألفاظ ، أو شرح للمعنى العام وذكر جوه التاريخي وحوادثه وأخباره . وقد يضاف إلى هذين الرحلة إلى البادية أو الاستماع إلى من يفد منها من الأعراب .

ويبدو أن هذه الطبقة من الرواة العلماء — بهذا التعريف الذي قدمناه والتحديد الذي قيدناه به — لم تكن موجودة قبل مطلع القرن الثاني الهجري ، وربما كان أول شيوخها الذين مهدوا الطريق لمن تبعهم فكانوا هم الرواد السابقين : أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤) ، وحامد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦) . ومن هنا كان قول ابن سلام^(١) : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية » . ومن هنا أيضاً قالوا^(٢) : « كان خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، ذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه ، وكان ضئيلاً بأدبه » . وقد أخذ عن هذين العالمين : أبي عمرو وحامد — سائر من نعرف من شيوخ العلم والرواية . كخلف الأحمر ، والمفضل ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي عمرو والشيباني . وأخذ عن هؤلاء من تلامهم : كابن الأعرابي ، ومحمد بن حبيب ، وأبي حاتم السجستاني . ثم أخذ عن هؤلاء السكري وثعلب وأضرابهما .

وقد انقسم هؤلاء الرواة العلماء إلى مدارس ، فكانت ثمة مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، ومدرسة المدينة ، ومدرسة بغداد . وكان تلاميذ كل مدرسة وعلماءها يتعصبون لمدرستهم ولشيوخهم ، ويوثقون روايتهم ، ويمرحون شيوخ المدرسة الأخرى ، ويضعفون روايتهم ، ويتهمونهم بالوضع والنحل والكذب . ونشير إلى هذه المدارس والخلاف بين شيوخها وتلامذتها ، وما نتج عن هذا الخلاف من طعن وتجريح وتضعيف — في فصل تال .

(١) طبقات فعول الشعراء : ٤٠ .

(٢) أبو البركات الأنباري ، نزعة الألباء : ٣٧ .

ولو اقتصرنا في إشارتنا إلى هؤلاء الرواة العلماء على كتاب واحد هو طبقات
 فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي - لوجدنا أن هذه الطبقة مميزة تمييزاً
 واضحاً يفرقها عن غيرها من الرواة ؛ فلا يكاد ابن سلام يذكر هذه الطبقة إلا
 يصفها بأنها « أهل العلم » . فن ذلك قوله ^(١) : « وقد تداوله قوم من كتاب إلى
 كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد إذا
 أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه . . . » ويقول ^(٢) :
 « ولشعر صناعة يعرفها أهل العلم » ، و « كذلك الشعر يعرفه أهل العلم به » .
 ويقول ^(٣) : « وكان أبو عبيدة والأصمعي من أهل العلم ، وأعلم من ورد علينا من
 غير أهل البصرة : المفضل » . ويقول ^(٤) : « ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر
 والرواية عن مضي من أهل العلم » . ويقول ^(٥) : « أجمع أهل العلم أن النابغة لم
 يقل هذا » . ويقول ^(٦) : « ولقد أخبرني أهل العلم من غطفان » . ويقول ^(٧) :
 « كيف يروى خالد (بن كلثوم) مثل هذا وهو من أهل العلم ؟ » ويقول ^(٨) :
 « وما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة
 وعبيد » .

وقد يقابل في الجملة الواحدة بين هؤلاء الرواة المدققين من أهل العلم وبين
 الرواة عامة من غير وصف يقيدهم . فهو يقول ^(٩) : « . . . ثم كانت الرواة

(١) ص : ٦ .

(٢) الصفحة السابقة .

(٣) ص : ٢١ .

(٤) ص : ٤٢ .

(٥) ص : ٥٠ .

(٦) ص : ٩٢ .

(٧) ص : ١٢٣ .

(٨) ص : ٢٣ .

(٩) ص : ٣٩ - ٤٠ .

بعدُ ، فزادوا في الأشعار التي قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة وما وضعوا ، ولا ما وضع المؤلفون . . . » ويقول^(١) : « وقد اختلف الناس والرواة فيهم (أى في الشعراء) ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ في كلام العرب والعلم بالعربية ، إذا اختلف الرواة ، فقالوا بآرائهم . . . »

انْصِلُ الثَّالِثُ

الإِسْنَادُ فِي الرِّوَايَةِ الْأَدْبِيَّةِ

١

بين الحديث والأدب :

لا يملك الباحث ، حين يتعرض للحديث عن الإسناد في الرواية الأدبية ، إلا أن يشير إلى الإسناد في رواية الحديث النبوي . وقد أشار أكثر الباحثين من المحدثين الذين ارتخوا الأدب العربي إلى العلاقة في الإسناد وطريقة الحمل بين الروایتين (١) . وقد ذهبوا إلى أن رواية الأدب قد تأثروا رواية الحديث في طريقة الإسناد ، ونسجوا على منوالهم . ولا نحب هنا أن نعيد أقوالهم ولا أن نشق القول في هذا الأمر بعينه ، ولكننا مع ذلك نكاد نذهب مذهباً يخالف ما ذهبوا إليه — فنحن نرى ، فيما يبدو لنا ، أن الرواية الأدبية أصل قائم بذاته ، وقد وجدت عند العرب منذ الجاهلية ، فكان علماء النسب الجاهليون ومن أدرك منهم الإسلام يأخذون علمهم بالنسب عن شيوخ هذا العلم ممن تقدمهم أو عاصروهم ، وكذلك كان رواية الشعر والأخبار الجاهلية .

وقد مرت بنا بعض الأمثلة على النسايب ورواة الأخبار والأشعار ، وستمّر بعد صفحات أمثلة أخرى ، وربما كان أوضح ما يمثل تلقّي الشعر وأخذَه ما يروى من أن عمر بن الخطاب تمثل بشعر ثم قال لفراء بن زيد الليثي (٢) :

(١) انظر مثلاً : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ١ : ٢٩٥ - ٢٩٨ .

(٢) الإصابة ٥ : ٢١٦ .

أُتدري من يقوله ؟ فقال هرات : لا أُدري يا أمير المؤمنين . قال عمر : هلا شعر أخبك قسامة بن زيد . قال : ما علمته . قال : بلى ، هو أنشدني وعنه أخفته .
والرواية سبيل طبيعية في كل عصر وعند كل أمة ، حتى حين تنتشر الكتابة وتذيع . بينما كانت رواية الحديث أمراً طراً على العرب بعد الإسلام . فإن لم تكن رواية الحديث من حيث الطور الزمني متأثرة برواية الأدب وفرعاً منها ، فالروايتان أصلاً انبثقا عن الحاجة الملحة انبثاقاً طبيعياً .

وتفصيل ذلك أننا لا نعرف — على وجه الضبط واليقين — متى بدأ الإسناد في رواية الحديث ، فنحن نرى مثلاً أن بعض التابعين لم يكن يُسند الحديث حين يحدث .

فقد روى عاصم الأحول (المتوفى سنة ١٤٢ هـ) عن ابن سيرين (المتوفى سنة ١١٠ هـ) قال : لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، حتى وقعت الفتنة ، فلما وقعت الفتنة نظروا مَنْ كان من أهل السنة أخذوا حديثه ، ومن كان من أهل البدع تركوا حديثه ^(١) .

وقال حماد بن سلمة ^(٢) : كنا نأتي قتادة (هو قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة ١١٧) فيقول : بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغنا عن عمر ، وبلغنا عن عليّ ، ولا يكاد يسند . فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان ، فبلغ قتادة ذلك فجعل يقول : سألت مطرفاً ، وسألت سعيد بن المسيب ، وحدثنا أنس بن مالك ، فأخبر بالإسناد . وقال ابن جريج ^(٣) : إن عطاء حدث بحديث فقلت له : أتعزیه إلى أحد ؟ أى أتسنده ؟

(١) ابن حجر ، لسان الميزان (المحدث) ١ : ٧ . وراجع رأى كايثاني ، المشرق الإيطالي الذي ضمنه في كتابه : السنويات الإسلامية — Annale Dell Islam وانظر كتاب الأستاذ أمين الخولي عن مالك ٣ : ٥٥٨ — ٥٦٧ .

(٢) ابن سعد ٢/٧ : ٢ .

(٣) الزعخشري ، الفائق ٢ : ١٤٧ .

ولكننا نرى أن علماء القرن الثاني كانوا يسندون الحديث : يرفعون بعضه ، ويرسلون بعضه . وما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من رواة الأدب كانوا كذلك من رواة الحديث ، وإن كانت شهرتهم بالرواية الأدبية قد طغت على شهرتهم برواية الحديث وغطت عليها . فالرواية عند هؤلاء العلماء في القرن الثاني ، سواء أكانت رواية حديث أم رواية أدب وأخبار ، كانت ذات إسناد يرتفع حيناً إلى الصحابي وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — في الحديث ، ويرتفع إلى من تدور عنه في الجاهلية أو إلى رجال يروونها ممن شهدوا الجاهلية وشهدوا ما يروون بخاصة — في الأدب والأخبار ، وكثيراً ما يكون الإسناد مرسلًا منقطعاً في الروایتين كليهما .

ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نقول إن المتأخرين الذين كتبوا في علوم اللغة والأدب قد احتذوا مناهج المحدثين والفقهاء ، وقلدوا علوم الحديث والفقه ، وذلك بعد أن نضجت علوم الحديث والفقه وأرسيّت أصولهما وقواعدهما ، وعبّدت سبلهما وطرائقهما ، وذُهِبَ فيهما في التحقيق والتدقيق — في السند والمتن — مذاهب بعيدة^(١) ونجد مثال ذلك عند أبي البركات ابن الأنباري (المتوفى سنة ٥٧٥هـ) حين يقول في كتابه « الإنصاف في مسائل الخلاف »^(٢) : « فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين ، والأدباء المتفقهين المشتغلين على بعلم العربية بالمدرسة النظامية . . . سألتني أن أخلص لهم كتاباً لطيفاً ، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوي البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة » .

وعند رجل كالسيوطي الذي يقول عن علم الأدب وتأليفه فيه^(٣) : « هذا

(١) قال الزركشي في أول قواعده : كان بعض المشايخ يقول : العلوم ثلاثة : علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول ، وعلم لانضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير ، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث . انظر : السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو ١ : ٥ .

(٢) ص : ٣ .

(٣) السيوطي ، المزهر ١ : ١ .

علم شريف . . . حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع . . . ويقول كذلك (١) : « واعلم أن السبب الحامل لى على تأليف ذلك الكتاب الأول أتى قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر . »

فإذا كان الأمر على ما ذهبنا إليه ، فلم التزم رواية الحديث الإسناد في الغالب الأعم ، ولم تلتزمه الرواية الأدبية إلا في القليل النادر ؟ ونحن نقصد بهما التساؤل الإسناد المتصل المرفوع ، لا الإسناد المرسل المتقطع ، إذ أن هذا الضرب الثاني من الإسناد يكاد يكون ملتزماً في رواية الأدب التزاماً لا إخلال فيه . فجميع ما يرويه علماء اللغة والأدب في القرن الثالث والرابع ذو إسناد مرفوع إلى علماء القرن الثاني من أمثال أبي عمرو بن العلاء وحامد الراوية وخلف الأحمر والمفضل وأبي عمرو الشيباني وابن الكلبي والأصمعي وأبي حبيدة وأبي زيد ، أو الأهراب الذين عاصروهم هؤلاء العلماء وأخلوا عنهم ، ولكن هذا الإسناد المرفوع إلى هؤلاء لا يكاد يصل إليهم حتى يقف عندهم ثم لا يعلوهم - إلا في القليل النادر مما سنعرضه في هذا الفصل بعد صفحات . ومن هنا كان هذا الإسناد الملتزم في الرواية الأدبية إسناداً مرسلًا أو منقطعاً لأنه ، في أكثره ، رؤى عن علماء لم يشهدوا العصر الجاهلي ، ولم يأخلوا الشعر من الشعراء الجاهليين أنفسهم .

ويبدو لنا أن مرد التزم الإسناد المتصل في رواية الحديث إلى أمرين : أمر داخلي ، وآخر خارجي . أما الداخلي فمبعثه من نفس الراوى ، ومصدره شعوره بالتحرج الديني ، وذلك أنه ينقل كلاماً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قال في حديثه المشهور : « من كذب على فليتبوأ عقده من النار » (٢) . في الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ

(١) السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو ١ : ٣ .

(٢) انظر نص الحديث كاملاً وطرقه وتخرجه في : الخطيب البغدادي (تقييد العلم ص ٢٩ -

٣٢) وهوامش الصفحات .

شيوخه ثم التابعين والصحابة يشتركون معه في تحمل تبعة هذا الحديث ونقله ، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت .

وأما الأمر الخارجى فرجعه إلى سامعى الحديث من المحدث ، وذلك أن الحديث يتضمن جزءاً كبيراً من السنّة ، أو هو السنّة كلها ، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ، بل إنه هو المصدر الثانى الذى يتلو فى القيمة كتاب الله ، ولذلك كان من التدقيق والتحقيق ، وما يبعث الطمأنينة فى نفوس السامعين ويوحى إليهم بالثقة فى حديث المحدث — أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابى فالرسول .

من أجل هذا كله رأينا كثيراً من الصحابة ومن التابعين يتخرجون من رواية الحديث ، بل لقد ورد عنهم نهى صريح عن التحديث والإكثار منه . فقد شيع عمر بن الخطاب جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ذاهبين إلى الكوفة ، ثم أوصاهم بقوله ^(١) : « إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جرّدوا القرآن ، وأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امضوا وأنا شريككم » . وقال شعبة بن الحجاج (توفى سنة ١٦٠ وله ٧٥ سنة) ^(٢) « ما أنا مغتم على شيء أخاف أن يدخلنى النار غيره » — يعنى الحديث . ومن أجل هذا أيضاً كان كثير من المحدثين من الصحابة والتابعين يتخفّفون من أعباء هذا الحرج وقسوته باللجوء إلى الشعر وإنشاده . قال مطرف ^(٣) : « خرجت مع عمران بن حصين (صحابى توفى سنة ٥٢) من الكوفة إلى البصرة فما أتى علينا يوم إلا ينشدنا فيه شعراً ، ويقول :

(١) ابن سعد ٦ : ٢ .

(٢) ابن سعد ٢/٧ : ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ٢/٤ : ٢٦ .

إن لكم في المعاريف لمدوحة عن الكذب » (١) وقال روح بن عبادة (٢) :
كنت عند شعبة ، فضجر من الحديث ، فرى بطرفه ، فرأى أبا زيد سعيد بن
أوس في أخريات الناس فقال : يا أبا زيد :

وَأَسْتَعَجَمْتُ دَارُ مَيٍّ مَا تُكَلِّمُنَا والدارُ لو كَلَّمَتْنَا ذَاتُ أَخْبَارٍ
إلى يا أبا زيد . فجعلنا يتناشدان الأشعار . فقال بعض أصحاب الحديث
لشعبة : يا أبا بسطام نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتدعنا وتقبل على الأشعار !! قال : فرأيت شعبة قد غضب
غضباً شديداً ثم قال : يا هؤلاء ، أنا أعلم بالأصلح لي ، أنا والذي لا إله إلا هو
في هذا أسلم مني في ذاك .

ومن أجل هذا أيضاً كان الأصمعي يتحرج في تفسير شيء ورد في القرآن
الكریم أو الحديث ولذلك « لم يرفع من الحديث إلا أحاديث يسيرة » (٣) .

ونحن نرى من هذه الأخبار الثلاثة الأخيرة أن القوم آنذاك لم يكونوا يرون في
رواية الشعر ما يرونه في رواية الحديث ، فالشعر آخر الأمر شأن من شؤون هذه
الدنيا لا يتصل بالدين ولا بشخص الرسول ولا يمت بسبب إلى التشريع . فهم
إذن في حل إذا وجدوا فيه سعة يستريحون فيها من عناء التضييق الذي كانوا
يأخذون به أنفسهم في الحديث .

فهل نحن إذن على صواب إذا ذهبنا إلى أنه ليس في الرواية الأدبية للشعر
الجاهلي والأخبار الجاهلية إسناد متصل؟ لعلنا لا نستطيع أن نقطع في هذا السؤال

(١) عمران بن حصين هذا هو الذي يقول : والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين ، ولكن بطأني عن ذلك أن رجلاً من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمعوا كما سمعت ، وشهدوا كما شهدت ، ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون ،
وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم .

(٢) نزهة الألباء : ٨٩ - ٩٠ ، وانظر أيضاً ابن سعد ٢/٧ : ٣٨ .

(٣) أبو الطيب اللقي ، مراتب التحوين ورقة : ٧٤ .

بجواب حاسم قبل أن نعرض بعض ما لدينا من أخبار وروايات فيها إسناد متصل إلى الجاهلية وسنكتفي الآن بالعرض المجرد ثم نعقب على ذلك بما يبدو لنا من رأى.

وهذه الأخبار والروايات قسمان كبيران ؛ أولهما : يتصل بالشاعر الجاهلى نفسه ، وثانيهما : يتصل بهؤلاء العلماء الرواة الذين عاشوا فى القرن الثانى وأخذ عنهم العلماء بعد ذلك شعر الجاهلية وأخبارها .

٢

أما القسم الأول فهى أخبار مسندة يرتفع إسنادها إلى الشاعر الجاهلى نفسه ، وأكثر الشعراء الجاهليين حفظاً من هذا الضرب من الروايات المسندة هو حسان ابن ثابت ، وربما كان مرد ذلك إلى صلة حسان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فروى بعض الصحابة شعره وأخباره . ونحن نجد مثل هذا الضرب من الأسانيد المرفوعة إلى الصحابة عن حسان فى ترجمته فى الأغاني ^(١) ، كالذى تزويه أم المؤمنين عائشة ^(٢) ، وأختها أسماء بنت أبى بكر ^(٣) . أما الأحاديث المرفوعة فى إسناد متصل إلى حسان نفسه فهى أقل من ذلك عدداً . ومن أمثلتها ما جاء فى إسناد متصل أوله أبو الفرج الأصفهاني وآخره سعيد بن زارة عن حسان بن ثابت ، حيث يذكر ما يدل على أنه ولد قبل الهجرة بنحو من ستين سنة وأنه كان غلاماً يفعة ابن سبع سنين أو ثمان حينما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) .

وثمة أخبار أخرى ذات إسناد منقطع ولكنها تنهى بحسان يروى فيها خبراً عن

(١) ج : ٤ ، ص ١٣٤ - ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٤٣ و ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٣٥ .

نفسه وعن غيره من شعراء الجاهلية . ومن أمثلة ذلك « . . . حدثنا الزبير بن بكار قال ، قال أبو غزيرة ، قال حسان بن ثابت : قدم النابغة المدينة فدخل السوق فترل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول :

عَرَفْتُ مَنَازِلًا بِعُرَيْنَاتٍ فَأَعْلَى الْجِزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِينِ

فقلت : هلك الشيخ ، ورأيت قد تبع قافية منكورة . . . فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجل ينشد ؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطِرَادِ الْمَذَاهِبِ

حتى فرغ منها ، فقال : أنت أشعر الناس يا ابن أخي . قال حسان : فدخلني منه . وإنى فى ذلك لأجد القوة فى نفسى عليهما ، ثم تقدمت فجلست بين يديه ، فقال : أنشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم . قال : وكان يعرفنى قبل ذلك ، فأنشدته . فقال : أنت أشعر الناس « (١) .

ومن أمثله أيضاً « . . . يوسف بن الماجشون عن أبيه قال ، قال حسان بن ثابت : أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته . . . » ثم يذكر لقياه النابغة الذبياني وعلقمة بن عبدة هناك وإنشادهما شعراً لهما ثم إنشاد حسان شعراً مدح فيه الغساسنة (٢) .

وثانى هؤلاء الشعراء هو الأعشى ، فقد عثرنا على ثلاث روايات مرفوعة كلها إليه ، الأولى : قدمنا الإشارة إليها حين تحدثنا عن رواة الشاعر ، فقد مر بنا أن للأعشى ثلاثة رواة — أو لعله راوية واحد اختلفوا فى اسمه فأوردوا له ثلاثة أسماء فهو حينئذ : عبيد ، وحينئذ : يحيى بن متى ، وحينئذ ثالثاً : يونس بن متى . وقد كان

(١) الأغاني ٣ : ٨ - ٩ .

(٢) الأغاني (سأسى) ١٤ : ٢ - ٧ .

هذا الراوية من المعمرين ، فروى عنه جميع الأخبار التي رواها عن الأعشى
راويةً واحد بعينه هو سماك بن حرب . ثم روى عن سماك عدة رواة (١) .

فعبيد هذا يروى عن الأعشى خبر قدومه على النعمان وإنشاده بين يديه
قصيدته (٢) :

إِلَيْكَ أَبَيْتُ اللَّغْنَ كَانَ كَلَالُهَا تَرُوحَ مَعَ اللَّيْلِ التَّمَامِ وَتَقْتَدِي
وهو أيضاً يروى عن الأعشى أنه سأله تفسير كلمات في أحد أبياته وذلك
قوله (٣) :

وَمُدَامَةً مِمَّا تَعْتَقُ بَابِلُ كَدَمِ اللَّبِيحِ سَلَبَتْهَا جَرِيَالَهَا

فلما سأله : ماذا أردت بقولك ؟ قال : شربتها حراء وبلتها بيضاء .
وهو كذلك يوازن بين الأعشى ولييد فيقول (٤) : كان الأعشى قدرياً
وكان لييد مثبِتاً . قال لييد :

مَنْ هَذَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
وقال الأعشى :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِأُحْدِلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

فلما سئل : من أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصارى
الحيرة ، كان يأتهم يشتري منهم الخمر فلقتنوه ذلك .

(١) انظر ما تقدم عن رواية الشاعر في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ١ : ٢١٥ .

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٢١٥ - ٢١٦ ، وانظر أيضاً الجواليقي : المغرب ص : ٤٦ ،

والبيدادي : الخزانة ٤ : ١٩٧ .

(٤) الأغاني ٩ : ١١٢ .

والرواية الثانية ماجاء في شرح ديوان الأعشى للآمدى ^(١): « قال أبو الحر: وجدت على ظهر كتاب الحجاز لأبي عبيدة بنخط أبي عسّان رفيع بن سلمة المعروف بدّماذ ^(٢) صاحب أبي عبيدة ، وحدّثنا به السكري بعد حديثاً يرفع إلى الأعشى أنه قال ... خرجت أريد قيس بن معديكرب بحضرموت ، فأضلت في أوائل أرض اليمن لأنني لم أكن سلكت ذلك الطريق ، فلما أضلت أصابني مطر ، فرميت ببصري كل مرمى أطلب لنفسى مكاناً أُلجأ إليه ، فوقعت عيني على خباء من شعر فقصدت نحوه فإذا أنا بشيخ ... » ثم يمضي في قصة طويلة خلاصتها أنه أنشد هذا الشيخ مطلق قصيدتين من قصائده فإذا بالشيخ ينادى ابنتين له فتشددان القصيدتين كاملتين لا تخرمان منهما حرفاً ، فلما سقط في يده وتخير وغشته رعدة قال له ذلك الشيخ: « لَيْسُ فَرِيخُ رُوعِكَ أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثانة الذي ألقى على لسانك الشعر » . فسكنت نفسه ^(٣) !

والرواية الثالثة حدّث بها أبو اليقظان قال ^(٤) حدثني جويرية عن يشكر

(١) انظر السيوطي ، شرح شواهد المغني : ٣٢٧ .

(٢) في الأصل : « ديار » مكان « دماذ » وهو خطأ ، انظر الزبيدي ، طبقات اللغويين

ص : ١٩٨ .

(٣) حديثنا هنا مقصور على الإسناد وحده - وأسطورية المتن واستحالته في هذه الرواية والرواية التالية لا تنفي صحة الإسناد . فلقد كانوا في الجاهلية يعتقدون بالرقى وبشيطان الشاعر ، وذكر الأعشى نفسه شيطانه مسحلاً في شعره (انظر الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٢٢٥ - ٢٢٧ ، وجمهرة أشعار العرب : ٤٩ ، والموشح للمرزباني : ٤٩) وجعلوا لكل شاعر صاحباً من الجن سموه (جمهرة أشعار العرب : ٣٣ - ٤٥) ولم يكتفوا بشعراء الجاهلية بل ذهبوا إلى أن شعراء الإسلام كانوا كذلك . فهذا جرير يهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت ويحدثه ويلقّ إليه شعراً (الأغاني ٨ : ٦٩) ، والفرزدق يأتي جبلاً بالمدينة وينادي بأعلى صوته : أجيئوا أخاكم أبا لبين (النقائص : ٥٤٧) ، وهؤلاء الجن يحاربون ذا الرمة ونصيباً وجريراً (الموشح : ١٦٩ - ١٧٠) وانظر أخبار بعض الصحابة والجن في ابن سعد ٧ / ١ : ٤٨ ، ٧ / ٢ : ١١٦ ، والفاثق ٣ : ١٨١ ثم انظر أخبار الجن ومناقشة هذه الأخبار في الجاحظ ، الحيوان ٦ : ١٦٤ - ٢٤٢ .

(٤) الأغاني ٩ : ١٥٦ .

ابن وائل اليشكري - وكان من علماء بكر بن وائل وولد أيام مسيلمة فجىء به إليه فسح على رأسه فعمى - قال جوهرية : فحدثني يشكر هذا قال : حدثني جرير بن عبد الله البجلي (صحابي) قال : سافرت في الجاهلية ، فأقبلت على بعيري . . . فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت . فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف . فأنشد « ودع هُرَيْرَةَ إن الرُّكْبَ مُرْتَحِلٌ » . فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت .

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسِئاً إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٍ زَجِلٌ^(١)

فأعجبت به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتكم أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران . قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس^(٢) ! !

وشاعر ثالث جاهلي خالص ، هو امرؤ القيس - ، روى عنه أيضاً بإسناد متصل ، فقد سئل رؤبة بن العجاج عن هذا البيت^(٣) :

نَطَعْنَهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لَأَمْسِينِ عَلَى نَابِلٍ

فقال رؤبة : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثني عمي - وكانت في بني دارم - قالت : سألت امرأ القيس ، وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة - : ما

(١) الشرق : شجيرة مقدار ذراع ، فيها حب صفار ، إذ جفت فرت بها الريح تحرك الحبيب فسمع له شخصخة على الحصى .

(٢) انظر التعليقة رقم : ٣ ، في الصفحة السابقة .

(٣) البصري : التنبيهات على أغلاط الرواة : ٤

معنى قولك : كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ ؟ فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش
لَوْأَمًا وظُّهَارًا ، فما رأيت أسرع منه ولا أحسن ، فشبهت به (١) !

وشاعر رابع ، جاهلي أدرك الإسلام ، وهو سعية بن غريص ، وغريص هو
السمول المشهور . ورواية سعية هذه تختلف عن الروايات التي قلعتها من
حيث إنها لا تروى خبراً عن الشاعر نفسه ، وإنما يروى فيها الشاعر خبراً من
أخبار الجاهلية لا صلة له به . قال الهيثم بن عدي : حدثني حماد الراوية عن
سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية بن غريص - من يهود تيماء - قال (٢) :
لما قتل الحارث بن أبي شمر الضائي عمرو بن حجر ملك بعده ابنه الحارث بن
عمرو ، ... فلما تفسدت القبائل من نزار أتاه أشرافهم فقالوا ... (إلى
آخر الخبر) .

وروى عن الحطيئة خبر يفضل فيه نفسه ، وراويه هو عبد الرحمن بن
أبي بكرة عن الحطيئة ، قال عبد الرحمن (٣) : رأيت الحطيئة بذات عرق ، فقلت له :

(١) و امرؤ القيس هو أقدم الفحول من شعراء الجاهلية ، ومع ذلك فإن بعض شعراء الجاهلية
الذين عمروا وأدركوا الإسلام أدركوا امرؤ القيس فيما يزعمون . فنهج مثلاً : ربيع بن ضبع ،
فهو القائل : (المعمرين : ٦ - ٧)

ها أَنَذَا أَمَلُ الْخُلُودِ وَقَدْ أَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا أَمْرٍ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرَا

وبهم أيضاً عمرو بن مسيح الطائي ، وهو المشهور بإجادته الرمي ، ذكره امرؤ القيس في
شعره ، قال :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مُنْجٍ كَفَيْهِ فِي قُتْرَةٍ

وعمر عمرو بن مسيح حتى مات في زمن عثمان بن عفان ! (المعمرين ٧٧ - ٧٨) .

(٢) الأغاني ٩ : ٨١ .

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٢٨٣ .

يا أبا مُلَيْكَةَ أَيْ النَّاسِ أَشْعَرُ؟ فَأَخْرَجَ لِسَانًا دَقِيقًا كَأَنَّهُ لِسَانُ حَيَّةٍ فَقَالَ: هَذَا إِذَا طَمَعَ .

وشاعر سادس رُوي عنه في إسناده متصل ، هو النابغة الجعدي . والجعدي من عُمرٍ عَمْرٍأ طَوِيلًا في الجاهلية والإسلام ، « ... إسماعيل بن عبد الله السكري قال ، حدثنا يعلى بن الأشدق قال ، حدثني نابغة بنى جعدة ، قال (١) : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُّدُنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقلت : الجنة . فقال : إن شاء الله . فقلت : إن شاء الله .

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجدت ، لا يفضض الله فاك .»

٣

وأما القسم الثاني من هذا البحث عن الإسناد فتصل بهؤلاء العلماء الرواة الذين عاشوا في القرن الثاني ومطلع الثالث ، وأخذ عنهم العلماء بعد ذلك شعر الجاهلية وأخبارها . فقد ذكرنا من قبل أن العلماء في القرون التالية للقرن الثاني ، وخاصة علماء القرنين الثالث والرابع ، كانوا يوردون جل أخبار الجاهلية وأشعارها مسندة إلى هؤلاء الرواة الأعلام من علماء القرن الثاني ، ثم يقفون عندهم

لا يعدُّونهم في الغالب الأعم. وذكرنا أن هؤلاء العلماء الذين تنهى عندهم الرواية الأدبية للجاهلية طبقتان، الطبقة الأولى هم : أبو عمرو بن العلاء وحامد الراوية ثم خلف الأحمر والمفضل الضبي ومن في طبقتهم . وأما الطبقة الثانية فهم تلامذة هذه الطبقة الأولى ، وأشهرهم : الأصمعي وأبو زيد وأبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني ، ثم ابن الأعرابي ومحمد بن حبيب وأبو حاتم السجستاني ومحمد بن سلام ومن في طبقتهم . ولكن انقطاع الإسناد عند هؤلاء الرواة وانتهاء إليهم يحفزنا إلى أن نستقصى في البحث عما وراءه لعلنا نستطيع أن ننش الجذور الأولى التي قامت عليها رواية هؤلاء العلماء ، فنستبين مدى امتداد هذه الجذور واتصالها بالجاهلية .

وأول ما يستوقفنا في سبيلنا روايات قليلة متفرقة مبثوثة — على تباعد بينها — في ما بين أيدينا من مصادر . وفيها يروى هؤلاء العلماء عن شيخ عالم راوية كثيراً ما يكون من الأعراب الذين كانوا يأخذون منهم اللغة والشعر والأخبار ، وقد يمتد بهم الإسناد فيرفعونه في أحوال نادرة إلى جاهل شهد ما يروون عنه . فمن هذه الروايات التي يذكر فيها هؤلاء العلماء راويةً سابقاً عليهم يأخذون عنه — ما نورد فيها يأتي :

يروى الأصمعي تحقيق اسم تأبط شراً وبيتاً له عن ابن أبي طرفة الهذلي ويقول (١) : كان ابن أبي طرفة الهذلي أعلمهم بتأبط شراً وأمره .

ويروى الأصمعي كذلك عن أبي طفيلة ، قال (٢) : حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاماً .

ويروى أبو عبيدة في سند متصل إلى الجاهلية (٣) : « قال أبو عبيدة ،

(١) الشعر والشعراء ١ : ٢٧١ .

(٢) الإصابة ٦ : ١٧١ ، وأبو طفيلة هذا أحد ثقات الأعراب وعلمائهم الذين أخذ عنهم الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد ومن في طبقتهم (انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ورقة ٦٤-٦٥) .

(٣) الأغاني (دار الكتب) ١١ : ٧٥ .

حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله . . . قال ، حدثني أبي عبد الواحد ، وعمي صفوان ، عن أبيهما عاصم بن عبد الله ، عن أدرك شأس ابن زهير قال . . . » (ثم يورد خبراً عن شأس) .

ويروى أبو عبيدة كذلك في سند آخر متصل إلى الجاهلية ^(١) . . . أبو عبيدة قال ، حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسي : قيس ثعلبة ، وعدة من علماء العرب قد سماهم فراس بن خندق . وفي سياق الحديث — وهو عن يوم ذي قار — يسمى بعضهم فيقول ^(٢) : « قال سليط بن سعد بن معدان . . . بن ثعلبة : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ — يوم ذي قار — قالوا : فلما التقى الناس . . . »

وروى المفضل خبراً عن امرئ القيس وعلقمة بن عبدة وشعراً لهما — حدثه به أبو الغول النهشل عن أبي الغول الأكبر ^(٣) .

ويروى المفضل كذلك خبراً جاهلياً ذا إسناد متصل ؛ جاء في النقائض ^(٤) : « وكان من قصة هذا اليوم — يوم أعشاش — ما حكاه الكلبي عن المفضل بن محمد عن زياد بن علاقة التغلبي أن أسماء بن خارجة الفزاري حدثه بذلك قال : أغار بسطام . . . » إلى آخر الخبر ، وبسطام هذا أخذ أم أسماء بن خارجة ، وأسماء يومئذ غلام شاب يذكر ذلك . فرواية أسماء إذن رواية من شاهد الخبر المروى ، وإسنادها متصل .

ويروى ابن الكلبي في سند متصل إلى أشياخ أدركوا الجاهلية — شعراً لشعراء جاهليين كما مرئ القيس وعنترة فيه ذكر أسماء أماكن « قال أبو زيد عمر بن شبة عن هشام قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن عمرو بن

(١) النقائض : ٦٣٩ .

(٢) النقائض : ٦٤٤ .

(٣) المرزباني ، الموشح : ٣٠ .

(٤) ص : ٧٥ .

الصامت بن شداد بن يزيد بن مرداس السلمى، عن أشياخ من بنى تميم أدركوا الجاهلية، قالوا...» (١١).

وروى حماد الراوية خبراً يتصل بالخطيئة عن أبي نصر الأعرابي. وروى حماد كذلك خبرين عن الأعشى، أحدهما: عن معقل عن أبي بكر الهلالى (١٢) والثانى: عن سمالك بن حرب (١٣).

وروى أبو عمرو بن العلاء شعراً لامرئ القيس بن عابس، وذكر منه ستة أبيات ثم قال (١٤): «وزادنى فيها الجمحى» وذكر ثلاثة أخرى. وروى أبو عمرو أيضاً (١٥): «عن شيخ من أهل نجد كان أسنهم».

وكان أبو عمرو بن العلاء يجتمع هو وشعبة عند أبي نوفل بن أبي عقرب، قال شعبة (١٦): «فأسأله عن الحديث خاصة»، ويسأله أبو عمرو عن الشعر خاصة، فلا أكتب شيئاً مما يسأله عنه أبو عمرو، ولا يكتب أبو عمرو شيئاً مما أسأله أنا عنه (١٧).

ومن اليسير أن يتبع الباحث شيوخ هؤلاء العلماء الرواة، ويعرف بعضهم بأسمائهم، غير أن من العسير أن يرجع، إلا فى القليل النادر، مفردات هذه الروايات التى يروونها سواء أكانت شعراً أم خبراً - إلى الشيوخ الذين أخذها عنهم هؤلاء العلماء الرواة.

ومن هؤلاء الشيوخ: الأعراب الفصحاء الذين كانوا يقدون إلى الحواضر

(١) البكرى، معجم ما استعجم ١: ٣٢٤ - ٣٢٦.

(٢) الأغاني ٩: ١١٧.

(٣) الأغاني ٩: ١٢٤.

(٤) السيرافى، أخبار النحويين البصريين: ٢٩.

(٥) المصدر السابق: ٣٠.

(٦) السيوطى، المزهرة ٢: ٣٠٤ نقلاً عن فوائد النجبرى.

(٧) انظر هذه الرواية أيضاً فى طبقات الزبيدى ص: ٢٥ و ص: ٣٠ وفيها «الفقه» بدل

الحديث» و «اللة» بدل «الشعر».

فياخذ عنهم هؤلاء العلماء اللغة والشعر والأخبار^(١) . ويعنيها من أمر هؤلاء الأعراب ثلاثة أخبار لها قيمتها وخطرها ، أولاً : ما أورده أبو علي القالي قال^(٢) : « حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله — قال : كان أبو حاتم يضمن بهذا الحديث ويقول : ما حدثني به أبو عبيدة حتى اختلفت إليه مدة ، وتحملت عليه بأصدقائه من الثقفين ، وكان لهم مؤاخياً — قال ، حدثنا أبو حاتم قال ، حدثني أبو عبيدة قال ، حدثني غير واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جده — قال : اجتمع عامر بن الظرب العدواني . . . » إلى آخر الخبر .

فأبو عبيدة إذن كان يروى بعض ما يرويه عن أعراب أدرك آباؤهم الجاهلية وقد مرّ بنا قبل قليل في الصفحة السابقة أن المفضل يروى عن رجل يروى عن أدرك الجاهلية .

وثاني هذه الأخبار الثلاثة ما أورده الشريف المرتضى من حديث لبید والنعمان ، فقد ذكر إسناده في نهايته « عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي ، وكان قد أدرك الجاهلية »^(٣) .

ومما يكمل هذا ويوصلنا إلى ما نرمي إليه من هدف — الخبر الثالث الذي يرويه أبو عبيدة ، ولكنه يرويه هذه المرة ويقصد به شيخه بل شيخ الرواة جميعاً : أبا عمرو بن العلاء . قال أبو عبيدة يشير إلى أبي عمرو^(٤) « وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية » .

(١) ذكرت بعض المصادر أسماء بعض هؤلاء الأعراب : انظر الفهرست لابن النديم ص : ٦٥ وما بعدها ، وطبقات الزبيدي : ١٧٥ .

(٢) الأمال : ٢ : ٢٧٦ .

(٣) أمالي السيد المرتضى ١ : ١٣٧ .

(٤) البيان والتبيين ١ : ٣٢١ ، وانظر كذلك ديوان زمير (دار الكتب) ص ٣٣٩ هامش : ٤ ، حيث ذكر خبراً يشبه هذا من نسختين من نسخ الديوان الخطية .

فإذا مضينا نحن وراء هذا القول لنحقق صدقه ، وجدنا في بعض ما
سنورده ما يغنينا عن الإطالة :

قال ابن سعد^(١) « أخبرنا عبد الملك بن قُرَيْب قال : أخبرنا أبو عمرو بن
العلاء قال : قلت لأبي رجاء العطاردي : ما تذكر ؟ قال : قتل بسطام بن قيس ،
ثم أنشد بيتاً رُئي به :

فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاةِ لَمْ يُوسَدْ كَانَ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ »

وقد ولد أبو رجاء هذا في الجاهلية ثم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو
شاب^(٢) ، وأسلم بعد الفتح^(٣) ، وتوفي في نحو سنة ١١٧^(٤) .

وقد مر بنا قبل قليل أن أبا طفيلة يروى عن أدرك الجاهلية ، وقد كان
أبو طفيلة هذا نحو أبي عمرو بن العلاء في السن^(٥) .

وهذا مِسْعَرُ بن كِدَام (المتوفى سنة ١٥٢ أو ١٥٥ - وهو معاصر لأبي عمرو
ابن العلاء) يروى عن أدرك الجاهلية أيضاً . « قال عمير بن الحباب ، وروى
ذلك عنه مسعر ، ما أغرت على حتى في الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلاً
من كلب ، ولا أحزم رجلاً ولا أعجز امرأة من تغلب^(٦) » .

وهذا شيخ معمر حضر الجاهلية ، ومع ذلك فقد كان ممن استمع إلى جرير
وهو ينشد ، وجرير عاصر أبا عمرو نصف قرن (مات جرير سنة ١١٠) .
كان جرير ينشد أبياته^(٧) :

(١) الطبقات ٧ : ١٠٠ ، وانظر المعارف لابن قتيبة : ١٨٩ .

(٢) ابن سعد ٧ : ١٠٠ .

(٣) خلاصة التهذيب (عمران بن طحان) .

(٤) الزنجشري ، الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٥) الإصابة ٦ : ١٧١ .

(٦) البيان والتبيين ١ : ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٧) المرزباني ، الموشح : ١٢٥ .

فَمَا شَهِدَتْ يَوْمَ النَّقَا خَيْلٌ هَاجِرٍ وَلَا السَّيْدُ إِذْ يُبْطَحْنَ بِالْأَسَلِ السُّمْرِ
وَلَا شَهِدَتْ يَوْمَ الْغَبِيطِ مُجَاشِعٌ وَلَا نَقْلَانِ الْحَيِّ مِنْ قُنْتَى نَشْرِ

قال : وشيخ من بنى ثعلبة يقال له : النخار بن العقار ، كبير قد شُدَّ حاجباه
وقد سقطا على عينيه ، فقال : ولا كليب والأجل ما شهدت ، ولا كنا إلا سبعة
فوارس من بنى ثعلبة .

ومن اليسر أن نجتمع أسماء كثيرين من المعمرين الذين أدركوا الجاهلية
وماتوا في نهاية القرن الأول أو مطلع الثاني ، فن ذلك :

عرام بن المنذر بن زبيد . . أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز ^(١)
وحسيدة من ولد كعب بن ربيعة أدرك الجاهلية وأدرك بشر بن مروان ^(٢) . وشريح
ابن هاني عاش في الجاهلية دهرأ وقتل في ولاية الحجاج ^(٣) .

بل إن من هؤلاء المعمرين شعراء مشهورين من مثل :

أرطاة بن سبيبة : أدرك الجاهلية ووفد على عبد الملك بن مروان فسأله عما بقي
من شعره ، وكان عمره آنذاك مائة وثلاثين سنة ^(٤) . وأيمن بن خريم : أسلم هو
وأبوه يوم الفتح وأدرك عبد العزيز بن مروان ^(٥) . وعمرو بن أحرر بن العمرد :
كان من شعراء الجاهلية المحدثين وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً ،
وأدرك عبد الملك بن مروان ^(٦) .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولكن المغالاة في أعمار المعمرين كثيرة كذلك ،

(١) أبو حاتم السجستاني ، كتاب المعمرين : ٧١ ، وأبو على القتال ، الأمل : ٣ : ٧٠ .

(٢) المعمرين : ٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٨ .

(٤) الشعر والشعراء : ١ : ٥٠٤ ، والموضح : ٢٤٢ .

(٥) الشعر والشعراء : ١ : ٥٢٦ .

(٦) الأغاني : ٨ : ٢٣٤ ، وفي معجم الشعراء للمرزباني أنه مات في عهد هُثَين ! !

وبعضها لا يكاد يصدق . قال الجاحظ^(١) « وإن في الأعراب لأعماراً أطول ، على أن لهم في ذلك كذباً كثيراً » .

وقد أوردنا من الأسماء والأخبار ما يصحح في الفهم ويقبله العقل ، فليس من الغريب أن يكون في الأمة نفر يلبقون من العمر ما يزيد قليلاً على مائة سنة ، وذلك شيء مألوف في كل زمان وعند كل أمة ، وما زلنا نحن نسمع في زماننا هذا عن يتخطى المائة وقد يبلغ العشرين والمائة أو الخمسين والمائة ، وخاصة في القرى وبين البدو . ومن المشهور المتداول أن الأعمار كانت في الماضي أطول مما هي الآن ، ومرد ذلك إلى أمور لا مجال لسردها .

وقد رجحنا في غير هذا الموطن أن أبا عمرو بن العلاء بدأ يأخذ عن الرواة والعلماء والأعراب ، بل كان يتصدر للرواية والتدريس ، في نحو سنة ٨٠ للهجرة أو بعدها قليلاً^(٢) . ومن أجل ذلك ليس بمستغرب أن يكون في زمنه أعراب عاشوا في الجاهلية بين عشر سنوات وسبعين سنة ، فتكون سنهم عام روى عنهم أبو عمرو ومن في طبقته تراوح بين تسعين سنة ومائة وخمسين سنة^(٣) .

٤

غير أن هذه الروايات المسندة — التي يرتفع إسنادها إلى ما قبل علماء القرن الثاني قليلة نادرة ، لاتعدو ما أوردناه ، وقد يضم إليها مثلها مما تجاوزنا عن ذكره أو لم نعر عليه . وهي كلها لا تكاد تقيم لنا ما نستطيع أن نبحث فيه لأن

(١) الحيوان ١ : ١٥٧ .

(٢) انظر ص : ١٥٦ من هذا البحث .

(٣) ومع ذلك فقد قال المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٩٧ هامش ١) « رأينا في كثير من الكتب أن أبا عمرو بن العلاء روى عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية ، وذلك خطأ ركه النساخ ، والصواب أنه روى عن أعراب قد أدركوا أعراب الجاهلية » . ولا حاجة بنا إلى الرد على هذا التخريج فقد ذكرنا ما فيه غناء .

بعضها قائم على الجهل برواته في مثل « عن أدرك فلاناً » أو « حدثني من رأى فلاناً » أو « عن أشياخ من بني فلان » أو « عن رجال أدركوا الجاهلية » . ولأن بعضها منقطع لا يذكر فيه إلا رواية واحد قبل هؤلاء العلماء ، كثيراً ما يكون من الأعراب الفصحاء . والثقة بمثل هذه الأسانيد لا سبيل إلى تحقيقها ، وإنما تكون الثقة بمعرفتنا العالم الراوية الذي أوردتها ، فإما أن نوثقه فنقبل منه ما يروى مع إسناده ، وإما أن نجرحه ونضعفه فلا سبيل إلى قبول روايته مهما يكن إسناده عالياً . وتوثيق هؤلاء العلماء أو تضعيفهم هو موضوع حديثنا في القسم التالي من هذا البحث .

غير أن الأمر الذي يكاد البحث العلمي الدقيق ينهى إلى ترجيحه أن الإسناد في الرواية الأدبية والشعر خاصة ، شيء قد كان ، وأن العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى أخذوا الشعر الجاهلي بالرواية عن قبلهم ، وإن كان تلامذتهم من بعدهم قد أغفلوا النص على الإسناد قبل هذه الطبقة الأولى ، وبين أيدينا نصان ناطقان بيّن الدلالة :

أولهما — أن الأصمعي يورد شعراً هذلياً ثم يقول^(١) : « سألت ابن أبي طرفة عن هذا فلم يعرفه ، ولم يكن عند أبي عمرو فيها إسناد » .
وثانيهما — أن الأصمعي نفسه يورد قصيدة النابتة :

أَمِنْ آلِ مَيْةٍ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ عَجَلَانٌ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ
ثم يقول^(٢) : « ليس عندي فيها إسناد ، وهي له حقاً » .

فقد كان إذن عند أبي عمرو بن العلاء وعند الأصمعي أسانيد للشعر الجاهلي الذي رويها ، ولكنهما لم يلتزما ذكرها دائماً ، واكتفيا بالنص على عدم وجودها حين لم يكن عندهما إسناد .

(١) ديوان المهذلين (دار الكتب) ١ : ١٥٩ .

(٢) ديوان النابتة (شرح الأعم — خمسة دواوين العرب) ص : ٢٧ .

ولنا ، بعد هذا ، أن نتساءل عما وقف بهذه الأسانيد عند هؤلاء العلماء فلم تتجاوزهم إلا في هذا القليل النادر الذى لا غناء فيه والذى ضربنا له الأمثلة ؟ والجواب على ذلك قائم فيما يبدو لنا على أمرين ، الأول : هو أن رواية الجاهلية بأخبارها وأشعارها — وإن كانت ظلت متصلة منذ الجاهلية نفسها إلى زمن هؤلاء العلماء على ما بيّناه فى الفصول السابقة — إلا أنها كانت ، قبل القرن الثانى ، من الثقافة العامة التى لا يختص بها أحد ، ومع ذلك لا يتجرد منها أحد . فقد كان المفسر والمحدث والفقير والقاص يروون شعر الجاهلية وأخبارها ؛ وكانت هذه الأخبار والأشعار آلة من آلاتهم يتوسلون بها لتفسير لفظ فى كتاب الله أو حديث رسوله ، ويسوقونها ليفصلوا بها مجمل ما ورد فى القرآن من القصص وأخبار الأمم ، أو ليزينوا بهذا الشعر ما يقصونه على الخلفاء فى القصور وعلى العامة فى المساجد من قصص تاريخية أو دينية . وكانت ثمة طائفة أخرى تحفظ أخبار الجاهلية وأشعارها غير هذه الطائفة من العلماء المفسرين أو المحدثين أو الفقهاء : فكان الخلفاء والأمراء والولاة وأبناؤهم يتعلمون الشعر الجاهلى ويروّبه إياه مؤدّبوهم ، وكان أبناء الشعراء وسلالته وأفراد قبيلته يحفظون شعره وينشدونه فى مجالسهم ومحافلهم ، ولكن هؤلاء جميعاً لم يكونوا من العلماء المختصين بهذا الضرب من العلم ، المنصرفين إليه ، المشتغلين به ، كما صار شأن العلماء فى القرن الثانى . ومع ذلك فإننا نجد ، فى مثل الأسانيد القليلة التى ذكرناها ، أن بعض الشعر الجاهلى يرويه علماء القرن الثانى عن بعض من ذكرنا من المفسرين والمحدثين والفقهاء ، أو أبناء الشاعر وأفراد قبيلته .

فالرواية الأدبية بمعناها العلمى الذى عرفه القرن الثانى لم تكن موجودة — إذا صح ما ذهبنا إليه — قبل زمن أبى عمرو بن العلاء وحامد الراوية ومن عاصرها . ومن هنا كان هؤلاء هم — فى الغالب الأعم — نهاية الإسناد فى الرواية الأدبية ، يأخذها من جاء بعدهم — على مر العصور — على أنها ، فى جملتها ، صحيحة

موثقة^(١) لا يسأل عن أخذها هؤلاء ، ولا يجد في انقطاع الإسناد عندهم ما يضعف من هذه الرواية . ومن هنا كان الإسناد في الرواية الأدبية هو القاعدة العامة في القرنين الثالث والرابع ، يرتفع حتى يصل إلى هذه الطبقة الأولى من العلماء ثم يقف عندها لا يتجاوزها .

والأمر الثاني منبثق من هذا الأمر الأول . وذلك ما أشرنا إليه فيما تقدم من أن أمر الشعر الجاهلي كان عرضاً من أعراض هذه الدنيا ، يرتقون بروايته وذكر أخباره حيناً ، ويتشؤون بما فيه من إمتاع فني حيناً آخر ، ويتحلون به في ثقافتهم العامة حيناً ثالثاً ، ويتناولونه في جميع هذه الأحوال تناولاً فيه بسُر وإسماح . فلم يكن يتصل بأمور دينهم كما كان يتصل الحديث أو التفسير ، ولم يكن يرتب عليه شأن من شؤون التشريع أو الفقه ، ولذلك وجدنا بعض المحدثين أنفسهم يضيّقون بما يأخذون به أنفسهم وما يأخذهم به الناس من أمر الإسناد ، والتشدد في رواية الحديث ، والتخرج من الإكثار منها وتحري الضبط والدقة ثلاثاً يقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل فينبؤوا مقعدهم من النار . ولا يجد هؤلاء لأنفسهم متنفساً يتنفسون فيه أرحب وأوسع من رواية الشعر وإنشاده حيث لا حرج ولا إثم . ومن هنا كان التزام الإسناد المرفوع في رواية الحديث ، وانقطاع الإسناد في رواية الأدب والشعر .

ومع أننا ذكرنا أن الإسناد في الرواية الأدبية لم يصبح قاعدة ملزمة إلا في القرنين الثالث والرابع حيث يرتفع الإسناد إلى رجال الطبقة الأولى من علماء القرن الثاني ، فإننا مع ذلك ، نجد بعض علماء هذين القرنين يضيّقون بهذا الإسناد - على قصره - فالبريد مثلاً كان يهمل الإسناد حينما يتحدث أو يمل ، ويبدو أنه كان مشهوراً بحذف الإسناد حتى قال نبطويه^(٢) : « ما رأيت أحفظ لأخبار

(١) يستثنى من ذلك ما سنذكره من أمر الخصومات التي قامت بين المدارس المختلفة أو بين أفراد المدرسة الواحدة .

(٢) نزهة الألباء : ١٤٨ ، وانظر ياقوت ، إرشاد : ١٩ : ١١٢ .

بغير أسانيد من المبرد ومن أبي العباس بن الفرات . ولو رجعنا إلى كتب المبرد أو إلى بعض من نقل عن المبرد لوجدنا أن هذه الصفة واضحة فيه وإن لم تكن عامة ولا غالبية ، ففي كتبه إسناد متصل حيناً ، ومنقطع حيناً آخر ، وفيها حذف للإسناد ونص^٥ على هذا الحذف . فإذا ما أخذنا كتابه « الفاضل » مثلاً وجدناه ، حيناً يحذف الإسناد ، يكثر من استعمال صيغة البناء للمفعول من مثل « يروى »^(١) و « يروى من غير وجه »^(٢) ، و « قيل »^(٣) و « ذكر »^(٤) و « حدثت »^(٥) وهو أحياناً يذكر شيخه الذي يروي عنه ثم ينص على حذف الإسناد بعده مثل « حدثني ابن عائشة عن بعض أشياخه »^(٦) و « حدثني مسعود بن بشر في إسناد متصل »^(٧) و « حدثني مسعود بن بشر في إسناد ذكره »^(٨) و « حدثني الرياشي في إسناد ذكره »^(٩) و « حدثني الرياشي — ولا أحفظ عن حديثه »^(١٠) . وهو لا يهمل الإسناد في الأخبار والشعر حسب ، وإنما يفعل ذلك أيضاً في الحديث ، فهو يقول مثلاً^(١١) « يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال » وكذلك « حدثني الرياشي قال : روى لنا أشياخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... »^(١٢) ومن هنا أورد المرزباني عن المبرد قوله^(١٣) : « حدثت في إسناد

(١) ص : ٥

(٢) ص : ١ ، ٢٩ ، ٣٢

(٣) ص : ٧

(٤) ص : ٥

(٥) ص : ٥٠

(٦) ص : ٤٢

(٧) ص : ٥٠

(٨) ص : ٥٢

(٩) ص : ١٢ و ص : ٦٢

(١٠) ص : ٧٢

(١١) ص : ١ ، ٣ ، ٤ ، ١٥

(١٢) ص : ٩

(١٣) الموشع : ٢١٣ - ٢١٤

متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشاماً . . .
 وكان لحذف الإسناد أحياناً علة يذكرها المؤلف ، فمن ذلك أن الصولي
 حذف الإسناد في « أدب الكتاب » وقال (١) « قد ذكرت أن أختصر جميع ما
 أذكره وألتي أسانيده ليقرب على طالبه ومستفيده إلا ما لا بد منه من ذكر نسبه
 وإسناده » .

وكذلك فعل ابن قتيبة — وإن لم يكن صنيعة هذا في الرواية الأدبية
 الخالصة — فقد نص على حذف الإسناد في كتابه « تأويل مشكل القرآن »
 وذكر علة ذلك فقال (٢) « ولم يجوز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير
 إذ كنت لم أقتصر على وحى القوم حتى كشفت ، وعلى إيمانهم حتى أوضحت ،
 وزدت في الألفاظ ونقصت ، وقدمت وأخرت ، وضربت لبعض ذلك الأمثال
 والأشكال حتى يستوى في فهمه السامعون » .

ومن حذف الإسناد أيضاً واكتفى بالنص على آخر من روى عنه : أبو على
 القالي ، فقد ألف كتاب « البارع » في اللغة « فبناه على حروف المعجم ، وجمع
 فيه كتب اللغة ، وعزا كل كلمة إلى ناقلها من العلماء ، واختصر بالإسناد
 عنهم » (٣) .

ولعلنا لا نعدو الصواب حينما نخلص من كل ذلك إلى أن الإسناد لم يكن
 — حتى في القرنين الثالث والرابع حين شاع وغلب — أصلاً ثابتاً من أصول
 الرواية الأدبية ، ولم يكن أساساً من الأسس التي يُحتكم إليها في الاستشهاد على
 صحة هذه الرواية كما كان شأنه في رواية الحديث النبوي . فنحن نرى أن العلماء
 والرواة ، في اللغة والشعر والأخبار ، كانوا يقدمون بين يدي ما يروون بإسناد
 متصل إلى الطبقة الأولى من العلماء الرواة حيناً ، وبإسناد منقطع حيناً آخر

(١) أدب الكتاب : ٢٨ .

(٢) المشكل : ١٨ .

(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين : ٢٠٣ .

يكثفون فيه بذكر شيخهم الذى أخذوا عنه هذا العلم ، أو يتجاوزون شيخهم وربما شيخ شيخهم ، ويقنعون بذكر أول من روى عنه هذا الشعر أو ذلك الخبر ، مختصرين الإسناد اختصاراً إلى نهايته ، ونراهم حيناً ثالثاً يحذفون الإسناد ويهملونه إهمالاً ويلقون بالخبر أو الشعر قائماً مجرداً . وكان العلماء الرواة من معاصريهم وتلاميذهم يقبلون منهم كل ذلك ويوثقونه : يقبلون إسنادهم المتصل ، ويقبلون إسنادهم المنقطع حين يقف عند شيخهم ، وحين يهمل حلقة أو حلقتين من هذه السلسلة ويكتفى بأول حلقاتها ، ثم يقبلون منهم الخبر وحده من غير إسناد .

فإذا كان ذلك كذلك فما معنى الإسناد إذن ؟ والجواب على ذلك مفصل فيما قلناه عن مجالس العلم وعن التصحيف فى فصل سابق . فقد كان العلماء يصفقون من يقتصر فى علمه على الأخذ من الصحف من غير أن يلقى العلماء ويأخذ عنهم فى مجالس علمهم ، ويسمونه صحفياً ، ومن هنا اشتقوا «التصحيف» وأصله «أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته فى صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب» . فالإسناد فى الرواية الأدبية لم يكن ، فيما نرى ، إلا دفعا لهذه التهمة ، وإلا حجة يقدمها العالم على أنه أخذ علمه من أفواه الشيوخ فى مجالس العلم . فإذا ما بلغ هذا العالم من العلم شأواً بعيداً ، وعرفت منزلته بين العلماء ، واشتهر أمر شيوخه وأنه أخذ العلم عن فلان وفلان فى مجالسهم وحلقات دروسهم — فلا عليه بعد ذلك أن يهمل الإسناد ، فهو يسند حيناً إسناداً متصلاً أو إسناداً منقطعاً ، وهو يحذف الإسناد حيناً آخر واثقاً مطمئناً إلى أن ذلك لن يضره .

أما إذا كان أمر العالم على غير هذا الوجه ، وكان متهماً بأنه يمتنع من ذات نفسه ، وأنه لم يأخذ ما يروى عن عالم من شيوخ العلم قبله ، فحينذاك يتصدى

له أهل العلم والرواية يطالبونه بالإسناد . حدث المازني قال ^(١) « روى برزخ بن محمد العروضي (وكان معاصراً لحماة الرواية وجناد وكان متهماً بالكذب) شعراً لامرئ القيس ، فقال له جناد : عمن رويت هذا ؟ قال : عني ، وحسبك في ! فقال له جناد : من هذا أتيت يا غافل . »

ولو كان الإسناد أصلاً من أصول الرواية الأدبية — كما هو في رواية الحديث — إذن لوجدنا بين يدي كل خبر وكل بيت من الشعر أو مجموعة من الأبيات إسناداً ملتزماً كالإسناد الذي يلتزم بين يدي كل حديث نبوي ، ولكان كل سند من هذه الأسانيد الأدبية متصلاً مرفوعاً في الشعر إلى الشاعر الجاهلي أو إلى راويته ، وفي الخبر إلى من شهدته في الجاهلية ، ولوجدنا بعد ذلك كتباً يعني فيها أصحابها بتخريج الشعر الجاهلي من طرقه المختلفة ، ثم لوجدنا كتباً في تعديل رواة الأدب وتجريحهم كما هو الشأن عند أصحاب الحديث .

وكل ذلك لا نجده فيما بين أيدينا ، فأكثر الشعر الجاهلي في كتب الأدب العامة وبعض الدواوين غير مسند ، وأما المسند منه فأقصى ما يصل إليه إسناداه هم الطبقة الأولى من العلماء الرواة في منتصف القرن الثاني ، وبعضه لا يرقى إلا إلى الطبقة الثانية ، وأحياناً إلى الطبقة الثالثة من علماء مطلع القرن الثالث ونهايته . وليس بين أيدينا كتاب واحد لتخريج الشعر الجاهلي من طرقه المختلفة ، ولا كتاب واحد للجرح والتعديل في رواة الأدب ، ولا ينقص هذا القول ما نجده في بعض معاجم الرجال وطبقات الأدباء واللغويين والنحويين ، فهي كتب في التاريخ الأدبي العام ، تترجم للعالم أو الرواية ترجمة عمادها السرد والقصص من غير توجيه لهذا السرد أو لتلك القصص لتدل على حكم خاص في توثيق المترجم له أو تضعيفه ، إلا في القليل النادر حيث نجد الاتهام بالكذب أو الوضع يلقي إلقاءً مجرداً من البينة والدليل ، بل لا يكاد ينشئ المؤلف من إلقاء اتهامه حتى

يتبعه بقصة أخرى أو رأى آخر فيهما توثيق وتعديل . وسنبين في فصل مقبل - عند حديثنا عن النحل - أن كثيراً من التجريح والتضعيف والاتهام بالكذب والوضع إنما كان مصدره خصومات شخصية أو خلافات مدرسية ومذهبية لانصيب لها من التحقيق العلمى الذى يطمأن إليه . وقد يكون أمر الجرح والتعديل فى رجال الحديث قد جرى على ما يبتناه من أمر الجرح والتعديل فى رواة الأدب ، غير أننا نقصر حديثنا هنا على الرواية الأدبية وحدها ولا سبيل إلى توسيع البحث فى الحديث عن غيرها .

فليس للرواية الأدبية إذن علم للسند ونقده ، بل ليس للرواية الأدبية سند كالسند الذى عرفه الحديث النبوى ، وقصارى السند فى الأدب - حين يوجد - أن يكون دليلاً على أن الراوية قد لقي العلماء وأخذ علمه من أفواههم فى مجالس العلم ولم ينقله من صحيفة .

غير أن لكل إطلاق تقييداً ، وتقييد هذا الإطلاق ، الذى قدّمناه ، فى بعض دواوين الشعر . ولكنه تقييد لا يكاد يقيّد ، بل إنه ليزيدنا اطمئناناً إلى ما قدّمنا من إطلاق . وتفصيل ذلك أن حديثنا السابق كان منصباً على ما فى كتب الأدب العامة من أدب الجاهلية : شعرها وأخبارها . ولكن ثمة دواوين للشعر الجاهلى جمعها بعض علماء الطبقة الأولى من الرواة ودوتوها ، ثم أخذها عنهم تلاميذهم من علماء الطبقة الثانية ودوتوها رواية عنهم ، وأضافوا إليها بعض ما سمعوه من هؤلاء الشيوخ : من تفسير لغريبها ، أو شرح لأبياتها ، أو ذكر مفصل لما تعرض له من حوادث وإشارات تاريخية . ثم جاء رجال الطبقة الثالثة من العلماء والرواة فأخذوا هذه الدواوين - التى جمعها رجال الطبقة الأولى - عن علماء الطبقة الثانية ، وأضافوا إليها أيضاً ما سمعوه من هؤلاء العلماء من شرح وتفسير وبيان تاريخي . وقد بقيت بعض هذه الدواوين حتى وصلت إلينا ، وفى صلب بعضها سند يبدأ بعالم راوية فى القرن الرابع أو أواخر القرن الثالث وينتهى بعالم من رجال الطبقة الأولى . وقد يكون الديوان خليطاً من روايات عدة

جمعها لنا العالم الأخير بعد أن رواها عن شيوخ مختلفين ، كل شيخ منهم رواها عن شيخ أو شيوخ سابقين ، أو قد يكون الديوان كله رواية واحدة من حيث الشعر ولكن شرحه وتفسير غريبه مروى عن شيوخ متعددين ، ويكون العالم الراوية الذي جمع لنا كل ذلك حريصاً على أن يسند كل قصيدة إلى راويها لأصلي ، وأحياناً ينص على ما فيها من أبيات تفرّد بروايتها راوٍ دون آخر ، مما سنعرض له بالبيان في الفصول التي سنعدها عن الدواوين في آخر هذا الكتاب.

البَابُ الرَّابِعُ

الشك في الشعر الجاهلي

(الوضع والنحل)

فصل الأول

المشكلة الهومرية

١

الشك في الأدب القديم ، الذى أنشأته الأمم في جاهليتها وبدائها ، ظاهرة لا تقتصر على الشعر العربى وحده ، ولكنها عامة تكاد تشمل الأدب القديم كله عند جميع الأمم التى كان لها أدب معروف مدروس . ولعل خير ما نمهد به بين يدى بحثنا هذا عن النحل والوضع في الشعر العربى الجاهلى — أن نعرض ، في إيجاز ، الملامح الأساسية لجهود الدارسين الأوربيين الذين عُنُوا بدراسة الشعر الإغريقى القديم ، وخاصة هومر وملحمته . ولسنا ، في هذه الدراسة المقارنة ، بيداً بين الدارسين ، فقد لجأ إليها الأوربيون أنفسهم حين تعرضوا للدراسة الشعر الإغريقى وهومر ، وحاولوا أن يتلمسوا في آداب الأمم الأخرى ما يعينهم على المضى في سبيلهم وينير لهم بعض دياجيا (١) . فزاهم يبحثون في شعر الأمم البدائية ونشأته وطرق حفظه وروايته ، ويوازنون بين ملحمتى هومر والملحمتين السنسكريتيتين : المهابارتا والرامايانا من جانب ، والقصائد والأغاني الشعبية في العصور الوسطى عند الأمم الأوربية نفسها من جانب آخر ، ثم يوازنون آخر الأمر بين ملحمتى هومر والملاحم الأوربية التى نُظِمت في عصور أكثر حضارة

(١) انظر R.C. Jebb, Homer : An Introduction to The Iliad and The Odyssey, P. 131-136.

W.D. Geddes, The Problem of the Homeric Poems, P. 4, f.n. 2, P. 10

C.M. Bowra, Tradition and Design in The Iliad, Introduction 7-8.

وانظر أيضاً

وكذلك

وأوفر علماء من عصر الإلياذة والأوديسة من مثل إنياذة فرجيل ، والفردوس المفقود للبتون - من جانب ثالث .

ولم يعتسف جلّة هؤلاء الدارسين سبيل تلك الموازنات اعتسافاً ، وإنما صلدوا عن بيئته ، وأقدموا على بصيرة ، ومضوا يقظين متنبهين ، مدركين أنهم بهذه الموازنات لا يصح أن ينخدعوا بالمشابهة الظاهرة والوشائج الواضحة ، بل لا بد لهم من أن يتنبهوا لوجوه الخلاف ومناخى الافتراق . فهم يوضحون ، فيما يوضحون ، الخلاف بين ملحمتي هومر والملحمتين الهنديتين في الوحدة والاتساق اللذين ينتظمان الأوليّين ويُفقدان في الآخرَين ، والخلاف بين ملحمتي هومر والأغاني الشعبية في الحطة والنسق والنظام ، والخلاف بينهما وبين الملاحم التالية في مظاهر العصر وما يتبع هذه المظاهر من مصادر علمية وفنية نهل منها شعراء الملاحم التالية وتأثروا بها ، ولم ينل منها ناظم الإلياذة والأوديسة نصيباً . وهؤلاء الدارسون يرتّبون على هذا الخلاف والافتراق من النتائج ما يعصمهم في أحيان كثيرة من الانخداع بما للتشابه الظاهري من بريق مُغفّر . ومع هذه الحيلة والحذر البالغين نرى دارساً من ثقات المتخصصين في دراسة هومر لعهدنا هذا ، هو الأستاذ سيسيل موريس باورا ، يعتذر لنفسه بقوله^(١) : « إن المقابلة واستخراج وجوه الشبه بين الأشياء وسيلةٌ موحية ملهمة ولكنها خادعة مضللة ، وأنا مدرك أنها قد تكون خدعتني وضللتني » .

وبعد ، فسأعرض في هذه الصفحات بعض وجوه الشبه بين الشعر العربي الجاهلي والشعر الإغريقي القديم ، وسأختلص من هذا العرض الموجز إلى الحديث عن ثلاث نقاط تتصل اتصالاً وثيقاً بما قدمت وما سأقدم من حديث عن الشعر الجاهلي ومصادره . أولاً : من نظم الإلياذة والأوديسة وصحة نسبتهما إلى هومر ؟ والثانية : وسيلة حفظ الشعر الهومري ، أكانت الرواية الشفهية أم الكتابة ؟

والثالثة : المدارس اللغوية القديمة التى درست شعر هومر ونقدته بعد أن جمعتة ودونته .

أما التشابه بين الشعر الجاهلى والشعر الإغريقى ، فى ملامحهما العامة وأوائل تطورها ووسائل تحملهما وتاريخ العناية بهما ودراستهما عند القدماء ، فتشابه قد اتضحت صورته فى نفسى منذ أن اتصلت ، شيئاً ما ، بالشعر الإغريقى وتتبع قدراً صالحاً مما كتبه الدارسون عنه . وأرانى فى حل من بسط القول بسطاً يستقصى الأمور ويلم أطرافها ويحتاط لمزلقها فى هذا الموضوع ، ما دمت سأعرض للأمر من أصوله العامة وأتجنب الخوض فى فروعه ودقائقه ، وما دمت متخذاً من هذا التشابه مدخلاً لبيان النقاط الثلاث التى ذكرتها دون تحميله من النتائج ما يتجاوز ذلك .

١ - فالشعر الجاهلى وشعر هومر هما أقدم شعر وصل إلينا من العرب والإغريق ، وهما - على ذلك - ليسا أول شعر قالته هاتان الأمتان ، بل لقد سبقتهما مراحل تطور فيها الشعر حتى استوى فى هذه الصورة التى وصلت إلينا . غير أن هذا الشعر المبكر عند العرب واليونان معاً قد ضاع ولم يحفظ لنا منه شيء قائم بنفسه منفصل عن غيره . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نعرف وجود هذه المراحل السابقة من أمرين ، أولهما : أن هذه الصور الشعرية التى وصلت إلينا صور فنية كاملة ، متسقة ، تامة التكوين ، سوية البناء ، ثابتة الأسس ، حتى لقد أصبحت ، بعد ، نماذج فنية تحاكى وتحتذى ويتخذ منها عموداً للشعر يحرص على التزامه شعراء العصور التالية فى البيئات المتعددة التى صارت أزهى حضارة وأرقى ثقافة وأعز معرفة . وليس يصح فى الأفهام أن تثبت هذه الصورة الكاملة السوية من العدم ، أو تقوم من الفراغ ، أو تولد فجأة يافعة تامة التكوين . وثانيهما : أن فى كلا الشعرين إشارات واضحة حيناً ومبهمة أحياناً - إلى شعراء سابقين لا نكاد نعرف عنهم شيئاً ^(١) .

(١) لعل أوضح مثال على ذلك فى الشعر الجاهلى هو « حذام » فى شعر امرئ القيس على =

٢ - والشبه كبير بين الشعرين العربي الجاهلي والهومري في الصفات العامة للتعبير الشعري ، فهما يتسمان بالنضارة والغضارة والبساطة ، وبالفتنة التي نعزوها إلى « طفولة العالم » عند اليونان ، و « سذاجة البداوة » عند العرب . ومع ذلك فما أشبه الشعر الجاهلي العربي بالشعر الهومري الذي « تعالى على خشونة الشكل ، وتجنب الصراع الناشب بين المعنى واللفظ ، وارتفع عن الحوشى المتبدل من أساليب القول ، واستطاع أن يحتفظ بمستواه الرفيع حفظاً متزناً ، وبذلك تجنب هذه الخصائص التي يتصف بها الأدب في عصره البدائي . وهذه الميزات العامة هي التي يصفها ماثيو أرنولد - في محاضراته الممتازة عن ترجمة هومر - حيث يقول : إن لأسلوب هومر أربع مزايا كبرى : فهو مناسب متدفق ، سهل ميسور في فكرته ، واضح في خياله ، ونبيل سامٍ » (١) .

٣ - ولقد اختلف العلماء من دارسي الأدب في تدوين هذين الشعرين : الجاهلي العربي والهومري الإغريقي . فذهب فريق منهم إلى أنهما لم يكتبتا منذ أن نُظِمَا ، بل بقيا محفوظين في صدور الرجال ترويهما الأجيال المتعاقبة وينشدهما الأفراد في المجالس والمحافل قروناً طويلاً قاربت الثلاثة عند العرب وأربت على ذلك عند الإغريق . وذهب فريق آخر منهم إلى أن هذا الشعر قد كتب منذ أن قاله شعراء العرب في الجاهلية وهومر عند اليونان . أما تفصيل هذا الأمر عند العرب فقد بسطنا فيه القول في الفصول المتقدمة وسنعود إليه في مواطن متفرقة فيما سيلقانا من صفحات . وأما تفصيله عند اليونان فهو ما سنوضحه بعد قليل .

== اختلاف في قراءته . وأما تفصيل هذا الأمر في الشعر الهومري ففى :

١) R.G. Jebb, Homer : An Introduction to The Iliad and The Odyssey P. 1-2.

٢) W.D. Geddes, The Problem of the Homeric Poems P. 21.

٣) Thomas W. Allen, Homer : The Origins and The Transmission,

ويذكر توماس آلن في كتابه هذا ص ١٢١ أسماء عدة شعراء قبل هومر ، ثم يجمع في (ص ١٣٩ وما بعدها) الأدلة - التي يستخرجها من الإلياذة والأوديسة - على وجود شعراء سابقين لهومر .

٤ - والشعران الجاهلي العربي والهمري مصدران تاريخيان من مصادر الحياة الجاهلية عند هاتين الأمتين ؛ بل ربما كانا - حتى الآن - المصدرين الأساسيين اللذين يعتمد الدارس عليهما في فهم هذه الحياة - في كثير من جوانبها - فهماً متصلاً متسقاً . وجلّ الأخبار التاريخية والأدبية التي نقلها الرواة إنما كانت تدور حول هذا الشعر : تفسره وتشرح ما يتضمنه من حوادث ، وترجم لمن يشير إليه من أشخاص . وقد لجأ القدامى أنفسهم إلى الشعر العربي الجاهلي يستنطقونه ويستنبطون منه توضيح بعض جوانب الحياة في الجاهلية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها ما فعله ابن قتيبة في كتابه « الميسر والقдах » ، وما فعله أبو طالب المفضل بن سلمة في كتابه « الملامى وأسماءها » . وأما الشعر الهمري فهو أيضاً أول سجل يعرض صورة واضحة نابضة بالحياة للحضارة الآرية ، ولقد كادت فترة طويلة من الحياة الهيلينية المبكرة تكون لولاه نسياً منسياً ، ولكنها الآن بفضلها تبدو متصلة بالعصر الهيليني التالي في نسق متدرّج مستمر^(١) .

٥ - وكان الفضل الأول ، في جمع الشعرين الجاهلي العربي والهمري وتدوينهما ونقدهما ، للمدرستين لغويتين أدبيتين ؛ قامت أولاهما في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، فجمعت ما استطاعت العثور عليه من مخطوطات الإلياذة والأوديسة ، وقابلت بينها ، وأثبتت القراءات المختلفة للنص الشعري ، وعلقت عليه كثيراً من التعليقات والشروح ، ثم تابعتها بعد ذلك مدينة برجاس . وقامت ثانيتهما في البصرة والكوفة منذ منتصف القرن الثاني الهجري ، فصنعت بالشعر الجاهلي صنيع أختها بالشعر الهمري . وعلى ما أرسته هاتان المدرستان من أسس ، ووضعت من قواعد ، قام البناء الشامخ لدراسة الشعر الهمري والشعر الجاهلي العربي بعد ذلك .

٦ - ولم يقتصر عمل هاتين المدرستين على الجمع والتدوين والشرح والتعليق ،

ولأنما تعدى ذلك كله إلى النقد الدقيق القائم على الفهم العميق لطبيعة كل من الشعرين واستشفاف روحه ، والتنبيه لما تسرب إليه من دخيل منحول وزائف مصنوع . ونبتت في نقد هاتين المدرستين ويقظتهما الواعية — الجذور الأولى التي أخذت تنمو وتعمق حتى بلغت مداها في القرن الثامن عشر عند الألمان ، واكتملت صورتها عند وُلّف في كتابه « المقدمة Prolegomena » ، ونشأ منها ما يعرف في النقد الحديث « بالمشكلة الهومرية Homeric Question » ؛ وتأثرها — فيما يبدو — دارسو الشعر الجاهلي من المحدثين ، معتمدين على ما تنبه له القدامى من مدرسة البصرة والكوفة ، فقامت عندهم — منذ مطلع القرن العشرين — مشكلة أخرى عُرفت باسم « نحل الشعر الجاهلي » ، بدأها المستشرق الإنجليزي مرجايوث ، واكتملت صورتها عند الأستاذ الدكتور طه حسين . وسنعود بعد قليل إلى بسط الحديث في هاتين النقطتين الأخيرتين .

أوليس إذن من المفيد حقاً — بعد أن عرضنا هذه الوجوه الكثيرة للتشابه القريب بين الشعرين — أن نستبين جهود الدارسين من العلماء الأوربيين الذين بحثوا في الشعر الهومي ؟ وأن نعرف ، على وجه التخصيص ، ما وصلوا إليه من أمر النقاط الثلاث التي قدمنا الإشارة إليها ، وهي : نظم الإلياذة والأوديسة وصحة نسبتها إلى هومر ؛ ووسيلة حفظ الشعر الهومري : أكانت الرواية الشفهية أم الكتابة ؛ ثم المدارس اللغوية القديمة التي درست شعر هومر ونقدته بعد أن جمعته ودوّنته ؟

٢

أما من الذي نظم الملحميتين الهومريتين ^(١) فموضوع لم يصل الدارسون له ،

(١) القصيدتان الهومريتان هما الإلياذة والأوديسة ، والنص على أنهما هومريتان لا يتضمن في هذا المجال أن شاعراً مفرداً بعينه هو ناظم القصيدتين أو ناظم إحداها .

برغم ما بذلوا من جهد خصب ، إلى نتيجة يستقرّون عندها ، ويبدو أنهم لن يصلوا مهما بذلوا من جهد ؛ وستبقى الآراء مختلفة متشعبة لا تتوحد ولا تكاد ، وستظل الأدلة التي يقدمها الدارسون افتراضية ترجيحية لا ترقى إلى مرتبة القطع واليقين . وتدور هذه الآراء حول عدة افتراضات ؛ منها :

(١) وحدة التأليف :

فقد ظل الدارسون قروناً طويلاً يعتقدون اعتقاداً لا شك فيه بوجود شاعر اسمه هومر ، وأنه هو الذي نظم الإلياذة والأوديسة لا ينازع في نسبتها إليه منازع . ولم يكن اليونان وحدهم في القرون الخمسة التي سبقت الميلاد — وهي القرون التي وصلتنا منها آثار أدبية مكتوبة — يذهبون مثل هذا المذهب ، بل شاركهم فيه الدارسون بعد الميلاد قروناً طويلة حتى القرن الثامن عشر الميلادي . ومع هذا فقد كانت شخصية هومر عندهم غائمة تغشّيها أساطير متضاربة^(١) . وحقاً قد وُجد فقر قليل من الشاكّين غير أن أثرهم كان ضئيلاً محدوداً ولم يتبعهم أحد . وكل ما نعرفه عن هؤلاء الشاكّين لإشارات عابرة إلى آرائهم موجودة في حواشي نسخة البندقية من الإلياذة Codex Venetus ؛ ويستخلص من هذه الإشارات العابرة إلى آرائهم أنهم كانوا يذهبون إلى أن القصيدتين من نظم شعراء مختلفين وفي عهود متعاقبة . ولكن الرأي السابق هو الرأي العرفي التقليدي الذي كان سائداً عاماً ، حتى إن سويداس Suidas في نحو سنة ١١٠٠ م كان لا يزال يرى أن الإلياذة والأوديسة نظمتها هومر دون نزاع ؛ بل إن بنتلي Bentley في مطلع القرن الثامن عشر كان يذهب إلى أن شاعراً كان يسمى هومر عاش في نحو ١٠٥٠ ق . م كتب الإلياذة والأوديسة كليهما^(٢) .

والحق أن فكرة وجود شاعر واحد تاريخي اسمه هومر نظم الإلياذة قد بقيت

(١) انظر Jebb, Homer, P. 88, 103 ، وكذلك : Geddes, The Problem of

The Homeric Poems, 5

(٢) Geddes, P. 6 ، وكذلك : Jebb, Homer, 103, 105-106

خلال العصور على الرغم من أبحاث الناقدين المشككين . فنحن نجد هاملاً معاصراً في القرن العشرين من الثقافات المختصين بهومر والشعر الإغريقي يذهب هذا المذهب فيقول (١) : « ويبدو من المحتمل أنه كان ثمة شاعر مفرد اسمه هومر صاغ الإلياذة في صورتها النهائية الأخيرة وحدثها الفنية ، ولكنه كان يعمل وفقاً لأسلوب موروث متواضع عليه ومادة تتناقل وتتوارث » . ويقول في موطن آخر من كتابه (٢) : « غير أننا — إذ ندعى أن تقسيم الإلياذة إلى نتاج مؤلفين مختلفين أمر مستحيل — ستعتمد الأدلة التي عثر عليها النقاد لهدف مختلف عن ذلك كل الاختلاف ، هو : تفسير بعض الخصائص الواضحة على أساس افتراضنا أنها جميعها ترجع إلى شاعر فرد يستخدم موضوعات ومواد جاهزة بأسلوب وطريقة يملئها التراث الموروث الذي أصبح هو وريثه » . ثم يقول بعد صفحات (٣) : « لقد نمت الإلياذة وربما كان نموها وفقاً للخطوط التي بينناها في هذا الكتاب . وكان من الجائز أن ينتهي مثل هذا التطور والنمو إلى فوضى واضطراب ، كما حدث في المهاجراتا ، لو تعهدته يد غير صناع ، ولكن الملحمة في زيونيا كانت أسعد حظاً ، فقد وجدت في هومر شاعراً له من الموهبة ما جعله يتناول المواد الموروثة ويجعلها ماكنه ، فوسعها وطورها ، وأضفى عليها تفرداً في الأسلوب والفكرة ، فحوّل المواد المتضاربة إلى قصيدة واحدة ، وقد بلغ عمله من النجاح مرتبة عالية بحيث انتهت حقاً الملحمة الإغريقية بها . وقد نظم بعده بمدة طويلة شعراء آخرون ملاحم ، ولكنهم صاغوا على منواله ، وكان هو الذي ثبت أسلوبهم وأرسى قواعده ، فعمله بعيد عن أن يكون جمعاً . لقد استخدم المناهج والقصص المتوارثة ولكنه أخضعها لغايته الفنية ، وفرض شخصيته الخاصة عليها ، وكانت نتيجة ذلك الإلياذة » .

G. M. Bowra, Tradition and Design in The Iliad, P. 1. (١)

(٢) المصدر السابق ص : ٢ .

(٣) المصدر السابق ص : ٤٨ .

(ب و ج) ثنائية التأليف وتعدد التأليف :

وقد آثرنا أن نجتمع هذين الافتراضين معاً لتداخلهما وتشابكهما وصعوبة الفصل بينهما كما سيبدو بعد قليل .

لقد ذكرنا آنفاً أنه كانت ثمة نظريتان عن القصيدتين الهومريتين ، ولكن إحداهما كانت قد اندثرت في الواقع ، فسادت النظرية التقليدية بلا منازع خلال العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، حينما قام فردريك أوغست ولف F. A. Wolf في ألمانيا ودرس القصيدتين دراسة نقدية دقيقة ، وأخرج سنة ١٧٩٥ كتابه « المقدمة Prolegomena » ^(١) عرض فيه نظريته الشبيهة ^(٢) . وبالرغم من منزلة ولف في عالم الدراسات القديمة « الكلاسيكية » ، وبالرغم من شهرة نظريته وذبوع صيتها ، فقد ذهب العلماء في فهمها ودرسها مذاهب مختلفة ، بل إن تلامذة ولف حين أخذوا يوسعون نظريته ويفصلون ما أجل ، اختلفوا فيما بينهم وسلكوا طريقين متباينين بل طرائق متعددة . فالدكتور ر . س . جب يورد لنا الأسس التي حاكم عليها ولف القصيدتين ، ثم يصف لنا هذه النظرية بقوله ^(٣) : « ومع ذلك فقد كان ولف أبعد ما يكون عن إنكار وجود شخص هومر ، فهو يفرض أن شاعراً ذا موهبة ممتازة ، ويسميه في أكثر الأحيان هومر ، "بدأ نسج القماش واستمر فيه إلى أمد معلوم" ، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حينما قال : " نسج هومر القسم الأكبر " من الأغاني التي جمعت بعد في الإلياذة والأوديسة . هذا ما قاله ولف في كتابه المقدمة بل لقد قال هذا القول في صورة أوكد في مقدمة طبعته للإلياذة التي طبعت في نحو الوقت نفسه . قال : "لاريب

(١) مقدمة ولف التمهيدية Prolegomena كتاب صغير صفحاته ٢٨٠ من قطع الثمن وقد طبع في Halle سنة ١٧٩٥ .

(٢) وجد قبل ولف علماء درسوا القصيدتين الهومريتين وكانت لهم آراء جزئية يصح أن تعد إرهاسات لنظرية ولف ، ولم نجد حاجة لعرضها ، وقد ذكرها الدكتور جب في كتابه عن هومر ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) Jebbe, Homr, P. 109 - 110, (٢)

أن النسيج قد بدئ به في الإلياذة والأوديسة على السواء ، وقد استمر في ذلك إلى أمد معين ، وقام بذلك الشاعر الذي فكر في هذا الأمر ابتداءً . وقد يكون من المستحيل أن نبين ، ولو بالفرض الممكن ، الحدود الدقيقة التي تبدأ عندها الخيوط الجديدة والزيادات الدخيلة ؛ ولكن هذا سيثبت على الأقل — إن لم يجانبني الصواب — أنه لا بد لنا من أن ننسب إلى هومر وحده القسم الأكبر من الأغاني ، وأن ننسب الباقي إلى جماعة الهومريين الذين اقتفوا أثره ” .

بينما نجد الدكتور وليم د. جديس William D. Geddes يصف لنا نظرية ولف وصفاً يفسهم منه ما يختلف عن وصف جب ، قال جديس ^(١) : « أثار ولف أولاً هذا السؤال : أهومرُ واحدٌ أو حتى هومران اثنان كافيان لخلق القصيدتين الهوميريتين ؟ أولسنا بحاجة إلى مجموعة من الهومريين ننسب إليهم قصيدتين في مثل هذا الاتساع في عصر بدائي ؟ ومن هنا قدّم نظريته الشهيرة في ” المقدمة ” وهي أن هومر لم يكن شاعراً واحداً ، كما يرى العرفيون أو التقليديون ، ولم يكن كذلك شاعرين اثنين ، ولكنه كان اسماً تاريخياً يطلق للدلالة على الجهد أو النشاط الشعري في العصر الملحمي المبكر ، ويشمل مجموعة من الشعراء لا شاعراً فرداً . »

ومن هنا نستطيع أن نستبين صدق وصف جب لنظرية ولف بالمرونة في قوله ^(٢) : « إن الأثر الدائم لعمل وُلف لا يعود إلى القوة التي صيغت بها نظريته حسب ، بل أيضاً إلى مهارته في الهروب من جعلها دقيقة محكمة . إن إحساسه الأدبي الذي أدرك المزايا الداخلية التي جعلت كل ملحمة وحدة عامة ، خفف من حدة استخدامه للأدلة والمناقشات الخارجية . فهو لم يحاول أن يحدد تحديداً دقيقاً القدر الذي نظمه الشاعر الأصلي ، وأين يبدأ عمل الشعراء

The Problem of The Homeric Poems, P. 7-8. (١)

Jebb, Homer, P. 117 f. (٢)

الآخرين ، وكيف يختلفون . ومن هنا كانت لفظة « اللفية » مرنة مطاطة تشتمل على ظلال آراء مختلفة متعددة . لقد طُبِّقَت أحياناً في أضيق الآماد ، وأحياناً أخرى في أوسعها وأرجبها . إن النظرية اللفية الخاصة المميزة لا تعدو أن تكون ما يأتي : إن القصائد الهومرية جمعت ، في بداية العصر الأدبي عند الإغريق ، من أغان وأناشيد قصيرة غير مكتوبة تحدت من عهد بدائي . أمّا كم من هذه الأغاني القصيرة نحسّ أنها من نظم شاعر واحد فأمرٌ ثانوي فرعي . إن رأى ولف ، كما رأينا ، هو أن الشاعر الذي بدأ مجموعة الأغاني قد نظم أكثرها أيضاً ، وأن الشعراء التالين له واصلوا السير في حدود الخطوط العامة لعمله . ثم يقول جب : « لقد اتجهت التطورات الأصيلة لنظرية ولف في اتجاهين عامين : أحدهما إظهار أثر الشاعر الأول من مجموعة الشعراء أقل مما صورته ولف — ويمثل هذا الاتجاه لآخان Lachmann . وأما الثاني فلإظهار أثره أقوى وأشد — ويمثل هذا الاتجاه هرمان Hermann » .

أما لآخان فقد « قسم الإلياذة إلى ثمان عشرة أغنية منفصلة . ويشيع في نفوسنا الشك ، ويوحى إلينا أنها تعزى إلى ثمانية عشر ناظماً . وأياً كان الأمر فهو يرى أن كل واحدة من هذه الأغاني كانت في أصلها مستقلة استقلالاً ما عن الآخرين . وميزانه الرئيسي هو تناقض التفاصيل والجزئيات . . . ثم يؤكد أيضاً أن كثيراً من الأغاني تختلف اختلافاً كاملاً في روحها العامة » .

وأما هرمان فقد طورَ نظرية ولف بما يتفق مع روح ولف . ويدرك هرمان صعوبة واحدة تركها ولف غير مفسرة ، فقد قال ولف : « إن نسج القماش الهومري قد بدأه الشاعر الأول الرئيسي الذي واصله إلى حد معلوم ، ثم أتته آخرون » . ولكن لماذا لم يواصلوه إلا في هذه الحدود الضيقة ؟ ولماذا حصروا أنفسهم في نطاق أيام معدودات من حصار طروادة ؟ ولماذا لم يغنّوا لعودة بطل آخر غير أوديسوس ؟ يجيب هرمان عن ذلك بقوله : لأن الشاعر البدائي العظيم « هومر » لم يكتب بأن يواصل نسج الخيط إلى حد معلوم ، بل رسم التخطيط العام

للإلياذتنا والتخطيط العام لأوديستنا ، مستخدماً المواد الأولى أوسع استخدام . ولم يكن عمل التالين أن يواصلوا نسج خيط في النسيج ، بل أن يتموا التخطيط داخل نطاق ثابت معلوم .

فنحن نرى إذن أن الفكرة الأساسية التي شاعت عند ولف والروافيين الحقيقيين مثل لآخان وهرمان هي أن هومر كان شاعراً بدائياً نظم أغاني قصيرة غير مكتوبة ذات وحدة مترابطة ، ولكنها لم تبلغ منزلة الملحمة الكاملة ، حتى جاء بعده من أتتها وأوصلها إلى منزلة الملحمة . وقد كان لهذه النظرية رد فعل ، فقام من العلماء الدارسين من ذهب مذهباً يختلف في جوهره عن مذهب ولف وتلاميذه ، وهو يعتمد في أساسه على أن هومر ليس مغنياً بدائياً وإنما هو ذلك الفنان الشاعر العظيم الذي جاء بعد عهد الأغاني القصيرة فصاغ ملحمة ذات آماذ واسعة ، فهو بذلك منشئ ما يسمى بـ *Epopée* . وسنشير إلى ثلاثة ممن ذهبوا هذا المذهب في جوهره وإن اختلفوا في بعض أجزائه . أولهم ^(١) : نيتش G.W. Nitzsch . وهو يرى أن قصائد *Cyclic Epics* التي انحدرت إلينا من القرنين السابع والثامن قبل الميلاد توحى بأن الإلياذة والأوديسة بمعالمهما الحاضرة وصورتها قد سبقتا هذه القصائد ، وأن هذه القصائد قصد منها أن تكون ملاحق أو مقدمات تمهيدية للقصيدتين الهومريتين . ويقول نيتش عن هومر : « إنني أعني بهومر ذلك الرجل الذي ارتقى بتلك الأغاني القصيرة المتعددة التي نظمها الشعراء المغنون القدامى عن الحرب الطروادية ، وصاغ الإلياذة - التي كانت في أصلها تتحدث عن "مجلس زيوس" حسب - فجعلها الإلياذة التي نعرفها والتي تقص قصة "غضب أخيل" . وهكذا يرى نيتش أن هومر شاعر قديم جداً ، وهو جدير بأن تؤرخ به بداية عصر . وأنه وجد عدداً من الأغاني القصيرة عن طروادة ، فآتم عملاً ذا صبغة جديدة ، وذلك بأن أقام - مستعيناً بهذه الأغاني - ملحمة كبيرة تقص غضب أخيل . وقد حدثت بعد ذلك تغييرات ومنحولات

فرجية ، غير أن الإلياذة التي نعرفها في أغلبها نظمُ شاعر واحد ، والأوديسة التي نعرفها ربما نظمها الشاعر نفسه ؛ وأن هاتين القصيدتين قد استقرت صورتها الحاضرة - في جوهرها - قبل سنة ٨٠٠ ق . م بزمان غير قصير .

وثانيهم : جروت Grote وهو متفق مع نيتش في جوهر رأيه القائم على أن هومر ينتمي إلى الطور الثاني من أطوار الشعر البطولي لا إلى الطور الأول ، أى أنه ناظم ملحمة كبيرة لا قصائد بدائية ذات أغان قصيرة . غير أنه يرى أن الإلياذة التي بين أيدينا خرجت عن نطاق القصيدة الكبيرة كما نُظمت في الأصل وزادت عليه . لقد كانت تلك القصيدة الأولى عن غضب أخيل ، ولذلك فقد كانت أخيلية An Achilleid ، ثم عمد شاعر آخر أو شعراء إلى تحويلها إلى قصيدة تقصّ قصة الحرب الطروادية عامة ، فصارت الإلياذة . لقد أضيفت إليها قصائد غنائية كاملة لا علاقة لها بالأخيلية الصرفة ولكنها تعرضها أو تطلّوها .

والثالث : جديس William D. Geddes . وقد ألف كتاباً^(١) «يشتمل على بحث واسع شامل في قصيدتي هومر العظيمتين ، والهدف منه أن نوضح ، من الأدلة والبراهين الداخلية وحدها ، علاقة كل من القصيدتين بالأخرى وترابطهما - إن استطعنا » . ثم يقول جديس : « وقد انتهى بي البحث - بطريق الأدلة وحدها غير متحيز لآراء سابقة - إلى أن أقبل رأي جروت Grote في بناء الإلياذة المركب (الثنائي) ، فهو الرأي العلمي الوحيد الذي ينال قبولا » . ففي تلك القصيدة تأليف مزدوج (ثنائي) ، والأخيلية Achilleid في الإلياذة هي النواة ، وقد نظمها شاعر آخر غير الشاعر الذي نظم القشور التي تحيط بها ، وأعتقد أن الحقائق تشير إلى هذا الرأي في وضوح وبيان . ولإني أبيع لنفسي أن أزمع أني قد قدمت أدلة جديدة تثبت صحة رأي جروت ونفاذ بصيرته في النقد . وقد تتبع هذا الموضوع بعد المرحلة الابتدائية التي خلفه فيها جروت ، ووجدت اتصالاً

(١) اسم كتابه : The Problem of The Homeric Poems ، وقد طبع في مطبعة مكلان في لندن سنة ١٨٧٨ وانظر ص ٣ إلى ٤ من المقدمة .

وثيقاً بين الأوديسة والأجزاء غير الأخيلية من الإلياذة ، ووجدت أن الأدلة تتجه اتجاهاً ملحوظاً إلى ربطهما كليهما بهومر الواحد الشخصى الذى تذكره الروايات .

وربما كان خير ما نعقب به على هذه الآراء المتباينة والنظريات المتضاربة ما أورده جديس نفسه فى كتابه بعد أن عرض وجوه الرأى المختلفة قال (١) : « يبدو لنا من هذا العرض العام لأميدان أن معركة النقد كانت مجالاً ، وما زالت الجيوش فى المعسكرات . عاجزة عن استدراج خصومهم من خنادقهم ، فنحن نرى ، من جانب ، صفّاً من النقاد يدعون وحدة التأليف ، ويرون أن الاختلافات والفروق إنما هى شكلية خارجية عارضة يسهل تفسيرها وإرجاعها إلى وسيلة النقل والرواية ، وهى لذلك ليست جوهرية . ونرى ، من جانب آخر ، صفّاً معادياً من النقاد مساوين لخصومهم فى العلم والحدق ، وأكثرهم فى ألمانيا ، يتجهون إلى تعدد التأليف ، فكل قصيدة — كما يرون — مجموعة ملفقة ليس فيها ترابط أصيل ، فالفروق والاختلافات إذن جوهرية لا يمكن اجتنبها . وفى مكان سَوَى بين هذين ، وتحت وابل رصاصهما كليهما ، يقف صف مشرد ضال شيئاً ما ، هو صف الانفصاليين الذين يرون أن كل قصيدة مفردة ذات وحدة ولها ناظم غير ناظم الأخرى . والداعون إلى الوحدة فى الأصل والتأليف يعارضون الولفيين الداعين إلى تعدد الأصل والتأليف ، بينما يتلقى الداعون إلى ازدواج الأصل والتأليف (الثنائية) الهجوم منهما كليهما . . » وكلما مضى المرء فى تتبع دراسات العلماء عن القصيدتين الهومريتين ، وأمعن فى الفوص فى أعماق أجزاء الدراسة وتفصيلاتها ، لم يسعه إلا أن يتذكر رأى سنيكا Seneca الذى أعلنه منذ عشرين قرناً حين رأى النقاد يتدارسون هاتين القصيدتين ويبحثون أصلهما وتأليفهما ؛ فقد كان يرى أن هذه الدراسة أمر يتطلب حدقاً ومهارة ولكنه حذق غير منتج ومهارة غير مُجدية (٢) .

(١) المصدر السابق : ١٠

(٢) جب ٥ هومر : ١٠٣ - ١٠٤

وسيلة حفظ الشعر الهومرى : الرواية الشفهية أم الكتابة ؟

وقد اختلف الدارسون في هذا الموضوع كما اختلفوا في سابقه ، وإن كانت شقة الخلاف هنا بطبيعتها أضيق . فقد ذهب بعضهم إلى أن القصيدتين الهومريتين لم تدونا إلا بعد نظمهما بقرون طويلة ، بينما ذهب فريق آخر إلى أنهما دونا منذ أن نُظمتا . فن الفريق الأول : يوسيفوس Josephus — في القرن الأول الميلادى — وهو أقدم من نعرف ممن ذهب هذا المذهب فقد قال ^(١) : « لا يمكن أن يكون الإغريق قد عرفوا في حرب طروادة هذا الاستعمال الحديث للكتابة الهجائية . ولم يكن للإغريق أدب قبل هومر ، وهومر عاش بعد الحرب . ويقولون إنه حتى هومر نفسه لم يدون شعره كتابة ، ولكن هذا الشعر كان ينتقل بالرواية الشفهية ، ثم جُمع جمعاً من الأغاني المبعثرة ، ومن هنا نشأت هذه الفروق التي تبدو لنا » .

ومن هذا الفريق أيضاً روبرت وود Robert Wood ^(٢) — في القرن الثامن عشر — وله كتاب : Essay On The Original Genius Of Homer . وقد بحث في أحد فصول كتابه هذا معرفة هومر للكتابة . وقد خلص من بحثه إلى أنه لم يكن يعرفها . وود هو أول من بحث هذا الموضوع بحثاً نقدياً . وقد قرأ ولف في عهد طلبه العلم في جوتنجن مقال وود ، وهو يشير إليه في مقدمته التمهيدية Prolegomena مشياً عليه . وكان لهذا المقال أكبر الأثر في ولف ، بل لقد صار رأى وود في الكتابة مفتاح نظرية ولف .

(١) جب ، هومر : ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق : ١٠٧ .

وثالث هذا الفريق هو رأس النقاد: ولف F.A. Wolf (المولود سنة ١٧٥٩) ^(١) فقد ذهب في كتابه « المقدمة » إلى أن القصيدتين الهومريتين قد نُظمتا من غير معونة الكتابة ، إذ أن اليونانيين كانوا حتى عام ٩٥٠ ق . م يجهلون الكتابة جهلاً تاماً ، أو أنهم لم يستخدموها لتقييد الأعمال الأدبية . وهو يرى أن القصيدتين قد نُقلتا في خلال قرون طويلة بالرواية الشفهية ، فتعاورتهما تغييرات كثيرة عمد إلى بعضها الرواة عمداً وجاء بعضها مصادفة ، وأنهما لم تدونا إلا في نحو سنة ٥٥٠ ق . م .

أما الفريق الثاني الذى ذهب إلى ترجيح تدوين القصيدتين منذ عهد قديم وربما منذ تَظْمِهما ، فأقدم رجاله : ديودور الصقلى في القرن الأول قبل الميلاد . فهو يرى أن الشعراء الذين سبقوا هومر قد عرفوا الكتابة واستخدموها في كتابة أشعارهم ^(٢) ، ويقول إن الشاعر لينوس Linus — وهو الذى اكتشف الأوزان الموسيقية والنغمات — كان أول من أدخل الحروف الهجائية الفينيقية إلى اليونان ، وأن هذا الشاعر كتب بهذه الحروف أعمال ديونيس والأساطير الأخرى ، وبهذه الحروف نفسها كتب أوفيدوس وبرونابيدس وهو أستاذ هومر . . .

ومن هذا الفريق أيضاً نيتش G.W. Nitzach ^(٣) ، وهو يمثل أول رد فعل ذى أثر ضد النظرية الولفية ، فقد أظهر أن استخدام الإغريق للكتابة كان أقدم مما ادعى ولف ، وأنها قد تكون استخدمت لتعين الحافظة قبل أن يكون هناك جمهور قارئ بوقت طويل .

وثالث هذه الطائفة : كرايست W. Christ ^(٤) الذى يذهب إلى أن الإلياذة قد كتبت قبل عهد بيزيزتراتوس ولكنها لم تدون مجموعةً كاملة ، بل كتبت في

(١) جب ، هومر : ١٠٨ .

(٢) Thomas W. Allen, Homer : The Origins and The Transmission, P. ١٣٣ .

(٣) جب — هومر : ١٢١ .

(٤) المرجع السابق : ١٢٨ .

صورة هذه الأغاني المنفصلة ، وبتناوين وأسماء منفصلة مختلفة ، وبيزيرتاتوس هو أول من جعل هذه المجموعة تدون في صورة كل موحد منظم .

ومن يصح أن يكون من هذا الفريق عالمان حديثان لا يقطعان قطع اليقين في هذا الموضوع ولكنهما يعرضانه عرضاً شاملاً لوجوه النظر المختلفة في حيطه وحلر ، ثم يخلصان إلى ترجيح كتابة القصيدتين منذ أقدم العهود . أولهما الدكتور جب R.C. Jebb^(١) . وسنيسط رأيه بعض البسط إذ أنه يعرض لوجوه من الرأي ذات قيمة كبيرة في بحثنا الأصلي عن الشعر الجاهلي . يرى جب أن الفرض الأساسي في نظرية ولف هو إنكار أن الكتابة الأدبية كانت محتملة الوجود عند الإغريق في نحو سنة ٩٥٠ ق . م . ثم يقول : ومهما يكن من أمر فإن هذا الفرض ليس ثابتاً مؤكداً كما اعتقد ولف ، وجدير بالعناية أن نلاحظ النقاط التالية :

١ - حقاً إن الشواهد الباقية من النقوش لا ترجع إلى أقدم من القرن السابع قبل الميلاد ، غير أنه لا يصح أن نزع أن استخدام الكتابة على الآثار والنصب سبق استخدامها في الشئون العادية . بل إن الفرض المضاد أقرب إلى الصواب . وإذا كانت الكتابة الإغريقية على أقدم أنواع الرخام الباقي غير متقنة فإن ذلك لا يدل بالضرورة على أن الإغريق لم يكونوا حينذاك يعرفون فن الكتابة ، بل يدل على أنهم لم يكونوا قد حذفوا نقش الحروف على الحجارة ، وقد يكونون - قبل ذلك بزمان طويل - قد حذفوا الكتابة على مواد ألين وأطرى وأسرع إلى الفناء والضياع : كأوراق الأشجار والرق والخشب والشمع .

٢ - إن التبادل التجاري بين الإغريق والفينيقيين - ومنهم اقتبس الإغريق حروف الهجاء - لا بد أنه كان شائعاً منذ نحو ١١٠٠ قبل الميلاد ، بل قبل ذلك . والفينيقيون - كما يشهد يوسفوس - قد استخدموا فن الكتابة منذ أقدم الأزمنة لا لتسجيل أعمالهم العامة حسب بل أيضاً في شئون حياتهم اليومية . ولأنه

ليكون عجباً لو أن شعباً له من سرعة الخطا ما لليونان — في تقدمه وسبقه في جميع ضروب الحضارة — قد تأخر عن اقتباس هذا المثل إلى زمن متأخر نسبياً في تطوره وتقدمه — أى إلى القرن السابع قبل الميلاد .

٣ — ونحن نعلم أيضاً أن قصائد بطولية طويلة — بعضها معروف باسم Cyclic — لم يتح لها من الانتشار ما أتيج لهومر ، قد نُقِلَت إلينا من القرن الثامن قبل الميلاد . ومن غير المحتمل أن تكون هذه القصائد المجهولة نسبياً قد حُفظت من غير عون الكتابة . ومن هذه القصائد : The Cypria المنسوبة إلى Stasinus و The Aethiopis المنسوبة إلى Arctinus . ومن المؤكد أن الشاعر Archilochus وشعراء القرن السابع ق . م الآخرين قد استخدموا الكتابة . وولف نفسه يعترف حقاً بأن الشعراء كانوا أحياناً يستخدمون الكتابة منذ زمن مبكر يرجع إلى سنة ٧٧٦ ق . م .

٤ — إن الاحتمالات ترجع الرأى القائل إن « العلامات المؤذية — Baneful Tokens » الواردة في الإلياذة (٦ : ١٦٨) تشير إلى ضرب من حروف الهجاء أو الكتابة الهجائية . وحتى لو سلمنا بأنه لم ترد أية إشارة إلى الكتابة في الإلياذة والأوديسة ، فإنه ليس ثمة دليل سليم يصح أن يستنتج من إغفال الشعر البطولي — المقصود للرواية والإنشاد — هذا الأمر إغفالاً قد يكون تقليدياً متفقاً عليه .

٥ — ويفرض هيرودوتس ، حينما يتحدث عن النقوش الإغريقية التي رآها في طيبة Thebes أنها ترجع إلى عدة قرون قبل زمنه . ويشبه هذا الاعتقاد بقدم الكتابة عند الإغريق قدماً صحيحاً ما نجده في الأدب اليوناني في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد .

٦ — إن الأبحاث الحديثة فنّدت الرأى القائل بأن القصيدتين لا بد أنهما نظمتا منذ زمن طويل يسبق تدوينهما لأنهما تستعملان ، في أحيان كثيرة ، صوتاً هو Digamma لا يُعرَف بأنه كان بصوراً في حرف في أية مخطوطة قديمة لهومر .

٧- إن فكرة « الاستخدام الأدبي للكتابة » تحتاج إلى تعريف وتحديد .
 فإذا كان المقصود بها « انتشار الكتابة انتشاراً واسعاً في عدة نسخ لقراءة الجماهير »
 فما لا ريب فيه أنه لا يبدو أن شيئاً من هذا القبيل قد وُجد قبل القسم الأخير
 من القرن الخامس قبل الميلاد . ولكن لنفرض أن رجلاً نظم عدداً من أبيات
 الشعر في مخيلته وخشى أن ينساها ، فإذا كان يستطيع أن يستخدم « العلامات
 الفنية » استخداماً مجدياً ليحفظ حساباته مثلاً أو مذكراته الأخرى ، فلماذا
 لا يحفظ بها أبيات شعره ؟ ذلك هو حقاً ما قصده ولف حيناً أجاز أن بعض
 الناس استخدم الكتابة لمثل هذه الأغراض منذ سنة ٧٧٦ ق . م . وربما لم يكن
 أحد يستطيع قراءتها إلا الشاعر نفسه أو أولئك الذين خلفها لهم خاصة . ومع ذلك
 فإنه يكون قد أفلح في مأربه ووصل إلى غايته .

والخلاصة أنه لا بد لنا من أن نفرق - وفقاً للنظرية الولفية - بين ثلاثة
 أمور تعتمد على احتمالات متفاوتة الدرجة وهي : النظم في الذاكرة Memorial
 Composition ، والنشر الشفهي Oral publication ، والنقل عن طريق الرواية
 الشفهية Oral Transmission .

(أ) أما النظم في الذاكرة فإنه من التسرع أن ننكر أن رجلاً ذا موهبة خارقة
 يستطيع أن ينظم الإلياذة والأوديسة من غير عون الكتابة . . .

(ب) أما النشر الشفهي فلا ريب أن القصيدتين الهوميريتين قد عرفهما
 اليونانيون قروناً طويلة في الغالب عن طريق إنشاد أجزاء متفرقة منهما .

(ج) غير أن العقبة الكأداء تنشأ من نظرية الحفظ والنقل الشفهيين حسب .
 إن هذه العقبة لا تتصل في أصلها بقدرة الحافظة البشرية ؛ إن الصعوبة الحقة
 هي أن حفظ هذه الأعمال الضخمة ونقلها - حفظاً ونقلًا قريبين من الدقة
 والضببط ، عن طريق الرواية الشفهية ، خلال القرون من غير عون الكتابة إنما
 يتطلب تنظيمًا وتدبيرًا ، لا أثر لهما ولا دليل عليهما عندنا . وأقرب شبيه بذلك
 يمكن استحضاره للذهن (كما في الهند) يتضمن أصولاً دينية أو كهنوتية .

وينبغي أن نتصور وجود رجال كهنوت هومريين أو زملاء تكون حياتهم من جيل إلى جيل موقوفة على هذا العمل . غير أن فكرة كهذه غريبة عن الروح الحرة التي تطورت فيها الحياة والفن عند الإغريق ، ولا يتفق ذلك أيضاً مع ما نعرفه من أمر الرواة والمنشدين المتجولين .

إن النتيجة العامة إذن هي : لا يمكن إثبات أن القصصيتين الهومريتين لم تُكتبتا سواء حينما كانتا في أصلهما تنظمان أم عَقِبَ ذلك . ولقد عرفهما العالم الإغريق مدة قرون في الغالب عن طريق أفواه الرواة والمنشدين ، ولكن ذلك لا يبنى أن الرواة والمنشدين كانوا يقتنون نسخاً مكتوبة . . .

ذلك هو رأى جب عرضناه عرضاً وافياً لتستبين لنا أطرافه ، وسنختم حديثنا عن كتابة القصصيتين الهومريتين بعرض رأى باورا في هذا الموضوع عرضاً لا يقلّ عن عرضنا لسابقه بسطاً وبياناً . بدأ باورا بحثه بسؤاله : هل يدين هومر ، بطريقة ما لاستخدام الكتابة ؟ ثم مضى يجيب بقوله ^(١) : لا ريب أن شعراء الملأحم في القرون الوسطى قد استخدموا الكتابة ، وهم مدينون لها بمعرفتهم الصور السابقة للقصص التي استخدموها ، وقد حفظوا نتائجهم بتسجيله كتابة . ولكن الأمر ، في حالة هومر ، غامض والأدلة ضئيلة . لقد وُجدت الكتابة في بلاد اليونان منذ زمن مبكر ، ولو أننا استثنينا العصر الميسيني Mycenaean Age ، فإننا ما نزال متأكدين من أنها استخدمت في القرن السابع ، وربما الثامن . فالنقوش على Thera ترجع إلى تاريخ مبكر جداً ، ولم يأت القرن السابع حتى شاعت الكتابة على الأواني . وقوائم إפורس السبارطية The Spartan lists of Ephors ترجع إلى نهاية القرن التاسع . والقوانين التي سنّها الرجال مثل Charondas ، Zaleucus تتضمن وجود قوانين مكتوبة في الشطر الأخير من القرن الثامن . ومع أن الكتابة قد وُجدت على عهد هومر ، فمن الجائز أنها لم تكن شائعة عامة ، أو أنها لم تكن تُستخدم على مدى واسع لتسجيل نتاج طويل مثل الإلياذة . . . وهومر نفسه

لا يدلنا على شيء ، وفي الوطن الوحيد الذى يشير فيه إلى الكتابة يغلّف إشارته بالغموض . وربما شعرنا حقاً أن ملحمة طويلة مثل الإلياذة لا بد أنها كتبت لأن حفظها يؤود المرء . وقد اعتمد ولف على هذه الفكرة اعتماداً كبيراً ، وهى تحتل مقاماً كبيراً فى « الملقمة » . ولكن الأبحاث الحديثة فندت رأيه ، فإن الرجال الذين لم تتعلم ذاكرتهم الاعتماد على الكتب يستطيعون أن يتذكروا قدراً ضخماً من الشعر ، وقد وُجد بين معاصرى Xenophon من حفظ الإلياذة والأوديسة معاً . ونجد لعهدنا هذا من وصل إلى هذه المرتبة بل من زاد عليها . وبعد أن يضرب باورا على ذلك بضعة أمثلة يمضى فى قوله : والإلياذة يصحّ ، للنظرة الأولى ، أن تكون من الشعر المكتوب ، ويصحّ أن تكون من الشعر المروى . ويمكن أن تُدعى كل من هاتين النظريتين فى أساسها بالأدلة ، ويكاد يكون من المستحيل تغلب إحداها على الأخرى . ثم يقول : ولا بد ، فى البدء ، من التمييز بين الشعر الذى يكتب لفائدة الشاعر نفسه حسب ، والشعر الذى يكتب ليقراه الناس . وكثير من الشعر الذى قصد منه أن يُنشد ويُروى كان يُكتب ، ليكون فى كتابته عون للشاعر المغنى على الامتداد والطول اللذين لا يحتملان . فخطوطة « أغنية رولاند » المحفوظة فى أكسفورد ليست إلا نصّاً كان يحمله شاعر مغنٍ ويستخدمه لإنعاش ذاكرته . بينما يبدو أن الخطوطة الوحيدة الباقية من « بيولف » كان يُقصد منها أن يقرأها العلماء . . . ومن الواضح أن الإلياذة لا تنتمى إلى هذا الضرب الثانى ، فهو مر لا يذكر شيئاً عن قراءة الكتب ، وجميع فنه خاضع لضرورات الإنشاد ؛ ولكن من الجائز أنها تنتمى إلى الضرب الأول ، والحق أنها تبدو كذلك لأسباب مرجحة . فللقصيدة بناؤها وشكلها كما أرادها الشاعر ، ومن البعيد أن يستطيع إضفاء هذا الانسجام والوحدة عليها لو أنه نظمها فى ذاكرته وعقله . فترابط المشاهد المختلفة ، وما فى القطع التالية من صدق القطع السابقة ، واتصال الحكايات المنفصلة فى ظاهرها ، كل ذلك يبدو أنه لا يمكن تعليقه لو أن الشاعر لم يكن بين يديه كتابه ، ولم يستطع الرجوع إليه كلما احتاج ، أو لبعيد النظر فيما كتب . حقاً إن ملتون نظم « الفردوس

المفقود» في عقله وذاكرته واستطاع مع ذلك أن يجعلها رائعة من الروائع ؛ ولكن مع أنه لم يكن يقرأ فإن الكلمات كانت تكتبها بناته ، وكان يستطيع الرجوع إليها كلما أراد . ومع ذلك فإنه من الجائز أن ذاكرة أحسن تمرينها وتدريبها تستطيع أن تستغنى عن المخطوطة ، ومن الجائز كذلك أنه كانت هومر مثل هذه الذاكرة . وهكذا نجد أن الجدل حول هذا الموضوع - على إغرائه - غير مفصّل إلى نتيجة . فلم تكن الإلياذة ذات التحام وثيق مثل الكوميديا الإلهية ، ولكن يمكن أن يقال إن سبب ذلك لم يكن لأنها لم تُكتب على الورق . وترجيح أنها قد كتبت يقوى حين نقارنها بالملاحم التي لم تكتب ولكنها نظمت في ذاكرة الشاعر ونقلت بالرواية ... غير أن خصائص هذه تختلف عن طبيعة الإلياذة... ثم يمضى باورا في حديثه إلى أن يقول : ولا قيمة للحجة التي يدلى بها ضد تدوين الإلياذة ، وهى : أن النص في القديم كان ذا قراءات مختلفة . فطرق الحكاية الهومرية تجعل من السهل الخطأ في الاقتباس . ومع ذلك فأى نص قديم عرضة للفساد والإقحام ، إن لم يكن أيضاً عرضة للتزيد والتوسع . وخطة الإلياذة الحاضرة تنفى فكرة التزيد والتطوير . . . ولكن لا شك أنه كان ثمة إقحام وإضافات ، فالآيات التي تذكر مدينة أثينا عدها القدماء مقحمة أضافها صولون أو بيزنراتوس ليسوعاً دعوى الأثينيين في ميجارا Megara . وثمة رواية فيها أن سيناثيوس Cynaethus الشاعر الجوال تصرف بالنص وأضاف إليه أجزاء من نظمه . ولكن هذه الحقيقة وحدها ، وهى أن هذه الإضافات قد اكتشفت وأشير إليها ، تبين أن النص كان معروفاً ويستطاع الرجوع إليه ؛ ولو لم يكن مكتوباً لكان من المستحيل تقريباً معرفة أية زيادة أو إقحام . وما يُسمى انسياب النص وتدفعه حقيقة واقعة لا شك ، ولكنها لا تدل على أن الإلياذة في أيامها الأولى كانت قصيدة تُحفظ في الذاكرة وتوجد في صور متعددة من نسخ مختلفة جداً ؛ وإنما تدل على أن روايتها المخطوطة المكتوبة كانت - كما هو الشأن في القصائد المبكرة الأخرى - غير دقيقة وعرضة للتحريف والفساد .

ثم يمضى باورا في حديثه فيقول : وتمتد جذور الصعوبة إلى موقف هومر

نفسه من الكتابة ، فأبطله لا يكتبون ولا يقدرّون على الكتابة ، وحينما اقترحوا ليقرروا من يحارب هكتور وضع كل منهم علامته على سهمه ورماه في القلنسوة ، ولكن لم يكن أحد يعرف غير علامته وحدها . وينتج من ذلك أنه لم يكن لديهم نظام مشترك للكتابة . غير أن هومر يميز وجود الكتابة في قصة Bellerophon ، ففيها ذكر للكتابة ولكن هومر يلفها بألفاظ غامضة مبهمه . . . وليس في الإلياذة ، سوى ذلك ، ذكر للكتابة . والنتيجة التي يمكن الوصول إليها هي أن الكتابة وُجدت ، غير أن جمهور هومر ومستمعيه لم يهتموا بها وعدوها أمراً شاذاً . أما الشاعر نفسه فربما كانت حاله مختلفة عن ذلك . إذ لعله كان قد تعلم الكتابة من حيث هي سر من أسرار صناعته وكان حريصاً على ألا يكشف السر لجمهوره . وهذا الاحتمال يفسر غموض لغته وإبهامها في الوطن الوحيد الذي ذكرت فيه الكتابة ، فسواد الناس يجب ألا يعرفوها ، وحينما لا يكون بدءاً من ذكرها ، فيتجنب الوصف الواضح الدقيق .

ويرى باورا أن هذه الدلالات ، على ضآلتها ، ترجح أن هومر كان يكتب ، ولكنه كان يكتب لفائدته هو ولاستعماله الشخصي لا من أجل أن تُقرأ قصيدته . فمن الإلياذة جميعه يدل على أنه قصد منها أن تُنشد وتُروى ، لا لتحفظ في المكتبة ؛ وهذه الحقيقة كما سنرى ، توضح لنا بعض ملامحها الكبرى . فلا بد أن تختلف القصيدة المروية في طبيعتها وخصائصها عن القصيدة التي تُقصد للقراءة . . . وهكذا نجد آخر الأمر أن لا قيمة كبرى لسؤالنا : هل كتب هومر أو لم يكتب ؛ وإنما الأمر المهم هو أنه نظم قصيدته للرواية والإنشاد . وسواء أنظمها وهو يكتب على الورق أم نظمها في ذاكرته وعقله فذلك لا يؤثر في طبيعة القصيدة كما هي بين أيدينا .

المدارس التي عُنيت بهومر :

ونحن مستطيعون أن نقسم هذه المدارس من حيث الزمن إلى ثلاثة أطوار :
أولاً : ما قبل العصر الإسكندري . ثانياً : العصر الإسكندري . ثالثاً : ما بعد
العصر الإسكندري .

(١) ما قبل العصر الإسكندري :

لم تكن العناية بهومر وقصيدته قبل العصر الإسكندري عناية نقدية علمية ،
ولمّا كانت على ضروب شتى من التناول اليسير الخفيف ، فهي حيناً إشارة عابرة
إلى هومر وشعره الملحمي ، وهي حيناً ثانياً اقتباس لبعض الأبيات أو المقطوعات
من ملحمتيه ، وهي حيناً ثالثاً شرح لبعض ما يغمض على السامعين من ألفاظه
أو إشارات القصصية ، وهي حيناً رابعاً تفسير عام لمذهبه في التحدث عن الآلهة
والأبطال . ولذلك رأينا أن نرتب هذه الضروب المتعددة من العناية بهومر قبل
العصر الإسكندري في طوائف أربع ، هي :

١ - الشعراء أنفسهم : فنحن نجد أن أقدم ذكر لهومر - عثر عليه الباحثون
حتى الآن - هو إشارة وردت في قصيدة ضائعة للشاعر كالينوس Callinus
(في آخر القرن الثامن ومطلع القرن السابع قبل الميلاد) ، ولم يكن الباحثون
ليعرفوا ذلك لولا ما أورده الكاتب الجغرافي بوزانياس Pausanias من ذكر لهذه
القصيدة ومن قوله إن كالينوس قد أشار في قصيدته إلى أنه كانت قصائد أخرى
غير الإلياذة والأوديسة تُعزى إلى هومر ، مثل المقطوعة البطولية Thebais^(١)

(١) جب ، هومر : ٨٥ و ٨٨ .

ثم وجد الباحثون أن أول من اقتبس من هومر — ممن يُعرفون حتى الآن — هو الشاعر سيمونيد السيوسى Simonides of Ceos (الذى ولد في نحو سنة ٥٥٦ ق.م) فقد اقتبس من الإلياذة ٦ : ١٤٨ .

٢ — الفلاسفة : وقد عنى الفلاسفة منذ القرن السادس قبل الميلاد بشعر هومر ، وثار بعضهم ، في مطلع التأمل الفلسفى فى اليونان ، على التصوير الهومرى للآلهة^(١) . فقد قال إكزينيوفان Xenophanes of Colophon « إن هومر وهسيود قد نسبوا إلى الآلهة كل عيب ونقص فى الناس » . ومن هنا نشأت المدرسة المجازية فى تفسير هومر . وأقدم هؤلاء المجازيين هو ثياجن الريجيومى Theagenes of Rhegium ، الذى وصل بين نوعين من المجاز انفصلا بعد ذلك هما : المجاز الخلقى (العقل) والمجاز الحسى . وهكذا كانت Hera هى الهواء ، وأفروديت هى الحب . وقد نما التفسير الخلقى فى القرن التالى على يد أناكساجوراس Anaxagoras الذى فسر Zeus بالعقل ، وأثينا بالفن . أما التفسير الحسى فقد تطور على يد Metrodorus of Lamsacus . وقد كان شعر هومر ووصفه الآلهة سبباً من الأسباب التى دعت أفلاطون إلى أن يبعد الشعراء من جمهوريته .

٣ — المؤرخون : وقد عنى المؤرخون اليونانيون بهومر — منذ أن بدأ التاريخ عندهم . ومن هؤلاء هيرودوت Herodotus وثوسيديد Thucydides فى القرن الخامس قبل الميلاد . وقيمة هيرودوت فى أنه كان أول من شك — أو على الأقل من بين الأوائل السابقين إلى الشك — فى نسبة بعض القصائد البطولية إلى هومر . فهو يرى — على أسس نقدية — أن المقطوعة البطولية التى تدعى Cypria ليست من نظم هومر ، ولكنه لم يذكر الناظم الحقيقى . ونقدُهُ هذا يدل على أن السواد لم يكونوا يشكون فى نسبتها إلى هومر ، كما أن هيرودوت نفسه لم يكن يعرف رواية صريحة تنفى نسبة هذه المقطوعة إلى هومر . وقد شك أيضاً فى نسبة قصيدة

أخرى تدعى Epigoni ولكن حديثه عنها مقتضب غير قاطع^(١) . وأما قيمة ثوسيديدس في أنه قدم لنا في تاريخه أمثلة على نوع من تفسير شعر هومر يحول العنصر القصصى إلى حقائق تاريخية واضحة ، وذلك حينما فسر ذهاب اليونانيين إلى طروادة ، فهو يرى أن رؤساء اليونان لم يذهبوا إلى طروادة لأنهم وعدوا والد هيلانة أن ينتقموا لها . ولكنهم ذهبوا لأن قوة أجا ممنون ساقطهم واضطرتهم إلى ذلك . وقد نعى كالستين Callisthenes (في نحو سنة ٣٣٠ ق . م) هذه الطريقة في التفسير تنمية كاملة ، وخصّ ، في كتابه تاريخ اليونان ، الحرب الطروادية بكتاب مستقل . ويظهر هذا الاتجاه في مواطن متعددة من تواريخ المتأخرين التاليين مثل : بوليبيوس Polybius ، وديودور Diodorus ، وسترابو Strabo ، وباوزان Pausanias^(٢) .

٤ - الرواة المنشدون : وآخر هذه الطوائف ، وربما أقدمها عهداً ، هم الرواة المنشدون ، الذين كانوا يروون شعر هومر وينشدونه وهم يتنقلون بين البلاد المختلفة . ويصف لنا إفلاطون في إحدى محاوراته على لسان سقراط (هي : Ion) أحد هؤلاء الرواة المتجولين واسمه إيون - وكان يعيش في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد . ويذكر إفلاطون أن إيون كان يشرح شعر هومر ويفسره ، وأن بعض المنشدين المتنافسين كانوا ينشدون ولاءً : يبدأ أحدهم من حيث انتهى الآخر . ويرى الدكتور جب^(٣) أنه لا بد إذن من أن تعقيبات إيون وشروحه كانت تُلقي مفصولة عن إنشاده ، أو أنها كانت متصلة بالقطع التي كان هو يقوم بإنشادها حسب . ويتضح من محاوره إفلاطون أن شروح إيون وتعقيباته على هومر كانت تتخذ مظهر المعرض البلاغى الأدبى المتصل ، وكان إيون يفخر بطلاقته وبروة « آرائه عن هومر » كما يعبر إيون نفسه .

(١) جب ، هومر : ٨٥ ؛ وألان ، هومر : ٧٠ .

(٢) جب ، هومر : ٩٠ .

(٣) المرجع السابق : ٨٠ .

(ب) العصر الإسكندري :

غير أن النقد الهومري بمعناه الدقيق الخاص لم يظهر إلا في الإسكندرية منذ مطلع القرن الثالث قبل الميلاد . وقد جُمعت موادّه لأول مرة في المكتبات العظيمة مثل مكتبة الإسكندرية ، ثم مكتبة بروجام ، منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد . وقد استقى الباحثون معلوماتهم عن هذه المواد من نسخة « الحواشي الهومرية — Homeric Scholia » . ولا يعنيّا من أبحاث هؤلاء الدارسين إلا إلمامة عابرة نتي بغرضنا ، ومن أجل ذلك لن نشعّب الحديث ولن نتتبع الباحثين فيما فصلوا فيه القول ، وإنما سنختصر الإشارة اختصاراً يفي عن الإسهاب والتطويل ^(١) .

تنقسم نسخ هومر في مكتبة الإسكندرية إلى قسمين : ١ — النسخ التي تُعرف بأسماء محرريها وناسخيها . وأقدم نسخة من هذا القسم هي التي صنعها الشاعر البطولي أنتيماخ الكلاري Antimachus of Clarus في إيونيا (نحو سنة ٤١٠ قبل الميلاد) . ٢ — وأما القسم الثاني فهي النسخ التي تعرف بأسماء البلدان حسب . وهي نسخ : مساليا Massalia ، وكيوس Chios ، وأرجوس Argos ، وسينوب Sinope ، وقبرص Cyprus ، ويشار إليها مجموعة باسم « النسخ البلدانية » . وليس من دليل على أنها كانت النسخ المعتمدة لاستعمال الجمهور ، وأسماء مصححيها ومنقحيها غير معروفة . وبجانب هذين القسمين كانت نسخ توصف بأنها عامة أو شعبية ، وهذه هي نفسها التي توصف بأنها غير دقيقة إذا ما قورنت بالنسخ الدقيقة أو العلمية . وهذه النسخ جميعها التي عرفها الإسكندريون لا بد أنها كانت تعتمد على نص شائع أقدم منها نجهل مصادره . ويبدو لنا هذا من الاختلافات المحدودة والفروق الضيقة بين نصوص هذه النسخ ، فلو لم تكن هناك أسس عامة لرواية منقولة لوجدنا في نسخ الإسكندرية فروقاً واسعة واختلافاً كبيراً في ترتيب الأبيات .

(١) المعلومات التالية عن علماء مدرسة الإسكندرية ملخصة من كتاب الدكتور جب عن

وأقدم جهد في النقد الهومري في مدرسة الإسكندرية يرجع إلى فترة تتراوح بين ٢٧٠ و ١٥٠ قبل الميلاد ، وقد قام به ثلاثة رجال : زينودوت Zenodotus ، وأرسطوفان Aristophanes ، وأرستارخ Aristarchus .

أما زينودوت فقد كان قيماً على مكتبة المتحف الإسكندري ، ونشر نسخة منقحة لهومر ومعجماً هومرياً ، ويبدو زينودوت - في هذا العصر من فجر العلم الجديد - رجلاً موهوباً ذا هدف نقدي ، ولكنه تعوزه الطريقة النقدية الصالحة . فقد ألح على دراسة هومر ولكنه أخفق في إرساء هذه الدراسة على أسس سليمة ، وأحد أسباب إخفاقه أنه لم يُعنَ بالتمييز بين الاستعمال الشائع المؤلف للألفاظ واستعمال هومر لها استعمالاً خاصاً ، ولم يميز كذلك تمييزاً كافياً بين اللهجة الإيونية القديمة واللهجة الإيونية المتأخرة ، فأوقعه اعتماداه المطلق على إحساسه الشخصي بروح هومر في تصحيحات وتصويبات قاطعة . ومع ذلك فقد فتح أفقاً جديداً ونال مصنفه شهرة واسعة .

وأما أرستوفان (في نحو ٢٠٠ ق . م) فقد كان تلميذ زينودوت ، وخلفه - في غير تعاقب - على منصب أمانة المكتبة . ونشر أيضاً نسخة منقحة من هومر . وكان يُعنى بدلالات النصوص المخطوطة عناية تفوق عناية زينودوت . وأتاح له اطلاعه الواسع وعلمه الغزير أن يثبت في حالات كثيرة قراءات جرحها سلفه تجريحاً كان متسرعاً فيه .

وأما أرستارخ فكان تلميذ أرستوفان وخليفته في أمانة المكتبة ، وظهر نشاطه في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد . وينقسم ما قدمه للدراسة الهومرية إلى ثلاثة أقسام : ١ - رسائل عن بعض المشكلات الهومرية ومواطن الاختلاف ٢ - تعقيبات متصلة على النص الهومري . ٣ - نسخ منقحة للنص الهومري . وقد استخدم في النص الهومري الذي نشره مجموعة من العلامات والرموز النقدية تدل القارئ ، بنظرة واحدة ، على البيت الذي يراه أرستارخ منحولاً زائفاً ، وعلى البيت الذي يرى أنه في غير موضعه من ترتيب القصيدة ، وعلى البيت الذي

بشتمل على أية إشارة وضوحها في تعليقاته .

وبعد أرسطارخ أعظم العلماء الإسكندرانيين وخير ناقدى هومر من بين الأقدمين ، وذلك لعدة عوامل منها : ١ - أنه درس بعناية استعمال الألفاظ في هومر مدرّكاً أن نقد المادة يجب أن يعتمد على معرفة دقيقة باللغة . أما النحويون واللغويون الذين سبقوه فقد وجهوا عنايتهم إلى الألفاظ النادرة أو المهجورة خاصة . ثم حمد أرسطارخ إلى تحديد المعنى الهومرى للألفاظ الشائعة المألوفة . ٢ - وقد كان للمصادر المخطوطة قيمة كبيرة عنده حينما صنع نسخته من النص الهومرى . وحينما كانت الموازنات والمقابلات تسلمه إلى شك في قراءتين كان يستهدى « باستعمال الشاعر الخاص » . فهو يبدو في الغاية من الحذر والحيلة ، بعيداً عن التسرع في تخطئة النصوص أو تصويبها . ولو قارناه بزينودوت لوجدناه يتحرج من القراءات التي تعتمد على الحدس والظن . ٣ - علق على مادة هومر ، فوازن بين الأساطير عند هومر والأساطير نفسها عند غيره من الكتاب ، وأظهر العناصر المميزة للحضارة الهومرية .

وكل ما نعرفه عن مصنف أرسطارخ وصلنا عن طريق بعض العلماء الذين تلوّاه مثل : ديدم Didymus وأرسطونيخ Aristonichus . أما ديدم فنحوى إسكندري كتب - بعد وفاة أرسطارخ بنحو ١٢٠ سنة - رسالة عن النسخة المنقحة التي صنعها أرسطارخ ، وكان هدفه أن يقوى القراءات التي اختارها أرسطارخ ، وأن يستخلص فكرة واضحة كاملة عن آرائه وتعليقاته من كتاباته الكثيرة عن هومر . وأما أرسطونيخ فنحوى إسكندري أيضاً معاصر لديدم وإن كان أصغر منه سنّاً . وقد كتب رسالة عن العلامات النقدية التي استخدمها أرسطارخ في الإلياذة والأوديسة ، وسرد - في رسالته هذه - آراء أرسطارخ عن الأبيات الشعرية التي وضعت أمامها العلامات المختلفة . وأشهر علماء الإسكندرية - بعد هؤلاء - هيروديان Herodian ، ونيكانور Nicanor في النصف الأول من القرن الثاني للميلاد .

وأما المدرسة الأخرى فقد قامت في مدينة برجام Pergamum في ميسيا Mysia حينما أنشأ إيومين الثاني Eumenes 2 في أوائل القرن الثاني ق . م المكتبة العظيمة التي صارت تنافس مكتبة الإسكندرية . ومن أشهر علماء هذه المدرسة كريتنس Crates الذي كان معاصراً لأرستارخ وأميناً لمكتبة برجام .

ومن أشهر نسخ الإلياذة التي وصلت إلى الباحثين الأوروبيين هي النسخة التي تُدعى Codex Venetus A ورقمها ٤٥٤ في مكتبة القديس مارك في مدينة البندقية . وقد كتبها أحد النساخ في القرن العاشر الميلادي فجعل نص الإلياذة متناً ثم جعل له حواشي عُرفت باسم الحواشي الهومرية Homeric Scholia وأهم ما تحويه هذه الحواشي مصدران ؛ الأول : ما يسمى بالمختصر The Epitome وقد قام بصنعه أحد دارسي الإلياذة (في نحو سنة ٢٠٠ - ٢٥٠ ميلادية) فاستخلص مقتطفات من أعمال الكتاب الأربعة الإسكندرانيين : ديلم وأرستونيخ وهيروديان ونيكانور . وهذا المختصر هو المصدر الرئيسي الذي استقى منه الباحثون معلوماتهم المفصلة عن آراء أرستارخ . وأما الجزء الثاني من الحواشي فيبدو أنه مجموعة كبيرة من التعليقات مختارة من عدة مصنفين ثم جُمعت معاً في آخر القرن الثالث الميلادي . وهذا الجزء الثاني - إذا ما قورن بالمختصر - لا يُعنى مثله بنقد النصوص ، غير أنه يفوقه في التأويل والتفسير المجازيين ، وفي الأساطير ونقد الأسلوب الشعري .

(ح) ما بعد العصر الإسكندري ^(١) :

وقد واصل العلماء والدارسون جهودهم في دراسة القصصيتين الهومريتين ، ولكن هذه الدراسات كانت في مجموعها تدور في فلك يكاد يكون واحداً لاتعدوه ؛ إلى أن جاء فردريك أغسطس ولف في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وأصدر كتابه المعروف باسم « المقدمة » Prolegomena سنة ١٧٩٥ . وتقوم دراسته على أربع نقاط رئيسية : ١ - أن القصصيتين الهومريتين لم تدونا إلا في نحو

(١) جب ، هوير : ١٠٣ وما بعدها . .

سنة ٥٥٠ ق . م أى بعد نظمهما بقرون كثيرة ، وقد بقيتا خلال هذه القرون تنافلان بالرواية الشفهية ، فاعتورتها تغييرات وتبديلات كثيرة عمد إلى بعضها الرواة عمداً وجاء بعضها مصادفة . ٢ - وقد تعاورتها - حتى بعد أن دونتا - تغييرات أخرى جديدة عمد إليها المصححون والمراجعون عمداً ، أو قام بها النقاد العلماء الذين توخوا صقلهما وجعلهما متسقتين مع صور تعبيرية أو أصول فنية معينة . ٣ - أن للإلياذة وحدة فنية ، وتفرقها في ذلك أيضاً الأوديسة ، ولكن هذه الوحدة لا ترجع في جلّها إلى القصيدتين الأصليتين وإنما إلى ما أضافته إليهما المعالجة المصنوعة في عهود تالية . ٤ - أن القصائد الأصلية التي ضُمّت وجُمعت حتى صارت ما نعرفه من ملحمتي الإلياذة والأوديسة لم ينظمها كلها شاعر واحد بعينه .

وجميع أدلة نظرية ولف في جوهرها خارجية ، فهي مبنية على اعتبارات تاريخية معينة تتصل بالحضارة الإغريقية المبكرة وبتطور الفن الشعري . وقد وصف لنا - في مقدمة طبعته للإلياذة - ما أحس به حينما كان ينفلت من عقال نظريته إلى قراءة القصيدتين قراءة جديدة ، فحينما كان يغمر نفسه في تيار القصة البطولية الذي ينساب انسياب النهر النخيل كانت جميع أدلته تتطاير من رأسه ، وكان الانساق والانسجام الشاملين في القصيدتين يؤكدان نفسيهما بقوة لا تقاوم ، وكان ولف يحس بالآلم والغضب لأن شكوكه حرمة نعمة الإيمان بهومر واحد . ومع ذلك فقد ذكرنا قبل صفحات أن ولف لم ينكر وجود شخص هومر نسب إليه أنه بدأ نسج القصيدة ومضى فيه إلى غاية محدودة ، بل إنه نسب إليه القسم الأكبر من النسيج . ومن هنا جاءت مرونة نظرية ولف التي أشرنا إليها من قبل ، وجاء اختلاف فهم تلامذته لهذه النظرية وذهابهم مذاهب متفرقة مع أنهم يصدرون عن مصدر واحد . والحق أنه من المحجف بحق ولف ، حينما يقوم عمله ، أن يُظهر بمظهر الناقد الهادم حسب : فإن فضله على الدراسات الهومرية كبير ، ولا يسه هؤلاء الذين يختلفون معه في نتائجه

الأساسية اختلافاً واسعاً إلا أن يُقرأ بأنه كشف القناع عن عدة مظاهر تصلح أساساً لنظرية سليمة ، وأنه أول من بدأ دراسة القصيدتين دراسة علمية^(١) . غير أن العنصر التحليلي في نظريته هو الذى لفت الأنظار لأنه حينما نشرها كانت تبدو في موقف متميز تميزاً كبيراً من الاعتماد القديم بأن ناظم القصيدتين شاعر بعينه هو هومر الواحد . ومن هنا جاء الربط بين عمله والاتجاه إلى المدم الصرف ، وهو اتجاه بعيد عن روحه^(٢) .

ومما هو جدير بالذكر أنOLF كتب على « المقدمة » رقم ١ وذكر في ص ٢٤ منها أنها « القسم الأول Para Prima » ، غير أن الجزء الثانى - وهو الذى كان يجب أن يبحث في أصول نقد النصوص الهومرية - لم يطبع قط^(٣) . وبذلك لم يواصل هذا الناقد العظيم السير في نظريته حتى يصل بها إلى مرحلة الكمال ، فلم يعرض قط - في تخطيط عام - نظاماً أو نهجاً للأغاني والأناشيد المجزأة التى تجمع منها - وفقاً لنظريته - إطار كل قصيدة من هاتين القصيدتين وهيكليهما . وإخفاقه في هذا العمل ، أو تغاضيه عنه - في خلال حياة طويلة بعض الطول ، وفي أوج نشاطه بعد طبع « المقدمة » (طبعت المقدمة سنة ١٧٩٥ وتوفىOLF سنة ١٨٢٤) - أمر يجعلنا نشك في أنه كان يؤمن بإمكان هذا التشريع والتقطيع اللذين تتضمنهما نظريته^(٤) .

وقد ساعد على ذلك التأثير الواسع الذى كان لنظريةOLF ، وخاصة في عقول الشبان الألمان معدة دوافع منها^(٥) : أن الثورة الفرنسية كانت آنذاك في إبانها ، وكان الجو مفعماً بالتناقض والبدع . وأهم من ذلك أن هذه النظرية ظهرت في وقت أثار فيه الاهتمام الواسع ، في بقاع مختلفة من أوروبا ، الكشف عن قدر

(١) W.D. Geddes, The Problem of The Homeric Poems, P. 9

(٢) جب ، هومر ١٥٧

(٣) المرجع السابق : ١٥٧ في الهامش .

(٤) جديس ، مشكلة المصديتين الهومريتين : ١٥

(٥) المرجع السابق : ٩ .

صالح من الشعر الشعبي وفيه دليل على الحيوية الظاهرة في هذا الشعر حتى حينما يُجهل ناظمه وتكون مميزاته غير واضحة المعالم ، وكان ذلك الشعر أيضاً على غير مثال أدبي سابق ، وإنما كانت وسيلة نقله الرواية الشفهية . فكأنما كان هذا الشعر مثلاً يوضح النظرية الولفية في افتراضها الأساسي . وأوضح ما يصف لنا ميزات القرن الثامن عشر والفرق بينه وبين القرن التاسع عشر ما ذكره جوته Gothe^(١) . فقد كان جوته تحت تأثير السحر الولفي ، وقد وصف ما جاء في كتابه « المقدمة » بأنه « قطعي وحتمي وذاتي » ، ثم تارجح رأيه إلى أن استقر أخيراً على الرأي القديم حينما استطاع أن يتثبت من « وجود هومر ثانية » ، وكان ذلك بعد أن انتهت « أعمال القرن الثامن عشر القائمة على التمزيق والتقطيع » ، وابتدأت روح « التنسيق والترتيب » — كما كان يسميها هو نفسه — في القرن التاسع عشر .

ولم يكن جوته وحده هو الذى تأثر بسحر النظرية الولفية ثم نفى عن نفسه هذا السحر ، بل إن آخرين كانوا مثله ، ومن أهمهم نيتش Nitzsch^(٢) فقد خلّف لنا اعترافاً ذا قيمة بعد أن اختبر بنفسه أعاصير الخصومة في المشكلة الهومرية ، فبعد أن ألف كتاباً بذل فيه جهداً ضخماً يدعم تعدد التأليف — مما يوضح ويفسر نظم قصيدتين ملحمتين في مثل هذا الطول — عاد فرد على نفسه واعترف بوحدة التأليف في الملحمتين !

ومع ذلك فإن ألمانيا في القرن التاسع عشر بقيت في أغلبها ولفية ، وبالرغم من نشوء نظريات مضادة لنظرية ولف ، وردود العلماء عليه في حياته وبعد وفاته ، فإن جمهرة العلماء في ألمانيا ما زالوا ولفيين حتى يومنا هذا^(٣) . وأما في

(١) جديس ، مشكلة القصيدتين الهومريتين : ١٢ - ١٣ .

(٢) المرجع السابق : ١٤ في الهامش .

(٣) المرجع السابق : ١٣ .

إنجلترا وفرنسا فلم يكن أثر النظرية الولفية في الأوساط العلمية في هذين البلدين قوياً كما كان في ألمانيا^(١) .

وبعد ؛

فلم نقصد إلى هذا الموضوع لذاته حتى نشعب الحديث في أجزائه ونتبع تفصيلاته ، وإنما اتخذناه معبراً نجتازه إلى الحديث عن الشك في الشعر العربي الجاهلي . وحسبنا ما قدمنا ففيه غناء إذا ما أردنا أن نستبين وجوه الشبه بين المراحل التي مرت بها الدراسات الأوروبية والدراسات العربية القديمة والحديثة للشعرين الهومري والعربي الجاهلي .

افصل الثانى

وضع الشعر الجاهلى ونحله

عند الأقدمين

١

الوضع والنحل والانتحال كلها ظواهر أدبية عامة ، لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم ، ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الأجيال . فقد عرفها العرب كما عرفتھا الأمم الأخرى التى كان لها نتاج أدبى ؛ وعرفھا العصر الجاهلى كما عرفھا العصر الأموى والعصر العباسى ، بل كما لا يزال يعرفھا عصرنا الحاضر الذى نحيا فيه ، على الرغم من وسائل الحضارة الحديثة التى كانت قميئة أن تبرئ نتاجنا من هذه الظواهر لو كان ثمة سبيل إلى الخلاص منها . فشيوع الكتابة شيوعاً عاماً ، وانتشار الطباعة بصورها المتعددة وأنماطها الكثيرة ، لم يحولا دون أن يُنسب إلى شاعر شعرٌ لم يقله ولا يدري من أمره شيئاً ، ولم يستطيعا أن يذودا عن شعر قاله صاحبه بغير المعتدين وسطوة المدّعين المتحلين .

ولم يكن الوضع أو النحل أو الانتحال مقصوراً على الشعر وحده ، بل لقد شمل كل ما يمت إلى الأدب العام بسبب : كالنسب والأخبار — منذ الجاهلية نفسها . ولقد بدأ الكذب والوضع في الحديث النبوى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحسبنا من كل ذلك لحة عابرة نتقل بعدها إلى تخصيص الحديث في الشعر وحده . فما يدل على أن الوضع والكذب في النسب قديم منذ الجاهلية وعصر الرسول — أن النبي عليه السلام كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معدّ

ابن عدنان بن أدَد ثم يمسك ويقول : كذب النسابون^(١) . وكذلك ما ذكره الهيثم بن عديّ في « كتاب المثالب »^(٢) من أن دغفلاً النسابة دخل على معاوية فقال له معاوية : من رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب ابن هاشم وأمّية بن عبد شمس . فقال : صفهما لي . فلما وصف له عبد المطلب قال : فصف أمّية . قال : رأيت شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان . فقال : مه ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قلتموه بعد وأحدثتموه ، وأما الذي عرفتُ فهو الذي أخبرتك به . وقد ذكرنا طرفاً من الكذب في النسب عند حديثنا عن الرواة الوضاعين ، وسنذكر طرفاً آخر حين نتحدث عن أسباب الوضع ودواعيه .

وأما الوضع والكذب في الحديث النبوي منذ عهد الرسول نفسه فأمر لا يحتاج إلى بيان ، وليس أدل على ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علىّ فليتبوأ مقعداً من النار »^(٣) . وقد جاءه ذات يوم المنقّع بن الحصين فقال : يا رسول الله إن الناس خاضوا في كذا وكذا . فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : « اللهم لا أحل لهم أن يكذبوا علىّ » . قال المنقّع : فلم أحدث بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً نطق به كتاب أو جرت به سنّة ، يكذب عليه في حياته فكيف بعد موته !^(٤) . وقد تنبه الصحابة في الصدر الأول إلى شيوع الكذب والوضع في الحديث ، حتى إن سعد بن أبي وقاص حينما سئل عن شيء في الحديث استعجم وقال : إني أخاف أن أحدثكم واحداً فتزيدوا عليه المائة^(٥) . وحتى إن عبد الله بن عمرو بن العاص قال للجماعة من أهل

(١) ابن سعد ، الطبقات ١ : ٢٨ .

(٢) الأغاني ١ : ١٢ .

(٣) ابن سعد ١/٣ : ٧٥ .

(٤) ابن سعد ٧ : ٤٣ - ٤٤ .

(٥) ابن سعد ١/٣ : ١٠٢ .

العراق جاؤوا يسألونه أن يحدّثهم^(١) : إن من أهل العراق قوماً يكذبون ويكذبون ويسخرون . بل لقد بلغ الأمر أكثر من ذلك :

فقصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مشهورة : كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، ثم ارتد ولحق بالمشرّكين وقال - في زعمه - : إن محمداً ليكتب بما شئت^(٢) . وذكروا أنه كان يكتب « عزيز حكيم » مكان « غفور رحيم »^(٣) . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود وقال : لا آمن أن يبدلوا كتابي^(٤) ! .

فلذا ما انتقلنا بعد ذلك إلى تخصيص الحديث في الشعر وحده ، وجدنا أن الشعر الجاهلي كان عرضة ، منذ الجاهلية نفسها وسنوات الإسلام الأولى ، للوضع والتحل والانتحال . والأمثلة التي بين أيدينا قليلة ولكن فيها مقنعاً ، إذ أنها تدل دلالة واضحة على أن هذه الظواهر الأدبية كانت معروفة شائعة منذ أبعد ما نعرف من عصور الشعر العربي .

فقد قال أبو عبيدة^(٥) : كان قُرَاد بن حَنْش من شعراء غطفان ، وكان جيد الشعر قليله ، وكان شعراء غطفان يغيرون شعره فتأخذونه وتدّعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ادّعى هذه الأبيات :

إِن الرِّزْيَةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا	مَا تَبْتَنِي غُطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ
إِنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَنِي ذَا مِرَّةٍ	بِجَنُوبٍ نَخَلٌ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ
وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ لَنَا إِذَا	نَهَلْتَ مِنَ الْعَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتْ
يَنْعَوْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ كَرِيهَةٍ	عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُمْ هُنَاكَ وَجَلَّتْ

(١) ابن سعد ٢/٤ : ١٣ .

(٢) الجهمي ، كتاب الوزراء والكتاب : ١٣ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف : ١٤٩ .

(٤) المقرئ ، لمتاع الأصماع : ١٨٧ .

(٥) طبقات ابن سلام : ٥٦٨ - ٥٦٩ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّابِغَةَ الْجَمْعِدِيَّ دَخَلَ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَوَدَّعَهُ ، فَقَالَ لَهُ
الْحَسَنُ (١) : أَنْشَدْنَا مِنْ بَعْضِ شَعْرِكَ ، فَأَنْشُدْ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا

فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا لَيْلَى ، مَا كُنَّا نَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ إِلَّا لِأُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ .
قَالَ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَوَّلِ النَّاسِ قَالُهَا ، وَإِنَّ السُّرُوقَ مِنْ سُرْقِ أُمِيَّةَ شَعْرِهِ .
وَكَانَ الْأَعَشِيُّ قَدْ مَدَحَ قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرْبَ الْكِنْدِيَّ بِقَصِيدَةٍ دَالِيَةٍ (٢) ،
فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : إِنَّكَ تَسْرِقُ الشَّعْرَ . فَقَالَ لَهُ الْأَعَشِيُّ : قَبِّدْتَنِي فِي بَيْتٍ حَتَّى
أَقُولَ لَكَ شَعْرًا . فَجَبَسَهُ وَقِيدَهُ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْنِكَارًا وَشَطَطْتَ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا
وَفِيهَا يَقُولُ :

وَقَبِّدْتَنِي الشُّعْرُ فِي بَيْتِهِ كَمَا قَبِّدَ الْآسِرَاتُ الْجِمَارَا

وَسَأَلَتْ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ (٣) :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ إِمَامٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمُعَزَّقِ
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُذَرِكَ مَا حَاوَلْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّقِ
قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقَ فِي أَكْثَمِهَا لَمْ تَفْتَقِ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِكَفَى سَبَبْتَنِي أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ
فَقَالُوا : مُزَرَّدُ بْنُ ضِرَارٍ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَقِيتُ مُزَرَّدًا بَعْدَ ذَلِكَ فَحَلَفَ
بِاللَّهِ مَا شَهِدَ تِلْكَ السَّنَةَ الْمَوْسِمَ .

(١) طبقات ابن سلام: ١٠٦ - ١٠٧ ، والأغاني ٥ : ١٠ .

(٢) انظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ٢١٤ - ٢١٥ ، واستدراك صاحب الخزاعة عليه في
الخزاعة ٣ : ٢٧٥ (سلفية) .

(٣) ابن سعد ١/٣ : ٢٤١ ، وانظر طبقات ابن سلام : ١١١ حيث نسبها إلى جزي أخى مزرد .

ومن عجب أن يضع المسلمون الأولون شعراً وينحلوه أبا بكر الصديق ، حتى
لقد روى الزُّهري عن عروة عن عائشة أنها قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر
قال بيت شعر في الإسلام !! .

ولعل من خير ما يدل على هذا الذي نذهب إليه بيتاً قاله مُزَرَّد بن ضرار
في أبيات يصف فيها نفسه وشعره ، قالها يردّ على كعب بن زهير حين نظم كعب
أبياته التي يقدم فيها نفسه والخطيئة . قال مزرد (١) :

وباستيك إذ خلّفتني خلّف شاعري من الناس لم أكفي ولم أتنحل
فهو ينفي عن نفسه تنحل الشعر وانتحاله أي ادعائه إياه لنفسه وهو من كلام
غيره .

ولما يدخل في هذا الباب أيضاً ما وصف به الفرزدقُ علقمةَ الفحل من
أن شعره لا يستطيع أحد أن ينحله ، فكأنه يقصد أن على شعره طابعه وميسمه فإذا
ما ادعاه غيره عرف الناس أنه ليس لمن ادعاه وإنما هو لصاحبه علقمة ؛ وذلك
قول الفرزدق (٢) :

وَالْفَحْلُ عَلَقْمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلُلُ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ

ولم يكن أمر الوضع والنحل في الشعر الجاهلي ليخفى على الرواة العلماء ،
فقد تنبه له كثيرون منهم ، بل قلما نجد راوية عالماً من القرن الثاني والقرن الثالث
لا تذكر لنا الأخبار المروية عنه أنه نصّ نصّاً صريحاً على أن بيتاً أو أبياتاً بعينها

(١) ابن سلام : ٨٨ .

(٢) النقااض ١ : ٢٠٠ .

موضوعة منحولة ، وسنورد أمثلة وافية مما نص عليه هؤلاء العلماء من رجال الطبقة الأولى والطبقة الثانية .

فقد ذكر أبو عمرو بن العلاء أن ذا الإصبع العَدُوّاني قال يرثي قومه^(١) :

وَلَيْسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَامِ وَالنَّقْصِ
إِذَا يَفْعَلُ شَيْئاً خَافَ لَهُ يَقْضِي وَمَا يَقْضِي
جَلِيدُ الْعَيْشِ مَلْبُوسٌ وَقَدْ يُوشِكُ أَنْ يُنْضِي

ثم نص على أنه لا يصح من أبيات ذى الإصبع الضادية هذه إلا الأبيات التي أنشدناها ، وأن سائرهما منحول^(٢) . بينما نرى أبا الفرج نفسه يورد من هذه القصيدة غير الأبيات المتقدمة نحواً من أربعة وعشرين بيتاً آخر^(٣) . وذهب أيضاً أبو عمرو إلى أن القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس والتي مطلعها :

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِ يَ لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ
هِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَوْلَادِ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ، يقال له ربيعة بن جُثَمٍ ، وأولها عنده^(٤) :

أَحَارَ بْنَ عَمْرِو كَأَنِّي خَمِيرٌ وَيَعْتَدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمِرُ

وهذا عامر بن عبد الملك وأخوه مِسْمَعٌ بن عبد الملك الملقب كِرْدِ بن - وهما من طبقة أبي عمرو بن العلاء ، علامتان بالنسب راويتان للشعر ، روى عنهما أبو عبيدة والأصمعي أخباراً وشعراً - ينكران ما أضيف إلى قصيدة الحارث ابن عُبَاد ، ولم يُصححاً منها غير الأبيات الثلاثة التالية^(٥) :

(١) الأغاني ٣ : ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٩٦ .

(٣) المصدر السابق : ٩٢ و ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) البغدادى ، الخزائن ١ : ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٥) الأغاني ٥ : ٤٧ - ٤٨ .

قَرَبًا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَن حِيَالِي
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كَلْبِيبٍ تَزَاجَرُوا عَن ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِن جُنَاتِهَا عِلِمَ اللَّ هُ وَلِأَنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

ومن أمثلة ذلك عند أبي عمرو الشيباني أنه كان يدفع أن يكون هذا البيت
لعنرة وهو :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِن مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ
ولم يكن يرويه حتى سمع أبا حيزام العُكْلِي يرويه له (١) .

وأما الأخبار المروية في ذلك عن الأصمعي فكثيرة، منها ما هو عام مطلق .
ومنها ما هو مخصص يُنصُّ فيه على بيت أو أبيات بعينها . فمن الضرب الأول :
ما أورده من أن الأصمعي قال (٢) : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة
صحيحة إلا مُصحَّفة أو مصنوعة . وأنه كذلك قال (٣) : ويقال إن كثيراً من
شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه . وأنه قال أيضاً (٤) : أكثر شعر مهلهل
عمول عليه .

ومن الضرب الثاني : أنه قال (٥) : أعياني شعر الأغلب ، ما أروى له
إلا اثنتين ونصفاً . فلما سئل : كيف قلت نصفاً ؟ أجاب : أعرف له اثنتين
وكنيت أروى نصفاً من التي على القاف ، فطوّلوها ، وكان ولده يزيدون في
شعره - حتى أفسدوه . وقد قال أيضاً في القصيدة المنسوبة إلى الأغلب في سباج (٦) :
إنه كان يقال إن هذه القصيدة في الجاهلية لجشم بن الخزرج . وقال الأصمعي

(١) الأغاني ٩ : ٢٢٢ .

(٢) المزمع ٢ : ٤١٣ - ٤١٤ .

(٣) الموشع : ٣٤ .

(٤) الموشع : ٧٤ .

(٥) المرجع السابق : ٢١٣ .

(٦) طبقات فحول الشعراء : ٥٧٦ .

أيضاً^(١) : الناس يروون لأمية بن أبي الصلت القصيدة التي فيها :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ مَرَمًا الْمَوْتُ كَأَسُّ فَاَلْمَرءُ ذَائِقُهَا
قال : وهذه لرجل من الخوارج .

وكان الأصمعي يرى أن أبياتاً من قصيدة زهير الميمية : « أَمِنْ أَوْفَى
دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ » ليست له وإنما هي لصيرمة بن أبي أنس الأنصاري^(٢) . وكان
كذلك يشك في بيت عنتره : « هل غادر الشعراء . . » ويدفع أن يكون له^(٣) ،
ويرى أن أول القصيدة :

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمْي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي
وقد أنشد أبو حاتم السجستاني بيتاً في عبزه : « والسيف مغمود » فقال
الأصمعي^(٤) : هذا الشعر مصنوع ، وقد رأيت صانعه .

وأما أبو عبيدة فإن أخباره في هذا الباب لتكاد تضارع أخبار الأصمعي
كثرة . من ذلك أنه ذكر خمسة أبيات للحارث بن حلزة في إنكار الطييرة هي
قوله^(٥) :

يَا أَيُّهَا الْمُزْمِعُ ثُمَّ انْثَنَى لَا يَثْنِكَ الْحَاذِرِي وَلَا الشَّاحِجُ
وَلَا قَعِيدٌ أَعْصَبُ قَرْنُهُ هَاجَ لَهُ مِنْ مَرْبَعٍ هَائِجُ

(١) الموشح : ٧٨ .

(٢) المعمرين : ٦٦ .

(٣) الأغاني ٩ : ٢٢٢ .

(٤) مراتب النعوين ورقة : ١١٢ .

(٥) الحيوان ٣ : ٤٤٩ - ٤٥٠ . الحازي : زاجر الطير . الشاحج : الغراب يشجع
بصوته . القعيد ، ما جاء من وراء المرء من طائر . الأعصب : المكسور القرن . تاج : قدر .
الخالاج : الموت يختلج المرء وينتزع . رقع : أصلح . الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن
فتسمن الناقة أو يسمن أولادها في بطنها . الشول : جمع شائلة ، وهي التي أقي عليها من حملها أو وضعها
سبعة . أشهر فحف لبها . أغبار : جمع غبر (بغم الغين) : بقية اللبن في الضرع .

بَيْنَا الْفَتَى يَسْمَى وَيُسَمَّى لَهُ " نَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجٌ
يَتْرُكُ مَا رَفَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَبِيعُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ
لَا تَكْشَعُ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَذَرِي مِنَ النَّاتِجِ
ثم قال أبو عبيدة : أنشدنيها أبو عمرو ، وليست إلا هذه الأبيات ، وسائر
القصيدة مصنوع مولد .

وقد أورد أيضاً أربعة أبيات لعوف بن عطية التيمي أولها (١) :

هَلَّا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتُمْ عَشْرًا تَنَاوَحُ فِي سَرَارَةٍ وَادٍ
ثم قال : وبقيّة هذه القصيدة مصنوعة .

واستشهد على أن الأسود كان رئيس الرباب يوم النسار بقول عوف بن عطية
ابن الحرع التيمي (٢) :

مَا زَالَ حَيْنُكُمْ وَنَقُصُ حُلُومِكُمْ حَتَّى بَلَوْتُمْ كَيْفَ وَقَعَ الْأَسْوَدُ
وَقَبَائِلُ الْأَخْلَافِ وَسَطَ بِيُوتِكُمْ يَغْلُونَ هَامَكُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ
ثم قال : قال بنو أسد وغطفان هذه مصنوعة لم يشهد الأسود النسار .

وفي كتابه « الخيل » نصوص كثيرة في هذا الباب ، منها أنه أورد أبياتاً
مطلعها (٣) :

الْخَيْرَ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا غُرِبَتْ مُعَلَّقٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ مَطْلُوبُ
وبعد أن قال إن هذا الشعر لأحد الأنصار ، وأنه قد يُحمَلُ على امرئ القيس ،
عاد فقطع بأنه « لم يقله امرؤ القيس ولكنه لرجل من الأنصار » (٤) .

(١) النقاظ : ٢٢٨ .

(٢) النقاظ : ٢٤٠ .

(٣) كتاب الخيل : ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق : ١٤ .

وقد أورد أربعة أبيات ذكر أنها لصمصعة بن معاوية السعدى، مطلعها (١) :

مَا كُنْتُ أَجْعَلُ مَا لِي فَرَحٌ دَالِيَةً فِي رَأْسِ جَذَعٍ تَصِيبُ الْمَاءِ فِي الطَّيْنِ
ثم قال : وقد تروى هذه الأبيات لحارثة بن بدر القُداني .
وقد أورد أبياتاً كثيرة أولها :

وَأَرْكَبُ فِي الرُّوعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ

ونسبها إلى امرئ القيس ولكنه قال (٢) : « وقد يخلط قوله هذا بقول النمرى » ولما
أتم الأبيات قال : « وقد تروى هذه الأبيات لربيعة بن جشم النمرى » (٣) .
وأورد كذلك أبياتاً نسبها إلى أبي دؤاد الإيادى أولها (٤) :

وَكُلُّ حِصْنٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا سَيَدْخُلُهُ النُّكْرَاءُ وَالْحُوبُ

ثم قال : « ويحمل بعض ما في هذه الكلمة على يزيد بن عمرو الحننى ، وقد
أعدته في شعره » .

وذكر أبياتاً لعلقمة أولها :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَمَاءُ النَّدى يَجْرِى عَلَى كُلِّ مِذْنَبٍ

وقال (٥) : « وقد يخلط قوله بشعر امرئ القيس بن حُجْر . وقد نسبت شعر
امرئ القيس وأفردته من شعر علقمة » .

وقد أورد في مواطن عدة أبياتاً لشعراء مختلفين ، سَماهم أحياناً واكتفى بأن

(١) كتاب الخيل : ١٤ - ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق : ١٤١ .

(٤) المصدر السابق : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٥) المصدر السابق : ١٣٦ .

قال : قال الشاعر ، أحياناً أخرى - وكان في كل موطن يشير إلى أن هذه الأبيات تُحمَل أيضاً على أبي دواد الإيادي^(١) .

فلذا ما اكتفينا بما قلنا من أخبار الطبقة الأولى من الرواة والعلماء ، وانقلنا إلى الحديث عن رواية الطبقة الثانية ، وجدنا عندهم كذلك نثاراً من هذه الإشارات المتفرقة إلى الموضوع والمنحول من الشعر الجاهلي . وسنقصر حديثنا على ثلاثة منهم ، هم : أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، وأبو عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ ، وابن قتيبة .

أما أبو حاتم فقد ذكر أبياتاً ثلاثة نسبها إلى عمرو بن ثعلبة هي^(٢) :

تَهَزَّأتْ عِرْسِيْ وَاسْتَنْكَرَتْ شَيْبِيْ فَفِيْهَا جَنْفٌ وَازْوَرَارُ
لَا تُكْثِرِيْ هُزْءًا وَلَا تَعْجِييْ فَلَيْسَ بِالشَّيْبِ عَلَى الْمَرْءِ عَارُ
عَمْرُكَ ، هَلْ تُذَرِّينَ أَنْ الْفَتَى شَبَابُهُ ثَوْبٌ عَلَيْهِ مُعَارُ

ثم قال أبو حاتم : زعم عطاء بن مصعب المِلْطُ أن خلفاً الأحمر وضع هذا البيت الأخير .

وأورد أبياتاً سبعة نسبها إلى مرداس بن صبيح آخرها قوله^(٣) :

فَلَا يَغُرُّكُمْ كِبَرِيْ فَإِنِّيْ كَرِيْمٌ لَيْسَ فِيْ أَمْرِيْ شَتَاتُ

ثم قال : وأظن البيت الأخير ليس منها .

وقد مر بنا قبل قليل أن أبا حاتم أورد بيت زهير^(٤) :

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

(١) المصدر السابق : ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ١٤٤ ، ١٧١ .

(٢) كتاب الممرين من العرب : ٣٣ .

(٣) الممرين : ٣٤ - ٣٥ .

(٤) الممرين : ٦٦ .

ثم قال أبو حاتم : وكان الأصمعي يزعم أن القصيدة لأنس بن زُئيم . قال أبو روق : غلط أبو حاتم إنما كان الأصمعي يقول : القصيدة لصرمة بن أبي أنس الأنصاري !

وأما الجاحظ فهو يشير إلى الموضوع والمنحول على ثلاث طرق ، فهو حيناً ينسب الشعر إلى شاعر بعينه ثم يعقب عليه بما يفيد شكه فيه ، وهو حيناً ثانياً يقطع قطعاً جازماً بأن هذا الشعر أو ذاك منحول مصنوع - وكل ذلك من غير دليل أو حجة وإنما يرسل القول إرسالاً ، وهو حيناً ثالثاً يقطع بأن الشعر منحول ثم يورد من الحجج ما يراه كفيلاً بدعم رأيه .

فن الضرب الأول أنه يقول : قال فلان - ويذكر اسم شاعر بعينه - ، ثم يعقب عليه بقوله : إن كان قالها . وقد تكرر منه ذلك في مواطن متفرقة من كتابه « الحيوان » (١) .

ومن الضرب الثاني قوله (٢) : وفي منحول شعر النابغة :

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

وقوله (٣) : قال غيثلان بن سلمة :

فِي الْأَلِّ يَخْفِضُهَا وَيَرْفَعُهَا رَيْعٌ كَانَ مُتَوْنَهُ السَّحْلُ
عَقْلًا وَرَقْمًا ثُمَّ أَرْدَفَهُ كِلَلٌ عَلَى أَلْوَانِهَا الْخَمْلُ
كَدَمِ الرِّعَافِ عَلَى مَازِرِهَا وَكَأَنَّهِنَّ ضَوَامِرُ الْجَلِ

(١) ج : ٣ ص : ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ج : ٤ ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ج : ٦ ص : ٣٣٩ .

(٢) الحيوان ٢ : ٢٤٦ .

(٣) المصدر السابق ٦ : ٣٣٥ . الريع : الطريق المنفرج عن الجبل . متونه : ظهوره . السحل : الثوب الأبيض من ثياب اليمن . العقل : ثوب أحمر يجلل به الهودج . كلل : جمع كلة (بكسر الكاف وتشديد اللام) وهي ما يخط من الستور فصار كالبيت . الحمل : القطيفة . الإجل : القطيع من بقر الوحش .

ثم قال : وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس .
ومن الضرب الثالث أنه أورد أبياتاً زعم بعض الرواة أنها جاهلية فيها ذكر
لإنقضاض الكواكب ^(١) ، والملاحظ ينكر ذلك ويرى أن إنقضاض الكواكب
لم يكن في الجاهلية البعيدة عن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل حدث أول
مرة عند مولده أو قبيلته ، فهو بذلك من أعلام ميلاده أو إرخاص له . ثم يعقب
على هذه الأشعار بقوله ^(٢) : « وسنقول في هذه الأشعار التي أنشدتموها ونخبر
عن مقاديرها وطبقاتها . فأما قوله :

فَانْقَضَ كَالدُّرَى مِنْ مُتَحَدِّرٍ لَمَعَ الْعَقِيقَةُ جُنَحَ لَيْلٍ مُظْلِمٍ ^(٣)

فخبرني أبو إسحق أن هذا البيت في أبيات آخر كان أسامة صاحب روح بن
أبي همام هو الذي كان ولدها . فإن اتهمت خبر أبي إسحق فسم الشاعر ، وهات
القصيدة ؛ فإنه لا يقبل في مثل هذا إلا بيت صحيح ، صحيح الجوهر ، من قصيدة
صحيحة . لشاعر معروف . وإلا فإن كل من يقول الشعر يستطيع أن يقول
خمسين بيتاً كل بيت فيها أجود من هذا البيت وأما ما أنشدتم من قول
أوس بن حجر :

فَانْقَضَ كَالدُّرَى يَتْبَعُهُ نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبًا

فهذا الشعر ليس برويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريع
ابن أوس . وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه إلى بشر بن أبي خازم
من قوله :

وَالْعَيْرُ يُرْهِقُهَا الْحِمَارُ وَجَحْشُهَا يَنْقُضُ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ

(١) الحيوان : ٢٧٢ - ٢٧٦ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٣) البيت في صفة ثور وحشي . الدرر : الكوكب الثاقب المضيء . العقيقة : البرق إذا
رأته وسط السحاب كأنه سيف مسلول .

فرعوا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضا الكوكب ، ولا بدن الحمار بدن الكوكب ، وقالوا: في شعر بشر مصنوع كثير ، مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره ، فمن ذلك قصيدته التي يقول فيها :

فَرَجَّيْ خَيْرَ وَانْتَظِرِي لِإِيَابِي إِذْ مَا الْقَارِظُ الْعَنْزَى أَبَا^(١)

.... وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودى فلمعري إنه لجاهلي ، وما وجدنا أحداً من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة . وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشبب التي يراها إنما هي قذف ورجم ، وهو جاهلي ، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون ؟ فهذا دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة .

وأما ابن قتيبة فقد أشار إلى النحل والوضع في موطنين من كتابه « الشعر والشعراء » . أورد في الموطن الأول قول الأعشى^(٢) :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا
اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْحَمْدِ وَوَلَّى الْمَلَأَةَ الرُّجُلَا
وَالْأَرْضَ حَمَالَةً لِمَا حَمَلَ اللَّهُ وَمَا إِنْ تَرُدُّ مَا فَعَلَا
يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبُهُ أَرْذِيَةِ الْعَصْبِ وَيَوْمًا أَدِيمُهُانِفَلَا^(٣)

ثم عقب عليها بقوله : وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن لإيقوله :
يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطَى وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍ مَنْ بَخِلَا
وأورد في الموطن الثاني سبعة أبيات من شعر ليبيد آخرها قوله^(٤) :

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيُهُ إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْمَحَاصِلُ

(١) القارظ العنزي : رجل من عنزة (بفتح العين والنون) خرج يطلب القرظ فلم يرجع ، فضربه العرب مثلاً .

(٢) الشعر والشعراء ١ : ١٤ .

(٣) العصب : ضرب من يرود اليمن . النفل : الفاسد اللبابة .

(٤) الشعر والشعراء ١ : ٢٣٧ .

ثم عقب عليه بقوله : « وهذا البيت الآخر يدل على أنه قيل في الإسلام ، وهو شبهه بقول الله تبارك وتعالى "وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ" ، أو كان ليبد قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب ، ولعل البيت منحول » .

٣

تلك هي إشارات القدماء من الرواة العلماء ، في القرنين الثاني والثالث ، إلى الوضع والنحل في الشعر الجاهلي . وقد قصدنا إلى أن "نلم" بها بعض الشيء ليستين لنا وجه البحث ، وليكون تعقيبنا عليها — حين نعقب بعد صفحات (١) — وافياً مستوعباً . ومع ذلك فقد أغفلنا الإشارة إلى اثنين من هؤلاء العلماء هما : عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) ، ومحمد بن سلام (المتوفى سنة ٢٣١ هـ) صاحب كتاب طبقات الشعراء ، وقد ادخرناهما لنختصهما وحدهما بالعرض والتعقيب ، إذ أن إشارتهما في كتابيهما أصبحت بعد ركيزة من ركائز الذين يشككون في الشعر الجاهلي من المحدثين ، وصار الكتابان معلمين من معالم هذا البحث .

أما ابن هشام فعمله في السيرة قائم على ما صنفه محمد بن إسحق (المتوفى سنة ١٥٢ هـ) ، فقد تعقب ما أورده ابن إسحق فاختصر بعضه ، ونقد بعضه ، ثم ذكر روايات أخرى فات ابن إسحق ذكرها ، ويعيننا نحن من ذلك ما وصف به عمله هذا من قوله (٢) : « وتارك بعض ما يذكره ابن إسحق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت

(١) وذلك في حديثنا عن توثيق الرواة وتضعيفهم في الفصل الخامس ؛ وكذلك في حديثنا عن ابن إسحق في الفصل الرابع من الباب الأخير .

(٢) السيرة النبوية ١ : ٤ .

من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء

بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره »

وهذه الأشعار التي ذكرها ابن إسحق في سيرته والتي لم ير ابن هشام أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها - قد وقف عندها ابن سلام وقفات طوالاً ؛ فقد قال ^(١) : « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه : محمد بن إسحق ابن يسار ، مولى آل مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسِّيَر فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أوتى به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذراً . فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط : وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر؟ ومن أدأه منذ آلاف السنين ؟ والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أى : لا بقية لهم . وقال أيضاً : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ وقال في عاد : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ وقال : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

وقال ابن سلام كذلك ^(٢) « ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية ، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل . ولسنا نعد ما يروى ابن إسحق

له ولا لغيره شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم » .

ويقول في موطن ثالث ^(٣) : « فلو كان الشعر مثل ما وُضع لابن إسحق ، ومثل ما رواه الصحافيون . ما كانت إليه حاجة : ولا فيه دليل على علم » .

(١) طبقات فحول الشعراء : ٨ - ٩ .

(٢) المصدر السابق : ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق : ١١ .

في سيرة ابن إسحق وتغيب ابن هشام ما يستحق أن يوقف عنده ورقة خاصة به . ولقد تبعت كل ما أدخله ابن هشام على ابن إسحق ونقده فيه ، فوجدته لا يعلو واحداً من أمور أربعة :

الأول : أنه يورد أبيات الشعر التي أوردها ابن إسحق ، وينسبها إلى من نسبها إليه ابن إسحق ، ثم يضيف أنها قد تنسب كلها أو بعضها إلى غيره . وقد تكرر منه ذلك في ثمانية وعشرين موضعاً ، سأذكر أرقام صفحاتها على سبيل الحصر ^(١) ، وأكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال . فمن ذلك ما يُروى لأمية ابن أبي الصلت مما يُروى لغيره أيضاً . فقد أورد أبياتاً عن ابن إسحق من شعر أبي قيس بن الأسلت ، ثم عقب عليها بقوله ^(٢) : « قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ، والقصيدة تُروى لأمية بن أبي الصلت » . وكذلك قال ابن إسحق ^(٣) : « وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفى في شأن الفيل ، ويذكر الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تُروى لأمية بن أبي الصلت ابن أبي ربيعة الثقفى » . وقال ابن إسحق ^(٤) : « قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفى - قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت » . وأورد ابن إسحق أبياتاً نسبها إلى زيد بن عمرو بن نفيل . فقال ابن هشام ^(٥) : « هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له ، إلا البيتين الأولين ، والبيت الخامس ، وآخرها بيتاً » .

وأورد كذلك أبياتاً نسبها إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، فقال ابن هشام ^(٦) :

(١) السيرة ج ١ : ١٥٠ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٧ (مكرر) ، ٦٨ - ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ / ج ٢ : ١٥٩ ، ٢٢٣ ، ٢٥٦ ، ٣١٠ / ج ٣ : ١٦ ، ٢٠ ، ٨٣ ، ١٣٩ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٨٢ ، ٣٦٢ ، ج ٤ : ٥١ ، ١٩٩ ، ٩٠ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٦٢ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٦٧ .

(٥) المصدر السابق : ٢٤٢ .

(٦) المصدر السابق ١ : ٢٤٧ .

« يُروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها وآخرها بيتاً في قصيدة له .
وقد أورد أبياتاً رواها ابن إسحق ونسبها إلى سيف بن ذى يزن الحميري ،
فعقب عليها ابن هشام بقوله ^(١) : « وهذه الأبيات في أبيات له . وأنشدني خلاد
ابن قُرّة السدوسي آخرها بيتاً لأعشى بنى قيس بن ثعلبة في قصيدة له ، وغيره
من أهل العلم بالشعر ينكرها له » . وأورد ثلاثة أبيات من الرجز نسبها إلى
« رجل من العرب » فقال ابن هشام ^(٢) : « ومن الناس من ينحلها امرأ القيس
ابن حجر الكندي » . وذكر ابن إسحق بيتاً نسبته إلى أعشى بنى قيس بن ثعلبة
هو قوله ^(٣) :

بَيْنَ الْخَوَزَنْتِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَمَبَاتِ مِنْ سُنْدَادِ
فقال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي . . . في قصيدة له .
وأنشدنيه أبو محرز خلف الأحمر :

أَهْلُ الْخَوَزَنْتِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سُنْدَادِ
وذكر ابن إسحق أبياتاً نسبها إلى عبد الله بن الزُّبَعْرَى ، فقال ابن هشام ^(٤) :
« وتروى للأعشى بن زُرارة بن النباش » . وكذلك ذكر أبياتاً لحسان فقال ابن
هشام ^(٥) : « ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي » .

وأورد أبياتاً لحسان بن ثابت ، فعقب عليها ابن هشام بقوله ^(٦) : « آخرها
بيتاً يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدنيه له خلف الأحمر . . . وتروى الأبيات
أيضاً لمعل بن خويلد الهذلي » . وذكر أبياتاً نسبها ابن إسحق لحسان بن ثابت ،

(١) السيرة النبوية ١ : ٦٦ - ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٨٨ - ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٩١ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ١٦ .

(٥) المصدر السابق ٢ : ٢٠ .

(٦) المصدر السابق ٢ : ٨٣ .

ثم عقب عليها ابن هشام بقوله^(١) : « أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك » .

والثاني : وأما الضرب الثاني من تعقبه ابن إسحق فهو إيراد الحادثة التاريخية كما وردت في سيرة ابن إسحق حتى إذا وصل إلى الشعر الذي قيل في هذه الحادثة أسقطه ولم يشته لأنه لم يصب عنه . ولعل ذلك قد تكرر منه في مواطن كثيرة ، لأنه ذكر في المقدمة أنه ترك أشعاراً ذكرها ابن إسحق ولم ير أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، غير أنني حين تتبع هذا الضرب من تعقيباته لم أجده نص عليه إلا في موضعين اثنين ، فقد أورد مسير أبي كرب تبار أسعد إلى يثرب وهزوه إياها ، فله وصل إلى شعر خالد بن الذي فيه^(٢) :

حَقَّقًا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبَا أَوَّلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

قال ابن هشام : « الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذي منعنا من إثباته » .

وكذلك أورد ما ذكره ابن إسحق من نذر عبد المطلب ذبيح ولده ، وحلف ما جاء في أثناء هذا الحديث من شعر وقال^(٣) : « وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصب عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر » .

والثالث : وضرب ثالث من تعقيباته يذكر فيه أبياتاً من الشعر الذي أورده ابن إسحق ، ويكتفى بها ، ولا يورد باقيها ثم يقول إن ذلك ما صحح له منها ، وقد تكرر منه ذلك في ثمانية مواضع^(٤) ، منها : أن لبن إسحق أورد أبياتاً لعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ، وقد اجترأ ابن هشام بثلاثة أبيات منها وقال^(٥) : « قال ابن هشام : هذا ما صحح له منها » .

(١) السيرة ٣ : ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٦٤ .

(٤) هي : ج ١ ص ٥٣ (مترين) ، ٦٨ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ٢٩٩ / ج ٢

ص : ١٨٧ / ج ٤ ص : ٣٤ .

(٥) المصدر السابق ١ : ٥٣ .

وروى ابن إسحق أبياتاً كثيرة لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقي ، ومع أن ابن هشام قال إنها تروى لابنه أمية ، فقد قال أيضاً^(١) : « هذا ما صح له مما روى ابن إسحق منها إلا آخرها بيتاً قوله :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاوَ فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَالَا

فإنه للنابعة الجعدي . . . في قصيدة له . »

وروى ابن إسحق أبياتاً للحارث بن ظالم حين هرب من النعمان بن المنذر فلتحق بقريش^(٢) ، ولكن ابن هشام اكتفى بستة أبيات منها ، ثم قال : « هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها . »

وروى ابن إسحق أيضاً أبياتاً لعمر بن الحارث ، فاجتزأ ابن هشام بثلاثة أبيات منها ، وقال^(٣) : « هذا ما صح له منها ، وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم لي قائلها ، ! !

وأورد ابن إسحق قصيدة أبي طالب ، فذكر ابن هشام منها أربعة وتسعين بيتاً ! ثم قال^(٤) : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة ! ! وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها . »

الرابع : أما في الضرب الرابع فقد كان ابن هشام يورد الشعر الذي أورده ابن إسحق كاملاً لا يخرم منه بيتاً ، ثم يذكر أنها منحولة ؛ وقد تكرر منه ذلك

(١) السيرة ١ : ٦٨ - ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٢٩٩ .

في ستة وثلاثين موضعاً^(١) ويكاد يلتزم ، في تعبيره عن شكه ، أربعة أنواع من العبارة :

(١) فهو يورد ما رواه ابن إسحق من شعر لأبي بكر الصديق^(٢) ، وعبد الله بن الزبير^(٣) ، وسعد بن أبي وقاص^(٤) ، وهمة بن عبد المطلب^(٥) ، وأبي جهل^(٦) ، وهند بنت أئانة^(٧) ، وحسان بن ثابت^(٨) ، وميمونة بنت عبد الله^(٩) وكعب ابن الأشرف وعلى بن أبي طالب^(١٠) ، والزيبرقان بن بدر^(١١) ، والحارث بن هشام^(١٢) ، - ويعقب على كل قصيدة يوردها هؤلاء بقوله « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(ب) ويورد ما رواه ابن إسحق من شعر لمالك بن الدخشم^(١٣) ، ومكرز ابن حفص^(١٤) ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب^(١٥) ، وضرار بن الخطاب^(١٦)

(١) هـ - ج ١ : ١٧٩ / ج ٢ : ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ / ج ٣ : ٨ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، (مرتين) ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ (مرتين) / ج ٤ : ٣٤ : ٦٢ ، ٩٠ ، ٢٠٩ ، ٢٣١

(٢) ٢ : ٢٤٢ .

(٣) ٢ : ٢٤٤ .

(٤) ٢ : ٢٤٥ .

(٥) ٢ : ٢٤٦ ، ٣ : ٨ .

(٦) ٢ : ٢٤٨ .

(٧) ٣ : ٤٤ .

(٨) ٣ : ٥٦ ، ١٦٣ ، ١٩٣ .

(٩) ٣ : ٥٧ .

(١٠) ٣ : ٢٣٦ .

(١١) ٤ : ٢٠٩ .

(١٢) ٣ : ٨ - ١١ .

(١٣) ٢ : ٣٠٤ .

(١٤) ٢ : ٣٠٥ .

(١٥) ٣ : ٢٤ .

(١٦) ٣ : ٢٩ ، ١٤٨ ، ١٧٤ .

والحارث بن هشام^(١) ، وهند بنت عُتبة^(٢) ، وحسان بن ثابت^(٣) ،
وعبد الله بن الزبيري^(٤) ، وعمرو بن العاص^(٥) ، وخبيب بن عدي^(٦) ،
ومسافع بن عبد مناف^(٧) ، - ويعقب على كل قصيدة يوردها هؤلاء بقوله
« وبعض أهل العلم بالشعر يكرها له » .

(ح) وإذا كان قد ذكر في العبارات الأولى « أكثر أهل العلم بالشعر » وفي
العبارات الثانية « بعض أهل العلم بالشعر » ، فقد ذكر أيضاً في عبارات ثالثة
« أنه لم ير أحداً من أهل العلم بالشعر » يعرف هذه الأبيات . فمن ذلك أن ابن إسحق
روى عن محمد بن سعيد بن المسيب خبر وفاة عبد المطلب بن هاشم وبكاء بناته
الست عليه ، وهن : صفية ، وبسرة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ،
وأروى - وقد بكت عليه كل واحدة منهن بشعر أورده ابن هشام ، ثم عقب
عليه بقوله^(٨) - « ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه
لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه » .

وكذلك روى ابن إسحق قصيدتين ، الأولى : لعل بن أبي طالب في يوم
بدر ، والثانية : نقيضتها للحارث بن هشام بن المغيرة ، وقد أوردهما ابن هشام ،
وقال^(٩) : « ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها ، وإنما كتبناهما
لأنه يقال إن عمرو بن عبد الله بن جندعان قُتِلَ يوم بدر ، ولم يذكره ابن
إسحق في القتل ، وذكره في هذا الشعر » .

(١) ٣ : ٣٠ .

(٢) ٣ : ٤١ ، ٤٢ ، ١٧٨ .

(٣) ٣ : ١٥١ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٨١ .

(٤) ٣ : ١٥٤ .

(٥) ٣ : ١٨٥ .

(٦) ٣ : ٢٨٠ .

(٧) ٢ : ١٧٩ .

(٨) ٣ : ١١ .

وروى ابن إسحق أبياتاً لعل بن أبي طالب ، فأوردها ابن هشام وقال (١) :
« قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير علي » ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم
بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعل .

وكذلك روى ابن إسحق قصيدة أخرى لعل يذكر فيها إجلاء بني النضير ،
فأوردها ابن هشام ، وقال (٢) : « قالها رجل من المسلمين غير علي » بن أبي طالب ،
فما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعل .

(د) وقد نص في موضع واحد على اسم عالم من علماء اللغة والشعر والأخبار
هو أبو عبيدة ؛ وذلك أنه أورد قصيدة من اثني عشر بيتاً رواها ابن إسحق لعمر
ابن معد يكرب . ثم قال إن أبا عبيدة أنشده الأبيات الثلاثة الأولى منها ، وفيها
خلاف في رواية بعض ألفاظها ، وأنه لم يعرف سائرها (٣) .

ويحسن بنا أن نختم حديثنا عن ابن إسحق وابن هشام بذكر طائفة من المأخذ
التي استدرکها ابن هشام على ابن إسحق ولم ندخلها في الضروب الأربعة السابقة
وهي :

١ - يروي ابن إسحق قصيدة لأمية بن أبي الصلت يبيكي زمعة بن الأسود
وقتل بن أسد ، ويوردها ابن هشام كما رواها ابن إسحق ويعقب عليها بقوله (٤) :
« هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ، ليست بصحيحة البناء ، ولكن أنشدني
أبو محرز خلف الأحمر وغيره ، روى بعض ما لم يرو بعض . » ثم يورد
القصيدة بهذه الرواية الأخرى صحيحة البناء مستقيمة الوزن .

٢ - ويروي ابن إسحق قصيدة من ثلاثة عشر بيتاً للعباس بن مرداس ، وقد

(١) السيرة ٣ : ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٢٣١ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ٣٤ .

رواها كلها متتابعة على أنها قصيدة واحدة - إذ أنها ذات وزن واحد وروي واحد - وأوردها على ذلك ابن هشام، ثم عقب عليها بقوله^(١): «قال ابن هشام: من قوله "أبلغ موازن أعلاها وأسفلها" إلى آخرها، في هذا اليوم، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم، وهما مفصولتان، ولكن ابن إسحق جعلهما واحدة». ٣ - ويحذف ابن هشام بيتاً أو أبياتاً من قصيدة رواها ابن إسحق، وليس سبب هذا الحذف أنه يشك في صحة الشعر أو نسبته، وإنما لأن الشاعر أقدم فيه^(٢). وكذلك أبدل كلمات من شعر رواه ابن إسحق لأن الشاعر «نال فيها من النبي صلى الله عليه وسلم»^(٣). وترك بيتين من قصيدة لأمية بن أبي الصلت لأنه «نال فيها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٤).

٤ - وله أحياناً تعليقات على ما يورد من الشعر من حيث العروض أو من حيث جمال الشعر، فمن ذلك أنه يذكر كلاماً لرثي من الجن هو «ألم تر إلى الجن وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالفلاص وأحلاسها». ثم يعقب عليه بقوله^(٥): «قال ابن هشام: هذا الكلام صحيح وليس بشعر ١١».

وذكر أيضاً ما كان يرتجز به المسلمون وهم يبنون مسجد المدينة، وذلك قولهم: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة» وعقب عليه بقوله^(٦): «هذا كلام وليس برجز».

ويورد أيضاً أبيات سبّعة بنت الأحب، ومطلعها:

أُبْنَى لَا تَظْلِمُ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

(١) السيرة ٤: ٨٤.

(٢) انظر ١: ٢/٢٨٧: ٣/٥٤: ١٩: ٢٠: ٨٦: ٩٧: ١٨٦: ١٨٧: ٤.

٢١٣.

(٣) المصدر السابق ٣: ١١.

(٤) المصدر السابق ٣: ٣٣.

(٥) المصدر السابق ١: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٦) المصدر السابق ٢: ١٤٢.

ثم قال^(١) : « يوقف على قوافيها لا تُعرب » .

ويورد أبياتاً على الكاف المكسورة رواها ابن إسحق لأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ثم عقب عليها بقوله^(٢) : « بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها » .

ويورد أبياتاً لحسان بن ثابت يذكر حلة أصحاب اللواء يوم أحد ، ثم يعقب عليها بقوله^(٣) : « هذه أحسن ما قيل » .

ويورد أبياتاً رواها ابن إسحق لأبي أسامة معاوية بن زهير بن قيس ، ويعقب عليها بقوله^(٤) : « وهذه أصح أشعار أهل بدر » .

• • •

ذلك هو ابن هشام وصنيعة بسيرة ابن إسحق ، وذلك هو — على وجه الحصر — كل ما ذكره عن الشعر الجاهل الذي رواه ابن إسحق في سيرته .

أما ابن سلام فقد يصح أن نقسم حديثه عن وضع الشعر الجاهل ونحله قسمين كبيرين ، أولهما : قواعد عامة وأحكام مرسله يطلق القول فيها إطلاقاً ، لا يختص ولا يمثل ، وأكثر حديثه عن هذا القسم جاء في مقدمة كتابه . وثانيهما : نص على شعراء بعينهم وذكر لشعر قالوه ، يذهب ابن سلام إلى أنه موضوع منحول .

فن القسم الأول قوله^(٥) : « وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائحة ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسب مستطرف . وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخلوه عن أهل البادية ،

(١) السيرة ١ : ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٢٢٣ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٥٦ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ٣٥ .

(٥) طبقات فحول الشعراء : ٥ - ٦ .

ولم يعرضوه على العلماء . وليس لأحد — إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيح — على إبطال شيء منه — أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفى . وقد اختلف العلماء فى بعض الشعر ، كما اختلفت فى بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه .

وقد روى لنا أن خلاَّد بن يزيد الباهلى — وكان حسن العلم بالشعر يرويه ويقول — قال لخلف بن حيان الأحمر^(١) : « بأى شيء ترد هذه الأشعار التى تُروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم فى الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت . »

ومن هذا القسم أيضاً ما أشرنا إليه قبل قليل من حديثه عن محمد بن إسحق وصنيعه فى السيرة ، فقد قال عنه إنه كان^(٢) « ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه ، . . . فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لى بالشعر ، أوقى به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذراً . فكتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة . . . » ووصف حماداً الراوية بأنه^(٣) « كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد فى الأشعار . »

وقال أيضاً^(٤) « فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكّر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا فى الأشعار التى قبلت . »

(١) طبقات فحول الشعراء : ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨ - ٩ .

(٣) المصدر السابق : ٤٠ - ٤١ .

(٤) المصدر السابق : ٣٩ - ٤٠ .

وليس يُشكّل على أهل العلم زيادةُ الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولّدون؛ وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الإشكال.

أما القسم الثاني فيتفرع كذلك إلى جدولين، أولهما: ذكر فيه ابن سلام الشعراء وأرسل القول في شعرهم إرسالاً، من غير تخصيص شعر بذاته. وثانيهما: وقف فيه عند بيت أو أبيات من شعر الشاعر ونص على أن هذه الأبيات بعينها موضوعة منحولة.

فمن الأول قول ابن سلام^(١): «أخبرني أبو عبيدة أن ابن داوود بن متم ابن نوبة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة، فترل النّحيت؛ فأثبته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متم، وقمنا له بحاجته وكفينا ضيعته. فلما نقد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا، وإذا كلام دون كلام متم، وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متم، والوقائع التي شهدا. فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله». وكذلك قوله^(٢): «وما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر... ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذلك. فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير».

وشكّ كذلك في شعر عبيد بن الأبرص فقال عنه إنه^(٣) «قديم الذكر عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب، لا أعرف له إلا قوله:

أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَيْبَاتُ فَالذُّنُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك !!!

(١) طبقات فحول الشعراء: ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٣.

(٣) المصدر السابق: ١١٦.

وشك كذلك في شعر علقمة بن عبسة فقال^(١): «ولا بين عبسة ثلاث
روائع جباد ، لا يفوقهن شعر » . وبعد أن ذكر مطالعها قال «ولا شيء
بعدهن يذكر»^(٢) .

وشك في شعر عدى بن زيد ، فقال عنه إنه^(٣) «كان يسكن الحيرة
ومراكز الريف ، فلان لسانه وسهل منطقته ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه
شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر ، وخلط فيه المفضل فأكثر » .

وقال كذلك عن الأسود بن يعفر^(٤): «وله شعر كثير جيد ... وذكر بعض
أصحابنا أنه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومائة قصيدة . ونحن لا نعرف له ذلك
ولا قريباً منه ؛ وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نرى ، ويتجاوزون
في ذلك بأكثر من تجوزنا ... »

وذكر حسان بن ثابت فقال عنه إنه^(٥) «كثير الشعر جيده ، وقد حمل
عليه ما لم يحمل على أحد . لما تعاضت قريش واستبست وضعوا عليه أشعاراً كثيرة
لا تُتقى » .

وذكر أيضاً أبا سفيان بن الحارث وقال إن له شعراً كان يقوله في الجاهلية^(٦)
« فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل . ولسنا نعد ما يروى ابن إسحق له ، ولا لغيره
شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم » .

وأما الجدول الثاني من هذا القسم فهو الذي يقف فيه عند بيت أو أبيات

(١) طبقات فحول الشعراء: ١١٦ - ١١٧ .

(٢) لعل ابن سلام هنا لا يشك في الشعر المنسوب إلى علقمة ، وإنما يريد أن يفضل قصائده
الثلاث على سواها من شعره ، وذلك معنى قوله : «ولا شيء بعدهن يذكر » .

(٣) المصدر السابق : ١١٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٣ .

(٥) المصدر السابق : ١٧٩ .

(٦) المصدر السابق : ٢٠٦ .

مبيناً من شعر الشاعر . فمن ذلك أنه روى بيتاً لعباس بن مرداس يذكر فيه
عناناً هو قوله (١) :

وَعَكَ بِنَ عَنَّانَ الدِّينِ تَلَعَّبُوا بِمَنْحَجٍ حَتَّى طَرَدُوا كُلَّ مَطَرِدٍ

وقد قال روى الكتاب أبو خليفة الفضل بن الحباب عقب ذلك : « والبيت مريب
عند أبي عبد الله » - يعنى ابن سلام .

وقال ابن سلام (٢) : « أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : « قدم حماد البصرة
على بلال بن أبي بردة ، وهو عليها ، فقال : ما أطرفني شيئاً ، فعاد إليه
فأنشده القصيدة التي في شعر الخطيئة مديح أبي موسى (٣) . فقال : ويحك ،
يمدح الخطيئة أبا موسى لا أعلم به ، وأنا أروى شعر الخطيئة ١٢ ولكن دعها
تذهب في الناس ! » .

وقال كذلك (٤) : « وبروى عن الشعبي ، عن ربيعة بن خراش : أن عمر
ابن الخطاب قال : أرى شعرائكم الذي يقول :

فَالْقَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

وهذا غلط على الشعبي ، أو من الشعبي ، أو من ابن خراش . أجمع أهل العلم
على أن النابغة لم يقل هذا ، ولم يسمعه عمر ، ولكنهم غلطوا بغيره من شعر
النابغة » .

وأورد بيتين ذكر أنهما ما « يحمل على لبيد » هما (٥) :

(١) طبقات فحول الشعراء : ١١ .

(٢) المصدر السابق : ٤١ .

(٣) هي قصيدته الميمية ، وانظر الأغاني ٢ : ١٧٥ - ١٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ٤٩ - ٥٠ .

(٥) المصدر السابق : ٥٠ .

بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ
فَإِنْ تَعِيشِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا وَفِي الثَّلَاثِ وَقَاءٌ لِلثَّمَانِينَ
ثم قال: «ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث، ويستعان به حل
السهر عند الملوك، والملوك لا تستصحب» .

وذكر أبا طالب فقال إنه كان^(١) «شاعراً جيد الكلام، وأبرع ما قال
قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْقَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْبَتَايِ حِصْنَةٌ لِلدَّرَامِلِ
ثم قال: «وقد زيد فيها وطولت. رأيت في كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا
منذ أكثر من مائة سنة، وقد علمت أن قد زاد الناس فيها، فلا أدري أين منهاها.
وسألني الأصمعي عنها فقلت: صحيحة جيدة. قال: أتدري أين منهاها؟ قلت:
لا أدري...»

وذكر ابن سلام يبين قال إن الناس يروونها لأبي سفيان بن الحارث .
ثم قال^(٢): «وأخبرني أهل العلم من أهل المدينة: أن قد آتاه بن موسى بن عمر
ابن قدامة بن مظعون الجهمي قالها ونحلها أبا سفيان، وقرئش ترويه في
أشعارها» .

وأورد أربعة أبيات مما يروى لزهير بن أبي سلمى وقال إنها لقُرَاد بن حنش
من شعراء غطفان، «وكان جيد الشعر قليلاً، وكانت شعراء غطفان تغير على
شعره فتأخذوه وتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى ادعى هذه الأبيات»^(٣).
وأورد أرجوزة للأغلب العجلي قالها في سباح لما تزوجت مسيلمة الكذاب،

(١) طبقات فعول الشعراء: ٢٠٤ .

(٢) المصدر السابق: ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٣) المصدر السابق: ٥٦٨ - ٥٦٩ .

ثم قال (١) : « حدثني الأصمعي : أنه كان يقال إن هذه القصيدة في الجاهلية بلحشم بن الخزرج » .

وبعد :

فقد قام حديثنا فيما تقدم من صفحات هذا الفصل على تتبع آراء القدامى المتفرقة في الكتب عامة ، وكتابي سيرة ابن هشام وطبقات ابن سلام خاصة ؛ فدرسناها وصنفناها ، ورتبناها ، ثم اكتفينا بالعرض المجرد ، على أن نعود إلى نقد هذه الآراء ودراستها دراسةً تنفي عنها ما فيها من زيف في الفصل الخامس من هذا الباب ، بعد أن ندرس في الفصل الثالث والرابع آراء المحدثين من المستشرقين والعرب ، لينتسئ لنا أن ننظمهم معاً في حديث واحد .

افصل الثالث

النحل والوضع في الشعر الجاهل آراء المستشرقين

١

أما المحدثون من المستشرقين فلعل مرجوليوث D.S. Margoliouth هو من أوائل من أثار منهم الشك في الشعر الجاهل في مقالة كاملة ، خصص صفحاتها الكثيرة للحديث عن هذا الموضوع من جميع أطرافه (١) . فقد نشر في مجلة الجمعية

(١) حصرننا حديثنا في هذه الصفحات في المقالة التي خصصها مرجوليوث للحديث عن وضع الشعر الجاهل والتشكيك فيه ، وقد تحدث مرجوليوث قبل هذه المقالة ، عن وضع الشعر الجاهل ، ولكن أحاديثه هناك كانت عبارة مقتضبة ، تجيء في ثنايا حديثه عن موضوع آخر . فمن ذلك ما نشره في « معلمة الدين والأخلاق » Encyclopaedia of Religion and Ethics (مادة « محمد » المجلد الثامن ص : ٨٧٤) وما ذكره في كتابه عن « محمد وظهور الإسلام » Mohammed and The Rise of Islam (ط سنة ١٩٠٥ ص : ٦٠) ، وما نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٩١٦ ص : ٣٩٧ . ومن أمثلة ذلك أنه كان يتحدث في كتابه « محمد وظهور الإسلام » عن لغة القرآن فقال : « لقد رأى العلماء أن في لغة القرآن مشابه كبيرة من لغة الشعر الجاهل ، ومع أنه من العسير علينا أن نكون لنا رأياً في هذا الموضوع - لأننا نرى أن الشعر الجاهل في معظمه مصنوع وضع على مثال القرآن - فإنه يصح أن نقبل رأى العرب في ذلك » . وكان يتحدث في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عن الكتب العربية التي ظهرت حديثاً حيثئله ، ففرض لكتاب الخصائص لابن جني وأشار إلى ما ورد فيه من أمر اكتشاف الطنوج ، وفيها الشعر الذي منح به النعمان . فقال مرجوليوث إن حماداً هو الذي روى هذا الخبر ، وحماد منهم بوضع الشعر الجاهل ونحله . ولذلك فإن هذه القصة تدق مسباراً كبيراً في نعش الشعر العربي القديم . ثم أشار إلى أن القصائد التي ذكرها ابن إسحق في السيرة يقال إنها قد وضعت وضماً من أجل ذلك الكتاب ، أما غير هذا من الشعر القديم الذي يرويه أهل الكوفة فقد كان من وضع خلف الأحمر ! !

الملكية الآسيوية - عدد يوليو سنة ١٩٢٥ - بحثاً عنوانه «أصول الشعر العربي»^(١) رجع فيه أن هذا الشعر الذى نقرأه على أنه شعر جاهل إنما نُظِمَ في العصور الإسلامية ثم نحله هؤلاء الواضعون المزيفون لشعراء جاهليين. وقد بنى رأيه هذا على ضربين رئيسيين من الأدلة : أدلة خارجية ، وأدلة داخلية . وسنعرض في هذه الصفحات رأيه ، في شيء من التفصيل .

الأدلة الخارجية :

١ - بدأ مرجوليوت مقاله بالحديث عن وجود الشعر في الجاهلية ، فقال^(٢) :
 إن وجود شعراء في بلاد العرب قبل الإسلام أمر شهد به القرآن ، إذ أن فيه سورة واحدة باسمهم ، ثم يشير إليهم من حين إلى آخر في مواطن أخرى . ومن بين الأوصاف التى كان خصوم النبي ينعتونه بها أنه كان شاعراً مجنوناً^(٣) . وكان النبي ينفي عن نفسه هذه الصفة ويحججهم بأنه إنما « جاء بالحق » . ووردت ، في سورة أخرى ، ثلاثة ألفاظ هى : كاهن ، ومجنون ، وشاعر^(٤) ، وبزعم مرجوليوت أن سياق الآية يدل على أن هذه الألفاظ الثلاثة في معنى واحد (مترادفة) ، ثم قال : إن الذين وصفوه بأنه شاعر قالوا إنهم سيبتر بصون ليروا ما سيحدث له ! وهو يرى أنه يصح أن يُستنتج من ذلك أن من عادة الشعراء آثُلُ التنبؤ بالغيب ! وأشار إلى أن القرآن قد ذكر أن لغته ليست لغة شاعر ولكنها لغة رسول كريم^(٥) ، وأن الله لم يعلم النبي الشعر لأنه لا طائل له من

D.S. Margoliouth, The Origins of Arabic Poetry, Journal of The Royal (١)

Asiatic Society, July 1925, PP. 417-449.

(٢) من صفحة ٤١٧ إلى صفحة ٤١٩ من المقالة السابقة .

(٣) « ويقولون أننا لتأركو آلفنا لشاعر مجنون » (الصافات : ٣٦) .

(٤) « فذكر فإ أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » (الطور : ٢٩ ، ٣٠) .

(٥) « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون » (الحاقة : ٤٠ - ٤٢) .

ورائه (١) ، وأن كلام النبي حقيقة مقررة وعظيمة واضحة (٢) . ويستنتج من ذلك أن الشعر كان آنئذ غامضاً مبهماً !

ويشير إلى أن خلاصة صفات الشعراء مجموعة في السورة التي تحمل اسمهم . وفيها أنهم يتبعهم الفساون ، وأنهم في كل واد يهيمنون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون . ويقول إن الآيات التي تلى هذه الأوصاف قد تبدوا كأنما تستثني بعض الشعراء الانتقياء من هذا الحكم ، ولكن أسلوب القرآن يجعلنا في شك من أن المقصودين بهذا الاستثناء هم حقيقة الشعراء . ويذهب إلى أنه يجوز لنا أن نستنتج مما تقدم أن الشياطين كانت تنزل على الشعراء ، إذ أن القرآن ذكر أنهم يتزلون على كل كاذب أثيم ، وأنهم ينقلون إليه أنباء كاذبة في جملتها (٣) . ويذكر أن هذه الآيات تشير إلى عمل الشياطين المذكور في سورة أخرى وهو : استراقهم السمع في المجالس السماوية ، فعوقبوا على هذا الذنب بأن ألقيت عليهم الشهب (٤) ، وهذا ثانية يصل بن الشعراء والتنبؤ بالغيب ! !

ثم يذهب إلى أنه إذا كان المقصود بالشعر هو هذا الشعر الذي عُرف في الأدب العربي بعد ذلك ، فإننا نقع في حيرة من الأمر ، وذلك أن محمداً الذي لم يكن يعرف الشعر ، كان يدرك أن ما يوحى إليه ليس بشعر ، بينما كان أهل مكة — وهم لا شك يعرفون الشعر إذا ما سمعوه أو رأوه — يظنون كلامه شعراً ! ويخلص مرجوليوت بعد هذا الحديث الطويل الذي لخصنا جلته ، إلى أنه

(١) « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » (يس ٦٩) .

(٢) « إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » (يس ٦٩) .

(٣) « هل أنبئكم حل من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » (الشعراء ٢٢١ - ٢٢٣) .

(٤) « إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لا يسمعون إلا الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ولم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » . (الصافات ٦ - ١٠) .

« ربما كان ما نبيع لنا الشواهد القرآنية قوله هو أنه كان قبل الإسلام بعض الكهان من بين العرب كانوا يُعرفون باسم « الشعراء » ، كانت لهم غامضة مبهمة كما هو الشأن دائماً في الوحي » (١) .

٢ - وبعد أن ينتهي مرجوليوت من حديثه عن الشعر والشعراء كما استنتجته من آيات القرآن الكريم ، يبدأ في عرض آراء العلماء المسلمين القدماء ويسمهم Archaeologists (٢) . فيثير مشكلة ابتداء الشعر العربي ونشأته، ويقرر أنها أمر في الغاية من الغموض ، إذ أن القدامى قد ذهبوا فيها مذاهب متباينة . فقد عزا بعضهم شعراً عربياً إلى آدم (٣) ، بينما أورد آخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد إسماعيل (٤) . ثم يقول إنه يبدو أن الرأي السائد أن الشعر العربي - بصورته التي ثبت عليها بعد - بدأ قبيل ظهور الإسلام بأجيال قليلة على أبعد تقدير . ومع أن الذين يذهبون هذا المذهب يجعلون مهلهلاً أو امرأ القيس أول الشعراء فقد أوردوا شعراً لشعراء سبقوهما بزمان طويل (٥) . ثم يحتم حديثه هذا ختاماً يكشف عن شك في كل ما أورد ، وذلك قوله (٦) : « ولو أننا علدنا القصة التي نعزو إلى مهلهل اختراع القصيدة حقيقة تاريخية ، فلا بد لنا من أن نُقر بأنه أصبح له مقلدون وأتباع كثيرون ، فبين أيدينا عدد وافر من المجلدات التي تشتمل على مجموع أشعار عدد كبير من الشعراء الذين عاشوا في الفترة التي امتلئت بين اختراعه وهجرة الرسول ! وجميع شعراء المعلقات العشر المشهورين أصحاب دواوين أو مجموعات قصائد طبع أكثرها وجاء في صفحات كثيرة . ويجانب هؤلاء شعراء كثيرون يساؤونهم في الإكثار ولم يُعدوا من العشرة الخالدين . فضلاً عن ذلك فإن القصائد الصادرة عن شعراء من قبائل معينة قد بُجعت في

(١) المقالة السابقة : ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٢) من صفحة : ٤٢١ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ١ : ٦٥ .

(٤) الأغاني ١٣ : ١٠٤ .

(٥) الأغاني ١١ : ١٥٤ (عزيمة بن نهد) .

(٦) ص : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

مجاميع ، طبع أحدهما . وتدل هذه القصائد بطبيعتها على معرفة بالمجاء ، وهي تشير في مواطن كثيرة إلى الكتابة ، فلا شك إذن في أن عرب ما قبل الإسلام — الذين كانوا يستعملون لغة القرآن! — كانوا مجتمعاً أدبياً عالياً ! ولا تكاد بلاد الإغريق القديمة تعرض علينا عدداً مثل هذا من عبدة آلهة الفن !

٣ — ثم ينتقل إلى الحديث عن حفظ هذا الشعر الجاهلي ، فيقول^(١) :
 « لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقى ، فكيف حفظ ؟ لا بد أنه حفظ إما بالرواية الشفهية وإما بالكتابة . ويبدو أن الرأى الأول (أى الرواية الشفهية) هو الرأى الذى يذهب إليه المؤلفون العرب ، مع أنه ليس بالرأى الذى يجمعون عليه كما سنرى . ثم يشك — كمعادته — في أن يكون الشعر الجاهلي قد حفظ بالرواية الشفهية ، ويبنى شكه على ثلاثة أسباب ، الأول : « إذا كانت قصائد عدة ذات أبيات كثيرة قد حفظت بالرواية الشفهية فلا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا وُجد أفراد عملهم أن يحفظوها في ذاكرتهم وينقلوها إلى غيرهم ، وليس لدينا ما يدعونا إلى الظن بأن حرفة مثل هذه قد وُجدت أو أنها بقيت خلال العقود الأولى من الإسلام ! » والثانى : ما يذهب إليه المسلمون من أن « الإسلام يجب ما قبله »^(٢) وما ورد في القرآن من « أن^(٣) أتباع الشعراء هم الغاؤون فحديث القرآن عنهم فيه قسوة عليهم واحتقار لهم . فثمة إذن سبب قوى يدعو إلى نسيان الشعر الجاهلي — إذا كان ثمة شعر جاهلي حقيقة ! »^(٢) والثالث مرتبط بالثانى وهو « أن الأعمال التى تخلدها عادة هذه القصائد كانت انتصارات القبائل بعضها على بعض ، والإسلام ، الذى كان يرمى إلى توحيد العرب ونجح نجاحاً كبيراً في تحقيق تلك الوحدة ، كان يحث على نسيان تلك الحوادث ، والقصائد التى من هذا الضرب تثير النفوس وتهيج الدماء »^(٣) .

(١) ص : ٤٢٣ .

(٢) ص : ٤٢٤ .

(٣) ص : ٤٢٤ .

٤ - حتى إذا اطمأن إلى أنه قد فنّد ما ذهب إليه أكثر القدامى من أن الشعر الجاهلي قد حفظ لنا بالرواية الشفهية ، قال : « فلم يبق إلا الاحتمال الثاني وهو : أن هذه القصائد حُفِظت بالكتابة » . ثم يعرض روايات قليلة تشير إلى أن بعض الشعر الجاهلي كان يُكتب ^(١) ، ويستنتج من ذلك أنه « ربما لا يوجد ما يتعارض مع ما تصرّح به هذه القصائد إذا تخيلنا أنها كانت تُنْذِر وتُنْشِر عن طريق الكتابة ^(٢) » . ولكنه لا يلبث أن يخضع لما يسيطر عليه من نزعة الشك فيحاول أن يبنى كتابة الشعر الجاهلي من وجهين ، الأول : ما يصرح به القرآن نفسه « فإن وجود أدب فصيح قبل الإسلام بلغة القرآن وبالكتابة الحميرية ، أو بأي خط آخر ، لأمر يبدو مناقضاً كل التناقض لصريح ألفاظ القرآن وأحكامه التي يقررها بحيث لا يصح أن يوضع هذا الأمر موضع النظر ، فالقرآن يسأل أهل مكة : ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ؟ ﴾ ^(٣) ويسأل الكفار والمشركين : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ^(٤) وأولئك الذين يخاطبهم القرآن لم ينزل على آبائهم نذير : ﴿ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ ^(٥) . و ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٦) . و ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ، وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٧) . ولم يكن لأحد كتب سماوية إلا لمجتمعين : المجتمع

(١) ص : ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(٢) ص : ٤٢٥ .

(٣) القلم ٣٧ .

(٤) القلم ٤٧ .

(٥) يس ٦ .

(٦) السجدة ٣ .

(٧) القصص ٤٦ .

المسيحي والمجتمع اليهودي : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ ^(١) ولم يكن للوثنيين كتاب من هذا الضرب . وهذا أمر من الصعب أن نفترض أن القرآن أخطأ فيه ، فإن رسولا إلى الهندوس قد يحكم على كتبهم بأنها لا قيمة لها وأنها مضللة ، ولكنه لا ينكر وجودها . ولو أن الشعر الجاهلي كان مكتوباً لكان للجاهليين كثير من الكتب (وهي كتب في الحقيقة موحى بها) ، قد تكون غير مشذبة أو مصقولة - مع أنها لم تكن جميعاً كذلك كما سنرى - ولكنها مع ذلك كافية لأن تجيب عن أسئلة القرآن بالإثبات ؛ ولكن القرآن ، لا شك ، يزعم أن الجواب بالنفي ^(٢) .

أما الوجه الثاني فهو ما يدعوه « مجرى التطور الأدبي » ، وهو ، في حديثه هذا ، يجمع في ألفاظه ولا يكاد يبين ، ومع ذلك فإن الهدف الذي يرى إليه واضح ، فهو يذهب إلى أن الأدب في تطوره يسير عادةً ، وربما دائماً ، من الصور الشاذة غير المنتظمة إلى الصور المألوفة المنتظمة ، ومن هنا يرى أن الشعر الذي يُزعم أنه جاهلي إنما هو مرحلة تالية للقرآن لا سابقة عليه ، وذلك قوله ^(٣) : « إن الأساليب الأدبية العربية ، سواء النثر المسجوع والشعر ، فيها مشابهة من أسلوب القرآن . وفي القرآن آيات لا ينكير أنها نثر مسجوع إلا الغلاة من المتشددين ؛ وفيه أيضاً ، في مواطن متعددة ، أمثلة على كثير من الأوزان الشعرية . والتطور من الأسلوب القرآني إلى الأسلوب المنتظم regular يبدو متمشياً مع المألوف . وإذا كان القرآن أول أثر في اللغة يظهر فيه الفن الأدبي فإن ما يدعيه لنفسه من الإعجاز في الفصاحة أمر من اليسير على الناس فهمه ، وهو لا يختلف بذلك

(١) الأنعام ١٥٦ .

(٢) المقالة السابقة : ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٣) ص : ٤٢٦ .

كثيراً عما يدعيه لأنفسهم أولئك الذين أدخلوا، لأول مرة، النظم في اللغة أو ينسبه إليهم الآخرون . أما إذا كان المستمعون قد تعودوا سماع النثر المسجوع والشعر الكامل المصقول كما يبدو أن في أساليب الآثار الأدبية التي تدل في ظاهرها على أنها جاهلية ، فإن من العسير إقامة الدليل على هذا الادعاء .

٥ - ثم يتطرق بعد ذلك إلى الحديث عن الرواة من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين ، فيذكر حماداً ، وجناداً ، وخلفاً الأحمر ، وأبا عمرو بن العلاء ، والأصمعي ، وأبا عمرو الشيباني ، وابن إسحق صاحب السيرة ، والمبرد ، فيجمع بعض ما انتثر في الكتب العربية من إشارات تُشيع الشك في بعض ما جمعوا أو أوردوا من الشعر الجاهلي^(١) ، ثم أضاف إلى ذلك آراء هؤلاء الرواة العلماء بعضهم في بعض ، فقال^(٢) : « إن هؤلاء العلماء لم يكن يوثق بعضهم بعضاً ، فابن الأعرابي كان يتهم الأصمعي وأبا عبيدة ، وربما بادلوها اتهاماً بأنهم ، ولا شك في أن كلا منهم كان يتهم الآخر » . وسنورد تفصيل هذه الروايات في الفصل التالي .

وقد ختم حديثه عن هذه النقطة بقوله^(٣) : « وقد نقبل أن بعض العلماء كانوا يشكون ، بل كانوا ينفقون ، فلم يضعوا ولم ينحلوا ، وأدخلوا في مجموعاتهم ما كانوا يعتقدون أنه حقيقة شعر قديم ، ولكن هذا يعود بنا إلى التساؤل عن مصادرهم . فقد كانت رسالة محمد حدثاً عظيماً في بلاد العرب : كانت انفصالاً عن الماضي ينذر مثيله في التاريخ . فقد ترك الناس ، من جميع أنحاء شبه الجزيرة ، مساكنهم ليستوطنوا في بلاد لم يكن إلا القليل منهم يسمع بها . وقد واكبت الإسلام وتلتته حروب أهلية في داخل شبه الجزيرة . ولم يكن الإسلام متساعماً مع الوثنية القديمة حتى ولا تسامح استصغاراً لشأنها ، بل كان يناصبها أشد

(١) من صفحة : ٤٢٨ إلى : ٤٣٤ .

(٢) ص : ٤٣٠ .

(٣) ص : ٤٣٣ - ٤٣٤ .

العلاء ، ولم يقبل أن يلتقى معها في مكان سُوّى. فإذا كان الشعراء هم لسان الوثنية الناطق ، فمن هم أولئك الذين حفظوا في صدورهم ، ثم نقلوا إلى غيرهم ، تلك الأشعار التي تنتسب إلى نظام أبطله الإسلام ؟ ونستطيع أن نتتبع الشعور بهذه الصعوبة في ذلك الحل الذي يقال إن حماداً قدّمه ، وهو أن الأشعار كانت مدفونة حينما كانت الحماسة للإسلام في أشدها ، ثم اكتشفت مصادفة حينما بردت تلك الحماسة بعض الشيء .

ولكن مرجوليوت لا يطمئن إلى ما انتهى إليه : فلا يكاد يتم حديثه السابق حتى يعقب عليه بقوله إن هؤلاء الشعراء لم يكونوا كما يبدو عليهم « لسان الوثنية الناطق ، بل كانوا مسلمين في كل شيء ما عدا الاسم . » ^(١) ومن أجل أن يبرهن على حكمه هذا ينتقل إلى الضرب الثاني من الأدلة التي يرى أنها كفيّلة بإشاعة الشك في صحة الشعر الجاهلي ، وهي الأدلة الداخلية :

١ - وأول هذه الأدلة الداخلية - كما يراها مرجوليوت - هو ما في هذا الشعر الجاهلي من إشارات إلى قَصَص ديني ورد في القرآن ، وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل : الحياة الدنيا ، ويوم القيامة ، والحساب ، وبعض صفات الله . وقد بدأ مرجوليوت حديثه عن هذا الدليل بقوله ^(٢) « إن الشعراء ، من جميع الأمم ، لا يتركون الناس بعدهم يشكون في أمر ديانتهم ، والعرب في نقوشهم واضحون صريحون كذلك في هذا الموضوع ، فإن أكثر هذه النقوش تذكر إلهاً أو آلهة وأموراً تتصل بعبادتها . . ولكن الإشارات إلى الدين في الأشعار التي بين أيدينا قليلة . . . ولا نجد من الشعر جوّاً الآلهة المتعددة الذي نجده في النقوش . وربما كان هذا الذي أوحى للأب شيخو نظريته في أنهم كانوا جميعاً نصارى ، ولكن يبدو أن هذه النظرية غير صحيحة ، فإن بعض هؤلاء الذين افترض أنهم نصارى عبروا عن أنفسهم بطريقة 'تظهر في وضوح أنهم ينتسبون إلى مجتمع آخر مختلف .

(١) ص ٤٣٤ .

(٢) ص ٤٣٤ .

فأعشى قيس ، وهو مذكور في كتاب شيخو ، يتحدث عن المصلين أو العبّاد متحلّقين حول باب حاميم مشبهاً تحلقهم بتحلق النصارى حول بيت صنمهم^(١) ، وأحد الأمثلة القليلة التي نجد فيها قسماً بأله وثنية نجده في بيت منسوب إليه^(٢) . ثم يمضى مرجوليوت في حديثه فيقول^(٣) : « وحيثما يكن النصارى تكن لهم كتبهم المقدسة ، وتتأثر لغتهم وأفكارهم تأثراً كبيراً بتعبيرات الأناجيل ورسائل الحواريين والأناشيد ، ويتخذ شعرهم في الغالب طابع الترانيم . ولكن في الشعر - الذي يفترض أنه شعر جاهلي - ندرة كبيرة في الإشارات إلى الكتاب المقدس وتعاليم المسيحية حتى لدى الشعراء الذين ازدهروا في بلاط مسيحي . . . وبالرغم من أن الشعراء الجاهليين يقسمون كثيراً ، فهم لا يكادون يختلفون في قسمهم بالله ، وهو قسم شائع حقاً في دواوينهم ، حتى إن عبيد بن الأبرص الجاهلي يقسم بلغة القرآن وذلك قوله^(٤) :

حَلَفْتُ بِاللّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ لِّمَنْ يَشَاءُ وَذُو عَفْوٍ وَتَضَفَّاحٍ

وفكرتهم عن أعمال الله لا يستنكرها موحد ، فهي قد سبقت في التعبير عما يعبر عنه القرآن في كل التفصيلات على وجه التقريب » . ثم يمضى مرجوليوت يضرب لنا الأمثلة على ذلك ، فيمثل بيت ذى الإصبع العدواني الذي يصف فيه الله بأنه « الذي يقبض الدنيا ويبسطها » ، ويمثل بيت جلييلة بنت مُرّة على أن النساء كنَّ يلجأن إلى الله إذا حزبهن أمر كالشكل ، وهو قولها :

إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَحَ لِي

(١) يقصد قول الأعشى :

تَطُوفُ الْعُفَاةُ بِأَبْنَائِهِ طَوَافَ النَّصَارَى بَبَيْتِ الْوَثْنِ

(٢) ديوانه ق : ٢ ، ب : ٥١ .

(٣) انظر الأغاني ٢٠ : ١٣٩ .

(٤) ص : ٤٣٥ .

(٤) ديوانه ق : ٢٤ ، ب : ٢ .

وَيُمَثِّلُ كَذَلِكَ بَيْتَ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَخْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ

ويشير إلى أنهم كانوا يخشون ما يفضب الله من الذنوب ، ويمثل بيت امرئ القيس :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْضِبٍ إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ

ويذكر أنهم كانوا يصفون الله بأنه ذو الأمر المقضى ، ويشير إلى بيت الحارث ابن حلزة :

فَهَذَاهُمْ بِالْأَسْوَدَيْنِ وَأَمْرُ اللَّهِ بَلِّغْ تَشْقَى بِهِ الْأَشْقِيَاءُ

إلى آخر ما يورد من أمثلة هذا الباب . ثم يستنتج من ذلك ^(١) « أن الديانة الوحيدة التي يصح أن يعتنقها هؤلاء الشعراء الجاهليون هي الإسلام » . ويقول إن هؤلاء الشعراء لم يكونوا « موحدين متمسكين بالوحدانية حسب » ، بل لأنهم ليكشفون عن معرفتهم بأمور يذكر القرآن أنها لم يكن يعرفها العرب قبل نزول الوحي . ففي سورة رقم ١١ آية ٥١ يذكر أنه لا محمد ولا قومه سمعوا من قبل بقصة نوح ^(٢) ، وهذا القول متفق مع ما نستنبطه من النقوش التي لا تشير إلى السلالات العربية الواردة في التوراة والتي تشير إليها هذه القصة . ثم يشير إلى أن النابغة كان يعرف هذه القصة بتفصيلاتها ، ويعقب على ذلك بقوله : « ويبدو أن القرآن هو المصدر الوحيد عن هذا الأمر » ، ويورد بيت النابغة :

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

(١) ص : ٤٣٦ .

(٢) « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » (هود ٤٩) .

ويقول «وهنا إشارة واضحة إلى الصفة "أمين" ، وهي في القرآن من صفات نوح» (١) .

ثم يتحدث عن الألفاظ الإسلامية في شعر عنزة فيقول (٢) «وواضح أن عنزة العبسي كان يعرف وحى القرآن ومصطلحات الإسلام» . وذلك لأنه استخدم ألفاظ «قبلة القُصَاد» (٣) و «الركوع والسجود» (٤) و «حجر المقام» (٥) و «الجحيم» (٦) و «المحشر» (٧) وغيرها ، ولذلك قال عنه إنه «لا داعي للشك في أنه كان مسلماً تقيّاً صالحاً ، غير أن حياته انتهت قبل الإسلام !!»

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن لفظة «الدنيا» فيقرر أن القرآن أول من استعمل لفظ «الدنيا» للدلالة على الحياة أو هذا العالم ، ثم يقول (٨) «غير أن الشعراء الجاهليين كانوا على معرفة تامة بهذا التعبير» . وهنا يمثل بقول عبيد ابن الأبرص «طيبات الدنيا» ، وقول ذى الإصبع «عرض الدنيا» .

وبعد أن يفيض في تفصيل القول وضرب الأمثلة ينتهى إلى قوله (٨) : «من المحتمل جداً أن لتصور أن محمداً كان له "سابقون" بمعنى أن بعض الأفراد ثاروا قبل عهده على عبادة الأوثان في وسط بلاد العرب ؛ ومن الواضح ، فضلاً عن ذلك ، أن النصرانية سيطرت على أجزاء من شبه الجزيرة . ولو أن الشعراء الجاهليين نظموا كما ينظم النصارى مضمّنين المبادئ المسيحية مظهرين معرفتهم بتعاليمها — لكان من الجائز أن تواجهنا بعض الصعوبات في قصائدهم وتعرضنا

(١) «كذبت قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخيهم نوح ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين» (الشعراء ١٠٥ - ١٠٧) .

(٢) ص : ٤٣٧ .

(٣) وذلك قوله : إذا بلغ الفطام لنا صبي

(٤) وذلك قوله : عجوز من بنى حام بن نوح

(٥) قوله : كلما ذقت بارداً من لماها

(٦) قوله : ورجعت عنهم لم يكن قصدي سوى

(٧) ص : ٤٣٨ . (٨) ص : ٤٣٩ - ٤٤٠ .

تغر له أعادينا محمودا

كان جبينها حجر المقام

خلت في فمي كنار الجحيم

ذكر يدوم إلى أوان المحشر

مشكلة نقلها وحملها ، أما ديانتهم وحدها فلن تكون حيثثد من بين هذه الصعوبات . ولكن حينما نجدهم يتحدثون كالمسلمين ، متشددين في توحيدهم كما صار أصحاب النبي بعد ذلك ، وحينما كانوا يرددون صدى أى كتاب مقدس كان هذا الكتاب هو القرآن — فإنه من الصعب أن نقبل صحة هذه القصائد . إذ لماذا كان للعرب ، الممثلين في النقوش ، آلهتهم المحلية المتعددة ، بينما لم يكن يعرف شعراء البلاد نفسها إلهاً غير الإله الذى دعا محمد إلى توحيدِهِ ؟ وحتى لو أننا افترضنا أن النقوش قد صدرت عن مجتمعات تختلف عن مجتمعات الشعراء ، فإذا يحدث لرسالة محمد إذا كان الناس الذين " أنذرهم " يعتقدون بإله واحد ويتظنون يوم البعث ؟ ولو أننا اتبعنا النقوش فلا بد من الاعتراف بأن جدل القرآن قد كان في موطنه الصحيح الحق ، وربما كانت مناسك عبادة المكيين وجيرانهم تختلف عن مناسك عبادة الجهات التى فيها النقوش ، ولكنها كانت مشابهة لها إذ أنها من أسرة واحدة . ولكن آراء الشعراء الجاهليين في الموضوعات الدينية تبدو مشابهة ، بل مماثلة ، لتلك التى يعلمنا إياها القرآن .

٢ — والدليل الثانى من الأدلة الداخلية هو : اللغة . ومدار حديثه في هذا الدليل على أمرين : الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة ، والاختلاف بين لغة القبائل الشمالية جملة واللغة الحميرية في الجنوب . وهو يذكر أن هذا الاختلاف بنوعيه واضح فيما اكتشف من نقوش في شمال شبه الجزيرة وفي جنوبها . غير أن هذا الشعر الجاهلى كله — كما يشير مرجوليوت^(١) « بلغة القرآن ، بالرغم من استخدام كلمة أو صيغة في مواطن متفرقة من هذا الشعر يقال عنها إنها لهجة قبيلة بذاتها أو لهجة إقليم . ولو أننا افترضنا أن أثر الإسلام في قبائل بلاد العرب وحّد لغتهم . . . فإنه من الصعب أن نتصور أنه كانت ثمة لغة مشتركة — تختلف عن لغات النقوش — منتشرة في أنحاء شبه الجزيرة كلها قبل أن يهبط الإسلام هذا العنصر الموحد . . . وليس بين أيدينا أى دليل على أنه كان في

جنوب بلاد العرب شعراء ، ومع ذلك فإذا كان ثمة شعراء فلا بد أنهم نظموا بإحدى اللهجات العربية الجنوبية . . . ولقد اكتشف حقاً نقش أو نقشان في شمال بلاد العرب بلغة القرآن ، ولكن نقوشاً أخرى كشفت عن ثروة من اللهجات تماثل اللهجات التي وجدت في الجنوب ، وهنا أيضاً لا وجود للشعر فيما نعلمه ليومنا هذا . . . وحينما صنع العلماء الأقلمون مجموعاتهم كانت لغة القرآن بفضل الإسلام قد صارت اللغة الفصحى في جنوب بلاد العرب ، وهذا نفسه جعلها تسود في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة . وليس لدينا حتى الآن ما يجعلنا نفترض أنها كانت لغة أدبية في أى مكان قبل القرآن . ولو أننا نبحث في وثائقثرية فلربما اطمأننا إلى أحد افتراضين : إما أنها تُرجمت ، وإما أنها ، على الأقل ، نُقلت من طور لغوي إلى طور آخر ، وذلك يشبه ، شيئاً ما ، التغير في هجاء الكلمة الذي يحدث تدريجياً في الآثار المطبوعة ، متفقة مع أحدث استعمال ، من غير أن يكون ذلك عن سوء قصد . ولكن هذا التغير مستحيل في الشعر إذ أن فيه من الصنعة المعقدة أكثر مما في أى أسلوب آخر معروف .

ثم ينتهي من حديثه هذا بأن يربط بين هذا الدليل والدليل الذي سبقه فيقول (١) : «وكما أن وجود الأفكار الإسلامية في الآثار المقطوع بجاهليتها دليل على وضعها وزيفها ، فإن استخدام لهجة ، جعلها القرآن لغة فصحي ، أمر يدعونا إلى أن نشك فيها طويلاً . . . ويبدو أن المسلمين الذين جمعوا قصائد من جميع أنحاء شبه الجزيرة بلغة واحدة ، كان عملهم هذا متمشياً مع عملهم في جعل كثير من هؤلاء الشعراء ، بل أكثرهم ، يعبدون الله ولا يشركون به : إنهم يسحبون على الماضي ظواهر هم أنفسهم يعرفونها . . . »

٣ - وأما الدليل الآخر من الأدلة الداخلية فقام في موضوعات القصائد نفسها ، وحديثه عن هذه النقطة يلفه الغموض والإبهام ، ولعله يريد أن يستتبع منه أن اتفاق القصائد الجاهلية في التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرر في كل

قصيدة أمر يدل على أنها نظمت بعد نزول القرآن لا قبله ، وذلك قوله (١) :
 « فإذا كانوا يبدؤون دائماً قصائدهم بأبيات في النسب لأن القرآن يقول إن الشعراء
 في كل واد يهيمون ، وإذا كانوا يصنفون أسفاؤهم وتجوالم لأن القرآن يقول إنهم
 يتبعهم الغاؤون - وهذا يتضمن يقيناً أنهم أنفسهم ضالّون غاؤون ، وإذا كانوا
 يذيعون وينشرون أحلامهم ، وغالباً ما تكون مخالفة للأخلاق لأن القرآن يقول إنهم
 يقولون ما لا يفعلون - فإننا نستطيع على الأقل أن نفتنى هذه الرتبة إلى مصدرها ..
 ولكن إذا كان هذا الشكل الثابت المقرر أقدم من القرآن فلا بدّ أنه يرجع إلى
 نماذج معينة معترف بها ، والبحث عن هذه النماذج ينتهي بنا - كما رأينا - إلى آدم ! »

وبعد أن 'يُخيل' إليه أنه استوفى أدلته يعود إلى مناقشة الأمر مناقشة كليةً
 فيقول (٢) : « وإذا كان الشعر - الظاهر أنه جاهلي - مشكوكاً فيه بكلا
 الدليلين الخارجى والداخلى ، فإننا نعود إلى مشكلة ابتداء النظم العربى ، وهل هو
 قديم جداً ... أو هل 'نظم' جميعه بعد الإسلام فهو بهذا متطور عن الأساليب
 التى وُجدت فى القرآن ؟ ويبدو هذا السؤال فى الغاية من الصعوبة . إذ أنه يبدو -
 من جهة - أن الأمر مستمر متصل : فالشعراء الأمويون يَلُون شعراء عصر النبي
 والصحابة ، وهؤلاء يتبعون الشعراء الجاهليين ... ولذلك فإن افتراض أن العرب نظموا
 الشعر افتراض 'مغزى' ، إلا أننا لا نستطيع أن نطمئن إلى أن بين أيدينا حقاً شعراً
 من قبل الإسلام . بيناً نجد من جهة أخرى - فضلاً عن فقدان الشعر فى النقوش -
 أن القرآن لم يشر إلى الموسيقى ... فإذا كانت الموسيقى من مستحدثات العصر
 الأموى فهل نستطيع أن نتصور أن الوزن الشعرى قد وُجد عند العرب من قبل
 بهذا الانتظام وبهذه الغزارة ؟ إن التسلسل المعتاد لنشأة هذه الأشياء هو : الرقص
 ثم الموسيقى ثم الشعر ... » ثم يقول (٣) : « لقد كانت الممالك الجاهلية التى نعرفها

(١) ص : ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٢) ص : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) ص : ٤٤٨ .

عن طريق النقوش ذات حضارة باسقة، ولكن لا يبدو أنه كان لها شعر، فهل نصدق أن الأعراب غير المتحضرين كان لهم شعر في مثل هذه الصور المركبة كما يصدق بذلك العلماء الأقدمون من المسلمين ؟ وبوجه عام فإن من المرجح احتمال صواب ما افترضناه وهو : أن كلاً من الشعر والنثر المسجوع كانا في معظمهما مشتقين من القرآن ، وأن تلك الجهود الأدبية التي سبقت القرآن كانت أقل فناً منه لا أكثر فناً .

ثم يختم مرجوليوت مقاله هذه بقوله^(١) : « وإذا كان يبدو من الحكمة ألا نطلق حكماً على مشكلة النظم العربي وهل يرجع إلى عهد قديم جداً أو هل هو حادث بعد القرآن - فإن سبب ذلك تلك الصفات الحيرة التي نجدها فيما بين أيدينا من أدلة . ونحن في أمان حينما نبحث في النقوش ، ويصحح أن يوثق بالقرآن في بيان حالة العرب الذين أنزل لهم في زمن النبي ، أما في تاريخ الشعر العربي فلا بد لنا من الرجوع إلى مصادر أخرى ، وهي - في أغلبها - تبحث في أزمنة وأحوال لا عهد لمؤلفيها أنفسهم بها وكانت تجاريهم وخبرتهم تقودهم إلى تصديق أمور كثيرة ضللتهم بالضرورة . ونحن - حينما نحاكم أقوالهم ونبحث فيها - نستطيع أن نذهب في الشك إلى أقصى حدوده ، كما نستطيع أن نمضي في التصديق إلى أبعد مذاهبه ! »

٢

ثم تعاور نفر من المستشرقين الحديث عن « صحة الشعر الجاهلي » وكان أكثرهم يرد ، فيما يكتب ، ما ذهب إليه مرجوليوت ، ويفند أدلته وافتراضاته . وكان أولهم ، فيما نعرف ، الأستاذ شارلس جيمس ليال Charles James Lyall الذي

أشار في المقدمة التي صدر بها الجزء الثاني من « المفضليات » سنة ١٩١٨ م ، إلى ما جاء به مرجوليوت في مقاله المنشور في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد سنة ١٩١٦ ص : ٣٩٧ ، وإلى ما أورده في « معلمة الدين والأخلاق » من حديثه عن « محمد » وما أورده كذلك في الصفحة الستين من كتابه « محمد » سنة ١٩٠٥ .

بدأ ليال حديثه عن « محبة الشعر الجاهلي » ^(١) بأن أورد ما ينسب إلى المفضل من تجريح حماد الراوية وذلك قوله ^(٢) : « قد سُلِّطَ على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيجنطى في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، لا ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويُجَمِّلُ ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك ! »

يقول ليال إن بين ناقل هذا الخبر — وهو أبو الفرج الأصفهاني — وصاحب الحديث — وهو المفضل الضبي — ثلاثة رواة في سند الخبر هم : محمد بن خلف وكيع عن أحمد بن الحارث الخزاز عن ابن الأعرابي . فربما زاد هؤلاء أو أحدهم على هذا الحديث شيئاً مما يزيده الرواة ، غير أننا لو قبلنا أن هذا الحديث قد قاله المفضل حقاً وسلمنا بذلك ، فلا بد لنا من أن نذكر أن حماداً كان معاصراً للمفضل وأنه ربما كان أصغر منه سنّاً ، وأن المفضل كان من أعلم الناس بالشعر وأقدرهم على تمييز صحيحه من منحوه ، وأن الرواة من العرب — وهم الذين يُزعم أن حماداً قد أفسد ما أخذ عنهم من الشعر — كانوا ، من قبل أن يفسد حماد روايتهم ، قادرين على أن يفتحوا خزائن الشعر الذي يحفظونه ويروونه بين يدي المفضل . ولو أننا سلمنا بصحة ما ذكره هذا الخبر من أمر الوضع والنحل ،

(١) المفضليات (ليال) ج : ٢ ص : ١٦ من المقدمة .

(٢) الأغاني (دار الكتب) ٦ : ٨٩ .

فإن ذلك ينتهي إلى أن ما زاده حماد كان يشبه لغة الشاعر الحقيقي الأصيل وإحساسه وعاطفته شبيهاً يستحيل معه التمييز بينه وبين شعر الشاعر الأصيل .^(١) فإذا كان ذلك كذلك فكيف أمكن أن يُعرف أنها موضوعة منحولة ، إذا لم يكن ثمة من يعرف القصيدة في صورتها الأولى من غير ما أضيف عليها من زيادات موضوعة ؟ ومن يكون ذلك العالم سوى المفضل نفسه ؟

ثم يورد ليال خبراً آخر عن المفضل وحماد ، وهو يصف لنا هذا الخبر بأنه نموذج ومثال للطريقة التي زعم الرواة أن حماداً أفسد بها الشعر القديم . وذلك قول أبي الفرج^(٢) عن جماعة من الرواة قالوا : « إنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعباسباد ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل ، فكث مليناً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم : إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً مُحدثاً : فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل » . ثم يذكر أبو الفرج ، عن روى عنه ، سبب ذلك ويفصل ما جرى بين حماد والمفضل في حضرة المهدي من زيادة حماد بيتين قبل مطلع قصيدة زهير :

دَعْ ذَا وَعَدِّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ

ويعقب ليال على هذا الخبر بقوله^(٣) : « إن هذه القصة تتضمن أن المهدي

(١) الأغاني (دار الكتب) ٦ : ٨٩ - ٩٠ .

(٢) مقدمة المفضليات ص : ١٨ .

كان آتخذ خليفة ، وذلك لأن الرواة قالوا إنهم كانوا في دار أمير المؤمنين ، ولأن قصره بعيساباذ بناه بعد أن ولي الخلافة . غير أنه يشك في أن يكون حماد قد عاش حتى سنة ١٥٨ هـ ، وهي السنة التي ولي فيها المهدي . فقد ذكر ابن خلكان أن وفاة حماد كانت في سنة ١٥٥ هـ ، وذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت في سنة ١٥٦ . وفضلاً عن ذلك فإن البيتين اللذين يقال إنهما أضيفا إلى قصيدة زهير ليس فيهما إلا وصف عادي ، وفي المجموعات القديمة مئات من القصائد تبدأ بما يشبههما . والقيمة الوحيدة للذكر أسماء المواضع في هذين البيتين هي أنهما يدلان على أن الشاعر ينتمي إلى الموطن الذي توجد فيه هذه المواضع . فإذا لم يكن عملاً جليلاً أن يزداد على قصيدة زهير - من الواضح أنها ناقصة في أولها - أبيات قليلة وضعت مكان النسيب الناقص ، ولا ريب أن ذلك لا يدل على مهارة خارقة في الوضع والنحل .

ثم يذكر ليال قصة ثلاثة يروونها الرواة ليدلوا بها على أن خلق حماد . وذلك أن حماداً مدح بلال بن أبي بُرْدَةَ بقصيدة ، وعند بلال ذو الرمة . فقال بلال للذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً وليس له . ثم اعترف حماد أن الشعر جاهلي قديم لا يرويه غيره وأنه انتحلّه لنفسه^(١) .

ثم يعقب ليال على كل ذلك في معرض حديثه عن المفضليات بقوله^(٢) : إن هذه القصص ذات الدلالات لتوضح لنا - سواء أكانت صحيحة أم موضوعة - أنه ليس ثمة ما يحملنا على الظن أن الشعر الذي جمعه المفضل قد أفسده ما يعزى إلى حماد من وضع الشعر ونحله .

وبعد أن يعرض ليال لسيرة خلف الأحمر ، ولما ينسب إليه من أنه كان يقول الشعر وينحله الشعراء الجاهليين^(٣) ، يقول^(٤) : « إنه لمن الخطأ

(١) الأغاني ٦ : ٨٨ .

(٢) مقدمة المفضليات : ١٩ .

(٣) مقدمة المفضليات : ١٩ - ٢٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٠ - ٢١ .

العظيم أن نعدّ هذين الرجلين - حماداً وخلفاً - النموذجين المثاليين للرواة المحترفين الذين كانوا يروون أشعار القبائل . فقد كانا كلاهما من أصل فارسي . أما رواة القبائل فكانوا من العرب ، يختارهم الشعراء ليكونوا الوسيلة التي تحفظ شعرهم وتخلّطه في صلور القبيلة والأمة العربية بعامّة . وكان من هؤلاء أن أخذ الرواة الجامعون في القرنين الأول والثاني المهجريين ما جمعوا من شعر . وأما أن نذهب ، كما ذهب أحد العلماء المحدثين^(١) ، إلى أن جميع ما نسميه بالشعر العربي القديم موضوع منحول ، مستدلّين على ذلك بالقصص التي تُروى عن حماد وخلف ، وقد قلّمنا نماذج منها - فهو مذهب مخالف لجميع وجوه هذه القضية واحتمالاتها . إن حماداً وخلفاً كانا يحاكيان أسلوباً للنظم كان قد قرّر واتخذ صورته النهائية زمناً طويلاً قبل الإسلام ، وكان قد نظم به شعراء كثيرون كانوا وثنيين ، أو غير مسلمين ، في زمن محمد ثم أسلموا ، وقد كثر استخدامه وتُجمل بالكتابة لعهد شعراء القرن الأول الهجري (مثل جرير والفرزدق والأخطل وذو الرمة ، ولم أذكر إلا الذين خلّفوا لنا تراثاً من الشعر كبيراً) . فسلّسة الرواية والنقل لم تنقطع : فقد كانت الطبقة الأخيرة من الشعراء على قيد الحياة ينظمون الشعر حينما كان العلماء يدأبون في جمع الشعر وتلويينه . ولا يمكن أن نتعرضنا ، في دراستنا لهؤلاء الشعراء مشكلة الوضع والنحل لأن رواّتهم قد دأبوا على كتابة القصائد التي تلقى عليهم لنشرها وتخليدها . أما الشعر الجاهلي فربما حاكاه حماد وخلف ، ولكن هذه الحقيقة نفسها ، المحاكاة ، تدل على وجود أصل يحاكي . أما أن نذيع أن ما بين أيدينا لا يعدو أن يكون الصورة المحكية ، وأنه لم يبق شيء من الأصل نفسه فذلك أمر لا يقرّه الفهم السليم على ضوء هذه الظروف .

(١) ذكر ليال في الهامش أن المقصود هو الأستاذ مرجوليوت في ما نشره في ص : ٣٩٧ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٩١٦ ، وفي مقالته عن « محمد » المنشورة في مجلة الدين والأخلاق ج ٨ ص : ٨٧٤ ، وفي ما كتبه في ص : ٦٠ من كتابه « محمد » المطبوع سنة ١٩٠٥ . ثم يقول ليال إن الأستاذ مرجوليوت يذهب مذهباً يدعو إلى الدهشة والعجب وهو قوله « إن الشعر القديم هو في معظمه موضوع منحول صيغ على نمط القرآن » .

ثم يمضى ليال في حديثه فيقول : « إن ما ينبغي أن نستنتجه من هذه القصص عن حماد وخلف ليس رد هذا الشعر القديم ووصمه بأنه موضوع منحول من غير بحث وتمحيص ، بل وضع هذا الشعر موضع البحث الدقيق مهتدين بما تقلمه الرواية في ذلك الزمن من أدلة ، وناظرين إلى موضوع القصيدة وأسلوبها والصفات الشخصية المميزة ، لنرى بعد ذلك هل فيها ما يوحى على أى وجه بأن فيها زيادات دخيلة ، أو تغييراً في ترتيب الأبيات ، أو أنها موضوعة منحولة » .

• • •

وقد تحدث ليال عن هذا الموضوع حديثاً مفصلاً في موطن آخر ، وذلك في مقدمته لديوان عبيد بن الأبرص ، قال (١) : « أما موضوع صحة هذا الشعر فأمر من الطبيعي أن يختلف فيه الناس . إذ من المؤكد أن شعر الأعراب في الجاهلية العربية لم ينتقل بالكتابة ، بل بالرواية . وكانت القبيلة تعد القصائد التي تسجل انتصاراتها أعلى ما تملك ، فكانت ترويه جيلاً بعد جيل ، وبالإضافة إلى هذه المعرفة العامة المنتشرة في القبيلة ، كان هناك الراوى ، وعمله أن يحفظ بمخوار الشعر الذى تعبه ذاكرته . وكان يعتنى بالذاكرة - في العصور التي لم تستخدم فيها الكتابة إلا في المدن ولأغراض خاصة - عناية كبيرة ، بحيث كانت أكثر قدرة على الاستيعاب منها في العصر الحديث . وليس من الغريب أن تتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة .

ومن الطبيعي أن يفترض المرء أن هذه القصائد اعتراها بعض التغيير في أثناء هذا التناقل : فقد تستبدل بعض الكلمات المترادفة بغيرها ، وقد يؤدّى عدم تثبيت الذاكرة إلى إسقاط أبيات ، أو تغيير في ترتيبها ، أو وضع عبارات الراوى بدل العبارات التي نسيها . ومثل هذه الظواهر شائعة في كل مكان . غير أننا حين نفحص القصائد ذاتها نجد فيها من الشخصية الفردية ما يكفيننا للاستدلال على

(١) طبعة دار المعارف ص ١٧ - ١٩ ، وانظر للمقابلة ترجمة الدكتور حسين نصار في

مجلة الثقافة عدد ٦٤٥ ، ٧ مايو ١٩٥١ .

أن القصائد ، في معظمها ، من نظم الشعراء المنسوبة إليهم . فالمعلقات السبع مثلاً كلها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة ، وتعرض لنا سبع شخصيات متميز بعضها من بعض كل التميز . ونجد الأمر نفسه في القصائد الثلاث الباقية (للأعشى والنابغة وعبيد) التي عدها بعض النقاد من المعلقات . فقد تركت شخصية امرئ القيس وزهير ولييد والنابغة والأعشى طابعها على شعرهم ، ومن جموح الخيال أن نظن أن معظم القصائد المنسوبة لهم مصنوعة في عصر متأخر ، صنعها علماء عاشوا في ظروف مغايرة تمام المغايرة ، وفي حياة شديدة الاختلاف عن حياة الأعراب في الصحراء العربية .

والسبب الثاني لاعتقادنا أن الشعر القديم صحيح في جملة ، وليس منحولاً ، هو أن شعر القرن الأول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي ويفترض سبقه عليه : فقد استمر شعراء القرن الأول المشهورون : الفرزدق وجريير والأخطل وخو الرمة ، يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين ، من غير أن تكون بينهم فجوة ، ففضلاً عن أنهم ذكروهم في شعرهم ، فقد استعملوا ذخيرتهم الشعرية مراراً متكررة ، متناولين الموضوعات نفسها بالأسلوب نفسه : محسنين ومحوّرين ومقتبسين ، ولكنهم ما يزالون متقيدين بالتقاليد نفسها . وليس هناك من شك في أنه قد وصلنا شعر هؤلاء الشعراء صحيحاً ، فقد عاشوا في عصر عمّ استخدام الكتابة فيه لتدوين الشعر وإن كانت الرواية ما تزال أداة نشره بين الجمهور .

وسبب ثالث : هو أن الشعر القديم ملئ بالفاظ كانت غريبة على العلماء . الذين كانوا أول من عرض هذا الشعر على محكّ النقد . فقد كانت تنتمي إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم ، وكانت غير مستعملة في الزمن الذي كتبت فيه القصائد وجمعت الدواوين . ولا بد من أن يتنبه كل من اتصل بالشروح القديمة وعرفها (وهي المادة التي جمعت منها المعاجم الكبيرة فيما بعد) إلى أن الشراح — الذين يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً — توصلوا إلى شرح الصعوبات بمقابلة عبارة أخرى ، وبالجهد والنقاش ، لا بالرجوع إلى لغة الخطاب التي لم تعد

تحري الألفاظ التي يبحثون عن معناها . وتعتمد المعاجم كل الاعتماد على الشعر القديم وعلى القرآن والحديث ، وتفترض صحة الشعر كما تسلم بصحة القرآن والحديث .

٣

وتحدث جورجيو ليني دلاً في مقالته « بلاد العرب قبل الإسلام » عن قيمة المصادر التاريخية لهذه الفترة ، وعرض في حديثه للشعر الجاهلي من حيث هو مصدر من هذه المصادر ، فقال^(١) : « حين نحاول البحث في العصور الوسيطة في بلاد العرب (يقصد الجاهلية الأخيرة) نواجه المشكلة نفسها التي واجهتنا في دراستنا لبلاد العرب القديمة (أي الجاهلية الأولى) . وما نعرفه ليس بالكثير ، إذا قيس بما نجعل ، والمجال متسع للفروض الظنية . وأياً كان ، فإن أسباب فقدان القطع واليقين في دراستنا لتاريخ تلك الفترة أسباب مختلفة اختلافاً تاماً : فإن مصادر تاريخ بلاد العرب في القرون السابقة لظهور الإسلام مباشرة مصادر أدبية في أغلبها ، وليست نقوشاً كمصادر تاريخ بلاد العرب القديمة . وهي غزيرة وافرة ، وربما كانت أوفر مما ينبغي — فإننا نعانى من كثرتها لا من قلتها . ولكن قيمتها للأسف لا تعادل وفرة عددها ، فإن المعلومات التي تنقلها إلينا ليست مأخوذة من وثائق أولية . وهي تشبه — من بعض وجوهها — المصادر التي نعرفها عن التاريخ اليوناني والروماني واليهودي . وأكثر المصادر العربية أخبار جمعها علماء العصور الإسلامية ورتبوها . والأدلة المباشرة يقدمها لنا الشعر الذي وصل إلينا عن طريق ما قام به العلماء المسلمون من اختيار وشرح . أما الأدلة التاريخية ، وهي غير مباشرة ، فلا يصح أن يعتمد عليها من غير نقد وتمحيص . ونتائج النقد والتمحيص تجيء — عادة — متباينة . فإن جماعة من العلماء المعاصرين

Giorgio Levi Della Vida, Pre — Islamic Arabia, The Arab Heritage, (١)

New Jersey, 1944 P. 41-48.

يشككون شكاً عميقاً أساسياً في الرواية العربية، ويذهبون إلى أن أكثرها موضوع زائف ، وأنها تمثل الاتجاه الذي نما في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، حينما نسى العرب ما كانوا يذكرونه عن التاريخ الجاهلي ، فحاول اللغويون والأخباريون أن يملأوا الفجوات وذلك بأن وضعوا وزيفوا ما لم يجدوه في الوثائق الأصلية الحقيقية. ومن أجل ذلك يرون أن الأدب التاريخي العربي ليس أوثق من القصص التاريخية، وأن أكثر الشعر موضوع ، فليس من المستطاع اتخاذهما أساساً سليماً يُبنى عليه فهم صحيح لما كان يحدث في بلاد العرب في العصر الجاهلي .

وهذا الموقف المتشكك مبالغ فيه - في رأى كاتب هذه المقالة - فإن الرواية التاريخية عن بلاد العرب في عصورها الوسيطة (الجاهلية الأخيرة) ليست أوثق ، ولا أضعف ، من أية رواية أخرى عن أى عصر تاريخي يعوزنا فيه الدليل المباشر. فهي ليست أضعف من ليفي Levi - مثلاً - عن القرون الخمسة الأولى من التاريخ الروماني ، أو من ساكسو جراماتيكس عن العصر القديم في الدانيمرك . بل إنها - من بعض الوجوه - خير منهما ، بالرغم من أنها لا تخلو من الفجوات والأخطاء . وليس بين أيدينا كل ما كتب عن الجاهلية العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، إذ أن مؤلفات كثيرة ضاعت ، ولم يبق من بعض الكتب الأخرى غير قطع ومختارات . . . وأهم من كل ذلك أن أكثر الرواية ذات جانب واحد ، فبدلاً من أن ترمى الرواية التاريخية إلى التسجيل الشامل للماضي ، أصبح لها ثلاثة أهداف : تقديم تفسير لإشارات تاريخية معينة في بعض سور القرآن ، وشرح الحوادث التاريخية في الشعر القديم ، وأخيراً خدمة العزة القومية ومطالب أشراف العرب ووضع أنساب واسعة لأكثر الأسر البارزة وذكر مفاخر قبائلهم .

والمثال يوضح نتائج هذه الطريقة التي نمت فيها الرواية. فقد كانت الخصومات القبلية التي تفوق الحصر هي العنصر الرئيسي في تاريخ الأعراب ، ونحن نعرف منها عن قبيلة تميم أكثر جداً مما نعرفه عن غيرها من القبائل . والسبب الوحيد لذلك أن مصدرنا عن حروب تميم يرجع - كله تقريباً - إلى شروح وافية كتبها

أبو عبيدة على نقائص جرير والفرزدق . . . وكلاهما من قبيلة تميم ، فكانا دائماً يذكران في شعرهما أجداد أسلافهما . ولو كانت لدينا شروح على أشعار لقبيلة أخرى لكانت معرفتنا بتاريخ هذه القبيلة تعادل في وفرتها وكماها لمعلوماتنا عن تميم .

لقد بينا أن الشعر الجاهلي مصدر آخر من مصادر معرفتنا ببلاد العرب في العصور التي سميناهـا « العصور العربية الوسيطة » . ولكن ، هل الشعر في ذاته مصدر موثوق به ؟ لقد بحث هذه المشكلة علماء كثيرون ، وهى مشكلة عسيرة دقيقة . وقد بولغ في مسألة وضع الشعر الجاهلي ونحله . وحتى لو كانت بعض قصائده موضوعة ، فلا ريب في أن مجموع الرواية الشعرية في حملتها صحيحة أصيلة . ومع ذلك فإن الشعر يعجز عن إعطائنا صورة صادقة كاملة عن بلاد العرب ، فإن الشعراء العرب لم يصوروا لنا تجارب الحياة عند البدو الرحل في واقعها ومجموعها ، بل صوروا بعض مظاهرها في مثل عليا ونماذج رفيعة . وقد كان المثل الأعلى الذي أعجبوا به وتغنوا به في شعرهم مشابهاً — والقياس مع الفارق — للمثل الأعلى لقصيدتي هومر وللقصيدة الفرنسية *Chansons de Geste* . هذا المثل الأعلى هو : الفروسية . ولا يصح أن يتهم الشعر الهومري ، ولا تلك القصيدة الفرنسية بأنها عمدت عمداً إلى تغيير الجوانب التاريخية للعصرين الميسيني والكاروليي ، لكن هذين الشعرين يصوران مظهراً واحداً حسب ، وكذلك فعل الشعر العربي القديم : لقد أبرز لنا الجانب البطولي في الحياة ، وأغفل المظاهر الأخرى التي لا تقل عنه قيمة . ومن هذه المظاهر التي أغفلت : الدين . . .

وبعد ؛

فبحسبنا ما قدمنا من آراء المستشرقين في وضع الشعر الجاهلي ونحله ، وفي مدى توثيقهم أو تضعيفهم لروايته . وقد عجبنا بعرض آراء بعض الذين خصوا هذا الموضوع ببحث واف في مقالات خاصة به ، وأما أولئك الذين تعرضوا له تعرضاً عابراً في جل مقتضبة ، في معرض تأريخهم للأدب العربي العام : من مثل جب وبروكلمان وغيرهما — فلا حاجة بنا إلى الإشارة إلى آرائهم لشهرتها ودورانها .

الفصل الرابع

النحل والوضع في الشعر الجاهلي

آراء العرب المحدثين

١

أما أول من شق طريق البحث في هذا الموضوع من العرب المحدثين فهو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه « تاريخ آداب العرب » الذي صدر في سنة ١٩١١ م . وقد خص الرواية والرواة بباب كامل من الجزء الأول تبيّنت صفحاته على مائة وخمسين^(١) ، حشد فيه من المادة ما لم يجتمع مثله - من قبله ولا من بعده حتى يومنا هذا - في صعيد واحد من كتاب . لمّ فيه شتات الموضوع من أطرافه كلها ، واستقصاه استقصاء ، غير أنه في كل ذلك كان يحكي ما أورده المؤلفون القدماء : يجمع ما تفرق من هذا الحديث في الكتب الكثيرة أو في مواطن شتى من الكتاب الواحد ، ثم يرتب ما تجمع له في فصول ينتظم كل فصل منها عنوان يدل عليه . ولكنه ، على هذا الجهد العظيم الذي تكلفه ، اكتفى ، في أكثر حديثه ، بالسرد المجرد والحكاية عن مضي . ولم يتجاوز ذلك إلى البحث في هذه الأخبار والروايات بحثاً علمياً ولا إلى نقدها نقداً يميز زائفها من صحيحها - إلا في القليل النادر ، وحتى في هذا القليل النادر كان يتعجل المضي ، فلا يكاد يقف عند خبر أو رواية حتى يدعها وينتقل إلى غيرها . ومع ذلك فللرافعي فضل سبق وفضل الاستقصاء في الجمع . وسنقف عند حديثه

(١) تاريخ آداب العرب - الطبعة الثانية سنة ١٩٤٠ من ص : ٢٧٧ إلى ص : ٤٣٤ .

عن « وضع الشعر »^(١) وقفة نلّم فيها بما بيّنه من « البواعث على وضع الشعر في الإسلام »^(٢). وسنحاول أن نرتبها هنا في نسق، وكان قد أرسلها في كتابه إرسالا :

١ - تكثّر القبائل لتعتاض مما فقدته بعد أن راجعت الرواية ، وخاصة القبائل التي قلّت وقائعها وأشعارها ، وكانت أولاها قبيلة قريش ، فقد وضعت على حسان أشعاراً كثيرة^(٣) - على نحو ما ذكره ابن سلام في طبقاته وأوردناه في الفصل الثاني من هذا الباب .

٢ - شعر الشواهد « وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو »^(٤) . . . شعر الشواهد في اصطلاح الرواة على ضربين : شواهد القرآن وشواهد النحو^(٥) . والكوفيون أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يستشهد بها ، لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولاً يقاس عليها . . . قال الأندلسي في شرح المفصل : والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه ، بخلاف البصريين^(٦) . . . ولهذا وأشباهه اضطر الكوفيون إلى الوضع فيما لا يصيبون له شاهداً إذا كانت العرب على خلافهم . . .

٣ - الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم^(٧) - وقد أورد ما ذكره ابن قتيبة في « التأويل » من أنهم ذهبوا إلى أن معنى كرسى في قوله تعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض » هو العلم ، وجاءوا على ذلك بشاهد لا يُعرف ، وهو قول الشاعر : ولا يكرسى علم الله مخلوق . وأورد

(١) تاريخ آداب العرب : ٣٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٤) المصدر السابق : ٣٦٨ .

(٥) المصدر السابق : ٣٦٩ .

(٦) المصدر السابق : ٣٧٠ .

(٧) المصدر السابق : ٣٧٣ .

كذلك ما ذكره الجاحظ في «الحيوان» من أنهم كانوا يدفعون أن الرجوم كانت حجة للنبي صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا على ذلك بأبيات وضعوها على شعراء الجاهلية .
 ٤ - الشواهد على الأخبار (١) . . . فلما كثرت القصصون وأهل الأخبار اضطروا من أجل ذلك أن يصنعوا الشعر لما يلققونه من الأساطير حتى يلائموا بين رقصي الكلام ، وليحذروا تلك الأساطير من أقرب الطرق إلى أفئدة العوام ، فوضعوا من الشعر على آدم فمن دونه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم ، وأول من أفرط في ذلك محمد بن إسحق . . . ثم ذكر أن مما يدخل في هذا الباب شعر الجن وأخبارها (٢) . . .

٥ - الاتساع في الرواية (٣) « وهو سبب من أسباب الوضع ، يقصده به فحول الرواة أن يتسعوا في رواياتهم فيستأثروا بما لا يحسن غيرهم من أبوابها ، ولما يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها ، ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم ، ويدخلون من شعر الرجل في شعر غيره . . . » ثم يمثل على ذلك بمصاد الرواية وخلف الأحمر .

وهكذا نرى أن الرافعي قد دار مع القدماء من العرب في فلكهم ، وسرد ما روه من أخبار ، وما انبث في كتبهم من أحاديث ، وحصر الموضوع في اللبنة نفسها التي حصره فيها القدماء : لم يحمل نصاً أكثر مما يحتمل ، ولم يعتسف الطريق اعتسافاً إلى الاستنتاج والاستنباط ولا إلى الظن والافتراض ، ولم يحمل من الخبر الواحد قاعدة عامة ، ولا من الحالات الفردية نظرية شاملة .

٢

ثم استقر الموضوع بين يدي الدكتور طه حسين ، فخلق منه شيئاً جديداً ، لم يعرفه القدماء ، ولم يقتحم السبيل إليه العرب المحدثون من قبله ، ثم أنكره بعد كثير من المحدثين إنكاراً خصباً يتمثل في هذه الكتب التي ألفوها للرد عليه ونقض

(١) تاريخ آداب العرب : ٣٧٥ .

(٢) المصدر السابق : ٣٧٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٩ .

كتابه . وقد استقى الدكتور طه حسين أكثر مادته - حيث يستشهد ويتمثل بالأخبار والروايات - من العرب القدماء ، وسلك بها سبيل مرجوليوت في الاستنباط والاستنتاج ، والتوسع في دلالات الروايات والأخبار ، وتعميم الحكم الفردي الخاص واتخاذها قاعدة عامة ، ثم صاغ تلك المادة وهذه الطريقة بإطار من أسلوبه الفني وبيانه الأخاذ ، حتى انتهى إلى ما انتهى إليه من « أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين »^(١) . و « إن هذا الشعر الذى ينسب إلى امرئ القيس أو إلى الأعشى أو إلى غيرهما من الشعراء الجاهليين لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء ، ولا أن يكون قد قيل وأذيع قبل أن يظهر القرآن »^(٢) . ثم يكاد يعتدل بعض الشيء فيقسم الشعر الجاهلى ثلاثة أضرب ويقول^(٣) : « إنا نرفض شعر اليمن في الجاهلية ، ونكاد نرفض شعر ربيعة أيضاً . . . وأقل ما توجه علينا الأمانة العلمية أن نقف من الشعر المضرى الجاهلى ، لا نقول موقف الرخص أو الإنكار ، وإنما نقول موقف الشك والاحتياط . »

فنحن إذن بإزاء نظرية عامة : لم نرها فيما عرضنا من آراء العرب القدماء ، ونحسب أنها لم تدرّ لهم ببال ، ولكننا رأيناها واضحة المعالم فيما عرضنا من آراء مرجوليوت ، ولم يكتف بالإشارة إليها إشارة عابرة ، وإنما نص عليها نصاً صريحاً في عبارات متكررة تختلف ألفاظها وتتفق مراميها . وجاء الدكتور طه حسين فلم يقنع كما قنع مرجوليوت بأن يدلنا عليها في مقالة أو مقالتين ، وإنما فصل لنا القول فيها في كتاب كامل قائم بذاته ، وساقها في أسلوبه الأخاذ الذى يلف القارئ به لفتاً حتى يكاد أن ينسبه نفسه ويصرفه عن مناقشة رأيه . ومن آيات

(١) في الأدب الجاهل : ٧١ - ٧٢ .

(٢) المصدر السابق : ٧٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧١ و ٢٧٠ .

ذلك أننا حينما قرأنا تلخيصنا لرأى الدكتور - بعد أن جرّدناه من أسلوبه - أحسنا فرقاً ما بين الملخص والكتاب ، وأدركنا أن هذا التلخيص يغمط الكتاب حقّه ، ويفقده كثيراً من أثره في النفس .

وحديث الدكتور طه ، في هذا ، ينقسم ثلاثة أقسام ، الأولان منها عامان ، أولهما : الدوافع التي دفعته إلى الشك في هذا الشعر ، وثانيهما : الأسباب التي يرى أنها أدّت إلى نحل الشعر الجاهلي ووضعه . أما القسم الثالث فخاصّ يتحدث فيه عن شعراء بذاتهم .

دوافع شكّه :

نظر الدكتور طه في هذا الشعر الذي يسمّى جاهلياً فرأى فيه أشياء رابته ، شكّ فيه ، وانتهى إلى أن كثرت المطلقة ليست جاهلية وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام . ومن هذه الأمور التي رابته :

١ - « أنه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين ^(١) » وقد فسل القول في كل جانب من هذه الجوانب :

(١) الحياة الدينية : فرأى أن « هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين بظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوى والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة العملية . وإلا فأين تجد شيئاً من هذا في شعر امرئ القيس أو طرفة أو عنتره ؟ أو ليس عجباً أن يعجز الشعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين ؟ وأما القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدل . فإذا رأوا أنه قد أصبح قليل الغناء لحأوا إلى الكيد ثم إلى الاضطهاد ؟ ثم إلى إعلان الحرب التي لا تبقى ولا تذر . أفنتظن أن قريشاً كانت تكيد لأبنائها وتضطهدهم وتذيقهم

ألوان العذاب ثم تخرجهم من ديارهم ثم تنصب لهم الحرب وتضحى في سبيلها بثروتها وقوتها وحياتها لو لم يكن لها من الدين إلا ما يمثله هذا الشعر الذى يضاف إلى الجاهليين ؟ كلا . . . (١)

(ب) الحياة العقلية : ثم يجد في هذا الجدال الدينى ما يجعله ينتقل إلى الحياة العقلية والحضارية ، فيقول (٢) : « أفنظن قوماً يجادلون في هذه الأشياء جدالاً » يصفه القرآن بالقوة ويشهد لأصحابه بالمهارة ، أفنظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والحشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذى يضاف إلى الجاهليين ؟ كلا ! لم يكونوا جهالاً ولا أغبياء ، ولا غلاظاً ولا أصحاب حياة خشنة جافية ، وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء ، وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة . . .

(ج) الحياة السياسية : ثم يرى أن العرب « كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم ، بل كانوا على اتصال قوى ، قسمهم أحزاباً وفرقهم شيعاً . أليس القرآن يحدثننا عن الروم وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب إلى حزبين مختلفين : حزب يشايح أولئك وحزب يناصر هؤلاء ؟ أليس في القرآن سورة تسمى « سورة الروم » ؟ ... لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلى معتزلين . فأنت ترى أن القرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس والروم . وهو يصف اتصالهم الاقتصادى بغيرهم من الأمم في السورة المعروفة : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » . وكانت إحدى هاتين الرحلتين إلى الشام حيث الروم ، والأخرى إلى اليمن حيث الحبشة والفرس » (٣)

(د) الحياة الاقتصادية : ثم يقول الدكتور طه (٤) : « فأنت تستطيع أن تقرأ أمراً القيس كله وغير امرئ القيس ، وأنت تستطيع أن تقرأ هذا الأدب

(١) ص : ٨٠ .

(٢) ص : ٨١ .

(٣) ص : ٨٢ - ٨٣ .

(٤) ص : ٨٣ .

الجاهلى كله دون أن تظهر بشيء ذى غناء يمثل لك حياة العرب الاقتصادية فيها بينهم وبين أنفسهم . ثم يتحدث عما فى القرآن من إشارات إلى الحياة الاقتصادية لدى عرب الجاهلية فيقول ^(١) : « وأنت إذا قرأت القرآن رأيت أنه يقسم العرب إلى فريقين آخرين : فريق الأغنياء المستأثرين بالثروة المسرفين فى الربا ، وفريق الفقراء المعلمين أو الذين ليس لهم من الثروة ما يمكنهم من أن يقاوموا هؤلاء المرابين أو يستغنوا عنهم . وقد وقف الإسلام فى صراحة وحزم وقوة إلى جانب هؤلاء الفقراء المستضعفين وناضل عنهم وذاد خصومهم والمسرفين فى ظلمهم . . . أفطن أن القرآن كان يُعنى هذه العناية كلها بتحريم الربا والحث على الصدقة وفرض الزكاة لو لم تكن حياة العرب الاقتصادية الداخلية من الفساد والاضطراب بحيث تدعو إلى ذلك ؟ فالتمس لى هذا أو شيئاً كهذا فى الشعر الجاهلى ، وحدثنى أين تجد فى هذا الأدب : شعره ونثره ، ما يصور لك فضلاً ما بين الأغنياء والفقراء . . . » ثم يتحدث عن ناحية أخرى فيقول ^(٢) : « كنا نتظر أن يمثلها الشعر لأنها خليفة به وتكاد تكون موقوفة عليه ، نريد هذه الناحية النفسية الخالصة ، هذه الناحية التى تظهر لنا الصلة بين العربى والمال . . . فالشعر الجاهلى يمثل لنا العرب أجواداً كراماً مهينين للأموال مسرفين فى ازدهائها ، ولكن فى القرآن إلحاحاً فى ذم البخل وإلحاحاً فى ذم الطمع ، فقد كان البخل والطمع إذن من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الجاهلية . . . فالعرب فى الجاهلية لم يكونوا كما يمثلهم هذا الشعر أجواداً متلفين للمال مهينين لكرامته ، وإنما كان منهم الجواد والبخل ، وكان منهم المتلاف والحريص ، وكان منهم من يزدرى المال ومنهم من يزدري الفضيلة والعاطفة فى سبيل جمعه وتحصيله . » ثم يتحدث عما فى القرآن من تنظيم للصلة بين الدائن والمدين .

(هـ) الحياة الاجتماعية : ثم ينتهى إلى الحديث عن حياة العرب الاجتماعية

(١) ص : ٨٤ .

(٢) ص : ٨٥ .

في الجاهلية ، فيقول ^(١) : « فهذا الشعر لا يعنى إلا بحياة الصحراء والبادية ، وهو لا يعنى بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلاً تاماً . فإذا عرض لحياة المدر فهو يحسها مساً رقيقاً ولا يتغلغل في أعماقها ، وما هكذا نعرف شعر الإسلام . ومن عجيب الأمر أنا لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه ، فإذا ذكر فذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا أقل . أما القرآن فيمن على العرب بأن الله قد فخر لهم البحر وبأن لهم في هذا البحر منافع كثيرة . . . »

٢ — اختلاف اللغة : ويرى الدكتور طه حسين أن هذا الشعر « بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه » ^(٢) . ثم يقول : « إن هناك خلافاً قوياً بين لغة حمير (وهي العرب العاربة) ولغة عدنان (وهي العرب المستعربة) » ^(٣) . ويستند في ذلك إلى أمرين ، الأول : ما قاله أبو عمرو بن العلاء ، وهو — كما أورده الدكتور طه — : ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا ! والثاني : أن البحث الحديث أثبت خلافاً جوهرياً بين اللغة التي كان يصطنعها الناس في جنوب البلاد العربية ، واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد . ثم يشير إلى هذه النقوش الحميرية التي اكتشفت وإلى ما أورده جويدى في كتابه : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . ثم ينتهي من كل ذلك إلى قوله ^(٤) : « وإذن فما خطب هؤلاء الشعراء الجاهليين الذين ينسبون إلى قحطان ، والذين كانت كثرتهم تنزل اليمن وكانت قلتهم من قبائل يقال إنها قحطانية قد هاجرت إلى الشمال ! ما خطب هؤلاء الشعراء ، وما خطب فريق من الكهان والخطباء يضاف إليهم نثر وجميع ، وكلهم يتخذ لشعره ونثره اللغة العربية الفصحى كما نراها في القرآن ؟ أما أن هؤلاء الناس كانوا

(١) ص : ٨٧ .

(٢) ص : ٨٨ .

(٣) ص : ٨٩ - ٩٠ .

(٤) ص : ٩٨ .

يتكلمون لغتنا العربية الفصحى ففرض لا سبيل إلى الوقوف عنده فيما يتصل بالعصر الجاهلي، فقد ظهر أنهم كانوا يتكلمون لغة أخرى، أو قل لغات أخرى». ثم يعرض لما يقال من احتمال اتخاذ أهل الجنوب اللغة العدنانية لغة أدبية، فينبغي لأن «السيادة السياسية والاقتصادية التي من شأنها أن تفرض اللغة على الشعوب— قد كانت للقحطانيين دون العدنانيين»^(١).

٣ — اختلاف اللهجات : وبعد أن ينتهي من الشعر الذي يضاف إلى القحطانيين ينتقل إلى الشعر الذي يضاف إلى العدنانيين فيقول^(٢) : « فالرواة مجمعون على أن قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام فيقارب بين اللغات المختلفة ويزيل كثيراً من تباين اللهجات . وكان من المعقول أن تختلف لغات العرب العدنانية وتباين لهجاتهم قبل ظهور الإسلام ولا سيما إذا صححت النظرية التي أشرنا إليها آنفاً وهي نظرية العزلة العربية . . فإذا صح هذا كله كان من المعقول جداً أن تكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجاتها ومذاهبها في الكلام . وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة . ولكننا لا نرى شيئاً من ذلك في الشعر العربي الجاهلي . فأنت تستطيع أن تقرأ هذه المطولات أو المعلقات التي يتخذها أنصار القديم نموذجاً للشعر الجاهلي الصحيح ، فسترى فيها مطولة لامرئ القيس وهو من كندة أي من قحطان ، وأخرى لزهير ، وأخرى لعنتر ، وثالثة للبيد ، وكلهم من قيس ، ثم قصيدة لطرفة ، وقصيدة لعمر بن كلثوم ، وقصيدة أخرى للحارث بن حنظلة — وكلهم من ربيعة . . . تستطيع أن تقرأ هذه القصائد السبع دون أن تشعر فيها بشيء يشبه أن يكون اختلافاً في اللهجة ، أو تباعداً في اللغة ، أو تبايناً في مذهب الكلام : البحر العروضي هو هو ، وقواعد القافية هي هي ، والألفاظ مستعملة

(١) ص : ٩٨ .

(٢) ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

في معانيها كما تجدها عند شعراء المسلمين ، والمذهب الشعري هو هو . . . فنحن بين اثنتين : إما أن نؤمن بأنه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي ، وإما أن نعترف بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وإنما حمل عليها بعد الإسلام حملاً . ونحن إلى الثانية أميل منا إلى الأولى فالبرهان القاطع قائم على أن اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس إلى عدنان وقحطان .

٤ - الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن والحديث : قال الدكتور طه فيما قال^(١) : « إنا نلاحظ أن العلماء قد اتخذوا هذا الشعر الجاهلي مادة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث ونحوهما ومذاهبهما الكلامية . ومن الغريب أنهم لا يكادون يجدون في ذلك مشقة ولا عسراً ، حتى إنك لتحس كأن هذا الشعر الجاهلي إنما 'قد' على قد القرآن والحديث كما يقدر الثوب على قد لابس لا يزيد ولا ينقص عما أراد طولاً وسعة . إذن فنحن نجهر بأن هذا ليس من طبيعة الأشياء ، وأن هذه الدقة في الموازنة بين القرآن والحديث والشعر الجاهلي لا ينبغي أن تحمل على الاطمئنان إلا الذين رزقوا حظاً من السذاجة لم يُتبع لنا مثله . إنما يجب أن تحملنا هذه الدقة في الموازنة على الشك والحيرة ، وعلى أن نسأل أنفسنا : أليس يمكن ألا تكون هذه الدقة في الموازنة نتيجة من نتائج المصادفة وإنما هي شيء 'تكلف وأنفق فيه أصحابه بياض الأيام وسواد الليالي ؟ »

٥ - أما آخر الأمور التي لحظها الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي ، وبعثت في نفسه الشك والريبة ، ودفعته إلى أن يصممه بأنه منحول موضوع ، فهو أنه لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفهية ، وهو لا يتحدث عن هذا الأمر حديثاً مفصلاً كما صنع في الأمور الأربعة السابقة ، وإنما اكتفى بأن يشير إليه إشارات عابرة لا يقف عندها طويلاً ، وإن كان حديثه في جملة يتضمن أثر

هذا الدافع الأخير وهو الرواية الشفهية في نفسه ، ولعل أصرح جملة عن هذا الأمر قوله (١) : « وحسبى أن شعر أمية بن أبي الصلت لم يصل إلينا إلا من طريق الرواية والحفظ لأشك في صحته كما شككتُ في شعر امرئ القيس والأعشى وزهير ... »

وبعد ؛

فقد ختم الدكتور طه فصله الذى تحدث فيه عن دوافع شكه في الشعر الجاهلى بعبارة فيها جماع ما ذكر ، وفيها تمهيد لما سيذكر ، وذلك قوله (٢) : « إن من الحق علينا لأنفسنا وللعلم أن نسأل : أليس هذا الشعر الجاهلى الذى ثبت أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا دياناتهم ولا حضاراتهم ، بل لا يمثل لغتهم — أليس هذا الشعر قد وضع وضعاً ومُحَل على أصحابه حملاً بعد الإسلام ؟ أما أنا فلا أكاد أشك الآن في هذا . ولكننا محتاجون بعد أن ثبتت لنا هذه النظرية أن نبين الأسباب المختلفة التى حملت الناس على وضع الشعر والنثر ونحللها بعد الإسلام . »

أسباب النحل :

ومن أجل ذلك تراه في « الكتاب الثالث » ببسط « أسباب نحل الشعر » ، بسطاً أفرغ فيه كثيراً من الجهد حتى لقد وصل بنا إلى أن « كل شيء في حياة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى كان يدعو إلى نحل الشعر وتلفيقه سواء في ذلك الحياة الصالحة حياة الأتقياء والبررة ، والحياة السيئة حياة الفسق وأصحاب المحجون » (٣) .

(١) ص : ١٥٩ .

(٢) ص : ١٢٣ .

(٣) ص : ١٩٣ .

وهو يرى أن هذه الأسباب التي دعت إلى نحل الشعر ووضعه مردها إلى خمسة أمور :

أولاً - السياسة :

وهو لا يعنى السياسة بمعناها الواسع الذى نفهمه منها الآن ، وإنما يحصر مدلول السياسة فى العصبية القبلية ، وحتى هذه العصبية لا يتحدث عنها حديثاً شاملاً ، ولكنه يكتفى بمثالين :

١ - العصبية « بين المهاجرين والأنصار » ، أو بعبارة أصح : بين قريش والأنصار^(١) . ويورد ، لتأييد رأيه ، روايتين ، الأولى : ما يروى من أن عمر بن الخطاب نهى عن رواية الشعر الذى تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبى ، ويرى الدكتور طه أن « هذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى وهى أن قريشاً والأنصار تذاكروا ما كان قد هجا به بعضهم بعضاً أيام النبى وكانوا حراساً على روايته ، ويجلدون فى ذلك من اللذة والشهامة ما لا يشعر به إلا صاحب العصبية القوية إذا وتر أو انتصر »^(٢) . ويدعم رأيه هذا بما يروى أيضاً عن عمر من قوله لأصحاب النبى : « قد كنت نهيتكم عن رواية هذا الشعر لأنه يوقظ الضغائن ، فأما إذ أبو فاكتهوه » . ويعقب الدكتور طه على ذلك بقوله^(٣) : « وسواء أقال عمر هذا أم لم يقله ، فقد كان الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألا يضيع » .

والثانية : ما ذكر من أن ابن سلام قال : وقد نظرت قريش فلماذا حفظها من الشعر قليل فى الجاهلية ، فاستكثرت منه فى الإسلام . وعقب عليه الدكتور بقوله^(٤) : « وليس من شك عندى فى أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذى يهجى به الأنصار » .

(١) ص : ١٣٢ .

(٢) ص : ١٣٣ .

(٣) ص : ١٣٤ .

(٤) ص : ١٣٤ .

٢ - وأما المثال الثاني فهو لا يورده في هذا الفصل الذي عقده عن العصبية القبلية، وإنما ينثره في الكتاب الذي يليه حين يتحدث عن امرئ القيس وشعره فيقول^(١) : « ونحن نذهب هذا المذهب نفسه في تفسير هذه الأخبار والأشعار التي تمس تنقل امرئ القيس في قبائل العرب ، فهي محدثة نُحلت حين تنافست القبائل العربية في الإسلام ، وحين أرادت كل قبيلة أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن » .

ولم يكتف الدكتور بذلك بل يقول^(٢) : « ونحن لا نقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها وإنما نستخلص منها قاعدة علمية ، وهي أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يسمّى جاهلياً أن يشك في صحته كلما رأى شيئاً من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق . ويجب أن يشتد هذا الشك كلما كانت القبيلة أو العصبية التي يؤيدها هذا الشعر قبيلة أو عصبية قد لعبت - كما يقولون - دوراً في الحياة السياسية للمسلمين » .

ثانياً - الدين :

وهو يدخل في باب الدين ما يلي من الأمثلة :

١ - « فكان هذا النحل في بعض أطواره يقصد به إلى إثبات صحة النبوة وصدق النبي ، وكان هذا النوع موجهاً إلى عامة الناس . وأنت تستطيع أن تحمل على هذا كل ما يروى من هذا الشعر الذي قيل في الجاهلية ممهداً لبعثة النبي وكل ما يتصل بها من هذه الأخبار والأساطير التي تروى لتقتنع العامة بأن علماء العرب وكهانهم ، وأحبار اليهود ورهبان النصارى ، كانوا ينتظرون بعثة نبي عربي يخرج من قريش أو من مكة . وفي سيرة ابن هشام وغيرها من كتب

(١) ص : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) ص : ١٤٥ - ١٤٦ .

التاريخ والسير ضروب كثيرة من هذا النوع»^(١).

٢ - « وأنت تستطيع أن تحمل على هذا لونا آخر من الشعر المنحول لم يصف إلى الجاهليين من عرب الإنس ، وإنما أضيف إلى الجاهليين من عرب الجن^(٢) . . . والغرض من هذا النحل - فيما نرجح - إنما هو إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء ، ولا يكرهون أن يقال لهم : إن من دلائل صدق النبي في رسالته أنه كان منتظراً قبل أن يجيء بدهر طويل ، تحدثت بهذا الانتظار شياطين الجن وكهان الإنس . . . »^(٣)

٣ - « ونوع آخر من تأثير الدين في نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين ، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قریش . . . »^(٤)

٤ - « نحو آخر من تأثير الدين في نحل الشعر ، وهو هذا الذي يلجأ إليه القصاص لتفسير ما يجدونه مكتوباً في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة كعاد وثمود ومن إليهم ، فالرواة يضيفون إليهم شعراً كثيراً . وقد كفانا ابن سلام نقده وتحليله حين جد في طبقات الشعراء في إثبات أن هذا الشعر وما يشبهه مما يُضاف إلى تَبَعٍ وحير موضوع منحول وضعه ابن إسحق ومن إليه من أصحاب القصص . . . »^(٥)

٥ - « ونحو آخر من تأثير الدين في نحل الشعر ، وذلك حين ظهرت الحياة العلمية عند العرب بعد أن اتصلت الأسباب بينهم وبين الأمم المغلوبة . فأرادوا هم أو الموالى أو أولئك وهؤلاء أن يدرسوا القرآن درساً لغوياً ويثبتوا صحة ألفاظه ومعانيه . ولأمر ما شعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن كتاب عربي مطابق في ألفاظه للغة العرب ، فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات

(١) ص : ١٤٧ .

(٢) ص : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣) ص : ١٤٩ .

(٤) ص : ١٥٠ .

(٥) ص : ١٥٣ .

القرآن بشيء من شعر العرب يثبت أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل إلى الشك في عربيتها... (١)»

٦ - «وهنا نوع جديد من تأثير الدين في نحل الشعر ، فهذه الخصومات بين العلماء كان لها تأثير غير قليل في مكانة العالم وشهرته... ومن هنا كان هؤلاء العلماء حراساً على أن يظهروا دائماً بمظهر المنتصرين... وأى شيء يتيح لهم هذا مثل الاستشهاد بما قالته العرب قبل نزول القرآن... وهم مجمعون على أن هؤلاء الجاهليين الذين قالوا في كل شيء كانوا جهلة غلاظاً فظاظاً. أفقرى إلى هؤلاء الجاهل الغلاظ يُستشهد به بجهلهم وغلظتهم على ما انتهت إليه الحضارة العباسية من علم ودقة فنية ؟ فالمعتزلة يشنون مذاهبهم بشعر العرب الجاهليين ، وغير المعتزلة من أصحاب المقالات ينقضون آراء المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين... لأمر ما كان البدع في العصر العباسي عند فريق من الناس أن يرد كل شيء إلى العرب حتى الأشياء التي استحدثت أو جاء بها المغلوبون من الفرس والروم وغيرهم (٢) ...»

٧ - ويعرض لما يروى من وجود أفراد قبل الإسلام كانوا يحتفظون بالحنيفية دين إبراهيم وكان في أحاديثهم ما يشبه الإسلام، فيقول (٣) : « فأحاديث هؤلاء الناس قد وضعت لهم وحملت عليهم بعد الإسلام لا شيء إلا ليثبت أن للإسلام في بلاد العرب قديمة وسابقة. وعلى هذا النحو تستطيع أن تحمل كل ما تجد من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التي تضاف إلى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما في القرآن والحديث شبه قوى أو ضعيف.»

٨ - ثم يتحدث عن المسيحية واليهودية فيقول (٤) : « ليس من المعقول أن

(١) ص : ١٥٣ .

(٢) ص : ١٥٤ - ١٥٥ .

(٣) ص : ١٥٧ .

(٤) ص : ١٦٢ - ١٦٣ .

ينتشر هذان الدينان في البلاد العربية دون أن يكون لهما أثر ظاهر في الشعر العربي قبل الإسلام . وقد رأيت أن العصبية العربية حملت العرب على أن ينحطوا الشعر ويضيفوه إلى عشايرهم في الجاهلية بعد أن ضاع شعر هذه العشائر ، فالأمر كذلك في اليهود والنصارى : تعصبوا لأسلافهم من الجاهليين ، وأبوا إلا أن يكون لهم شعر كشعر غيرهم من الوثنيين ، وأبوا إلا أن يكون لهم مجد وسؤدد كما كان لغيرهم مجد وسؤدد ، فنحلوا كما نحل غيرهم ونظموا شعراً أضافوه إلى السموول ابن عاديا . وإلى عدى بن زيد وغيرهما من شعراء اليهود والنصارى . . . »

ثالثاً - القصص :

وقد عرض للقصص والقصاصين غير مرة فيما سبق من فصول كتابه ، ولكنه في هذا الفصل يخص القصص والقصاصين بالحديث كله . فبعد أن يتحدث عن نشأة القصص وقيام طائفة القصاص يقول^(١) : « وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزينه الشعر من حين إلى حين . . . وإذن فقد كان القصاص أيام بني أمية وبني العباس في حاجة إلى مقادير لا حد لها من الشعر يزينون بها قصصهم ، ويدعمون بها مواقفهم المختلفة فيه . وهم قد وجدوا من هذا الشعر ما كانوا يشتهون . ولا أكاد أشك في أن هؤلاء القصاص لم يكونوا يستقلون بقصصهم ، ولا بما يحتاجون إليه من الشعر في هذا القصص ، وإنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها ، وآخرين ينظمون لهم القصائد وينسقونها . ولدينا نص يبيح لنا أن نفترض هذا الفرض ، فقد حدثنا ابن سلام أن ابن إسحق كان يعتذر عما يروى من غناء الشعر فيقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتى به فأحمله . فقد كان هناك قوم إذن يأتون بالشعر وكان هو يحمله . فمن هؤلاء القوم ؟ أليس

من الحق لنا أن نتصور أن هؤلاء القصاص لم يكونوا يتحدثون إلى الناس فحسب، وإنما كان كل واحد منهم يشرف على طائفة غير قليلة من الرواة والمُلقين ومن النُظَّام والمنسِّقين ، حتى إذا استقام لهم مقدار من تلفيق أولئك وتنسيق هؤلاء طبعوه بطابعهم ونفخوا فيه من روحهم وأذاعوه بين الناس . ثم يخص بالذكر ثلاثة ضروب من القصص : قصص لتفسير طائفة من الأمثال والأسماء والأمكنة^(١) . وقصص المعمرين وأخبارهم^(٢) . وقصص أيام العرب وأخبارها^(٣) .

رابعاً — الشعبية :

ثم يتحدث عن الخصومة بين العرب والموالي في الإسلام فيقول^(٤) : « أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعبية قد نحلوا أخباراً وأشعاراً وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين . ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار ، بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظرهم إلى النحل والإسراف فيه . . . » ويقول^(٥) : « كانت الشعبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغيض منهم . وكان خصوم الشعبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع لأقذارهم . »

ثم يعيد ما أشار إليه عند حديثه عن الدين ، فيقول^(٦) : « ونوع آخر من النحل دعت إليه الشعبية ، تجده بنوع خاص في كتاب الحيوان للجاحظ وما يشبهه من كتب العلم التي ينحوبها أصحابها نحو الأدب . ذلك أن الخصومة بين العرب والعجم دعت العرب وأنصارهم إلى أن يزعموا أن الأدب العربي القديم لا يخلو أو لا يكاد يخلو من شيء تشتمل عليه العلوم المحدثه ، فإذا عرضوا لشيء

(١) ص : ١٧٤ .

(٢) ص : ١٧٥ .

(٣) ص : ١٧٦ .

(٤) ص : ١٧٨ .

(٥) ص : ١٨٦ .

(٦) ص : ١٨٧ .

بما في هذه العلوم الأجنبية فلا بد من أن يشتوا أن العرب قد عرفوه أو الما به
أو كادوا يعرفونه ويلمون به .

خامساً — الرواة :

والرواة في رأيه « بين اثنتين : إما أن يكونوا من العرب ، فهم متأثرون
بما كان يتأثر به العرب ، وإما أن يكونوا من الموالى ، فهم متأثرون بما كان يتأثر
به الموالى من تلك الأسباب العامة ، وهم على تأثرهم بهذه الأسباب العامة متأثرون
بأشياء أخرى هي التي أريد أن أقف عندها وقفات قصيرة . ولعل أهم هذه
المؤثرات التي عبث بالأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عظيماً : مجون الرواة
واسرافهم في اللهو والعبث ، وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى
ما يباهه الدين وتنكره الأخلاق » (١) .

ثم يتحدث عن حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني ، وبعد أن يعرض ما يروى
عن مجونهم وفسقهم ووضعهم الأشعار يقول (٢) : « وإذا فسدت مروءة الرواة
كما فسدت مروءة حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني ، وإذا أحاطت بهم ظروف
مختلفة تحملهم على الكذب والنحل ككسب المال والتقرب إلى الأشراف والأمرأه
والظهور على الخصوم والمنافسين ، ونكاية العرب — نقول : إذا فسدت مروءة
هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف ، كان من الحق علينا ألا نقبل
مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء . . . وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء
ليس من شك في أنهم كانوا يتخذون النحل في الشعر واللغة وسيلة من وسائل
الكسب . وكانوا يفعلون ذلك في شيء من السخرية والعبث نريد بهم هؤلاء

(١) ص : ١٨٨ .

(٢) ص : ١٩١ - ١٩٢ .

الأعراب الذين كان يرتحل إليهم في البادية رواة الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب ...

• • •

شكّه في شعر شعراء سماء :

أما القسم الثالث من كتابه ، وهو القسم الخاص الذي يتحدث فيه عن شكّه في شعر شعراء بدواتهم ، فقد خصص للحديث له الكتاب الرابع . وقد أعاد في هذا القسم كثيراً بما كان قد ذكره في القسمين السابقين : فصلّ بعضه وأطال شرحه ، وأوجز بعضه أو اكتفى بالإشارة إليه والتذكير به . وسنعرض فيما يلي ما ذهب إليه عرضاً موجزاً إيجازاً مركزاً يدل على المعنى المقصود في جملته ، وإن كان بتحيف منه لأنه لا ينقل جوّ الحديث كما رسمه الدكتور طه بأسلوبه .

امرؤ القيس : وأول من عرض له من هؤلاء الشعراء هو امرؤ القيس . وقد شك فيه وفي شعره لأسباب ، أولها : تضارب الرواة في اسمه وكنيته ونسبه وحياته ^(١) . وثانيها : أن قسماً من شعره يدور على قصة حياته يفسرها ويؤيدها ، وهو يرى أن هذا القسم موضوع نُحِل ليفسر هذه القصة ^(٢) . وثالثها : أن القسم الآخر من شعره المستقل عن الأهواء السياسية والحزبية موضوع منحول كذلك لأن « الضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بيّن ، والتكلف والإسفاف فيه يكادان يلحسان باليد . » ^(٣) ورابعها : أنه يستثنى من هذا القسم الأخير قصيدتين هما :

فَفَانَبَلِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

و : أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

ومع ذلك فهو يشك فيهما من وجوه : الوجه الأول : « أن امرؤ القيس - إن »

(١) ص : ٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) ص : ٢٢١ .

(٣) ص : ٢٢٥ .

صحت أحاديث الرواة - يبنى ، وسعره قرشى اللغة ، لا فرق بينه وبين القرآن في لفظه وإعرابه وما يتصل بذلك من قواعد الكلام . ونحن نعلم - كما قدمنا - أن لغة اليمن مخالفة كل المخالفة للغة الحجاز ، فكيف نظم الشاعر اليمني شعره في لغة أهل الحجاز ، بل في لغة قريش خاصة ؟ سيقولون : نشأ امرؤ القيس في قبائل عدنان ، وكان أبوه ملكاً على بني أسد ، وكانت أمه من بني تغلب ، وكان مهلهل خاله ، فليس غريباً أن يصطنع لغة عدنان ويعدل عن لغة اليمن . ولكننا نجعل هذا كله ، ولا نستطيع أن نثبت إلا من طريق هذا الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس ، ونحن نشك في هذا الشعر ونصفه بأنه منحول ^(١) . والوجه الثاني : أن امرأ القيس لم يذكر قصة البسوس ولم يذكر شيئاً عن خاليه مهلهل وكليب ابني ربيعة ^(٢) . والوجه الثالث : أن الرواة « يختلفون اختلافاً كثيراً في رواية القصيدة : في ألفاظها وفي ترتيبها ، ويضعون لفظاً مكان لفظ ويبتأ مكان بيت . » ^(٣)

علقة : وهو يشك في علقمة لقلة ما يعرفه العلماء من أخباره « فلا يكاد الرواة يذكرون عنه شيئاً إلا مفاخرته لامرئ القيس ، ويمدحه ملكاً من ملوك غسان ، . . . وإلا أنه كان يتردد على قريش ويناشدها شعره ، وإلا أنه مات بعد ظهور الإسلام أى في عصر متأخر جداً بالقياس إلى امرئ القيس ^(٤) . . .

عبيد بن الأبرص : وشكه في عبيد من وجهين : لأن الرواة لا يحدثننا عن عبيد بشيء يقبل التصديق : إنما عبيد عند الرواة والقصاص شخص من أصحاب الخواريق والكرامات ، كان صديقاً للجن والإنس معاً ، عُمِّرَ عمراً طويلاً ^(٥) .

(١) ص : ٢٢٥ .

(٢) ص : ٢٢٦ .

(٣) ص : ٢٢٧ .

(٤) ص : ٢٣٢ .

(٥) ص : ٢٣٢ .

وأما شعره « فليس أشد من شخصيته وضوحاً . فالرواة يحدّثوننا بأنه مضطرب ضائع . . . فأما شعره الآخر الذي عارض فيه امرأ القيس وهجا فيه كندة فلا حظاً له من الصحة فيما نعتقد ، وذلك أن فيه إسفافاً وضعفاً وسهولة في اللفظ والأسلوب لا يمكن أن تضاف إلى شاعر قديم^(١) . . . »

عمرو بن قميئة : ويشك في عمرو لسببين أيضاً هما : غموض حياته ، فهو يرى « أن عمرو بن قميئة ضائع كما ضاع امرؤ القيس من الذاكرة ، ولم يُعرف من أمره شيء إلا اسمه هذا ، كما لم يعرف من أمر امرئ القيس ولا من أمر عبيد إلا اسمهما ، ووضعت له قصة كما وضع لكل من صاحبيه قصة ، وحمل عليه شعر كما حمل على صاحبيه الشعر أيضاً^(٢) . والثاني أن في شعره سهولة وليناً^(٣) .

مهلهل : وهو يعيد في مهلهل ، كما أعاد فيمن قبله وسيعيد فيمن بعده ، الأسباب نفسها مع قليل من النقص أو الزيادة ، فهو يشك في مهلهل للأسباب التالية : غموض شخصيته^(٤) ، واضطراب شعره واختلاطه^(٥) ، واستقامة وزن شعره ، واطراد قافيته ، وملاءمته قواعد النحو – ومع أنه أقدم شعر قالته العرب^(٦) ، وسهولة لفظه ولينه وإسفافه^(٧) .

عمرو بن كلثوم : ويشك في عمرو بن كلثوم وشعره لثلاثة أسباب : كثرة الأساطير في حياته^(٨) ، ورقة لفظ شعره وسهولته وقرب فهمه^(٩) ،

(١) ص : ٢٣٣

(٢) ص : ٢٣٥ .

(٣) ص : ٢٣٧ .

(٤) ص : ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٥) ص : ٢٤٠ .

(٦) ص : ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٧) ص : ٢٤١ .

(٨) ص : ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٩) ص : ٢٤٦ .

واضطراب أبيات قصيدته (المعلقة) وتكرار بعضها^(١) .

الحارث بن حلزة : حتى إذا ذكر الحارث بن حلزة لم يقدم لنا سبباً لشكه ، غير أنه يورد أبياتاً من معلقة عمرو بن كلثوم ، ويذكر أن قصيدة الحارث أمّتن وأرصن^(٢) . ثم يقول^(٣) : « ولسنا نتردد في أن نعيد ما قلناه من أن هاتين القصيدتين وما يشبههما مما يتصل بالخصومة بين بكر وتغلب إنما هو من آثار التنافس بين القبيلتين في الإسلام لا في الجاهلية » .

طرفة : ويشك في شعر طرفة لسبيين ، الأول : شذوذه عن شعراء ربعة في قوة منته وشدة أسره وإغرابه حتى صار شعره « أشبه بشعر المضربين منه بشعر الربيعين^(٤) » ، والثاني : اختفاء شخصيته في القصائد الأخرى غير المعلقة أو غير أبيات من المعلقة^(٥) . والغريب أنه يورد أبياتاً من المعلقة ويقول : « في هذا الشعر شخصية بارزة قوية ، لا يستطيع من يلمحها أن يزعم أنها متكلفة أو منحولة أو مستعارة » ، ثم يقول : « ولست أدرى أهذا الشعر قد قاله طرفة أم قاله رجل آخر . وليس يعنني أن يكون طرفة قائل هذا الشعر ، بل ليس يعنني أن أعرف اسم صاحب هذا الشعر ، وإنما الذي يعنني هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا نحل ١١ »

المتلمس : وهو يشك في شعر المتلمس لما « فيه من رقة وإسفاف وابتذال »^(٦) كشعر ربعة الذي قدم الإشارة إليه ، ولأن تكلف القافية ، وخاصة في سنيته ، ظاهر ملموس ، ثم يقول^(٧) : « وأكبر الظن أن كل ما يضاف إلى المتلمس

(١) ص : ٢٤٥ .

(٢) ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣) ص : ٢٥٠ .

(٤) ص : ٢٥٢ .

(٥) ص : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٦) ص : ٢٥٥ .

(٧) ص : ٢٥٥ - ٢٥٦ .

من شعره أو أكثره - على أقل تقدير - مصنوع ، الغرض منه تفسير طائفة من الأمثال وطائفة من الأخبار ... »

الأعشى : وهو يشك في الأعشى للسبب نفسه الذى دعاه إلى الشك في كثير غيره ممن قدمنا ، وذلك لتناقض الأخبار عنه ، فهو يقول^(١) : « ... ولكن الرواة بعد هذا لا يعرفون من أمر الأعشى إلا طائفة من الأحاديث لا سبيل إلى الثقة بها أو الاطمئنان إليها . بعض هذه الأحاديث فيه رائحة الأساطير ، وبعضها ظاهر فيه الكذب والنحل ، وبعضها يستنبط من أبيات من الشعر شائعة على هذا النحو الذى يستنبط به القدماء أخبارهم من شعر لا يعرف من أين جاء . ثم هو يشك في شعره بعد أن يقسمه إلى قسمين ، الأول : شعر المدح : ويرى أنه منحول عليه وأنه « مظهر من مظاهر العصبية في الإسلام »^(٢) ، وأن « الكثرة من شعر الأعشى قد صنعت في الإسلام في الكوفة ، وكانت مظهر التحالف العصبى بين ربيعة واليمن على مضر »^(٣) . والثانى : شعر الغزل وهو يقول عنه^(٤) : « ولكنى أجد في غزل الأعشى ليناً شديداً أعرفه في شعر ربيعة ، وأعلمه بالتكلف والنحل » . ثم يلخص رأيه في الأعشى بقوله^(٥) : « إنه شاعر عاش في آخر العصر الجاهلى ، وتصرف في فنون من الشعر أظهرها الغزل والخمر والوصف ، ومدح طائفة من أشرف العرب ، ولكن العصبية استغلت هذا المدح ، ولعله كان قد ضاع فأضافت إليه مكانه مدحاً كثيراً لليمنيين ومدحاً قليلاً للمصريين ولا شك في أن بين هذا الشعر الذى يضاف إلى الأعشى مقطوعات وأبياتاً يمكن أن يكون الأعشى قد قالها حقاً ، ولكن تمييز هذه الأبيات والمقطوعات مما يحيط بها من المنحول المتكلف ليس بالشىء اليسير . على أن هذا

(١) ص : ٢٥٧ .

(٢) ص : ٢٦٥ .

(٣) ص : ٢٦٣ .

(٤) ص : ٢٦٥ .

(٥) ص : ٢٦٧ .

المنحول الذى يضاف إلى الأعشى مختلف أشد الاختلاف ، ففيه الجيد المتقن وفيه الضعيف السخيف

الشعر المضرى :

كان أكثر حديثه السابق عن شعراء اليمن وربيعة ، وأما خلاصة رأيه فى الشعر المضرى فتمثل فى قوله^(١) : « نحن لا نقف من الشعر المضرى الجاهلى موقف الرفض أو الإنكار لأن الصعوبة اللغوية التى اضطرتنا إلى أن نرفض شعر الربعين واليمنيين لا تعترضنا بالقياس إلى المضرين . فقد بينا لك غير مرة أننا نعتقد أن لغة القرشيين قد ظهرت فى الحجاز ونجد قبيل الإسلام ، وأصبحت لغة أدبية فى هذا القسم الشمالى من بلاد العرب . وإذن فليس يبعد بوجه من الوجوه أن يكون الشعراء الذين نجموا فى هذه الناحية قد قالوا الشعر فى هذه اللغة القرشية الجديدة ، بل نحن لا نشك فى هذا ولا نتردد فى القطع به لسنا نشك فى أن قد كان لمضر شعر فى الجاهلية ، ولسنا نشك أيضاً فى أن هذا الشعر قديم العهد بعيد السابقة أقدم وأبعد مما يظن الرواة والمتقدمون من العلماء . ولكننا لانشك أيضاً فى أن هذا الشعر قد ذهب وضاعت كثرته ولم يبق لنا منه إلا ثنىء قليل جداً لا يكاد يمثل شيئاً ، وهذا المقدار القليل الذى بقى لنا من شعر مضر قد اضطرب وكثر فيه الخلط والتكلف والنحل ، حتى أصبح من التفسير جداً ، إن لم يكن من المستحيل ، تلخيصه وتصفيته .

مقياسه في الحكم على صحة الشعر الجاهل :

ثم ينتقل بنا إلى الحديث عن المقياس الذي نعرف به صحة الشعر الجاهل ،
 فيرى أن نقد السند وحده لا يكفي « لتصحيح ما يصل إلينا من طريقه . ولا بد
 لنا من أن نتجاوز هذا النقد الخارجي إلى نقد داخلي ، إن صح هذا التعبير ،
 إلى نقد يتناول النص الشعري نفسه في لفظه ومعناه ونحوه وعروضه وقافيته » (١) .
 ولكنه سرعان ما يستدرك ويبين أن هذا الضرب من النقد « ليس يسيراً ولا منتجاً
 الآن بالمقياس إلى الشعر الجاهل . فنحن لا نستطيع أن نقول في يقين أو ترجيح
 علمي أن هذا النص ملائم من الوجهة اللغوية للعصر الجاهل أو غير ملائم ، لأن
 لغة هذا العصر الجاهل لم تضبط ضبطاً تاريخياً ولا علمياً صحيحاً ، وكل ما صح
 لنا منها صحة قاطعة ، ولكنها في حاجة إلى التدوين ، إنما هي لغة القرآن . ولكن من ذا
 الذي يستطيع أن يزعم أن القرآن قد استعمل كل الألفاظ التي كانت شائعة
 مألوفة بين المضربين أيام النبي ؟ ... (٢) »

ويعيننا أن نذكر رأيه في غرابة اللفظ وكيف يتخذها بعضهم مقياساً لتحقيق
 الشعر الجاهل ، ويصف هذا المذهب بأنه مذهب خداع (٣) . ويقول :
 « لا ينبغي أن تُتخذ غرابة اللفظ دليلاً على الصحة والقدّم ، ولا ينبغي أن
 تتخذ سهولة اللفظ دليلاً على النحل والجدّة ... (٤) »

(١) ص : ٢٨٦ .

(٢) ص : ٢٨٦ . ألاحظ أن الدكتور في ص : ٢٩٥ يقول : « فنحن نشترط أن يكون
 لفظ زهير ومعناه ملائم ملامسة ظاهرة للحياة البدوية آخر العصر الجاهل . ولا ينبغي أن يعترض
 بما قلنا من أننا فنحن أن تكون اللغة الجاهلية المضربة قد دونت تدويناً علمياً صحيحاً ، فنحن
 لا نفير رأينا في هذا ، ولكننا مع ذلك نعرف هذه اللغة بوجه ما ، بفضل القرآن والحديث ، فنستطيع
 إذن أن نتصورها تصوراً ما ، ونستطيع إذن أن نقول إن هذه الألفاظ ملائمة أو غير ملائمة
 للغة الجاهلين أيام النبي !! »

(٣) ص : ٢٨٧ .

(٤) ص : ٢٩١ ، ومع ذلك فقد رأينا فيما تقدم أنه شك في بعض الشعر لسهولة ألفاظه
 ويسرها وقرب فهمها !

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن « المقياس المركب » فيقول^(١) : « يجب أن ننبه من الآن إلى أننا لم نوفق بعد لمقياس علمي نستطيع أن نطمئن إليه حقاً ، ولكننا مع ذلك لم نياس من الوصول إلى مقياس أو مقاييس ، إلا نفد اليقين ، فقد نفيد الظن ، وقد تنهى أحياناً إلى الترجيح الذي يقرب إلى اليقين . نحن لا نعتمد على اللفظ وحده ، ولا نعتمد على اللفظ والمعنى ليس غير ، وإنما نعتمد على اللفظ والمعنى وعلى أشياء أخرى فنية وتاريخية » . وهو لا يكتفى باللفظ والمعنى لأنهما وحدهما لا يمتنان « إمكان التقليد والتزييف » . أما هذه الأشياء الأخرى التي ذكرها فهي « الخصائص الفنية . وهذه الخصائص الفنية يمكن أن تُلتمس عند شاعر واحد ، عند زهير مثلاً ، ويمكن أن تُلتمس عند طائفة من الشعراء . . . » ثم يتحدث عن أن هذه الخصائص الفنية إذا اجتمعت لطائفة من الشعراء أصبحت هذه الطائفة « مدرسة شعرية » ثم يفصل القول في إحدى هذه المدارس وهي المدرسة التي تتألف من : أوس بن حجر وزهير والحطيئة وكعب بن زهير .

٣

وكان لكتاب « في الشعر الجاهلي » أثر كبير ، ودوى شديد ؛ فأشجع كثير من العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الكتاب وما فيه بالنقد والنقض ، وتفاوت تقديمهم واختلفت طرائقهم : فاعتدل بعضهم والتزم حدود الموضوع ، ومضوا ينقدون في أسلوب هادئ ولفظ عفّ ، وغلا بعضهم فاشتد واشتط ، وتجاوزوا الكتاب إلى صاحب الكتاب . ونُشر أكثر ذلك في صحف ذلك العهد ، ثم جمع بعضه في كتب هي : كتاب « نقد كتاب الشعر الجاهلي » للأستاذ محمد فريد وجدى ، وكتاب « الشهاب الراصد » للأستاذ محمد لطفي جمعة ، وكتاب « نقض كتاب في الشعر الجاهلي » للسيد محمد الخضر حسين ، وكتاب

« محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي » للأستاذ الشيخ محمد الحضري ، وكتاب « النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي » للأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، وله مقدمة مفصلة بقلم الأمير شكيب أرسلان ، وفصول كثيرة في كتاب « تحت راية القرآن » للأستاذ مصطفى صادق الرافعي .

وتخليص النقد الموضوعي في كل تلك الكتب ، ثم تلخيصه ، أمران فيهما من المشقة وبذل الجهد شيء كثير . وسنحاول في هذه الصفحات جمع ما تفرق في تضاعيف هذه الكتب ، وترتيبه في فصول ذات موضوع واحد أو موضوعات متقاربة يجمعها عنوان واحد .

نقد منهج الكتاب وطريقته :

١ - فقد أعلن الدكتور منهجه في وضوح حين قال ^(١) : « أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه " ديكارت " للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث » . فقام بعضهم ينكر عليه فهم هذا المنهج من أساسه ، ويردّ عليه في صفحات طويلة ^(٢) ، فذهب إلى أن منهج ديكارت لم يكن منهج شك للشك ذاته ، وإنما يتخذ الشك وسيلة لليقين ، وأن خلاصة هذا المنهج ألا يقبل المرء أمراً على أنه حقيقة إلا إذا قامت الدلائل البينة على صحته ، وأن ديكارت مع ذلك كان يسلم بوجود أشياء لا يجادل فيها ، فهو بذلك يكون منهجاً إيجابياً لا سلبياً ، ويستشهد على كل ذلك بقول أحد دارسي تاريخ المذاهب الفلسفية من الفرنسيين ^(٣) : « وقد آلى ديكارت على نفسه أن لا يقبل المعلومات مهما كانت صفاتها وقوة الثقة الملازمة لها ، ماعدا الحقائق الخاصة

(١) في الأدب الجاهلي : ٧٤ .

(٢) محمد لطفي جمعة ، الشباب الراصد : ١٠ - ٢٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠ .

بالعقيدة فإنه لم يطبق عليها هذه الطريقة .

٢ - ولكن آخرين ردوا عليه من وجه آخر فقالوا إنه لم يلتزم المنهج الذي أعلن أنه يريد أن يصطنعه ، وهذا صاحب كتاب " في الشعر الجاهلي " على الرغم من قبضه على منهج ديكرات ، ونعيه الاطمئنان إلى ما يقوله القدماء ، قد اطمأن في كثير من هذا النحو الجديد من البحث إلى ما يرويه صاحب الأغاني وغيره ... «^(١)» ، ولكنه بغلوه في تحرى أسباب الاختلاق على الجاهليين التقط من كتب المحاضرات جميع ما فيها مما يتعلق بالاختلاق ، وبالعوامل التي حملت عليه ، وبالمطامع التي دفعت إليه ، ولم يسرف في ذلك على ما يقضى به عليه مذهب ديكرات من النقد والتحميص ، بل وثق به ثقة مطلقة حملته على إصدار الأحكام جزافاً ... «^(٢)» وكان من أثر ذلك أن الدكتور أورد في كتابه أخباراً وروايات كانت جديدة أن تنال منه بعض عنايته في الوقوف عندها ونقدها وتحصيلها وتبيين زائفها ثم ردّها ، وقد أورد ناقلوه أمثلة كثيرة على ذلك نكتفي بالإشارة إلى بعض أرقام الصفحات التي وردت فيها في كتبهم^(٣) .

٣ - وذهب بعضهم إلى أن مؤلف الكتاب قد جافى الطريقة العلمية ، ولم يؤسس « لنظريته بالتثبت أولاً من الحقائق قبل أن يدخل في دور الفرض ... »^(٤) وأنه يبدأ بالفرض ، ثم يبني عليه فرضاً آخر ، ثم ينتهي بالقطع والحزم والثبوت . وقدموا لذلك أمثلة كثيرة منها : أنه يورد ثلاث حمل يبرهن على الأولى منها بقوله « فليس يبعد ! » وعلى الثانية بقوله « فليس ما يمنع ! » وعلى الثالثة بقوله « فالذي يمنع ! » ويبني على هذه الكلمات الثلاث قوله « أمر هذه القصة إذأ واضح ! »

(١) محمد الخضر حسين ، نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ١١ .

(٢) محمد فريد وجدي ، نقد كتاب الشعر الجاهلي : ٢ .

(٣) انظر مثلاً : الخضر حسين : ١٩٩ - ٢٠١ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ والخضري :

٣٨ - ٤١ .

(٤) النمرائي : ١٤١ - ١٤٦ .

ويعقب الناقد على ذلك بقوله^(١) : « نعم قد اتضح بنى البعد فى الأولى ! وعلم المانع فى الآخرين ! وما علمنا بمنطق فى العالم يكتفى فى إقامة البرهان على عدم صحة خبر من الأخبار بأنه لا يبعد ضده أو أنه لا مانع من ضده ! » . ومن ذلك أن الدكتور طه يحتج فى نفي الشعر المستشهد به على القرآن بقوله : « أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس ونافع بن الأزرق قد وضعت فى تكلف وتصنع ؟ » ثم قال « بل أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس هذه قد وضعت فى سداجة وسهولة ويسر ، لا لشيء إلا لهذا الغرض التعليمى اليسير ؟ » فأجابه ناقله بقوله^(٢) : « بلى ! هذا ممكن ، كما يمكن أن يكون الخبر صحيحاً ... كما يمكن أن يكون بعضه صحيحاً وبعضه غير صحيح ، كل ذلك ممكن . ولكن الذى يجب أن تجيب عنه هو : بم ترجع عندك أن الخبر مكذوب كله ؟ أم هو غير معقول ؟ أم هو مخالف لطبائع التعليم ؟ ... » ومن ذلك أيضاً أن الدكتور طه قال : « وعلى هذا النحو تستطيع أن تحمل كل ما تجد من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التى تضاف إلى الجاهليين والتى يظهر بينها وبين ما فى القرآن والحديث من شبه قوى أو ضعيف » . فعقب عليه الناقد بقوله^(٣) : « من شاء أن ينظر إلى قاعدة تمتد إلى غير نهاية ، ولا تتصل بما يمسكها أن تزول إلا إرادة هذا المؤلف ، فليُنظر إلى هذه الفقرة التى تمثل قلماً يشئى أن يكتب فينتكس ويرى بالحديث فى غير قياس . كل شعر أو خبر أو حديث يضاف إلى الجاهليين ويكون بينه وبين آية من القرآن شبه قوى أو ضعيف فهو مصنوع ! أليس من الجائز أن ينطق العرب بحكمة فيأتى القرآن بهذه الحكمة على وجه أبلغ وأرقى ؟ أمن الحق أن ننكر أن العرب قالوا مثلاً : القتل أننى للقتل ، لمجرد شبهه بقول القرآن (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ) . أو من الحق أن ننكر أن

(١) المخرى : ٨ .

(٢) المخرى : ٢٥ .

(٣) المخرى حسين : ٢١٢ .

زهيراً قال :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلَنَّهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُمُ
لأن له شهماً قوياً أو ضعيفاً بقول القرآن : ﴿ إِنَّمَا نَكُونُوا يُذَرِّكُكُمُ الْمَوْتُ
وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۝ ﴾ .

وبما يتصل بهذا أنه ينص على النتائج من غير ذكر للمقدمات ، فهو مثلاً
يعقد فصلاً كاملاً عن « الشعوبية ونحل الشعر » ، ولكنه « لم يأت برواية
تدل على أن بعض الشعوبية انتحل (نحل) شعراً جاهلياً^(١) » . و « قال
المؤلف عن الشعوبية ما شاء أن يقول ، واغترف من كتاب الأغاني قصصاً عن
أبي العباس الأعمى وإسماعيل بن يسار ، وقصارى ما تدل عليه هذه القصص أن
الأول كان يهجو آل الزبير ، وأن الثاني كان يبغض آل مروان ، وله شعر يفخر
فيه بالأعاجم ، وزعم أنه وصل بهذا إلى ما كان يريد من تأثير الشعوبية في
انتحال (نحل) الشعر ، ولكنه لم يستطع أن يضرب لك مثلاً يريك كيف
انتحلت (نحلت) الشعوبية شعراً جاهلياً ، فضايق بمنهج ديكارت ذرعاً...^(٢) »
وكذلك الفصل الذي عقده عن « السياسة ونحل الشعر » ، فقد تحدث فيه عن
الأنصار وقريش والخصومات بينهم ، فعقب عليه ناقده بقوله^(٣) « كل ذلك
مفهوم مفروغ منه ، وليس فيه من جديد . أما الجديد الذي فاجأ به القراء فهو
قوله بعد ذكر هذه العصبية : ” يستطيع الكاتب في تاريخ الأدب أن يضع سفيراً
مستقلاً فيما كان لهذه العصبية بين قريش والأنصار من التأثير في شعر الفريقين
الذي قالوه في الإسلام وفي الشعر الذي انتحله الفريقان على شعرائهما في الجاهلية . ”

(١) الخضر حسين : ٢٤٧ .

(٢) الخضر حسين : ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣) الخضر : ٣٢ .

مع أن مقدمته الطويلة لم يوجد بها كلمة واحدة تتصل بأن فريقاً من الفريقين اختلق شعراً ونسبه إلى شعرائه في الجاهلية ، وإنما الأحاديث كلها في الشعراء الذين كانوا في أول العهد الإسلامي يتقارضون الشعر ، وفي العهد الذي يلي ذلك .

٤ - ومن جملة ما أخذوه به التناقض الذي وقع فيه . فهو يقول : « وهذا البحث ينتهي بنا إلى أن أكثر هذا الشعر الذي يضاف لامرئ القيس ليس من امرئ القيس في شيء ، وإنما هو محمول عليه ومختلق عليه اختلاقاً . » فيعقب ناقدته بقوله ^(١) « ذهب المؤلف في بعض الصحف من كتابه إلى أن هذا الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون له . ومقتضى تمسكه بأن امرأ القيس يعني مولداً ونشأة ، وأن لغة قحطان نازلة من لغة عدنان منزلة اللغات غير العربية ، أن يكون جميع هذا الشعر الذي يضاف إلى امرئ القيس منحولاً ، فإننا لم نجد شيئاً منه على غير اللغة التي ينظم فيها شعراء نجد والحجاز . ولكن المؤلف يقول في هذه الصفحة : إن البحث ينتهي به إلى أن أكثر هذا الشعر ليس من امرئ القيس في شيء . ومعنى هذا أن في الشعر المضاف إلى امرئ القيس شعراً هو منه في شيء ، وأظن أن المؤلف سيجد كثيراً من المشقة والعناء ليحل هذه المشكلة .. » وقال الدكتور طه أيضاً : « ولا سيما إذا صححت النظرية التي أشرنا إليها آنفاً وهي نظرية العزلة العربية ، وثبت أن العرب كانوا متقاطعين متنازلين ، وأنه لم يكن بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية ما يمكن من توحيد اللهجة . فتعقبه الناقد بقوله ^(٢) : « أتدرى ما هي نظرية العزلة التي أشار إليها آنفاً ؟ هي تلك النظرية التي رماها على أكتاف "الذين تعودوا أن يعتمدوا على هذا الشعر الجاهلي في درس الحياة العربية قبل الإسلام" ، وشن عليها الغارة بنكير لا هوادة فيه . . . أنكر المؤلف نظرية

(١) الخضر حسين : ٣٠٦ .

(٢) الخضر حسين : ٩٩ - ١٠٠ ، وانظر أيضاً النمرائي : ١٩٤ .

العزلة العربية حين رآها تعترض ما أرادته من أن للجاهليين اتصالاً بالعالم الخارجي؛
 وودّ في هذا الفصل أن تستقيم له لأنها تؤيد نظرية عدم التقارب بين لغات القبائل
 العربية . وقال الدكتور طه أيضاً إنه يستثنى من النحل قصيدتين لعلقة مع
 شيء من التحفظ ثم يقول: «وصحة هاتين القصيدتين لا تمس رأينا في الشعر
 الجاهلي ، فيعقب عليه ناقدته بقوله^(١) : « ولعله نسي — وأمثاله لا ينسون كثيراً —
 ما كتبه تحت عنوان الشعر الجاهلي واللهجات حين قال ” ومن المعقول جداً أن
 تكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجتها ومذهبها في الكلام ، وأن
 يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض
 القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة “ . ومن المعروف أن علقمة من
 بني تميم ، والقصيدتان اللتان استثناهما ورضى بقبولهما لا تخرجان عن هذه اللغة
 الأدبية التي يسميها لغة قريش ، فقبوله لهاتين القصيدتين ينقض أساس ذلك
 الفصل . . . »

ومن ذلك أيضاً قول الناقد إن الدكتور طه قد^(٢) «نبهه النقد منذ أكثر من عام
 إلى أن ثبوت اختلاف لغة الجنوب عن لغة الشمال ، لو ثبت أنهما كانتا مختلفتين
 في العصر الجاهلي القريب ، لا يصلح دليلاً على أن أدب يمانية الشمال موضوع ،
 لأن قبائل اليمن في الشمال كانت هاجرت من الجنوب إلى الشمال منذ أمد بعيد ،
 فلم يكن هناك بد لمن نشأ في الشمال من ذرياتها أن ينشأ على لغة الشمال ، ويتخذها
 لغة أدب ولغة خطاب ، فجاء صاحب الكتاب هذا العام يجيب على هذا بلهجة
 المستوثق مما يقول ، فهل تدرى بماذا أجاب ؟ أجاب بأن هجرة فريق من عرب
 اليمن إلى الشمال غير ثابتة ! وأن صحة يمانية من انتسب إلى اليمن من قبائل الشمال
 غير ثابتة ! وإذن يسقط ذلك الاعتراض ! إن من المؤلم حقاً أن يبلغ الأستاذ
 في المماراة إلى هذا الحد . فلا يدرك أن جوابه هذا مسقط كل ما قال ، وأنه
 إذا صح أن التاريخ القديم والتاريخ الحديث أجمعا على خطأ فلم تكن هجرة ،

(١) الخضر حسين : ٣٢٣ .

(٢) الفمراوى : ١٨٨ .

ولم يكن في الشمال يمانيون - لم يكن هناك أدنى شبهة لغوية يمكن أن يعترض بها على صحة كلام مثل امرئ القيس ؛ إذ يصير امرؤ القيس ومن معه بذلك مضربين ، ويصير من السخف أن يقال بعد ذلك إن كلامهم وشعرهم منحول لأن لغته ليست لغة نقوش حميرية اكتشفت في الجنوب ، حتى ولو كانت لغة النقوش تمثل لغة اليمن في عصر امرئ القيس - لكن صاحب الكتاب يدافع عن باطل...» وحسبنا ما قدمنا من أمثلة التناقض ، وتجد طائفة أخرى منها اكتفينا بالإشارة إلى أرقام صفحات الكتب التي تشير إليها في الهامش (١) .

٥ - وأمر آخر يتصل بمجافاة الطريقة العلمية ، وهو إيراد النصوص على وجه يختلف عما كانت عليه في حقيقتها ، والاستدلال بها على ما لا تدل عليه في أصلها لو أوردت كاملة . ومن أمثلة ذلك أن الدكتور طه يقول : « فأما خلف فكلام الناس في كذبه كثير ، وابن سلام ينبئنا بأنه كان أفرس الناس بيت شعر ... » فالدكتور طه يريد أن يتخذ من كلام ابن سلام حجة على كذب خلف ، ويريد أن يوجه قوله « أفرس الناس بيت شعر » توجيهاً يوحى بأنه لم تكنه وقدرته ومهارته كان قادراً على نحل الشعر ووضعه . ولكن ابن سلام لم يرد إلى هذا بل أراد نقيضه ! ونصه بكامله هو : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر ، وأصدق له لساناً ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه » . وأي توثيق لخلف أوثق من هذا ؟ (٢) . ومن ذلك أيضاً أن الدكتور يذكر أن أبا عمرو بن العلاء قال : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » ولكن نص ابن سلام هو « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا » فحذف الدكتور قوله « وأقاصى اليمن » ، ثم غير قوله « ولا عربيتهم بعربيتنا » فجعله « ولا لغتهم بلغتنا » والفرق بين ما أورد

(١) انظر مثلاً : الخضر حسين : ١٩ - ٢٠ و ٢٦٣ و ٣١٥ و ٣٤٦ و ٣٥٢ - ٣٥٦ ؛ والخضري : ٨٤ ؛ والفراوى : ٢٠٠ ، ٣١٣ .

(٢) انظر لذلك الخضر حسين : ٢٧٢ .

الدكتور وبين النص الحقيقي فرق كبير له دلالة التي بيّنها ناقدته^(١) .

ومن ذلك أيضاً أن الدكتور طه يورد شعراً ثم يقول عنه: « والعجب أن أصحاب الرواية مقتنعون بأن هذا الكلام من شعر الجزن ، وهم يتحدثون في شيء من الإنكار والسخرية بأن الناس قد أضافوا هذا الشعر إلى الشياخ بن ضرار » . وقد أورد أحد ناقديه الروايات التي ذكرت هذا الشعر^(٢) ، فلم يكن فيها إنكار ولا سخرية ، بل نسبته كلها إلى الشياخ أو إلى أخيه مزرد ، ما عدا خبراً واحداً ذكر أن عائشة حينما سمعت الشعر قالت: « فكنا نتحدث أنه من الجزن ... » . وفي آخر الخبر نفسه أن عائشة سألت : من صاحب هذه الأبيات ؟ فقالوا : مزرد بن ضرار ، ولكن مزرداً بعد ذلك أنكر أنها له ! والدكتور طه يكتب أحياناً بذكر رواية واحدة من روايات متعددة ، فقد أورد قصة فيها نحل الشعر ، وفيها تجريح لأحد رواياته ، فعقب عليه ناقدته بذكر روايات أخرى تنقضها^(٣) ، ثم يقول : « أفلا ترى بعد ذلك أن الدكتور اتبع الهوى ، فبادر إلى تصديق حكاية سخيفة من غير أن يؤيدها ما يقويها ، وذكرها وحدها دون أن يذكر الروايات الأخرى لإرادة أن يخدع عقول القراء ، فيفهموا أن هذه هي الرواية ، فيتبعوها فيما يريد أن يشبهه من تجريح الناس وإشاعة السوء فيهم ؟ ألا يدعونا ذلك إلى القول بأنه متعصب لرأى معين يصطاد له من الأقوال ما يؤيده ، تاركاً التحقيق العلمي الذي يوصل إلى الحق أينما كان ؟ »

٦ - وما أخذه به ناقدوه أيضاً أن الدكتور طه « أغار على كتب عربية وأخرى غربية فالتقط منها آراء وأقوالاً » ، نظمها في خيط من الشك والتخيل^(٤) . « وأن مؤلف الشعر الجاهلي على الرغم من تعظيمه قدر بحثه بوصفه بالحدائث والطرافة

(١) الفمراوى : ١٨٠ .

(٢) الحضري : ٣٦ - ٣٧ .

(٣) الحضري : ٤١ .

(٤) الحضري حسين : ٣ - ٤ .

١ - فقد ذكر الدكتور طه ، كما مر بنا ، أن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا لا يمثل الحياة الدينية في الجاهلية ، وأن القرآن ، وهو عنده مرآة الحياة الجاهلية ، يمثل العرب في الجاهلية أمة متدينة قوية التدين . فرد عليه السيد محمد الخضر حسين ، وبيّن أن « هذه الشبهة مما استلبه المؤلف من مقال مرجوليوت »^(١) . ثم أورد ما جاء في مقال مرجوليوت وما جاء في كتاب الدكتور طه ليظهر ما بينهما من تشابه ، وبعد أن عرض لرد إدورد براونلش على مرجوليوت ، قال^(٢) : « وخلاصة الجواب أن معظم شعر العرب كان في الفخر والحماسة وأن المسلمين صرفوا عنايتهم عن رواية الشعر الذي يمثل ديناً غير الإسلام ولا سيما دين اللات والعزى ، وعلى الرغم من هذا كله وصلت إلينا بقية من الشعر الذي يحمل شيئاً من الروح الديني ، تجده في كتاب الأصنام لابن الكلبي وغيره » . وأما الأستاذ محمد لطفي جمعة فقد وجد أن خير رد على الدكتور طه أن يجمع بعض الشعر الجاهلي الذي يشير إلى الحياة الدينية في الجاهلية ، فجمع طرفاً منه ، لشعراء متعددين^(٣) ، ثم قال^(٤) : « من العجيب أن المؤلف يدعى أن الشعر الجاهلي كله عجز عن تصوير الحياة الدينية ، وهو لم يتقدم إلينا بدليل ولم يستقرئ دواوين الشعر الجاهلي » . وأما الأستاذ الغمراوي فينكر أن القرآن يصور العرب في الجاهلية أمة متدينة قوية التدين ، ويرى أن هذا « لا ينطبق إلا على أهل مكة والمدينة ومن حولهما ، ولا ينطبق على من حولهما مثل ما ينطبق عليهما . ومكة والمدينة وما حولهما ليست هي كل بلاد العرب ، وأهل مكة والمدينة ومن جاورهم لم يكونوا جملة العرب ولا جمهورهم ، فمن الخطأ الواضح إذن أن يجعل الدكتور ما ينطبق عليهم ينطبق على جميع العرب ، وأن يستند في ذلك على القرآن »^(٥) .

(١) ص : ٤٧ .

(٢) ص : ٤٨ .

(٣) الشهاب الراسد : ٨٥ - ٩٢ .

(٤) المصدر السابق : ٩٠ .

(٥) ص : ١٤٧ - ١٤٨ .

٢ - وذكر الدكتور طه أيضاً أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة العقلية في الجاهلية ، ومضى يصف هذه الحياة العقلية كما رآها في القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم « يمثل حياة عقلية قوية ، يمثل قدرة على الجدل والخصام أنفق القرآن في جهادها حظاً عظيماً ... أفتظن قوماً يجادلون في هذه الأشياء جدالاً يصفه القرآن بالقوة ويشهد لأصحابه بالمهارة ، أفتظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغفلة والخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين ... » وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بقوله^(١) : « في الشعر الجاهلي معان سامية وحكمة صادقة ، ومن يقرؤه خالي الذهن من كل ما قيل فيه يقضي العجب من ذكاء منشئيه وسعة خيالهم ، وإقصائهم النظر في تأليف المعاني والتصرف في فنون الكلام ... » وأما الأستاذ الغمراوي فينكر أيضاً أن يكون القرآن يمثل العرب في الجاهلية أمة مستنيرة لها حياة عقلية قوية ، وبعد أن يتحدث في ذلك يقول^(٢) « فأما الحظ الذي أنفقه القرآن في الجهاد بالحجة فعظيم . لكن عظمه لم يكن ناشئاً عن عظم قدرة على الجدل كانت عند المجادلين ، ولا عن حسن بصرهم بمواطن الحجة ، بل كان ناشئاً عن عظم رسوخ ما كان يجاهده القرآن فيهم من اعتقادات وعادات تأصلت فيهم على مر القرون ، فالقرآن أنفق ذلك الحظ العظيم في جهاد العادة لا في جهاد مقدرة على المحاصمة ... وإنك لو استقرت مواقف المحاجة التي وردت في القرآن لا تكاد تجد فيها موقفاً قابل المجادلون الحجة فيه بالحجة وقارعوا الدليل بالدليل ... » ويرى أيضاً أن الدكتور طه « استشهد على ما يريد بأيتين اثنتين ليس فيهما شاهد على ما يريد ، وأنه قد ترك كثيراً من الآيات التي تنقض معناه الذي أراد ... »^(٣)

٣ - وذكر الدكتور طه أيضاً أن الشعر الجاهلي يمثل العرب أمة معتزلة

(١) ص : ٥١ .

(٢) ص : ١٤٨ .

(٣) ص : ١٥٢ .

تعيش في صحرائها ، لا تعرف العالم الخارجي ، ولا يعرفها العالم الخارجي ، أما القرآن فيصف عناية العرب بسياسة الفرس والروم وصلاتهم بغيرهم من الأمم . وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بقوله^(١) : « وهل يصدق أحد أن من يدرسون الشعر الجاهلي يتصورون العرب أمة معتزلة في صحراء . . . ثم يورد شعراً جاهلياً فيه دلالات على معرفة العرب بالأمم المجاورة وعلى صلاتهم بهم . أما الأستاذ الغمراوي فقد ذكر أن الدكتور طه « لم يستشهد على ذلك إلا بآيتين اثنتين جرى في تأويلهما على ذلك النحو الذي رأيت . . . »^(٢) بل إنه يرى أنه ليس في إحدى الآيتين « المعنى الذي أراد ولا ظله » . وقد عجب من أن الدكتور يذهب إلى « أن الأدب الجاهلي على ما هو عليه الآن لا يبين صلة العرب بالعالم الخارجي ، وأن القرآن وحده هو الذي يبينها »^(٣) ، مع أنه لم يستقرئ الأدب الجاهلي ولم يوازن بين ما فيه وما في القرآن .

٤ - وذكر الدكتور أيضاً أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الاقتصادية الخارجية والداخلية لعرب الجاهلية ، وأن في القرآن وصفاً لهما بصورهما فيه . وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بأنه استشهد على الحياة الاقتصادية الخارجية بآية واحدة ليس فيها إلا إشارة موجزة ، وأن في الشعر الجاهلي تفصيلاً لهذه الإشارة^(٤) . وأورد الأستاذ محمد لطفي جمعة من الشعر الجاهلي ما يرى فيه تصويراً لحياة العرب الاقتصادية الداخلية في الجاهلية^(٥) . أما الأستاذ الغمراوي فيرى أن « الحق أن الأدب الجاهلي لم يخلُ من هذا . والعجب أن يجهل أستاذ الأدب العربي شيئاً مثل هذا ، فلو أنه قرأ القليل المكتوب عن ابن الزبيري في طبقات ابن سلام

(١) ص : ٥٧ .

(٢) ص : ١٥٢ .

(٣) ص : ١٥٣ .

(٤) ص : ٦٢ - ٦٣ .

(٥) ص : ٧٦ .

لوجود فيه ما لا يقل في دلالاته الاقتصادية عن آية لإيلاف قريش^(١) . . . هذا موضع واحد من الأدب الجاهلي . ولستنا نشك في وجود مواضع أخرى تدل على ما كان هنالك في الجاهلية من اتصال تجارى محدود بين أطراف جزيرة العرب ووسطها^(٢) . . . وكما لم يُلمَّ صاحب الكتاب بمواطن الأدب الجاهلي التي تدل على الحياة الاقتصادية الخارجية كما يجب أن يسميها ، كذلك لم يلم بمواطن الأدب الجاهلي التي تدل على ما يسميه الحياة الاقتصادية الداخلية . . . وكما تكلف واستنتج الحياة الخارجية كلها من آية واحدة في القرآن ، فقد تكلف واستنتج الحياة الاقتصادية الداخلية من تحريم القرآن الربا وفرضه الصدقات^(٣) . أما عن زعمه أن الأدب الجاهلي كله لم يذكر الربا فنحن على ثقة من أنه هنا أيضاً لم يستعرض الأدب الجاهلي كله فيحكم عليه من هذه الناحية حكماً مبنياً على الواقع . ومع ذلك فمثل هذه التواحي إذا ذكرت في الأدب لا تذكر إلا عرضاً ، لأن التجارة وما اتصل بها من ربا أو غيره ليست من الأمور التي تسمو حتى تصير في متناول الشعر والنثر الأدبي في عصرنا هذا فضلاً عن العصر الجاهلي^(٤) . فإذا كان الأدب الجاهلي قد خلا حقاً من ذكر الربا فلن يكون في ذلك دليل على أن الأدب الجاهلي موضوع^(٥) . . .

٥ — الدليل اللغوى : وقد أفاض الناقدون في نقد هذا الدليل ونقضه ، وذلك لأنه ، لو صح ، لكان أقوى الحجج التي ساقها المؤلف وأدلها على ما يريد أن يصل إليه . فالسيد محمد الخضر حسين يرى أن الدكتور طه قد أخذ هذا الدليل من مرجوليوت ، فأورد بعض كلام الدكتور وما يقابله من كلام مرجوليوت في مقالته التي بسطنا فيها القول . وليس من سبيل إلى ذكر جميع ما رد به السيد محمد الخضر

(١) ص : ١٥٤ .

(٢) ص : ١٥٥ .

(٣) ص : ١٥٦ .

(٤) ص : ١٥٧ .

(٥) ص : ١٥٨ .

حسين ، فقد فضل القول في رده تفضيلاً^(١) ، وحسبنا أن نشير إلى بعضه ، قال^(٢) : «أخذ المؤلف بذكر الشاهد الأقوى على اصطناع الشعر الجاهلي ، وهو أن اللغة القحطانية غير اللغة العدنانية ، والشعر المنسوب إلى بعض شعراء اليمن لا يختلف عن شعر العدنانية ، وهذا مما استشهد به مرجوليوت قبله . . . لا ننازع فيما دلت عليه الآثار المخطوطة من أن اللغة القحطانية كانت كلغة أجنبية عن العدنانية ، كما أن مرجوليوت والمؤلف لا ينازعا في أن اللغتين اشتد الاتصال بينهما بعد ظهور الإسلام وأصبحتا كلغة واحدة . والذي نراه قابلاً لأن يكون موضع جدال بيننا وبين مرجوليوت والمؤلف هو حال الاختلاف بين اللغتين في عهد يتقدم ظهور الإسلام بعشرات من السنين ، فنحن لا نرى ما يقف أمامنا إذا قلنا : إن الاختلاف بين اللغتين قد خف لذلك العهد وزال منه جانب من الفوارق ولم تبق القحطانية من العدنانية بمكان بعيد . والذي جعل اعتقادنا يدنو من هذه النظرية . . . أن قبول اللغة القحطانية لأن تتحد مع اللغة العدنانية بعد ظهور الإسلام لا يكون إلا عن تقارب وتشابه هياهما لأن يكونا لغة واحدة ، فإن انقلاب لغة إلى أخرى تخالفها في مفرداتها وقواعد نحوها وصرفها ليس بالأمر الميسور حتى يمكن حصوله في عشرات قليلة من السنين » . ثم يرى أن العثور على نقوش باللغة الحميرية يرجع تاريخها إلى المائة الخامسة والسادسة للميلاد لا ينقض هذا الرأي ، وذلك لأن التقارب بين اللغتين لم تبدأ به القبائل القحطانية والعدنانية في وقت واحد « بل سبقت إليه القبائل المجاورة للعدنانية ثم أخذ يتدرج فيما وراءها من القبائل . . . فالوقوف على أثر مخطوط قبل الإسلام بنحو مائة سنة أو ما دونها إنما يدل على أن سكان الناحية التي انطوت على هذا الأثر لم يزالوا على لسان حمير القديم ، وهذا لا ينفي

(١) انظر ص : ٧٠ - ٧٥ ، ٩٠ ، ٩١ - ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٣ - ١٠٤ ،

٣٠ - ٣٥ ، ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) ص : ٧٠ - ٧١ .

أن يكون غيرها من القبائل القحطانية قد ارتاضت ألسنتهم بلغة تشبه اللغة العدنانية. ومن الممكن القريب أيضاً أن يكون أهل المكان الذى عثر فيه على هذه المخطوطات الأثرية ينطقون باللغة القريبة من اللغة العدنانية ، ولكنهم استمروا فى الكتابة على لغتهم التى كانت اللسان الرسمى لسياستهم أو ديانتهم ، وقد حكى التاريخ لهذا الوجه نظائر . . . «^(١)» ، وبعد أن يسرد هذه النظائر يستدل على تقارب اللغتين بما يروى فى السيرة من خطب الوافدين من أهل اليمن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، « ولو كانت اللغتان مختلفتين فى المفردات وقواعد النحو والصرف لم يسهل على العدناني أو القحطاني فهم لغة الآخر إلا أن يأخذها بتعلم أو مخالطة غير قليلة »^(٢) . ثم يتطرق إلى عبارة أبي عمرو بن العلاء التى أوردها الدكتور طه ، وأصلها « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » ، فقال إن الدكتور مسَّ هذه العبارة « بالتحريف مسَّ رقيقاً » و« حوَّل قوله : ولا عربيتهم بعربيتنا ، إلى قوله : وما لغتهم بلغتنا ، لقصد المبالغة فى الفصل بين اللغتين وليصرف ذهن القارئ عن أن يفهم من قول أبي عمرو : ولا عربيتهم بعربيتنا ، أن تلك اللغة عربية وإنما تختلف عن العدنانية اختلافاً يسوغ له أن يقول : وما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا . ومس المؤلف عبارة أبي عمرو بالتحريف مرة أخرى ، فقد حذف قوله : وأقاصى اليمن ، حتى لا يأخذ منها القراء أن لغة غير الأقاصى ، وهى القبائل المجاورة للقبائل المضرية ، ليس بين عربيتها وعربية مضر هذا الاختلاف^(٣) » . « هذا شأن الاختلاف بين اللغتين ، أما تشابه الشعر القحطاني والعدناني فله سبيل غير هذا السبيل ، والرأى الذى يوافق إجماع الروايات ويؤيده النظر ولا يعترضه البحث الحديث أن الشعراء فى جنوب الجزيرة

(١) ص : ٧١ - ٧٢ .

(٢) ص : ٧٣ .

(٣) ص : ٧٣ - ٧٤ .

وشأها أصبحوا من قبل الإسلام ينظمون الشعر بلهجة واحدة أو متقاربة» (١) . ثم يمضى فى بيان رأيه هذا وتفصيله . ثم يرد على هذا الدليل من جانب آخر ، قال (٢) : « وما يتعذر قبوله أيضاً أن يضع غير النعمانيين أشعاراً فى لهجة قرشية ويعزوها إلى القدماء من شعراء النعم دون أن يجدوا من النعميين أو ممن يعرف لهجة شعراء النعميين من ينكر صنيعهم ، ويناضلهم بحجة أن هذا الشعر غير منطبق على لهجة أولئك الشعراء » .

ثم رد عليه حديثه عن أن لهجات القبائل العدنانية نفسها ، وهى مختلفة ، غير ظاهرة فى هذا الشعر الجاهلى ، فقال (٣) : « هذه الشبهة علقّت بذهن المؤلف فيما علق من مقال مرجوليوت ، وهى مطرودة بنظرية وجود لغة أدبية يحتذيها الشعراء على اختلاف قبائلهم منذ عهد الجاهلية » .

وأما الأستاذ محمد لطفى جمعة فيقول (٤) : « اعتمد المؤلف على أقوال الرواة ثم يؤكد لنا أن الرواة يضيفون شيئاً كثيراً من الشعر الجاهلى إلى قوم ينتسبون إلى عرب النعم . . . ويؤيد مخالفة اللغة القحطانية للغة العرب برواية أحد الرواة وهو أبو عمرو بن العلاء ، فكأن الرواة الذين كانوا يعلمون اختلاف اللغتين من أقدم الأزمنة رووا ، على الرغم من علمهم هذا ، شعراً كثيراً بالعربية العدنانية وحلوه على شعراء النعم . . . وهذا الكلام ظاهر البطلان ، والتلفيق فيه لا يحتاج إلى برهان ، لأن الراوية الذى يعرف اختلاف الأمتين واختلاف اللغتين إذا أراد الوضع والاختلاق لا يقع فى مثل هذا الخطأ المفصوح سيما وأن المؤلف قال فى ص ١٢٠ عن حماد الراوية : أما حماد فرجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله فى شعره . . .

(١) ص : ٩٢ .

(٢) ص : ٩٤ .

(٣) ص : ١٠٠ .

(٤) ص : ١٣٦ - ١٣٧ .

أفيعقل أن راوية كحماد العالم باللغات والمعاني والمذاهب يخطئ مثل هذا الخطأ؟ ثم يقول^(١): «وكيف يثبت لنا المؤلف أن أبا عمرو بن العلاء أراد اختلاف اللغتين في زمن الجاهلية ، وقد عجز المؤلف عن تحديد زمن هذا الاختلاف لعلمه بجواز تطبيق هذا القول على زمن الراوية أبي عمرو نفسه، فقد قصد بذلك أن اللهجة العربية الحميرية التي كانت شائعة في زمنه في بقايا حمير في بلاد اليمن تخالف اللهجة العربية الفصحى وحينئذ يفلت هذا الدليل من يد مؤلف الشعر الجاهلي » . وبعد أن يتحدث المؤلف عن « اللغة الأدبية » التي كان ينظم بها شعراء الجاهلية أورد آياتاً من الشعر الجاهلي ما تزال تظهر فيها بقايا من اختلاف اللهجات العدنانية^(٢) .

وأما الأستاذ الشيخ الخضري فبعد أن تحدث عن هذا الموضوع وأورد أدلة الدكتور وأشار إلى تحريفه في النص الذي ذكره أبو عمرو بن العلاء — قال^(٣) : « وأكثر الشعر اليمني إنما هو لشعراء من سبأ كانوا بالشمال ، إما بالمدينة وإما بالعراق ، وإما بالصحراء الشمالية وإما بالشام ، أو لعرب عدنانيين فالأستاذ يرى بعد ذلك أنه إذا سلمت مقدمته بأنه كان هناك خلاف بين لغة حمير ولغة عدنان ، فإن ذلك لا ينتج شيئاً ، لأن العربية القديمة عربية حمير لم يؤثر شيء من شعرها ، وابن سلام في الطبقات إنما ساق عبارة أبي عمرو في هذا الصدد وهو نفي أن يكون هناك شعر تصح نسبته إلى عاد وثمود . . . » ، ثم يقول عن اختلاف اللهجات^(٤) : « لا ندرى كيف يظهر في الشعر تباين اللهجات ؟ فإن اللهجة كما قدمنا إنما هي ما يرجع إلى الأداء ، والشيء الواحد قد يؤدي بلهجات مختلفة ، وهو هو في حركاته وسكناته ، كما اختلف الأداء في القرآن نفسه ،

(١) ص : ١٣٩ .

(٢) ص : ١٥٤ - ١٥٧ .

(٣) ص : ١٠ - ١١ .

(٤) ص : ١٥ .

والقرآن هو هو . لا ندري كيف يكون اختلاف اللهجات مؤثراً في الشعر ، في أوزانه وتقاطيعه وبحوره وقوافيه بوجه عام ؟ . . . لا أفهم تأثير الإمالة والتفخيم في بحر الشعر وقافيته . فإن مفخَّم الألف ينشد "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" بألف مفخمة كما ينشدها المميل بألف مماله ، فلا يتغير في البيت حركة ولا سكون ، وهما اللذان نبى عليهما تفاعيل الشعر . وكما لا يتغير شيء من ذلك بالإمالة والتفخيم لا يتغير بالإدغام والإظهار . . . (١)

وأما الأستاذ الغمراوي فيتحدث عن هذا الموضوع في صفحات متفرقة من كتابه (٢) ، وقد عرض لذكر بعض ما قدمناه ثم قال (٣) : إن الدكتور طه قد «نبه النقد منذ أكثر من عام إلى أن ثبوت اختلاف لغة الجنوب عن لغة الشمال ، لو ثبت أنهما كانتا مختلفتين في العصر الجاهلي القريب ، لا يصلح دليلاً على أن أدب يمانية الشمال موضوع لأن قبائل اليمن في الشمال كانت هاجرت من الجنوب إلى الشمال منذ أمد بعيد فلم يكن هناك بد لمن نشأ في الشمال من ذرياتها أن ينشأ على لغة الشمال ويتخذها لغة أدب ولغة خطاب . فجاء صاحب الكتاب هذا العام يجيب على هذا بلهجة المستوثق مما يقول، فهل تدرى بماذا أجاب؟ أجاب بأن هجرة فريق من عرب اليمن إلى الشمال غير ثابتة ! وأن صحة يمانية من انتسب إلى اليمن من قبائل الشمال غير ثابتة ! وإذن يسقط ذلك الاعتراض ! إن من المؤلم حقاً أن يبلغ الأستاذ في الممارسة إلى هذا الحد، وينزل به اللجاج إلى هذا الدرك ، فلا يدرك أن جوابه هذا مسقط كل ما قال ، وأنه إذا صح أن التاريخ القديم والتاريخ الحديث أجمعا على خطأ ، فلم تكن هجرة ولم يكن في الشمال يمانيون ، لم يكن هناك أدنى شبهة لغوية يمكن أن يعترض بها على صحة كلام مثل امرئ القيس . إذ يصير امرؤ القيس ومن معه بذلك مضربين ،

(١) ص : ١٨ .

(٢) ص : ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٠ - ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٨ .

(٣) ص : ١٨٨ .

ويصير من السخف أن يقال بعد ذلك إن كلامهم وشعرهم منحول لأن لغته ليست لغة نقوش حيرية اكتشفت في الجنوب

ويتحدث الأستاذ الغمراوي حديثاً مفصلاً عن اللهجات، جاء فيه أن الدكتور طه حسين ذكر في الطبعة الثانية من كتابه « أن اللغة الفصحى الموجودة في القرآن والحديث لغة قريش ، فإذا اعترض القارئ بأن هذه اللغة قد كانت تُفهم في غير قريش في قبائل الحجاز ونجد ، كقيس وتميم المضربتين ، والأوس والخزرج اليمنيتين ، وقبائل اليهود في شمال الحجاز ، كان جواب صاحب الكتاب أنك قد عرفت رأيه » في النسب وانتهاء هذه القبائل إلى اليمن أو إلى مضر ! يشير إلى رأيه الذي أورده في فصل الأدب الجاهلي واللغة . وغفل هنا كما غفل هناك عن أن إنكاره نسبة تلك القبائل إلى غير قريش يدخلها في قريش ويذهب باعتراضه على الشعر الجاهلي العدناني من طريق اللهجة كما ذهب هناك باعتراضه على الشعر الجاهلي القحطاني من طريق اللغة (١) .

. . .

نقد أسباب النحل :

وننتقل بعد ذلك إلى عرض آراء النقاد فيما ذكره الدكتور طه حسين من أسباب نحل الشعر الجاهلي ، وقد جعلها الدكتور ، كما مر بنا خمسة : السياسة ، والدين ، والقصص ، والشعوبية ، والرواة .

١ - السياسة ونحل الشعر : أجمع النقاد على أن الدكتور طه لم يورد شيئاً من الشعر الجاهلي الذي دعت السياسة إلى نحله ، مع أن فصله معقود لهذا ، ومع أنه أطنب في الحديث عن المقدمات الظنية والفروض المتخيلة ، ولكنه لم يمتعه بها إلى النهاية التي يدل عليها عنوان الفصل . قال السيد محمد الخضر حسين (٢)

(١) ص : ٢٠١ .

(٢) ص : ١٨٥ .

« عقد المؤلف الفصل في نحو عشرين صحيفة قضاهما في الحديث عن أمر كتب فيه القدماء والمحدثون ، وهو شأن العصبية في صدر الإسلام وعهد الأمويين ، وما كان من التهاجي بين بعض شعراء الأنصار وآخرين من قريش . . . ولم يستطع المؤلف أن يضرب في هذا الفصل الطويل مثلاً لشعر جاهلي اخترعته نزعة سياسية . . . ومن أراد أن يقرر أن من الشعر الجاهلي ما افتعل لغرض سياسي ، ويضع لذلك عنواناً يكتبه بأحرف ممتازة ، فليأت ولو بمثل أو مثلين واضحين وبيريق القارئ من أقوال لا تقع في عين الموضوع فضلاً عما فيها من صيغ بعض الوقائع بألوان لا تلائمها . . . » وقال الأستاذ محمد لطفي جمعة^(١)

« وقد سود المؤلف تسع صفحات في هذه المسألة وحدها (يقصد المهاجاة بين الأنصار وقريش) وعنوان الفصل ” السياسة وانتحال الشعر “ اسم فخم وعنوان ضخم ، ولكن اللب منعدم والمقصد غامض . . . أين السياسة من بحثه وأين الشعر المتحل ومن واضع الشعر المحمول ؟ » وقال أيضاً^(٢) : « إلى هنا ولا نجد في هذا الفصل الطويل الذي عنوانه المؤلف ” السياسة وانتحال الشعر “ يقصد بذلك الشعر الجاهلي — شيئاً خاصاً بانتحال ذلك الشعر الجاهلي . . . » وقال الشيخ محمد الخضري إن الدكتور طه قال : « يستطيع الكاتب في تاريخ الأدب أن يضع سرفاً مستقلاً فيما كان لهذه العصبية بين قريش والأنصار من التأثير في شعر الفريقين الذي قالوه في الإسلام وفي الشعر الذي انتحله الفريقان على شعرائهما في الجاهلية ، ثم عقب عليه بقوله^(٣) : « مع أن مقدمته الطويلة لم يوجد بها كلمة واحدة تتصل بأن فريقاً من الفريقين اختلق شعراً ونسبه إلى شعرائه في الجاهلية ، وإنما الأحاديث كلها في الشعراء الذين كانوا في أول العهد الإسلامي يتقارضون الشعر ،

(١) ص : ١٨٤ .

(٢) ص : ١٩٣ .

(٣) ص : ٣٢ .

وفي العهد الذي يلي ذلك . ويقول أيضاً^(١) : « وبعد ذلك كله ألم يكن من واجب المؤلف ، وهو أستاذ كبير ، أن يذكر لقراء كتابه بعض الشعر الذي وضعته قريش في الإسلام ونسبته إلى بعض شعرائهم في الجاهلية وكان الداعي إلى وضعه السياسة ؟ إنه لم يذكر شيئاً من ذلك ، وكل كلامه حول الشعر الذي قيل في العهد الإسلامي ، وليس لهذا وضع الشيخ كتابه . »

٢ - الدين ونحل الشعر : قال السيد محمد الخضر حسين^(٢) : « ينكر المؤلف كل ما يروى من الشعر والأخبار الممهدة للبعثة النبوية ، وإنكارها على هذا الوجه إنما تسمعه ممن ربط قلبه على نفي النبوة ، إذ ليس من المحتمل عنده أن يقال فيها شعر أو يرد عنها خبر قبل أن يدعيها صاحبها . أما الذين يعتقدون بأن نبوة أفضل الخلق حق فمن الجائز عندهم أن يسبقها شعر أو خبر يتصل بها ، شأنهم أن يفحصوا ما يرد في هذا الصدد ويضعوه بمنزلة من الوضع أو الضعف أو الصحة ، وكذلك فعل علماء الإسلام فحكوا على جانب مما كان من هذا القبيل بالوضع ، كالأخبار والأشعار المعزوة إلى 'قس' بن ساعدة . ثم يعرض لما ذكره الدكتور طه من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن رواية شعر أمية ، وأن هذا وحده كاف لأن يضيع هذا الشعر . فرد عليه بأن في الحديث الصحيح أن النبي استنشد رجلاً شعر أمية فظل ينشده حتى أنشد مائة بيت . وقال إنه لو صح أن النبي نهي عن شعره لكان هذا النهي مقصوراً على قصيدة أمية التي رثى بها قتلى قريش في وقعة بدر ، « على أننا نجد هذه القصيدة التي يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن روايتها واردة في بعض كتب السير والمغازي ، وقد رواها ابن هشام في نحو ثلاثين بيتاً . . . »^(٣) ، وقال الأستاذ محمد لطفى

(١) ص : ٣٤ .

(٢) ص : ١٨٨ .

(٣) ص : ٢٢٠ .

جمعة^(١): « يريد مؤلف كتاب الشعر الجاهلي أن ينجذ القارئ ويوهمه أن كل ما ورد في الأدب العربي من نثر وشعر عن الجن ووجودها وأخبارها إنما وضع بعد الإسلام وضعاً لتبرير سورة الجن التي جاءت في الكتاب المنزل على أفصح العرب . . . وأن كل ما نسب إلى العرب في أدبهم من هذه الناحية إنما اصطنع اصطناعاً مجاراةً للعقيدة التي اقتضتها هذه السورة القرآنية . والحقيقة أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بالجن ، ونظموا شعراً جاهلياً كثيراً عن علاقة الجن بالشعر والشعراء ، وذكرنا بعضه في ص ٥٢ من هذا الكتاب ، . . . ولم تكن أمة سامية أو آرية تخلو من الاعتقاد بالجن أو الأرواح الخيرة والشريرة . ثم تحدث عن شعر أمية بن أبي الصلت ، ونفى أن المسلمين محوه أو حاربوه ، وأورد شيئاً من شعره . . (٢) ، وأما الشيخ الحضري ، فيعرض لما تحدث به الدكتور طه من أمر الشعر الممهد للبعثة النبوية ، فيقول الشيخ الحضري إن انتظار بعض علماء العرب وكهانهم وأحبار اليهود ورجال النصارى لبعثة نبي عربي من المسائل التي ذكرها القرآن ، « والمؤلف نفسه قال في الصفحة الثامنة من كتابه : وأنا أزعّم مع هذا كله أن العصر الجاهلي القريب من الإسلام لم يضع ، وأنا نستطيع أن نتصوره تصوراً واضحاً قوياً صحيحاً ، ولكن بشرط ألا نعتد على الشعر بل على القرآن من ناحية ، والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى . . . (٣) ، وعرض بعد ذلك لقول الدكتور طه : « وفي سيرة ابن هشام وغيرها من كتب التاريخ والسير ضروب كثيرة من هذا النوع » ، فقال الشيخ الحضري^(٤) « وهذا الكلام غير صحيح ، فقد قرأنا هذه السيرة مراراً ، ولا سيما فيما يمهد لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم نجد بيتاً واحداً في الموضوع الذي ذكره ، وإنما الشعر الذي

(١) ص : ٢١٢ .

(٢) ص : ٢٢٦ - ٢٣٠ .

(٣) ص : ٣٤ - ٣٥ .

(٤) ص : ٣٥ .

رأيناه في فصل عنوانه : أمر الأربعة المتفرقين عن عبادة الأوثان في طلب الأديان ، وفي هذا الفصل قطع شعرية كلها في التوحيد وترك عبادة الأوثان . ثم قال (١) : « ذكر الأستاذ بعد ذلك من منحول الشعر ما أورده المفسرون زاعماً أنهم أوردوه لإثبات عربية القرآن ! ثم غلا فقال : فحرصوا أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب يثبت أن الكلمة عربية لا شك في عربيتها . فعقب على ذلك بقوله : « وهذه الحملة فيها غلو وفيها خطأ : أما الغلو ففي قوله إنهم استشهدوا على كل كلمة منه ؛ بين أيدينا التفسيران الكبيران اللذان عُنيا بهذا الاستشهاد أتم عناية ، وهما تفسير الإمام الكبير أبي جعفر الطبري وتفسير الكاتب العظيم أبي عمر الزمخشري ، ومع ما فيهما من الشواهد الكثيرة فإن ادعاء الاستشهاد على كل كلمة لا يؤيده الواقع ، إن شواهد الكشف عددها ٧٢٧ شاهداً ، وليس هذا عدد كلمات القرآن . . . وأما الخطأ ففي ظنه أن هذه الشواهد كلها جاهلية جيء بها لإثبات عربية القرآن ! أكثر هذه الشواهد لشعراء إسلاميين ، وقليل منها ما هو لشعراء جاهليين أو مجهولين . . . وليس الاستشهاد لإثبات عربية القرآن كما يزعم ، وإنما هو لبيان مفهوم الكلمات التي يعدها الناس أحياناً غريبة ، على أن هذا المعنى قد يلاحظ أحياناً ، وهو أن القرآن ليس بيدع في اللغة ، وإنما جاء بلغة العرب لم تشذ فيه كلمة عن مناهجهم . »

٣ - القصص ونحل الشعر :

وقد ذهب هؤلاء النقاد إلى أن الدكتور لم يأت بشيء جديد لم يذكره القدماء ، ولكنه زاد عليهم بأن عمّم وأطلق أحكاماً كلية . قال السيد محمد الخضر حسين (٢) : « كتب المؤلف في القصص ولم يأت بجديد ، وإنما مدّ يده إلى ما تحدث به الكتاب من قبله وسماه نظرية له ، ثم انهال علينا بكليات عرضها ما بين البمامة

(١) ص : ٤١ - ٤٢ .

(٢) ص : ٢٤٥ .

وحضرموت ... » وقال الشيخ محمد الحضري ^(١) : « قد ذكر المؤلف نفسه ما كان من نقدة الآداب أمام هذا الشعر فقال : "وقد فطن العلماء إلى ما في هذا الشعر من تكلف حيناً ومن سخف وإسفاف حيناً آخر ، وفطنوا إلى أن بعض هذا الشعر يستحيل أن يكون قد صدر عن الذين ينسب إليهم" . وهذا هو الذي نريد أن نقوله ، وهو أن النقاد في العصور الماضية لم يقصروا في تمييز طيب الشعر من خبيثه ، وقد عبدوا الطريق لمن يخلفهم حتى لا يزعمهم كذب كاذب ، أو تلفيق ملفق ، فيرفضون جميع ما روى عن الشعر ، كما فعل مؤلف الشعر الجاهلي ، بل يتبعون سيرة أولئك الأسلاف في النقد الأدبي الذي أساسه الرواية والدراية .. »

٤ - الشعوبية ونحل الشعر :

قال السيد محمد الحضري حسين إن الدكتور طه عقد فصلاً للشعوبية ونحل الشعر الجاهلي ، ولكنه « لم يقم دليلاً على التلازم بينهما ، بل لم يأت برواية تدل على أن بعض الشعوبية انتحل شعراً جاهلياً ... » ^(٢) ، وقال أيضاً بعد أن ذكر أن الدكتور أورد قصصاً عن أبي العباس الأعمى وإسماعيل بن يسار « وزعم أنه وصل بهذا إلى ما كان يريده من تأثير الشعوبية في انتحال الشعر ، ولكنه لم يتطع أن يضرب مثلاً يريك كيف انتحلت الشعوبية شعراً جاهلياً ... » ^(٣) ، وكذلك قال الأستاذ محمد لطفي جمعة ^(٤) : « لانجد في هذا الفصل ما يدل على انتحال الشعر الجاهلي » ، وأما الشيخ محمد الحضري فذهب إلى أن حديث الدكتور في هذا الفصل عن الشعوبية ونحل الشعر الجاهلي قائم على الفرض والتخيل لا على الحقائق ، وبعد أن رد عليه قال ^(٥) : « ومتى كان الأمر كذلك

(١) ص : ٥٣ .

(٢) ص : ٢٤٧ .

(٣) ص : ٢٤٩ .

(٤) ص : ٢٤٨ .

(٥) ص : ٥٤ .

ضعف مقدار هذا التخيل وسقط الفرض من أساسه .

٥ - الرواة ونحل الشعر :

أشار السيد محمد الخضر حسين إلى ما في حديث الدكتور في هذا الفصل - وفي غيره من الفصول - من تعميم ومبالغة ، وذلك حين قال الدكتور إن الرواة « بين اثنتين : إما أن يكونوا من العرب ، فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب ، وإما أن يكونوا من الموالي فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي . . . » وعقب عليه السيد محمد الخضر حسين بقوله ^(١) : « ويريد من التأثر - بطبيعة السياق - الوجه الذى يحمل على صنع الشعر وعزوه إلى الجاهلية ، ومعنى هذا نفي أن يكون لطائفة من الرواة خطة ثابتة وهى ألا يتأثروا بشيء من هذه الأسباب تأثراً يستهينون معه بموابقة الافتراء على الناس كذباً . وهذه المبالغة لا تأويل لها إلا أن المؤلف يجب أن يكون هذا الشعر الجاهلى منحولاً » . ثم تعرض لما تعرض له الدكتور من ذكر حماد الراوية وخلف الأحمر ، وقال لهما ليسا « مرجع الرواية كلها ولا أن الطعن فيهما طعن في الرواية جميعاً » ^(٢) . ومع ذلك فقد ذكر بعض الروايات التى تطعن في حماد وخلف ونقدها وبيّن ضعف بعضها . ثم ذكر أن الدكتور رى أبا عمرو الشيباني بالكذب والوضع ، مع أن أحداً من القدماء لم يرمه بذلك حتى إن خصومه قد وثقوه ، ولم يكتف الدكتور بذلك بل قال عنه : « وأكبر الظن أنه كان يأجر نفسه للقبائل يجمع إكل واحدة منها شعراً يضيفه إلى شعرائها » فقال السيد محمد الخضر حسين إن إيجار عالم كأبى عمرو الشيباني لا يمكن أن يكون قد حدث من غير أن يتنبه له القدماء ويشيروا إليه ^(٣) ، وأن الدكتور لم يبين حكمه هذا إلا على الظن والتخيل .

(١) ص : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢) ص : ٢٦٧ .

(٣) ص : ٢٧٤ - ٢٧٥ .

أما الأستاذ محمد لطفي جمعة فقد رد عليه من وجه آخر وذلك قوله (١): « وإن كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم في بعض ، فليس في الطعن حجة أو دليل على صحة التهمة ، لأن اتحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة والمزاحمة على نيل الخطوة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة ، لهذا قال الأقدمون " إن المعاصرة حجاب " ، حتى إن رواة ثقافت كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية صاحبه ، ولكن المحققين ينزهونهم عن الكذب ... فلا يجوز إذن أن نأخذ بما يقوله الرواة بعضهم في بعض ، وقد عقد ابن جني فصلاً في كتابه « الخصائص » على ما يكون من قدح أكابر الأدباء بعضهم في بعض وتكذيب بعضهم بعضاً ، كرواية المفضل الضبي في حق حماد ، وهي لم تمحص ولم تنتقد وإن صح إسنادها فوليدة أحقاد معاصرة ، فإن كلام الأقران بعضهم في بعض لا يقدر في العدالة ، وهذا رأى علماء الحديث وجاراهم فيه أهل الأدب حتى قالوا : إن المعاصرة حجاب ، كما قلنا » .

الفصل الخامس

توثيق الرواة وتضعيفهم

١

إن كان شيء أولى بالشك ، وأحرى بالتوقف ، وأجدر بالبحث والتمحيص ، فهو هذه الأخبار والروايات المتناثرة في صفحات الكتب العربية ، التي تدور حول بعض رواة الشعر : تههم بالوضع والنحل ، وترميم الكذب والافتعال . وستنقص حديثنا في هذه الصفحات على تلك الأخبار والروايات ، وعلى ما فيها من أحكام على الرواة أنفسهم: فيها توثيق لهم حيناً ، وتجريح وتضعيف في أكثر الأحيان ؛ وذلك لأن بحثنا إنما هو مصادر الشعر الجاهلي ، والرواية مصدر أصيل من مصادر هذا الشعر ، أو هي المصدر الأصيل إذا أخذناها بمعناها الواسع الذي وضعناه في فصل سابق . أما ما بسطنا فيه القول من دواعي الشك في الشعر الجاهلي وأسباب نحله ، فحسبنا ما قدمنا من آراء المؤيدين والمفندين .

ولا بد لنا ، حتى يستقيم بين أيدينا وجه البحث وندخل فيه من بابه ، من أن نشير إلى قيام مدرستين فكريتين مختلفتين ، قامت إحداهما في الكوفة ، وقامت الأخرى في البصرة . وقد أدى الخلاف بين هاتين المدرستين إلى أن يتعصب علماء كل مدرسة لمدرستهم ، وأن يجرّحوا هم وتلاميذهم علماء المدرسة الأخرى وتلاميذها ويضعفوه ويرمونه بالوضع والكذب والتزيد . ولسنا نحب أن نوسع مجال البحث فنعرض للقبائل العربية التي استوطنت كل مصر من هذين المصرين ، وما أدى إليه ذلك من عصبية قبلية قد يكون لها أثر فيما نحن بسبيله من بحث ، ولا نريد كذلك أن نعرض للاتجاه السياسي في البصرة والكوفة منذ زمن عثمان وعلى ثم في

زمن بنى أمية ، فإن ذلك كله سيقودنا إلى إطالة نحن في غنى عنها في هذا المجال !
ولكننا نحب أن نبين في وضوح وجلاء ، الطابع الفكرى المميز الذى تفردت به
كل من البصر والكوفة في الفقه ، واللغة والنحو ، والشعر والأخبار .

أما الكوفة فيبدو أنها كانت أسبق من البصرة إلى العناية بالحديث والفقه ،
وذلك لأنه « هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة ، وسبعون من أهل بدر »^(١) ؛
وكان فيها أيضاً « ستون شيخاً من أصحاب عبد الله (بن مسعود) »^(٢) . وكان
في بنى ثور الذين نزلوا الكوفة « ثلاثون رجلاً مافيهم رجل دون الربيع بن خثيم »^(٣)
وكان من أثر نشاط حركة الفقه والفتيا في الكوفة أن شهد لها بعض علماء المدينة
— وهم من مدرسة في الحديث مخالفة — فن ذلك ماروى عن « عبد الجبار
ابن عباس عن أبيه قال : جالست عطاء فجعلت أسأله ، فقال لى : ممن أنت ؟
قلت : من أهل الكوفة ، فقال عطاء : ما يأتينا العلم إلا من عندكم »^(٤) .
بل لقد شهد لهم بالتقدم بعض علماء البصرة ، فقد : « قال رجل للحسن : يا أباسعيد ،
أهل البصرة أو أهل الكوفة ؟ قال : كان عمر يبدأ بأهل الكوفة ، وبها بيوتات
العرب كلها وليست بالبصرة »^(٥) . « وقال مسعر : قلت لحبيب بن أبي ثابت :
هؤلاء أعلم أم أولئك ؟ قال : أولئك (يعنى أهل الكوفة) »^(٦) .

ومع ذلك فقد كان الحديث وروايته في الحجاز أسبق وأقدم من الكوفة
« فأكثر الصحابة كانوا بالمدينة ، وهم أعرف الناس بمحدث رسول الله ، وأخبر
بقوله وعمله ، وحتى من رحل منهم إلى العراق وسائر الأمصار فلنما كانوا عارية

(١) ابن سعد ، الطبقات ٦ : ٤ - ٥ .

(٢) المصدر السابق : ٥ .

(٣) المصدر السابق : ٥ .

(٤) المصدر السابق : ٥ .

(٥) المصدر السابق : ٦ .

(٦) المصدر السابق : ٦ .

من الحجاز»^(١) . وقد كان علماء المدينة يتمسكون بالحديث تمسكاً كبيراً ، ويلجأون إليه - بعد القرآن - فيما يحزبهم من أمر أو يحتاجون إليه من نص ، ولا يكادون يتجاوزونه إلى الاجتهاد وإبداء الرأي والفتيا . وقد ساعدتهم على ذلك كثرة ما بين أيديهم من أحاديث ، وبقاء الحالة الاقتصادية والاجتماعية على ما كانت عليه في عهد رسول الله ومن بعده الصحابة ، أو قريبة من ذلك ، فلم يصعبها من التعقيد والتطور ما أصاب حياة المسلمين في العراق أو الشام ، ولذلك كانوا يجدون لكل أمر من أمورهم حديثاً من أحاديث رسول الله يقضون به في ذلك الأمر .

أما الحياة في الكوفة فقد كانت على غير حياة المدينة ، فقد نزل المسلمون فيها بيئة جديدة ، فيها أخلاط من أجناس شتى بعضها له ماض عريق في الحضارة والحياة الفكرية والاجتماعية ، ولذلك كانت حياة الكوفة ، إذا قيست بحياة المدينة ، معقدة ، جد فيها من المسائل الاقتصادية والاجتماعية ما لم يكن معروفاً في المدينة . ولذلك اضطر علماء الكوفة حينما يعرض لهم أمر من أمور حياتهم لا يجدون فيه نصاً واضحاً في القرآن أو الحديث - إلى أن يجتهدوا ويفتوا برأيهم ، وهذا الاجتهاد والإفتاء بالرأى هو " القياس " . « أصل القياس أن يُعلم حكم في الشريعة لشيء فيقاس عليه أمر آخر لاتحاد العلة فيهما ، ولكنهم توسعوا في معناه أحياناً فأطلقوه على النظر والبحث عن الدليل في حكم مسألة عرضت لم يرد فيها نص ، وأحياناً يطلقونه على الاجتهاد فيما لا نص فيه ، وبعبارة أخرى جعلوه مرادفاً للرأى ، ويعنون بالرأى والقياس بهذا المعنى أن الفقيه من طول ممارسته للأحكام الشرعية تنطبع في نفسه وجهة الشريعة في النظر إلى الأشياء ، وتمرن ملكاته على تعرف العلل والأسباب ، فيستطيع إذا عرض عليه أمر لم يرد فيه نص ، أن يرى فيه رأياً قانونياً متأثراً بجو الشريعة التي ينتمى إليها ، وبأصولها وقواعدها التي انطبع

فيه من طول مزاولتها ، ومن أجل هذا ذموا الرأي الذى يصدر ممن ليس أهلاً
للاجتهاد (١)

وخلاصة ذلك أنه كانت هناك مدرستان ، الأولى : مدرسة الحديث ، وهى
فى الحجاز وخاصة فى المدينة ، وعلى رأسها مالك بن أنس وتلاميذه . والثانية :
مدرسة الرأي ، وهى فى العراق وخاصة فى الكوفة وعلى رأسها أبو حنيفة . وتعصب
علماء كل مدرسة لمدرستهم حتى لقد كاد أبو حنيفة أن يفضل أحد التابعين من
علماء الكوفة على صحابى جليل هو عبد الله بن عمر ، فقد قال مرةً لمناظره « إبراهيم
(النخعى - كوفى) أفضل من سالم (بن عبد الله بن عمر) ، ولولا فضل الصحبة
لقلت علقمة أفضل من ابن عمر » . وأخذ الحجازيون يطعنون على علماء الكوفة
ويعيبونهم ويرمونهم بالتزديد فى الحديث الصحيح والإكثار من الموضوع ، فقال
مالك : « إذا جاوز الحديث الحرتين ضعفت شجاعته » ، وكان مالك يسمى
الكوفة « دار الضرب » يعنى أنها تصنع الأحاديث وتضعها كما تخرج دار الضرب
الدرهم والدنانير ، وقال ابن شهاب : يخرج الحديث من عندنا شبراً فيعود فى
العراق ذراعاً (٢) .

وقد سقنا ما تقدم لتخلص منه إلى أمرين ؛ الأول : أن الطابع الذى يميز
أهل الكوفة فى الفقه أنهم « أهل الرأي » ، وأنهم لا يلجأون إلى رأى إلا إذا عرض
لهم عارض لم يجدوا له نصاً فى الكتاب أو الحديث ، ومعنى ذلك أنهم قد عنوا
بالحديث وجمعه وروايته واستقصائه عناية كبيرة لأنه مصدر أساسى من مصادر
الفقه والتشريع ، ولكنهم بعد ذلك كانوا أكثر حرية من غيرهم وأكثر جرأة على
استخدام العقل ، فكانوا يقولون برأيهم ، حيث يتوقف غيرهم ، إذا لم يجدوا نصاً
فى القرآن أو الحديث . والأمر الثانى : أن المدرسة الأخرى وهى مدرسة أهل
الحديث فى المدينة قد اتهمت مدرسة الكوفة بوضع الأحاديث والتزديد فيها ،

(١) ضحى الاسلام : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ٢ : ١٥٢ .

وقد يكون ما استجد في حياة الكوفة مما لم يجدوا له ذكراً أو أصلاً في الحديث حافظاً لم على الوضع أو التزيد رغبة في أن يدعموا رأيهم بحديث نبوي ، ولكن أغلب ما أنكره أهل المدينة على أهل الكوفة مرده إلى أن بعض التابعين وتابعي التابعين في الكوفة قد أخذوا الأحاديث عن الصحابة الذين نزلوا الكوفة ، فكان هؤلاء الصحابة يتحدثون بأحاديث لم يسمع بعضها علماء المدينة ممن كان فيها من الصحابة فجهلواها. وليس كل ما كان يحدث به صحابي كان يحدث به غيره ، بل إن بعض الصحابة كان يحدث بحديث نسخه حديث آخر لم يبلغه غيره من الصحابة ^(١) . فلم يكن مرد اتهام الكوفيين بالوضع إلى أنهم وضعوا كل ما اتهموا به ، ولم يكن مرده كله إلى عصبية أهل الحديث لمدرستهم على مدرسة الرأي ، وإنما كان بعض هذا الاتهام مرده إلى أنهم وضعوا حقاً ، وكان مرد بعضه إلى العصبية ، ثم كان مرد بعضه الآخر إلى اختلاف مصادر الرواية ، أي اختلاف الصحابة الذين أخذ عنهم علماء كل مدرسة من التابعين وتابعيهم .

• • •

أما في اللغة والنحو فقد كانت البصرة أسبق إلى العناية بهما ثم تبعها الكوفة ، فقامت في المصيرين مدرستان متمايزتان : مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة . وربما كان أهم الفروق الأساسية بين المدرستين أن مدرسة البصرة رأت أن أهم غرض وضع قواعد عامة للغة . . . تلتزمها وتريد أن تسير عليها في دقة وحزم ، وإذا كانت اللغات لا تلتزم القواعد العامة دائماً بل فيها مسائل لا يمكن أن تجرى على القاعدة ، وخصوصاً اللغة العربية التي هي لغات قبائل متعددة تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً . . . أراد البصريون تمشياً مع غرضهم أن يهدروا الشواذ ، فإذا ثبتت صحتها قالوا إنها تحفظ ولا يقاس عليها. بل جرؤوا على أكثر من ذلك فخطأوا بعض العرب في أقوالهم إذا لم تجر على القواعد . . فهم في الواقع أرادوا أن ينظموا اللغة بإهدار بعضها ، وأرادوا أن يكون ما سمع من العرب مخالفاً لهذا

(١) انظر المرجع السابق : ١٥٨ .

التنظيم مسائل شخصية جزئية يتسامحون فيها نفسها ولا يتسامحون في مثلها والقياس عليها حتى لا تكثر فتفسد القواعد والتنظيم ، هذا إذا لم يتمكنوا من أن يؤولوا الشاذ تأويلاً يتفق وقواعدهم ولو بنوع تكلف . أما الكوفيون فلم يروا هذا المسلك ، ورأوا أن يحترموا كل ما جاء عن العرب ، ويجيزوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ، ولو كان الاستعمال لا ينطبق على القواعد العامة ، بل يجعلون هذا الشذوذ أساساً لوضع قاعدة عامة . . . فهم أكثر تجويزاً للوجوه المختلفة في المسائل...^(١) .

وكان من أثر هذا الخلاف في المنهجين أن تعصب كل فريق لمدرسته ، وأخذ بهم ويضعف علماء المدرسة الأخرى ، وخاصة البصريين الذين كانوا يرون أنهم أخذوا اللغة عن العرب الخلف وأب الكوفيين أخذوها عن الأعراب الذين فسدت لغتهم وسليقتهم . قال الرياشي - وهو بصري^(٢) : «لأنما أخذنا اللغة من حَرَشَةِ الضَّبَابِ وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز» . وافتخر البصريون بأنهم لم يأخذوا عن الكوفيين في هذا الميدان شيئاً ، وأن الكوفيين هم الذين كانوا يأخذون عن البصريين ، فقال أبو سعيد^(٣) : «لا أعلم أحداً من علماء البصريين في النحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد فإنه رَوَى عن المفضل الضبي...» ، وقال أبو زيد^(٤) : «قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر علماً كثيراً صحيحاً ، ثم خرج إلى بغداد فقدم أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئاً فاسداً فخلط هذا بذلك فأفسده...» . وقال أبو الطيب اللغوي^(٥) : «وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ولكن أهل البصرة يمتنعون عنهم لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجة» . وربما كان من أوضح الأمثلة التي تدل

(١) ضحى الإسلام ٢ : ٢٩٤ - ٢٩٥ . وانظر أيضاً كتاب « العربية » ليوهان فك ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص : ٦١ - ٦٣ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست : ٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ٨١ .

(٤) السراي ، أخبار النحويين البصريين : ٥٦ .

(٥) مراتب النحويين ، ورقة : ١٤٦ .

على مدى ما جرت إليه هذه المنافسة بين المدرستين من خصومات وإتهامات — ما قاله أبو حاتم السجستاني^(١) : « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ، ولولا أن الكسائي دنا من الحلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئاً ، وعلمه مختلط بلا حجج ، ولا يملك إلا حكايات عن الأعراب مطروحة لأنه كان يلقنهم ما يريد ، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقرآن ، وهو قدوتهم وإليه يرجعون . » وقال أبو حاتم أيضاً^(٢) : « فإذا فسر حروف القرآن المختلف فيها ، أوحكيت عن العرب شيئاً فلأنما أحكيه عن الثقات عنهم مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحلة العلم ، ولا ألتفت إلى رواية الكسائي والأحرى والأموى والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم ! » وقد بادلم الكوفيون إتهاماً باتهام وخصومة بخصومة ، فمن أمثلة ذلك أنه « لما مات المازني خلفه أبو العباس المبرد ، وبقي ذكره ببغداد وسامراً لا يفيض أحد منه إلى أن ذكره ابن الأتباري في بعض مصنفاته ، وأراد أن يضع منه ، ويرفع من صاحبه أبي العباس ، أحمد بن يحيى ثعلب ، جارباً على عادته في العصبية للكوفيين على البصريين »^(٣) . ومن ذلك أيضاً أن ابن الأعرابي الكوفي « كان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً »^(٤) ، وأنه كان يقول في كلمة رواها الأصمعي « سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي »^(٥) . وقال ثعلب « انتهى علم اللغة والحفظ إلى ابن الأعرابي » . . . والشواهد على ذلك كثيرة وكلها تكشف عن مدى ما قادت إليه هذه الخصومة المنهجية من تبادل الاتهام والتضعيف .

ويعنيها من كل ذلك الأمران اللذان أشرنا إليهما عند حديثنا عن الحديث والفقهاء ، وأولهما : أن الكوفيين أكثر حرية في منهجهم وأكثر جرأة حيث يتقيد

(١) مراتب النحويين : ١٢١ .

(٢) المصدر السابق : ١٤٧ .

(٣) ياقوت ، إرشاد : ١١٥ .

(٤) المصدر السابق : ١٨ : ١٩٠ .

(٥) المصدر السابق : ١٨ : ١٩٠ .

غيرهم ويتوقف . ولسنا بسبيل المفاضلة بين المنهجين ، ولكننا لا نملك إلا أن نشير إلى أن مذهب البصريين بما فيه من ميل شديد إلى « التعقيد » و « التقنين » أقرب إلى الطريقة التعليمية ومذهب المعلمين والتلاميذ ، أما مذهب الكوفيين فهو أقرب إلى فهم طبيعة اللغة فهماً صحيحاً ، وهو بذلك مذهب العلماء لا المعلمين . ونحب أن نشير إلى أن هذا المنهج الذي اتبعه الكوفيون بعدُ كان موجوداً في البصرة أيضاً مع وجود المذهب الثاني « وكانت هاتان التزعتان في البصرة في أيامها الأولى ، فهم يقولون : إن ابن أبي إسحق الحضري وتلميذه عيسى بن عمر كانا أشد ميلاً للقياس ، وكانا لا يأبهان بالشواذ ، وكانا لا يتحرجان من تخطئة العرب ، وكان أبو عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب البصريان أيضاً على عكسهما : يعظمان قول العرب ويتحرجان من تخطئتهم ، فغلبت التزعة الأولى على من أتى بعدُ من البصريين ، وغلبت التزعة الثانية على من أتى بعدُ من الكوفيين ... »^(١)

والأمر الثاني في اللغة والنحو كالأمر الثاني الذي ذكرناه في الحديث والفقه ، وذلك أن اتهام البصريين للكوفيين بوضع الشواذ ونحلها وتضعيفهم لإياهم ، لم يكن كله لأن الكوفيين كانوا حقاً يضعون وينحلون ، وإنما كان بعضه لهذه العصبية التي قامت بين المدرستين ، وكان بعضه لاختلاف المصادر التي كان يأخذ عنها كل فريق ، واختلاف المنهجين في استقاء مادة اللغة ، فقد كان البصريون يضيفون على حين كان الكوفيون يتوسعون .

فإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن الشعر وروايته ، وجدنا أن الأمرين اللذين أشرنا إليهما في الحديث والفقه من جانب ، وفي اللغة والنحو من جانب آخر — قائمان في الشعر أيضاً . فقد اتصف الكوفيون هنا بما اتصفوا به هناك من أنهم أكثر حرية وأكثر جرأة ، وأنهم قد توسعوا في الأخذ عن مصادر أسقطها البصريون ، ومن هنا كثرت رواية الكوفيين فاتهمهم البصريون بالتزيد والوضع .

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ٢ : ٢٩٦ ، وانظر طبقات فحول الشعراء : ١٥ .

قال ابن سلام في حديثه عن الأسود بن يعفر بعد أن أورد قصيدة له^(١) : « وله شعر كثير جيد ، ولا كهذه . وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومئة قصيدة ، ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه . وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروى ويتجاوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا » . وقال أيضاً^(٢) : « وأسمنى بعض أهل الكوفة شعراً زعم أنه أخذه عن خالد بن كلثوم يرثى به حاجب بن زُرارة . فقلت له : كيف يروى خالد مثل هذا وهو من أهل العلم ، وهذا شعر متداع خبيث ؟ فقال : أخذناه من الثقات . ونحن لا نعرف هذا ولا نقبله » . وقال أبو الطيب اللغوي^(٣) : « والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله ، وذلك بين في دواوينهم » . وقال الثوري^(٤) : « اتكل أهل الكوفة على حماد وجناد ، ففسدت رواياتهم من رجلين ، كانا يرويان ولا يدريان ، كثرت رواياتهما وقل علمهما » . وما ذكروه في تعليل كثرة رواية الشعر في الكوفة قصة اكتشاف الأشعار التي نسخت للنعمان في الطنوج فقال ابن جنى بعد أن أورد هذه القصة^(٥) : « فن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة » .

ونحب أن نعيد ما قررناه سابقاً من أن اتهام البصريين للكوفيين بوضع الشعر ونحله لم يكن مرده كله إلى أن الكوفيين كانوا يضمون وينحلون حقاً ، وإنما كان مرد بعضه إلى هذه العصبية وما سببته من منافسات وخصومات ، ثم كان مرد بعضه إلى اختلاف مصادر الفريقين وإلى اختلاف منهجيتهما ، فقد توسع الكوفيون على حين ضيق البصريون .

(١) طبقات فحول الشعراء : ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٣ .

(٣) مراتب النحويين : ١١٩ .

(٤) ياقوت ، إرشاد : ٧ : ٢٠٧ .

(٥) الخصائص : ٣٩٢ - ٣٩٣ .

وبعد ؟

فقد سقنا هذا الحديث كله لنصل إلى ما بدأنا به حديثنا حينما قلنا إنه إن كان شيء أولى بالشك ، وأخرى بالتوقف ، وأجدر بالبحث والتحصيل ، فهو هذه الأخبار والروايات المتناثرة في صفحات الكتب العربية ، التي تلور حول بعض رواة الشعر : تهمهم بالوضع والنحل ، وترميهم بالكذب والافتعال . وأحسب أننا نستطيع الآن أن نتبين قيمة قولنا هذا بعد الذي بيّناه من أمر هذه العصبية بين البصرة والكوفة ، وهذا الخلاف في المصادر التي استقى كل فريق مادته منها ، ثم هذا الخلاف في المنهج الذي اتبعته كل مدرسة ، وما كان لكل ذلك من أثر في اتهام كل فريق الآخر بالوضع والنحل ، ورميه بالكذب والتزويد . على أن هذا الحديث العام — على ما فيه من خطر وقيمة — لا تتكشف لنا جوانبه إلا حين ندعمه بالحديث عن بعض الرواة ، وعرض الأخبار والروايات التي تلور حولهم .

٢

وسنبداً بالحديث عن حماد ثم نتلوه بالحديث عن خلف ، فقد نالهما من الاتهام بالوضع والكذب والنحل ما لم ينل غيرهما . ولعل خير ما نصنع أن نعرض الأخبار والروايات التي توثق حماداً وتضعفه ، ونجعلها أقساماً يجمع كل قسم منها في قرآن :

١ - المفضل وحماد :

(١) روى أبو الفرج ^(١) عن جماعة من الرواة أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعوا بالمفضل الضبي الراوية فدخل ، فكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد

بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم بخودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته ، فن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل . فسألنا عن السبب ، فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دَعُ ذَا وَعْدِ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله ، أو يروى في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم ، وقال : دع ذا ، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : دع ذا ، أي : دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم . فأمسك عنه ، ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ دَهْرٍ
قَفَرٌ بِمُنْدَفَعِ النَّحَائِتِ مِنْ صَفْوَى أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسُّدْرِ
دَعُ ذَا وَعْدِ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ

قال : فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استخلافك عليه . ثم استخلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه . فحلف له بما توثق منه . قال له : أصدقني عن هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير . فأقر له حينئذ أنه قائلها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه .

(ب) وروى أبو الفرج أيضاً ^(١) أن ابن الأعرابي قال : سمعت المفضل الضبي يقول : قد سُلِّطَ على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقليل له : وكيف ذلك ؟ أيخْطئُ في روايته أم يلمح ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردُّون من أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويُحمَلُ ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ! .

٢ - الأصمعي وحماد :

روى أبو الفرج ^(٢) أن الرياشي قال ، قال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس إذا نصح . وزاد ياقوت على ذلك يشرح قول الأصمعي ^(٣) : يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار ، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب .

وروى أبو الطيب اللغوي ^(٤) أن أباحاتم السجستاني قال ، قال الأصمعي : جالست حماداً فلم أجد عنده ثلثمائة حرف ، ولم أرض روايته ، وكان قديماً . وذكر أبو الطيب أن الأصمعي روى عن حماد شيئاً من الشعر ^(٥) ، وأن أباحاتم قال ، قال الأصمعي : كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد الراوية إلا نتفاً سمعناها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء .

٣ - أبو عمرو بن العلاء وحماد :

روى أبو الفرج ^(٦) أن أباحاتم الشيباني قال : ما سألت أباحاتم بن العلاء

(١) الأغاني ٦ : ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٧٠ .

(٣) إرشاد ١٠ : ٢٦٥ .

(٤) مراتب النحويين ، ورقة : ١١٨ .

(٥) المصدر السابق : ١١٦ .

(٦) الأغاني ٦ : ٧٣ .

قط عن حماد الراوية إلا قدّمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه .

٤ - ابن سلام وحماد :

قال ابن سلام^(١) « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به : كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار ، أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة ، وهو عليها ، فقال : ما أطرفتني شيئاً . فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى . فقال . ويحك ، بمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به ، وأنا أروى شعر الحطيئة ! ولكن دعها تذهب في الناس » . وقال ابن سلام أيضاً : سمعت يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر .

٥ - خلف الأحمر وحماد :

ذكر أبو الطيب اللغوي حماداً^(٢) فقال إنه كان من أوسع الكوفيين رواية ، « وقد أخذ عنه أهل المصرين ، وخلف الأحمر خاصة » . وذكر أيضاً^(٣) أن أهل الكوفة قرأوا أشعارهم على خلف ، « وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه » . ونقل ياقوت^(٤) أن خلفاً الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه ... وذكر أبو الفرج^(٥) أن أبا عبيدة قال ، قال خلف : كنت آخذ من

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٠ - ٤١ .

(٢) مراتب النحويين : ١١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٧٦ .

(٤) إرشاد : ١١ : ٦٨ .

(٥) الاغانى : ٦ : ٩٢ .

حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول ، فيقبل فلك منى ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حق .

٦ - حماد ينتحل الشعر الجاهلي ويدعبه لنفسه :

ذكر أبو الفرج ^(١) عن رواته أن حماداً الراوية قدم على بلال بن أبي بردة البصرة ، وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حماد شعراً مدحه به . فقال بلال لذى الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً وليس له . قال : فن يقوله ؟ قال : لا أدري إلا أنه لم يقله . فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه ، قال له : إن لي إليك حاجة . قال : هي مقضية . قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا . قال : فن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري . قال : فن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

وبعد ؟

فهذه خلاصة شاملة لما في المصادر العربية من أخبار حماد الراوية ، وهي عميل في أكثرها إلى النيل منه وتضعيف روايته واتهامه بالوضع والنحل . ولكن كل خبر من هذه الأخبار يحمل في تضاعيفه ما يستوقف الباحث ويسترعى انتباهه ويحمله على التقصي في البحث والنقد . ومن أجل ذلك سنعود إلى هذه الأخبار خبراً خبراً نستنتقه لعله يكشف لنا عن خبيء فيه ينهى بنا إلى يقين أو ما يشبه اليقين .

١ - المفضل وحماد :

(١) أما الخبر الأول ففيه أمران ^(٢) ، يدعم ثانيهما أولهما ، وينتهي بنا إلى أن نشك في هذا الخبر شكاً يكاد يؤدي إلى رفضه . فالأمر الأول : أن الرواة

(١) الأغاني ٦ : ٨٨ .

(٢) انظر ما قدسناه من رأى ليال في هذا الخبر في الفصل الثالث من هذا الباب .

قالوا إنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي ، وأن حسيناً الخادم قال : إن أمير المؤمنين يعلمكم ... فقد جرت هذه القصة إذن والمهدي خليفة ؛ أى بعد سنة ١٥٨ هـ ، وذلك لأن المهدي بويج بالخلافة في آخر ذى الحجة من سنة ١٥٨ ولم يبق على انقضائها إلا إحدى عشرة ليلة ^(١) . ولكن حماداً توفي قبل أن يتولى المهدي الخلافة بنحو ثلاث سنوات . فقد ذكر ياقوت أن حماداً توفي سنة ١٥٥ ^(٢) وذكر ابن النديم أنه توفي سنة ١٥٦ ^(٣) . والأمر الثاني : أن الرواة ذكروا أنهم كانوا في دار المهدي في عيساباذ . ولكن المهدي لم يبن داره في عيساباذ إلا بعد وفاة حماد بنحو تسع سنوات ، قال الطبري في حوادث سنة ١٦٤ ^(٤) « وفيها بنى المهدي بعيساباذ الكبرى قصراً من لبن إلى أن أسس قصره الذي بالآجر الذي سماه قصر السلامة ، وكان تأسيسه إياه في يوم الأربعاء في آخر ذى القعدة » .

(ب) أما الخبر الثاني فهو عندنا ضعيف متهم كذلك ؛ وذلك لأن فيه أن حماداً « رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الآفاق » . فقد كان حماد إذن شاعراً ، وأى شاعر ! كان شاعراً ذا قدرة على تصريف وجوه القول وفنون الشعر ، بل لقد كان شاعراً جمعت فيه الشعراء ، إذا قال قصيدة بلغت من القوة والمتانة ومن الفحولة والجزالة ، بل بلغت من الفن الشعرى ، منزلة تجعلها حقيقة بأن تكون من شعر امرئ القيس أو النابغة أو طرفة أو سائر شعراء الجاهلية ، بحيث تُنسب إلى أى شاعر من هؤلاء الشعراء وتدخل في شعره ويُحمل ذلك في الآفاق ! وهذا وحده ، في الفن ، باطل ؛ ولكنه باطل من وجه آخر ، وهو أن حماداً لم يُعرف بقول الشعر ، ولم نجد بين أيدينا مصدراً واحداً من هذه

(١) الطبري ، تاريخ (سنة ١٥٨) ، وقد أورد كذلك خبراً آخر لا يكاد يفتقر عن هذا ، وهو أن المهدي بويج له بالخلافة لست ليال خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ .

(٢) إرشاد ١٠ : ٢٦٦ .

(٣) الفهرست : ١٣٥ .

(٤) تاريخ الطبري (سنة ١٦٤) .

الكتب العربية ذكر لنا أن حماداً قال شعراً أو خلف ديواناً رواه عنه غيره . ولو كان له شعر لحرصوا على ذكره لأنهم عجنوا بتسجيل الشعراء وشعرهم ودواوينهم أولاً ، ولأن ذلك كان يقوى من رأى من اتهمه بالوضع والنحل ثانياً . فكيف لم يذكروا شعر حماد وديوانه ، وهم يذكرون أن « لخلف ديوان شعر حملة عنه أبو نواس » (١) ؟ ثم ، أ يكون المرء شاعراً ، في مثل هذه المنزلة من الفحولة والشاعرية ، فيصرف كل شعره إلى غيره وينحله إياه ، ويضن على نفسه بأن يسبب إليها بعضه ؟ ولسنا في حاجة إلى إطالة القول وبين أيدينا خبر آخر إن لم يكن ذا دلالة قاطعة على أن حماداً لم يكن يحسن قول الشعر ، فهو على أقل تقدير مما يستأنس به في هذه السبيل ، وذلك أن حماداً حين أراد أن يمدح بلال ابن أبي بردة ، لم يستطع أن ينظم شعراً في مدحه ، وإنما انتحل لنفسه شعراً جاهلياً قديماً وجهه في مدح بلال ، ولم يكتشف ذلك إلا ذو الرمة حينما سمع حماداً ينشده ، ثم اعترف به حماد (٢) .

ومما يدعم هذا الذي نذهب إليه ويكشف عن مقدار التخييل الذي وقعت فيه هذه الأخبار والروايات ، ما ذكره ابن سلام ، قال « سمعت يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر » . فكيف يكون حماد بهذا القدر من الشاعرية الفذة التي حاولت الرواية أن تصوره بها ثم يكون بعد ذلك يكسر الشعر ولا يقيم وزنه ؟ لا شك أن أحد هذين الخبرين موضوع ، ولعلهما كليهما كذلك (٣) .

فإذا كان الأمر على ما بينا ، وكان هذان الخبران موضوعين ، فإن لهما مع ذلك دلالة لا يصح أن نغفلها ، وهي أن بين المفضل وحماد منافسة شديدة

(١) ياقوت ، إرشاد ١١ : ٦٨ .

(٢) الأغاني ٦ : ٨٨ .

(٣) انظر أيضاً كتاب « العربية » تأليف يوهان فك ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار

ربما بلغت حد الحصومة والآنهام ، ثم استغلها تلاميذ المفضل ورووا عنها الأخبار :
 يهجون حماداً ويقوون من مكانة أستاذهم المفضل فتقوى بذلك مكانتهم . أما المنافسة
 بينهما فلعلها كانت لأن المفضل — على ما يروون من أنه كان ثقة كثير الرواية
 للشعر — كان لا يحسن شيئاً من الغريب ولا من المعاني ولا تفسير الشعر ، وإنما
 كان يروى شعراً مجرداً^(١) . أما حماد فقد تقدم أنه كان عالماً « بلغات العرب
 وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم »^(٢) ، وكان « من أعلم الناس بأيام العرب
 وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها »^(٣) . فكان حماد إذن يروى ما لم يكن يرويه
 المفضل ، ويعرف ما لم يكن يعرفه ، فاتمه بالتزبد بل اتهمه بالوضع والنحل .
 ولا ينبغي أن ننسى أن حماداً كان أموى الهوى وكانت « ملوك بنى أمية تقدمه
 وتؤثره وتستزيره ، فيفقد عليهم ، ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ، ويجزلون
 صلته . . . »^(٤) وجاءه يوماً صديقه مطيع بن إلياس يدعوهُ إلى مجلس جعفر
 ابن أبي جعفر المنصور ، فقال له حماد^(٥) : « دعني ، فإن دولتي كانت مع
 بنى أمية وما لي عند هؤلاء خير . . . » أما المفضل فقد كان عباسي الهوى ،
 وقد قربهُ المنصور وألزمه ابنه المهدي يؤدبه ، وللمهدي صنع المفضليات .

ونحسب أن ما بسطناه من وجوه هذه المنافسة والحصومة يزيدنا اطمئناناً
 إلى ما قدمناه في أمر هذين الخبرين عن المفضل وحماد .

٢ — الأصمعي وحماد :

ولقد كان أمر المفضل وحماد بين رجلين من الكوفة نفسها جمعتهما عصبية
 بلدية واحدة ، ثم فرقتهما منافسات وخصومات شخصية وسياسية . أما الأمر بين

(١) مراتب النحويين : ١١٥ .

(٢) الأغاني ٦ : ٨٩ .

(٣) ياقوت ، إرشاد : ١٠ : ٢٥٨ .

(٤) إرشاد ١٠ : ٢٥٨ .

(٥) الأغاني ٦ : ٨٢ .

الأصمعي وحامد فيعود بنا إلى المنافسة بين البصرة والكوفة ، فالأصمعي بصري ، وهذه الأخبار الثلاثة يروى أحدها الرياشي ويروى اثنين منها أبو حاتم ، وهما بصريان كذلك . ولم يكن شأن الرياشي وأبي حاتم في عصبيتها للبصرة على الكوفة شأن الأصمعي ، وذلك لأنهما كانا من أكثر البصريين طعنًا على الكوفيين واتهاماً لهم ، وقد مر بنا أن الرياشي قال : إنما أخذنا اللغة من حُرشة الضباب وأكلة البرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد وأكلة الكواميخ والشواريز^(١) . ومر بنا كذلك تضعيف أبي حاتم للكوفيين وقوله^(٢) : « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب » ، وقوله^(٣) : « فإذا فسرتُ حروف القرآن المختلف فيها أو حكيت عن العرب شيئاً فلإنما أحكيه عن الثقات عنهم مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحلة العلم ، ولا ألتفت إلى رواية الكسائي والأحمري والأموي والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم ! »

فلذا لم يكف هذا الجانب في تضعيف هذه الأخبار ، فإن ما فيها من تناقض ليزيدنا اطمئناناً إلى أنها من هذه الأخبار التي ساقَت إليها هذه العصبية والمنافسات . وذلك أن أبا حاتم يروى أن الأصمعي قال « جالست حماداً فلم أجد عنده ثلثمائة حرف ، ولم أرض روايته » . أما أنه لم يجد عنده ثلثمائة حرف فأمر لا شأن لنا به في هذا البحث ، وأما أنه « لم يرض روايته » فلا نراه يستقيم مع رواية أبي حاتم نفسه عن الأصمعي أنه قال إنه أخذ شعر امرئ القيس كله عن حماد « إلا نقتاً سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء » . وما يؤيد هذا الذي نذهب إليه من تزايد التلاميذ على شيوخهم في أخبار منافستهم ، بل وضعهم عليهم أخباراً في ذلك ، أن الأصمعي قال « كان حماد أعلم الناس إذا نصح » ولم يزد على ذلك ، فجاء من يفسر قوله هذا ويشرحه فقال : « يعني إذا لم يزد

(١) ابن النديم - الفهرست : ٨٦ .

(٢) مراتب النحويين : ١٢١ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٧ .

وينقص في الأشعار والأخبار ، فإنه كان منهما بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب . وكل هذا تفسير لقوله « إذا نصح » . ونحن لا نكاد نطمئن إلى هذا التفسير بعد الذي علمناه من أن الأصمعي أخذ عن حماد « شيئاً من الشعر » ، وأنه روى عنه ديوان امرئ القيس وأضاف إليه نثراً سمعها من الأعراب وأبي عمرو ابن العلاء . والأصمعي مشهور بتشدده وتحريه وأنه « لا يفتي إلا فيما أجمع عليه العلماء ، ويقف عما يتفردون به عنه ، ولا يجوز إلا أفصح اللغات ، ويلج في دفع ما سواه »^(١) ، وأنه ، كان لا يفسر شعراً فيه هجاء ... وكان صدوقاً في كل شيء^(٢) ، فمن كان هذا منهجه فإنه لا يأخذ إلا عن ثقة أو عن يعرف أنه ثقة . والذي نراه في تأويل قوله « إذا نصح » أنه يريد إذا نصح لمن يأخذ عنه وسمحت نفسه في إعطائه وتعليمه ، وذلك لأن حماداً كان مشهوراً بأنه ضنين برواية الشعر وإنشاده^(٣) .

٣ - أبو عمرو بن العلاء وحماد :

أما الخبر الذي سقناه عن تقديم أبي عمرو بن العلاء حماداً على نفسه ، وتقديم حماد أبا عمرو على نفسه ففيه توثيق لحماد ، وهو - إن صح - يدعم ما ذهبنا إليه من أن رأى العلماء الذين عاصروا حماداً وكانوا من طبقة - إذا ما جرّد من العصبية والتحامل - لم يكن كالرأى الذي شاع بعد أن شوّهته الأخبار والروايات . ولرأى أبي عمرو في حماد قيمة خاصة إذ أن أبا عمرو بصري ، بل رأس علماء البصرة ، وكان ثقة مأموناً حتى عند الكوفيين وقد يضعف من هذا الخبر أن راويه أبو عمرو الشيباني وهو كوفي ، ولكن أبا عمرو الشيباني ثقة ، لم يضعفه أحد فيما يروى ، وإن

(١) مراتب النحويين : ٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ٧٩ .

(٣) نزعة الألباء : ٧٠ .

كانوا نالوا منه لاستهتاره في الشراب . ومع ذلك فثمة خبر يدهم هذا الخبر وقد رواه عن أبي عمرو رأس من رؤوس علماء البصرة، هو تلميذه الأصمعي قال ^(١) ، قال أبو عمرو : ما سمع حماد الراوية حرفاً قط إلا سمعته . ومن أجل ذلك كله نميل إلى أن أبا عمرو بن العلاء، ومن في منزلته من علماء الطبقة الأولى، كانوا يقدرون حماداً حق قدره، وكانوا يوثقونه ويعدّونه .

٤ - ابن سلام وحامد :

أما ما رواه ابن سلام عن يونس من أن حماداً وضع القصيدة الميمية في مدح أبي موسى الأشعري ونحلها الخطيئة ، فردود من وجهين ، الأول : أن المدائني ، وهو بصرى ، وكان معاصراً لابن سلام رد عليه وذكر « أن الخطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وأنها صحيحة ، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو . . » ^(٢) والوجه الثاني : أن العلماء الذين جمعوا ديوان الخطيئة وشرحوه بعد حماد أثبتوا هذه القصيدة في ديوانه ، ولم يأخذوا بالرأى الذي أورده ابن سلام عن يونس . فهذا ابن حبيب قد روى هذه القصيدة عن ابن الأعرابي وعن أبي عمرو الشيباني معاً ، وأثبتها السكري عن ابن حبيب في شرحه لديوان الخطيئة ^(٣) .

ويدهم هذين الوجهين أن ابن سلام روى خبر وضع حماد لهذه القصيدة ونحلها الخطيئة عن يونس ، ويونس بصرى ، كابن سلام ، وكلاهما يضعف الكوفيين ويتهمم بالكذب والوضع والتزيد . فيونس ذكر حماداً في الخبر الثاني الذي أورده وقال : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر . وقد مر بنا أن ابن سلام قال في معرض حديثه عن

(١) طبقات النحويين واللفويين : ٣١ .

(٢) الأغاني ٢ : ١٧٦ .

(٣) ديوان الخطيئة : ٣٤ - ٣٥ .

الأسود بن يعفر « إن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروى ويتجاوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا » . وقال أيضاً في معرض شعر رواه بعض أهل الكوفة : ونحن لا نعرف هذا ولا نقبله .

ومن أجل هذا كله لا نملك أن نطمئن إلى ما روى من أن حماداً وضع تلك القصيدة ونحلها الخطيئة ، ولا نملك أن نطمئن إلى أحكام يونس وابن سلام على حماد .

٥ - خلف الأحمر وحماد :

أما الأخبار الأربعة التي أوردناها عن خلف وحماد فثلاثة منها توثق حماداً توثيقاً ما بعده من توثيق ، فقد جاء في الخبر الأول أن حماداً « أخذ عنه أهل المصرين (البصرة والكوفة) ، وخلف الأحمر خاصة » . وأكد الخبر الثاني ما جاء في هذا الخبر الأول ، فذكر أن أهل الكوفة قرأوا أشعارهم على خلف بعد وفاة حماد لأن خلفاً « كان قد أكثر الأخذ عنه » . وكذلك جاء في الخبر الثالث أن خلفاً الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه . فإذا كان حماد بهذه المنزلة التي تذكرها هذه الأخبار ، وكان أستاذاً لأهل الكوفة ، وبعض أهل البصرة وخاصة خلفاً - فكيف يستقيم ذلك مع الخبر الرابع الذي يذكر فيه خلف أن حماداً « كان فيه حق » ، وأن خلفاً قال : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها . وليس هذا التناقض وحده بين هذا الخبر والأخبار الثلاثة قبله هو الذي يكشف عن زيف هذا الخبر ، بل إنه كذلك ليتناقض مع ما قدمنا من رأى العلماء في حماد وهو أنه كان عالماً بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فكيف يكون علمه هذا إذا جاز عليه ما نزعهم هذه الرواية من منحول الشعر الذي كان يعطيه إياه خلف ؟ بل ثمة

تناقض ثالث : فقد مر بنا أن حماداً اتهم بأنه — لكثرة علمه بلغات العرب وشعرهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم — كان ينظم الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الآفاق . ولكن هذا الخبر يصور لنا حماداً ثقة فيما يروى لأن خلفاً يعترف بأنه كان يأخذ منه الصحيح من أشعار العرب ؛ ثم إنه يصور لنا حماداً في صورة الجاهل الأحمق الذى يستجهله حتى تلميذه فيعطيه المنحول من الشعر فيقبله ويجوز عليه !

فنحن إذن — بعد ما عرضنا هذه الأخبار وبيننا ما فيها من زيف — نميل إلى أن نعدّ أكثر ما اتهم به حماد موضوعاً، دعيت إلى وضعه عوامل عدة منها : هذه العصبية التى كانت متأججة بين البصرة والكوفة ؛ ومنها : تلك المنافسات والحصومات الشخصية كالتى كانت بين المفضل وحماد ؛ ومنها : العصبية السياسية ، فقد كان حماد أموى الهوى والنزعة ، وكانت دولة بنى أمية قد ولت وأقبلت دولة جديدة تناصبها العداوة وتريد أن تمحو محاسنها وآثارها وتحط من قيمة من اشتهر فيها أو نال لديها حظوة ؛ ومنها : أن حماداً كان — باعتراف الرواة — كثير الرواية واسع الحفظ ^(١) : فكان يروى ما لا يعرفه غيره ، ويحفظ ما لا يحفظون ، فاتهموه بالتزويد والوضع . وقد ساعد على كليل هذا الاتهام له وتضعيفه وتجريحه أنه كان ماجناً مستهتراً بالشراب مفضوح الحال ^(٢) .

(١) انظر لذلك الأغاني ٦ : ٧١ ، ٩٢ - ٩٤ .

(٢) انظر المصدر السابق ٦ : ٨٠ ، ٨٤ .

ولكن الروايات والأخبار التي بين أيدينا لا تقتصر على اتهام حماد الكوفي ، وإنما تنهم كذلك شيخاً من شيوخ البصرة المقدمين ، ورأساً من رؤوس الرواية فيها ، هو خلف الأحمر . وسنعرض هذه الأخبار والروايات في سبطين : ينتظم أولهما الأخبار التي تنهم بالوضع والنحل ، وينتظم ثانيهما الأخبار التي توثقه وتعده . ثم نعقب عليهما بمناقشة الأخبار الأولى ونقدتها .

١ - الأخبار التي تنهم بالوضع والنحل :

(١) قال محمد بن يزيد (المبرد)^(١) : « كان خلف أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، وأخذ اللغة عن أبي عمرو ، ولم يُرَ أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان به يضرَب المثل في عمل الشعر ؛ وكان يعمل على السنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ؛ ثم نسلك فكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ؛ وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى ذلك ، وقال : قد مضى لي في هذا ما لا أحتاج إلى أن أزيد فيه . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه ، وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد ، فلما تقرأ ونسلت خرج إلى أهل الكوفة ، فعرّفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة . فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم » .

(ب) قال أبو حاتم عن الأصمعي^(١) : « كان خلف مولى أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري . . . وكان أعلم الناس بالشعر ، وكان شاعراً ، ووضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً ، وعلى غيرهم ، عبثاً بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة » .

(ج) قال أبو حاتم^(٢) : « ولما قدم الأصمعي من بغداد دخلت إليه ، فسألته عن بها من رواة الكوفة . قال : رواة غير منقّحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دؤاد الأيادي قالها خلف الأحمر . وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، إليها يرجعون ، وبها يفتخرون » .

(د) وقال أبو عبيدة^(٣) : « قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حق » .

(هـ) قال أبو علي القالي^(٤) : « كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة ، وأشعر الناس على مذاهب العرب . حدثني أبو بكر بن دريد : أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مِطْيَكُمُ فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية » .

(و) وقال ابن عبد ربه^(٥) : « كان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن وينحلله الشعراء ، ويقال إن الشعر المنسوب إلى ابن أخت

(١) مراتب النحويين : ٧٥ .

(٢) المرزبانى ، الموشح : ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) الأغاني ٦ : ٩٢ .

(٤) الأملال ١ : ١٥٦ .

(٥) العقد ٦ : ١٥٧ .

تأبط شراً ، وهو :

إِن بالشَّعْبِ إِلَى جَنْبِ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ
 لخلف الأحمر ، وإنما ينحله إياه . وكان الجاحظ قد ذكر ^(١) : « وقال
 تأبط شراً أو أبو محرز أخلف بن حيان الأحمر :

مُسْبِلٌ بِالْحَيِّ أَخَوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَفْلُدُو فَيَسْمَعُ أَرْلٌ ^(٢)

وكذلك قال ابن قتيبة إن خلفاً الأحمر هو القائل :

إِنَّ بالشَّعْبِ إِلَى جَنْبِ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ
 « ونحله ابن أخت تأبط شراً . وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين ^(٣) » .

٢ - الأخبار التي تؤثقه وتعدله :

(١) قال ابن سلام : ^(٤) « خلف بن حيان ، أبو محرز ، وهو خلف
 الأحمر - اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببیت شعر ، وأصدق
 لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ، ألا نسمعه من
 صاحبه » . وقال أبو زيد الأنصاري أيضاً ^(٥) : « أتيت بغداد حين قام
 المهدي محمد ، فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلاً
 أفرس ببیت شعر من خلف » .

(١) الحيوان ١ : ١٨٢-١٨٣ .

(٢) السمع : ولد الذئب والضيع . والأزل : الأرسح وهو خفيف المعز . يقول : إنه
 يسبل إزاره خيلاً وكبراً ويتبختر ذاهباً في الترفه إلى أرفع الدرجة ، أو إنه يسبل شعراً أحوى
 أي أسود .

(٣) الشعر والشعراء ٢ : ٧٦٥ .

(٤) طبقات الشعراء : ٢١ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست : ٨١ .

(ب) قال أبو حاتم^(١) : « قال الأصمعي : كأنما يجعل علم لغة ابني نزار، ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار، بين جوانح خلف الأحمر بمعانيها » .

(ج) وقال عيسى بن إسماعيل^(٢) : « سمعت الأصمعي - وذكر خلفاً الأحمر أبا محرز - فقال : ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر . فقيل له : كيف وأنت حي ؟ فقال : إن خلفاً كان يحسن جميعه وما أحسن منه إلا الحواشي » .

(د) قال أبو عبيدة^(٣) : « خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة » .

(هـ) وقال أبو علي الفاي^(٤) : « وكنت أنا كثير التعطف للأصمعي ، فكنت أسأل أبا بكر بن دريد كثيراً عن خلف والأصمعي : أيهما أعلم ؟ فيقول لي : خلف . فلما أكرت عليه انتهزني ، وقال : أين التمداد من البحور ! »

(و) وقال الرياشي^(٥) : « سمعت الأخفش يقول : لم ندركها هنا أحداً أعلم بالشعر من خلف والأصمعي . قلت : أيهما كان أعلم ؟ قال : الأصمعي . قلت : لم ؟ قال : لأنه كان أعلم بالنحو » .

٣ - مناقشة ونقد :

(١) ونحب أن نقف قليلاً عند هذا التناقض الواضح بين أخبار الطائفة الأولى وأخبار الطائفة الثانية : فخلف معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة ؛ والأصمعي يقول بعد موت خلف : ذهبت بشاشة الشعر ،

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٨٠ .

(٣) نزهة الألباء : ٧٠ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين : ١٧٩ .

(٥) المصدر السابق : ١٧٩ .

ويقدمه على نفسه ثم يقول عنه كأنما جعل علم لغة العرب بين جوانح خلف الأحمر بمعانيها . وأبو بكر بن دُرَيْد يفضل خلفاً على الأصمعي ويجعله بحراً والأصمعي ثماداً . ومع ذلك فهذا الأصمعي نفسه يذكر أن خلفاً كان يضع الشعر وأنه وضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً وعلى غيرهم عبثاً بهم ، وأنه وضع أربعين قصيدة ونحلها أبا دؤاد الإيادي . وابن دريد - على تقديمه خلفاً - يذكر أن خلفاً هو قائل القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى . ولرب معترض يقول : إن وصف أخبار الطائفة الثانية خلفاً بالعلم لا تعنى توثيقه في الرواية ، وبذلك لا تتناقض مع أخبار الطائفة الأولى . وهذا القول مردود من وجهين ؛ الأول : أن من الجائز ألا يعنى الوصف بالعلم أن الموصوف به "مؤثّق" في الرواية لو نُص على ذلك في الخبر نفسه ، كما جاء في الخبر (ب) من الطائفة الأولى حيث قال الأصمعي عن خلف : « كان أعلم الناس بالشعر . . . ووضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً » . أما أن يوصف بالعلم ويوقف عند ذلك ولا يُنص على تضعيفه في الرواية ، فإن في هذا الإغفال نفسه دليلاً على التوثيق والتعديل ، لأن الكلام حينئذ ملتبس ، ولا بد لإيضاحه من النص على التضعيف والاتهام لو قصدنا . على أن كلامنا هذا يزيد اتضاحه في الوجه الثاني من وجوه ردنا ، وذلك هو نص ابن سلام الذي أوردناه . فابن سلام ينص على علم خلف بالشعر وينص كذلك على توثيقه في الرواية ، ثم لا يكتفى بأن يجعل ذلك رأياً خاصاً به وإنما يذكر أن هذا الرأي هو إجماع علماء البصرة ، قال ابن سلام : « اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدق له لساناً ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه » . ولرأى ابن سلام قيمة خاصة إذ أن ابن سلام هو من نعرف شككاً في بعض الشعر الجاهلي ، ونصاً على بعض المنحول منه ، وذكرنا لبعض الرواة الوضاعين وأخبار

وضمهم . والحق أن ابن سلام لم يكتف بكل هذا الذى قاله فى توثيق خلف ، وإنما أضاف إليه أقوالاً أخرى ذهب فيها إلى أن خلفاً كان ناقداً للشعر الجاهلى ، يميز صحيحة من فاسده ، وينص على المنحول منه ، ويرد كثيراً مما كان يُروى فى زمنه . ومن أجل هذا جاءه خلاد بن يزيد الباهلى - « وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقول » - فقال له ^(١) : « بأى شىء ترد هذه الأشعار التى تُروى ؟ » فقال له خلف : « هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم فى الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت » . وهو يصوره أيضاً أنه - فى شكه فى بعض الشعر الجاهلى - لا يقطع ولا يجزم ، وإنما يقول إن هذه الأبيات أو تلك القصيدة « يقال » إنها لفلان ، فمن ذلك أن ابن سلام سأله عن بيت من الشعر : من يقوله ؟ فأجابه : « يقال للزبير بن عبد المطلب » ^(٢) .

(ب) وفى أخبار الطائفة الأولى ، وهى التى تنهم خلفاً بالوضع والنحل ، أمر غريب حقاً : فخلف بصرى ، والعلماء الذين يروون أخبار وضعه ونحله بصريون كذلك - مما يكاد يوهم أن هذه الأخبار صحيحة ، فقد شهد بها بصريون على بصرى ، وبذلك فهى بعيدة عما ذكرناه آنفاً من أمر العصبية وما تدفع إليه من الاتهام . غير أننا حين ننعم فى هذه الأخبار النظر نجد أنها لا تنهم حقاً إلا الكوفيين ، وأن خلفاً لا يعدو أن يكون معبراً يجتازونه ليصلوا منه إلى اتهام علماء الكوفة ورواتها . واتخذوا خلفاً وسيلة لذلك لأنه - كما أسلفنا القول - قد أخذ عن حماد الكوفى ، ثم أخذ الكوفيون بعد ذلك عن خلف . فى الخبر (١) « وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه ،

(١) طبقات الشعراء : ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢٠٥ .

ويبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد ، فلما تقرأ ونسك خرج إلى أهل الكوفة ، ففرهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ؛ فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة . فبقى ذلك في دواوينهم إلى اليوم . »

وفي الخبر (ح) جعل الرواة الأصمعيّ يتهم خلفاً بالوضع ليصلوا إلى أن رواية الكوفة « رواية غير منقحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دؤاد الإيادي قالها خلف الأحمر . وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، إليها يرجعون ، وبها يفتخرون . »

وجعل الرواة ، في الخبر (د) ، خلفاً يعترف بأنه كان ينحل الشعر ، ليصلوا إلى أنه أعطى هذا الشعر المنحول لحماة الراوية الكوفي ، فقبله ، ورواه ، وأدخله في أشعار العرب .

ومن أجل هذا نجد أن كثيراً من هذه الأخبار — بالرغم من أن رواةها بصريون يتهمون راوية بصرياً — قد انتهت إلى غايتها وكشفت بذلك عن عوارها .

(ح) وما يدلنا على مبلغ تجنى بعض الرواة على خلف ، ومدى ما انتهت إليه هذه الضروب المتعددة من العصبية والخصومات — أنهم وضعوا شعراً ورجزاً على لسان خلف الأحمر وغيره من العلماء الرواة ، ثم نسبوا إليه أنه وضع ذلك الشعر ونحله القدماء . قال الجاحظ^(١) : « ولقد ولّدوا على لسان خلف الأحمر ، والأصمعيّ ، أرجازاً كثيرة ؛ فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء ؟ » . ولعل في هذا ما يكشف لنا عن مدى الثقة التي يجب أن نوليها مثل هذه الروايات والأخبار التي تهّم خلفاً ، وعرضنا طرفاً منها .

(د) ونحب أن نكشف عن أمر آخر ، يتصل بهذا الذى قالوه من أن خلفاً قال القصيدة اللامية :

إِنَّ بِالشَّعْبِ إِلَى جَنْبِ سَلْعٍ لَقَتَيْلًا دُمُهُ مَا يُطَلُّ

ونحلها تأبط شرّاً . فقد اختلف القدماء فى نسبتها : فنسبها بعضهم ، كأبى تمام فى حماسته^(١) ، إلى تأبط شرّاً ، ولم يشر إلى أنها قد تنسب إلى غيره . ونسبها بعضهم إلى الشنفرى^(٢) ، ولم يشر كذلك إلى أنها قد تنسب إلى غيره . وقد يتداخل بعض شعر الشنفرى وتأبط شرّاً ، ويُنسب ما قاله أحدهما إلى الآخر لأنهما كانا من اللصوص وصعاليك العرب وقتذاكهم ، وأكثر ما يتحدثان عنه فى شعرهما متشابه . ونسبها بعضهم إلى ابن أخت تأبط شرّاً قالها فى خاله . ونحن ، فى هذا المقام ، لا يعيننا التثبت من نسبتها إلى واحد من هؤلاء الثلاثة ، فسواء أكانت لتأبط شرّاً أم لابن أخته أم للشنفرى ، فهى عندنا - هنا - جاهلية صحيحة وليست منحولة . ولكننا نحب أن نقف قليلاً عند أقوال من ذهبوا إلى أنها منحولة . ولنبدأ بما أورده التبريزى ، قال^(٣) : « قال النمرى^(٤) : وما يدل على أنها لخلف الأحمر قوله فيها : " جلّ حتى دقّ فيه الأجل " فإن الأعرابى لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . قال أبو محمد الأعرابى^(٥) : هذا موضع المثل " ليس بعشك فادرجى " ، ليس هذا كما ذكره ، بل الأعرابى قد يتغلغل إلى أدقّ من هذا لفظاً ومعنى . وليس من هذه الجهة عُرف أن الشعر

(١) ج ١ ص : ٣٤٨ .

(٢) الأغاني ٦ : ٨٦ - ٨٧ ، وأمال المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٣) شرح الحماسة (تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد) ٢ : ٣١٣ - ٣١٤ .

(٤) أحد شراح حماسة أبى تمام المتقدمين ، قبل التبريزى .

(٥) هو الحسن بن أحمد ، المعروف بالأسود الفندجاني ، علامة نسابة ، عارف بأيام العرب وأشعارها ، من رجال آخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس . (ترجمته فى نزهة الألباء : ٢٣٩ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦١ - ٢٦٥) .

مصنوع ، لكن من الوجه الذى ذكره لنا أبو الندى ^(١) ، قال : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً ، وهو بالمدينة ، وأين تأبط شراً من سلع ؟ وإنما قُتل في بلاد هذيل ورُمى به في غار يقال له رخمان . أرايت إلى إقامة الدليل كيف تكون ؟ لقد أحس الأقدمون أنفسهم بضعف قول من قال إن هذه القصيدة لخلف نحلها تأبط شراً أو ابن اخته ، ففضوا يعتسفون الطريق إلى دليل يدعمون به هذا القول ، فكان دليلهم ظناً وتوهماً لم يغنيا شيئاً . قال بعضهم إن في هذه القصيدة نصف بيت — نصف بيت في القصيدة كلها — فيه معنى فلسفى عميق لا يدركه الأعرابي ، وما هو هذا المعنى الفلسفى العميق ؟ قالوا إنه قوله : جل حتى دق فيه الأجل . فإذا كشفت عن عمق هذا المعنى لم تجده يعنى شيئاً غير قوله : إن وفاة هذا الرجل لأمر عظيم يصغر بإزائه كل عظيم من الأمور . فأى عمق في هذا القول لا يدركه الأعرابي ومن هودون الأعرابي ^(٢) ؛ فلما جاء من دفع هذا القول وردة لم يلبث أن هوى في مزلق دونه المزلق الأول . فقال : إن الدليل على أن هذه القصيدة مصنوعة أن الشاعر ذكر سلماً ، وأن سلماً جبل في المدينة ، ولكن الرجل المذكور في القصيدة قد قتل في بلاد هذيل !! أى عجب يربى على هذا العجب ! وماذا يقول أبو الندى — الذى ذهب إلى هذا رأى ونقله عنه أبو محمد الأعرابي

(١) هو محمد بن أحمد ، أبو الندى ؛ كان أبو محمد الأعرابي يكثر من الرواية عنه والاعتماد عليه . (ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ١٥٩ - ١٦٤) . قال عنه ياقوت (٧ : ٢٦٢) إنه « رجل مجهول لا معرفة لنا به » . وقال : « وكان أبو يعلى بن الهبارية الشاعر يعيره (أى : يعير أبا محمد الأعرابي) بذلك ، ويقول : ليت شعرى ، من هذا الأسود الذى قد نصب نفسه لرد على العلماء ، وتصدى للأخذ على الأئمة القديما ؟ بماذا نصصح قوله ونبطل قول الأوائل ، ولا تعويل له فيما يرويه إلا على أبى الندى ، ومن أبو الندى في العالم ؟ لا شيخ مشهور ، ولا ذو علم مذكور !... »

(٢) انظر كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، تأليف الدكتور عبد الله الطيب ص : ٧٦ - ٧٧ التعليق رقم : ١ .

— لو قيل له : إن سلماً اسم لعدة مواضع ، ومنها — كما قال الأقدمون أنفسهم — « جبل لهذيل » ^(١) ١١ .

فإذا شككتَ — كما نشك نحن الآن — في أمر هذا الخبر الذى يتهم خلفاً بوضع هذه القصيدة ونحلها الشنفرى أو تأبط شراً أو ابن أخته ، وإذا رجح لديك — كما رجح لدينا — أن أكثر هذه القصيدة لا يمكن أن يكون موضوعاً مُتكلِّفاً منحولاً لما يظهره فيها النقد الفنى الداخلى من أصالة ، وصدق فنى ، وشخصية صادقة — فقد بنى إذن أن نعرف كيف التبس أمرها على القوم . وقد عثرنا على خبر طريف يوضح لنا الأمر من جميع أطرافه : فقد أورد الخالديان اثني عشر بيتاً من هذه القصيدة ونسبها للشنفرى ، ثم قالوا ^(٢) « وقد زعم قوم من العلماء أن الشعر الذى كتبنا للشنفرى هو لخلف الأحمر ، وهذا غلط . ونحن نذكر الخبر في ذلك : أخبرنا الصولى عن أبى العيناء قال : حضرت مجلس العتبى ، ورجل يقرأ عليه الشعر للشنفرى ، حتى أتى على القصيدة التى أولها :

إِن بِالشَّعْبِ الذِّى دُونَ سَلْعٍ لَقَتَيْلًا تَمُهُ مَا يُطَلُّ

فقال بعض من كان فى المجلس : هذه القصيدة لخلف الأحمر . فضحك العتبى من قوله ، فسألناه عن سبب ضحكك فقال : والله ما لآل أبى محرز خلف من هذه القصيدة بيت واحد . وما هى إلا للشنفرى . وكان لها خبر طريف لم يبقَ من يعرفه غيرى . قلنا : وما خبرها ؟ قال . جلسنا يوماً

(١) الفيروزباده ، القاموس (سَلْع) ؛ وكذلك ياقوت ، معجم البلدان « و سلع جبل فى ديار هذيل » وأنشد ثلاثة أبيات للبريق الهذلي آخرها :

يحط المعصم من أكناف شعر ولم يترك بنى سلع حمارا

(٢) حاشية الخالديين (مخطوط فى دار الكتب المصرية رقم ٨٧هـ أدب) ورقة :

بالمربد ، ونحن جماعة من أهل الأدب ، ومعنا خلف الأحمر ، نتذاكر أشعار العرب ، وكان خلف الأحمر أروانا لها وأبصرنا بها ، فتذاكرنا منها صدرأ ، ثم أفضينا إلى أشعارنا ، فخفضنا فيها ساعة ، فبينما خلف ينشدنا قصيدة له في روى قصيدة الشنفرى هذه وقافيتها يذكر فيها ولد أمير المؤمنين عليهم الرحمة ، وما نالهم وجرى عليهم من الظلم ، إذ هجم علينا الأصمعى ، وكان منحرفاً عن أهل البيت ، وقد أنشد خلف بعض الشعر ، فلما نظر الأصمعى قطع ما كان ينشده من شعره ودخل في غيره إلا أنه على الوزن والقافية ، ولم يكن فينا أحد عرف هذا الشعر ولا رواه للشنفرى . فتحيرنا لذلك وظنناه شيئاً عمله على البديهة . فلما انصرف الأصمعى قلنا له : قد عرفنا غرضك فيما فعلت . وأقبلنا نظريه ونقرظه . فقال : إن كان تقرىظكم لى لأنى عملت الشعر ، فاعلمته والله ، ولكنه للشنفرى يرثى تأبط شراً ، والله لو سمع الأصمعى بيتاً من الشعر الذى كنت أنشدكوه ما أمسى أو يقوم به خطيباً على منبر البصرة فيتلغ نفسى . فادعاء شعر لو أردت قول مثله ما تعذر على — أهون عندى من أن يتصل بالسلطان ، فألحق باللطيف الخبير . قال أبو العيناء : فسألنا العتبى شعر خلف الذى ذكر فيه أهل البيت فدافعنا مدة ثم أنشد :

قَدْكَ مِنِّي صَارِمٌ مَا يُفَلُّ وَابْنُ حَزْمٍ عَقْدُهُ لَا يُحَلُّ
يَنْتَنِي بِاللَّوْمِ مِنْ عَاذِلِهِ مَا يُبَالِي أَكْثَرُوا أَمْ أَقَلُّوا

(وهى ٤٧ بيتاً أوردناها كلها ، ثم قال) : كتبنا هذه القصيدة بأسرها لأنها في سادتنا عليهم السلام ، ولأنها أيضاً غريبة لا يكاد أكثر الناس يعرفها .

(هـ) وأمر أخير نختم به حديثنا عن خلف الأحمر . وذلك هو الخبر الذى روي أنه وضع لأهل الكوفة شعراً كثيراً روي عنه « فلما قرأ ونسك خرج إلى أهل الكوفة ، فعرفهم الأشعار التى قد أدخلها في أشعار الناس . فقالوا له :

أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة، فبق ذلك في دواوينهم .
وقد أشرنا إلى أن راوى هذا الخبر بصرى ممن كان يتعصب على الكوفيين ،
وأن الغرض من هذا الخبر توهين رواية الكوفيين للشعر . ونحب في هذا المكان
أن نسأل : مَنْ مِنْ رواة الكوفة أبي أن يقبل من خلف اعترافه : أكلهم أم
بعضهم ؟ فإذا كانوا جميعاً لم يقبلوا ذلك في الأمر إجماع واتفاق يعزُّ مثلهما
في أمر أياً كان ؛ وإن كان بعضهم لم يقبل ، وبعضهم قبل ، فما هي القصائد
التي اعترف بها خلف وأين ذكرها علماء الكوفة الذين قبلوا اعتراف خلف ؟
ولو تركنا أهل الكوفة وتساءلنا عن أهل البصرة : ألم يسمع بعضهم بما اعترف به
خلف لأهل الكوفة ؟ فإذا كان أهل الكوفة لم يقبلوا اعترافه ، فهل قبل ذلك
أهل البصرة ؟ وأين نصُّوا على هذه القصائد التي وضعها ؟ ثم ، إذا كان أهل البصرة
قد علموا بذلك وقبلوا اعتراف خلف فقد ثبت لديهم إذن أن خلفاً كان يكذب
ويضع الشعر وينحله الأقدمين ؛ فكيف إذن وثقوه وقبلوا روايته ؟ بل كيف وثقه
الأصمعي وابن سلام — وهما من هما — توثيقاً لم يوثقاه أحداً ؟ والجواب على ذلك
واضح ، فقد وثقوه لأنه كان ثقة ، ولأن هذا الخبر الذي رواه المبرد أو نسب إليه —
خبر لم يقبله أحد لأنه مما دعت إليه العصبية والخصومات . . .

وبعد ؛

فلسنا نقصد إلى الحديث عن سائر العلماء من رواة الشعر ، فإن حديثنا
حينئذ لا ينتهي بنا إلى غاية نقف عندها ، ونحن نرى أن في حديثنا عن حماد
وخلف — وهما أشهر من رُمى بالوضع وأكثر من اتهم بالنحل — ما يغني عن
الاستقصاء والإفاضة . غير أننا نحب أن نشير إلى عالم ثالث من رواة الشعر
واللغة ، ثقة أى ثقة عند الكثيرين ، ومع ذلك لم يعدم من يضطغن عليه فيرميه
بالوضع والتزويد : ذلك هو الأصمعي . وسنقتصر على خبرين فيهما تأييد لما ذهبنا
إليه من أمر هذه الخصومات والمنافسات والعصبية وما تدعو إليه من اتهام
بالوضع ورمي بالكذب . فقد كان ابن الأعرابي ، وهو كوفي ، ينتقص الأصمعي

— وهو بصرى — ويرميه بمثل ما قدمنا ؛ وكان يصح أن نرى مرد هذا الاتهام إلى العصبية التي أشرنا إلى بيان أمرها ؛ واكتنا نجد خبراً ذا قيمة كبيرة لنا في هذا المجال يرجع اتهام ابن الأعرابي الأصمعي إلى خصومة شخصية . قالوا^(١) : « كان أول من أغرى ابن الأعرابي بالأصمعي أن الأصمعي أتى ولد سعيد بن سلم الباهلي ، فسأله عما يروونه من الشعر ، فأنشده بعضهم القصيدة التي فيها :

سَمِينُ الضَّوَّاحِي لَمْ تُورِّقْهُ - لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ - أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعُونَهَا^(٢)

فقال الأصمعي : من رَوَاك هذا الشعر؟ قال : مؤدب لنا يعرف بابن الأعرابي . فقال : أحضروه . فأحضروه ، فقال له : هكذا رَوَيْتَهُم هذا البيت برفع «ليلة»؟ قال : نعم . فقال الأصمعي : هذا خطأ ، إنما الرواية «ليلة» بالنصب ، يريد : لم تُورِّقْهُ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعُونَهَا ليلةً من الليالي . فقال الأصمعي لسعيد : من لم يحسن هذا القدر فليس موضعاً لتأديب ولدك ! فتحاه سعيد . فكان ذلك سبب طعن ابن الأعرابي على الأصمعي .

وأما الخبر الثاني فهو حديث لأبي الطيب اللغوي فيه بيان جوانب كثيرة من حديثنا الذي قدمناه ، قال في معرض حديثه عن الأصمعي^(٣) : « فأما ما يحكيه العوام وسُقَّاطُ الناس من نوادر الأعراب ، ويقولون : هذا مما افتعله الأصمعي ، ويحكى أن رجلاً رأى عبد الرحمن ابن أخيه فقال : ما فعل عمك ؟ فقال : قاعد في الشمس يكذب على الأعراب . فهذا باطل ، ما خلق الله منه شيئاً ، ونعوذ بالله من معرة جهل قائله وسقوط الخائضين فيه . وكيف يقول ذلك عبد الرحمن ولولا عمه لم يكن شيئاً ؟ وكيف يكذب عمه وهو لا يروى شيئاً إلا عنه ؟ وأننى يكون الأصمعي كما زعموا وهو لا يفتى إلا فيما أجمع عليه العلماء ويقف عما يتفردون

(١) السيوطي ، المزهر ٢ : ٣٢٢ و ٣٨٠ .

(٢) الضواحي : ما بدا من الجسد . وأنعم : زاد في هذه الصفة .

(٣) مراتب النحويين ورقة : ٨٠ - ٨٣ .

به عنه ولا يجوز إلا أفصح اللغات ويلج في دفع ما سواه . . ؟ . . وكان أبو زيد وأبو عبيدة يخالفانه ويناوئانه كما يناوئهما ، فكلهم كان يطعن على صاحبيه بأنه قليل الرواية ولا يذكره بالتزديد ؛ وكان أبو زيد أقلهم طعنًا على غيره ؛ وكان أبو عبيدة يطعن على الأصمعي بالبخل وضيق العطن ؛ فكان الأصمعي إذا ذكر أبا عبيدة قال : ذاك ابن الحائك . . . فانظر إلى هذا الإنصاف بينهم مع شدة المنافسة ، ثم لا يهتم أحدهم صاحبه بالكذب ولا يقرقه بالتزديد ، لأنهم يبعدون عن ذلك »

وقد ذهب ابن جنى إلى مثل ذلك ، فقد عقد فصلاً عنوانه « باب في صدق النقلة وثقة الرواة والحماة » قال فيه : « هذا موضع من هذا الأمر لا يعرف صحته إلا من تصور أحوال السلف ، وعرف مقامهم من التوقير والجلالة » ، ثم ذكر من أخلاق بعض الرواة العلماء مثل أبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة وأبي حاتم — ما يوثقهم به ويدفع عنهم ما رُموا به . وقد قال عن الأصمعي : « وهذا الأصمعي ، وهو صناعجة الرواة والنقاة ، وإليه محط الأعباء والثقل . . . كانت مشيخة القراء وأماثلهم تحضره وهو يحدث لأخذ قراءة نافع عنه ؛ ومعلوم قدر ما حذف من اللغة فلم يشبهه ، لأنه لم يقوَ عنده إذ لم يسمعه . وأما إسفاف من لا علم له ، وقول من لا مسكة به : إن الأصمعي كان يزيد في كلام العرب ويفعل كذا ويقول كذا — فكلام معفو عليه ، غير معبوء به . . . » ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عما قدمنا من أمر العصبية بين البصرة والكوفة والخصومات التي نشأت بين العلماء الرواة ، فيرى فيها رأياً لا بأس من إيراده ، إذ يرى في هذا الاتهام الذي كانوا يتبادلونه دليلاً على مدى تحرهم الدقة وتشدهم في الرواية ، قال : « فإن قلت : فإننا نجد علماء هذا الشأن من البلدين ، والمتحلين به من المصريين ، كثيراً ما يهجن بعضهم بعضاً ، فلا يترك له في ذلك سماء ولا أرضاً . قيل : هذا أدل دليل على كرم هذا الأمر ونزاهة هذا العلم ؛ ألا ترى إذا سبق إلى أحدهم ظنة ، أو توجهت نحوه شبهة ، سبَّ

بها ، وَبُرئى إلى الله منه لمكانها . ولعل أكثر ما يرى بسقطة في رواية ، أو غمزة في حكاية ، محمى جانب الصدق فيها ، برىء عند الله من تبعها ؛ لكن أُخِذَتْ عنه إما لاعتنان شبهة عرضت له ، أو لمن أخذ عنه ، وإمّا لأن ثالبه ومتعبيه مقصر عن مغزاه ، مغضوض الطرف دون مداه ؛ وقد عرض الشبهة للفريقين ، ويعترض على كلا الفريقين . فلولوا أن هذا العلم في نفوس أهله والمتفئين بظله كريم الطرفين . . . لما تسابوا بالهجنة فيه ، ولا تنابزوا بالألقاب في تحصين فروجه ونواحيه . . . وإذا كانت هذه المناقضات والمنافسات موجودة بين السلف القديم . . . ثم لم يكن ذلك قادحاً فيما تنازعوا فيه ، ولا عائداً بطرف من أطراف التبعة عليه جاز مثل ذلك أيضاً في علم العرب الذى لا يخلص جميعه للدين خلوص الكلام والفقه له ، ولا يكاد يعدم أهله الأنس به والارتياح لمحاسنه .

٤

ومع ذلك كله فنحن لا نذهب — ولا يصح لأحد أن يذهب — إلى أن جميع ما في تضاعيف الكتب العربية من شعر منسوب إلى الجاهلية — صحيح مبرأ من الوضع والنحل ، ولكننا أردنا في حديثنا الذى قدمناه أن نفحص مواطئ أقدامنا حتى نمضى في يقين وثقة ، ونصدر عن بصيرة وهدى ، وأن نضع في الطريق أعلاماً ، حتى لا نضل فيها ولا نعمى علينا معالمها . وقد قادنا البحث إلى أن هذا الشعر المنسوب إلى الجاهلية على ثلاثة أضرب :

١ — فضرب موضوع منحول ، إما على وجه اليقين القاطع وإما على وجه الترجيح الغالب . وأكثر شعر هذا الضرب ما وضعه القصّاص ليُحَدِّثُوا به قصصهم ، أو يكسبوه في نفوس السامعين والقارئین شيئاً من الثقة ، وما وضعه هؤلاء القصّاص على لسان آدم وغيره من الأنبياء أو على لسان بعض العرب البائدة ، وما وضعه

بعض الرواة ليثبتوا به نسباً أو يدّلوا به على أن لبعض العرب قُدّمة وسابقة . وقد أشرنا إلى بعض هذا الحديث في فصل مضى ، وأشار إليه غيرنا في مواطن متفرقة ، بحيث لا نحتاج إلى إعادة القول فيه ؛ إذ أننا نراه أيسر هذه الضروب الثلاثة وأهونها لسهولة انكشافه ويسر افتضاحه ، بحيث لا يكاد يعنى على أحد .

٢ - وضرب صحيح لاسبيل إلى الشك فيه أو الطعن عليه . وذلك هو الذى أجمع العلماء الرواة على إثباته بعد أن تدارسوا هذا الشعر وفحصوه ومحصوه . وقد مر بنا أن القدماء كانوا يميزون الراوية من العالم بالرواية والشعر ، فيأخذون قول الأول في حذر واحتياط ، ولا يقبلون منه إلا ما يطمنون إلى صحته ، ثم يأخذون قول الثانى واثقين مطمئنين إلا أن يظهر لهم من وجوه النقد ما يضعف من ثقتهم واطمئنانهم . وقد فصلنا القول في أمر هؤلاء العلماء بالرواية والشعر ، وكيف كانوا - على اختلاف مدارسهم - يجدون في الجمع والاستقصاء ، ثم في البحث والتحصيل حتى يميزوا الموضوع من الصحيح ، فلا يحفلوا بالموضوع ويسقطوه من مروياتهم وكتبهم ، أو يثبتوه وينبئوا عليه . ويحسن بنا أن نذكر بثلاثة أخبار كنا قد قدمناها شاهدة على ما نقول . الأول : أن خلفاً الأحر كان رأساً من رؤوس الرواية ، أخذ عنه البصريون جميعاً ، وكان من هؤلاء العلماء الذين لا يقبلون من الشعر إلا ما ميزوا صحته ، ولا يروون منه إلا ما اطمأنوا إلى أنه غير موضوع ؛ حتى لقد جاءه يوماً خلاد بن يزيد الباهلى ، وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقول ، فقال له : « بأى شيء ترده هذه الأشعار التى تروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم فى الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت » ^(١) وحتى لقد قال له قائل يوماً ^(٢) « إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ما قلت فيه أنت وأصحابك . قال له :

(١) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء : ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨ .

إذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصراف إنه ردىء ، هل ينفعك استحسنالك له ؟ » .

ومن هؤلاء العلماء الرواة الذين جدوا في فحص الشعر الجاهلى ودرسته وروايته وتمييز موضوعه من صحيحه : أبو عبيدة معمر بن المثنى . فقد أتى - هو وابن نوح العطاردى - ابن داود بن متم بن نويرة لما قدم البصرة . فسألاه عن شعر أبيه متم ، وقاما له بحاجته ، فلما نقد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لهما ، وإذا كلام دون كلام متم ، وإذا هو يحتذى على كلامه ، فيذكر المواضع التى ذكرها متم ، والوقائع التى شهدا . فلما توالى ذلك علما أنه يفتعله ^(١) . وقد قدمنا فى الفصل الثانى من هذا الباب بعض تحقیقات أبى عبيدة فى كتاب الخيل .

وقد بلغ رواة الشعر وعلماءه من التحقيق والتمحيص ، وتمييز منحوه ، والنص على الموضوع منه ، منزلة جعلت بعض العلماء يفضلونهم على رواة الحديث ، فقد قال محمد بن سلام ^(٢) « حدثني يحيى بن سعيد القطان قال : رواة الشعر أغفل من رواة الحديث ، لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً ، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع » .

وإذا ما سألنا - كما سأل خلاد بن يزيد الباهلى خلفاً الأحمر - عن مقاييس هؤلاء العلماء الرواة فى نقد الشعر وتمييز صحيحه من منحوه - ظننا بادئ الرأى أنه لم يكن لهؤلاء القوم مقاييس ثابتة معروفة ، وأنهم ، إذا ما أجابونا عن هذا السؤال ، سيفرّون من الإجابة الشافية كما فرّ منها خلف حينما قال لخلاد إنه إذا كان يعلم أن فى الشعر ما هو مصنوع ، وإذا كان يعلم أن فى الناس من هو أعلم بالشعر منه ، فعليه ألا ينكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما يعلم . وكذلك حين شبه الناقد للشعر بالصراف من غير أن يذكر لنا مقياساً واضحاً . ولكننا

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٠ .

(٢) ذيل الأمال : ١٠٥ .

— حين نتمتع بالبحث ونستقصيه — لا نليث أن نكتشف أنه كانت بين أيديهم ثلاثة مقاييس :

(أ) ذوقهم الشعرى الذى اكتسبوه عن علم ودراية بعد طول معاناة ودرس لهذا الشعر ، شأنهم فى ذلك شأن الصراف الذى أشار إليه خلف ، والذى لا يكاد الدرهم يقع بين يديه حتى يميزه لكثرة ما مرّ على هذا الضرب من المعاناة والمعرفة . ولكنهم لم يكونوا يستخدمون هذا المقياس وحده ، وإنما كانوا يدعمونه ويؤقّضونه بأحد المقياسين التاليين .

(ب) إجماع الرواة : ولكن هل وقع هذا الإجماع فى شيء من الشعر الجاهلى ؟ أجل ، لقد وقع فى كثير منه ولم يختلفوا إلا فى بعضه ، وقد بينّا طرفاً من ذلك فيما مضى ، وسنبين طرفاً آخر منه فى هذا الفصل وما سيتلوه من فصول . ويتبين لنا مدى إجلالهم لإجماع الرواة فى مثل قول ابن سلام ^(١) « وقد اختلفت العلماء فى بعض الشعر كما اختلفت فى بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه » وقوله فى إجماعهم على الموضوع من الشعر ^(٢) « وليس لأحد — إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه — أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى » . ومن هنا أوردوا ما أجمع عليه العلماء على أنه صحيح لا سبيل إلى الطعن فيه ، فقال ابن سلام ^(٣) « وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر ، والحاصل من شعره قليل ، فما صح عنه قوله : . . . » وأورد الواقدي أبياتاً بعد أن قال ^(٤) « وهى ثبت لم أرَ أحداً يدفعها » . وأورد رجزاً فى موطن آخر وقال ^(٥) : « ما رأيت من أصحابنا أحداً يدفعه » . وإجماع الرواة الثقات هو الذى ذكره

(١) طبقات الشعراء : ٦ .

(٢) المصدر السابق : ٦ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠٥ .

(٤) المغازى : ١٥٠ .

(٥) المصدر السابق : ٢٧٧ .

الحافظ في قوله^(١) : « فالعلماء الذين اتسعوا في علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بنجر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم ، هم الذين نقلوا إلينا . وسواء علينا جماعه كلاماً وحديثاً منشوراً ، أو جعلوه رجزاً أو قصيداً موزوناً » .

(ح) والمقياس الثالث الذي كان يعتمد عليه العلماء في القرنين الثالث والرابع ويزنون به هو : وجود الشعر في ديوان الشاعر أو ديوان القبيلة ، فقد دون هذه الدواوين الثقات من العلماء الرواة ، ولذلك قبلوا ما جاء فيها حين يحىء في صورة اليقين والقطع ، وأما ما ذكره هؤلاء العلماء أنفسهم في تلك الدواوين على أنه مما يشك فيه أو يتوقف عنده ، فقد كانوا ينقلونه كما ذكره بالفاظهم ، وقد يبيحون لأنفسهم بحثه والنظر فيه . وبما يدل على مدى ثقهم بما دونه العلماء في الدواوين الشعرية أن أبا الفرج ذكر شعراً لامرئ القيس وقال^(٢) : « وهى قصيدة طويلة وأظنها منحولة » ثم قدم لظنه هذا بسبين الأول : « لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس » ، وهو نقد داخلي ، والثاني : لأنه « ما دونها في ديوانه أحد من الثقات » ، وهو هذا النقد الخارجى الذى نحن بسبيله ، وكذلك أورد أبو الفرج أشعاراً لدريد بن الصمة رواها ابن الكلبي ، ثم قال أبو الفرج إنها « موضوعة كلها » ، واستدل على ذلك بقوله^(٣) : « ما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات » . وأورد الآمدى أبياتاً نسبها إلى امرئ القيس بن مالك الحميرى ، ثم قال^(٤) : « وهى أبيات تُروى لامرئ القيس بن حجر الكندى ، وذلك باطل ، إنما هى لامرئ القيس هذا الحميرى » ، ثم يقدم على ذلك دليله وهو أن هذه الأبيات مذكورة في ديوان القبيلة ، قال : « وهى ثابتة في أشعار حمير » .

(١) الحيوان ٤ : ١٨٤ .

(٢) الأغاني ٩ : ٩٧ .

(٣) المصدر السابق ١٠ : ٤٠ .

(٤) المؤلف والمختلف : ١٢ .

فإذا ما استخدم العلماء هذه المقاييس الثلاثة ، أو اكتفوا ببعضها - وكثيراً ما يكون الثاني أو الثالث - اطمأنوا إلى ما يوردون ، وثبتت عندهم صحته وقدمه . فمن ذلك أنك ترى أبا عبيدة يورد شعراً جاهلياً ويصفه بقوله إنه ^(١) « الشعر الثابت الذي لا يُردُّ » . ومن ذلك أيضاً أن الواقدي يورد شعراً لحسان ويصفه بقوله ^(٢) : « ثبت قديمه » . وأن الجاحظ يطمئن إلى أنه يستشهد على بعض الأخبار « بالشاهد الصادق » ^(٣) و « بالأشعار الصحيحة » ^(٤) ، ويصف بعض ما يذكر من أشعار العرب وأخبارهم بأنها « أشعارهم المعروفة وأخبارهم الصحيحة » ^(٥) .

٣ - وأما الضرب الثالث من ضروب الشعر الجاهلي ، فهو المختلف عليه ، الذي قال عنه ابن سلام « وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر ، كما اختلفت في بعض الأشياء » . وفي هذا الضرب الثالث نقاط ينبغي أن ننبه عليها لنحيط بالموضوع من أطرافه .

(١) أولها أن هذا الضرب يبدو - للقارئ العابر للكتب العربية - عظيماً كبير القدر ، وذلك لكثرة ما يقرأ من النص على أن هذا البيت موضوع وأن تلك الأبيات منحولة ، واكثر ما يمر به من اتهام للرواة بالوضع والكذب والتزويد . ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها عند من ينعم النظر ويستقصى في البحث - أن هذا الضرب ليس بالكثرة التي يبدو بها ، وسيمر بنا في الباب التالي عند حديثنا عن الدواوين أن الراوية العالم من الطبقة الثانية أو الثالثة ، يروي ديوان شاعر عن راويين أو ثلاثة من الطبقة الأولى ، فيورد كثيراً من قصائد الديوان والإجماع منعقد على صحتها ، ثم يشير في قصائد قليلة إلى أن هذه القصيدة قد رواها فلان

(١) النقاظ : ٢٣٨ .

(٢) المغازي : ٢٨٢ .

(٣) البيان والتبيين ٢ : ٤ .

(٤) الحيوان ٢ : ١٠٧ .

(٥) المصدر السابق ٢ : ٣٢٠ .

ولم يروها فلان ، أو أن تلك القصيدة قد تُنسب إلى فلان وهو غير صاحب الديوان . وقد يجمع هذا الراوية — الذى قلنا إنه من الطبقة الثانية أو الثالثة — أحياناً متفرقة ومقطعات صغيرة يضمها عنوان هو « المنحول من شعر فلان » . وهو يقصد بالمنحول ما لم يروه هؤلاء الرواة العلماء الذين رَوَوْا هذا الديوان ، فإذا ما أحصيت هذه الأبيات التى نص فى تضاعيف الديوان أنها مما رواه فلان دون فلان ، وضُمَّتْ إليها ما أُجمع فى آخر الديوان بعنوان « المنحول من شعره » وجدتْها كلها لا تكاد تعد شيئاً مذكوراً إذا قيست بالقصائد التى أجمع الرواة على صحتها — وسنين تفصيل الأمر حينما نتحدث عن هذا الموضوع فى حينه .

أما ما يمر به القارئ من كثرة الروايات التى ترمى الرواة بالوضع والكذب والتزيد ، فقد تحدثنا عنها حديثاً مفصلاً . ولكننا نحب هنا أن نزيد أمراً جديداً ، وهو أن هذا القدح وذلك التهجين لم يمتنع العلماء والرواة من الأخذ عن بعضهم ، فكأنما كان المقصود بأكثر هذا القدح والتهجين النيل من الرواة أنفسهم — لأسباب قد بيَّناها — دون أن ينال ذلك مما يروون من شعر . وقد مر بنا طرف من اتهام البصريين للكوفيين وإسقاطهم روايتهم ورميهم بالكذب والوضع والنحل ، ولكن ذلك لم يحلْ بين البصريين والأخذ عن الكوفيين بل إن رأسين من رؤوس الرواية البصرية قد أخذوا عن أكثر الكوفيين حظاً من الاتهام ، وتقصد خلفاً الأحمر والأصمعى وأخذهما عن حماد الراوية — كما قدمنا — بل إن اتهام البصريين لخالف نفسه — وقد عرضنا هذا الاتهام وفندناه — لم يمنعهم من الأخذ عنه ، ولم يحلْ دون أن يكون خلف « معلم أهل البصرة » !! والأمثلة على ذلك كثيرة . ولكننا نحب أن نشير إلى مثل أخير يكشف لنا عن حقيقة هذا الاتهام ، وكيف أن المقصود منه الزرابة بالشخص نفسه والنيل منه فى حياته للأسباب التى ذكرناها ، حتى إذا مات ، وانتفت تلك الأسباب ، عاد الذى أزرى به ونال منه وهجنه ، فإذا به يقر له بالعلم ويوثقه . فهذا أبو محمد يحيى بن مبارك اليزيدى يتعصب للبصريين على الكوفيين ، وقد نظم قصيدة بمدح

نحوي البصرة ويهجو الكوفيين ، وخاصة الكسائي ، ويعيب مذهبهم ، قال فيها بعد أن مدح نحاة البصرة (١) :

وَقُلْ لِمَنْ يَطْلُبُ عِلْمًا أَلَا نَادٍ بِأَعْلَى شَرَفٍ نَادٍ :
يَا ضَيْعَةَ النَّحْوِ بِهِ مُقَرَّبُ عَنَقَاءِ أَوَدَتْ ذَاتُ إِضْعَادٍ
أَفْسَدُهُ قَوْمٌ وَأَزْرَوْا بِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْطَامٍ وَأَوْعَادٍ
ذَوِي مِرَاهٍ وَذَوِي لُكْنَةٍ لِشَامِ آبَاءٍ وَأَجْدَادٍ
لَهُمْ قِيَاسٌ أَخَذْنُوهُ هُمْ قِيَاسُ سَوْءٍ غَيْرُ مُنْقَادٍ
فَهُمْ مِنَ النَّحْوِ - وَلَوْ عُمُرُوا أَعْمَارَ عَادٍ - فِي أَبِي جَادٍ
أَمَّا الْكِسَائِيُّ فَذَلِكَ امْرُؤٌ فِي النَّحْوِ حَارٍ غَيْرَ مَرَادٍ (٢)
وَهُوَ لِمَنْ يَأْتِيهِ جَهْلًا بِهِ مِثْلُ سَرَابٍ الْبِيدِ لِلصَّادِي
وهجا الكسائي وأصحابه من الكوفيين بقصيدة أخرى منها (٣) :

كُنَّا نَقِيسُ النَّحْوَ فِيهَا مَضَى عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ
فَجَاءَنَا قَوْمٌ يَقِيسُونَهُ عَلَى لُغَى أَشْيَاخِ قَطْرُبَلِ
فَكُلُّهُمْ يَغْمَلُ فِي نَقْضِ مَا بِهِ يُصَابُ الْحَقُّ لَا يَأْتَلِي
إِنَّ الْكِسَائِيَّ وَأَشْيَاعَهُ يَرْفُقُونَ فِي النَّحْوِ إِلَى أَنْفَلِ

فإذا ما بحثت عن سبب هذا الهجاء ، ولم تكتف بهذه العصبية البصرية ، وجدت أن بين اليزيدي والكسائي خصومة شخصية ومنافسة ، وذلك لأن اليزيدي « كان مؤدب المأمون ، والكسائي مؤدب أخيه محمد الأمين ، وبينه وبين الكسائي مقارضة بسبب تأديبهما الأخوين » (٤) . ومن أجل هذا كان كل همة في أن

(١) السيرافي ، أخبار النحويين البصريين : ٤١ - ٤٤ .

(٢) مراد : مكذا في الأصل ، ولعل صوابها ؛ حار غير مزداد ، أي ينقص ولا يزيد ،

والحرى : نقصان بعد الزيادة .

(٣) السيرافي : ٤٠ .

(٤) المصدر السابق : ٤٤ - ٤٥ .

يعيه وينال منه ، فلما مات الكسائي وانقضت تلك المنافسة والخصومة — عاد اليزيدى واعترف للكسائي بالعلم ، فقال ، فى أبيات ، يرثيه ويرثى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة (١) :

وَأَقْلَقْنِي مَوْتُ الْكِسَائِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءَ تَمِيدُ
فَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرْقَ عَيْنِي وَالْعَيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانَا أَوْدِيَا وَتُخْرِمَا وَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ

(ب) وأمر آخر جدير بالعناية ، وهو أن كثيراً من النص على « النحل » لا يعنى أن هذا الشعر منحول موضوع حقاً ، وإنما غاية ما يعنى أن هذا الراوية العالم يذهب إلى أن هذا الشعر منحول، على حين يذهب غيره إلى أنه صحيح . فرد الأمر إذن إلى خلاف فى الحكم والرأى ، مرجعه إلى اختلاف المصادر التى كان يأخذ عنها الرواة ، وإلى اختلاف المناهج التى كان يحتكم إليها العلماء . وسنضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ — فقد مر بنا أن ابن سلام روى عن أبى عبيدة عن يونس بن حبيب أن حماداً الراوية قال قصيدة فى مدح أبى موسى الأشعرى ، وأنشدها بين يدي بلال بن أبى بردة بعد أن نحلها الخطيئة (٢) . ولكن المدافئ ، وهو بصرى مثل هؤلاء الثلاثة ، يخالفهم فى الرأى ، وقد ذكر « أن الخطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى ، وأنها صحيحة ، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو » (٣) .

٢ — وقد ذكر أبو خليفة الفضل بن الحباب أنه روى لعباس بن مرداس بيت فى عدنان ، قال (٤) :

(١) السيرافى : ٤٦ .

(٢) طبقات الشعراء : ٤١ .

(٣) الأغاني ٢ : ١٧٦ .

(٤) طبقات الشعراء : ١٠ - ١١ .

وَعَكَ بْنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَعَّبُوا بِمَنْحَجٍ ، حَتَّى طَرَدُوا كُلَّ مَطَرِدٍ

ثُمَّ قَالَ « وَالْبَيْتُ مَرِيبٌ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ » يَعْنِي ابْنَ سَلَامٍ . وَلَعَلَّ ابْنَ سَلَامٍ ارْتَابَ فِي الْبَيْتِ لَذِكْرِهِ عَدْنَانَ « وَلَمْ يَذْكُرْ عَدْنَانَ جَاهِلِيٍّ غَيْرَ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ » . عَلَى حِينِ أَوْرَدَهُ ابْنُ هِشَامٍ عَلَى أَنَّهُ صَحِيحٌ غَيْرُ مَرِيبٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو خَلْفَ الْأَحْمَرِ وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ^(١) . وَكَذَلِكَ أَوْرَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَصْعَبُ الزَّبِيرِيُّ عَلَى أَنَّهُ صَحِيحٌ وَلَمْ يَشِرْ إِلَى ارْتِيَابِهِ فِيهِ كَمَا أَشَارَ إِلَى ارْتِيَابِهِ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي تَذْكُرُ الْأَنْسَابَ ^(٢) .

٣ - وَقَدْ أَوْرَدَ الْمَصْعَبُ الزَّبِيرِيُّ أَبْيَاتًا مِنَ الرِّجْزِ تَجْعَلُ نَسَبَ قِضَاعَةَ فِي حِمِيرٍ لَا فِي مَعْدٍ ^(٣) ، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مَوْضُوعَةٌ فَقَالَ « وَزُورُوا فِي ذَلِكَ شِعْرًا » . وَأَوْرَدَ الْأَبْيَاتَ أَيْضًا أَبُو الْفَرَجِ وَرَوَى عَنْ مَوْجِبِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ ^(٤) : « هَذَا قَوْلٌ أَحَدَثُوهُ بَعْدُ وَصَنَعُوا شِعْرًا أَلْصَقُوهُ بِهِ لِيُصَحِّحُوا هَذَا الْقَوْلَ .. وَهَذَا شَيْءٌ قَبِيلٌ فِي آخِرِ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ » . وَمَعَ ذَلِكَ فَابْنُ هِشَامٍ - الَّذِي وَلَدَ بَعِيدَ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ ، وَالَّذِي تَعَقَّبَ ابْنَ إِسْحَاقَ فِيمَا أَوْرَدَ مِنَ الشَّعْرِ وَنَقَدَهُ وَأَسْقَطَ بَعْضَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِ « أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَعْرِفُهَا » - ابْنُ هِشَامٍ هَذَا يَوْرَدُ الْأَبْيَاتَ السَّابِقَةَ عَلَى أَنَّهَا صَحِيحَةٌ ، وَعَلَى أَنَّهُ يَسْتَدْرِكُ بِهَا مَا فَاتَ ابْنَ إِسْحَاقَ ذِكْرَهُ ^(٥) .

٤ - وَأَوْرَدَ ابْنُ هِشَامٍ قَصِيدَةَ لَأَبِي الصَّلْتِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ ، آخِرَهَا قَوْلُهُ ^(٦) :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبْنٍ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا

-
- (١) السيرة ١ : ٩ .
 (٢) نسب قريش : ٥ .
 (٣) المصدر السابق : ٥ .
 (٤) الأغاني ٨ : ٩١ .
 (٥) السيرة ١ : ١١ - ١٢ .
 (٦) المصدر السابق : ٦٧ - ٦٩ .

وقال ابن هشام إن هذه القصيدة تُروى لأمية بن أبي الصلت ، وبعد أن أورد الأبيات مع هذا البيت الأخير قال « هذا ما صح له مما روى ابن إسحق منها ، إلا آخرها بيتاً . . . فإنه للنابعة الجعدى » . ولكن ابن سلام يذهب إلى غير هذا المذهب فقد عرض لهذا البيت وقال ^(١) « ترويه عامر للنابعة ، والرواة مجمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله » . وقد أتى به مثلاً على أن الشاعر قد يستزيد في شعره بيتاً قاله من قبله كالمتمثل حين يجيء موضعه من غير أن يقصد اجتلابه أو سرقة .

٥ - وقد قال الرياشي ^(٢) : « يقال إن كثيراً من شعر امرئ القيس ليس له ، وإنما هو لفتيان كانوا يكونون معه مثل عمرو بن قميئة وغيره » . ولكن ابن سلام ينفي ذلك ويقول ^(٣) : « وبنو قيس تدعى بعض شعر امرئ القيس لعمرو بن قميئة ، وليس ذلك بشيء » .

(ح) وما قد يوهم بالنحل والوضع أيضاً اختلاف الرواة في نسبة الشعر ، فتراهم ينسبون بعضه إلى شاعرين أو ثلاثة شعراء جاهليين ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً لا يعيننا إلا ما سنذكره بعد أن نورد مثلين عليها : الأول - إن الأبيات التي في وصف المطر ومنها :

دَانِ مُسِفٌ فُوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

نسبها يونس بن حبيب لعبيد بن الأبرص ، وعلى ذلك كان إجماع أهل البصرة ^(٤) « فلما قدم المفضل صرفها إلى أوس بن حجر » . والثاني - أن القصيدة التي منها :
مِنْ سَبَاِ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِ الْعَرَمَا
نسبها يونس للنابعة الجعدى ، ونسبها أبو عبيدة لأمية ، ثم سئل خلف الأحمر

(١) طبقات الشعراء : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) الموشح : ٣٤ .

(٣) طبقات الشعراء : ١٣٤ .

(٤) المصدر السابق : ٧٦ - ٧٧ .

عنها فقال : « للنابعة » ، وقد يقال لأمية ^(١) .

ونحب أن نلاحظ أن الشعر في هذين المثليين — وفي كثير من الأمثلة غيرهما —
نسب إلى شعراء جاهليين ، وأن الخلاف في نسبته لم يخرججه عن نطاق الشعر
الجاهلي . فجاهلية هذا الشعر إذن ثابتة لا شك فيها عند هؤلاء الرواة العلماء ،
وإن كانوا اختلفوا في الشاعر الجاهلي نفسه — ربما لاختلاف المصادر التي استقى
منها كل راوية منهم نسبة الشعر — وقد كان هؤلاء الرواة العلماء ، لطول تمرسهم
بالشعر الجاهلي ومدارسهم إياه ، يعرفون الشعر الجاهلي ويميزونه من الإسلامي
بمجرد سماعهم إياه — وإن كانوا يختلفون أحياناً في نسبته ، بل إنهم أحياناً
ليعرفون أنه شعر جاهلي ولكنهم يعجزون عن ذكر الشاعر نفسه ، ومثال ذلك
ما روي من أن حماداً أنشد بلال بن أبي بردة شعراً مدحه به ، فقال بلال
لذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر؟ قال ذو الرمة : جيداً وليس له . قال بلال :
فن يقوله؟ قال : لا أدري إلا أنه لم يقله . . . فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه
قال له : أنت قلت ذلك الشعر؟ قال : لا . قال : فن يقوله؟ قال : بعض
شعراء الجاهلية وهو شعر قديم وما يرويه غيري . قال : فن أين علم ذو الرمة
أنه ليس من قولك؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام ^(٢) .

وكانوا أحياناً — حينما يطمثون إلى أن الشعر جاهلي — ينسبونه إلى شاعر
بعينه ، وربما كان ذلك لأنهم عرفوا أن هذا الشعر أقرب إلى روح ذلك الشاعر
لكثرة ما درسوه وعرفوه ، وعلى هذا الضوء نستطيع أن نفسر بعض الروايات التي
قد يفهم منها الاتهام بالوضع أو الرمي بالكذب ، في حين لا وضع ولا كذب
إذا فهمناها على ما قدمنا . فن ذلك أن حماداً جاءه أعرابي فأنشده قصيدة لم
يُدْرَ لمن هي . فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها وقام الأعرابي ، قال حماد :
لمن ترون أن نجعلها؟ فقالوا أقوالاً ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة ^(٣) . وقال

(١) طبقات الشعراء : ١٠٦ .

(٢) الأغاني ٦ : ٨٨ .

(٣) مراتب النحويين ورقة : ١١٧ - ١١٨ .

الأصمعي : ما أروى للأغلب إلا اثنتين ونصفاً . . . قال أبو حاتم : طلب إسحق بن العباس الهاشمي من الأصمعي رجز الأغلب ، فطلبه مني ، فأعترته إياه ، فأخرج منه نحواً من عشرين قصيدة . فقلت للأصمعي : ألم تزعم أنك لم تعرف إلا اثنتين ونصفاً ؟ فقال : بلى ، ولكن انتقيت ما أعرف ، فإن لم يكن له فهو لغيره ممن هو ثبت أو ثقة ^(١) .

(د) وبعد ؛

فقد مطلع القرن الثاني الهجري ، وبعده بقليل ، قامت طائفة من العلماء الرواة من أمثال أبي عمرو بن العلاء وحاد الراوية ثم المفضل وخلف الأحمر - وهم الطبقة الأولى من العلماء الذين عرفهم العربية في تاريخها الحافل ؛ فتلقوا تراث الجاهلية : شعرها وأخبارها وأنسابها ؛ وصلهم بعضه مدوناً في دواوين كاملة ضمت تراث القبيلة كله أو شعر شاعر فرد من شعرائها ، وصلهم بعضه مكتوباً في صحف متفرقة ، ثم وصلهم بعضه عن طريق الرواية الشفهية التي كان يتناقلها الخلف عن السلف : فحملوا الأمانة ، ومضوا يجمعون ما تفرق من هذا التراث ، وينظمون منه ما تجمع ، يضيفون إليه ما لم يكن فيه مما ثبت لهم صحته ، وينفون عنه ما ثبت لهم زيفه وفساده . ولم يألوا جهداً في التثبت والتحقيق والتحريض والمداورة ، حتى استقام لكل منهم ما يتيقن صحته ، ففضى يذيعه على تلاميذه في حلقات دروسه ، ويشيعه في رواد مجالس علمه ، فخلف من بعدهم خلف هم الطبقة الثانية من العلماء الرواة تأسوا بشيوخهم واقتفوا سبيلهم ، يجمعون ويدرسون ويمحصون ويفحصون ، ثم يستقيم لكل منهم ما يتيقن صحته ، فيذيعه على تلاميذه من علماء الطبقة الثالثة .

ومع ذلك فقد كان لا بد لبعض هؤلاء العلماء من أن يختلفوا : فقد وقع لبعضهم من الصحف المكتوبة ، أو الدواوين المدونة ، أو الرواة من الشيوخ العلماء ومن الأعراب الفصحاء - ما لم يقع كله لغيره ، ثم كان لكل طائفة من

هؤلاء العلماء منهج في الأخذ والتلقي — على ما بيّناه في صفحات تقدمت . ولكن هذا الخلاف في المصادر أولاً وفي المنهج ثانياً لم يمنع العلماء من أن يأخذ بعضهم عن بعض ، ومن أن يرحل علماء مصر إلى مصر المجاور ليأخذوا منهم ويرووا عنهم ، ثم ينقلوا ما تيقنوا صحته إلى تلاميذهم ويكتبوه فيما يجمعون من دواوين . فهذه الدواوين المنسوبة المستندة التي يرتفع إسنادها إلى الطبقة الأولى أو إلى تلاميذهم من علماء الطبقة الثانية — هي التي تحوى بين دفتيها الشعر الجاهلي الذي تيقنوا صحته بعد تحرر واستقصاء وجمع وتمحيص ونقد . وسيكون كل ذلك موضوع حديثنا في الباب التالي من هذا البحث .

• • •

الباب الخامس

دواوين الشعر الجاهلي

الفصل الأول

الدواوين المفردة

١

كان حديثنا - فيما مرّ بنا من أبواب هذا البحث وفصوله - عن المصادر الأولى التي استقى منها العلماء الرواة في القرن الثاني الهجري ما بين أيديهم من شعر جاهلي. وبيان ذلك أننا - حين قطعنا شوطاً في دراسة هذا الموضوع - وجدنا أن أخطر ما فيه وأشدّه غموضاً - على خطره كله وغموضه - هو تلك الفترة التي انقضت على نظم الشاعر الجاهلي لشعره إلى أن دُوّن هذا الشعر في القرن الثاني الهجري في هذه الدواوين التي وصلت إلينا روايتها . هذه الفجوة الزمنية التي امتدت قرناً وبعض قرن - من آخر العصر الجاهلي إلى مطلع القرن الثاني الهجري - هي التي استنفدت القسم الأعظم من جهدنا واستغرقت الجزء الأكبر من بحثنا هذا . وذلك لأن موضوعنا « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » فلم نجد من المعقول ولا من المقبول أن نسقط من حسابنا تلك الفترة التي سبقت تدوين هذه المصادر التي بين أيدينا، ولا أن نمر بها مرّاً هيناً عابراً ، بل لقد استبان لنا أننا مضطرون - من أجل معرفة هذه المصادر معرفة حقّة وبيان قيمتها التاريخية بياناً واضحاً - إلى أن نكشف عن الموارد التي استقت هذه الدواوين منها، والمناهل التي اغترف منها جامعوها وصانعوها .

فدرسنا آخر العصر الجاهلي والقرن الأول الهجري دراسة نرجو أن تكون دقيقة عميقة ، وجمعنا ما عثرنا عليه متفرقاً في المظان العربية مما يتصل ببحثنا هذا ، ثم انتهينا إلى نتائج ثلاث :

الأولى : أننا رجحنا أن هذا الشعر الجاهلي — أو بعضه — قد كُتِبَ ، في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة ، منذ عهد مبكر جداً ، وربما كتب بعضه منذ العصر الجاهلي ، ونحب أن نؤكد أننا لا نلتقي الكلام على عواهنه ، ولا نعتسف الطريق إليه اعتسافاً ، وأن هذه النتيجة الأولى ليست مجرد افتراض نفترضه ، ولا مجرد ظن توهمناه ، ولكنها نتيجة علمية نهجنا إليها منهجاً سليماً بعد أن حشدنا لها حشداً كبيراً من المقدمات التي تتمثل فيما عثرنا عليه من نصوص وأخبار ، فهي إذن ترجيح قوى له مرجحاته الكثيرة ، بل لقد كدنا أن نقول إنها يقين قاطع لولا هذا المنهج الذي نلتزمه والذي يفرض علينا الحذر في التعبير . وأين اليقين القاطع في مثل هذه الأبحاث الأدبية وخاصة في مثل هذا الموضوع وفي مثل ذلك العصر !!

والثانية : أن بعض هذه المدونات الشعرية الأولى قد وصلت إلى علماء الطبقة الأولى من الرواة ، وأنهم قد اعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم لهذه الدواوين التي رواها عنهم تلاميذهم ، وأن هؤلاء العلماء الرواة في القرن الثاني الهجري كانوا يعتمدون — هم وتلاميذهم — نسخاً مكتوبة من هذه الدواوين في مجالس علمهم وحلقات دروسهم ، وأن الشيخ منهم كان يقرأ شعر الشاعر من نسخته ، أو يقرأها أحد تلاميذه ، ثم يعقب الشيخ على الشعر بالشرح والنقد والتحقيق والتمحيص . وقد بينّا عند حديثنا عن هذا الموضوع أن هذه المدونات لم تكن هي المصدر الوحيد ، وإنما كانت أحد مصدرين . أما المصدر الثاني فقد كان الرواية الشفهية . وذلك أن العالم الراوية كان يأخذ بعض الشعر الجاهلي عن الرواة من الأعراب الذين كان يطمئن إلى صدقهم ويعتمدهم مصدراً من مصادره ، وبعض هؤلاء الرواة الأعراب كانوا من قبيلة الشاعر الذي يروون شعره ، تناقلوه جيلاً بعد جيل ، وتوارثوه خلفاً عن سلف ؛ أو كان ذلك العالم الراوية يسمع بعض الشعر الجاهلي من غيره من العلماء ، يرحل إليهم أو يرحلون إليه إن كانوا في بلدان متباعدتين ، أو يفد عليهم ويفدون عليه

إن كانوا في بلد واحد ، وكان عند هؤلاء العلماء الآخرين بعض ما لم يكن عنده ، أو كان عنده بعض ما لم يكن عندهم ، وذلك لاختلاف النسخ المذونة التي بين أيديهم ، أو لاختلاف الرواة من الأعراب الذين سمعوا واعتمدوا مصدرها من مصادرهم ، أو لاختلاف الشيوخ الذين أخذوا عنهم . فكان من نتيجة ذلك أن كل عالم يعود على ما بين يديه من نسخة لديوان الشاعر الجاهلي بالتصحيح والتحقيق ، فيضيف إليها بعض ما وجدته عند غيره واطمأن إلى صحته ، ويحذف منها بعض ما انتهى إلى أنه قد نسب إلى ذلك الشاعر خطأ أو نُحِلَّه عمداً ، ويكتب من كل ذلك نسخته التي اطمأن إليها ، ثم يقرأها لتلاميذه أو يقرأونها عليه ، فإذا ما انتهوا منها أجاز لهم أو لبعضهم أن يرووها عنه . ثم يرووها هؤلاء لتلاميذهم بعد أن يجروا فيها بعض ما أجراه شيخهم في نسخته الأولى من تحقيق وتمحيص . ثم جاء علماء الطبقة الثالثة ومن تلاهم من العلماء — بين منتصف القرن الثالث ونهاية القرن الخامس الهجري — فوجدوا بين أيديهم نسخاً متعددة لديوان واحد ، رُوِيَتْ كل نسخة عن واحد من علماء الطبقة الأولى في البصرة أو الكوفة ، فصنع هؤلاء العلماء المتأخرون نسخاً جديدة أفرغوا فيها جميع روايات العلماء السابقين ، وأشاروا في مواطن كثيرة إلى أن هذه القصيدة من رواية فلان أو فلان ، أو أن هذه الأبيات لم يروها فلان ، أو أن فلاناً قال إن هذه القصيدة أو تلك الأبيات ليست لهذا الشاعر وتنسب إلى شاعر غيره يسميه .

والثالثة : أن رواية هذه الدواوين التي بين أيدينا — حينما يكون الديوان مسنداً — تنتهي إلى أحد هؤلاء العلماء من رواة الطبقة الأولى أو إلى أحد تلاميذهم ، ثم تقف عندهم ولا تتجاوزهم . ومن أجل هذا ذهب كثير من الباحثين إلى أن ثمة فجوة واسعة — تزيد على القرنين — تفصل بين زمن الشعر الجاهلي نفسه وزمن تدوينه ، وإلى أن العلماء الرواة الذين دونوا ذلك الشعر بعد تلك الفجوة الزمنية الواسعة لم يجدوا إلا أبياتاً متفرقة أو مقاطعات قصيرة ،

أشبه ما تكون بالأوصال الممزقة ، التقطوها التقاطاً من أفواه بعض الأعراب والرواة ، وأن هذا الزمن الطويل الذى انقضى قبل تدوين الشعر الجاهلى - كفيل وحده بأن يجعلنا نشك فى الكثير مما دون منه . ولكننا نحن ، بعد هذه الدراسة التى بذلنا فيها الجهد لملء تلك الفجوة - نذهب إلى أن هذه الدواوين المسندة إلى العلماء من رواة الطبقة الأولى ، التى لا تتجاوزهم فى الإسناد ، موصولة الأسباب بالعصر الجاهلى وبالشاعر الجاهلى نفسه ، وأن تلك الحقبة - التى بدت لبعض الباحثين فجوة فارغة - تبدو لنا سلسلة ذات حلقات متصلة ، لم تنقطع فيها قط حلقة من حلقات المصدرين اللذين وردهما علماء الطبقة الأولى ، واستقروا منهما فى تدوين دواوين الشعر الجاهلى ، وهما : الرواية الشفهية ، والمدونات : سواء أكانت صحائف متفرقة أم دواوين مجموعة . وكل ذلك قد بيناه وفصلنا فيه القول تفصيلاً . أما السبب الذى من أجله وقف إسناد هذه الدواوين عند علماء الطبقة الأولى ولم يتجاوزهم ، فقد أشرنا إليه أيضاً فى فصل مضى ، وهو - فى رأينا - أن دراسة الشعر الجاهلى دراسة تقوم على التحقيق والتحجيص والبحث اللغوى ، والتتبع المستقصى والشرح والنقد ، ثم الاقتصار على ذلك اقتصاراً يكاد يكون تخصصاً - هذا الضرب من الدراسة لم يوجد قبل مطلع القرن الثانى أو منتصفه عند علماء الطبقة الأولى . وأما قبل ذلك فقد كانت العناية بالشعر الجاهلى مقصورة على مجرد روايته وجمع بعضه ، وكثيراً ما تكون تلك الرواية وذلك الجمع وسيلة لما كان معروفاً آنئذ من العلوم ، فكان يُتخذ الشعر الجاهلى وسيلة للاستشهاد والتمثل والاحتجاج والزينة ، ولم يكن من بين علماء القرن الأول الهجرى من نصب نفسه لتدريس الشعر الجاهلى والبحث فيه وتحقيقه وتمحيصه ؛ ولذلك كان جميع ما خلفه هذا القرن الأول من شعر الجاهلية مروياً أو مكتوباً ، عناصر أولية ومواد خامة ، تسلمها علماء الطبقة الأولى فى القرن الثانى فصاغوا منها الدواوين التى نسبت إليهم ورويت عنهم .

وسنعرض فى الصفحات التالية ديوانين من هذه الدواوين الجاهلية التى

بقيت على الزمن وغالبت صروفه وأحداثه حتى وصلت إلينا ، هما : ديوان امرئ القيس ، وديوان زهير بن أبي سلمى . وسيكون عرضنا مبنياً على دراسة مفصلة تكشف في وضوح المنهج الذى نرى أن يُنهَج في تناول هذه الدواوين ، وتؤيد ما انتهينا إليه من نتائج بسطنا القول فيها ، بحيث يكون حديثنا عن هذين الديوانين تطبيقاً لما سقناه من حديث في الفصول السابقة .

٢

أما ديوان امرئ القيس فقد وجدنا أماناً ثلاث سبل لتتبع رواياته ورواته :
السبيل الأول : ما ذكرته المصادر العربية ، وخاصة كتاب الفهرست لابن النديم ، في مواطن منفردة عن روايات هذا الديوان وهى :

- (١) رواية الأصمعى ^(١)
- (٢) رواية أبى عمرو الشيبانى ^(٢)
- (٣) رواية خالد بن كلثوم ^(٣)
- (٤) رواية محمد بن حبيب ^(٤)
- (٥) عمل ابن السكيت ^(٥)
- (٦) صنعة أبى سعيد السكرى ^(٦)
- (٧) صنعة أبى العباس الأحول ^(٧) (٨) صنعة أبى الحجاج الأعلم الشتمرى وشرحه ^(٨)
- (٩) صنعة الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى وشرحه ^(٩)

(١) ابن النديم - الفهرست : ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق : ١١٧ و ٢٢٣ و ٢٢٤ ، ونزهة الألباء ١٤٥ ، وإنباء الرواة ١ : ٢٩٢

(٧) المصدر السابق .

(٨) فهرس ابن خير : ٣٨٨ .

(٩) فهرس ابن خير : ٣٨٩ .

والسبيل الثانية :

ما بقي مخطوطاً إلى يومنا هذا وعثرنا عليه مما لم تذكره المصادر العربية التي اطلعنا عليها ، فعفرناه عن طريق الرؤية والمشاهدة لا عن طريق القراءة في المصادر . ولم نعثر - في هذه السبيل الثانية - إلا على روايتين لهذا الديوان هما :

١٠ - رواية أبي الحسن الطوسي ^(١) .

١١ - صنعة ابن النحاس وشرحه ^(٢) .

والسبيل الثالثة :

ما عثرنا عليه من إشارات إلى روايات هذا الديوان ورواته ، متفرقاً في مواطن مختلفة من هذه الدواوين نفسها التي قدمنا ذكرها ، مما لم نعثر له على ذكر فيما اطلعنا عليه من مصادر عربية ، ولم نعثر له على أثر فيما بين أيدينا من فهارس للمكتبات . فوجدنا لهذا الديوان الروايات التالية :

١٢ - رواية المفضل الضبي وهي الرواية التي اعتمدها أبو الحسن الطوسي أصلاً من أصول نسخته التي صنعها لديوان امرئ القيس ، فأورد في نسخته اثنتين وأربعين قصيدة ومقطعة ثم قال ^(٣) : « هذا آخر رواية المفضل » . وقد أكد أن هذا الجزء من الديوان هو من رواية المفضل في موطنين ، الأول فيه تأكيد إيجابى حين قال في القصيدة الأولى : « أحرار بن عمرو كأنى تخير » . إنها : « رواها أبو عمرو والمفضل » .

والثاني فيه تأكيد سلبى ، حين ذكر في القصيدة العشرين وهي : « أذود عنى القوافى زياداً » ، أنها : « ليست في رواية المفضل » .

(١) معهد المخطوطات العربية - رقم : ٨٦٠ .

(٢) معهد المخطوطات العربية - رقم : ١٤٣ .

(٣) ورقة : ٩١ (ظ) .

ومن الأدلة أيضاً على رواية المفضل لديوان امرئ القيس أن الأعمى الشتمري، بعد أن يورد في نسخته رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي، يورد «قصائد متخيرات مما لم يرو أبو حاتم ورواه أبو عمرو الشيباني والمفضل وغيرهما» (١).

١٣ - رواية ابن الأعرابي : وقد ذكرها الطوسي أيضاً ، فقد قال في نسخته بعد القصيدة التاسعة والثلاثين « إلى ها هنا قرأت على أبي عبد الله ابن الأعرابي » ، ثم أورد بعد ذلك ثلاث قصائد : نص في الأولى على أن ابن الأعرابي لم يعرفها ، ونص في الثانية على أنه قرأها على ابن الأعرابي وعرفها ، ونص في الثالثة على أن ابن الأعرابي لم يروها .

١٤ - رواية أبي عبيدة : وتبدو لنا رواية أبي عبيدة لديوان امرئ القيس واضحة مما ذكره الطوسي وابن النحاس . أما الطوسي فقد ذكر - بعد أن انتهى من رواية المفضل - أن « الذي يلي هذا ما رواه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي والأصمعي » . ثم قال في القصيدة التالية إنها « من رواية أبي عبيدة وأبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي » . وأما ابن النحاس فقد بين روايات أبي عبيدة لأبيات كاملة في ديوان امرئ القيس ، وأولاً لفاظ في أبيات ، في أكثر من خمسين موضعاً في صفحات مختلفة من نسخته ، لعل أوضحها أنه أورد بعد قوله (٢) :

لَهُ أَذْنَانِ تَعْرِفُ الْعِتَقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ مَذْعُورَةٍ وَسَطَ رَبْرَبٍ

بيتين قال إنهما رواهما الأصمعي وأبو عبيدة ، ثم أورد بعدها بيتاً قال عنه إن أبا عبيدة وحده رواه ، ثم أورد بعده أبياتاً قال إن أبا عبيدة والأصمعي رواها . وفضلاً عن ذلك فقد أورد ابن النحاس شروحاً وافية لأبي عبيدة على

(١) الأعمى، ورقة : ٦٤ ، وورقة : ٨١ .

(٢) السكري : ٩٨ .

أبيات كاملة أو ألفاظ متفرقة من ديوان امرئ القيس في أكثر من عشرين موضعاً من نسخته .

١٥ - رواية اليزيدى : أبى عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدى (المتوفى سنة ٣١٠) . وقد اعتمد ابن النحاس - فيما يبدو لنا - نسخة اليزيدى أصلاً لنسخته التى بين أيدينا ، فراه يشير إليها لإشارات كثيرة فى مواطن متعددة ، وهى إشارات تدل على أنه يرجع فى كتابة نسخته إلى نسخة اليزيدى فيثبت ما فيها من اختلاف عما يورد ، أو ما فيها من زيادة ونقص . فهو يقول مثلاً إن هذه اللفظة أو تلك هى كذا فى نسخة اليزيدى ^(١) . أو أنه كان فى نسخة اليزيدى كذا وهو خطأ ^(٢) . أو أن هذا البيت أو ذاك ليس فى نسخة اليزيدى ^(٣) . أو أن هذا البيت زيادة على اليزيدى ^(٤) . أو أن هذه القصيدة دفعها فلان ، وهى فى أصل اليزيدى ^(٥) . أو أن هذا البيت فى نسخة اليزيدى قبل ذلك البيت ^(٦) .

١٦ - رواية ابن دريد : أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى سنة ٣٢١) . ولابن دريد رواية أيضاً لديوان امرئ القيس ، وقد نص على وجودها ابن النحاس فى نسخته التى بين أيدينا ، وذكر أن أبا عمران قرأ ديوان امرئ القيس على ابن دريد ، ثم أورد ما وجده فى رواية ابن دريد زائداً على نسخة اليزيدى أو مخالفاً لها ، وقد تكرر استدراكه على ما فى اليزيدى من أبيات ناقصة رواها ابن دريد ، وأثبتها ، فن ذلك قوله ^(٧) : « هذا البيت ليس فى نسخة اليزيدى ، وقد قرأه

(١) ابن النحاس ، شرح ديوان امرئ القيس ورقة : ٥٣ و ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق : ٤٩ .

(٣) المصدر السابق : ٥٨ ، ٩١ .

(٤) المصدر السابق : ١٠٩ .

(٥) المصدر السابق : ٥٣ .

(٦) المصدر السابق : ٣٨ .

(٧) المصدر السابق : ٩١ .

أبو عمران على ابن دريد ، وقوله^(١) : « زيادة على اليزيدي قرأها أبو عمران » ، وقوله^(٢) : « وروى الأصمعي وقرأه أبو عمران على ابن دريد » . وقوله^(٣) : « هذا البيت ليس في اليزيدي ، وقد قرأه أبو عمران » . وفضلاً عن ذلك فقد أورد في ثانياً نسخته روايات متعددة لألفاظ مختلفة قال إنها رواية ابن دريد .

• • •

فإذا ما عدنا إلى هذه الروايات الست عشرة لديوان امرئ القيس ، وحاولنا أن نصنفها وفق أوليتها وأصالتها من جانب وتدرجها التاريخي من جانب آخر ، وجدنا أنها تقسم ثلاثة أقسام :

(أولاً) الأصول : وهي على ضربين كذلك : أصول بصرية ، وأصول كوفية .

١ - الأصول البصرية :

ولم يبق لنا منها إلا رواية واحدة كاملة هي رواية الأصمعي ، وستحدث عنها حديثاً مفصلاً بعد صفحات ، ورواية أخرى ناقصة بقيت منها أجزاء مبعثرة أشير إليها إشارات عابرة في مواطن متفرقة ، هي رواية أبي عبيدة . وإذا كنا نعتقد أن روايتي الأصمعي وأبي عبيدة في جوهرهما رواية واحدة أو روايتان متقاربتان ، وأن الخلاف بينهما لا يعدو قصائد قليلة أو أبياتاً من قصيدة ، لذلك سنكتفي بالإشارة إلى مواطن الاختلاف بين هذه الرواية ورواية الأصمعي حين نتحدث عن رواية الأصمعي .

٢ - الأصول الكوفية :

وقد بقيت لنا منها رواية واحدة هي رواية المفضل بن محمد الضبي (المتوفى سنة ١٦٨) ، ولم تصل إلينا هذه الرواية مستقلة وحدها قائمة بنفسها ، ولكنها جاءتنا عن طريق تلميذه : أبي عمرو إسحاق بن ميران الشيباني (المتوفى سنة ٢٠٦) ،

(١) المصدر السابق : ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٢ .

(٣) المصدر السابق : ٥٨ .

وأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (المتوفى سنة ٢٣١)، ثم حفظها لنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن سنان الطوسي (المتوفى نحو سنة ٢٥٠) في نسخته التي ستحدث عنها بعد قليل . وقد أورد الطوسي اثنتين وأربعين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس ثم قال بعدها^(١) : « هذا آخر رواية المفضل » . غير أنه ذكر في المقطعة رقم ٢٠ وهي ثلاثة أبيات مطلعها « أذود غنى القوافى ذباداً » أنها « ليست في رواية المفضل »^(٢) . وبذلك تكون رواية المفضل إحدى وأربعين قصيدة ومقطعة . قرأ منها الطوسي تسعاً وثلاثين على أبي عبد الله ابن الأعرابي كما ذكر^(٣) . ويبدو أن هذه الأبيات الثلاثة التي ذكر أنها ليست في رواية المفضل كان الطوسي قرأها — فيما قرأ على ابن الأعرابي فأقرها ، فلذلك أدخلها في نسخته وأشار إلى أنها ليست في رواية المفضل . أما القصائد الثلاث الأخيرة من رواية المفضل في نسخة الطوسي فقد ذكر أنه عرض اثنتين منها على ابن الأعرابي فلم يعرفهما^(٤) ، أما الثالثة فقد قرأها عليه وعرفها^(٥) . أما أبو عمرو الشيباني فلا يذكره الطوسي في نسخته إلا في موضعين ، الأول : عند حديثه عن قصيدة امرئ القيس الرائية « أحرار بن عمرو كأني خمر » فقد قال^(٦) : « رواها أبو عمرو والمفضل وغيرهما » ، والثاني : عند حديثه عن قصيدته « أمن ذكر سلمى أن رأيتك تنوص » فقد قال^(٧) : « وليست في رواية الأصمعي ، وإنما هي من رواية أبي عمرو الشيباني » .

ويبدو لنا من هذا العرض الموجز لنسخة الطوسي أنها اعتمدت رواية المفضل في جوهرها أصلاً ، وأن الطوسي قد أخذ هذه الرواية عن تلميذ المفضل :

(١) ورقة : ٩١ (ظهر) .

(٢) ورقة : ٧٣ - ٧٤ .

(٣) ورقة : ٨٥ .

(٤) ورقة : ٨٦ ، ورقة : ٨٩ (ظهر) .

(٥) ورقة : ٨٩ .

(٦) ورقة : ١ .

(٧) ورقة : ٥٤ (ظهر) .

أبي عمرو الشيباني ، وأبي عبد الله ابن الأعرابي ، والمعروف عن ابن الأعرابي أنه كان « ربيباً للمفضل الضبي ، وسمع منه الدواوين وصححها »^(١). أما أبو الحسن الطوسي فع أنه أخذ عن مشايخ الكوفيين والبصريين^(٢) ، إلا أن « أكثر مجالسته وأخذه عن ابن الأعرابي »^(٣) وسنعود إلى الحديث عن نسخة الطوسي بعد قليل .

(ثانياً) روايات التلاميذ :

وهي أيضاً على ضربين : روايات بصرية ، وروايات كوفية . فقد كان علماء البصرة يقرأون دواوين الشعراء على شيوخهم البصريين ويروونها عنهم ، وكان علماء الكوفة يقرأون دواوين الشعراء على شيوخهم الكوفيين ويروونها عنهم ، فمن علماء البصريين من رجال الطبقة الثانية الذين أخذوا عن الأصمعي أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني . أما أبو نصر فقد كان صاحب الأصمعي ، وحين قدم إلى أصبهان « نقل معه مصنفات الأصمعي وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة على الأصمعي »^(٤). وكان مما أخذه أبو نصر عن الأصمعي ديوان امرئ القيس غير أن روايته لم تبق لنا كاملة ، وإنما بقيت لنا منها إشارة عابرة حفظت في النسخة التي سمينها نسخة الطوسي . وأما أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (المتوفى سنة ٢٥٥) فقد بقيت لنا روايته لديوان امرئ القيس عن الأصمعي كاملة في نسخة الأعلام الشنتمرى ، فقد أورد الأعلام ثمانى وعشرين قصيدة ومقطعة ، ثم قال^(٥) : « قال أبو حاتم : هذا آخر ما صحح الأصمعي من شعر امرئ القيس » . ثم قال : « كملت رواية أبي حاتم عن الأصمعي والحمد لله » . ومن تلامذة أبي حاتم الذين أخذوا عنه رواية دواوين الشعر : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

(١) نزعة الألباء : ١٠٦ ، وياقوت - إرشاد ١٨ - ١٩٠ .

(٢) الفهرست : ١٠٦ ، ونزعة الألباء : ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) المصدران السابقان .

(٤) ياقوت - إرشاد ٢ : ٢٨٥ .

(٥) ورقة : ٦٤ .

(المتوفى سنة ٣٢١) ، وقد أخذ ابن دريد عن غير أبي حاتم من علماء البصريين مثل : الرياشي والتوزي والزيادي^(١) . وسنرى - عند حديثنا عن نسخة الأعلام ورواية الأصمعي أن أبا علي القالي هو الذي أدخل رواية الأصمعي هذه لديوان امرئ القيس إلى الأندلس ، وأنه أخذها عن شيخه ابن دريد تلميذ أبي حاتم السجستاني . وكذلك بقيت لنا إشارات متفرقة من رواية ابن دريد في نسخة ابن النحاس على ما سنبينه بعد قليل .

أما رواة الكوفيين فقد تحدثنا منهم عن المفضل وتلميذه : أبي عمرو الشيباني ، وأبي عبد الله ابن الأعرابي . وقد خلف بعد هذين خلف أخذوا عنهم ، منهم : محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥) ، ويعقوب بن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٦) ، وقد مر بنا أن النديم ذكر في فهرسته أن ممن روى ديوان امرئ القيس : محمد بن حبيب ويعقوب بن السكيت^(٢) ، وهما من علماء بغداد الذين أخذوا عن الكوفيين خاصة^(٣) ، ولا سيما أبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي^(٤) ولم تصل إلينا رواية هذين العالمين لديوان امرئ القيس إلا إشارات عابرة لبعض رواية ابن حبيب وشرحه أوردها ابن النحاس في نسخته^(٥) ، وإن كنا نرجح أن السكري قد اعتمد روايتهما أو رواية أحدهما أصلاً من أصول نسخته على ما سنبينه عند حديثنا عن رواية السكري .

ومن هذا العرض الموجز لروايات التلاميذ يبدولنا - مما بقي لنا من رواياتهم - أنهم لم يدخلوا أنفسهم فيما روه عن شيوخهم من علماء الطبقة الأولى ، بل اكتفوا بمجرد الرواية والنقل ، كما رأينا في حديثنا عن أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي وأبي حاتم السجستاني في روايتهما لديوان امرئ القيس عن الأصمعي ؛

(١) الفهرست : ٩١ .

(٢) الفهرست : ٢٢٣ .

(٣) الفهرست : ١٠٨ ، وطبقات اللغويين والنحويين : ١٥٣ حيث عد ابن حبيب

من الكوفيين .

(٤) نزعة الألباء : ١٢٣ ، وياقوت ، إرشاد : ١٨ : ١١٢ .

(٥) انظر مثلاً ورقة : ٦ و ١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٩ .

أو أنهم قد علقوا تعليقات بسيرة - حين كانت تقرأ عليهم هذه الدواوين من رواية - شيوخهم - وكانوا في بعض هذه التعليقات ينصون على أنهم لا يعرفون هذه القصيدة ، أو تلك الأبيات ، أو أنهم يشكون فيها أو ينكرونها ، ولكنهم مع ذلك يبقونها كما جاءت عن شيوخهم ويشتون معها تعليقاتهم ، كما رأينا عند حديثنا عن رواية أبي عمرو الشيباني لديوان امرئ القيس وقراءة الطوسي هذا الديوان برواية المفضل الضبي على أبي عبد الله ابن الأعرابي . ومن هنا حق لنا أن نذهب إلى أن هؤلاء التلاميذ قد حفظوا لنا روايات شيوخهم للدواوين الشعراء كما خلفها أولئك الشيوخ ، وأن عمل التلاميذ في رواية هذه الدواوين ونقلها وشرحها والتعليق عليها ، لم يطمس معالم الرواية الأصلية التي صنعها علماء الطبقة الأولى من الرواة .

(ثالثاً) الروايات المجموعة :

ونقصد بها نسخة الديوان التي ضم فيها جامعها روايات مختلفة لرواة مختلفين من مدرستي البصرة والكوفة معاً . وقد رأينا بعد درسها أنها ضربان ، الضرب الأول : ما جُمعت فيه قصائد من روايات مختلفة جمعاً مختلطاً متداخلاً ، فترى قصيدة من رواية أبي عبيدة بين قصائد من رواية الأصمعي ، تكتنفها جميعاً قصائد من رواية المفضل وأبي عمرو الشيباني ، ثم قصيدة أو قصائد من رواية الأصمعي وهكذا . . . ولا ينص في الغالب على رواية القصيدة نفسها ، وإنما عرفنا ذلك من النسخ الأخرى التي عنت بالنص على الرواية ، ويكثر في هذا الضرب النص على روايات بعض الألفاظ في الأبيات المختلفة . ومن أجل هذا نرى أن الغاية من هذا الضرب الأول الجمع والاستقصاء وحدهما ، وتتبع كل ما نسب من الشعر لامرئ القيس وحشره بين دفتي ديوان ، من غير عناية برواية القصيدة في مجموعها .

والضرب الثاني : ما جُمعت فيه قصائد رواية واحدة في نسق متتابع ، ينص

في أولها على أنها رواية فلان ، وينص في آخرها على أنه « كمل شعر امرئ القيس من رواية فلان ». ثم يختار الجامع قصائد من روايات أخرى يضعها بعد القصائد الأولى ، وينص كذلك على أنها من رواية فلان أو فلان . ومع أن شرط الجمع متوافر في هذا الضرب إلا أنه ليس غاية في ذاته ، وإنما الغاية جمع رواية بعينها ثم اختيار قصائد من روايات أخرى .

الضرب الأول — الروايات المختلفة المتداخلة :

١ — نسخة السكرى :

أبوسعيد الحسن بن الحسين السكرى (ولد سنة ٢١٢ وتوفي سنة ٢٧٥) ، وهو ممن خلط المذهبين^(١) : البصرى والكوفى ، فأخذ عن أبي حاتم السجستاني والعباس بن الفرّج الرياشى ، وهما من علماء المذهب البصرى ، وأخذ عن محمد بن حبيب ويعقوب بن السكيت ، وهما من علماء المذهب الكوفى . وكان مشهوراً بكثرة الجمع والاستقصاء فيه ، حتى قالوا عنه إنه « كان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة »^(٢) . وعرفوه بأنه « الراوية الثقة الكثير »^(٣) . أما نسخته من ديوان امرئ القيس فليست — لسوء الحظ — بين أيدينا حتى ندرسها عن عيان ويقين . غير أن أهلوارد الذى طبع « العقد الثمين » ذكر في مقدمته أنه اطلع على هذه النسخة واعتمدها أصلاً في طبع شعر امرئ القيس الذى في مجموعته . ومخطوطة هذه النسخة موجودة في مكتبة ليدن وقد ذكر أهلوارد أنها كتبت سنة ٥٤٥ هـ^(٤) ، وأن لكثير من القصائد التى تضمنها مقدمات . غير أن طبعة أهلوارد قد خلت من هذه المقدمات التى تسبق عادة القصائد ،

(١) الفهرست : ١١٧ .

(٢) ياقوت ، إرشاد : ٨ : ٩٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مقدمة العقد الثمين : ٢١ .

وإن كان أهلوارد جمعها ، أو جمع بعضها ، في آخر الديوان^(١) . غير أن هذه المقدمات التي جمعها في آخر الديوان قد خلت خلواً تاماً من الإشارة إلى الرواية والرواة ، وهي لا تعدو أن تكون شرحاً مقتضباً لمناسبة بعض القصائد أو سبب نظمها . ومع هذا كله فقد قال أهلوارد في مقدمة طبعته^(٢) « يبدو أن نسخة السكرى مروية عن أبي عبيدة معمر بن المثنى البصرى الذى يحتمل أنه رواها عن شيخه أبي عمرو بن العلاء » . ولسنا ندرى ما الذى حمل أهلوارد على هذا الظن فليس فيما أورده في طبعته أية إشارة إلى إسناد أو رواية . ومع أن النسخة الأصلية ليست بين أيدينا ، فلإننا نرجح أن الأمر قد التبس على أهلوارد ، ونكاد نذهب إلى أن نسخة السكرى هذه ذات روايات مختلفة أكثرها كوفية ، ولنا على ذلك ثلاثة أدلة : أولها جوهرى ويكاد يكون يقيناً ، وهو أن في هذه النسخة سبعاً وستين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس ، بينما شعر امرئ القيس في رواية الأصمعى ثمان وعشرون قصيدة ومقطعة فقط ، وهو في نسخة الطوسى من الرواية الكوفية سبع وأربعون قصيدة ، منها اثنتان وأربعون من رواية المفضل نفسه ، والخمس الأخرى جمعها الطوسى من رواية غيره من الكوفيين ، ونص في إحداها على أنها من رواية أبي عمرو الشيبانى . وشعره في نسخة ابن النحاس ٥٦ قصيدة ومقطعة ، وفي النسخة التي سميناهم نسخة الطوسى قصائد كثيرة ألحقها جامع مجهول بنسخة الطوسى فجاء شعر امرئ القيس في هذه النسخة في ست وسبعين قصيدة .

فلإذا علمنا أن منهج البصريين التضييق في الرواية والتحري والتدقيق في مصادرها ، وأن منهج الكوفيين التوسع في الرواية والمصادر معاً ، وإذا قرئنا هذا بما رأيناه من أن رواية الأصمعى البصرى لـ « امرئ القيس » جاءت في ثمان وعشرين قصيدة ومقطعة فقط — وهي أقل روايات هذا الشعر كافة — علمنا

(١) العقد الثمين : ٢٢٠ - ٢٢٣ .

(٢) مقدمة العقد الثمين : ٦ .

أن نسخة السكرى بقصائدها ومقطعاتها السبع والستين لا يمكن أن تكون عن بصرى أو عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء .
والدليل الثانى : هذا النص الصريح الواضح الذى ذكره ابن النديم فى معرض حديثه عن ديوان امرئ القيس ورواياته المختلفة ، فقد قال (١) : « وصنعه من جميع الروايات أبو سعيد السكرى فجود » .

وأما الدليل الثالث : فهو أن السكرى — على أخذه عن البصريين — قد كان ، فيما يبدو لنا ، أميل إلى الكوفيين وأكثر أخذاً عنهم ، فهو متفق معهم فى المنهج الذى يرى إلى التوسع فى المصادر ، والتكثرفى الرواية والجمع على ما بيناه فى صدر حديثنا عن السكرى . ومن أجل هذا نراه أكثر الأخذ عن محمد ابن حبيب كما ذكر ياقوت (٢) . ومحمد بن حبيب روى كتب ابن الأعرابى تلميذ المفضل .

ودليل رابع : فرع للدليل الثالث يدعمه ويقويه ، وهو أن الدواوين التى بين أيدينا من صنعة السكرى إنما رواها كلها عن محمد بن حبيب الكوفى المذهب ، ومنها ديوان حسان بن ثابت (٣) ، وديوان الحطيئة (٤) ، وديوان جيران العود (٥) .

ومن أجل هذا كله — وخاصة من أجل الدليل الأول والثانى — نرجع أن نسخة السكرى هذه صنعها من جميع الروايات كما ذكر ابن النديم ، وأن معتمد هذه النسخة — لكثرة قصائدها — على الروايات الكوفية ، وأنها لا يمكن أن تكون كلها من رواية أبي عبيدة وحده .

٢ — نسخة ابن النحاس :

وهى مما صوره — على ميكرو فيلم — معهد إحياء المخطوطات العربية

(١) الفهرست : ٢٢٣ .

(٢) إرشاد ١٨ : ١١٢ .

(٣) طبعة ليدن سنة ١٩١٠ .

(٤) طبعة مطبعة التقدم بتصحيح أحد بن الأمين الشنقيطى .

(٥) طبعة دار الكتب سنة ١٩٣١ .

بجامعة الدول العربية من مكتبة الأسكوريال ، وأوراقها ١٥١ ورقة مكتوبة بخط النسخ ، وليس عليها تاريخ كتابتها ولا اسم كاتبها ، وإن كان الأرجح أنها كتبت في القرن السابع أو الثامن .

وأول إشكال يفجؤنا في هذه النسخة هو تحقيق اسم صاحبها . فقد جاء في الـ ورقة الأولى : « شرح ديوان امرئ القيس المسمى بالعليقة للعلامة ابن النحاس » ثم كتب بجوار هذه الكنية بخط مائل « بهاء الدين أبي العباس أحمد » ، ويحاذيه علامة التصحيح والاستدراك « صح » . وقد بذلنا جهدنا لمعرفة صاحب هذا الاسم ، فلم نعث له على أثر فيما بين أيدينا من كتب الرجال والتراجم والطبقات . وليس في هذه الكتب ممن يسمى ابن النحاس إلا اثنان ، أولهما أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . والثاني : أبو عبد الله بهاء الدين ابن النحاس محمد بن إبراهيم بن محمد . فرجحنا أن يكون الكاتب الذي استدرك في نسختنا على اسم ابن النحاس فجعله أبا العباس أحمد — قد أخطأ وأنه كان يقصد أبا عبد الله محمداً هذا الذي ذكرناه ، ولقبه بهاء الدين كما أثبتته كاتب الاستدراك . فإذا كان ترجيحنا هذا صحيحاً — إذ لم نعث على بهاء الدين أبي العباس أحمد ، ولعله لا وجود له — فإننا نريد أن نرجح ترجيحاً آخر وهو أن صاحب هذا الشرح هو أبو جعفر ابن النحاس المشهور ، وليس البهاء ابن النحاس . وتفصيل ذلك أن البهاء ابن النحاس (ولد سنة ٦٢٧ وتوفي سنة ٦٩٨) كان شيخ الديار المصرية ، وأكثر شهرته في النحو — و « لم يصنف شيئاً إلا ما أملاه شرحاً لكتاب المقرب »^(١) . فهو إذن من رجال القرن السابع ، بينما لانجد في النسخة التي بين أيدينا ذكراً لأحد من الرواة بعد النصف الأول من القرن الرابع . بل إن في هذه النسخة نصين جديرين بالوقوف عندهما ودرسهما . الأول قوله^(٢) : « قال أصحابنا البصريون » . والثاني قوله^(٣) : « سمعت ابن دريد

(١) بغية الوعاة : ٦ .

(٢) تلميقة ابن النحاس ورقة : ٥ .

(٣) المصدر السابق : ٤٤ .

قال : « . وهما من أسباب ترجيحنا أن أبا جعفر ابن النحاس هو صاحب هذه التعليقة ، وذلك أن أبا جعفر قد رحل إلى بغداد ، وروى عن المبرد ، والأخفش على بن سليمان ، والزجاج^(١) ، وهم جميعاً من علماء المذهب البصري . وروى من الأخبار ما فيه تضعيف للكوفيين وقيل منهم^(٢) . فن المعقول إذن أن يقول من كان هذا شأنه « قال أصحابنا البصريون » . ثم إن أبا جعفر ابن النحاس توفي سنة ٣٧٧ هـ ، وتوفي ابن دريد سنة ٣٢١ هـ ، وأخذ أبو جعفر عن شيوخ ابن دريد وعمن هم في طبقته مثل المبرد والأخفش والزجاج ، وابن دريد بصري المذهب مثل ابن النحاس وشيوخه ، فن المعقول إذن لمن كان هذا شأنه أن يأخذ عن ابن دريد ، وأن يقول « سمعت ابن دريد » .

وشيء ثالث في النسخة نفسها ، وذلك كثرة ما يرويه من شرح للألفاظ والأبيات عن أبي الحسن . ونحن نستبعد أن يعنى بأبي الحسن : الطوسي ، وذلك لأنه ذكر الطوسي صراحة في مواطن كثيرة ولم يكنه . أما هذه الكنية التي تدل على الألفة والشهرة بحيث يكتبني بها ويستغنى عن التسمية فالمقصود بها - في رأينا - علي بن سليمان الأخفش ، وهو أستاذ أبي جعفر ابن النحاس « وله سماع كثير عنه »^(٣) .

فإذا أضفنا إلى هذا كله ما ذكرناه من أن البهاء ابن النحاس « لم يصنف شيئاً إلا ما أملاه شرحاً لكتاب المقرب » ، بينما نجد أن أبا جعفر ابن النحاس يعنى عناية كبيرة بالشعر ويؤلف فيه ، فله « شرح المعلقات » و « شرح المفضليات »^(٤) ، و « فسر عشرة دواوين وأملاها »^(٥) ، وله « كتاب أخبار

(١) طبقات اللغويين والنحويين : ٢٣٩ ، وياقوت ، إرشاد : ٤ : ٢٢٤ .

(٢) طبقات اللغويين والنحويين : ٩٤ .

(٣) إنباء الرواة ١ : ١٠١ .

(٤) السيوطي ، البقية .

(٥) إنباء الرواة ١ : ١٠١ .

الشعراء^(١) - إذا ذكرنا ذلك كله استبان لنا الأسباب التي من أجلها رجحنا أن يكون أبو جعفر بن النحاس هو صاحب هذه النسخة وليس البهاء بن النحاس . أما النسخة نفسها ففيها ست وخسون قصيدة ومقطعة لامرئ القيس ، وهي مجموعة من روايات مختلفة متداخلة : بصرية وكوفية ، وفي كثير منها نصٌ على راويها ، أو نص على أن فلاناً فعلها وأنكر نسبتها لامرئ القيس ، أو أن فلاناً لم يعرفها . ويبدو أن ابن النحاس قد اعتمد نسخة اليزيدي من ديوان امرئ القيس أصلاً ، وهو أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن يحيى ابن المبارك اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ويبدو كذلك أن نسخة اليزيدي هذه قد قرئت على ابن دريد ، قرأها رجل كنيته أبو عمران فاعتمد ابن النحاس نسخة اليزيدي أصلاً ثم أضاف إليها ما ذكره ابن دريد وغيره من الزيادات أو الشروح أو الاستدراكات . وحديث ابن النحاس عن هذه النسخة يدل على هذا الذي ذكرناه ، فهو يقول^(٢) : « كان في نسخة اليزيدي كذا وهو خطأ وحقه كذا ... » ، و « في نسخة اليزيدي كذا ... »^(٣) ، و « قال ابن دريد : دفعها الأصمعي ورواها قوم لابن أحرر ، وهي في أصل اليزيدي »^(٤) ، و « هذا البيت ليس في اليزيدي . . . وقد قرأه أبو عمران »^(٥) ، و « هذا البيت ليس في نسخة اليزيدي وقد قرأه أبو عمران على ابن دريد »^(٦) ، و « زيادة على اليزيدي قرأها أبو عمران »^(٧) ، و « روى الأصمعي وقرأه أبو عمران على ابن دريد »^(٨) ، و « كذا هو في اليزيدي »^(٩) .

(١) المصدر السابق ١ : ١٠٣ .

(٢) تلميح ابن النحاس ورقة : ٤٩ .

(٣) المصدر السابق : ٥٣ .

(٤) المصدر السابق : ٥٣ .

(٥) المصدر السابق : ٥٨ .

(٦) المصدر السابق : ٩١ .

(٧) المصدر السابق : ١٠٩ .

(٨) المصدر السابق : ١٢٢ .

(٩) المصدر السابق : ١٢٦ .

أما الرواة العلماء الذين يرد ذكر رواياتهم أو شروحهم في هذه النسخة فهم : الأصمعي وأبو عبيدة وأبو حاتم والفرّاء والطوسي وأبو سعيد السكري وابن حبيب والمفضل وأبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي وابن دريد واليزيدي .

وفي هذه النسخة أمر جدير بالنظر انفردت به نسخة ابن النحاس دون غيرها من النسخ والروايات ، وهو ترتيب القصائد على حروف الروى . غير أنه بدأ بالملقة ، ثم أورد جميع القصائد اللامية ، ثم أتبعها بالرائيات ، ثم البائيات ، ثم تسلسل مع حروف الهجاء إلى الياء ، غير أنه قدم الضاد على الصاد . ويبدو أن سبب هذا الترتيب أنه بدأ بالملقة لشهرتها وقيمتها ، ولما كانت الملقة لامية فقد أتبعها بجميع القصائد اللاميات ، ثم ثنى بالرائيات لأنها أكثر عدداً من قصائد الحروف الأخرى ، فلما انتهى منها تساوت عنده القصائد الباقية فسردها على تتابع حروف الهجاء .

وأمر آخر جدير بالنظر ويدل على عناية ابن النحاس بالترتيب والتبويب والتقسيم : أنه يذكر بعد كل بيت ثلاثة عناوين : « ما فيه من الغريب » ، « ما فيه من الروايات » ، « ما فيه من المعنى .. » ، ثم يذكر بعد كل عنوان ما يجده في بابه ، وهو يتبع هذا التقسيم بعد كل بيت ولا يكاد يخرج عنه إلا حيث لا يجده شيئاً يذكره بعد أحد هذه العناوين .

الضرب الثاني : أما الضرب الثاني من هذه الروايات المجموعة فهو ما جمع فيه أحد العلماء الرواة شعر امرئ القيس من الروايات المختلفة للرواة البصريين والكوفيين معاً ، غير أنه بدأ بمجموعته برواية واحدة لعالم راوية واحد ، حتى إذا استقصى ما جاء في هذه الرواية من شعر امرئ القيس نص ذلك العالم على أن رواية فلان قد انتهت ، ثم يورد لنا مختارات انتقاها من الروايات الأخرى . وبذلك يختلف هذا الضرب عن الضرب السابق في أنه يقدم لنا رواية واحدة مستقلة قائمة بنفسها واضحة المعالم . وقد بقى لنا من هذا الضرب ثلاث نسخ :

١ - نسخة الطوسي :

وفي تسميتها لها بنسخة الطوسي شيء من التجاوز ، وذلك لأن هذه النسخة - وهي مكتوبة في سنة ٤٠٣ هـ ، وعدد أوراقها ١٠٤ ، ومحفوظة في مكتبة لاله لي في تركيا ، ومصورة على ميكرو فيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية - قد جمعها جامع مجهول ليس في النسخة ما يدل عليه . وقد عثر - فيما يبدو - على نسخة الطوسي فجعلها الأصل الذي اعتمد عليه في نسخته ، ثم أضاف إلى نسخته بعد ذلك ستاً وعشرين قصيدة ومقطعة مما لم يذكره الطوسي في نسخته ، وقد ميز بين نسخة الطوسي وما أضافه هو من الشعر بقوله : « تمت نسخة أبي الحسن الطوسي من القديم الصحيح والمنحول ، وما كتبناه عن غيره من منحول شعره ، وهو المنحول الثاني : . . . » ثم جعل عنوان مجموعته كلها : « ديوان امرئ القيس ، رواية أبي الحسن الطوسي وأبي نصر أحمد ابن حاتم عن الأصمعي عبد الملك بن قريب عن أبي عمرو الشيباني » . وهو عنوان غير مستقيم وصحته - فيما نرى - : « ديوان امرئ القيس رواية أبي الحسن الطوسي عن أبي عمرو الشيباني ، وأبي نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي عبد الملك ابن قريب » . وقد وجدنا بعد دراسة هذه النسخة وما فيها من روايات - أنها أصلاً نسخة الطوسي وروايته ، وأن جامع النسخة المجهول قد علق على بعض القصائد التي وجدها في نسخة الطوسي تعليقات أخذها من نسخة أخرى رواها أحمد بن حاتم عن الأصمعي ، ومع تداخل هذه التعليقات والإشارات إلا أن الفصل بين الروایتين وتمييزهما سهل .

أما نسخة الطوسي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن سنان المتوفى في نحو سنة ٢٥٠ هـ) فهي قسمان ، أورد في القسم الأول منهما رواية المفضل بن محمد الضبي - الكوفي (المتوفى سنة ١٦٨) لشعر امرئ القيس ، وقد درسنا هذا القسم حين تحدثنا عن الأصول الكوفية لرواية ديوان امرئ القيس ، ولا حاجة

بنا إلى إعادة هذا الحديث . وأما القسم الثاني من نسخة الطوسي فهو مختارات انتقاها من غير رواية المفضل ، فقد قال بعد القصيدة الثانية والأربعين من نسخته « هذا آخر رواية المفضل ، والذي يلي هذا ما رواه أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمي والأصمعي » ثم يذكر سبع قصائد . ويبدو أن في هذه الجملة التي أنهى بها رواية المفضل نقصاً لا بد من إثباته حتى يستقيم الكلام مع رواية القصائد السبع التالية . وذلك لأن ثلاث قصائد فقط من هذه السبع رواها الأصمعي حقاً ، أما الأربع الأخرى فلم ترد في رواية الأصمعي ، وإنما ذكر اثنتين منها الأعلام في نسخته بعد أن أورد رواية الأصمعي لشعر امرئ القيس ، ونص على أن هاتين القصيدتين - مع قصائد أخرى ذكرها - هما من القصائد المتخبرات مما لم يرو أبو حاتم عن الأصمعي ، وإنما « مما روى أبو عمرو والمفضل وغيرهما . . . » ، وإذا قد نص الطوسي في نسخته ، وكذلك الأعلام في نسخته ، على أن إحدى هاتين القصيدتين هي : « جزعت ولم أجزع من البين مجزهاً » من رواية أبي عمرو الشيباني ، فلعل هذه القصائد الأربع الأخيرة - من القصائد السبع التي أوردتها الطوسي في نسخته من غير رواية المفضل - هي من رواية بعض الكوفيين ، أو لعلها مما روى أبو عمرو الشيباني ذاته . ومن أجل هذا قلنا إن في عبارة الطوسي التي أنهى بها رواية المفضل نقصاً ، ونرى أن هذه العبارة تكمل وتستقيم مع رواية القصائد التالية لو أضفنا إليها كلمة « وغيرهما » فتصبح عبارته « هذا آخر رواية المفضل ، والذي يلي هذا ما رواه أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمي والأصمعي وغيرهما » .

٢ - نسخة عاصم :

هو الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي البلوى النحوى ، المتوفى في سنة ٤٦٤ هـ . ونسخته من ديوان امرئ القيس جزء من مجموعته لدواوين الشعراء الستة : امرئ القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة . وهذه المجموعة

قد وصلتنا كاملة ، ومخطوطاتها موجودة في بعض المكتبات ، ومنها مخطوطة في مكتبة فيض الله بتركيا صورها على ميكروفيلم معهد إحياء المخطوطات العربية. أما ديوان امرئ القيس وحده من هذه المجموعة فقد طبع عدة طبعات : طبع في تونس سنة ١٢٨٢ هـ ، وطبع في القاهرة بمطبعة هندية مرتين : سنة ١٩٠٦ م سنة ١٩٢٨ م . وستحدث عن شعر الشعراء الستة وعن نسخة عاصم من شعر امرئ القيس ، حين نتحدث عن نسخة الأعلام فإن النسختين : نسخة عاصم والأعلام ، قد اتخذتا من رواية الأصمعي لشعر امرئ القيس أصلاً اعتمدناه ، وقد اتفقت النسختان في هذا القسم من الشعر ، غير أن الأعلام اختار بعد ذلك ست قصائد من غير رواية الأصمعي ، بينما لم يختار عاصم إلا قصيدة واحدة من رواية المفضل وأبي عمرو الشيباني بدأ بها الديوان هي « أحرار بن عمرو كافي خمر » ، ثم أورد القصائد التي أوردها الأعلام من رواية الأصمعي غير أن في ترتيب بعض القصائد اختلافاً . ثم إن الأعلام نص على أن ما أورده هو من رواية الأصمعي ، ويميز بين هذه الرواية ورواية غيره ، ولكن عاصماً لم يشر إلى رواية الأصمعي بل لم يُعَنَّ بالرواية جملةً . وسبب هذا الاتفاق بينهما أنهما أخذتا عن أخذ عن أبي على القالي - على ما سنبينه حين نتحدث عن الأعلام . وقد ذكر الوزير أبوبكر عاصم أنه اطلع على نسخة لهذا الديوان قوبلت بنسخة أبي على^(١) ، وأشار في موطن آخر - في معرض حديثه عن لفظ - إلى أنه وجده في النسخة الصحيحة^(٢) ، فلعله يقصد نسخة أبي على أيضاً .

٣ - نسخة الأعلام :

هو العالم اللغوي يوسف بن سليمان بن عيسى الشنمري ، أبو الحجاج الأعلام ، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وله هذه المجموعة الشعرية التي تشتمل على دواوين الشعراء الستة الذين ذكرناهم ، ومنها نسخ كثيرة في مكتبات العالم : ففي مكتبة باريس

(١) شرح ديوان رئيس الشعراء ، ط . هندية ١٩٠٦ م ص : ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٧ .

مخطوطتان هما رقم ١٤٢٤ و ١٤٢٥ ، وقد اعتمدهما دى سلان أصلاً في طبعته لديوان امرئ القيس التي طبعت في باريس سنة ١٨٣٦ - ١٨٣٧ م ، وسماها « نزهة ذوى الكيس ونحفة الأدباء في قصائد امرئ القيس » ، وكذلك اعتمدها أهلوارد أصلاً في طبعته لدواوين الشعراء الخمسة - عدا امرأ القيس - التي طبعت في لندن سنة ١٨٧٠ وسماها « العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين » . وقد وصفهما دى سلان وأهلوارد في مقدمتهما وصفاً مفصلاً . وكتبت أولاهما سنة ٥٧١ ، وثانيتها في القرن الحادى عشر الهجرى . وفي مكتبة غوطة مخطوطة أخرى رقمها ٥٤٧ وصفها أهلوارد ورجع إليها . وفي دار الكتب المصرية مخطوطتان من هذه المجموعة الأولى رقمها ٤٥٠ تيمور وكتبت سنة ١٢٦٨ هـ ، والثانية رقمها ٨١ ش . وقد اتبع الأعلام في جميع دواوين مجموعته خطة واحدة ، فكان يبدأ في كل ديوان برواية الأصمعى حتى إذا استوفاهها نص على انتهائها ويميز آخرها ، ثم يذكر قصائد يختارها من رواية الكوفيين لشعر ذلك الشاعر ، قد ذكر خطته هذه ذكراً واضحاً في مقدمته ، قال (١) . « واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار على أصح رواياتها وأوضح طرقاتها ، وهى رواية عبد الملك بن قريب الأصمعى ، لتواطؤ الناس عليها واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها . وأتبع ما صح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره ، وشرحت جميع ذلك شرحاً يقتضى تفسير جميع غريبه ، وتبيين معانيه وما غمض من إعرابه . . . »

أما سبب اختيار هؤلاء الشعراء الستة بذواتهم فقد أشار إليه الأعلام كذلك في مقدمته قال (١) « . . . رأيت أن أجمع من أشعار العرب ديواناً يعين على التصرف في جملة المنظوم والمنثور ، وأن أقصر منها على القليل ، إذ كان شعر العرب كله متشابه الأغراض ، متجانس المعانى والألفاظ ، وأن أؤثر بذلك من الشعر ما أجمع الرواة على تفضيله ، ولإيثار الناس استعماله على غيره . . . » . وقد بحث

(١) شرح الأعلام ورقة : ١ .

ذلك أيضاً أهلوارد في مقدمته ، فذهب إلى أن اختيار هؤلاء الستة يعود إلى ثلاثة أمور^(١) : قيمة شعرهم الفنية ، وكثرة قصائدهم وطولها إذا قيست بقصائد معاصريهم ، وعنايتهم بالحوادث ذات الدكريات المحببة وبالأشخاص ذوي المكانة التاريخية السامية ، فلم تطف على شعرهم وحياتهم الحوادث المحلية الصغيرة كما طغت على حياة الشعراء الذين سبقوهم أو عاصروهم .

أما رواية الأعلام لهذه الدواوين فهي متصلة السند إلى الأصمعي نفسه ، وقد ذكر ابن خير الأموي إسناد هذه الرواية في فهرسته^(٢) فقال : « كتاب الأشعار الستة الجاهلية شرح الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الأعلام ، رحمه الله - حدثني بها أيضاً قراءة مني عليه لها ولشرحها : الوزير أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة رحمه الله - عن الأستاذ أبي الحجاج الأعلام مؤلفه رحمه الله - يرويها الأستاذ أبو الحجاج الأعلام المذكور ، عن الوزير أبي سهل بن يونس بن أحمد الحراني ، عن شيوخه أبي مروان عبيد الله ابن فرج الطوطاقي وأبي الحجاج يوسف بن فضالة وأبي عمر بن أبي الحباب ، كلهم يرويها عن أبي علي القالي ، عن أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعي رحمه الله » .

أما نسخة الأعلام من ديوان امرئ القيس - وهو أول دواوين هذه المجموعة - فتضم أربعاً وثلاثين قصيدة ومقطعة جعلها قسمين ، الأول : ما رواه أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، وهي ثمان وعشرون قصيدة ومقطعة - استثنينا منها واحدة ، وهي « ألا إلّا تكن إبل فعزى » ، وذلك لأن الأعلام نفسه ذكر أن الأصمعي كان يقول : « امرؤ القيس ملك ولا أراه يقول هذا ، فكان الأصمعي أنكرها » . ولأن الوزير أبا بكر عاصم بن أيوب ذكر حين أورد هذه المقطعة أن الأصمعي قال^(٣) : « امرؤ القيس لا يقول مثل هذا ، وأحسبه للحطيئة » .

(١) المقدّمين - المقدمة : ٢ - ٣ .

(٢) فهرست ابن خير : ٣٨٨ .

(٣) شرح ديوان امرئ القيس : ١٦٥ .

فأبينا أن قول الأصمعي بسقط هذه الأبيات من جملة ما رواه له ، ويسلكها في عداد الأبيات والقصائد التي كان يشرحها ، ولكنه ينص على أنها ليست لامرئ القيس — وبذلك تكون رواية الأصمعي لشعر امرئ القيس سبغاً وحشرين قصيدة فقط ، قال في ختامها : « قال أبو حاتم : هذا آخر ما صحح الأصمعي من شعر امرئ القيس ، والناس يحملون عليه شعراً كثيراً وليس له ، إنما هو لصعاليك كانوا معه » ثم قال : « كملت رواية أبي حاتم عن الأصمعي والحمد لله » . أما القسم الثاني من نسخة الأعلام فيشتمل على ست قصائد اختارها من رواية الكوفيين ، ونص في ثلاث منها على أنها مما روى أبو عمرو الشيباني . وقد قدم لهذا القسم بقوله « قال أبو الحجاج يوسف بن سليمان : ونذكر قصائد متخيرات مما لم يرو أبو حاتم ... » ، وقد ذكر الطوسي في نسخته أربعاً من هذه القصائد من رواية المفضل ، ثم ذكر اثنتين من رواية غيره من الكوفيين .

رواية الأصمعي والمفضل :

وأبينا من كل ما قدمنا من حديث عن نسخ ديوان امرئ القيس ورواياته — أن الأصلين الأوليين والمصدرين الرئيسيين اللذين اعتمدت عليهما هذه النسخ هما : رواية الأصمعي البصري ورواية المفضل الكوفي ، وأن ما جاء في بعض النسخ من القصائد الزائدة على هاتين الروايتين مما جمعه بعض الجامعين ، فقليل جداً منها مروي عن أبي عمرو الشيباني ، أما الباقي فقد نُصِّصَ على كثير منه بأنه منحول لامرئ القيس ، وأن صحة نسبته إلى فلان أو فلان من الشعراء . ومن أجل هذا سنقصر حديثنا الآن على هاتين الروايتين ، وبيان مصادرهما ، ووصف طبيعتهما ، ثم نعقب بذكر مطالع القصائد التي رواها الأصمعي أولاً ، والتي رواها المفضل ثانياً ، ونذكر في كل مطلع النسخ الأخرى التي ترد فيها هذه القصيدة .

مصادر الروایتين :

فلذا كانت نسخ ديوان امرئ القيس المسندة تنتهي روايتها — كما رأينا — عند الأصمعي البصري ، وعند المفضل الكوفي ، فن أين انحدرت إليهما قصائد هذا الديوان؟ وكيف وصلهما هذا الشعر الذي حُفِظَ لنا في روايتهما؟ أما الأصمعي فيبدو أن طريقنا إلى معرفة مصادر مصادره أوضح من طريقنا إلى معرفة مصادر المفضل ، لأن الأصمعي قد نص على هذا الطريق وكشف لنا عن تلك المصادر ، وذلك أن أبا حاتم قال^(١) : « قال الأصمعي : كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد الراوية ، إلا نتفأ سمعنا من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء » . فقد استقى الأصمعي إذن شعر امرئ القيس من ثلاثة مصادر : حماد ، وهو المصدر الأكبر ، والأعراب ، وأبي عمرو بن العلاء . فلذا كان ذلك صحيحاً — وليس بين أيدينا ما يدفعه — فعلينا أن نقبله جملة كما هو ، إذ من العسير أن نعرف القصائد التي استقاها من كل مصدر من هذه المصادر الثلاثة . ومع ذلك فقد بقيت لنا بعض الإشارات التي تؤيد هذا القول ، وذلك أن الأصمعي يشير في روايته المحفوظة في نسخة الأعم — إلى أبي عمرو ابن العلاء في موضعين ، الأول : حين روى عنه قصيدة امرئ القيس التي مطلعها :

دَيْمَةٌ مَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدَرَّى

فقد ذكر الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء أخذ هذه القصيدة من ذي الرمة . والموضع الثاني : حينما روى عنه أيضاً خبر منازعة امرئ القيس والثوم البشكري وأنصاف أبياتهما . وفي نسخة الطوسي يشير الأصمعي أيضاً إلى أبي عمرو بن العلاء في معرض حديثه عن القصيدة التي نسبها المفضل الضبي وأبو عمرو الشيباني وغيرهما من الكوفيين إلى امرئ القيس ومطلعها :

أَحَارِ بْنِ عَمْرِو كَأَنِّي خَيْرٌ وَيَعْلُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ

(١) مراتب النحويين ، ورقة ١١٦ - ١١٧ ، والمزهر ٢ : ٤٠٦ .

فقد أنكرها الأصمعي وقال: « أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء لرجل من الغمر ابن قاسط يقال له ربيعة بن جشم ». وأشار الأصمعي أيضاً إلى بعض ما أخذه عن الأعراب من شعر امرئ القيس ، فن ذلك أن التبريزي حينما أورد بيت المعلقة :

تَرَى بَعَرَ الْأَرْزَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ
قال (١): « وهذا البيت وما بعده مما يزداد في هذه القصيدة » ، ثم قال: « قال الأصمعي : والأعراب ترويهما » .

وقد تكون ثمة إشارات أخرى — لم نعر نحن عليها — إلى أبي عمرو بن العلاء وإلى الأعراب في رواية الأصمعي ، غير أنها مع ذلك لا تعدو أن تكون أمثلة ونماذج تدعم القول الذي سقناه للأصمعي يبين فيه مصادر روايته لشعر امرئ القيس ، ولكنها لا يمكن أن تبين — على وجه الحصر — ما أخذه الأصمعي عن أبي عمرو ، وما أخذه عن الأعراب ، ثم ما أخذه عن حماد . ومن أجل هذا قلنا قبل قليل إنه لا مفر لنا من أن نقبل قوله هذا جملة كما هو ، فتكون بذلك أكثر رواية الأصمعي لشعر امرئ القيس عن حماد الراوية ثم أضاف إليها نثراً أخذها عن أبي عمرو بن العلاء وجمعها من الأعراب .

وقد تحدثنا في الفصل الثاني من الباب الثاني عن عناية أبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية بالتدوين والمدونات ، ورجحنا أن يكون قد وصلت إليهما بعض مدونات الشعر الجاهلي من العصور التي سبقتهما ، ولا نحب أن نعيد هنا ما ذكرناه هناك ، غير أننا نريد أن نذكر بأن حماداً كان في بيته كتاباً قريش وثقيف ، وأنه نظر فيهما ليستذكر ما فيهما من شعر حين استقدمه الخليفة الأموي الوليد بن يزيد (٢) . وأنه كان في بيته كذلك ديوان العرب ، فلما أراد هذا الخليفة نفسه « أن يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، استعار من حماد ، ومن جناد بن واصل الكوفي ، ما عندهما من الكتب والدواوين فدونها

(١) شرح القصائد العشر : ٧ .

(٢) الأغاني ٦ : ٩٤ .

عنده ، ثم رد إليهما كتبهما ،^(١) . وأن حماداً كان عنده جزء من شعر الأنصار^(٢) .
وأن أبا حاتم السجستاني رأى بعض كتب حماد في الشعر الجاهلي فرجع إليها
وأثبت ما وجدته فيها زائداً على ما جمع من الشعر وإن كان نصراً على أن هذه
الزيادات هي من الشعر المصنوع^(٣) .

فرواية الأصمعي لشعر امرئ القيس - حين يرتفع سندها إلى حماد الرواية
وأبي عمرو بن العلاء - إنما تعتمد ، بعض الشيء ، على صحائف متفرقة ،
أو دواوين مجموعة ، كانت عند هذين العالمين ، وربما وصلتهما من العصور
السابقة على عصرهما ، فضلاً عن اعتمادها على السماع والرواية الشفهية .

غير أن الأصمعي لا يمكن أن يكون قد قبِل كل ما سمعه من حماد ، فإن
ذلك مخالف لمنهج الأصمعي وطبيعة روايته مما ستحدث عنه بعد قليل . إنما
المرجح أن الأصمعي قد سمع ما عند حماد من شعر امرئ القيس ودوّنهُ ، ثم
سمع ما عند شيخه أبي عمرو بن العلاء وعرض عليه بعض ما سمعه من حماد
ودوّن رواية أبي عمرو وتعليقاته ، ثم دوّن التفت التي سمعها من الأعراب ، وعاد
على كل ذلك بالنقد والتحقيق والتحصيص ، فأسقط منه ما أسقط ، ولعله كثير
جداً ، ثم دوّن نسخته الخاصة من شعر امرئ القيس وأثبت فيها ما اطمأن هو
نفسه إلى صحة نسبته إلى هذا الشاعر ، وهذه النسخة هي التي حفظها لنا الأعلام
والتي ذكر أبو حاتم في نهايتها أن « هذا آخر ما صحح الأصمعي من شعر
امرئ القيس » .

وما يؤيد ما نذهب إليه من اتصال رواية الأصمعي بالمدونات أننا نجد
الأصمعي ينكر أن تكون القصيدة جملة لامرئ القيس ، وينسبها لشاعر آخر ،
أو يقبل القصيدة وينكر أبياتاً منها ، ومع ذلك نجده يشرح هذه القصائد التي

(١) الفهرست : ١٣٤ .

(٢) الأغاني ٦ : ٨٧ .

(٣) مختارات ابن الشجري : ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

أنكرها ، وتلك الأبيات التي دفعها ، وتعليل ذلك - فيما نرجح - أن ديوان امرئ القيس قد وصل مدوناً مكتوباً إلى عصر الأصمعي ، وأن الأصمعي - وغيره من الرواة العلماء - كانوا يقرأون هذا الديوان الذي وصلهم مدوناً ، أو يقرؤه عليهم بعض تلاميذهم ، فيضطرون إلى التعرض لكل قصيدة في ذلك الديوان بالنقد والتعليق : يدفعون من قصائده أو أبياته ما يشكّون فيها ، وقد ينسبونها إلى الشاعر الذي يرجحون أنه قالها ، ويثبتون منها ما يطمثون إلى صحته ، ولكنهم مع ذلك يشرحون لتلاميذهم في مجالس علمهم جميع ما في ذلك الديوان من شعر صحيح ومنحول . ومن هنا وجدنا شرحاً للأصمعي على قصائد وأبيات أنكر نسبتها لامرئ القيس .

أما المفضل الضبيّ فيبدو كذلك أن روايته متصلة بالمدونات التي وصلت إليه من العصور السابقة ، وسنفصل القول في ذلك حين نتحدث عن المفضليات في الفصل الثالث من هذا الباب ؛ وسنجد هناك أن المفضل قد اختار قصائده من الدواوين المدونة ، واستخرجها من الكتب التي كانت في مكتبته . وإن كان يعوزنا النص الصريح على ذلك في روايته لديوان امرئ القيس ذاته ، إلا أننا نحمل هذا على ذلك .

طبيعة الروايتين ومنهجهما :

وكان من نتيجة ما قام به الأصمعي من نقد وتحقيق ونخل وتمحيص لما استقاه من شعر امرئ القيس من تلك المصادر الثلاثة - أن جاءت روايته لديوانه في سبع وعشرين قصيدة ومقطعة فقط ، وهي أقل الروايات التي عثرنا عليها كافة . وتعليل ذلك في هذا المنهج الذي أخذ به البصريون عامة أنفسهم ولا سيما الأصمعي . وهو منهج يقوم - كما قدمنا في غير هذا الفصل - على التضييق في المصادر التي يستقون منها ، والتحرّص في الرواية التي يقبلونها . وأخذ الأصمعي نفسه - في حدود هذا المنهج - بأكثر مما أخذ به البصريون عامة

نفوسهم ، فقد قال ابن منذر ^(١) : « كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثلثها ، وكان أبو مالك (عمرو بن كركرة الأعرابي) يجيب فيها كلها » . وقد فسر أبو الطيب اللغوي المقصود بهذا الكلام ، فقال « وإنما عني ابن منذر توسعهم في الرواية والفتيا ، لأن الأصمعي كان يضيّق ولا يجوز إلا أفصح اللغات ، ويلجّ في ذلك ويمحك ، وكان مع ذلك لا يجيب في القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا يزيد بعضهم على بعض » .

ومع أن الكوفيين عامة كانوا أكثر توسعاً في المصادر — على ما ذكرناه في فصل سابق — وأكثر تساهلاً وتجوراً في قبول الروايات ، غير أن المفضل بن محمد كان يأخذ نفسه بمثل المنهج البصري من التضييق والتحري ، ومن أجل هذا وثقه البصريون أنفسهم وأخذوا عنه ^(٢) . وكان من نتيجة تضييقه وتحريه أن جاءت روايته لديوان امرئ القيس في أربعين قصيدة ومقطعة : وهي أكثر من رواية الأصمعي ، ولكنها تقل كثيراً عما جاء في النسخ التي جمعت روايات ديوان امرئ القيس المختلفة — وأكثرها روايات كوفية — مثل نسخة السكري ونسخة ابن النحاس .

والحق أن هذه الزيادة في رواية بعض الكوفيين لا تعني أنهم كانوا يضعون ويصنعون ، أو ينحلون ويتزيدون ، ونحن نقصد بطبيعة الحال الثقات منهم من أمثال : المفضل الضبي وأبي عمرو الشيباني ومحمد بن زياد الأعرابي . فلقد مر بنا توثيق البصريين أنفسهم للمفضل وأخذهم عنه ، وأما أبو عمرو الشيباني فقد كان ثقة ثباتاً عند أصحاب المذاهب — ما يوثقونه جميعهم : ولم نجد لأحد طعناً عليه في روايته أو توهيناً له ؛ وأما ابن الأعرابي فكان ربيب المنفل وتلميذه وقد أخذ عنه دواوين الشعر وصححها ، وقالوا فيه إنه « لم يكن في الكوفيين أشبه

(١) مراتب النحويين ، ٦٧ .

(٢) أخبار النحويين البصريين : ٥٦ - ٥٧ .

برواية البصريين منه ^(١) . وإنما مرد هذه الزيادة في الرواية — كما ذكرنا من قبل في مواطن متعددة — إلى اختلاف مصادر المدرستين واختلاف منهجهما ، فقد ذكرنا أن الكوفيين كانوا يأخذون عن أعراب رواة لم يكن البصريون يأخذون عنهم ، وأخذ الكوفيون عن علماء وشيوخ من أهل البصرة وزادوا فأخذوا عن علماء وشيوخ لم يأخذ عنهم البصريون ، ووقع بين أيدي أهل الكوفة من الصحف المدونة ما لم يقع مثله لأهل البصرة . وكان من نتيجة هذا الاختلاف في المصادر وفي المناهج أن اختلف بعض الشعر الذي رواه علماء كل من المدرستين ، وأن جاء الشعر في رواية الكوفيين أكثر منه في رواية البصريين .

وكما كان البصريون ينقدون ويمحصون كان كذلك الكوفيون ينقدون ويمحصون ، وكان علماء المدرستين معاً لا يقبلون كل ما يسمعون أو يقرأون ، وإنما كانوا يعرضونه على محك النقد والتمحيص . حتى إن الكوفيين — على توسعهم في المصادر وتكرهم في الرواية — أسقطوا بعض القصائد التي رواها الأصمعي لامرئ القيس وأنكروها . فلم يرو المفضل سبع قصائد ومقطعات رواها الأصمعي ، وإسقاطها من روايته دليل على أنه لم يعدّها من شعر امرئ القيس الصحيح في رأيه ، وكذلك روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قصيدة لامرئ القيس مطلقاً :

أَمَاوِيَّ هَلْ لِي عِنْدَكُمْ مِنْ مُعْرِسٍ أَمْ الصَّرْمَ تَخْتَارِينَ بِالْوَضْلِ نَيْسٍ
فأنكرها أبو عمرو الشيباني — أو غيره من الكوفيين — وقال إنها ليست لامرئ القيس وإنما هي لبشر بن أبي خازم ^(٢) . وكذلك أنكر الكوفيون قصيدة أخرى رواها الأصمعي وأبو عبيدة ومطلعا :

يَا هِنْدُ لَا تَنَكِّحِي بُوْهَةً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا

(١) طبقات النحويين والفنويين : ٢١٣ .

(٢) القصيدة ٥٠ : ٤٤ من نسخة الطبري .

وقالوا إنها منحولة .

ولقد كانت كثرة رواية الكوفيين مطعناً عليهم عند البصريين ، فاتهمهم بالتكثير والتزديد ، غير أننا رأينا أنها كثرة لا تكثر ، وزيادة لا تزيد ، وأن الثقات الأثبات من الكوفيين كانوا كالثقات الأثبات من البصريين : ينقلون ويمحصون ويتحرّون ، غير أن اختلاف المصدرين واختلاف المنهجين أدّى إلى أن يكون ما عند الكوفيين أكثر مما عند البصريين . ومع ذلك فإن ثمة أمراً نحسبه من الوضوح والبداهة بحيث لا يحتاج إلى تفصيل في القول طويل ، وهو أن توثيقنا للعلماء الرواة من الكوفيين وللعلماء الرواة من البصريين لا يعنى أن كل ما يروون شعر صحيح مقطوع بصحته ، لا سبيل إلى الشك فيه أو الطعن عليه . وإنما أردنا أن نؤكد تأكيداً واضحاً أن هؤلاء العلماء الرواة لا يمكن أن يكونوا كذابين يتعمدون الكذب ، ولا وضاعين يحترفون الوضع ، وأن رواية هؤلاء العلماء الرواة في مجموعها رواية صحيحة أو قريبة من الصحة ، وأن هؤلاء العلماء الرواة قد أفرغوا جهدهم وبذلوا أقصى طاقتهم في النقد والتحقيق حتى استقام لهم ما استقام من شعر اطمأنوا إلى صحته وفقاً لمنهجهم العلمي فرووه ، ورواه عنهم تلاميذهم ، حتى وصل إلينا منسوباً إليهم ، مروياً عنهم .

فحديثنا إذن عن الرواية في مجموعها ، وأحكامنا على الرواية في جملتها ، أما أجزاءها ومفرداتها فلا بد لها من أن تخضع لنقد مفصل ذي شقين : خارجي يبحث في سند الرواية وتوثيق الرواة ، وداخلي يبحث في الخصائص الفنية للشاعر ومدى تحققها في قصائده . فالأصمعي وتلميذه أبو حاتم السجستاني البصريان من جانب ، والمفضل وتلميذه أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي الكوفيون من جانب آخر — كلهم ثقات أثبات مأمونون ، مختصون في موضوعهم ، لهم منهجهم في النقد والتحقيق والتحصيل ، وروايتهم لديوان امرئ القيس — من أجل ذلك — رواية لها قيمتها العلمية التاريخية . ولو اتفقوا جميعاً على رواية واحدة لأخذنا بها وقبلناها، ولكن روايتهم مختلفة ، تتسع رقعة الخلاف حين يكون الرواة

من مدرستين مختلفتين ، وتضيق حين يكونون من مدرسة واحدة . ومن أجل هذا الخلاف كان لا بد لنا من أن نتوقف ونتريث ، ونصطنع لأنفسنا منهجاً كما اصطنعوا ، ونحتكم إلى قاعدة إن لم تنته بنا إلى يقين نقطع به ، فستنتهي بنا إلى شبه يقين نطمئن إليه .

ونحسب أن خير منهج نملك الآن أسبابه — بعد هذه القرون التي باعدت بيننا وبين عصر الشعر الجاهلي وعصر العلماء الذين دونوه ورووه — هو أن نسلّم بصحة ذلك القدر من الشعر الذي اتفق عليه العلماء الرواة جميعهم واشتركوا في روايته ، وأن نتخذ من هذا القدر المشترك المتفق عليه — أصلاً لديوان الشاعر : ندروسه دراسة دقيقة لنستشف منه روح الشاعر وخصائصه الفنية ، ثم نتخذ من هذا المقياس الفني الذي نستخرجه محكاً نعرض عليه القصائد المتفرقة التي انفرد كل راوية عالم بروايتها ، فما استقام منها مع مقياسنا رجحنا صحته وضممناه إلى الديوان ، وما لم يستقم رجحنا أنه مما اختلطت نسبه على ذلك الراوية العالم .

فلو طبقنا هذا المنهج على شعر امرئ القيس لوجدنا أن المفضل الكوفي والأصمعي البصري قد اتفقا معاً على رواية عشرين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس — وهي موضحة في الثبت الملحق بهذا الفصل ، ثم لوجدنا أيضاً أن هذه القصائد العشرين التي اتفق على روايتها المفضل والأصمعي قد برئت من طعن الرواة الآخرين ، وأن الإجماع بذلك منعقد على صحتها . ومن هنا جاز لنا أن نتخذها أصلاً صحيحاً — أو أقرب ما يكون إلى الصحة — لديوان امرئ القيس ، ثم نعود على هذه القصائد العشرين بالدراسة النقدية لنستخرج منها روح الشاعر وخصائصه الفنية ، ونتخذ من ذلك مقياساً فنياً نعرض عليه القصائد السبع التي انفرد بروايتها الأصمعي ، والقصائد العشرين التي انفرد بروايتها المفضل ، والقصائد المتفرقة القليلة التي انفرد بروايتها أبو عبيدة أو أبو عمرو الشيباني أو ابن الأعرابي ، فما وجدناه منها متفقاً مع مقياسنا رجحنا صحته وأدخلناه في الديوان ، وإلا شككنا فيه ودفعناه .

قصائد امرئ القيس ومقطعاته

مرتبة كما جاءت في رواية الأصمعي
ومقارنتها بما في الروايات الأخرى

١- قِفَانَبْلُكُمِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ وَحَوْمَلِ

(١) القصيدة رقم ٣ في نسخة الطوسي من رواية المفضل الضبي .

(٢) وهي القصيدة الأولى في نسختي السكري وابن النحاس .

٢- أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يِعْمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي

(١) القصيدة الثانية في نسخة الطوسي من رواية المفضل الضبي .

(٢) وهي كذلك الثانية في نسختي السكري وابن النحاس .

٣- خَلِيلِي مُرَّأٍ بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ نُقَضُّ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

(١) القصيدة الرابعة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) القصيدة السادسة في نسخة السكري .

(٣) القصيدة السادسة والعشرون في نسخة ابن النحاس .

٤- سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا

(١) القصيدة الخامسة في نسخة الطوسي من رواية المفضل، وفي نسخة

السكري .

(٢) والسادسة عشرة في نسخة ابن النحاس .

٥- أَعْنَى عَلَى بَرَقِ أَرَاهُ وَمِيزِ يُضِيءُ حَبِيبًا فِي شَمَارِيخَ بِيْضِ

(١) في نسخة الأعلام قبل القصيدة « ويقال إنها لأبي ذؤاد الإيادي » ،

ونحن نرجع أن هذا ليس من كلام الأصمعي نفسه، وأن الأصمعي لم يكن

يشك فيها ، وإنما نسبها إلى امرئ القيس . وليس في الروايات والنسخ الأخرى ما يشير إلى شك الأصمعي فيها . فلعل هذا من كلام الأعمى نفسه .
(٢) القصيدة التاسعة في نسخة الطوسي من رواية المفضل ، وفي نسخة السكري .

(٣) القصيدة التاسعة والثلاثون في نسخة ابن النحاس .

٦- غَشِيْتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةٍ الْعِيرَاتِ

(١) القصيدة الثالثة عشرة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .
(٢) القصيدة الثامنة والثلاثون في نسخة السكري ، والحادية والثلاثون في نسخة ابن النحاس .

٧- أَلَا إِنَّ قَوْمًا كُنْتُمْ أَمْسِ دُونَهُمْ هُمْ مَنَعُوا جَارَاتِكُمْ آلَ عَدَوَانِ

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيباني ولا ابن الأعرابي ولم ترد أصلاً في نسخة الطوسي فكان الكوفيين كانوا يدفعونها .
(٢) القصيدة الثالثة والخمسون في نسخة السكري وابن النحاس .

٨- لِمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زُبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ

(١) القصيدة السابعة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .
(٢) والثالثة عشرة في نسخة السكري ، والخمسون في نسخة ابن النحاس .

٩- قِفَانَبْلُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ وَرَسْمٍ عَقَّتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَزْمَانٍ

(١) القصيدة الثامنة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .
(٢) والحادية عشرة في نسخة السكري ، والثانية والخمسون في نسخة ابن النحاس .

١٠- دَعَّ عَنْكَ نَهْأَصِيحٍ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

(١) القصيدة السادسة والثلاثون في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) والثانية والثلاثون في نسخة السكري ، والرابعة في نسخة ابن النحاس .

١١- أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيباني ولا ابن الأعرابي وأوردها

الطوسي في نسخته (رقم ٤٥) مما اختاره من رواية الأصمعي ، فكان الكوفيون كانوا يدفعونها .

(٢) القصيدة الثامنة عشرة في نسخة السكري .

(٣) والتاسعة والعشرون في نسخة ابن النحاس ونص على أن الأصمعي

أنشدها عن أبي عمرو بن العلاء .

١٢- أَمَاوِيُّ هَلْ لِي عِنْدَكُمْ مِنْ مُعْرِسٍ أَمْ الصَّرْمُ تَخْتَارِينَ بِالْوَضْلِ نَبَاسٍ

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيباني ولا ابن الأعرابي ودفعها

الكوفيون ، وقالوا إنها لبشر بن أبي خازم الأسدي ، وقد أوردها الطوسي (رقم ٤٤) مما اختاره من رواية الأصمعي .

(٢) القصيدة السادسة عشرة في نسخة السكري ، والسابعة والثلاثون في

نسخة ابن النحاس .

١٣- أَلِمَاعَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بَعْسَعَسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلُمُ أَخْرَسَا

(١) القصيدة رقم ١٤ في نسخة الطوسي من رواية المفضل ومطلعها عنده:

تَأَوَّبَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَفَلَسَا أَحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا

وهو البيت الخامس من القصيدة في رواية الأصمعي .

(٢) جاءت في نسختي السكري وابن النحاس على الرواية الكوفية ، رقم

١٩ في السكري ، ورقم ٣٦ في ابن النحاس .

١٤- لَعَمْرُكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بِحَرٍّ وَلَا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِقَرٍّ

(١) القصيدة السادسة عشرة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) والثامنة في نسخة السكرى ، والثامنة عشرة في نسخة ابن النحاس .

١٥- لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيْنَهَا بِسُحَامٍ فَعَمَائَتَيْنِ فَهَضْبٍ ذِي إِقْدَامٍ

(١) القصيدة الحادية عشرة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) والعاشرة في نسخة السكرى ، والخامسة والأربعون في نسخة ابن

النحاس .

١٦- يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالْسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلٍ

(١) القصيدة الثامنة عشرة في نسخة الطوسي من رواية المفضل ولم يرو

الطوسي منها غير بيتين مطلعهما :

وَهُنَّ أَرْسَالُ كَمِثْلِ الدَّبَا أَوْ كَقَطَا كَاطِمَةِ النَّاهِلِ

وقال جامع نسخة الطوسي إن أبا نصر أحمد بن حاتم قال : روى الأصمعي أول هذه الأبيات :

يَا دَارَ سَلَمَى دَارِساً رَسْمُهَا بِالرَّمْلِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلٍ

وهو البيت السابع في رواية الأصمعي . ومن أجل هذا ذكرها جامع نسخة

الطوسي فيما سماه « المنحول الثاني من شعر امرئ القيس » ورقمها فيه ٥٢ ، فكان الكوفيين كانوا يدفعونها .

(٢) القصيدة الخامسة عشرة في نسخة السكرى ، والثانية عشرة في نسخة

ابن النحاس .

١٧- رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مُتَلَجٍ كَفَيْهِ فِي قَتَرَةٍ

- (١) القصيدة السابعة عشرة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .
 (٢) والسابعة في نسخة السكري ، والسابعة عشرة في نسخة ابن النحاس .

١٨- يَا هِنْدُ لَا تَنْكِحِي بُؤَهَةً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا

- (١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو والشيباني ولا ابن الأعرابي ولم ترد أصلاً في نسخة الطوسي ، فكان الكوفيين كانوا يدفعونها . وذكر الآمدي أنها لامرئ القيس بن مالك الحميري .
 (٢) القصيدة السابعة عشرة في نسخة السكري .
 (٣) والثامنة والعشرون في نسخة ابن النحاس وذكر فيها « وزعموا أنها منحولة ، ورواها أبو عبيدة » .

١٩- أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْبَرَاجِمَ كُلَّهَا وَجَدَّعَ يَرْبُوعاً وَعَقَّرَ دَارِمَا

- (١) القصيدة الأربعون في نسخة الطوسي من رواية المفضل ، ونص على أن ابن الأعرابي لم يعرفها .
 (٢) التاسعة والثلاثون في نسخة السكري ، والثامنة والأربعون في نسخة ابن النحاس .

٢٠- إِنْ بَنَى عَوْفٍ أَبْتَنَوْا حَسَبَا ضَبِعُهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا

- (١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو والشيباني ولا ابن الأعرابي ، وذكرها الطوسي في نسخته رقم (٤٣) فيما اختاره من رواية أبي عبيدة والأصمعي . فكان الكوفيين كانوا يدفعونها .
 (٢) القصيدة الرابعة عشرة في نسخة السكري ، والتاسعة عشرة في نسخة ابن النحاس .

٢١- وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بِإِطْلَا (رجز)

(١) القصيدة التاسعة والعشرون في نسخة الطوسي من رواية المفضل ،
ومطلعها عنده : « يا لهف هند إذ خطئن كاهلا » وهو البيت الخامس في
رواية الأصمعي .

(٢) القصيدة الخامسة والعشرون في نسخة السكري ، والحادية عشرة في
نسخة ابن النحاس ، وهما يوردان مطلعها كما في الرواية الكوفية .

٢٢- آلا يا لهف هند إثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

(١) القصيدة التاسعة عشرة في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) والسادسة والعشرون في نسخة السكري ، والسابعة والعشرون في نسخة
ابن النحاس ، وقال « رواها الأصمعي وأبو عبيدة » .

٢٣- كاني إذ نزلت على المعل نزلت على البواخز من شمام

(١) القصيدة الثانية والثلاثون في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) والتاسعة والعشرون في نسخة السكري .

(٣) لم يوردها ابن النحاس في نسخته .

٢٤- لنعم الفتى تعشوا إلى ضوء ناريه طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

(١) القصيدة الخامسة والثلاثون في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) القصيدة الثلاثون في نسخة السكري ، والعشرون في نسخة ابن

النحاس .

٢٥- أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق إلى عمان

(١) القصيدة الرابعة والثلاثون في نسخة الطوسي من رواية المفضل .

(٢) والسادسة والثلاثون في نسخة السكري ، والرابعة والخمسون في نسخة

ابن النحاس .

٢٦- دِيمَةٌ مَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَلْوُ

- (١) رواها الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذى الرمة .
 (٢) القصيدة الثالثة والثلاثون في نسخة الطوسي من رواية المفضل .
 (٣) والرابعة في نسخة السكري ، والخامسة عشرة في نسخة ابن النحاس .

٢٧- أَحَارٍ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا

- (١) أنصاف أبيات لامرئ القيس أكمل أعجازها التوهم اليشكري
 في منازعتها الشعر ؛ وقد رواها الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء .
 (٢) لم يروها المفضل ، ولا أبو عمرو الشيباني ، ولا ابن الأعرابي ، ولم
 ترد أصلاً في نسخة الطوسي ، فكان الكوفيين كانوا يدفعونها .
 (٣) القصيدة الثانية عشرة في نسخة السكري ، والثالثة والعشرون في نسخة
 ابن النحاس .

قصائد امرئ القيس ومقطعاته

من رواية المفضل

مرت بنا - في رواية الأصمعي - جملة قصائد مما رواه المفضل لامرئ
 القيس ، فهي بذلك مما اتفق الشيخان : الأصمعي البصري ، والمفضل الكوفي ، على
 روايتها وصحة نسبتها . وهي : القصائد الست الأولى ، ثم الثامنة ، والتاسعة ، والعاشر ،
 ثم الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة والخامسة عشرة ، ثم السابعة عشرة ، ثم التاسعة عشرة ،
 ثم من القصيدة الحادية والعشرين إلى القصيدة السادسة والعشرين . وبذلك يكون
 ما اتفق الشيخان على روايته عشرين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس . ونذكر
 الآن سائر رواية المفضل من القصائد التي لم يوردها الأصمعي في روايته ، وهي :

١ - أَحَارٍ بَنَ عَمْرُو كَانَتْ خَيْرٌ وَيَعْنُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمُرُ

(١) رواها المفضل وأبو عمرو الشيباني ، أما الأصمعي فقد أنكر نسبتها لامرئ القيس ، وقال : أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء لرجل من الغمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم . وأولها عن الأصمعي :

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةُ الْعَامِرِ يَ لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ

(٢) اختارها الأعلام فيما اختاره من رواية المفضل وأبي عمرو ، وهي القصيدة التاسعة والعشرون في نسخته . وأوردها الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في نسخته لديوان امرئ القيس وهي أول ما أورده له .
(٣) القصيدة الثالثة في نسخة السكري ، ومطلعها عنده من رواية الأصمعي ، والقصيدة الرابعة عشرة في نسخة ابن النحاس .

٢ - أَلَا انْعَمَ صَبَاحاً أَبُهَا الرَّبْعُ وَانْطِقْ

وَحَدَّثَ حَدِيثَ الرِّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقْ

(١) اختارها الأعلام فيما اختار من رواية المفضل وأبي عمرو ، وهي القصيدة الثلاثون في نسخته .
(٢) القصيدة الثانية والأربعون في نسخة السكري ، والثالثة والأربعون في نسخة ابن النحاس .

٣ - أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى أَنْ نَأْتِكَ تَنْوُصُ

فَتَقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً أَوْ تَبْوُصُ

(١) اختارها الأعلام فيما اختار من رواية المفضل وأبي عمرو ، ورقمها في نسخته الحادية والثلاثون .
(٢) القصيدة الثامنة والأربعون في نسخة السكري ، والأربعون في نسخة ابن النحاس .

٤ - تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِإِلْتِمَادٍ وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرَ قَدِيرَ

(١) اختارها الأعلام فيها اختار من رواية المفضل وأبي عمرو، وهى القصيدة الثانية والثلاثون فى نسخته .

(٢) القصيدة التاسعة والأربعون فى نسخة السكرى ، والثالثة والثلاثون فى نسخة ابن النحاس .

٥ - عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سِجَالُ كَانَ شَأْنِيهِمَا أَوْشَالُ

(١) القصيدة الواحدة والأربعون فى نسخة السكرى ، والسابعة فى نسخة ابن النحاس وقد نص على أن الأصمعى لم يعرفها .

٦ - لَا تُسَلِّمْنِي يَا رَبِيعُ لِهَذِهِ وَكُنْتُ أَرَانِي قَبْلَهَا بِكَ وَائِقًا

(١) القصيدة السابعة والأربعون فى نسخة السكرى ، والرابعة والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

٧ - يَا ثَعْلًا وَأَيْنَ مِنِّي بَنُو ثَعْلٍ أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ يَحِلُّونَ بِالْجَبَلِ

(١) القصيدة الرابعة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والسادسة فى نسخة ابن النحاس .

٨ - أَخْلَلْتُ رَحْلِي فِي بَنِي ثَعْلٍ إِنَّ الْكِرَامَ لِلْكَرِيمِ مَحَلُّ

(١) القصيدة الثالثة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والخامسة فى ابن النحاس .

٩ - أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لِي شَيْنًا وَبَكِّي لِي الْمُلُوكَ الدَّاهِيَيْنَا

(١) القصيدة الواحدة والخمسون فى نسخة السكرى ، والخامسة والخمسون فى نسخة ابن النحاس .

١٠- عَفَا شَطِيبٌ مِنْ أَهْلِهِ وَغُرُورٌ فَمَرْبُوتَةٌ إِنَّ الدِّيَارَ تَلُورُ

(١) القصيدة الخامسة والخمسون في نسخة السكري ، ولم يوردها ابن النحاس في نسخته .

١١- إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لِإِبِلٍ فَمِغْزَى كَانَ قُرُونٌ جَلَّتْهَا الْعِصَى

(١) أوردها الطوسي (رقم ٢٢) في نسخته فيها أورده من رواية الأصمعي ، غير أنه قال : « كان الأصمعي يقول : امرؤ القيس ملك ولا أراه يقول هذا ، فكان الأصمعي أنكرها » . وأوردها كذلك الوزير أبو بكر في نسخته ص ١٦٥ ولكنه قال : « قال الأصمعي : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا وأحسبه للخطبة » . ومن أجل هذا أسقطناها من رواية الأصمعي .

(٢) القصيدة الخامسة والثلاثون في نسخة السكري ، والسادسة والخمسون في نسخة ابن النحاس .

١٢- أَبْعَدَ زُبْدَانِ أَمْسَى قَرَقَرًا جَلْدًا وَكَانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمٍّ مَنْضُودًا

(١) القصيدة الستون في نسخة السكري ، ولم يوردها ابن النحاس في نسخته .

١٣- تَنَكَّرْتُ لَيْلَى عَنِ الْوَضَلِ وَنَأَتْ وَرَثٌ مَعَاقِدُ الْحَبْلِ

(١) القصيدة الخامسة والأربعون في نسخة السكري .

(٢) والتاسعة في نسخة ابن النحاس ، وذكر فيها « قال ابن دريد : دفعها الأصمعي ، ورواها قوم لابن أحرر ، وهي في أصل اليزيدي » .

١٤- أَرَى نَاقَةَ الْقَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى الْإِيْنِ ذَاتَ هَيْبَابٍ نَوَارًا

(١) القصيدة الرابعة والأربعون في نسخة السكري ، والخامسة والعشرون في نسخة ابن النحاس .

١٥- وَلَقَدْ بَعَثْتُ الْعَنْسَ ثُمَّ زَجَرْتُهَا وَهَذَا وَقُلْتُ عَلَيْكَ خَيْرَ مَعَدٍّ

(١) القصيدة الثانية والثلاثون في نسخة ابن النحاس ، ولم يوردها السكري .

١٦- أَنَى عَلَى اسْتَنْبَ لَوْمَكُمَا وَلَمْ تَلُومَا حُجْرًا وَلَا عُصْمًا

(١) القصيدة السابعة والثلاثون في نسخة السكري ، والسادسة والأربعون في نسخة ابن النحاس .

١٧- لَعَمْرِي لَقَدْ بَانَتْ بِحَاجَةٍ ذِي هَوًى

سَعَادُ وَرَاعَتْ بِالْفِرَاقِ مُرَوَّعًا

(١) القصيدة الخمسون في نسخة السكري ، والحادية والأربعون في نسخة ابن النحاس .

١٨- أَبْلِغْ شَهَابًا وَأَبْلِغْ عَاصِمًا وَمَالِكًا هَلْ أَتَاكَ الْخَبْرُ مَالِ

(١) القصيدة الثالثة والأربعون في نسخة السكري ، والثامنة في نسخة ابن النحاس ، ووزن هذه الأبيات مختلط ، ويختلف في النسخ المختلفة .

١٩- أَلَا أَبْلِغْ بَنِي حُجْرٍ بَنِ عَمْرٍو وَأَبْلِغْ ذَلِكَ الْحَيَّ الْحَرِيدَا

(١) القصيدة السادسة والخمسون في نسخة السكري ، والرابعة والثلاثون في نسخة ابن النحاس .

٢٠- قَدْ أَتَانِي عَنْ مَرِيٍّ مَالِكُ لَابِنَةِ الْحِصَاءِ أَنْ هَبَهَا فَجَدَ

(١) آخر رواية المفضل . وقد قال الطوسي عن هذه القصيدة « لم يروها ابن الأعرابي » فكانها من القصائد التي أسقطها ابن الأعرابي حينما كان يصحح رواية شيخه المفضل .

(٢) لم ترد في نسخة السكري ، ولا في نسخة ابن النحاس .

وبذلك تكون قصائد امرئ القيس ومقطعاته في رواية المفضل بن محمد
الضبي - الكوفي - أربعين قصيدة ومقطعة ، اتفق هو والأصمعي على رواية
عشرين منها ، وانفرد برواية العشرين الأخرى .

٣

وقد كفانا مؤونة تفصيل الحديث عن سائر دواوين الجاهلية ما قدمناه من
حديث عن ديوان امرئ القيس ، حيث فصلنا القول تفصيلاً يكشف عن المنهج
الذي نرى أن يتهج في تتبع روايات هذه الدواوين الجاهلية ، وإرجاعها إلى
أصولها ، وتفسير ما في رواياتها من اختلاف .

أما ديوان زهير بن أبي سلمى فلا تذكر لنا المصادر العربية - من العلماء
الذين جمعوا هذا الديوان - غير ستة ، هم :

- ١ - يعقوب بن إسحق السكيت^(١) .
 - ٢ - أبو الحسن علي بن عبد الله بن سنان الطوسي^(٢) .
 - ٣ - محمد بن هبيرة الأسدي المعروف بصعوداء^(٣) .
 - ٤ - أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري^(٤) .
 - ٥ - أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري^(٥) .
 - ٦ - يوسف بن سليمان ، الأعمى الشنتمري^(٦) .
- والعجيب أنه ليس من بين هذه الأسماء عالم واحد من رواة الطبقة الأولى

(١) ابن النديم : ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٤ .

(٣) البغدادى ، الخزائن : ٣ : ٣ .

(٤) ابن النديم : ١١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ؛ - ونزهة الألباء : ١٤٥ ، وإنباه

الرواة ١ : ٢٩٣ .

(٥) ابن النديم : ١١٢ ، وياقوت ، إرشاد : ١٩ : ٣١٣ .

(٦) الخزائن : ٣ : ٢ .

من يعدُّون أصولاً ، وإنما هم جميعاً إما من تلاميذ هذه الطبقة : مثل ابن السكيت - وهو كوفي المذهب أخذ عن أبي عمرو الشيباني والقراء وابن الأعرابي ، وإما من الجُمَاع الذين جمعوا بين الروايات المختلفة ، فرجحوا كفة الكوفيين حيناً مثل : صعوداء والطوسي وابن الأنباري ، أو رجحوا كفة البصريين حيناً آخر مثل : السكري والأعلم .

فأين إذن روايات ديوان زهير التي تعدُّ أصولاً ؟ لقد أغفلت ذكرها المصادر العربية ؛ ولكنها بقيت ، مع ذلك ، فيما وصل إلينا من نسخ هذا الديوان ، أو فيما تضمنته هذه النسخ من إشارات للرواة والروايات . وهذه الأصول لديوان زهير - كما كانت أصول ديوان امرئ القيس - قسمان : أصول بصرية ، وأصول كوفية .

الأصول البصرية :

وهي أصلاًن : رواية أبي عبيدة معمر بن المنفى التيمي ، ورواية أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي .

٧ - رواية أبي عبيدة :

أما رواية أبي عبيدة فلم تُحفظ لنا كاملة ، ولم يبق لنا منها إلا قصائد متفرقة ذُكر في مقدمتها أنها من رواية أبي عبيدة ، أو ألفاظ في أبيات من قصائد أشير فيها إلى رواية أبي عبيدة كما أشير فيها إلى رواية غيره من العلماء . فقد ذكر الأعلم عند حديثه عن قصيدة زهير :

أُبْلِغُ بَنِي نَوْفَلٍ عَنِّي فَقَدْ بَلَغُوا مِنِّي الْحَفِيزَةَ لَمَّا جَاءَنِي الْخَبَرُ
أن أبا حاتم قال « لم يعرفها الأصمعي ، وعرفها أبو عبيدة » . وكذلك ذكر عند حديثه عن قصيدته :

أُبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ أَنَّ يَسَارًا أَنَا غَيْرَ مَقُولٍ

أن أبا حاتم قال: «لم يعرفها الأصمعي، وعرفها أبو عبيدة». وذكر ثعلب عند حديثه عن قصيدته:

شَطَطْتُ أُمَيْمَةً بَعْلَمًا صَقَبْتُ وَنَأْتُ وَمَا فَنِيَ الْجَنَابُ فَيَذْهَبُ

أنه «لم يروها أبو عمرو لزهير ولا لكعب»، ورواها أبو عبيدة لزهير^(١). وذكر عند حديثه عن قصيدته:

فَعَدُّ عَمَّا تَرَى إِذْ فَاتَ مَطْلَبُهُ أَضْحَى بِذَلِكَ غُرَابُ الْبَيْنِ قَدْ نَعَفَا

أن هذه الأبيات لم يعلها أبو عمرو ولا أبو نصر، ولم يعرفها الأصمعي، ولكن «رواها أبو عبيدة وهي صحيحة عنده»^(٢) وأنكر أبو عبيدة قصيدة زهير:

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلُهَا مَا تَبْتَغِي غُطْفَانَ يَوْمَ أَصْلَتْ

وقال إنها لقُرَاد بن حنش من شعراء غطفان، وأن زهيراً ادعى هذه الأبيات^(٣). أما روايات أبي عبيدة لبعض الألفاظ في أبيات من قصائد زهير فكثيرة جداً وقد أشار إليها الأعلام وثلعب في مواطن كثيرة من شرحهما.

٨ - رواية الأصمعي:

أما رواية الأصمعي فقد حُفِظَتْ لَنَا كَامِلَةً، حفظها الأعلام الشتمري في مجموعته «دواوين الشعراء الستة»^(٤). وقد مر بنا أن الأعلام ذكر في مقدمة

(١) شرح ديوان زهير (ط. دار الكتب) ص: ٣٦٨.

(٢) معهد إحياء المخطوطات العربية، فيلم ٨٢٢، ورقة: ١٣٣. انظر ديوان زهير

(دار الكتب): ٤١.

(٣) ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٦٨.

(٤) طبع ديوان زهير - من نسخة الأعلام - ثلاث طبعات، الأولى: ضمن كتاب العقد

الثلثين في دواوين الشعراء الستة الجاهلية، تحقيق أهلوارد ط. لندن سنة ١٨٧٠، وهو شعر مجرد من غير شرح. والثانية: أصدرها لاندبرج G. Landberg وهي «الطبعة الثانية» من سلسلته =

مجموعته أنه اعتمد - في نسخته لدواوين هؤلاء الشعراء - على أصح رواياتها ،
وهي رواية الأصمعي ، قال : « واعتذرت فيما جلبته من هذه الأشعار على أصح
رواياتها ، وأوضح طرقاتها ، وهي رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي ،
لتواطؤ الناس عليها ، واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها ،
وأثبت ما صح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره . . . ومن عادة الأعلام
في مجموعته هذه أنه يستوفى رواية الأصمعي كاملة في كل ديوان من هذه
الدواوين ، ثم يتبعها بقصائد مختارة للشاعر يختارها من غير رواية الأصمعي ، ثم
ينص على هذه المختارات من رواية الكوفيين وخاصة المفضل وأبا عمرو الشيباني .
وعلى هذا الأساس الواضح أورد الأعلام ثمانى عشرة قصيدة ومقطعة لزهير ثم ذكر
في ختامها ما يلي ^(١) : « كل جميع ما رواه الأصمعي من شعر زهير ، ونصل به
بعض ما رواه غيره إن شاء الله » . ثم يورد قصيدتين ذكر أنهما مما رواه أبو عمرو
والمفضل ، ويختم نسخته بقوله ^(٢) : « كل جميع شعر زهير مما رواه الأصمعي
وأبو عمرو والمفضل .. » . وسنورد مطالع هذه القصائد في ثبوت نلحقه بهذا الحديث .
غير أن الأعلام قد أورد - فيما أورده من رواية الأصمعي لشعر زهير -
ثلاث قصائد ليست من رواية الأصمعي ، وقد نص في الأوليتين منها - وقد مر
ذكرهما قبل قليل - على أن أبا حاتم السجستاني قال : « لم يعرفها الأصمعي وعرفها
أبو عبيدة » . وذكر في حديثه عن القصيدة الثالثة ، وهي :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرَى النَّاسُ مَا أَرَى

مِنَ الْأَمْرِ أَوْ يَبْذُو لَهُمْ مَا بَدَا لِيَا

= طرف عربية ، ط . ليدن سنة ١٨٨٩ وفيها شرح الأعلام . والثالثة : طبعت بالمطبعة الحميدية بمصر
سنة ١٣٢٣ هـ : وفيها شرح الأعلام كذلك . أما نسخة الأعلام من مجموعة الدواوين الستة الكاملة ،
فقد ذكرنا عند حديثنا عنها قبل صفحات أن منها مخطوطتين في دار الكتب المصرية برقم ٤٥٠
تيمور ٨١ ش - وذلك غير النسخ التي ذكرها أهلوارد في طبعتها وأشرنا إليها في حديثنا عن
ديوان امرئ القيس .

(١) شرح ديوان زهير للأعلام . المطبعة الحميدية سنة ١٣٢٣ هـ ، ص : ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ٩٨ .

أن الأصمعي قال^(١): « ليست لزهير ، ويقال : هي لصرمة الأنصاري ولا تشبه كلام زهير . » فإذا كانت هذه القصيدة الثالثة من رواية أبي عبيدة أيضاً ، جاز لنا أن نفرض أن الأعلام قد أورد في القسم الأول من نسخته ما صح من رواية شيوخ البصرة : الأصمعي وأبي عبيدة ، وإن كان قد جعلُ جُلَّ اعتماده على رواية الأصمعي . وسنعود إلى الحديث عن رواية الأصمعي بعد أن نستوفى حديثنا عن الأصول الكوفية .

الأصول الكوفية :

٩ - ١١ - أما علماء الكوفة من الطبقة الأولى من الرواة الذين روى ديوان زهير فهم : حماد الراوية ، والمفضل بن محمد الضبي ، وأبو عمرو الشيباني . غير أن روايات هؤلاء العلماء لم تصلنا منفردة ، مستقلة ، بل جاءتنا مختلطة متداخلة في مجموعة نُسِبت مع شرح أبياتها إلى ثعلب ، وقد طبعت هذه المجموعة من الروايات بدار الكتب المصرية ، وفي مقدمتها حديث مفصل عن ترجيح نسبتها إلى أبي العباس ثعلب . وقد اعتمدت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية ذكرت أوصافها وأرقامها في مقدمتها . ودراسة هذه الطبعة تدلنا على أن ثعلباً قد جمع في مجموعته بين الروايات الكوفية والروايات البصرية ، فكثيراً ما يورد في شرحه شروحاً للأصمعي وأبي عبيدة ، وكثيراً ما يورد رواياتهما المختلفة في الألفاظ والأبيات ، وحسبنا أمثلة قليلة على ذلك : فقد أورد سبعة وثلاثين بيتاً من قصيدة زهير :

صَحَّاحَ الْقَلْبِ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

ثم قال^(٢): « وهذه آخر رواية أبي عمرو ، وروى أبو عبيدة والأصمعي . . »

(١) شرح ديوان زهير للأعلام : ٨٦

(٢) ص : ١٤٢ .

ثم يورد سبعة أبيات من روايتهما . أما في قصيدته :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّ الْبَيْنِ فَانْفَرَقَا وَعَلَّقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْهَاءِ مَا عَلِقَا
فهو يثبت في أصل أحد أبياتها وهو قوله :

وَقَابِلٌ يَتَغَنَّى كُلَّمَا قَدَرْتُ عَلَى الْعَرَاقِ يَدَاهُ قَائِمًا دَقَقَا
رواية أبو عبيدة، وينص على ذلك بقوله^(١) : « روى أبو عبيدة قائماً بالنصب ، وروى غيره بالرفع » .

ثم يذكر بيت زهير^(٢) :

وذاك أَخْزَمُهُمْ رَأْيًا إِذَا نَبَأُ مِنَ الْحَوَادِثِ أَمْرًا آتٍ أَوْ طَرَقَا
وهو من غير رواية أبي عمرو ، ثم ينص على أن البيت في رواية أبي عمرو هو :
وَمَنْ يَفْوَقهُمْ أَمْرًا إِذَا فَرَّقُوا مِنَ الْحَوَادِثِ أَمْرًا آتٍ أَوْ طَرَقَا
ثم يورد ستة أبيات ينص على أنها من رواية أبي عمرو^(٣) ، وأربعة أبيات أخرى ينص على أنها مما روى أبو عمرو والأصمعي^(٤) ، ويورد في آخرها بيتين يذكر أنهما « من غير هذه الرواية » و « أن الأصمعي لم يروهما »^(٥) . وكذلك ذكر ستة عشر بيتاً من قصيدة زهير :

لِمَنْ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ
ثم يقول^(٦) : « هذا آخر رواية أبي عمرو » ، ويكمل القصيدة في اثنين وعشرين

(١) ص : ٤٠ .

(٢) ص : ٤٨ .

(٣) ص : ٤٩ - ٥٢ .

(٤) ص : ٥٣ - ٥٤ .

(٥) ص : ٥٥ .

(٦) ص : ٩٤ .

بيتاً من غير رواية أبي عمرو . وكثيراً ما يثبت في أصل البيت لفظة أو ألفاظاً من غير رواية أبي عمرو ، وينص على ذلك ، ثم يذكر روايته في تلك الألفاظ ^(١) . وأكثر من ذلك أنه يورد قصيدة « لم يروها أبو عمرو لزهير ولا لكعب ، ورواها أبو عبيدة لزهير » ^(٢) .

فيتضح لنا من كل ذلك أن هذه النسخة قد جمعت من قصائد زهير ما رواه البصريون وما رواه الكوفيون . غير أن هذا الجمع بين روايات المدرستين لا ينفي نسبة هذه النسخة إلى أبي العباس ثعلب . وذلك أن ثعلباً — مع أنه كان كوفي المذهب بل إمام أهل الكوفة في زمنه — قد روى كتب علماء البصرة أيضاً ، فروى « عن ابن نجدة كتب أبي زيد ، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة ، وعن أبي نصر كتب الأصمى . . » ^(٣) وقد ذكر أبا نصر والأثرم في مواطن كثيرة من نسخته هذه ^(٤) .

وقد تضمنت هذه النسخة ثلاثاً وخمسين قصيدة ومقطعة لزهير ، روى خساً منها عن حماد الراوية ^(٥) ، ونص على واحدة منها بقوله : « وهي متهمة عند المفضل » ومع ذلك رواها أبو عمرو ^(٦) . وذكر في أربع آخر منها أنها « يشك » في نسبتها إلى زهير ، وأنها قد تروى لغيره ^(٧) .

ويبدو أن هذه النسخة — بالرغم من جمعها بين روايات مختلفة — قد اتخذت من رواية أبي عمرو الشيباني أصلاً ، ثم أضاف جامع هذه النسخة عليها

(١) انظر مثلاً ص : ٧٠ - ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٥ ،

١٢٩ .

(٢) ص : ٣٦٩ .

(٣) ياقوت ، إرشاد : ١١٩ .

(٤) انظر مثلاً ص : ٨١ ، ١٢٣ ، ١٧٢ ، ٢٣٥ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠ .

(٥) ص : ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ .

(٦) ص : ٢٦٥ .

(٧) ص : ٢٥٣ ، ٢٨٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ .

ما وجدته عند غيره من تعليقات أو اختلاف في روايات الألفاظ . وقد جعلنا نذهب إلى هذا الافتراض أننا عثرنا على نسخة مصورة على ميكروفيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية - وأصلها محفوظ في مكتبة نور عثمانية بتركيا (١) - وقد نص في آخر هذه النسخة على ما يلي :

« فهذا جميع ما رواه أبو عمرو ، وأبو نصر ، والأصمعي ، لزهير من الشعر . . . وكتب محمد بن منصور بن مسلم رحمه الله بمنهج سنة خمسة (كذا) وسبعين وخمسمائة ، والأصل الذي نقله منه كتب من أصل ابن كيسان النحوي رحمه الله في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وكان قد قرأ جميعه على أحمد بن يحيى ثعلب ، وكان قد قرئ على أبي عمرو الشيباني . . . » وفي هذه النسخة سبع وخمسون قصيدة ، خمس منها غير موجودة في النسخة المطبوعة ، وتمتاز هذه النسخة - على النسخة المطبوعة - بكثرة ما فيها من إشارات إلى الشك في صحة نسبة بعض القصائد إلى زهير . فقد ذكر قصيدته :

أَتَوَيْتَ أُمَّ أَجْمَعْتَ أَنَّكَ غَادٍ وَعَدَاكَ عَن لُطْفِ السُّؤَالِ عَوَادٍ
وقال : « أبو عمرو لم يرو هذه القصيدة وقال إنها لكعب ابنه » . مع أن هذه التعليقة غير مذكورة في المطبوعة . وذكر كذلك قصيدته :

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي سُبَيْعٍ وَأَيَّامُ النُّوَابِ قَدْ تَدَوَّرُ
وقال : إن أبا عمرو قال : « هذه لرجل من بني عبد الله بن غطفان » . وليست هذه التعليقة في المطبوعة . وذكر قصيدته :

وَحَالِي الْجَبَا أَوْرَدَتْهُ الْقَوْمَ فَاسْتَقَوْا بِسُفْرَتِهِمْ مِنْ آجِنِ الْمَاءِ أَصْفَرَا (٢)

(١) فيلم رقم : ٨٢٢ .

(٢) مظهرها في ديوان كعب المطبوع ص : ١٢٢ :

أَبَتْ ذِكْرَةً مِنْ حُبِّ لَيْلٍ تَعُوذُنِي عِيَادَ أَخِي الْحُمَى إِذَا قَلْتُ أَقْصَرَا

وقال: « قال أبو عمرو والشيباني: هذه لكعب ابنه ». وليست في المطبوعة أيضاً .
وذكر مقطعه :

أَرَادَتْ جَوَازًا بِالرُّسَنِسِ فَصَدَّهَا رِجَالٌ قُعُودٌ فِي الدُّجَى بِالْمُعَابِلِ
وقال: « ويروى أنها لكعب بن زهير ، وهي في شعره طويلة ». وليست هذه
التعليقة في المطبوعة .

وذكر قصيدته :

هَلْ تُبْلِغُنِي إِلَى الْأَخْبَارِ نَاجِيَةً تَخْدِي كَوَخْدِ ظَلِيمٍ خَاصِبٍ زَعِرٍ
وقال: « ويقال هي منحولة ».
وذكر قصيدته :

لَوْ كَانَ يَفْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا^(١)
وقال: « ولم يملها أبو نصر ، ويقال هي لأبي الجويرية العبدى ، وهي في شعره
طويلة » .

وذكر قوله :

هَاجَ الْفُؤَادَ مَعَارِفُ الرَّسَمِ قَفَرٌ بِذِي الْهَضَبَاتِ كَالْوَشَمِ

وقال: « ولم يملها أبو نصر . قال أبو عمرو والشيباني: هي لأوس بن أبي سلمى » .
وجميع هذه التعليقات ، زيادة في هذه النسخة ، غير مذكورة في النسخة
المطبوعة . أما التعليقات المذكورة في المطبوعة فموجودة أيضاً في هذه النسخة . فإذا
أضفنا هذه القصائد التي نص على الشك في صحة نسبتها لزهير - وهي سبع - إلى
القصائد الخمس التي نص في المطبوعة على هذا الشك فيها ، كان مجموع هذه

(١) مطلما في المطبوعة :

هَلْ فِي تَذَكُّرِ أَيَّامِ الصَّبَا فَنَدُّ أَمْ هَلْ لِمَا قَاتَ مِنْ أَيَّامِهِ رَدُّ

القصائد المشكوك فيها اثنتى عشرة قصيدة من ثلاث وخمسين . وبذلك تكون رواية الكوفيين - فى مجموعها - لقصائد زهير إحدى وأربعين قصيدة ومقطعة ، وهى تتضمن القصائد التى أوردناها الأعلـم من رواية الأصمعى وأبى عبيدة ، والقصيدتين اللتين اختارهما من رواية أبى عمرو والمفضل .

• • •

فإذا عدنا إلى الحديث عن رواية الأصمعى ، وجدنا أنها خمس عشرة قصيدة ومقطعة فقط ، وذلك أن الأعلـم قد أورد - كما مر بنا ، وكما سيمر بعد قليل - ثمانى عشرة قصيدة ذكر فى ختامها أنها رواية الأصمعى ، ولكن الأعلـم ذكر - فى معرض حديثه عن ثلاث من هذه القصائد - أن الأصمعى لم يعرفها وأنه أسقطها من روايته . وبذلك يكون ما صححه الأصمعى ، فى روايته ، من شعر زهير خمس عشرة قصيدة ومقطعة . وقد وجدنا أن هذه القصائد الخمس عشرة كلها مضمنة فى القصائد التى رواها علماء الكوفة لزهير ، وأن أحداً من العلماء لم يطلع عليها فى صحة نسبتها بشىء ، وإن كان ثمة خلاف فى نسبة أبيات قليلة من بعض هذه القصائد . وبذلك نستطيع أن نطمئن إلى أن هذه القصائد الخمس عشرة هى التى أجمع الرواة ، من البصريين والكوفيين ، على صحة نسبتها لزهير ، فنتخذها أصلاً صحيحاً لديوانه ، ندرسها دراسة فنية تكشف خصائصها وتبين ما فيها من عناصر شخصية الشاعر ، لنتخذ من كل ذلك مقياساً فنياً نحتكم إليه فى القصائد الأخرى التى رواها الكوفيون ، فما انطبق منها على هذا المقياس رجحنا صحة نسبته إلى زهير وضممناه إلى ديوانه ، وما لم يستقم منها مع هذا المقياس رجحنا أنه مما نسب خطأ إلى زهير أو وضع عليه .

فإذا ما بحثنا عن الجذور الأولى لديوان زهير ، وجدناها جذوراً عميقة تضرب فى القدم حتى لتكاد تتصل بزهير نفسه ، ثم تمتد منه خلال القرن الأول حتى تتصل - فى مطلع القرن الثانى - بأبى عمرو بن العلاء ، وبحماد الراوية ، ثم من

بعدهما بالأصمعي ، وسائر علماء البصرة والكوفة . فقد ذكر السكري ^(١) أن ديواني زهير وكعب كانا عند بني غطفان ، فكانوا يحفظون شعرهما ، وذلك لأن زهيراً وابنه كعباً كانا مقيمين في بني عبد الله بن غطفان . وكان عمر بن الخطاب يقدم زهيراً ويفضله ، وقد حكم على شعره حكماً يدل على معرفة به ودراسته له ، قال ^(٢) : « كان لا يعاقل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه » . وكان يحب أن يسمع شعره ، واستنشد ليلة ابن عباس شعر زهير فأنشده حتى برق الفجر ^(٣) ، وكان جرير أيضاً يقدم زهيراً ويفضله وقال عنه إنه أشعر أهل الجاهلية ^(٤) . ولا تعني هذه الأحكام إلا من حيث دلالتها على معرفة القوم آنذاك بشعر زهير معرفة تتيج لهم الحكم عليه .

وقد مر بنا كذلك أن الخطيئة كان راوية زهير ، وأن الشعر اتصل في ابنه كعب بن زهير ، وابن كعب : عقبة المضرب ، وابن ابنه : العوام بن حقة ، حتى لقد قرأ أبو عمرو الشيباني شعر زهير أو بعضه على بعض بني زهير ^(٥) ، وحتى لقد روى التبريزي قصيدة كعب : « بانت سعاد » من طريق أحد أبنائه صنداً ، وهو : الحجاج بن ذى الرقية بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب بن زهير .

وكان ممن درس شعر زهير ودرسه منذ مطلع القرن الثاني : أبو عمرو بن العلاء ، قال المازني ^(٦) : « قال لي أبو زيد : قرأت هذه القصيدة — يعني معلقة زهير — على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي : قرأت هذه القصيدة منذ خمسين

(١) أشار إلى ذلك كرنكو Krenko في مقاله عن « استعمال الكتابة في حفظ الشعر العربي القديم » ص ٢٦٦ ، ولم يشر إلى مصدره ، ولم نجد هذا النص فيما بين أيدينا من مصادر ، فلعل كرنكو اطلع عليه في إحدى مخطوطات ديوان زهير أو كعب التي كانت بين يديه .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٥٢ .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٩١ .

(٤) المصدر السابق ١٠ : ٢٨٩ .

(٥) مصورة مهدي لإحياء المخطوطات المربية فيلم رقم ٨٢٢ ، في معرض الحديث عن البيت الأول من المعلقة ، وانظر أيضاً الأغاني ١٠ : ٢٨٧ .

(٦) التبريزي ، شرح المملقات : ١٢٦ ، وانظر كذلك شرح ديوان زهير لثعلب : ٣٢ .

سنة فلم أسمع هذا البيت إلا منك « - يعنى بيته :

وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَخِيلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُغْنِهَا يَوْماً مِنَ النَّاسِ يُسَامَ
ولم يكن أبو زيد وحده هو الذى قرأ شعر زهير على أبي عمرو بن العلاء ، وإنما
قرأه أيضاً الأصمعى ، وقد روى عن أبي عمرو فى مواطن متعددة ، بعضها فيه نقد
أدبى طريف ، فمن ذلك أنه يذكر بيت زهير :

إِذَا لَقِيتَ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تُهْرِ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُضْلُ
ثم يقول ^(١) : « سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : قال زهير " حرب مضرة " ،
ولو كان إلى لقلت " حرب مصرة " أى تعترزم وتمضى » . ومن أمثلة ذلك أيضاً
أنه يذكر بيته :

هَذَاكَ إِنْ يُسْتَخْبِلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا وَإِنْ يُسَالُوا يُغْطُوا وَإِنْ يَنْسِرُوا يُغْلُوا
ثم يقول الأصمعى عن أبي عمرو بن العلاء ^(٢) « ولو أنشدتها لأنشدتها :

هَذَاكَ إِنْ يُسْتَخْلُوا الْمَالَ يُخْلُوا »

ويبدو أن الأصمعى لم يكتفِ برواية شعر زهير عن أبي عمرو بن العلاء
وحده - كما لم يكتفِ بروايته شعر امرئ القيس على ما مر بنا - وإنما أضاف
إلى روايته ما أخذه عن غيره من العلماء أو ما سمعه من الأعراب الرواة ، ثم قرأ ذلك
كله وقرئ عليه ، وآية ذلك أننا نجد للأصمعى روايات لبعض الألفاظ وشروحات
لبعض الأبيات فى القصائد التى أسقطها من روايته ونص على أنها ليست لزهير ^(٣) .
ولذلك فنحن نرجح هنا - كما رجحنا فى حديثنا عن رواية الأصمعى لديوان

(١) شرح ديوان زهير لثعلب : ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق : ١١٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ ،

٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ وغيرها ...

امرئ القيس - أن الأصمعي قد وجد أمامه ديوان امرئ القيس ترائاً يُتَنَاقَلُ ويروى ويتدارس، فكان لا بد له - في مجالس علمه - من أن يقرأه جميعه ، ويقرئه تلامذته ، واكتنه كان كلما مر بقصيدة نص على رأيه في صحة نسبتها إلى زهير ، إثباتاً أو نفيًا ، ثم يشرح القصيدة في الحالتين ، ويذكر بعض روايات ألفاظها ، غير أنه لم يثبت في نسخته من ديوان زهير التي رواها عنه تلاميذه ، إلا ما ثبت لديه أنه لزهير حقًا ، فكان مجموع ذلك هذه القصائد الخمس عشرة التي أشرنا إليها .

قصائد زهير ومقطعاته

مرتبة كما جاءت في رواية الأصمعي

ومقارنتها بما في النسخ الأخرى

١ - أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَنَلِّمِ

(١) القصيدة الأولى في ثعلب .

(٢) والأولى كذلك في مخطوطة نور عثمانية ، وفيها بعد البيت الأول « قال

أبو عمرو : قرأت على بعض بني زهير : الدراج برفع الدال » .

٢ - صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو

وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيْقُ فَالْتُّقُلُ

(١) القصيدة الخامسة في ثعلب .

(٢) والسادسة عشرة في نور عثمانية ، إلا أنها هنا شطرت شطرين ، فجعلت

قصيدتين لا قصيدة واحدة ، وذلك بأن ذكرت بعض أبياتها الأخيرة في هذه المخطوطة (ورقمها ٥٤) وقبلها قوله : « وهذه الأبيات زيادة لم يروها أبو نصر ،

وليست في روايته ، أنشدتها بعض العلماء ! » .

٣- صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ
وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

(١) آخرها في رواية الأصمعي :

يهد له مادون رسالة عالج ومن أهله بالغور زالت زلازله
قال الأعلام ص ٣٣ : « وهذا البيت آخر القصيدة في رواية الأصمعي ،
ويلحق بالقصيدة البيتان اللذان بعده وهما لحوات بن جبير الأنصاري ... »
(٢) القصيدة السابعة في ثعلب ، وقد قال في ص ١٤٢ :
« وهذه آخر رواية أبي عمرو ، وروى أبو عبيدة والأصمعي ... » ثم يذكر
سبعة أبيات .

(٣) القصيدة التاسعة في نور عثمانية .

٤ - إِنَّ الْخَلِيطَ أَجْدًا لَبِينًا فَانْفَرَقَا وَعَلَّقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا

(١) آخرها في رواية الأصمعي :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَبَنَقَا

وذكر الأعلام ص ٤١ بيتين بعده عن غير الأصمعي .

(٢) القصيدة الثانية في ثعلب ، وقد أورد قبيل آخرها ستة أبيات نص على
أنها من رواية أبي عمرو (ص ٤٩ - ٥٢) ثم أربعة أبيات نص على أنها مما
روى أبو عمرو والأصمعي (ص ٥٣ - ٥٤) ، ثم بيتين في آخرها نص
على أنهما « من غير هذه الرواية » وأن الأصمعي لم يروهما (ص ٥٥) .
(٣) القصيدة الثانية كذلك في نور عثمانية ، وقد ذكر أن أبا عمرو لم يرو
آخرها بيتاً .

• - بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأُؤُوا لِمَنْ تَرَكَوْا
وَزَوْدُوكَ اشْتِبَاقاً أَيْةً سَلَكَوْا

(١) القصيدة التاسعة في ثعلب .

(٢) والخامسة في نور عثمانية .

٦ - تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَتَّى يُنَادَى فِي شِعَارِهِمْ بِسَارُ

(١) القصيدة الخامسة والعشرون في ثعلب .

(٢) والثامنة والعشرون في نور عثمانية .

٧ - ^(١) قِفْ بِالْذِّبَارِ الَّتِي لَمْ يَغْفُهَا الْقِدَمُ بَلَى ، وَغَيْرَهَا الْأَزْوَاحُ وَالْدَّيَمُ

(١) الثامنة في ثعلب ، والسابعة عشرة في نور عثمانية .

٨ - لِمَنِ الذِّبَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ

(١) ذكر الأعلام آخرها بيتاً عن غير الأصمعي ، ص ٦٤ .

(٢) القصيدة الرابعة في ثعلب ، وهو يورد منها ستة عشر بيتاً ثم يقول :

« هذا آخر رواية أبي عمرو » ص ٩٤ ، ويكمل عدة القصيدة اثنين وعشرين بيتاً .

(٣) القصيدة العشرون في نور عثمانية .

٩ - عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءُ فَيُؤْمِنُ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ

(١) ذكر الأعلام البيت السابع منها عن غير الأصمعي ، ص ٦٥ .

(٢) القصيدة الثالثة في ثعلب .

(٣) والثالثة أيضاً في نور عثمانية .

(١) جاء في أصل الأعلام - بعد القصيدة السادسة - قصيدتان لم يروها الأصمعي ، ولذلك أسقطناها ، وهما قوله :

١٠- لِمَنْ طَلَّلُ بِرَامَةٍ لَا يَرِيْمُ عَفَا وَخَلَا لَهُ حُتْبٌ قَلِيْمٌ

(١) القصيدة الثانية عشرة في ثعلب ، والتاسعة عشرة في نور عثمانية ،

١١- أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيْمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظُّنُونُ

(١) القصيدة العاشرة في ثعلب ، ولم يرو أبو عمرو فيها الأبيات الثلاثة

الأخيرة في رواية الأصمعي .

(٢) القصيدة الرابعة في نور عثمانية .

١٢- رَأَيْتُ بَنِي آلِ امْرِئِ الْقَيْسِ أَصْفَقُوا

عَلَيْنَا وَقَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ أَكْثَرُ

(١) القصيدة الثالثة عشرة في ثعلب ، والثانية عشرة في نور عثمانية .

١٣- إِنْ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَغِي غُطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ

(١) القصيدة الثامنة والثلاثون في ثعلب ، والسادسة والعشرون في نور عثمانية .

(٢) رواها الأصمعي - في الأعل - في ثلاثة أبيات ، وجاءت في ثعلب

ونور عثمانية في خمسة أبيات ، ووردت في طبقات ابن سلام في أربعة أبيات

(ص ٥٦٨ - ٥٦٩) وقال ابن سلام : « حدثني أبو عبيدة قال : كان قراد

ابن حنش من شعراء غطفان وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان

تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ادعى هذه الأبيات » .

= أَبْلِغُ بَنِي نَوْفَلٍ عَنِّي فَقَدْ بَلَغُوا مِنِّي الْحَفِیْظَةَ لَمَّا جَاءَ فِي الْخَبَرِ

(١) روى الأعل (ص ٤٩) خبرها عن أبي حاتم وقال : « لم يعرفها الأصمعي وعرفها

أبو عبيدة » .

(٢) القصيدة السادسة والعشرون في ثعلب ، والسادسة في نور عثمانية . وقوله :

أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ أَنْ يَسَارَا أَتَانَا غَيْرَ مَقْلُولِ

(١) قال الأعل ص ٥٠ : « قال أبو حاتم : لم يعرفها الأصمعي : وعرفها أبو عبيدة » .

(٢) القصيدة السابعة والعشرون في ثعلب .

(٣) القصيدة السابعة في نور عثمانية .

ولما كان إجماع الرواة منعقداً على أن زهيراً قال هذا الشعر فلنأترجح أن الأبيات الثلاثة التي رواها الأصمعي صحيحة النسبة لزهير ، أما البيتان الآخران فلعلهما من شعر مُقرّاد بن حَنْشَس الذي أدخل في شعر زهير .

١٤- لَعَمْرُكَ وَالْخُطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وَفِي طُولِ الْمُعَاشِرَةِ التَّغَالِي

(١) الثالثة والأربعون في ثعلب ، والخامسة والثلاثون في نور عثمانية .

١٥- ^(١) وَقَالَتْ أُمُّ كَعْبٍ لَا تَنْزِرْنِي فَلَا وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَزَارٍ

(١) التاسعة والثلاثون في ثعلب .

(٢) والسابعة والعشرون في نور عثمانية .

(١) جاء بعد القصيدة الرابعة عشرة - في أصل الأعم - قصيدة أنكرها الأصمعي ولذلك أسقطناها من روايته وهي :

أَلَا كَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرَى النَّاسُ مَا أَرَى مِنْ الْأَمْرِ أَوْ يَبْدُو لَهُمْ مَا بَدَا لِيَا

(١) في الأعم ص ٨٦ « قال الأصمعي : ليست لزهير ويقال : هي لصرة الأنصاري ولا تشبه كلام زهير » .

(٢) القصيدة الثالثة والعشرون في ثعلب ، وقد رواها عن حماد ، ثم قال

(ص ٢٨٣) : « وزعم بعض الناس أنها لصرة بن أبي أس الأنصاري » . وانظر

كذلك كتاب الممجرين لأبي حاتم السجستاني : ٦٦ - ٦٧ .

(٣) القصيدة العاشرة في نور عثمانية .

الفصل الثاني

دواوين القبائل

١

إن أول ما يستوقف الباحث في دواوين القبائل هذا الحشد الهائل من أسماء كتب القبائل ودواوين شعرها ، الذي تزخر به بعض كتب القرن الرابع الهجري وخاصة كتابي : الفهرست لابن النديم ، والمؤتلف والمختلف للآمدي . فقد ذكر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) ستين ديواناً من دواوين القبائل ، هي في ترتيبنا لها على حروف الهجاء كما يلي :

- | | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ١ - أشعار الأزد | ٢ - كتاب بني أسد |
| ٣ - كتاب أسلم | ٤ - كتاب أشجع |
| ٥ - كتاب بني أعصر | ٦ - كتاب إباد |
| ٧ - كتاب باهلة | ٨ - كتاب بجيلة |
| ٩ - كتاب بيلي | ١٠ - أشعار بني تغلب |
| ١١ - كتاب جرّم | ١٢ - كتاب بني جعق |
| ١٣ - كتاب جهمية | ١٤ - كتاب بني الحارث بن كعب |
| ١٥ - أشعار حمير | ١٦ - كتاب بني حنيفة |
| ١٧ - كتاب خثعم | ١٨ - كتاب خزاعة |
| ١٩ - كتاب بني ذهل بن ثعلبة | ٢٠ - أشعار الرّباب |
| ٢١ - كتاب بني ربيعة بن ذهل | ٢٢ - كتاب بني سعد |
| ٢٣ - كتاب بني سعيد | ٢٤ - كتاب بني سليم |

- ٢٥ - كتاب السكون
 ٢٦ - كتاب بني ضبّة
 ٢٧ - كتاب بني طهية
 ٢٨ - كتاب بني ضبيعة
 ٢٩ - كتاب بني طهية
 ٣٠ - كتاب طي
 ٣١ - أشعار بني عامر بن صعصعة
 ٣٢ - شعر عبد القيس
 ٣٣ - كتاب بني عبد الله بن غطفان
 ٣٤ - كتاب بني عيس
 ٣٥ - كتاب بني عجل
 ٣٦ - كتاب عدوان
 ٣٧ - كتاب بني عدرة
 ٣٨ - كتاب بني عقيل
 ٣٩ - كتاب عنزة
 ٤٠ - أشعار بني عوف بن همام
 ٤١ - كتاب غني
 ٤٢ - كتاب فزارة
 ٤٣ - أشعار فهم
 ٤٤ - كتاب بني قريظة
 ٤٥ - كتاب بني قشير
 ٤٦ - كتاب بني قيس بن ثعلبة
 ٤٧ - كتاب بني القين
 ٤٨ - كتاب بني كلاب
 ٤٩ - كتاب كلب بن وبرة
 ٥٠ - كتاب كنانة
 ٥١ - كتاب بني محارب
 ٥٢ - كتاب بني مرة بن عوف
 ٥٣ - كتاب مزينة
 ٥٤ - كتاب نهد
 ٥٥ - كتاب بني نهشل
 ٥٦ - كتاب بني هاشم
 ٥٧ - كتاب بني الهجيم
 ٥٨ - شعر هذيل
 ٥٩ - شعر بني يشكر
 ٦٠ - مقطعات الأعراب

ولم ينسب الآمدي شيئاً من هذه الدواوين إلى جامع أو صانع من الرواة العلماء ، بل أرسلها هكذا « غفلاً » ، إلا ديوانين منها ، الأول : أشعار بني تغلب ، فقد قال في معرض حديثه عن ابن جعفل التغلبي ^(١) « وله فيما تنخلته من أشعار بني تغلب مقطعات حسان » . وذلك لا ينفي أنه كان بين يديه ديوان

لبنى تغلب ، وأنه قد اختار من هذا الديوان قصائد ومقطعات تنخلها . والثاني : أشعار الرباب ، وذلك قوله^(١) : « وجدت في أشعار الرباب عن المفضل وحاد » ، ثم يذكر شعراً . وهذه الإشارة قد تحتل أن ديوان الرباب كله عن المفضل وحاد ، وقد تعنى أن في هذا الديوان شعراً عنهما كان من جملة هذا الشعر الذي أورده .

والمعجب أن الآملى يذكر أحياناً في سياق حديثه أن بين يديه ديوانين لقبيلة واحدة : أحدهما صنعه السكرى ، والآخر يغفل ذكر صانعه . فن ذلك مثلاً قوله^(٢) : « وذكر أبو سعيد السكرى بعد حرملة بن عسلة : عبد المسيح ابن عسلة والمسيب بن عسلة . . . وأنشد لعبد المسيح بن عسلة (ويذكر شعراً) ، وأنشد للمسيب بن عسلة (ويذكر شعراً) . . . وأنشد أبو سعيد لهما مقطعات أخر ، ولم أر لهما في قبيل شييان ذكراً وإنما المذكور هناك حرملة وحده » . فبين يدي الآملى إذن ديوانان لقبيلة شييان ، أحدهما صنعه السكرى وذكر فيه عبد المسيح بن عسلة وأخاه المسيب بن عسلة ، وأورد لهما فيه شعراً . والثاني لم يُسم لنا الآملى صانعه ، ولم يرد فيه ذكر لهذين الشاعرين ولا شعر لهما ، وإنما المذكور فيه أخوهما حرملة بن عسلة وحده .

أما أبو الفرج محمد بن إسحق النديم (المتوفى سنة ٣٨٥) ، فقد ذكر في فهرسته ثمانية وعشرين ديواناً من دواوين القبائل ، وكلها منسوبة إلى صانعيها ، وهو في أكثرها أبو سعيد السكرى ، ما عدا ديواناً واحداً منها نسبة إلى ابن الكلبي ، وسنذكر هذه الدواوين كما رتبناها على حروف الهجاء ونضيف إليها بعض ما وجد في غير الفهرست :

- | | |
|-------------------|---------------|
| ١ - أشعار الأزد | - عمله السكرى |
| ٢ - أشعار بني أسد | - عمله السكرى |

(١) ص : ٢٢ .

(٢) ص : ١٥٨ .

- ٣ - أشعار أشجع - عمله السكري
 ٤ - أشعار بجيلة - عمله السكري
 ٥ - أشعار تغلب - عمله السكري (١) ، وعمله أيضاً أبو عمرو الشيباني (٢) .
 ٦ - أشعار بني نعيم - عمله السكري
 ٧ - أشعار بني الحارث - عمله السكري
 ٨ - كتاب أخبار الحر وأشعارهم - هشام بن محمد الكلبي
 ٩ - أشعار بني حنيفة - السكري
 ١٠ - أشعار بني ذهل - السكري
 ١١ - أشعار بني ربيعة - السكري
 ١٢ - أشعار بني شيان - السكري ، ومحمد بن حبيب (٣)
 ١٣ - أشعار الضباب - السكري
 ١٤ - أشعار ضبة - السكري
 ١٥ - أشعار طي - السكري
 ١٦ - أشعار بني عبد ود - السكري
 ١٧ - أشعار بني عدوان - السكري
 ١٨ - أشعار بني عدى - السكري
 ١٩ - أشعار بني قزارة - السكري
 ٢٠ - أشعار الفند - السكري
 ٢١ - أشعار فهم - السكري
 ٢٢ - أشعار كنانة - السكري

(١) زيادة من الخزائن ٢ : ١٥٠ - ١٦١ .

(٢) الخزائن ١ : ٣٣ .

(٣) زيادة من الخزائن ٤ : ٢٣١ .

- ٢٣ - أشعار بني محارب - السكري ، وأبو عمرو الشيباني (١) .
 ٢٤ - أشعار بني غزوم - السكري
 ٢٥ - أشعار مُزَيْنَة - السكري
 ٢٦ - أشعار بني نهشل - السكري
 ٢٧ - أشعار هُذَيْل - السكري ، والأصمعي ، وابن الأعرابي (٢) ،
 وإسحق بن إبراهيم الموصلي .
 ٢٨ - أشعار بني يَرْبُوع - السكري
 ٢٩ - أشعار بني يشكر - السكري

ومع هذه الوفرة العددية لدواوين القبائل التي حفظت لنا المصادر العربية أسماءها ، فهي لا تعدو أن تكون جزءاً مما ذكرت المصادر نفسها أن العلماء الرواة قد صنعوه من دواوين القبائل . فقد عددنا للسكري وحده من هذه الدواوين - كما ذكر ابن النديم - ثمانية وعشرين ديواناً ثمانين وعشرين قبيلة ، ومع ذلك فالمعروف أن السكري لم يستوعب القبائل كلها ، وأنه لم يصنع إلا « قطعة » منها فقط (٣) . وهذا أبو عمرو الشيباني لم يذكر له ابن النديم - على سبيل المثال - ديواناً واحداً من دواوين القبائل التي صنعها ، وذكر له صاحب الخزائن ديوانين فقط هما : ديوان بني تغلب ، وديوان بني محارب ، ومع ذلك فقد ذكر ابنه عمرو أن أباه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة ، كل قبيلة وحدها في ديوان مستقل (٤) . وذكرت لنا المصادر - فضلاً عن ذلك - أن من العلماء الرواة من جمعوا أشعار القبائل ، بهذا الإطلاق والتعميم . ومن ذكرهم - غير من قلنا - : أبو عبيدة

(١) زيادة من الخزائن ١ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) زيادة من مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٧٣ قال إن الطوسي قرأ شعر هذيل على ابن الأعرابي .

(٣) الفهرست : ١١٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٠١ .

معمر بن المثنى^(١) ، وخالد بن كلثوم الكلبي^(٢) ، ومحمد بن حبيب^(٣) .
ومع كل هذا الجهد الخصب الذى بذله كثير من العلماء الرواة فى جمع
أشعار القبائل ، ومع كثرة الدواوين التى ذكرت المصادر أن هؤلاء العلماء قد
صنعوها ، فقد قال ابن قتيبة^(٤) : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم
وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء
عددهم واقف ، ولو أنفد عمره فى التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال .
ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر
إلا عرفه ولا قصيدة إلا رواها . . . فإذا كان ذلك كذلك فما أشد حيرة الباحث
فى دواوين القبائل وروايتها إذا علم أن صروف الدهر لم تُبق لنا إلا على ديوان
واحد فقط من هذه الدواوين الكثيرة التى زحرت بأسمائها المصادر العربية ، وهى
ليست إلا جزءاً مما صنعه الرواة ، وكل ذلك ليس أيضاً إلا جزءاً مما قاله شعراء
القبائل — هذا الديوان الوحيد الذى بقى لنا هو : ديوان هذيل .

غير أن حذف قبائل العرب من الشعر لم يكن واحداً ، وإنما كانوا يتفاوتون
فى كثرة شعرائهم وسعهم ، وفى ذلك يذكر الجاحظ حديثاً طريفاً ، قال^(٥) :
« وبنو حنيفة — مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد
العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرأ
كلها — ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفى إخوانهم عجل قصيد
ورجز وشعراء ورجازون . وليس ذلك لمكان الخصب وأنهم أهل مدر وأكالو
نمر ، لأن الأوس والخزرج كذلك وهم فى الشعر كما قد علمت . وكذلك

(١) ياقوت ، إرشاد : ١٩ : ١٦١ .

(٢) الفهرست : ٩٨ .

(٣) المؤتلف والمختلف : ٧١ - ٧٢ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

(٤) الشعر والشعراء : ١ : ٤ .

(٥) الحيوان : ٤ : ٣٨٠ - ٣٨٢ .

عبد القيس النازلة قرى البحرين ، فقد تعرف أن طعامهم أطيب من طعام أهل البجامة .
وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم — وإن كان شعرهم أقل — فإن
ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب . وليس ذلك من قبيل رداءة الغذاء ،
ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس ، وإنما ذلك عن قدر ما قسم الله
لهم من الحظوظ والفرائز ، والبلاد والأعراق مكانها . وبنو الحارث بن كعب قبيل
شريف ، يحرون مجارى ملوك اليمن ، ومجارى سادات أعراب أهل نجد ، ولم يكن
لهم في الجاهلية كبير حظ في الشعر ، ولم في الإسلام شعراء مفلقون . وبنو بدر
كانوا مفحمين ، وكان ما أطلق الله به ألسنة العرب خيراً لهم من تصيير الشعر
في أنفسهم . وقد يحظى بالشعر ناس ويخرج آخرون ، وإن كانوا مثلهم أو فوقهم .
وقد كان في ولد زُرارة لصلبه شعر كثير ، كشعر لقيط وحاجب وغيرهما من
ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ولا عيينة بن حصن ، ولا لحمل بن بدر —
شعر مذكور .

فلإذا ما عدنا إلى قول ابن قتيبة الذي ذكرناه وهو « ولا أحسب أحداً من
علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة
إلا رواها » ، استبان لنا صدق هذا القول من الإشارات المبثوثة في صفحات
المصادر التي بين أيدينا . فقد رأينا أن الأمدى يذكر في كتابه « المؤلف والمختلف »
ستين ديواناً لستين قبيلة ، وقد رأى هذه الدواوين كلها ورجع إليها ، وأخذ منها
شعراً كثيراً للشعراء الذين أوردتهم في كتابه . ومع ذلك فهو كثيراً ما يذكر أسماء
شعراء جاهليين وإسلاميين ، ثم ينص على أنه لم يجد لهم — فيما بين يديه من
دواوين قبائلهم — ذكراً أو شعراً . فن ذلك أنه يذكر الأغلب الكلبي ثم
يقول^(١) : « لم أجده في أشعار كلب شعراً ، وأظن شعره درس فلم يُذكر » .
ويذكر ابن أحرر الإيادي ثم يقول إنه لم يجد له في كتاب إيباد إلا بيتاً واحداً

ذكره (١) . ويذكر الحارث بن البرصاء ثم يقول (٢) : « وليس له عندي في كتاب
 كتابة ذكر » . ويذكر عبد المسيح بن عسلة وأخاه المسيب بن عسلة ثم يقول (٣) :
 « ولم أر لهما في قبيل شيبان ذكراً ، وإنما المذكور هناك حرملة وحده » .
 ويذكر أبا الغول النهشل ثم يقول (٤) : « ذكر أبو اليقظان . . . أنه شاعر . . .
 ولم أر له ذكراً في كتاب بني نهشل » . ويذكر الكيذبان المهاربي ويقول (٥) :
 « ليس له في كتاب محارب ذكر ولا أدري من أين نقلته وليس له عندي شعراً »
 ويذكر ملاعب الأسنة الحارثي ويقول (٦) : « ولم أر له شعراً في كتاب بني الحارث »
 ويذكر الحارث بن بكر الديباني ويقول (٧) : « وجدت في كتاب بني مرة بن
 هوف أنه أحد الشعراء النوايع ولم يذكر له شعراً وأظن شعره درس » . والأمثلة
 على ذلك كثيرة لا داعي لاستقصائها .

وبعد ،

أفيكون ذلك معنى قول أبي عمرو بن العلاء (٨) : « ما انتهى إليكم مما قالته
 العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير » ؟

(١) ص : ٣٨ .

(٢) ص : ٦٨ .

(٣) ص : ١٥٨ .

(٤) ص : ١٦٣ .

(٥) ص : ١٧١ .

(٦) ص : ١٨٧ .

(٧) ص : ١٩٢ - ١٩٣ .

(٨) طبقات الشعراء : ٢٣ .

وأمام الباحث سؤالان ، في الإجابة عنهما جماع البحث عن دواوين القبائل ، هما : ما معنى ديوان القبيلة ، وماذا كان يحوى بين دفتيه ؟ ثم : متى نشأت دواوين القبائل ، ومتى جمعت أول مرة ، وما المصادر التى أخذ منها الرواة والعلماء من الطبقة الأولى ما جمعوه من هذه الدواوين ؟

أما السؤال الأول فليس من سبيل إلى الإجابة عنه إلا بتتبع ما ورد فى المصادر العربية من إشارات تذكر فيها دواوين القبائل ، ودراسة هذه الإشارات دراسة تعين على استنباط صورة واضحة تبين معنى ديوان القبيلة ، وذلك لأننا ذكرنا من قبل أن هذا الحشد الزاخر من دواوين القبائل قد أتى عليه الدهر ، ولم يبق لنا منه إلا ديوان واحد هو ديوان هذيل — وسنخصه بمحدث مستقل بعد صفحات. فلا أقل إذن ، بعد أن عزت دراسة الدواوين نفسها ، من أن ندرس مابقى بين أيدينا من أخبار عن هذه الدواوين وإشارات إليها .

وأول ما نلاحظه فى هذه الدراسة هى تسمية الديوان ، فقد كانوا يطلقون على ديوان القبيلة : « أشعار بنى فلان » ، أو « شعر بنى فلان » ، أو « كتاب بنى فلان » . فالأمدى مثلاً يذكر فى موطن من كتابه « شعر فزارة »^(١) ، ويذكر فى موطن آخر « كتاب فزارة »^(٢) وهما بمعنى ، ويذكر « كتاب بنى يشكر »^(٣) و « شعر بنى يشكر »^(٤) ، ويذكر « كتاب بنى عقيل »^(٥)

(١) المؤلف والمختلف : ٥٩ .

(٢) ص : ٦٥ ، ٧٦ .

(٣) ص : ١٨٦ .

(٤) ص : ٤٠ .

(٥) ص : ١١٨ .

و «شعر بنى عقيل» (١) ، و «كتاب بنى أسد» (٢) ، و «أشعار بنى أسد» (٣) ،
و «كتاب طيء» (٤) ، و «أشعار الطائيين» (٥) ، و «كتاب بنى سليم» (٦) ،
و «أشعار بنى سليم» (٧) ، وهكذا .

وكتاب القبيلة أو ديوانها يضم بين دفتيه ثلاثة أشياء :

١ - يضم شعر شعراء القبيلة أو بعضهم ، وفي ذلك يقول الأمدى فى سياق حديثه عن بعض الشعراء : «وله أشعار فى كتاب بنى ربيعة بن ذهل» (٨) ،
و «له فى كتاب أسد أشعار» (٩) ، «وهى أبيات من كتاب خزاعة» (١٠) ،
«وله أشعار فى كتاب بنى عجل» (١١) ، «وله فى كتاب بنى سليم أشعار
حسان» (١٢) ، «وله أشعار جياذ فى كتاب بنى ربيعة بن ذهل وفى بطون
قريش» (١٣) ، «وله فى كتاب بنى ذهل بن ثعلبة مقطعات حسان» (١٤) ،
«وشعرهم فى كتاب بنى عقيل» (١٥) ، «وهذه الأبيات ثابتة فى كتاب
بجيلة» (١٦) ، «ووجدت فى كتاب طيء الذى نقلت منه شعر الطرماح بن جهم

(١) ص : ١٢٨ .

(٢) ص : ٣٤ .

(٣) ص : ١٨ .

(٤) ص : ١٤٨ .

(٥) ص : ٥٠ .

(٦) ص : ٧٦ .

(٧) ص : ١٧ .

(٨) ص : ١٣ .

(٩) ص : ١٥ .

(١٠) ص : ٥٢ .

(١١) ص : ٧١ .

(١٢) ص : ٧٦ .

(١٣) ص : ٧٩ .

(١٤) ص : ٨٨ .

(١٥) ص : ١١٨ .

(١٦) ص : ١١٩ .

السنبسى» (١) ، «وله فى كتاب كلب أشعار» (٢) ، «وله فى كتاب بنى ضبيعة أشعار حسان جياذ» (٣) . إلى آخر ما يشبه هذه من إشارات .

٢ - ويضم كتاب القبيلة أو ديوانها أخباراً وقصصاً وأحاديث ؛ وفى ذلك يقول الأمدى : «وهو القائل : مكره أخوك لا بطل ، فى قصة . . . وشرح ذلك فى كتاب فزارة» (٤) ، «وقتل أخواه فى قصة مذكورة فى كتاب بنى سعد» (٥) ، «وله فى كتاب فزارة خبر وأشعار ورجز جياذ» (٦) ، «وله فى كتاب بنى أسد أشعار وأخبار حسان» (٧) ، «وقصتهما مذكورة فى كتاب بنى شيبان» (٨) ، «وخبره مع جاهمة فى كتاب بنى أعصر» (٩) ، «وله فى كتاب بنى إيباد أشعار وأخبار وقصة مع أبيه» (١٠) ، «وله فى هذا حديث وخبر فى كتاب بنى طهية» (١١) ، «والقصة مذكورة فى كتاب بنى شيبان» (١٢) ، «فى قصة مذكورة فى كتاب مزينة» (١٣) ، «وله أشعار وأخبار فى قبيل بلى» (١٤) ، إلى آخر ما يشبه هذه الإشارات ، ويبدو من أن تلك الأخبار والأحاديث والقصص إنما وردت فى كتاب القبيلة لبيان حادثة تاريخية ذكرت فى الشعر ، أو لتوضيح المناسبة التى

(١) ص : ١٤٨ .

(٢) ص : ١٥٣ .

(٣) ص : ١٩٨ .

(٤) ص : ٦٥ .

(٥) ص : ٦٩ .

(٦) ص : ٧٦ .

(٧) ص : ٨٥ .

(٨) ص : ١٠٢ .

(٩) ص : ١٠٢ .

(١٠) ص : ١١٧ .

(١١) ص : ١٦٣ .

(١٢) ص : ١٧٤ .

(١٣) ص : ١٨٢ .

(١٤) ص : ١٨٢ .

نُظمت فيها القصيدة ، أو لتفسير بيت من أبياتها .

٣ - وفي كتاب القبيلة أو ديوانها - فضلاً عن ذلك - نسب أيضاً . ويبدو ذلك واضحاً من هذه الإشارات التي أوردها الأملى بنى بها أنه وجد نسب فلان أو فلان في كتاب هذه القبيلة أو تلك ، مما يدل على أن نسب غيرهم - ممن لم ينص عليهم - موجود مرفوع في كتب قبائلهم ، فهو يقول : « لم يُرفع في كتاب عذرة نسبه » ^(١) ، و « لم يرفع نسبه في كتاب عترة » ^(٢) ، « ولم يرفع في كتاب بنى الهجيم نسبه » ^(٣) ، « ولم يرفع في كتاب جهينة نسبه » ^(٤) ، « وجدته في بنى الحارث بن كعب لم يرفع نسبه ... » ^(٥) ، و « لم يرفع نسبه في كتاب السكون » ^(٦) ، و « لم يرفع في كتاب بنى عجل نسبه » ^(٧) ، و « لم يرفع نسبه في كتاب جرم » ^(٨) . وأمر النسب في هذه الكتب كأمر الأخبار والأحاديث والقصص ، لم يُذكر لذاته ، وإنما ذكر لذكر الشاعر نفسه وشعره .

فكتب القبائل إذن - في جوهرها - مجموعات شعرية ، تضم بين دفتيها قصائد كاملة ، ومقطعات قصيرة ، وأبياتاً متفرقة ، لشعراء تلك القبيلة أو لبعض شعرائها ، وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربما ضمت جميع شعر شاعر منهم وديوانه كاملاً . ثم تضيف إلى ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه ، أو ببعض أفراد قبيلته ، وما يوضح مناسبات القصائد ، ويفسر بعض أبياتها ، ويبين ما فيها من حوادث تاريخية . فيجىء

(١) ص : ٦٥ .

(٢) ص : ٨٠ .

(٣) ص : ٨٨ .

(٤) ص : ٨٩ .

(٥) ص : ١٠٠ .

(٦) ص : ١٦٧ .

(٧) ص : ١٧٩ .

(٨) ص : ١٩٦ .

كتاب القبيلة بملك مجلاً لحواشيها ووقائعها ، وديواناً لما خرها ومناقبها ، ومعرضاً لشعر شعرائها .

فلماذا كان ذلك كذلك ، فني جمعت هذه الدواوين أول مرة ؟ وإلى أى مدى نستطيع أن نتتبع تاريخ تدوينها حتى نصل إلى بداية هذا التدوين ، أو إلى قريب من بدايته ؟ والإجابة عن ذلك تضطر الباحث إلى أن يسلك مجاهل وقفاراً ، تحمله على أن يصطنع الحذر ، وأن يتثبت من موطن قدميه قبل المضي وفي أثنائه ، ولكنه مع ذلك لا يعلم بعض المعالم يقيمها على جانبي الطريق ، وينصبها بين يديه ومن خلفه يهتدى بها في سيره ؛ ولا عليه بعد ذلك إن لم يبلغ أقصى الغاية ، فحسبه أنه قد بذل الجهد وأخلص النية .

وأسلم ما يبداً به الباحث : هذه الدواوين التي ذكرتها المصادر ، ورفعت إسناد روايتها إلى الطبقة الأولى من الرواة العلماء . فقد مر بنا أن أبا عبيدة معمر ابن المنى قد جمع أشعار القبائل في كتاب واحد أو كتب عدة^(١) . وأن الأصمعي قد جمع أيضاً بعض أشعار القبائل ، ومنها ديوان هذيل الذي ستحدث عنه بعد قليل . وأبو عبيدة والأصمعي بصريّان . أما علماء الكوفة من رجال الطبقة الأولى الذين جمعوا أشعار القبائل ودواوينهم فهم : حماد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦هـ) ، والمفضل الضبي (المتوفى سنة ١٦٨ أو ١٧٨) ، وقد ذكرهما الآمدي كما مر بنا^(٢) ، وخالد بن كلثوم الكلبي — وهو في طبقة أبي عمرو والشيباني^(٣) — قال عنه ابن النديم ، فيما نقله من خط ابن الكوفي^(٤) ، إنه من علماء الكوفيين و« من رواة الأشعار وعارف بالأنساب والألقاب وأيام الناس ، وله صنعة في الأشعار والقبائل . . . وله من الكتب . . . كتاب أشعار القبائل ويحتوى على عدة قبائل » . غير أن أشهر من جمع دواوين القبائل من الكوفيين :

(١) ياقوت ، إرشاد : ١٩ : ١٦١ .

(٢) المؤلف والمختلف : ٢٢ .

(٣) السيوطي ، البنية : ٢٤١ .

(٤) الفهرست : ٩٨ .

أبو عمرو الشيباني الذي جمع أشعار العرب حتى صنع شعر نيف وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه ^(١) ، « وكان يكتب بيده إلى أن مات » ^(٢) . وقد قرأ دواوين الشعراء على المفضل ^(٣) . وبلغ من شهرته في جمع دواوين القبائل أن الناس أخذوا « عنه دواوين أشعار القبائل كلها » ^(٤) ، ولم يبق لنا من هذه الدواوين التي صنعها وجمعها شيء ، بل لم تحفظ لنا المصادر من أسمائها إلا ديوانين : أشعار تغلب ^(٥) ، وأشعار قبيلة محارب بن خصفة ابن قيس عيلان ، وقد رآه عبد القادر البغدادي ، وكانت لديه منه نسخة قديمة ، قال ^(٦) : « وهي عندى في نسخة قديمة تاريخ كتابتها في صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكتبها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفزاري ، قال : نقلها من نسخة أبي الحسن الطوسي ، وقد عرضت على ابن الأعرابي » .

ثم أخذ عن هذه الطبقة الأولى من الرواة العلماء تلاميذهم من علماء الطبقة الثانية ، فأخذ ابن الأعرابي عن المفضل وعن أبي عمرو الشيباني حتى اشتهر أيضاً بأنه « راوية لأشعار القبائل » ^(٧) ، وأخذ محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني ، ولم يبق لنا ذكر شيء من دواوين القبائل التي صنعها ابن الأعرابي وابن حبيب إلا « ديوان أشعار بني شيبان » صنعه محمد بن حبيب ^(٨) . ثم أخذ عن هؤلاء من تلامهم مثل السكري — وقد مر بنا ذكر دواوين القبائل التي صنعها ، وسن فصل القول فيه حين نتحدث عن ديوان هذيل .

(١) الفهرست : ١٠١ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٢ .

(٣) وفيات الأعيان ١ : ٦٥ .

(٤) الفهرست : ١٠١ .

(٥) الخزائن ١ : ١٠ .

(٦) المصدر السابق ٣ : ١٦٥ .

(٧) طبقات النحويين والفرويين : ٢١٣ .

(٨) الخزائن ٤ : ٢٣١ .

هذا هو المَعْلَم الأول في سبيل دراستنا لدواوين القبائل ، ونرى منه أن هذه الدواوين كانت موجودة — مكتوبة مدونة — في القرن الثاني الهجري ، أى من نهاية الربع الأول من القرن الثاني على التقريب إلى مطلع القرن الثالث ، وهي الحقبة التى كان يحيا فيها هؤلاء العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى ، وبلغ فيها نشاطهم ذروته . غير أن ذلك لا يعنى أن هذه الكتب قد دُوِّنت فى تلك الحقبة لأول مرة . فقد كانت تلك الدواوين هى النسخ الخاصة بهؤلاء العلماء : كتبوها بأنفسهم ، بعد أن نظروا فى هذا التراث الشمرى الذى وصل إليهم ، ومحصوه ونقدوه ونخلوه ، واستخرجوا ما صح منه لكل واحد منهم ، ثم صاروا يُقرئون هذه النسخة تلاميذهم فى مجالس علمهم ، ويقرأها عليهم أولئك التلاميذ ، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل على أنها رواية ذلك العالم الأول . ولقد ذكرنا فى حديثنا عن تدوين الشعر الجاهلى ، فى الباب الثانى ، وعن الدواوين المفردة ، فى الفصل الأول من هذا الباب — أن هؤلاء العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى كانوا يؤولون إلى نسخ مدونة وصلت إليهم من العصور التى سبقتهم ، وأنهم كانوا أحياناً يجمعون بين هذه النسخ ، ويضيفون إليها ما يصلهم بالرواية الشفهية عن شيوخ مدرستهم أو شيوخ المدرسة المخالفة ، وعن الأعراب الرواة ، ثم ينظرون فى كل ذلك نظرة تمحيص ونقد ، حتى يستخرجوا منه ما ترجح لديهم صحته ، فيضمونه فى نسختهم التى يروونها عنهم تلاميذهم . ذلك فى الدواوين المفردة ، فهل الأمر نفسه فى دواوين القبائل ؟

إن بين أيدينا ثلاثة أخبار يحسن بنا أن نعرضها ولاءً لنستبين دلالتها :
 الأول : ما ذكره أبو العباس ثعلب قال^(١) : « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان إلى حماد وحناد » .

والثانى : ما ذكره حماد نفسه قال^(٢) : « أرسل الوليد بن يزيد إلى بماتى

(١) الفهرست : ١٣٤ .

(٢) الأغاني ٦ : ٩٤ .

دينار ، وأمريوسف بن عمر بحملى إليه على البريد . قال ، فقلت : لا يسألنى إلا عن طرفيه : قريش وثقيف ؛ فنظرت فى كتابى قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بلى ، فأنشدته منها ما استحسنته . . .

والثالث : ما ذكره ابن النطاح من أن حماداً عثر على ديوان فيه « جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه » ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك^(١)

ومهما تكن قيمة هذه الأخبار ، ومهما يكن مدى الثقة فى صحتها ، فإن لها — لا شك — دلالتها التى تتسق مع ما قدمنا ، فى مواطن متفرقة ، عن انتشار التدوين واتصاله فى تلك الحقبة . ودلالة هذه الأخبار فى أنها تصل دواوين القبائل بالدواوين المفردة — التى تحدثنا عنها — فى قديم تدوينها ، فهى تدل على أن كتب القبائل كانت مكتوبة مدونة قبل مطلع القرن الثانى الهجرى ، وأن العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى — فى القرن الثانى — قد وصلتهم هذه المدونات من القرن الأول الهجرى ، فاعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم نسخهم الخاصة التى نسبت روايتها إليهم .

فلذا أضفنا إلى ذلك أن الوليد بن يزيد لم يكن وحده الذى عنى بجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وإنما شاركه فى كل ذلك بعض خلفاء بنى أمية ، وخاصة عبد الملك بن مروان ومن قبله معاوية بن أبى سفيان ؛ وأن هؤلاء الخلفاء كانوا — كما مر بنا — يطلبون من رواة الشعر والأخبار ، من تعمر بهم مجالسهم الخاصة والعامة ، وأنهم كانوا يأمرؤن غلمانهم وكتّابهم بكتابة ما ينشده هؤلاء الرواة والعلماء من الشعر وما يقصونه من الأخبار^(٢) ؛ إذا أضفنا هذا إلى ما قدمنا رجحت لدينا صحة الأخبار الثلاثة التى ذكرناها ، ورجح عندنا أن هذه الدواوين كانت مدونة فى القرن الأول نفسه . ونكون بذلك قد

(١) الأغاني ٦ : ٨٧ .

(٢) ١ : ١٠١ - ١٩٦ - ٢٠٢ من هذا الكتاب .

نصبتنا المعلم الثاني الذي نستأنس به في سبيل بحثنا هذا .

وبقى معلم ثالث إذا أقمناه ، استقام لنا وجه الطريق ، وانتهى عنده مطافنا ، هذا المعلم الثالث قيومه خبران ، أو خبر ونص شعري :

١ - أما الخبر ففيه تأييد لما قدمناه من أمر عثور حماد على جزء من شعر الأنصار ، وذلك أن أبا الفرج الأصفهاني يروي عن شيوخه في إسناد طويل قوله^(١) : « نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحى بالميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمراً جاهلية بما جاء من الإسلام » . ثم يروي لنا في خبر طويل أن عبد الله بن الزبير عثر على السهمي وضرار بن الخطاب الفهري أنشدا حسان بن ثابت شعراً مما كانا قالاه قبل الإسلام ، فشكاهما حسان إلى عمر . . . وكان من نتيجة ذلك أن قال عمر لمن حضر مجلسه : « إني كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا ، فاكبوه واحتفظوا به » قال : « فدوتوا ذلك عندهم » . قال خلاد بن محمد : فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاءه .

٢ - أما النص الشعري ، فقول بشر بن أبي خازم - وهو شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام - قال^(٢) :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ : « أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمِعَارُ »

وقد تحدثنا عن هذا البيت ، وعن ترقيمنا إياه ووضعنا شطره الثاني بين علامتي اقتباس - في الباب الثاني من هذا البحث^(٣) . ولكننا نحب أن نضيف إلى قولنا السابق شيئاً جديداً ، وهو : أن بعض الباحثين قد شك في هذا البيت ،

(١) الأغاني ٤ : ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) المفضليات : ٩٨ .

(٣) انظر ص : ١٦٣ - ١٦٤ من هذا الكتاب .

فقد كتب جولدتسيهر في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية - عدد إبريل سنة ١٨٩٧ - يقول^(١): « ولا بد أن كتاب بني تميم - الذي وجهت الأنظار إليه في مناسبة سابقة - قديم جداً ، ومع ذلك فإن هذه العبارة من شعر بشر التي يذكر فيها هذا الكتاب ، إذا كانت تشير حقيقة إلى مجموعة مدونة عن مآثر بني تميم وأشعارها ، تجعل نسبة البيت إلى بشر بن أبي خازم واهية الأساس . فليس من المحتمل - بل من المستحيل - أن توجد مثل هذه المجموعة في عصر مبكر كهذا العصر الذي عاش فيه بشر » .

ولا نحب أن نطيل في الحديث عن هذا البيت ، غير أننا لا نملك أنفسنا من أن نلاحظ أن كلام جولدتسيهر ليس إلا افتراضاً لم يقدم عليه دليلاً ، ولم يدعمه بما يقيمه ؛ وأن الأساس الوحيد الذي بني عليه هذا الافتراض هو أنه « ليس من المحتمل - بل من المستحيل - أن توجد مثل هذه المجموعة في عصر مبكر كهذا العصر الذي عاش فيه بشر » . وقد قلنا من قبل ، في إسهاب وتفصيل ، إن هذا الأساس واهٍ لأنه يعتمد على فكرة شاعت بين جبهة الباحثين من العرب والمستشرقين ، وهي : أن الجاهلية كانت أمية جاهلة - وهو ما سميناه « تجهيل الجاهلية » . وقد بينا خطأ هذه الفكرة بما يغني عن إعادة القول فيها . وقد قصدنا أن نؤخر الحديث عن هذا البيت ، وأن نقدم الحديث عن الأخبار والنصوص التي تحدثنا عنها قبله ، مبتدئين بالحقبة الواضحة بعض الشيء وهي النصف الثاني من القرن الثاني - ثم نعود أدراجنا إلى الوراء : إلى العصر الأموي ، ثم عصر صدر الإسلام ، ثم العصر الجاهلي نفسه ، نقول : قصدنا أن نسير في هذه السبيل حتى نمهد بين يدي هذا النص بأخبار وروايات تكشف عن اتصال تدوين هذه الكتب الشعرية ، وحتى يبدو هذا البيت متصلاً اتصالاً طبعياً بما تدل عليه تلك الأخبار . ثم إنه من التأويل الواهي الذي لا سند له يدعمه أن

(١) انظر ترجمة المقال بقلم الدكتور حسين نصار في مجلة الثقافة عدد ٦٣٣ ، ١٢ فبراير

يُشك في أن لفظة « كتاب » في هذا البيت « تشير حقيقة إلى مجموعة مدونة عن مآثر بني تميم وأشعارها » ، وذلك لأن اللفظة صريحة واضحة وقد فهمها الأقدمون أيضاً على وجهها الصحيح ، فقال المرزبانى يشرح بيت بشر بعد أن أورده ، قال (١) : « فعناه : وحدنا هذه اللفظة مكتوبة » .

ومع ذلك فقد أوضحنا من قبل أنه ليس من منهجنا في هذا البحث أن نعتسف الطريق احتسافاً ، ولا أن نحمل النصوص فوق ما تحتل ، بل إن منهجنا يقوم على جمع مادة البحث وتتبع نصوصه ، ثم ترتيب هذه النصوص ، واستنطاقها واستخراج دلالاتها .

ونحسب أننا غير مغالين — بعد أن جمعنا هذه النصوص ورتبناها واستنبطنا منها دلالاتها—إذا ذهبنا إلى أن العلماء الرواة في القرن الثاني قد كانت بين أيديهم دواوين القبائل مكتوبة مدونة ، وأنهم اعتمدوا هذه المدونات مصدراً من مصادر تدوينهم نسخهم الخاصة من كتب القبائل التي نسبت بعد روايتها إليهم. ونحسب أننا كذلك غير مغالين إذا رجحنا — مجرد ترجيح ، ولكنه ترجيح قوى تدعمه الأخبار والنصوص التي قدمناها — أن هذه المدونات التي وصلت إلى علماء القرن الثاني قد كتب بعضها منذ مطلع القرن الأول ولعل بعضها الآخر قد كتب منذ الجاهلية نفسها .

أما شعر هذيل — وهو الديوان الوحيد الذى وصل إلينا من دواوين القبائل — فنحسب ، قبل الحديث عن رواياته ونسخه ، أن نبداً بالحديث عن عدد ما فيه من الشعراء وأبيات الشعر ، ومدى موافقته لما رواه لنا العلماء . فقد قال

أبو سعيد^(١) : « قيل لحسان بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - : أي الناس أشعر ؟ فقال : رجل بأذنه ، أم قبيل بأسره ؟ قال : هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك ، وبنو سنان مثلهم مرتين ليس فيهم شاعر واحد . فإذا كان المقصود من هذه العبارة أن جميع من روى له شعرٌ من هذيل « نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك » ، يكون ديوان هذيل الذي بين أيدينا قد ضم بين دفتيه جميع هؤلاء الشعراء ، إذ أن الشعراء الهذليين فيه نحو أربعين شاعراً . غير أن أكثر من نصفهم قد روى لكل منهم أقل من خمسة وعشرين بيتاً ، بل إن بعض هؤلاء لم يُرَوَّ له إلا بيتان أو ثلاثة أو أربعة . أما الشعراء الذين تجاوز شعرهم مائة بيت فسبعة فقط . وإذا كان غير محتمل أن يسمى حسان - في عبارته المتقدمة - من لم يقل إلا البيتين أو الثلاثة أو الأربعة - شاعراً ، فنحن إذن بين اثنتين : إما أن يكون عدد الشعراء كاملاً أو مقارباً ، ولكن ما روى لهم من الشعر ناقص غير مستوفى ؛ وإما أن يكون كثير من الشعراء لم يُذكرُوا في الديوان الذي بين أيدينا .

وكلا الأمرين ينتهيان بنا إلى نتيجة واحدة ، هي : أن ما بين أيدينا من شعر هذيل غير كامل . وثمة دليلان على ذلك - غير ما تقدم - أولهما : ما قيل عن الإمام الشافعي أنه ^(٢) « كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل ، بإعرابها وغريبها ومعانيها » . والذي بين أيدينا من هذا الشعر - في أطول رواياته - لا يكاد يبلغ ثلاثة آلاف بيت . ولعل قائل هذا القول لا يقصد بالعدد الذي ذكره إلى التعيين الدقيق ، وإنما قصد إلى كثرة ما كان يحفظه الشافعي من هذا الشعر ، ومع ذلك فإن الشعر الذي بين أيدينا سيبقى أقل من

(١) ديوان الهذليين (ط . دار الكتب) ٢ : ٣٨ ، والكنية « أبو سعيد » مهمة قد

تنفى السكري ، وقد تنفى الأصمعي !

(٢) ابن حجر : تولى التلخيص بمعالي ابن إدريس ، المطبعة العامرة ببولاق سنة ١٣٠١

نصف ما كان يحفظه الشافعي . وكان الشافعي إماماً في الحفظ والرواية ، وكان صحاب الأدب يأتونه فيقرأون عليه الشعر فيفسره ، وذكر الأصمغني أنه قرأ شعر هذيل عليه (١) .

والدليل الثاني أن بعض العلماء قد استدركوا ما فات السكري ذكره من شعر هذيل ، ومنهم أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) الذي ألف « كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري - رحمه الله - وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك (٢) » .

وقد طبع ديوان هذيل في مجموعتين : الأولى في أوربا ، والثانية في مصر .
الطبعة الأوربية : أما الطبعة الأوربية ، فقد جاءت في أربع مجموعات :

١ - « شرح أشعار الهذيليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري » ، طبعت في لندن سنة ١٨٥٤ م ، وقد حققها وقدم لها بمقدمة قصيرة باللغة الإنجليزية المستشرق جودفري كوزجارتن .

٢ - « أشعار الهذيليين ما بقي منها في النسخة اللغدونية غير مطبوع » ، طبعت في برلين سنة ١٨٨٤ م ، وفيها تعليقات وترجمة للشعر باللغة الألمانية للمستشرق فلهاوزن .

٣ - « ديوان أبي ذؤيب » ، وهو الجزء الأول من « مجموع دواوين من أشعار الهذيليين » اعتنى بنشره واستخراجه لأول مرة المستشرق الألماني يوسف هل ، وطبعه في هانوفر سنة ١٩٢٦ .

٤ - « أشعار ساعدة بن جؤبة وأبي خيراش والمتنخل وأسامة بن الحارث » ، وهو الجزء الثاني من « مجموعة أشعار الهذيليين » ، اعتنى بنشرها كذلك يوسف هل وطبعها في ليبزج سنة ١٩٣٣ .

وقد طبعت المجموعتان الأولى والثانية عن نسخة مخطوطة مضبوطة قديمة

(١) الزهر ١ : ١٦٠ .

(٢) ياقوت - إرشاد ١٢ : ١٠٩ .

محفوظة في ليدن كتبت في سنة ٥٢٩ - ٥٣٩ هـ ، كتبها محمد بن علي بن إبراهيم ابن زبرج العتّابي (ولد سنة ٤٨٤ وتوفي سنة ٥٥٦ هـ ، وكان إماماً في النحو وعلوم العربية مشهوراً بمجودة الخط مع الصحة وال ضبط ، قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري ، واللغة على الجواليقي ^(١) ، وقد نقلها من نسخة بخط السمسري .) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار ، كان صدوقاً صاحب خط متقن مرغوب فيه لتحقيقه ، تصدّر ببغداد للرواية وأقرأ الأدب . توفي سنة ٤١٥ هـ ^(٢) . وذكر العتّابي في آخر المخطوطة أنه قابلها أيضاً بنسخ أخرى ، منها نسخة بخط شيخه الجواليقي ، ونسخة بخط الحميدي ^(٣) .

وقد روى هذه النسخة أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرمّاني (كان في طبقة الفارسي والسيرافي ، وأخذ عن الزجاج وابن السراج وابن فريد ، ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٨٤) ^(٤) ، عن أبي بكر أحمد بن محمد بن حاصم الحلواني (بينه وبين أبي سعيد السكري نسب قريب ، فروى عنه كتبه وكانت كثيراً ما توجد بخطه) ^(٥) ، عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (المتوفى سنة ٢٧٥) .

فهذه النسخة إذن تنسب في رواياتها إلى السكري ، غير أنها ناقصة ، والموجود منها هو الجزء الثاني فقط ، وهو المطبوع في لندن سنة ١٨٥٤ م ، وفي برلين سنة ١٨٨٤ م .

ولطالمة النسخة قيمة كبيرة لمن يدرس تاريخ الرواية وتسلسل الإسناد في الشعر ، وهي تكشف ، في وضوح ، عن طريقة السكري في الجمع بين الروايات المختلفة ، والنص عليها . وتظهر لنا صدق الأقدمين في وصفهم السكري بأنه

(١) إرشاد ١٨ : ٢٥١ .

(٢) إنباء الرواة ٢ : ٢٨٨ .

(٣) انظر وصف المخطوطة في مقدمة « شرح أشعار الهذليين » ص : ٤ .

(٤) نزعة الألباء : ٢١٠ - ٢١١ ، وإنباء الرواة ٢ : ٢٩٤ .

(٥) ياقوت ، إرشاد ٤ : ١٨٧ - ١٨٨ ، وإنباء الرواة ١ : ٩٨ .

كان الغاية في الجمع . وتفصيل ذلك أننا وجدنا - بعد دراسة النسخة - أن السكري قد اعتمد - في جمعه ديوان هذيل - على ثلاث روايات ، هي الروايات التي نص عليها نصاً صريحاً في مطلع ديوان أبي ذؤيب ، وهي :

(أ) رواية بصرية : الرياشي ، عن الأصمعي ، عن عمارة بن أبي طرفة الهذلي (١) .

(ب) ورواية كوفية : محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني .

(ح) ورواية جمعت بين الروائتين : محمد بن الحسن الأحول (٢) ، عن عبد الله بن إبراهيم الحمصي (٣) .

ومع أن السكري قد جمع بين هذه الروايات المختلفة إلا أنه كان حريصاً في جمعه على ألا تضعيع معالم كل رواية وعلى ألا تختلط بغيرها - فنص من أجل ذلك على كل قصيدة انفرد بها بعض هؤلاء الرواة دون غيرهم ، وترك القصائد التي أجمعوا جميعاً عليها من غير أن ينص على روايتها ، وحسبنا أمثلة قليلة توضح ذلك :

(أ) فقد أورد تسعة عشر بيتاً لمالك بن الحارث ، اتفق الرواة جميعاً على نسبة الأبيات التسعة الأولى منها له ثم اختلفوا بعد ذلك ، فمنهم من جعل بقيتها قصيدة منفصلة نسبوها لتأبط شرّاً يرد بها على مالك بن الحارث ، ومنهم من جعلها كلها قصيدة واحدة منسوبة إلى مالك ، ولذلك قال السكري عند البيت التاسع منها (٤) :

(١) لم نثر لمهارة هذا على ترجمة في كتب الطبقات والرجال ، غير أن الأصمعي قد روى عنه أخباراً وشعراً ، (انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ : ٦٨ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٧١) .
(٢) في ديوان أبي ذؤيب ط هانوفر ص ١ « محمد بن الحسن » فقط ، وقد استقصينا من اسمه محمد بن الحسن من يصح أن يروى عنه السكري ، فرجعنا أنه : محمد بن الحسن بن دينار الأحول ، وهو من جمع بين المذهبين وخطهما (ابن النديم : الفهرست : ١١٧) وكان العلماء يقرأون عليه دواوين الشعراء في سنة خمسين ومائتين (ياقوت : إرشاد ١٨ : ١٢٥) وجمع دواوين مائة وعشرين شاعراً (المصدر السابق ١٨ : ١٢٦) .

(٣) ذكره الجاحظ في الحيوان ٥ : ٥٨٧ ، وروى عنه خبراً حدثه به .

(٤) شرح أشعار الهذليين ط . لندن ص : ٤ .

« هذا آخرها في رواية الحمصي وأبي عبد الله ، قال : فأجابه تأبط شراً الفهمي ثم العدوي ، وأما أصحاب الأصمعي فيجعلونها قصيدة واحدة ويروونها لمالك ابن الحارث إلى آخرها » .

(ب) وأورد قصيدة لحبيب الأعمى ، وقال في مقدمتها^(١) : « لم يروها أبو نصر ، ولا أبو عبد الله ، ولا الأخفش ورواها الباهلي والحمصي » .
(ح) وأورد قصيدة لساعدة بن العجلان ، وقال في مقدمتها^(٢) : « رواها الأصمعي ، ولم يروها ابن الأعرابي » .

(د) وأورد عشرة أبيات لساعدة بن العجلان ، قال عند البيت السادس منها^(٣) : « هذا آخرها في رواية الأصمعي ، والباقي عن الحمصي والباهلي ونصران وأبي عمرو ، قال أبو نصر : لم يرو الأصمعي من هاهنا إلى آخرها » .
(هـ) وأورد قصيدة لأبي جندب ، قال عند البيت الرابع منها^(٤) : « هذا أولها عند أبي عبيدة » .

(و) وأورد قصيدة لأبي جندب أيضاً قال في مقدمتها^(٥) : « رواها الأصمعي ، ولم يروها ابن الأعرابي ولا أبو عمرو ولا الحمصي » .
(ز) وقصيدة أخرى لأبي جندب قال في مقدمتها^(٦) : « قال الأصمعي : وتروى لأبي ذؤيب » .

(ح) وقصيدة رابعة لأبي جندب قال في مقدمتها^(٧) : « لم يروها أبو عبد الله ولا أبو نصر ولا الأخفش ، ورواها نصران والحمصي » .

(١) شرح أشعار الهذليين : ٦٦ .

(٢) المصدر السابق : ٧٠ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧ .

(٤) المصدر السابق : ٨٠ .

(٥) المصدر السابق : ٨٣ .

(٦) المصدر السابق : ٩٤ .

(٧) المصدر السابق : ٩٦ .

والأمثلة على ذلك كثيرة ليس من غایتنا استقصاؤها ، وإنما بحسبنا أمثلة
توضح ما ذكرنا . وقد بالغ السكري في التحري والتحقيق ، فلم يكتف بالنص
على رواية القصيدة في جملتها ، وإنما زاد على ذلك أن نص على رواية الأبيات التي
اختلفوا عليها ؛ فكان يذكر البيت - في القصيدة - ثم ينص على أن فلاناً
لم يروه ، وأن فلاناً رواه ، فن ذلك :

(١) أنه أورد بيتاً في قصيدة لصخر الغي ثم قال (١) : « لم يرو هذا البيت
والبيتين بعده الأصمعي ، ورواها الجمحي وابن الأعرابي » .

(ب) وأورد بيتاً في قصيدة أخرى لصخر أيضاً ، ثم قال (٢) : « رواه
أبو عبد الله والجمحي » .

(ج) وأورد بيتاً لأبي المثلّم ، ثم قال (٣) : « لم يرو هذا البيت والبيتين اللذين
بعده أحد غير الباهلي عن الأصمعي ، ولم يرو هذا أبو عمرو ولا أبو عبد الله
ولا أبو نصر ولا الأخفش » .

(د) وأورد بيتاً في قصيدة لصخر الغي ، وقال (٤) : « لم يرو هذا البيت
والبيت الذي بعده الأصمعي وأبو عبد الله » .

(هـ) وأورد بيتاً في قصيدة لأبي المثلّم ، وقال (٥) : « رواه الجمحي وأبو عمرو
وأبو عبد الله » .

(و) وذكر بيتاً آخر من القصيدة نفسها وقال (٦) : « لم يروه والبيت الذي
بعده إلا أبو عمرو وأبو عبد الله والجمحي » .

(ز) وأورد أرجوزة لصخر الغي قال عنها (٧) : « وروى الأصمعي من

(١) شرح أشعار الهذليين : ١٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥ .

(٥) المصدر السابق : ٢٧ .

(٦) المصدر السابق : ٣٠ .

(٧) المصدر السابق : ٣٢ .

هذه الأرجوزة ثلاثة أبيات عليها صح صح ، وسأثرها عن أبي عبد الله والحمحي .
(ح) وقال عن بيت في قصيدة أخرى لصخر ^(١) : « لم يروه الأصمعي »

ورواه أبو عبد الله والحمحي .

(ط) وقال عن بيت آخر في القصيدة نفسها ^(٢) : « لم يروه إلا عبد الله وأبو عمرو والحمحي » .

(ي) وأورد بيتاً في قصيدة لعامر بن العجلان ثم قال ^(٣) : « لم يروه والبيت الذي بعده الأصمعي ، ورواهما أبو عمرو والحمحي وأبو عبد الله » .

(ك) وأورد بيتاً في قصيدة لأبي جندب ثم قال ^(٤) : « لم يروه أبو عبد الله ولا أبو نصر ولا الأخفش ورواه الحمحي وأبو عمرو والأصمعي . . »

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً أيضاً ، وقد اجتزأنا منها بما قدمنا ، وما نحسبها إلا واضحة الدلالة على ما ذكرناه من مبالغة السكري في التحري والتحقيق ، بل إن السكري لم يكتف بالنص على رواية القصيدة في جملتها ، ولا بالنص على رواية الأبيات التي اختلف عليها الرواة ، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك في تحريه ودقته ، فقد نص ، في داخل البيت نفسه ، على روايات ألفاظه المختلفة ، فذكر في كثير من الأبيات رواية الأصمعي أو أبي عمرو أو ابن الأعرابي أو ابن حبيب أو الحمحي أو الأخفش لهذه اللفظة أو لتلك ، وما نحسب أن المجال هنا يتسع لعرض أمثلة من ذلك ، وبحسبنا أن نفتح كتاب « شرح أشعار الهذليين » على أية صفحة لنجد الأمثلة وافرة على ذلك .

وقد قدم السكري بذكره رواية الديوان في مجموعه ، ثم رواية القصيدة في جملتها ، ثم رواية الأبيات المفردة في القصيدة الواحدة ، ثم رواية الألفاظ في البيت الواحد — قدم السكري بذلك كله للدارس مادة خصبة ، فيستطيع الدارس

(١) شرح أشعار الهذليين : ٤٧ .

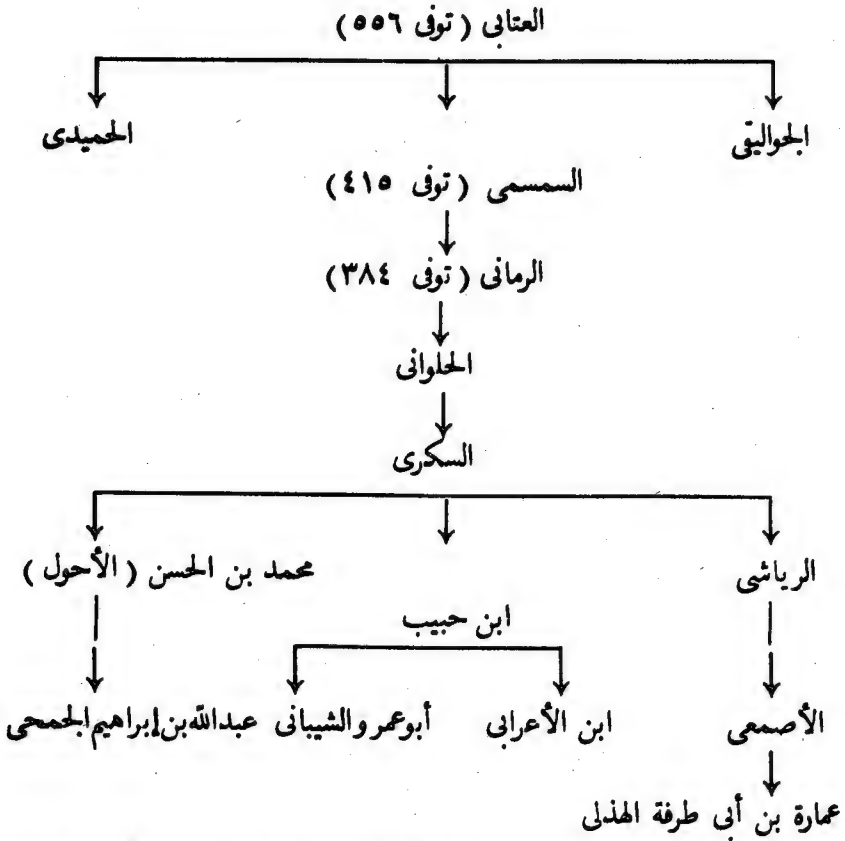
(٢) المصدر السابق : ٤٨ .

(٣) المصدر السابق : ٥٠ .

(٤) المصدر السابق : ٨٧ .

المتبع ، إذا اهتمدى بضوء هذه الروايات ، أن يستخرج رواية الديوان البصرية :
 أى رواية الأصمعى ، ويفردها وحدها ، ويستطيع كذلك أن يستخرج رواية
 الديوان الكوفية : أى رواية ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ، ويفردها وحدها ،
 ثم يثبت ما بينهما من اختلاف واتفاق ، وينتهى من كل ذلك إلى دراسة معمقة
 لهذا الديوان .

ونحسب أننا نزيد الأمر وضوحاً إذا لخصنا إسناد هذه النسخة الثمينة ورواياتها
 فى الجدول الآتى :



وبعد ، فهذه هى النسخة الليدنية التى طُبعت منها المجموعتان الأولى والثانية
 من الطبعة الأوروبية ، وأما المجموعة الثالثة ، وهى « ديوان أبي ذؤيب » التى طبعها

يوسف هل في هانوفر سنة ١٩٢٦ ، فمع أنه طبعها عن نسخة في دار الكتب — رقمها ١٩ أدب ش — إلا أن هذه النسخة أيضاً من رواية السكرى ، ونحن نرجح أنها منقولة عن النسخة الليدنية أو عن نسخة منقولة عنها ، فتكون بذلك جزءاً من القسم الأول المفقود من النسخة الليدنية ، وترجيحنا قائم على السببين التاليين :

(١) أن السكرى يذكر في مطلع الديوان الرواة الذين أخذ عنهم ، وهم أنفسهم الذين ذكرناهم في النسخة الليدنية وكانوا ثلاثة أصناف : رواة بصريين : الرياشي عن الأصمعي عن عمارة بن أبي طرفة الهذلي ، ورواة كوفيين : ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ؛ ورواة جمعوا بين المذهبين : محمد بن الحسن (الأحول) عن عبد الله بن إبراهيم الحمصي .

(ب) جاء في هذه النسخة أيضاً أنها أخذت عن نسخة الحلواني ، وذلك قوله^(١) : « ليس ذكر الأصمعي ها هنا في كتاب الحلواني » . ومن أجل هذا كنا في غنى عن أن نتحدث عن هذه النسخة إذ أن ما ذكرناه عن النسخة السابقة ينطبق عليها أيضاً .

وأما المجموعة الأخيرة من الطبعة الأوربية ، وهي « مجموعة أشعار الهذليين — الجزء الثاني » المطبوعة في ليبزج سنة ١٩٣٣ بتحقيق يوسف هل ، وتشتمل على أشعار ساعدة ابن جؤية وأبي خراش والمتنخل وأسامة بن الحارث — فتتفق في إيراد الشعر وترتيبه وشرحه مع ما ورد من أشعار هؤلاء الشعراء الأربعة في طبعة دار الكتب ، ولذلك سنستغنى عن الحديث عنها بما سنورده من حديث عن هذه الطبعة .

طبعة دار الكتب :

وأما طبعة دار الكتب فأخوذة من نسخة خطية محفوظة في الدار برقم ٦ أدب ش ، مكتوبة بخط مغربي ، وكانت ملك الشيخ محمد الشنقيطي ، وقد كتب

عليها « ملك هذا المجموع ... محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي المدني ثم المكي ، ثم وقفه على عصبته بعده كسائر كتبه وفقاً مؤبداً ، فمن بدله أو غيره فإثم عليه والله تعالى حسيبه ، وكتبه مالكة واقفه محمد محمود سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف » . وقد كتبت هذه النسخة من أصل بخط يحيى بن المهدي الحسيني كتبه سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

وفي أول الأصل هذه المقدمة « كتاب ديوان الهذليين ، وهو يشتمل على ثمانية أجزاء : خمسة منها من رواية أبي سعيد عن الأصمعي ، وهي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس . ولم نظفر من نسخة رواية أبي سعيد إلا بهذه الخمسة ، وضاع الثاني ، وهي ثلاثة من نسخة الأصل ، ثم وقفنا بعد ذلك على نسخة أخرى ليست من رواية أبي سعيد — وهي كتاب واحد غير مجزأ يخالف نسخة رواية أبي سعيد في الترتيب وفي رواية بعض الأشعار ونسبها إلى قائلها ، فأخذنا ما وجدناه فيها مما ليس في رواية أبي سعيد ، وقسمناه إلى ثلاثة أجزاء وهي : الأول والسادس والثامن ، وجعلناه تماماً لهذه النسخة ، وألحقنا كل شيء من ذلك بموضعه اللائق به حسبما أمكن ، وبالله تعالى التوفيق » .

ومع اختلاط هذه النسخة وتداخلها فإن الشرح فيها مختصر موجز ، والرواية قليلة لا تكاد تسعف الدارس ، وذكر أبي سعيد فيها فيه لبس وإبهام ، فهو أحياناً أبو سعيد السكري ، كما في قوله^(١) : « قال أبو سعيد ... وحدثني الرياشي قال : قال الأصمعي ... » ، وأحياناً أخرى أبو سعيد عبد الملك ابن قُرَيْب الأصمعي ، ونستدل على ذلك ممن يروى عنهم ، وذلك مثل قوله^(٢) : « وأنشدنا أبو سعيد ... قال : وأنشدنا أبو عمرو بن العلاء » ، وكثيراً ما يورد شروحات أو استشهادات شعرية يرويها عن أبي عمرو بن العلاء . ومثل قوله^(٣) : « وسمعت

(١) ديوان الهذليين ٢ : ٢٣٦ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٨٧ و ٢ : ٩٢ .

عيسى بن عمر يقول « ، أو « حدثني عيسى بن عمر » (١) ، وقوله (٢) : « قال أبو سعيد : وحدثنا شعبة عن سماك بن حرب » . وقوله (٣) : « قال أبو سعيد : سألت ابن أبي طرفة عن هذا فلم يعرفه ، ولم يكن عند أبي عمرو فيها إسناد » ، وقوله (٤) : « قال أبو سعيد . . . وأنشدنا الهذلي » .

فهذه كلها قاطعة الدلالة على أن أبا سعيد هنا هو الأصمعي . وهذه الأمثلة التي قدمناها تكشف عن المصادر التي استقى منها الأصمعي وروى عنها . غير أننا لا نريد أن نمضي في دراسة هذه النسخة بأكثر من هذا فقد أغتنتنا عنها النسخة الليدنية التي درسناها آنفاً .

(١) ديوان الهذليين ١ : ١٤٩ ، ١٨٧ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢١٣ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٥٩ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

الفصل الثالث

المختارات

١

أما مختارات الشعر العربي فأقدم ما وصل إلينا منها المجموعة التي اختارها المفضل بن محمد الضبي - رأس علماء الكوفة في عصره - والتي عرفت بالمفضليات. ولم يبلغنا أن أحداً قبل المفضل اختار شيئاً من الشعر وجمعه في مجموعة مستقلة - إلا ما قدمناه من أمر المعلقات .

وتحتوى المفضليات التي بين أيدينا على مائة وست وعشرين قصيدة - أضيف إليها أربع قصائد وجدت في إحدى النسخ - لسبعة وستين شاعراً ، منهم ستة شعراء إسلاميون ، وأربعة عشر مخضرمون ، والباقيون وهم سبعة وأربعون شاعراً جاهليون لم يدركوا الإسلام .

ويبدو أن كثيرين من تلامذة المفضل رَووا هذه المختارات عنه ، ولذلك اضطربت روايتها بعض الشيء ، وأصح رواياتها هي التي رواها أبو عبد الله محمد ابن زياد الأعرابي - تلميذ المفضل وربيبه ، قال ابن النديم ^(١) « وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي . . . » ولم يشرح المفضل هذه المختارات ، إذ أن المعروف عنه أنه « إنما كان يروى شعراً مجرداً ، ولم يكن بالعالم بالنحو ولا كان يشدو منه شيئاً ^(٢) » ، « وكان يقول : إني لا أحسن شيئاً

(١) الفهرست : ١٠٢ .

(٢) مراتب النحويين : ١١٥ .

من الغريب ولا من المعاني ولا تفسير الشعر^(١) .

وما في هذه المفضليات من شرح إنما صنعه أبو محمد القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري، (المتوفى سنة ٣٠٤) وقد أخذها إملاءً مجلساً مجلساً عن أبي عكرمة عامر بن عمران الضبي (المتوفى سنة ٢٥٠) ، وأخذها أبو عكرمة عن ابن الأعرابي (المتوفى سنة ٢٣٢) ؛ ولم يكتف أبو محمد ابن الأنباري بذلك ، وإنما كان يرجع إلى علماء آخرين مثل : أبي عمرو بنندار الكرخي ، وأبي بكر العبدى ، وأبي عبد الله محمد بن رستم ، وأبي الحسن علي بن سنان الطوسي ، فيسألهم عن الشيء بعد الشيء منها ؛ فلما فرغ منها كلها عرضها على أبي جعفر أحمد ابن عبيد بن ناصح (المتوفى سنة ٢٧٣) وقرأها عليه : شعرها وغريبها . فلما تم له ذلك أقرأها تلامذته ، فكان ممن قرأها عليه ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وقرأها على أبي بكر هذا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز ؛ وبذلك تمت لهذه المجموعة روايتها في إسناد متصل من ابن الجراح إلى المفضل الضبي . وقد فصل ذلك كله تفصيلاً دقيقاً في مطلع النسخة التي بين أيدينا ، وهذا نصه « أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز قراءةً عليه ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، قال : قرأت على أبي هذا الكتاب : الشعر والتفسير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم كثيراً سرمداً دائماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري : أُملي علينا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي هذه القصائد المختارة المنسوبة إلى المفضل بن محمد الضبي إملاءً مجلساً مجلساً من أولها إلى آخرها ، وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي . قال أبو محمد : وكنت أسأل أبا عمرو بنندار الكرخي ، وأبا بكر العبدى ، وأبا عبد الله محمد بن رستم ، والطوسي وغيرهم ، عن الشيء

بعد الشيء منها، فيزيدونى على رواية أبى عكرمة البيت والتفسير، وأنا أذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله. فلما فرغنا منها صرت إلى أبى جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه من أولها إلى آخرها شعرها وغريبها، فأذكر على أبى عكرمة أشياء أنا مبينها فى مواضعها ومُسند إلى أبى جعفر ما فسر وروى فى موضعه إن شاء الله؛ والمعين الله جل وعز والحوّل له والقوة به. وعمود الكتاب على نسق أبى عكرمة وروايته ».

ومع هذا الإسناد، والرواية الكاملة، والتحقيق والاستقصاء اللذين بلغا الغاية فى الدقة، فإن هذه المجموعة من المختارات لم تسلم من الشك فى عدد قصائدها وفى أنها جميعاً مما روى المفضل. وتفصيل ذلك : أن أباً على القالى قال (١) : « وقرأت على أبى الحسن على بن سليمان الأنخفش فى المفضليات قصيدة عبديفوث بن وقاص الحارثى ... وقال أبو الحسن على بن سليمان : حدثنى أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال : أُملى علينا أبو عكرمة الضبي المفضليات من أولها إلى آخرها ، وذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي ، وقرئت بعدُ على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . قال أبو الحسن : أخبرنا أبو العباس ثعلب : أن أباً العالية الأنطاكي والسدرى ، وعافية بن شبيب - وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعي - أخبروه أنهم قرأوا عليه المفضليات ، ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره ، وضموه إلى المفضليات ، وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معانى الشعر وغريبه فكثرت جداً » .

ونحن نرى من هذا النص أموراً ، منها : أن ثمة تلميذاً غير أبى محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، أخذ المفضليات إملأً عن أبى عكرمة ، وهو أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني . وأن أباً جعفر هذا قال إن أباً عكرمة ذكر أن أصل المفضليات التى اختارها المفضل ثمانون قصيدة فقط ، ثم قرئت

على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . ثم إن ثعلباً روى عن ثلاثة من أصحاب الأصمعي أنهم قرأوا عليه المفضليات ، وأنهم بعد ذلك استقرأوا الشعر فأخلطوا من كل شاعر خيار شعره وضموه إلى المفضليات — وسألوا الأصمعي عن معانيه وغريبه ، وبذلك كثرت المفضليات جداً .

فإذا صححت هذه الرواية ، فعنى ذلك أن ثلثي القصائد المذكورة في هذه المجموعة فقط من اختيار المفضل ، وأن سائرهما من الزيادات التي أضافها الأصمعي وتلاميذه . غير أن في هذا الخبر ما يستوقف الباحث ، وذلك أن أبا محمد القاسم ابن محمد بن بشار الأنباري قد أخذ هذه المفضليات إملاءً مجلساً مجلساً عن أبي عكرمة الضبي ، فلو أن أبا عكرمة ذكر في مجالسه « أن المفضل أخرج ثمانين قصيدة للمهدى ، وقرئت بعدُ على الأصمعي فصارت مائة وعشرين » لسمعها ابن الأنباري — كما سمعها محمد بن الليث الأصفهاني فيما روى الأخفش — ولأثبتها في هذه المقدمة المفصلة التي بيّن لنا فيها كيف أخذ المفضليات وشرحها . هذه واحدة ؛ ثم إن أبا عكرمة ذكر أنه أخذ هذه القصائد عن ابن الأعرابي — ما عدا ستاً منها وهي في المطبوعة بتحقيق ليّال رقم ٣ و ١٣ و ١٦ و ١٩ و ٣٠ و ٣٢ ، إذ أن ابن الأنباري لم يروها عن أبي عكرمة وإنما ذكر أنه رواها عن أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح ، وأبو جعفر هذا سمع ابن الأعرابي وأخذ عنه — وقد عاصر ابن الأعرابي الأصمعي ، ولكنه كان شديد العصبية للكوفيين ، ولشيخه المفضل خاصة ، خصماً للأصمعي كثير النيل منه والتقص له . فإذا كانت هذه القصائد الست والعشرون كلها رواها ابن الأعرابي عن المفضل كما ذكر ابن الأنباري ؛ فإن من غير المحتمل أن يكون ابن الأعرابي قد روى — زيادة على ما اختاره المفضل — الإضافات التي زادها الأصمعي وتلاميذه . هذه ثانية ؛ وأما الثالثة : فإن ابن النديم قد ذكر في كتابه (الذي كتبه سنة ٣٧٧) أن المفضليات ^(١) « مائة وثمانية وعشرون قصيدة . . . والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي » .

وقد تنبه ليس لكل ذلك وأورده في مقدمة طبعته من المفضليات (١) ، وانتهى من ذلك إلى قوله « ولهذا الأسباب يبدو أننا لا نستطيع أن نسلم بالخبر الذي رواه الأخفش ؛ ومع ذلك فإن هذه المسألة ليست مما يمكن حله حلاً قاطعاً ؛ أما مسألة صحة هذا الشعر ونسبة قصائده إلى قائلها ، فإن مكانة الأصمعي في الرواية والحكم على مثل هذه الأمور لا تقل في قيمتها وعلوها عن مكانة المفضل » .

ولكن يبدو أن الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون لم يطمئنا إلى ما اطمئن إليه ليسل ، وإنما أعادا - في طبعتهما للمفضليات - هذا الموضوع جذعاً ، فأكدوا « أن هذه الثمانين هي أصل الكتاب عن المفضل ، لم يتجاوزها ، ثم قرئت على الأصمعي ، فأقرها وزادها قصائد ، وزاد في بعض قصائدها أبياتاً ، واختار قصائد أخرى . ثم جاء من بعد الأصمعي ، وزادوا في القصائد - أصلها ومزيدها - أبياتاً دخلت في روايتي المفضل والأصمعي ، حتى اختلطت كلها ، فلم يكن ميسوراً أن يحزم جازم بما كان أصلاً وما كان مزيداً ، إلا قليلاً ، ونحن موقنون أن السبعين التي بُني عليها الكتاب ، والعشرة التي زادها المفضل ، ليست الثمانين الأولى من هذه المجموعة ، وإنما هي ثمانون قصيدة مفرقة في الكتاب ، لا نوقن في قصيدة بعينها أنها منها أو من غيرها إلا قليلاً أيضاً (٢) » .

وواضح أن هذا الكلام مأخوذ من الخبر الذي رواه الأخفش وأورده القالي في أماليه ، ولكن الأستاذين المحققين ، قد بحثا بحثاً طويلاً ، فيه استقصاء دقيق ، عن أدلة يؤيدان بها هذا الخبر ، وأن قصائد من الأصمعيات أدخلت في المفضليات . وقد فصلا القول في ذلك في مقدمة طبعتهما ، ولسنا بحاجة إلى أن نعيده هنا فليراجع في موطنه ؛ غير أننا قد نذكر بعضه موجزاً في الحديث التالي .

(١) ص : ١٥ - ١٦ .

(٢) المفضليات ط . دار المعارف : ١٢ .

أما الأصمعيّات فاثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة ^(١) ، لواحد وسبعين شاعراً ؛ منهم ستة شعراء إسلاميون ، وأربعة عشر شاعراً مخضرمون ، وأربعة وأربعون جاهليون ، وسبعة مجهولون ليست لهم في المظان تراجم تكشف عن عصرهم . وليس في النسخة الخطية التي طبع عنها وليم بن الورد الطبعة الأوربية ، ولا في النسخة الخطية المحفوظة في دار الكتب التي طبع عنها الأستاذان عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر الطبعة المصرية - إسناد يكشف عن الرواية التي انتقلت بها هذه المختارات من الأصمعي . وذلك - في رأينا - عيب النسختين الخطيتين نفسيهما ، أو عيب النسخة أو النسخ التي نقلت عنها هاتان النسختان ، وليس عيباً في تاريخ الرواية الأدبية ، لأننا قد رأينا حرص العلماء الرواة على ذكر الإسناد الذي انتقلت إليهم به الدواوين والمجموعات الشعرية ؛ ولو وصلت إلينا النسخ الأصلية القديمة التي كتبها العلماء أنفسهم لرأينا في كل نسخة - على عادتهم التي لا يشذون عنها - إسناداً متصلاً ، ورواية تامة يكونان مصدراً خصباً للدراسة والبحث .

أما إسناد الأصمعي عن قبله ، فقد ذكرنا من قبل أن الأصمعي ومن في طبقته من علماء المدرستين : البصرية والكوفية ، كانوا الطبقة الأولى من الرواة العلماء ، وأن من بعدهم قد روى عنهم وأسند روايته حتى ارتفعت إليهم ثم انتهت عندهم ، وأنهم هم لم يكونوا يُسندون إلا في القليل النادر ، وأضفنا إلى ذلك أن إغفال الطبقة الأولى للإسناد لا يعني انقطاع الرواية ، بل لقد وضعنا أن الرواية كانت متصلة سلسلة من آخر العصر الجاهلي وصدر الإسلام حتى

(١) ذلك عددها في الطبعة المصرية بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ، وأما الطبعة الأوربية بتحقيق وليم بن الورد فليس فيها إلا سبع وسبعون قصيدة ومقطعة .

زمن هؤلاء الرواة العلماء من رجال الطبقة الأولى ، لم تنقطع خلال هذا الزمن فترة مهما تكن قصيرة . وذكرنا في مواطن متفرقة من هذا البحث أن مصادر هذه الطبقة الأولى من العلماء كانت ثلاثة : الصحف والمدونات التي وصلت إليهم من العصور السابقة ؛ والأخذ عن الشيوخ العلماء من رجال المدرسة الواحدة أو المدرستين معاً بالرواية الشفهية وبالقراءة والإملاء ، ثم الرواية عن الرواة من الأعراب . ثم قلنا إن هؤلاء العلماء كانوا يجمعون كل ذلك وينقدونه ويمحصونه ثم ييقنون منه ما رجحت لهم صحته ، فيدوّنونه في نسخهم الخاصة التي يروونها عنهم تلاميذهم .

ومع هذا كله ، فقد كان علماء الطبقة الأولى يسندون أحياناً ، وكذلك فعل الأصمعي في بعض مختاراته هذه ، فنص في ست منها على أنه رواها عن أبي عمرو بن العلاء وهي :

١ - « قال المنخل بن عامر . . . اليشكري ، قال أبو سعيد : قرأتها على أبي عمرو بن العلاء » (١) .

٢ - « قال أبو الفضل الكتاني ، قال أبو سعيد : أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء » (٢) .

٣ - « قال أبو سعيد ، قال أبو عمرو بن العلاء : قال عمرو بن الأسود هذه القصيدة يوم ذى قار » (٣) .

٤ - « قال أبو سعيد : سمعت أبا عمرو بن العلاء ينشد هذه القصيدة لامرئ القيس » (٤) .

٥ - « قال الأصمعي ، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : ساب يزيد

(١) الأصمعيات - ط . دار المعارف : ٥٢ .

(٢) المصدر السابق : ٧٥ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٤٢ .

ابن الصقّ رجلاً من بني أسد ، فقال يزيد في ذلك ... ، فأجابه الأسدى ^(١) .

٦ - « وأنشدني أبو عمرو بن العلاء لطرفة بن العبد . . ^(٢) » .

ونص في واحدة منها على أنه رواها عن خلف الأحمر « قال عبد الله بن جنيح النُكْرَى - قال الأصمعي : أنشدني خلف الأحمر ^(٣) » .

ونص في أخرى على أنه رواها عن أعرابي سماء من أهل نجد عن أبيه عن الشاعر نفسه ، وذلك قوله ^(٤) : « قال أبو سعيد ، عن حبيب بن شاذب ، رجل من أهل نجد مُسنّ ، عن أبيه ، أنشدني كعب بن سعد موافقاً لى براذان » .

وكذلك نص في واحدة على أنه رواها عن راوية من قبيلة الشاعر نفسه ، وذلك قوله ^(٥) : « قال الأصمعي : حدثنا رجل من بني رياح قال : جاء رجل إلى الأخوص والأبيرد - وهما من ولد عتاب بن هرمي - يطلب هيناءً ، فقالا : إن بلغت عنا مُحيم بن وثيل بيتاً وأتيتنا بجوابه . قال : نعم ، هاتياه . فأنشده :

إِنْ بُدَاهَتْنِي وَجِرَاءَ حَوْلِي لَذُو شِقِّ عَلَى الحُطَمِ الحُرُونِ

فلما أنشده إياه أخذ عصاه ، وجعل يهدج في الوادي ويقول :

أنا ابنُ جَلَا وَطَلاعِ الثنايا (القصيدة)

ونص في الأخيرة منها على أنه أخذها عن الحارث بن مطرف ، وذلك قوله ^(٦) : « قال الأصمعي ، خبرني الحارث بن مطرف قال : استبَّ حجل ومعاوية بن شكل عند بعض الملوك . . فقال حجل » .

بقي أمر آخر يتصل برواية الأصمعيات ، وهو ما ذكره ابن النديم في

(١) الأصمعيات : ١٦١ - ١٦٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٠ .

(٤) المصدر السابق : ٩٤ .

(٥) المصدر السابق : ٣ - ٥ .

(٦) المصدر السابق : ١٥٣ - ١٥٤ .

قوله (١): «وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلّة غريبها واختصار روايتها». وفي هذا الحكم - الذي انفرد بذكره ابن النديم - إشكالان يبدو أنه لا سبيل إلى حلّهما حلاً قاطعاً يقينياً. الأول: ما الذي يقصده ابن النديم بهذه القطعة الكبيرة من أشعار العرب؟ أهى القصائد التي اختارها الأصمعي فنسبت إليه وسميت الأصمعيات؟ أم هي جميع الدواوين الشعرية التي عملها الأصمعي؟ ولقد كان من الجائز أن يكون المقصود بها الأصمعيات - كما ذهب إلى ذلك ليل (٢) - لولا أمران، الأول: أنه وصفها بأنها «قطعة كبيرة» والأصمعيات ليست كذلك، أو على الأقل ما بين أيدينا منها ليس كذلك، والمفضليات أكبر منها كثيراً (٣). أما الدواوين التي عملها الأصمعي فهي «قطعة كبيرة» حقاً. ثم إن ابن النديم يستخدم أحياناً لفظة «القطعة» من الأشعار ويقصد بها دواوين الشعر، فمن ذلك قوله عن السكري إنه عمل «قطعة من القبائل» (٤). والأمر الثاني الذي يجعلنا نشك في أنه يريد بقوله هذا الأصمعيات هو أنه ذكره في آخر حديثه عن الأصمعي، بعد أن ذكر أسماء كتبه في اللغة والحديث، ولم يذكر له مما عمله من الشعر إلا كتاب «القصائد الست» (٥)، فلعله أغفل ذكر الدواوين التي عملها الأصمعي ليجملها في هذا اللفظ العام «قطعة كبيرة من أشعار العرب».

هذا هو الإشكال الأول في نص ابن النديم، أما الإشكال الثاني ففي قوله «واختصار روايتها». ونحن نرى أن «الرواية» هنا قد تعني أحد أمرين: إما إسناد الرواية، وإما الشعر المروى نفسه. فإذا كان المقصود: الإسناد، فله وجهان أيضاً:

(١) الفهرست: ٨٣.

(٢) مقدمة المفضليات ٢: ١٦.

(٣) الأسميات ٩٢ قصيدة فيها ١٤٣٩ بيتاً، والمفضليات: ١٣٠ قصيدة فيها ٢٦٦٤ بيتاً.

(٤) الفهرست: ١١٧.

(٥) المصدر السابق: ٨٢.

١ - إسناد الأصمعي عن قبله من العلماء الذين أخذ عنهم ؛ وقد فهمه بهذا المعنى ليل في مقدمة طبعة المفضليات^(١) . غير أننا نستبعد أن يكون هذا المعنى هو الذي ذهب إليه ابن النديم ، لأننا قد عرفنا من دراستنا المفصلة أن علماء الطبقة الأولى كانوا منتهى الإسناد ، وأنهم لم يكونوا يسندون إلى من قبلهم من العلماء إلا في القليل النادر ، وأن ذلك لم يكن عيباً ولا نقصاً فيهم ، ولا فيما يروون حتى تكون « ليست بالمرضية عند العلماء » .

٢ - إسناد الرواية بعد الأصمعي حتى زمن ابن النديم ، ويكون معنى ذلك - إذا كان المقصود به الأصمعيات - أن هذه القصائد المختارة لم يروها عن الأصمعي تلامذته ، وأن إسناد الرواية بعد الأصمعي غير مكتمل الحلقات . وأما الأمر الثاني الذي قد تعنيه لفظة « الرواية » في هذا النص ، وهو الشعر المروى نفسه ، فلعل معناه - إذا كان المقصود به الأصمعيات - أن الأصمعي حين اختار هذه الأشعار ، لم يرو في كثير منها القصيدة كاملة ، وإنما اختار منها أبياتاً أو قطعة صغيرة ، وأغفل ذكر سائرها . وفي الأصمعيات التي بين أيدينا شعراء لم يورد لهم الأصمعي إلا بيتين أو ثلاثة أو أربعة . فلعل هذا معنى قوله « اختصار روايتها » .

٣

وثمة ضرب آخر من المختارات يختلف عن المفضليات والأصمعيات في أنه بُني على أساس معلوم في اختياره ، ثم في تقسيمه وتبويبه . وهذا الضرب مجموعتان : حماسة أبي تمام ، وجمهرة أشعار العرب .

أما الحماسة فقد بُني اختيار ما فيها من الشعر على أبواب المعاني : فباب شعر الحماسة وهو أول الأبواب وأكبرها وبه سميت المجموعة كلها ، وباب للمراثي ، وباب للأدب ، وباب للتنسيب ، وباب للهجاء ، وباب للأضياف والمديح ، وباب للصفات ، وباب للسير والنعاس ، وباب للملح ، وباب للمذمة

النساء . وأما جمهرة أشعار العرب فقد قُسم ما فيها من الشعر سبعة أقسام هي : السموط ، المجهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثي ، المشوبات ، الملحمات . أما المفضليات والأصمعيات فلم يبينَ فيهما أساس الاختيار ، وليس فيهما تبويب وتقسيم ، وقد التقت الحماسة والجمهرة في هذه الصفة وحدها — ثم اختلفتا في غيرها ؛ فانضمت الجمهرة إلى المفضليات والأصمعيات في أنها قصائد كاملة طوال^(١) . أما الحماسة فأبيات مقتطفات ومقطعات قصار ؛ ولذلك قال التبريزي^(٢) : « ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ، ومن المقطعات الحماسة » .

وليس من شأننا في هذا البحث أن نتناول بالحديث الشعر نفسه من حيث خصائصه وميزاته ، وإنما هدفنا أن نقصر الحديث على رواية القصائد ورواية المجاميع جملة^٣ . وسنرى أن حديثنا عن هاتين المجموعتين من المختارات حديث موجز نتخذه معبراً فنصل منه إلى ما سنجمله في آخر هذا الفصل من رواية كتب المختارات وقيمتها التاريخية من حيث هي مصدر من مصادر الشعر الجاهلي .

أما الحماسة فليست لها رواية انتقلت بها إلى أبي تمام ، ولا رواية أخذت بها عن أبي تمام ، وإنما أخذها أبو تمام من الكتب ، وانتقاها من الدواوين والمجاميع ، في حديث طويل سنذكره بعد قليل . ثم كتب أبو تمام ما اختاره ، وبقي كتابه دهرًا مطويًا لم يقرأ عليه أحد ، كما لم يقرأه هو على أحد ، إلى أن أتيح له أن يُنشر ويظهر بعد وفاة أبي تمام^(٤) ؛ فأخذ ما فيه من الصحف المكتوبة نفسها لا عن العلماء . وهذا المرزوقي شارح الحماسة ، وبينه وبين أبي تمام نحو مائتي هام ، لا يذكر إسناداً انتقل إليه به الكتاب ، بل إنه لينص على أنه أخذه من الكتب ، وأنه كانت بين يديه نسخ عدة منه فهو يقابل بينها ويثبت ما يجد فيها^(٥) .

وليس فقدان الرواية والإسناد هو الأمر الوحيد الذي يباعد بين الحماسة

(١) ليست كل الأصمعيات قصائد ، بل فيها مقطعات قصار ، وإن كانت القصائد أكثر عدداً .

(٢) شرح ديوان الحماسة : ٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٧٤ .

(٤) شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٥٥ .

وبين بحثنا هذا ، بل إن ثمة شيئاً آخر لا يقل عن سابقه في المباحدة بين هذا الكتاب وبين بحثنا ، وهو صنيع أبي تمام فيما اختاره من تغيير للنص الشعري مما أوضحه المرزوقي في مقدمته ، قال^(١) : « وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، الهيب لكل داع ، فكان أمره أقرب ؛ بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ، حتى إنك تراه ينهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيضته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده . وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما في اختياره بها » .

من أجل هذا كله رأينا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن الحماسة حديثاً يتصل بموضوعنا ، فأوجزنا الكلام إيجازاً يغني عن التطويل ، ويكفي لأن نصل به بعد قليل ما يدخل في بحثنا إلى الصميم .

• • •

وأما الجمهرة فمحتاج إلى بحث مستفيض قائم بذاته مستقل عن بحثنا هذا ، فنسبها إلى صاحبها عقدة تحتاج إلى حل ، والتعريف بصاحبها وترجمته عقدة أخرى لا تقل عن الأولى ، وأكثر الرواة الذين يروى عنهم مجاهيل لم نجد لهم ذكراً فيما بين أيدينا من كتب الرجال والطبقات ، وهي عقدة ثالثة تنافس في الصعوبة سابقتها . وتفصيل ذلك أن هذا الكتاب — في طبعاته الثلاث : طبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ ، وطبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٣١ هـ ، وطبعة المطبعة التجارية — وهي كلها عن أصل واحد ولا اختلاف بينها — قد نسب إلى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ؛ وهو مجهول ليس له أدنى ذكر في جميع كتب

(١) شرح ديوان الحماسة : ١٣ - ١٤ .

الطبقات والرجال ، فلم يذكر مع المحدثين ورواة الحديث ، ولا مع اللغويين والنحويين ، ولا مع الشعراء والأدباء ، ولا مع مؤلفي الكتب وجامعي الدواوين .

ثم تتبعنا ذكره وذكر جهرته فيما بين أيدينا من كتب الأدب عامة ، فوجدناه مذكوراً في خزانة الأدب للبغدادى^(١) ، وفي المزهري للسيوطي^(٢) ، وفي العمدة لابن رشيقي^(٣) . أما في الخزانة فقد ذكره البغدادى ست مرات لم يسمه في أربع منها ، وإنما ذكر الكتاب من غير نسبة مرة ، وقال في مرة أخرى : صاحب جهرة أشعار العرب . وقال في المرتين الآخرين : شارح جهرة أشعار العرب . وسماه في الموطنين الباقيين باسم محمد بن أبي الخطاب ، من غير كنية ومن غير نسبة بعد الاسم . غير أنه في أحد هذين الموطنين نقل اسمه من العمدة ، فقال : « وفي العمدة لابن رشيقي : قال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب » . فلعله في الموطن الثاني الذي سماه فيه قد تأثر بتسمية ابن رشيقي له ، ولعله أيضاً كان بين يديه كتاب الجمهرة فنقل منه ما نقل من غير أن يسميه لأنه كان في شك من أمر نسبته إلى صاحبه .

وأما السيوطي في المزهري فقد ذكره في موطن واحد ، ونقل ما جاء في العمدة عنه .

فرد تسمية صاحب الجمهرة في هذين الكتابين — كما رأينا — إلى ابن رشيقي في العمدة حيث سماه في موطنين ، فقال مرة : « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب » ، وقال مرة أخرى : « وزعم ابن أبي الخطاب » . وعند كتاب العمدة ينتهي بحثنا عن صاحب كتاب الجمهرة ، ويكون بذلك ابن رشيقي أقدم من ذكر محمد بن أبي الخطاب ونسب إليه الجمهرة ، فإذا كانت تسمية هذا الرجل مما جرى به قلم ابن رشيقي حقاً ، ولم يكن زيادة أقحمها

(١) ١ : ١٠ ، ٢٤٦١ : ٤٤٥٥ : ١٦٣ ، ٥٣٨ ، ٥٤٥ .

(٢) ٢ : ٤٨٠ .

(٣) ١ : ٧٨ - ٧٩ .

أحد النساخ ، فإن معنى ذلك أن محمد بن أبي الخطاب قد عاش قبل منتصف القرن الخامس الهجرى (مات ابن رشيقي سنة ٤٦٣ هـ) .

ثم إننا وجدنا في معهد إحياء المخطوطات العربية ضرورة من نسخة أصلها في مكتبة كوبريلي ، وعنوانها « جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، وما وافق القرآن على ألسنتهم واشتقت بهم لفهم وألفاظهم » . والنسخة مكتوبة في سنة ٦٨٣ هجرية كما هو مذكور في آخرها . وهي تتفق مع النسخة المطبوعة في العنوان وفي المحتويات ، وإن كان بينهما من الاختلاف ما يكون عادة بين النسخ الخطية المتعددة للكتاب الواحد . غير أن هذه النسخة المصورة مذكور في أولها أن مؤلفها شارحها هو : محمد بن أيوب العزيزي ثم العمري ! ! وهو مجهول أيضاً لم نعر له على ترجمة ، أف يكون رجلاً آخر غير محمد بن أبي الخطاب ؟ أم أنه هو هو ؟ ويكون بذلك أبوه أيوب هو أبا الخطاب كنية ؟

وأمر ثالث : هل محمد بن أبي الخطاب أو محمد بن أيوب هو مؤلف هذا الكتاب ، أو شارحه وراويه ؟ ولرب قائل يقول : إن محمد بن أبي الخطاب أو محمد بن أيوب هو مؤلف الكتاب من غير ريب . وأن على ذلك دليلين ؛ الأول : نص واضح في أول الكتاب ، ففي المطبوعة « هذا الكتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام . تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي .. » ، وفي المخطوطة « ألفه وشرحه محمد بن أيوب العزيزي ثم العمري » . والدليل الثاني : أن أكثر الأخبار والروايات في القسم الأول من الكتاب وهو مقدمته ، مصدرة بقوله « قال محمد » ثم يذكر إسناد الرواية .

ومع أن هذين الدليلين كان يصح أن يكفيا للتدليل على أن هذا الرجل هو مؤلف الكتاب — إلا أننا لا نستطيع ، بعد الدرس ، أن نسلم بهذه النتيجة وذلك لأننا وجدنا أن محمداً هذا يروي الكثرة الغالبة من أخبار مقدمته عن رجل بعينه هو « أبو عبد الله المفضل بن عبد الله بن محمد بن الحبيب »^(١) بنى

(١) في المطبوعات الثلاث « الهجر » وهو تصحيف ، صوابه « الهجر » بالهمزة المعجمة =

عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب . حتى إذا وصل في مقدمته إلى القسم المهم منها ، وهو هذا التقسيم السباعي للشعر الذي يورده — وهو تقسيم لم يرد في غير هذا الكتاب فيما نعرف — ذكر هذا التقسيم وذكر سبعة شعراء سماهم بأسمائهم في كل قسم ، ثم قال ^(١) ، « قال المفضل : فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، وأنفس شعر كل رجل منهم . » فيكون إذن هذا التقسيم ، مع النص على الشعراء بأسمائهم وذكر القصائد بذواتها ، من صنع المفضل هذا ، لا من صنع محمد ، ويكون فضل محمد في أنه روى هذا التقسيم والشعر عن المفضل ، ثم شرحه ذلك الشرح الموجز الموجود في الكتاب .

والمفضل بن عبد الله المجبى هذا مجهول كذلك لم تذكره كتب الرجال والطبقات ، غير أنه في هذا الكتاب يروى « عن أبيه عن الأصمعي » ^(٢) ، و « عن أبيه عن جده عن أبي عبيدة » ^(٣) ، فيكون المفضل بذلك من رجال القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، ويكون محمد راوى الجمهرة وشارحها من رجال القرن الرابع ؛ وسائر الأسانيد التي عن غير المفضل في المقدمة تتفق في هذه النتيجة على وجه التقريب . أما ما ذكره سر كيس في معجم المطبوعات من أن محمدًا توفي في سنة ١٧٠ هـ فأمر عجيب لا ندرى كيف وصل إليه ، ولعله استنتجه استنتاجاً حين رأى محمدًا في أول النسخة يروى عن المفضل بن محمد الضبي ، وهو خطأ محض ، صوابه ما في المخطوطة الأخرى المثبت على هامش الصفحة الثالثة من أنه « المفضل بن عبد الله المجبى » ويؤيد ذلك تكرار هذا

= فن نسب قريش للصمص الزبيرى من ٣٥٦ «وأما عبد الرحمن الأصغر "ابن عمر بن الخطاب" فهلك وترك ابناً له ، فسمى به ، فسمته حفصة بنت عمر : عبد الرحمن ، ولقبته "المجبر" ، قالت "يجبره الله" فولده يعرفون ببني المجبر" . وانظر أيضاً جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص : ١٤٦ .

(١) جمهرة أشعار العرب : ٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٧ هامش : ٤ .

الاسم بهذا النسب في صفحات المقدمة .

وهذا التاريخ التقريبي الذي وصلنا إليه من رواية المقدمة - وهو أن محمداً هذا قد عاش في خلال القرن الرابع الهجري - يؤيده ، بعض الشيء ، ما ذكرناه من أن مؤلف كتاب جمهرة أشعار العرب لا بد أن يكون قد عاش قبل منتصف القرن الخامس لأن ابن رشيقي القيرواني روى عنه في العمدة ، وابن رشيقي مات سنة ٤٦٣ هـ .

ونحب أن نكتفي بهذا القدر من بحث هذا الكتاب ودراسته ، ونترك مواصلته وإكماله لمن سيستقل في المستقبل بعبء تحقيقه ونشره . فإذا أضفنا إلى ذلك أن جميع ما في كتاب جمهرة أشعار العرب من إسناد ورواية محصور في المقدمة نفسها وما فيها من أخبار وأحكام نقدية ، وأما القسم الثاني من الكتاب وهو الشعر نفسه فخال من أى إسناد ورواية - إذا أضفنا هذا إلى كل ما تقدم تبين لنا في وضوح أن فيما أسلفنا من حديث ما يغني عن الإطالة .

٤

وبعد ، فإننا لم نتحدث عن أخطر ما في مجموعات القصائد المختارة من دلالات تتصل ببحثنا عن تاريخ الرواية ومصادر الشعر ، وقد اقتطعنا هذا الجزء من البحث من مواضعه المتفرقة وادخرناه لنختم به هذا الفصل ؛ ولا نريد أن نستعجل ذكره وبيانه ، وإنما نريد أن نمهد بإيراد بعض النصوص والأخبار التي تنتهي بنا إلى ما نريد :

١ - قال التبريزي^(١) : « وكان سبب جمع أبي تمام الحماسة أنه قصد عبد الله بن طاهر ، وهو بخراسان ، فلحقه ، وكان عبد الله لا يجيز شاعراً إلا إذا

(١) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣ - ٤ .

رضيه أبو العميثل وأبو سعيد الضيرير ، فقصدتهما أبو تمام وأنشدتهما القصيدة التي أولها :

أَهْنُ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَذْرَكَ السُّؤْلَ طَالِيَهُ
فلما سمعا هذا الابتداء أسقطاها ، فسألها استتمام النظر فيها ، فقرأ بقوله :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْمَنِ عَرَمُوا على مثلها والليلُ تَسْطُو غِيَابَهُ
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صُدُورُهُ وليس عليهم أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ

فاستحسننا هذين البيتين وأبياتاً أخرى . . . فعرضنا القصيدة على عبد الله ، وأخذنا له ألف دينار . وعاد من خراسان يريد العراق ، فلما دخل همدان اغتنمه أبو الوفاء ابن سلمة ، فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطرق ومنع السابلة ، فغمَّ أبا تمام ذلك وسرَّ أبا الوفاء ، فقال له : وطن نفسك على المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . وأحضره خزانة كتبه ، فطالعها واشتغل بها ، وصنف خمسة كتب في الشعر ، منها : كتاب الحماسة ، والوحشيات

وهي قصائد طوال ، فبقى كتاب الحماسة في خزانة آل سلمة ، يضمنون به ، ولا يكادون يبرزونه لأحد ، حتى تغيرت أحوالهم ، وورد همدان رجل من أهل دينور يعرف بأبي العواذل ، فظفر به ، وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ، ورفضوا ما عدها من الكتب المصنفة في معناه ، فشهر فيهم ثم فيمن يليهم .

٢ - وروى عن المفضل أنه قال (١) : « كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن متوالياً عندي ، فكنت أخرج وأتركه ، فقال لي : إنك إذا خرجت ضاق صدري ، فأخرجني إلى شيئاً من كتبك أتفرج به . فأخرجت إليه كتباً من الشعر ، فاخترت منها السبعين قصيدة التي صدرت بها اختيار الشعراء ، ثم أتممت عليها باقي الكتاب » .

٣ - وروى النجيري أن العباس بن بكار قال للمفضل^(١) : « ما أحسن اختيارك للأشعار ؛ فلو زدتنا من اختيارك ! فقال : والله ما هذا الاختيار لي ، ولكن إبراهيم بن عبد الله استر عندي ، فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار ، فيأنس ويحدثني . ثم عرض لي خروج إلى ضيقتي أياماً ، فقال لي : اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها ، فتركت عنده قمطرين فيها أشعار وأخبار ، فلما عدت وجدته قد علّم على هذه الأشعار ، وكان أحفظ الناس للشعر ، فجمعته وأخرجته ، فقال الناس : اختيار المفضل » .

٤ - وقال أبو عكرمة الضبي^(٢) : « مر أبو جعفر المنصور بالمهدى وهو ينشد المفضل قصيدة المسيب التي أولها : أرحلت ، وهي هذه :

أَرْحَلْتُ مِنْ سَلَمَى يَغْيِرُ مَتَاعٍ قَبْلَ الْعُطَاسِ وَرُعْنَهَا بِوَدَاعٍ
فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به ، حتى استوفى سماعها ؛ ثم صار إلى مجلس له وأمر بإحضارهما . فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها ، وقال له : لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلّين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ؛ ففعل المفضل » .

• • •

وأحسب أن هذه النصوص ، بهذا النسق الذي أوردناها فيه ، وبهذه الخطوط التي وضعناها تحت بعض عباراتها - قد دلت على ما نريد أن ننهي إليه ؛ وخلاصته : أن العلماء في القرن الثاني كانوا قد فرغوا من تدوين أشعار الشعراء المكثّرين ، ومن دراسة دواوين الشعراء المشهورين ، ومن أجل هذا كان لابد لهم من أن يعمدوا « إلى أشعار الشعراء المقلّين » فيختاروا منها لكل شاعر أجود ما قال » . ثم إن الرواية عن الشيخ : قراءة « وإملاء » ، كانت وسيلة من وسائل

(١) الزمر ٢ : ٣١٩ .

(٢) القال : الأمال ٣ : ١٣٠ .

اختيار بعض هذه المختارات - كما رأينا في بعض القصائد الأصمعية - غير أن الوسيلة الكبرى التي كانت أكثر اتباعاً في اختيار المختارات كانت الرجوع إلى دواوين الشعراء وكتب الشعر التي كانت متوفرة بين يدي علماء القرن الثاني. فأبو تمام (المتوفى في نحو سنة ٢٢٨ هـ) يجد أمامه في همدان - في شرق الدولة الإسلامية - خزانة كتب ، لا كتاباً أو كتابين ، فيطالعها ويشتغل بها ويختار منها قصائد ومقطعات تكفي لأن يؤلف منها خمسة كتب . وإذا كان الباحث في تاريخ الرواية الأدبية وتدوين الشعر بأسى لأن الأخبار التي بين يديه لا تعينه على معرفة تاريخ كتابة هذه الكتب الموجودة في خزانة آل سلمة في همدان ، ولا تدله على أكثر من أن هذه الكتب كانت مدونة في آخر القرن الثاني الهجري ، فإن مما يخفف أسى هذا الباحث أن بين يديه نصاً آخر ، لا يحتمل الشك ولا التأويل ، يشير إلى أن خزائن كتب الشعر ودواوين الشعراء كانت موجودة منذ مطلع القرن الثاني وربما نهاية القرن الأول الهجري ، وبذلك استطاع المفضل الضبي أن يترك بين يدي إبراهيم بن عبد الله (في نحو سنة ١٤٥ هـ) « قمطرين فيهما أشعار وأخباره . وأن يعلم إبراهيم على سبعين قصيدة منها يصدّر بها المفضل اختياره ، ثم يتم عليها باقي كتابه حين يدعوه المنصور إلى تأديب ابنه المهدي ، ويطلب منه أن يعتمد إلى أشعار الشعراء المقلين فيختار لكل شاعر أجود ما قال . إن هذا المعلم الواضح الذي نصّبناه - في طريق بحثنا في نهاية القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني ليكشف لنا عن وجود دواوين الشعراء وكتب الشعر منذ هذا العهد المبكر - هذا المعلم الواضح يدعم ما قدمنا الحديث عنه من معالم ، استخرجناها من النصوص الكثيرة التي جمعناها في طريق بحثنا لتحديد لنا اتجاهه ، ولتين لنا أن مدونات الشعر الجاهلي قد انتقلت إلى القرن الثاني والطبقة الأولى من الرواة العلماء - من القرن الأول الهجري ، وأن بعضها ربما كتب منذ صدر الإسلام . وبذلك يكون التدوين : في الصحف المتفرقة وفي الدواوين المجموعة - رافداً كبيراً يسائر الرافد الآخر ، وهو الرواية الشفهية ، ويعاصره ، ولا يقل عنه قيمة ، وهما معاً يكوّنان هذا الجدول العظيم الذي نسميه : الرواية الأدبية .

الفصل الرابع

الشعر الجاهلي في غير الدواوين

١

في الكتب العربية ، على اختلاف موضوعاتها وفنونها ، شعر كثير ، بعضه جاهلي .. ولو قصرنا حديثنا على ما أُلّف منها في القرنين الثاني والثالث واستخرجنا ما تفرق في صفحاتها من شعر جاهلي وحده ، ثم جمعناه معاً ، لجاء كثيراً غزيراً بحيث يملأ أسفاراً عدة . ومن هنا كانت هذه الكتب جديدة بأن نقف عندها وقفة قصيرة ، نختم بها حديثنا عن مصادر الشعر الجاهلي . وإذ كنا نرى أن هذه الكتب ليست مصدراً أولياً من مصادر الشعر الجاهلي — على ما سنبينه بعد قليل — فلم نر ما يدعونا إلى الإحاطة بها كلها والاستقصاء في بحثها ، وإنما بحسبنا نماذج قليلة ندل بها على طريقة هذه الكتب في إيراد الشعر الجاهلي ، ونخلص منها إلى ما نريد من نتائج تتصل بموضوعنا الأصيل .

وقد اخترنا من كتب النحو كتاب سيبويه ، ومن كتب اللغة كتابي يعقوب ابن السكيت : «إصلاح المنطق» و «تهذيب الألفاظ» .

أما كتاب سيبويه فقد كان أول ما استوقفنا فيه ما ذكره أبو عمر الجرمي من قوله^(١) : « نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأما الألف فعرفت أسماء قائلها ، وأما الخمسون فلم أعرف قائلها » . ثم جاء عبد القادر البغدادى فأورد قول الجرمي هذا وذكر ما يوضحه قال^(٢) : « فإن سيبويه إذا

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٧٧ .

(٢) الخزائن ١ : ٣٣٣ - ٣٣٤ .

استشهد ببیت لم يذكر ناظمه ، وأما الأبيات المنسوبة في كتابه إلى قائلها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عمر الجرمي . . . وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر ، وبعض الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله لأنه قلم العهد به . وفي كتابه شيء مما يروى لشاعرين ، فاعتمد على شيوخه ونسب الإنشاد إليهم فيقول : أنشدنا ، يعني الخليل ، ويقول : أنشدنا يونس ، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : أنشدني أعرابي فصيح . وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أن في كتابه أبياتاً لا تعرف ، فيقال له : لسنا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك ، وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقلمين عليه ، ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا رويوا حرفاً منها .

وكلام البغدادى - على ما فيه من فائدة وغناء - غير ملزم للجرمي ، ولا يفهم بالضرورة من كلامه الذي أوردهاه . فكلام الجرمي لا يفيد أن سيبويه لم ينسب شيئاً من أبياته التي استشهد بها ، وكل ما ذكره الجرمي أنه وجد في كتاب سيبويه ألفاً وخمسين بيتاً ، عرف أسماء قائل ألف منها فأنبتها ، ولم يعرف أسماء قائل الخمسين الباقية . وهذا القول يحتمل أن يكون سيبويه قد عزا بعض هذه الأبيات الألف إلى قائلها ثم جاء الجرمي ونسب ما لم ينسبه سيبويه . ويحتمل أيضاً أن سيبويه لم يعز شيئاً منها وإنما الفضل في نسبتها إلى الجرمي . ولا سبيل إلى ترجيح أحد هذين الاحتمالين من كلام الجرمي وحده . ولكن البغدادى قطع قطعاً يقينياً بأن سيبويه لم يعز شيئاً من أبياته وإنما كان الجرمي هو الذي عزاها . ثم مضى البغدادى فعمل لنا امتناع سيبويه من تسمية الشعراء .

فلذا عدنا نحن إلى كتاب سيبويه وجدنا فيه نحو تسعمائة وخمسة وأربعين بيتاً ، تكرر منها بعضها مرة أو مرتين في نحو مائة وخمسة مواضع ، فيكون بذلك

مجموع الأبيات التي استشهد بها ألفاً وخمسين بيتاً مع المكرر منها . وقد تتبعنا الأبيات التي لم تُعزَ إلى قائل فوجدنا أنها نحو من مائتي بيت وسبعين بيتاً . فكان لا بد لنا أن نتساءل هل معنى ذلك أن سيبويه قد نسب نحو ثمانين وسبعمئة بيت إلى قائلها ، ثم جاء أبو عمر الجرمي فتتبع الأبيات التي لم ينسبها سيبويه فاستطاع أن ينسب منها نحو عشرين ومائتي بيت ، فيكون بذلك قد عرف نسبة ألف بيت وعجز عن معرفة قائل الخمسين الباقية ؟

ولقد كان من الجائز أن نجيب عن هذا التساؤل بالإثبات ، وأن نقبل هذه النتيجة التي وصلنا إليها عن طريق العد والإحصاء لولا شكنا في أصالة النسخة الخطية التي طُبِعَ عنها كتاب سيبويه . فقد رأينا في هذه الطبعة من الكتاب مواضع كثيرة تجعلنا نقطع بأن نسخته الخطية ليست النسخة الأصلية التي كتبها سيبويه ، وإنما أضيف إليها وأقحم عليها من أقوال تلاميذه ومن بعدهم من رَووا هذا الكتاب ما لا يجوز بحال أن يكون من أقوال سيبويه نفسه ، وخاصة في نسبة الشعر والتعقيب عليه . فمن ذلك ما جاء في صلب الكتاب ^(١) « واعلم أنه ليس شيء من هذا يتمتع من أن يُجمع بالتاء ، وزعم الخليل أن قولهم ظريف وظروف لم يكسّر على ظريف كما أن المذاكير لم تكسر على ذكّر . وقال أبو عمر أقول في ظروف هو جمع ظريف ، كسّر على غير بنائه وليس مثل مذاكير ، والدليل على ذلك أنك إذا صغّرت قلت ظُرَيْفُونَ ولا تقول ذلك في مذاكير . وأبو عمر هذا هو أبو عمر الجرمي ، وواضح أنه ممن لم يرو عنهم سيبويه فقد « أخذ أبو عمر النحو عن الأنخفش وغيره ، وقرأ كتاب سيبويه على الأنخفش ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه . . » ^(٢) ومات سنة خمس وعشرين ومائتين ^(٣) . فإذا كان جميع ما قاله أبو عمر في هذه العبارة مقحماً على كتاب سيبويه .

(١) الكتاب ٢ : ٢٠٨ .

(٢) أخبار النحويين البصريين : ٧٢ .

(٣) إنباء الرواة : ٨١ .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في الكتاب من قوله^(١): «وقد جاء في الشعر ،
 فزعموا أنه مصنوع » ، ثم استشهد ببيتين من الشعر . ونحن نرجح أن قوله
 « فزعموا أنه مصنوع » ، مما أضيف على الكتاب وليس في أصله . وما يجعلنا نرجح
 ذلك أن المبرد قال عن هذين البيتين^(٢) : « وقد روى سيبويه بيتين محمولين على
 الضرورة ، وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل هذا
 في الضرورة » . ولو رأى المبرد في أصل الكتاب قوله « فزعموا أنه مصنوع » لما قال
 ما قال ، أو لكان على الأقل أشار إليه . وهذا أبو جعفر النحاس قد وقعت
 بين يديه نسخة من الكتاب أضيفت إليها هذه العبارة فظن أنها من الأصل ولذلك
 قال يرد على المبرد^(٣) : « وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنه قد قال نصاً :
 وزعموا أنه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غلط ؟ » .
 ونحن نرى أن كلام أبي جعفر النحاس مردود لأنه لو كان البيت عند سيبويه
 مصنوعاً لا يجوز لما استشهد به .

وما نرجح ترجيحاً يقرب إلى اليقين أنه مضاف إلى الكتاب مقحم عليه
 قوله يستشهد^(٤) : « وقال وهو مصنوع على طرفة وهو لبعض العباديين :

أَسْعَدَ بَنَ مَالٍ أَلَمْ تَعْلَمُوا وَذُو الرِّأْيِ مَهْمَا يَقُلْ يَصْدُقِ

ونحن نرى أن الأصل : « وقال : البيت . . . » أما عبارة « وهو مصنوع على
 طرفة وهو لبعض العباديين » فما زيد على الكتاب بعد . ومن أوضح الأمثلة على
 الزيادة والإقحام أيضاً قوله^(٥) : « وقال الآخر (ويقال وضعه بعض النحويين) .
 فإذا كانت الأمثلة التي أوردناها مما زيد على الكتاب ، فإننا نرى أن كثيراً

(١) الكتاب ١ : ٩٦ .

(٢) الكامل (ليبسك) : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) الخزانة : ٤ : ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٤) الكتاب ١ : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٥) الكتاب ١ : ٤٣٤ .

من نسبة الشعر قد استحدثت بعد سيبويه وأضيفت إلى كتابه ، وجاءت في هذه الطبعة كأنها من الأصل ، وإن وضعت أحياناً بين قوسين . فن ذلك ^(١) « وقال أيضاً . . وهو الشماخ » و « قول الشاعر وهو مقاس العائذي » ^(٢) و « قول الشاعر وهو كعب بن جميل » ^(٣) و « قول الشاعر وهو أبو ذؤيب » ^(٤) و « قال الشاعر بشر بن أبي خازم » ^(٥) . والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لاستقصائها . غير أن من أوضح الدلائل التي قد تجعل الباحث يرجع ما ذهب إليه البغدادى في خزانته من أن سيبويه لم ينسب الشعر الذى استشهد به في كتابه ما جاء في الكتاب ^(٦) : « وقال المرار الأسدى » ثم يورد بيتين ويقول : « حدثنا به أبو الخطاب عن شاعره » . ونحن نرجح أن كلمتي « المرار الأسدى » مضافتان ، وأنه اكتفى بقوله « وقال » ثم أورد البيتين ، وأسند الرواية إلى أبي الخطاب عن الشاعر الذى لم يسمه ، ولو كان من منهجه أن يعزو الشعر إلى قائله لقال « حدثنا به أبو الخطاب عن المرار الأسدى » .

ونحن نرى ألا سبيل إلى القطع الجازم في هذا الأمر إلا إذا عثرنا على النسخة الخطية الأصلية التي كتبها سيبويه أو رواها عنه أحد تلاميذه ولم يضيف إليها شيئاً . ومع ذلك فإنه سيان عندنا — في هذا البحث — أن يكون سيبويه قد أهمل نسبة جميع الشعر الذى أورده أو أهمل نسبة بعضه ، فإن ما نريد أن نستنتجه من كتابه هو أن الشعر لم يكن عنده إلا وسيلة للاستشهاد أو الاستئناس ، ومن هنا لم يكن هذا الشعر غاية يقصد إليها فينص على نسبته إلى قائله وتحقيق هذه النسبة ، وإنما كان يكفيه أن يكون هذا الشعر من القديم الذى يصح أن

(١) الكتاب ١ : ١١ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢١ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٣٤ - ٣٥ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٦١ .

(٥) المصدر السابق ١ : ٢٩٠ .

(٦) المصدر السابق ١ : ٤٠ .

يستشهد به على لغة العرب . ولا عليه بعدُ أن يكون قائله امرأ القيس أو طرفه
أو عبيداً أو رجلاً غير معروف من إحدى القبائل العربية . ومن أجل هذا نجد
في الكتاب شعراً غير منسوب إلى شاعر بعينه بل إلى رجل من القبيلة ، ففيه :
« وقال رجل من باهلة »^(١) ، و « قال بعض السلولين »^(٢) ، أو « قال رجل من
بنى سلول »^(٣) ، و « قال الهذلي »^(٤) ، و « قال القرشي »^(٥) ، و « قول
رجل من عمان »^(٦) ، و « قال رجل من قيس عيلان »^(٧) ، وغيرها كثير .

• • •

أما كتابا ابن السكيت : إصلاح المنطق ، وتهذيب الألفاظ ، فإنهما
لا يكادان يختلفان عن كتاب سيبويه فيما عرضنا من أهور . ففي الكتابين إضافات
وإقحام وضع بعضها بين علامتين مميزتين ، وأرسل بعضها لإرسالاً يوهم أنها من
أصل الكتاب . ومع ذلك ففي الكتابين شعر كثير غير معزو إلى قائله ، وإنما
اكتفى ابن السكيت بقوله « قال الشاعر »^(٨) ، أو « قال الآخر »^(٩) ، أو
« قال الراجز »^(١٠) ، أو « قال »^(١١) . وربما أسند إلى من روى عنه مع إهمال
النسبة إلى الشاعر مثل « أنشد أبو زيد »^(١٢) ، أو « أنشد الأصمعي »^(١٣) ،

(١) ١ : ١١ - ١٢ ، ٣٩ .

(٢) ١ : ٤٣٤ .

(٣) ١ : ٣٥٨ .

(٤) ١ : ١٢٤ ، ٢/٢٦١ ، ٣٠٧ .

(٥) ١ : ٢٩٠ .

(٦) ١ : ٨٢ .

(٧) ١ : ٨٦ - ٨٧ .

(٨) إصلاح المنطق ١٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ١٠١ ، ٣٢٠ ، وغيرها كثير ؛ وتهذيب
الألفاظ ١ : ٣٨ ، ٤٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١٧ ، ١٣٤ إلخ .

(٩) إصلاح : ٢٩ ، ٣٤ ، ٤١ - ٤٢ ، ١٦٣ .

(١٠) إصلاح : ١٩ ، ٢٣ ، ٢٩ ، وتهذيب ١ : ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ،
١٣٠ إلخ .

(١١) إصلاح : ٢٥ ، ١٨٥ ، وتهذيب ١ : ٨٨ .

(١٢) إصلاح : ٦٤ ، ١٢٤ ، ١٦٤ ، وتهذيب ٢ : ٨٦ .

(١٣) إصلاح : ١١ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٩٥ .

أو « أنشد الكسائي » (١) ، أو « أنشدني ابن الأعرابي » (٢) . وربما أورد البيت منسوباً مرة وأهمل نسبته مرة أخرى (٣) .

وكما ورد في كتاب سيبويه شعر معزو إلى رجل من إحدى القبائل العربية مع إغفال النص على الشاعر نفسه ، كذلك ورد مثل ذلك في « إصلاح المنطق » و « تهذيب الألفاظ » ؛ مثل « قال الهذلي » (٤) ، أو « قال الأسدي » (٥) أو « قال رجل من ربيعة » (٦) ، وغيرها كثير .

والناظر في كتب النحو واللغة في القرنين الثاني والثالث يجد أنها كلها تسير على هذا النهج ، وقد قدمنا أننا سنستغنى عن الإحاطة بها واستقصائها — بالبحث في هذه الكتب الثلاثة وحدها إذ أنها تدل على غيرها .

وخلاصة بحثنا هذا أن الشعر عامة ومنه الشعر الجاهلي لا يعدو أن يكون في كتب النحو واللغة وسيلة للاستشهاد والاحتجاج ، ومن هنا أهملت نسبة الكثير منه إلى قائله ، أو نص على نسبة البيت إلى رجل غير مسمى من إحدى القبائل العربية ، ولذلك فنحن نرى أن كتب النحو واللغة ليست مصدراً أولياً من مصادر الشعر الجاهلي التي ثبتت بها نسبة البيت أو الأبيات إلى شاعر بعينه .

(١) إصلاح : ١١٣ .

(٢) إصلاح : ٣٤ ، ٥٠ .

(٣) إصلاح : ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) إصلاح : ٨ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٤-٧٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٥) ١٥٢ ، ٣٢٠ ، ٤٤٩ ؛ وتهذيب : ١ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ .

(٦) إصلاح : ٨٠ ، وتهذيب : ٨٦ ، ٢٤١ .

(٦) إصلاح : ٣٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ .

وأمر الشعر الجاهلي في كتب السيرة والتاريخ لا يكاد يختلف - في جوهره - عما قدمنا من حديث عن كتب النحو واللغة . ولو أننا قصرنا حديثنا على كتاب واحد هو ما حفظه لنا ابن هشام من السيرة التي صنعها محمد بن إسحق لوجدنا فيه شعراً كثيراً جديراً بالبحث والدرس . وأول ما يدولنا من شأنه أن محمد بن إسحق لم يكن أول من أدخل الشعر فيما يروى من أخبار ، بل لقد سبقه إلى ذلك كل من كتب في السيرة قبله ، مثل : عروة بن الزبير ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وابن شهاب الزهري ، وغيرهم ؛ فإن الأخبار التي تروى عنهم تدل على أنهم كانوا من رواة الشعر وحفاظه ومتذوقيه ، وما بقي لنا من آثار السيرة التي كتبوها - متفرقة في مواطن عدة من كتب التاريخ والسيرة - يدل على أنهم كانوا يوردون في كتبهم الأشعار التي قالها الرجال الذين يرد ذكرهم في حوادث السيرة (١) . وقد مر بنا في فصل مضى أن السيرة والتاريخ والقصص عامة كانت مجالاً واسعاً للاستشهاد بالشعر ، بل لقد كان الشعر ضرورة لازمة لها يزينها ويكسيها ثقة وقوة في نفوس المستمعين والقارئین ، كأنما كان الشعر دليلاً على صدق ما يروى من خبر ، حتى لقد رويوا أن معاوية بن أبي سفيان طلب من عبيد بن شربة - حينما كان يقص عليه أخباره المتضمنة في كتاب « أخبار عبيد بن شربة » - أن يورد في أخباره وقصصه كل ما يتصل من شعر وقال له (٢) : « وسألتك ألا تمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد إلا ذكرته » . ومع أن عبيداً كان لا يقصّر في الاستشهاد بالشعر ، فقد عاد معاوية يلحف عليه بقوله (٣) : « سألتك إلا شددت

(١) انظر هوروفتس المغازي الأول ومؤلفوها : ٢٤ ، ٤٤ ، ٦٨ .

(٢) أخبار عبيد بن شربة : ٣١٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣١٨ .

حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أبيات! ، ، وحينا ذكر عبيد أن يعرب كان يقول الشعر قال له معاوية^(١) : « اذكر الشعر الذي قال يعرب » . وكان معاوية كلما سمع الشعر الذي قيل في إحدى الحوادث اطمأن إلى صحة الخبر وقال لعبيد^(٢) : « لقد جئت بالبرهان في حديثك يا عبيد » ، أو « قد دوك فقد جئت بالبرهان »^(٣) . ونحن لا يعنينا من كل ذلك تحقيق هذه الأخبار والأقوال ، وإنما نريد أن نقول إن الاستشهاد بالشعر في التاريخ عامة والقصص التاريخية خاصة كان من مألوف عادة القوم منذ أقدم ما نعرف من آثارهم . وقد استتبع ذلك أن بعض القصاصين كانوا يحتلبون الشعر اجتلاباً ليضموه في المكان المناسب له من قصصهم ، ويطلبون المصنوع ليكثرأوا به الأحاديث ويستعينوا به على السهر عند الملوك ، والملوك لا تستقصي^(٤) ، أو عند عامة الناس وهم أقل استقصاءً وتدقيقاً .

ولم يكن جميع كتّاب السيرة والتاريخ ممن يحتلبون المصنوع اجتلاباً ويطلبون من يصنعه لهم ويضعه ، ولكنهم - مع ذلك - اتفقوا جميعاً في إيراد شعر موضوع كثير ، بعضهم يعمد إليه عمداً لما قدمنا من أسباب ، وبعضهم يجد هذا الشعر أمامه مروياً أو مدوناً ، فيضطر إلى الوفاء بواجبه وهو الجمع والتأليف ، من غير تحقيق لصحة الشعر ونسبته ، ويعتذر عن ذلك - حينما يلام عليه - بأنه لا علم له بالشعر وإنما جمع منه ما وجده أمامه أو ما روى له .

من هذا الضرب الثاني محمد بن إسحق صاحب السيرة . فقد كان مشهوداً له بالعلم بالمغازي والسيرة حتى قال عنه ابن سلام^(٥) : « كان من علماء الناس بالسير » ، وقال الزهرى^(٦) « لا يزال في الناس علم ما بقى مولى آل مخزومة ، وكان

(١) أخبار عبيدة : ٣١٦ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ٣٤٩ .

(٤) طبقات الشعراء : ٥٠ .

(٥) المصدر السابق : ٩ .

(٦) المصدر السابق : ٨ .

أكثر علمه بالمغازى والسير وغير ذلك . ومع ذلك فإنه لم يكن له علم بالشعر ، وكان يعتذر عن الأشعار التى أوردتها فى سيرته بقوله^(١) : « لا علم لى بالشعر ، أوتى به فأحمله » ، ولم يقبل منه ابن سلام هذا العذر ، وذلك لأنه « كتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وشمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة . . . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ آلاف السنين ؟ . . فكأن ابن سلام كان يفترض أن هذا القدر من التمييز والعلم بالشعر مما لا يجوز لأحد من العلماء أن يجهله . ومن أجل ذلك نرى فى أحكام ابن سلام على ابن إسحق شيئاً من القسوة والتعميم فهو يقول^(٢) : « وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غُشاء منه : محمد بن إسحق » . وقال^(٣) : « فلو كان الشعر مثل ما وُضِع لابن إسحق ، ومثل ما رواه الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل على علم » . وقال أيضاً فى معرض حديثه عن أبى سفيان بن الحارث^(٤) : « ولسنا نعد ما يروى ابن إسحق له ولا لغيره شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر ، أحسن من أن يكون ذلك لهم » .

ومع ذلك كله فإن الأمر فى حاجة إلى التقييد بعد هذا الإطلاق الذى ذهب إليه ابن سلام فى أمر الشعر الذى أوردته ابن إسحق . فإذا ما عرضنا الشعر الذى أوردته ابن إسحق فى سيرته — وبقي لنا بعد تهذيب ابن هشام — وجدنا أن الشعر عنده على ثلاثة ضروب :

الأول : الشعر الذى لا خلاف فى أنه موضوع مصنوع ، وهو الذى نُسب إلى آدم وإسماعيل والأئم القديمة والعرب البائدة . وليس فى السيرة التى بين أيدينا إلا القليل منه ، وإن كان قسم كبير منه قد حفظ فى كتب التاريخ مروياً عن

(١) طبقات فحول الشعراء : ٩ .

(٢) المصدر السابق : ٨ .

(٣) المصدر السابق : ١١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٠٦ .

ابن إسحق، وذلك لأن ابن هشام قد حذف هذا القسم في تهذيبه للسيرة ونص على ذلك في مقدمته^(١). ومع ذلك فإن الأمثلة التي بقيت في السيرة من هذا القسم تدل على أن ابن إسحق نفسه لم يكن يثق في صحة هذه الأشعار بل في صحة الأخبار نفسها، ولكنه وجدها أمامه مدونة أو مروية، فأثبتها كما قرأها أو سمعها. وكان يذكر من العبارات ما يبرئ به نفسه من تبعها، فهو مثلاً حين يذكر خبر انتشار النصرانية في نجران ينص على أن « هذا حديث محمد بن كعب القرظي، وبعض أهل نجران »^(٢) عن ذلك، فليس عليه إذن من تبعته شيء وإنما هو يرويه كما سمعه، وكأنه يؤكد براءته من هذه التبعة بقوله بعد ذلك « والله أعلم أي ذلك كان ». وهو يذكر خبر سامة بن لؤي ثم يورد له شعراً قاله حين أحس بالموت، ولكنه لا يتحمل تبعته، ومن هنا ذكر أن سامة قال ذلك الشعر « فيما يزعمون »^(٣). ويورد رجلاً لثعلبة بن سعد بن ذبيان فيقيده أيضاً بهذا القيد نفسه قال^(٤): « وثعلبة — فيما يزعمون — الذي يقول لعوف حين أبطى به فتركه قومه ». ويروي رجلاً للغوث بن مر، ويحتاط لنفسه فيقول^(٥): « فيما زعموا ». ويورد خبر عثور بعض الناس على حجر في الكعبة قبل الإسلام بأربعين سنة مكتوب عليه بعض الحكيمة، فيدخل بين الكلام قيده الذي يقيده به مثل هذه الروايات فيقول^(٦): « وزعم ليث بن أبي سليم . . . إن كان ما ذكر حقاً . . . ». فكان ابن إسحق يرى — بمثل هذا الاحتياط الذي كان يصطنعه — أن هذه الأخبار والأشعار أصبحت من التراث المروى، وأن لا سبيل إلى البحث العلمي في صحتها وصدق نسبتها، بل لو كان إلى ذلك سبيل، فليس هو ذاك الرجل الذي يضطلع بهذا

(١) السيرة ١ : ٤ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٠١ .

(٤) المصدر السابق ١ : ١٠٢ .

(٥) المصدر السابق ١ : ١٢٥ .

(٦) المصدر السابق ١ : ٢٠٨ .

العبء ، فهو ليس عالماً بالشعر ، على حفظه له وروايته إياه - وليس من عمله أن يحققه ويمحصه ، وإنما عمله في أن يورد الأخبار لإيراداً ، ويسرد الروايات سرداً ، ويزين كل خبر بما يستطيع أن يعثر عليه من شاهد شعري . وكل ما يستطيع أن يأخذ به نفسه في مثل هذا الموضوع هو أن ينثر في حديثه مثل هذه العبارات التي قدمناها كقوله « فيما يزعمون » ، أو « إن صح ما قالوه » ، ليبرئ نفسه من تبعة ما يروى .

الثاني : أما القسم الثاني من الشعر الذي تضمنته السيرة فهو الذي قيل قُبيل البعثة أو في السنوات الأولى منها ، فهو بذلك أقرب إلى الصحة ، بل إن بعضه صحيح لا شك فيه وإن اختلف بعض الرواة في نسبته . وهنا يتجلى لنا أيضاً حذر ابن إسحق وحيطته ، وتبرؤه من التبعة ، فكأنه يريد أن يؤكد المعنى الذي لحناه في القسم الأول وهو أنه ليس من علماء الشعر المحققين له ، وإنما يروى منه ما وجدته أمامه وينقل ما نقله إليه غيره . ولذلك نراه يتبع إحدى طريقتين في هذا القسم من الشعر ؛ الأولى : أنه يستعمل القيود نفسها التي استعملها في القسم الأول ، فهو ينقل الخبر أو الشعر ويبدؤه أو يعقب عليه بقوله « فيما يزعمون »^(١) ، أو « كما يذكرون »^(٢) ، أو « فزعم بعض أهل الرواية »^(٣) ، أو « فهذا الذي بلغني من هذا الحديث »^(٤) ، أو « فهذا حديث الرواة من أهل المدينة »^(٥) أو ما شاكل هذه العبارات . وأما الطريقة الثانية التي اتبعها في هذا القسم من الشعر فهي نسبة الشعر إلى شاعر بعينه والتعقيب على ذلك بأنها قد تروى لغيره . فمن ذلك أنه يورد شعراً نسبته إلى أبي بكر الصديق ثم يقول^(٦) « ويقال : بل عبد الله

(١) السيرة ١ : ١٤٣ ، ١٤٧ / ٢ : ٢٤٦ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٢٤٢ / ٣ : ٥ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٢٠٩ .

(٤) المصدر السابق ١ : ١٥٣ .

(٥) المصدر السابق ١ : ٣٧١ .

(٦) المصدر السابق ٢ : ٢٥٦ .

ابن جحش قالها . ويورد شعراً آخر ويقول^(١) : « فقال عبد الله بن رواحة
أو أبو خيثمة . ويقول^(٢) : « وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول
ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . ويقول^(٣) : « وقال
قائل من بني جذيمة ، وبعضهم يقول امرأة يقال لها سلمى ، ثم يقول : « فأجابه
عباس بن مرداس ، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمي » .

الثالث : وأما القسم الثالث من الشعر الذى أورده ابن إسحق في السيرة فهو
هذه الأبيات المخاهيل والقصائد التى لا يعرف اسم قائلها أو لا ينص عليه ؛ ومع
أن القسمين الأولين واضحا للدلالة على ما نذهب إليه في أمر الشعر الجاهلي
الذى يرد في مثل هذه الكتب ، فإن هذا القسم أوضح منهما دلالة لأنه يصلنا
بكثير من الشعر الذى ورد في بحثنا عن كتب اللغة والنحو والذى سيرد في بحثنا
عن كتب الأدب عامة . ووجه الدلالة في هذا القسم أن قائل الشعر أو تحقيق
نسبته ليس من الأمور التى يشغل بها المؤرخ أو كاتب السيرة نفسه ، كما لم
يشغل بها نفسه اللغوي أو النحوي . فبحسب المؤرخ أو كاتب السيرة أن يجد
شعراً قيل في حادثة من الحوادث أو في رجل من الرجال الذين يذكروهم حتى
يسارع إلى إيراده في كتابه ، وليس يعنيه بعد ذلك شيء ، فقد كفاه أن يجد
ما يزين قصته أو يؤيد الخبر الذى ذكره . ومن أجل هذا نرى ابن إسحق في سيرته
يورد شعراً « لشاعر من العرب »^(٤) ، أو « رجل من العرب »^(٥) ، أو « شاعر
من قريش أو من بعض العرب »^(٦) ، أو « قال قائل من العرب »^(٧) ، أو

(١) السيرة ٢ : ٣١٠ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٧٤ - ٧٥ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٨٦ ، ٢٠٦ .

(٥) المصدر السابق ١ : ٨٨ .

(٦) المصدر السابق ١ : ١٤٣ / ١٤٤ .

(٧) المصدر السابق ١ : ٢١٥ .

« فقالت امرأة من العرب »^(١)، أو « قال رجل من بني جذيمة »^(٢)، أو « قال الآخر »^(٣). وأكثر هذا الشعر الذي لا ينص ابن إسحق على قائله هو ما قيل في رجل من الرجال الذين يرد ذكرهم في السيرة. فيذكر مثلاً جرير بن عبد الله البجلي، فيريد أن يزيده تعريفاً بقوله^(٤): « وهو الذي يقول له القائل »، ويذكر هاشم بن حرملة فيقول^(٥): « وهو » الذي يقول له القائل «، ويعرف سعد بن مسيّل بقوله^(٦): « ولسعد بن سيل يقول الشاعر »، ويذكر أبا سيّارة عُميلة بن الأعزل فيقول^(٧): « ففيه يقول شاعر من العرب »، ويذكر انطلب ووفاته فيقول^(٨): « فقال رجل من العرب يبكيه » : ومثل ذلك كثير .

فنحن نرى إذن أن الشعر في كتب التاريخ والسيرة ليس هدفاً يقصد لذاته، ولم يكن موضعاً للتحقيق والتحيص، وإنما كان حلية أحياناً، ودليلاً على القصة أو الخبر أحياناً أخرى، وكان في جميع هذه الأحايين يُقصد منه التأثير في نفوس السامعين أو القارئ حتى يندمجوا في جوّ الحوادث نفسها وتصغو إليها أفئدتهم فيصدّقوها، أو على الأقل لا يناقشوا أمر صحتها. ومن أجل هذا رأينا أصحاب التاريخ أو السيرة يروون شعراً لا يكاد يشك أحد في أنه مختلق موضوع، بل إنهم هم أنفسهم — كما رأينا في سيرة ابن إسحق — يشكّون في هذا الشعر، ويوردونه بعد عبارات تكشف عن بعض هذا الشك، ولكنهم مع ذلك لا يملكون إلا أن يوردوه لأنه — كما ذكرنا — أصبح تراثاً شعبياً، وأصبح لا مفرّ للمؤرخ من أن يجمعه ويورده مع كل حادثة قيل فيها. ومن أجل هذا وجدنا أيضاً أن

(١) السيرة ١ : ٢١٥ .

(٢) المصدر السابق ٤ : ٧٧ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٧٨ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٧٦ .

(٥) المصدر السابق ١ : ١٠٥ .

(٦) المصدر السابق ١ : ١١٠ .

(٧) المصدر السابق ١ : ١٢٨ .

(٨) المصدر السابق ١ : ١٤٥ .

بعض الشعر الذى ورد فى كتب التاريخ والسيرة أرسيل إرسالاً ، ولم ينسب إلى شاعر ، أو لم ينص على نسبته لشاعر ، وذلك لأن ما يعنى المؤرخ أو كاتب السيرة هو هذا الشعر نفسه وأنه قيل فى حادثة بعينها أو فى رجل بذاته ، أما تحقيق نسبة الشعر فليس مما يصرفون إليه جهدهم .

وما أحسبني بعد ذلك مغالياً إذا ضمنت كتب التاريخ أو السيرة إلى كتب اللغة والنحو — ولم أعدّها كلها مصدراً من مصادر الشعر الجاهلى بطمأن فيه إلى صحة ذلك الشعر الوارد فيه أو إلى نسبته إلى شاعر بعينه .

٣

وكتب الأدب العامة لا تختلف ، فى طريقة إيراد الشعر ، عن كتب النحو واللغة والسيرة والتاريخ ، ولو اقتصرنا فى حديثنا على كتابين من كتب الجاحظ هما : البيان والتبيين ، والحيوان ، لوجدنا فيهما مصداق ما نذهب إليه . فالجاحظ — شأنه كشأن جميع من أُلّف فى الأدب العام — لا يورد الشعر على أنه غاية تقصد لذاتها ، فلا يكلف نفسه مشقة تمحيصه وتحقيقه والتثبت من نسبته وروايته ، وإنما يورد الشعر ليكون مثلاً أو شاهداً يتوسّل بهما لتوضيح ما يسوق من أخبار ، أو لدعم ما يذهب إليه من مناقشات ومناقشات . ومن أجل ذلك نراه — حين يذكر عادات العرب فى الخطابة ويردّ على الشعوبية فى ذلك — يقول^(١) : « وفى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق والمثل السائر » . وحين يتحدث عن أنواع الشعراء وطبقاتهم ، يورد على كل نوع وطبقة بيتاً أو أبياتاً من الشعر فيها ذكر لهذه الأنواع والطبقات أو لبعضها متخذاً من هذا الشعر دليلاً على صدق قوله^(٢) . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصّى ، بل إننا

(١) البيان والتبيين ٢ : ٤ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٩ - ١٢ .

لنكاد نذهب إلى أن جميع ما أورده الجاحظ في كتابيه هذين إنما ينهج فيه هذا النهج .

وإذا كان الجاحظ ومؤلفو كتب الأدب العامة يشتركون مع مؤلفي كتب النحو واللغة والسيرة والتاريخ في هذه الخاصة وهي : إيراد الشعر على أنه دليل أو شاهد، فإن الجاحظ ومعه مؤلفو كتب الأدب العامة ينفردون عن مؤلفي الكتب التي ذكرناها بخاصة أخرى، وهي : أنهم لا يرمون من وراء كتبهم التي يؤلفونها في الأدب العام إلى الفائدة العلمية وحدها، ولا يقتصرون فيها على التعليم والتثقيف وحدهما، أو قل إنهم لا ينهجون فيما ينقلون من العلم نهج الأسلوب العلمي الجاف الذي يرى إلى القارئ بالقول من أقرب السبل ، وإنما ينهجون في ذلك نهج الأسلوب الأدبي ، ويأجأون إلى الاستطراد والتنويع والتنقل من باب إلى باب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ثم يعودون إلى ما بدأوا به ، ولا يكادون يمحضون فيه قليلاً حتى يتجاوزوه إلى حديث آخر . فهم بذلك يجمعون بين التعليم والتسلية ، وبين التثقيف والإمتاع . ومن كان هذا شأنه لا يعنيه أن يقف عند موضوع بعينه ووقفه طويلة يستغرق فيها جميع أطرافه ، وليس من شأنه أن يأخذ نفسه ويأخذ القارئ بالتحقيق والتحصيل . ومن أجل هذا نرى الجاحظ حريصاً على أن يوضح طريقته هذه توضيحاً لا لبس فيه فيقول (١) : « وقد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بقدر ما أسقطنا به مؤونة الخطب الطوال . وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ، ثم نعود بعد ذلك إلى ما قصر منها ونحف » . ويقول أيضاً (٢) : « هذا — أبقاك الله — الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين ، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث ، وشاكله من عيون الخطب ، ومن الفقر المستحسنة — والنثف المستخرجة ، والمقطعات المتخيرة ، وبعض

(١) البيان والتبيين ٢ : ١١٧ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٥ .

ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة، والجوابات المنتخبة». ويقول^(١): «كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادير الأشعار، لما ذكرت عجبك بذلك . . .»
 ويعمل الجاحظ اتباعه هذه الطريقة بقوله^(٢): «وجه التدبير في الكتاب إذا طال أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فن ذلك أن يخرج من شيء إلى شيء ومن باب إلى باب . . . ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل، فإنه يأتي من وراء الحاجة، ويعرف بحملته مراد البقية». ويقول بعد أن يورد بعض الأخبار والنوادر^(٣): «فجعلنا بعضها في باب الاتعاظ والاعتبار وبعضها في باب الهزل والفكاهة. ولكل جنس من هذا موضع يصلح له. ولا بد لمن استكده الجلد من الاستراحة إلى بعض الهزل».

ومن كانت هذه غايته، كان خليقاً أن يجمع بين دفتي كتابه ما يحقق له هذه الغاية، يستوى عنده في ذلك الخبر الصحيح والزائف، والشعر الثابت والمشكوك فيه والموضوع، وربما أورد من الأخبار والأشعار ما يعرف يقيناً زيفها ووضعها، ولكنه يسوقها لأنه يستحسنها أو لأن فيها نادرة تناسب ما قبلها. فن ذلك أن الجاحظ يورد خبراً فيه شعر ثم يقول^(٤): «وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولدًا، ولقد أحسن من ولده».

ومن أجل هذا كله نرى الجاحظ لا يكلف نفسه مشقة الثبوت والتحصيل، والرجوع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر، وإنما يرتجل القول ارتجالاً، ويسوقه في كثير من التجاوز والتسامح، ويدفعه إلينا كما ورد في خاطره ساعة كتابته أو لإملائه، فهو يورد بيتاً من الشعر ثم يقول^(٥): «وهي أبيات لم أحفظ منها إلا هذا البيت». ويقول أيضاً في باب الخطب^(٦): «وخطبة أخرى ذهب عنى

(١) البيان والتبيين ٣ : ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ٢٢٢ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٣٦ .

(٥) الحيوان ٢ : ١٣ .

(٦) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ .

إسنادها». ويقول^(١): «وإذا صرنا إلى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا». ويقول بلسان صاحب الكلب وهو يرد^٢ على صاحب الديك^(٢): «لعلنا إن تتبعنا ذلك وجدناه كثيراً، ولكنك تقدمت في أمر ولم تشعر بالذى تعنى فلتنقط من الجميع أكثر مما التقطت... وما حضرنا من الأشعار إلا قوله...»

ولم يكن ارتجال الجاحظ للكلام، ولا إلقاؤه إياه كما حضره في ذاكرته، عن قلة الكتب التي بين يديه، وإنما كان ذلك لأن طريقة التأليف في مثل كتب الأدب العامة لا تستدعى التثبت والتحقيق والرجوع إلى المصادر — كما بينا في مواطن كثيرة في هذا الفصل. وإلا فقد عرف الجاحظ بكثرة ما لديه من كتب وبكثرة ما قرأه واطلع عليه منها، حتى لقد قال أبو هفان^(٣): «ثلاثة لم أرقط ولا سمعت أحب إليهم من الكتب والعلوم: الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأما الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان حتى إنه كان يكثرى دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر...» بل إن في كتابيه هذين ذكراً لبعض الكتب التي استمد منها بعض ما فيهما من أخبار وخطب وأشعار^(٤).

ومع كل ذلك فقد نثر الجاحظ في كتابيه إشارات متفرقة عبّر بها عن شكه فيما أورد من شعر، وهو شك قد يوهم بالتحقيق والتحجيص، ولكن السياق الذي ورد فيه هذا الشك سياق له دلالة خاصة، فالجاحظ مثلاً يورد بيتاً من الشعر ثم يقول^(٥): «فخبرني أبو إسحق أن هذا البيت في أبيات آخر كان أسامة صاحب روح بن أبي همام هو الذي كان ولدها. فإن أهتمت خبر أبي إسحق فسم الشاعر،

(١) البيان والتبيين ١ : ٩٧ .

(٢) الحيوان ١ : ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست : ١٦٩ .

(٤) انظر مثلاً : البيان والتبيين ١ : ٩٢ ، ١٣٥ / ١٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ :

٣ : ٥٧ - ٥٨ .

(٥) الحيوان ٦ : ٢٧٨ .

وهات القصيدة ، فإنه لا يقبل في مثل هذا إلا بيت صحيح ، صحيح الجوهر ، من قصيدة صحيحة لشاعر معروف . ويورد بيتاً لأوس بن حجر ثم يقول : « وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح ابن أوس » . ويورد بيتاً لبشر بن أبي خازم ويقول^(١) : « وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذى أضفتموه إلى بشر بن أبي خازم . . . وقالوا : في شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره . » ويورد شعراً للأفوه الأودى ثم يقول^(٢) : « وما وجدنا أحداً يشك في أن القصيدة مصنوعة » .

وهذه الإشارات الكثيرة إلى وضع الشعر وردت كلها في موطن واحد ، وهو حديثه عن علامات النبوة وانقضاض الكواكب ، في معرض رد الجاحظ على من يزعم أن انقضاض الكواكب أمر معروف في الجاهلية وقد ذكره الشعراء الجاهليون في شعرهم ، ومن هنا ذهب بعضهم إلى أنه : ليس في انقضاض الكواكب دلالة على النبوة . فكان من بين ما رد به الجاحظ على هؤلاء أن شك في هذا الشعر ودفعه وذهب إلى أنه مصنوع . فالجاحظ إذن لم يشك في هذا الشعر لأن تحقيق الشعر وتمحيصه غايته ومقصده ، وإنما اتخذ ذلك سبيلاً ، من سبل كثيرة اصطنعها ، للرد على مناظريه أو المخالفين له في الرأي . ومن أجل هذا نراه لا ينقد الشعر الذى يورده ابتداءً ، إلا في مواطن قليلة جداً حيث يورد عبارة واحدة متكررة هي قوله « إن كان قالها » . فهو يقول^(٣) : « وقال أمية — إن كان قالها » ثم يورد شعراً ، ويقول^(٤) : « وقال تأبط شرّاً — إن كان قالها » . ثم يورد أبياتاً ، ويقول^(٥) : « وقال العبدى — إن كان قاله » . وربما كانت هذه العبارة تفيد شكه في نسبة الشعر الذى يورده للشاعر الذى ذكره ، ولكنها أيضاً

(١) الحيوان ٦ : ٢٧٩ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٢٨٠ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ٤٩ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ٦٨ .

(٥) المصدر السابق ٤ : ٢٤٨ .

قد تفيد ، فيما نرى ، شكه في ذاكرته وحفظه ، فقد ذكرنا قبل قليل أن الجاحظ لا يكاد يرجع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر ، وإنما يكتب أو يُملئ ما يرد في خاطره وما يحضر في ذاكرته ، فلعله أيضاً في هذه المواطن يقصد بهذه العبارة المتكررة أنه إنما يكتب من ذاكرته ، ولذلك فهو يشك في حفظه لنسبة الشعر الذي يورده ، فإن كان ذلك كذلك ، يكنّ هذا دليلاً جديداً على ما نذهب إليه من أن الجاحظ إنما يورد الشعر وسيلة لا غاية ، وأنه لا يتكلف مشقة تحقيقه وتمحيصه والتثبت من نسبته وصحته .

ومن الأدلة على هذا الذي نذهب إليه ما ورد في الكتابين : الحيوان ، والبيان والتبيين ، من أخطاء في نسبة الشعر . وهي أخطاء لا يصح أن تقع إلا من السرعة أو الاعتماد على الحافظة لأنها في أغلبها نتيجة لتشابه في الأسماء ، فمن ذلك أن الجاحظ ينسب في الحيوان شعراً لخفاف بن نُدْبة ^(١) ، وينسبه في البيان والتبيين للبرجمي ^(٢) ، والصواب أن هذا الشعر لخفاف بن عبد قيس البرجمي ^(٣) . ومن ذلك أيضاً أنه ينسب بيتين في البيان والتبيين لحميد بن ثور الهلالي ، والصواب أنهما لحميد الأرقط ^(٤) . ونسب في الحيوان لخفاف بن نُدْبة البيت التالي ^(٥) :

أَبَا خُرَاشَةَ إِمَّا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ
وَأَبُو خُرَاشَةَ هِيَ كُنْيَةُ خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ ، فليس هو إذن صاحب هذا البيت وإنما هو المخاطب به ، وقائله العباس بن مرداس السلمى .

ودليل آخر على ما نذهب إليه هو هذا الاختلاف في نسبة الشعر بين الحيوان والبيان والتبيين فمن أمثلة ذلك أن شعراً نسب في الحيوان إلى أبي ذؤيب الهذلي ^(٦) ، ولكنه نسب في البيان والتبيين إلى المتنخل الهذلي ^(٧) . ونسب

(١) الحيوان ١ : ١٣٣ .

(٢) البيان والتبيين ٢ : ١١ .

(٣) المصدر السابق ، هامش : ٦ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٦ .

(٥) الحيوان ٥ : ٢٤ ، وهامش : ٣ .

(٦) الحيوان ٥ : ٢٨٥ .

(٧) البيان والتبيين ١ : ١٧ .

الملاحظ بيتين في البيان والتبيين للفزاري^(١) ، وكان نسبهما في الحيوان لحريز ابن نسيبة العدوي^(٢) . ونسب أبياتاً في البيان لسالم بن وابصة^(٣) ، بينما نسبها في الحيوان للعرجي^(٤) . إلى آخر ما في الكتابين من خلاف في نسبة الشعر .

وآخر هذه الأدلة ما ذكرناه آنفاً عند حديثنا عن كتب النحو واللغة والسيرة والتاريخ ، وهو : إغفال اسم الشاعر ، والاقتصار على قوله « قال الشاعر »^(٥) ، أو « قال آخر »^(٦) ، أو « قال أعرابي »^(٧) ، أو ما شابه ذلك من العبارات التي تدل على أن المؤلف غير حريص على تحقيق نسبة الشعر ولا يعنيه من أمره إلا أنه وجد بيتاً أو أبياتاً تناسب ما أورد من حديث . وكثيراً ما يغفل اسم الشاعر ويكتفى بذكر القبيلة وحدها مثل قوله « قال بعض القرشيين »^(٨) ، أو « قال الأسدي »^(٩) ، أو « قالت امرأة من بني أسد »^(١٠) ، أو « قال الفزاري »^(١١) ، أو « قال بعض القيسيين »^(١٢) ، أو « قال العبدى »^(١٣) ، وكثيراً ما يقول في مواطن متفرقة « قال الهذلي » ثم يورد أبياتاً من الشعر لشعراء مختلفين من هذه

(١) البيان والتبيين ٢ : ١٦٠ .

(٢) الحيوان ٤ : ١٥١ .

(٣) البيان والتبيين ١ : ٢٣٣ .

(٤) الحيوان ٣ : ١٢٧ .

(٥) الأمثلة على ذلك كثيرة انظر مثلاً البيان والتبيين ١ : ٩٤ ، ١٠٩ ، ٢/٢٧٤ :

٣٢٩ والحيوان ٣ : ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٤٤٤ .

(٦) انظر مثلاً البيان والتبيين ١ : ٧٨ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢/٢٣٣ :

٢٨٤ . والحيوان ٣ : ٣١٧ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٣ .

(٧) انظر مثلاً البيان والتبيين ١ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٨) البيان والتبيين ١ : ١٨ .

(٩) البيان والتبيين ١ : ١٥٩ / ٢ : ١٦٠ ، ٢٨٠ .

(١٠) المصدر السابق ١ : ١٨٠ .

(١١) المصدر السابق ٢ : ١٦٠ .

(١٢) الحيوان ١ : ١٣٤ .

(١٣) الحيوان ٤ : ٢٤٨ .

القبيلة ، فحينئذ يكون البيت لأبي العيال الهذلي^(١) ، وحينئذ ثانياً لحبيب بن عبد الله الهذلي^(٢) ، وحينئذ ثالثاً لأبي ذؤيب الهذلي^(٣) ، وحينئذ رابعاً لأبي خراش الهذلي^(٤) ، وهكذا ..

• • •

ومخلاصة كل ما تقدم في هذا الفصل أن الشعر في هذه الضروب المختلفة من الكتب ليس غايةً تُقصّد، وإنما هو وسيلةٌ تُلتَمَسُ لغيرها من الغايات، فهو يساق حيناً للاستدلال والاحتجاج كما في كتب النحو واللغة ، وهو يساق حيناً آخر للاستشهاد والمثل وتقوية الخبر وتزيينه كما في كتب السيرة والتاريخ والأدب العام . وبذلك لا يُعْنَى مؤلفو هذه الكتب بتحقيق نسبة الشعر إلى شاعر بذاته ، وإنما حسبه أن يكون هذا الشعر قديماً قيل في عصر يصح الاستشهاد والاحتجاج به، أو قالته قبيلة من القبائل بحيث يكون شاهداً على هجتها — كما هو الشأن في كتب النحو واللغة ؛ أما كتب السيرة والتاريخ والأدب العام فيحسب مؤلفيها أن يجدوا لديهم شعراً قيل في الحادثة التي يروونها، أو أبياتاً تناسب الحديث الذي يسوقونه ، وليس يعينهم بعد ذلك تحقيق نسبة الشعر إلى شاعر بعينه ، بل لا يعينهم التثبت من صحة الشعر نفسه ، وربما أوردوا شعراً يدركون هم أنفسهم أنه زائف موضوع ، ولكن ذلك لا يمنعهم من إيراد ما فيه من نادرة أو حديث مستطرف . ومن أجل هذا كله لا نحسبنا مغالين إذا قلنا إن هذه الكتب كلها ، بأنواعها المختلفة ، ليست بطبيعتها مصدراً أصيلاً من مصادر الشعر التي يُعتمد عليها ، وإنما المصدر الأصيل الذي يصح للباحث المحقق أن يطمئن إليه ويعتمد عليه ،

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٢٧٧ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٢٢٩ .

هو هذه الدواوين الشعرية التي اقتصرت على الشعر نفسه واتخذته غاية لذاته، وأفرغ جامعوها وصانعوها وشرّاحها جهدهم في التثبت من صحة كل قصيدة بل كل بيت، والتحقق من نسبة كل ذلك إلى شاعره، ودفع ما لا تثبت لمصحة أو نسبته، والنص على ما يشكّون فيه منه. هذا الجهد الحصب المثمر الذي بذله العلماء الرواة منذ مطلع القرن الثاني الهجري، وبلغ غاية نشاطه في النصف الأخير من القرن الثاني ومطلع القرن الثالث — هذا الجهد الحصب المثمر من التنقيب والتدقيق والتحقيق والتمحيص للتثبت من صحة الشعر وأصالة ونسبته — هو الذي أخرج لنا هذه الدواوين التي تناقلها التلاميذ من الرواة العلماء عن شيوخهم بالرواية جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا مروية عن هؤلاء العلماء، مسندة إلى عالم راوية من علماء الطبقة الأولى في النصف الأخير من القرن الثاني. هذه الدواوين وحدها هي المصدر الأولى الوحيد الذي يعتمد عليه في إثبات صحة الشعر وفي التحقق من نسبته إلى شاعر بذاته. وقد وفينا كل ذلك حقّه من البحث في الفصول الثلاثة السابقة من هذا الباب.

الخاتمة

خلاصة البحث

خاتمة

الخلاصة :

لهذا البحث - على تشعب طرقه وتباعد أطرافه - وحدة عامة تنتظمه كله :
تقرب منه ما تباعد ، وتجمع ما تفرق . وهذه الوحدة العامة دعائم ترتكز عليها
وتقوم بها :

١

أولها : أن هذا الموضوع ، كغيره من الموضوعات ، يدور في نطاق إطار
معين من الزمان والمكان والسكان . فكان لا بد لنا من أن نمهد بين يدي بحثنا
بتحديد معالم هذا الإطار . وخلصنا من كل ذلك إلى أن موطن العرب ، في
جاهليتهم ، كان متفاوتاً في طبيعة أرضه ، وفي طبيعة مناخه ، وفي طبيعة
سكانه . أما السكان أنفسهم فكانوا طوائف ثلاثاً : أعراباً موغليين في الصحراء ،
يرتادون الكلا ، وينتجعون مواقع القطر ، ويحيون حياة لا تكاد تعرف من أسباب
الحضارة والمدنية شيئاً . ثم سكان الحواضر من أهل المديّر الذين كانوا يحيون حياة
مستقرة ثابتة ، في المدن والقرى ، في داخل الجزيرة العربية وعلى أطرافها : في
مكة والمدينة والطائف والحيرة والأنبار وقرى الإمامة . ثم طائفة ثالثة هم سكان البادية
الذين ابتعدوا عن جوف الصحراء واستوطنوا مشارف المدن والقرى في ظواهرها
وضواحيها ، يحيون حياة فيها شيء من الاستقرار ، وشيء من الأخذ بأسباب
الحضارة والمدنية .

والقبيلة العربية نفسها لم تكن شيئاً غير هذا ، بل إن هؤلاء العرب
بطوائفهم الثلاث لم يكونوا إلا قبائل عربية ، فليست القبيلة كلها إذن أعراباً

موغلين في الصحراء ، بعيدين عن كل أسباب الحضارة والمدنية ، وإنما كانت القبيلة الواحدة في الجاهلية — كما كانت في صدر الإسلام ، بل كما هي لعمري لهذا — ثلاثة أقسام : قسم ما زال ضارباً في جوف الصحراء ، وقسم تحضر واستقرّ وسكن المدن والقرى ، وقسم بين هذين القسمين : يتعد عن جوف الصحراء ولكنه لا ينزل قلب المدن والقرى ، وإنما يستوطن باديتها وظاهرها . وعلى ذلك كانت : قريش والأوس والخزرج وهذيل وعبد القيس وبكر وتغلب وأكثر قبائل العرب ، يتحضر بعضها ويسكن المدر في : مكة ويثرب والطائف وقرى البصرة والجزيرة ، ويبدو بعضها فيتنزل في ظواهر هذه المدن والقرى وضواحيها ، ثم يبقى بعضها على ما كان عليه أصلاً في جوف الصحراء .

وكما انقسمت القبيلة العربية الواحدة ثلاثة أقسام في موطنها وحياتها الاجتماعية ، كانت كذلك في دينها : فقد كانت أكثر القبائل في الصحراء وثنية مشركة ، وكان كذلك بعض هذه القبائل في البادية والحوضر ، ولكن من هذه القبائل نفسها من كان يعبد الله ، إما لأنه دخل في النصرانية أو اليهودية ، وإما لأنه ما زال مقيماً على بعض دين إبراهيم . فاليهود والنصارى في بلاد العرب كانوا في أكثرهم قبائل عربية تهوّدت أو تنصّرت .

وكانت هذه المدنية التي عرفها سكان الحواضر وقُطّان البوادي المطيعة بها — على تفاوت نصيبهم منها في الجاهلية الأخيرة القريبة من الإسلام — نتاج عاملين كبيرين : عامل تليد موروث يحسّون به ولا يكادون يستبينونه في وضوح ، ويدركون أطرافاً منه ، ولكنهم لا يقوون على بعث الحياة فيه ، وكانت آثار هذه المدنية الموروثة وشواهدا ماثلة أمام أعينهم ، يرونها في حِلّهم وترحالهم ، حتى إذا نزل القرآن ذكرهم بها واستمدّ منها العظة والعبرة . وعامل طريف مقبوس يستمدونه من اتصالهم الوثيق بالحضارات القائمة من حولهم في بلاد فارس والروم ومصر .

ومن أجل ذلك كله كان لا بد للباحث من أن يتنبّه لهذه الفروق الكبيرة في

حياة العرب ومجتمعاتهم في الجاهلية، فلا يُلقى القول إلقاءً عاماً يشمل عرب الجاهلية كلهم. فإن من الخطأ أن نعتمد على سكان الحواضر والبادى أحكاماً يتّصف بها قطان الصحارى وحدهم، أو أن نصمّ أهل المدر بالجهل والبدائية اللذين كانا من صفات بعض أهل الوبر.

وإذا كان ذلك كذلك، كان لا بدّ لسكان الحواضر المستقرّين في مدنها وقراها، ولقطان البادية القريبة من الحواضر، المطيفة بها — من أن يأخذوا بنصيب متفاوت من مظاهر الحضارة التي كانت تعرفها الأمم المجاورة لهم.

٢

ومن هنا كان حديثنا في الباب الأول من بحثنا عن أهم مظهر من مظاهر هذه الحضارة، وهو الكتابة والتدوين. فاستقرّينا في الفصل الأول النقوش الجاهلية الشمالية، وانتهينا إلى أن هذا الخط العربي — الذي عُرِف في الإسلام بالخط الكوفي — قد كان معروفاً في الجاهلية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير، وأن عرب الجاهلية قد كتبوا بهذا الخط الذي كان المسلمون يستطيعون قراءته في يسر، ونستطيع نحن الآن أن نقرأه بعد شيء من المراتبة والدربة — ثلاثة قرون قبل الإسلام أو تزيد. ثم جمعنا قدرأً صالحاً من النصوص والروايات — بعضها يكاد يكون قاطع الدلالة — وخلصنا منها إلى ترجيح معرفة عرب الجاهلية بالنقش والإعجام. ثم عرضنا آراء بعض القدماء الذين عموما الحكم على عرب الجاهلية فوصوهم بالجهل والأمية، ورددنا هذه الأحكام ردّاً اطمئنا إلى صوابه، وزاد اطمئناننا حين جمعنا بعض أسماء المعلمين في الجاهلية، وبعض النصوص والأخبار التي تشير إلى قيام مدارس لتعليم الكتابة في الحواضر العربية في الجاهلية نفسها، وزدنا على ذلك أن بعض عرب الجاهلية لم يكونوا يكتفون بتعليم الكتابة العربية وحدها، وإنما كانوا يتعلمون أيضاً لغات الأمم التي تربطهم بهم روابط كثيرة،

فكان من العرب من يكتب العربية والسريانية والعبرية والفارسية ، وكان في بلاد فارس وفي بلاط النجاشي مترجمون من العرب يكتبون بالعربية حين يحتاج الأمر إلى أن يترجموا إليها ويكتبوا بها .

واستوفينا في الفصل الثاني بحث هذا الموضوع حين تحدثنا عن الموضوعات التي كان يكتبها عرب الجاهلية ، والمواد والأدوات التي كانوا يستخدمونها في كتابتهم ؛ فجمعنا من النصوص والروايات ما يشير إلى أن عرب الجاهلية كانوا لا يكادون يتركون شأناً من شئون حياتهم الخاصة والعامة إلا سجلوه وقيدوه ، ولم يتركوا مادة ولا أداة عرفها العالم من حولهم آنذاك إلا استخدموها في كتابتهم . فكانوا يدونون كتبهم الدينية بالعربية وبالعبرية والسريانية ، وكانوا يكتبون عهودهم ومواثيقهم وأحلافهم ، ويسجلون في الصكوك حساب تجارتهم وحقوقهم ويكتبون رسائلهم في جليل أوهم وصغيرها ، بل كانوا يكتبون مكاتبات رقيقهم وينقشون خواتمهم وشواهد قبورهم .

واستخدموا في كتابتهم الجلد : من رقّ وأديم وقصيم ؛ والقماش المصنوع من القطن الأبيض يصفقونه ويعدّونه للكتابة ويسمونهم المهارق ؛ وأنواع النبات وخاصة العُسْب ، والخشب ؛ واستخدموا العظام بأنواعها المختلفة . ثم تحدثنا عن الورق حديثاً مفصلاً انتهينا منه إلى ترجيح استخدام عرب الجاهلية لورق البردي في الكتابة .

وكان ختام هذا الباب حديثاً موجزاً عن وصف الخط والكتابة في الجاهلية . وبذلك نكون قد رجحنا ثلاثة أمور لها قيمتها وخطرها ؛ أولاً : قِدَمُ معرفة عرب الجاهلية بالخط العربي معرفة لا تقلّ عن ثلاثة قرون قبل الإسلام ؛ وثانياً : نقط الحروف وإعجامها في الكتابة منذ الجاهلية نفسها ، وثالثاً : قيام المدارس ووجود المعلمين لتعليم الخط وانتشار الكتابة بين عرب الجاهلية انتشاراً أتاح لهم أن يسجلوا بها كثيراً من شئونهم وأن يستخدموا لذلك كثيراً من الأدوات .

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن نخصص الحديث ، في الباب الثاني ، بكتابة الشعر الجاهلي وحده . ورأينا أن هذه الكتابة ذات صورتين مختلفتين : صورة ضيقة محدودة لا تعدو مجرد التسجيل على صحيفة واحدة قد تزيد أو تنقص ، وسميها التقييد ؛ وصورة واسعة تُضمُّ فيها هذه الصحف إلى بعضها حتى يكون منها كتاب أو ديوان ، وسميها : التدوين .

ثم رأينا أن بين أيدينا ضربين من الأدلة على تقييد الشعر الجاهلي منذ الجاهلية نفسها ؛ وهما : أدلة عقلية استنباطية ، وأدلة صريحة نصية .

أما الأدلة العقلية الاستنباطية فأربعة : أولها استنتاجناه من كل ما قدمناه في الباب الأول عن معرفة عرب الجاهلية بالكتابة ، ورأينا أن الشعر كان للقبيلة ولل فرد العربي في الذروة العليا من القيمة والخطر : إذ هو ديوان أمجادهم وأحسابهم ، ويحل مفاخرهم ومآثرهم . وكانت القبيلة تحرص أشد الحرص على فخر الشاعر إذا كان منها ، وعلى مدحه إذا كان من غيرها ، وتخشى أشد الخشية هجاءه ، تبذل من ذات نفسها وما لها ما تطيق وفوق ما تطيق لتدفعه عن نفسها ؛ وكذلك كان الرجل العربي في حرصه على المدح وخوفه من الهجاء . فإذا كان العرب آنذاك يقيّدون عهودهم ومواثيقهم ورسائلهم وصكوك حسابهم وسواها من الموضوعات التي تتصل بشئون حياتهم ، ألا يرجح ذلك أنهم كانوا كذلك يقيّدون هذا الشعر الذي يخلّد أمجادهم وأحسابهم ويسجّل مفاخرهم ومآثرهم ؟ وإذا كان أمر الشعر بهذا الخطر للممدوحين ، فهل كان ملوك الحيرة وملوك غسان وأشراف مكة والمدينة والطائف وساداتها وأثريائها ، وسادات نجران واليمن ، هل كان كل أولئك لا يقيّدون ما يُمدّحون به من الشعر - أو بعضه - مع أنهم كانوا يقيّدون سائر أمورهم ؟

وثانيها : أن الشعر كان له من القيمة والخطر للشعراء أنفسهم ما كان للقبيلة والممدوحين . فقد كان هذا الشعر عند غير المتكسبين بالمدح واجباً قسرياً يفرضه على الشاعر طبيعة ارتباطه بقبيلته ، أو واجباً خلقياً تمليه عليه ما أثر سلفت من صاحبها لقبيلة الشاعر أو للشاعر نفسه ، وأما المتكسبون بالمدح فقد كان الشعر مورداً من موارد ارتزاقهم ، أو لعله المورد الوحيد . أليس عجيباً بعد ذلك ألا يعنى الشاعر ، وهذه قيمة الشعر عنده ، بأن تحفظ الكتابة شعره أو بعضه ؟ ولا سيما الشعراء الذين كانوا يعرفون الكتابة ويستخدمونها ، وقد عددنا منهم في هذا الفصل طائفة ليست قليلة .

وثالث هذه الأدلة العقلية يتناول ضرباً خاصاً من الشعر الذى وصفه في شعره : امرؤ القيس بن بكر ، وكعب بن زهير ، ثم وصفه الجاحظ وابن جني - والذى هو نتاج عمل عقلى مركب .

فإذا كنا لا ننكر أن بعض الشعراء كانوا يرتجلون الشعر ارتجالاً ، وأن بعضهم كان يندلث منهم الشعر اندلاًثاً هيئاً سمحاً ، وأن هاتين الطائفتين أو بعض رجالهما لا تضطربهم طبيعة هذا الضرب من الشعر إلى تقييده وإثباته بالكتابة - إذا كنا لا ننكر ذلك ، فإنه لا بد لنا من أن نريث قليلاً عند الفتنة الأخرى من الشعراء وشعرهم ، وأن نتوقف عن أن نسحب عليهم حكم الضرب الأول . ويبدو لنا أنه لا بد من أن نرجح أن الشاعر الذى كانت تمكث عنده القصيدة حولاً كاملاً أو زمناً طويلاً ، يردّد فيها نظره ، ويحيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، والشاعر الذى كان يعرض له فى الشعر من الصبر عليه ، والملاطفة له ، والتلوّم على رياضته ، وإحكام صناعته نحوّماً يعرض لكثير من المولّدين ، والشاعر الذى كانت تكثر عليه القوافي فيزودها عنه ذيادة ، ثم ينتقى منها الجيّد انتقاءً ، وينظر إلى قوافيه وألفاظه نظرة الجوهرى إلى لآلئه ، يعزل مرجانها بجانباً ، ويأخذ المستجاد من درّها ، والشاعر الذى يتنخل كلامه تنخلًا ، ويتقّف ألفاظه وقوافيه حتى تلين متونها - نرجح أن هؤلاء الشعراء لم

يكونوا ليستطيعوا أن يقوموا بهذا العمل العقلي الذي يستغرق هذا الوقت الطويل دون أن يكون الشعر مقبلاً أمامهم على صحيفة يرجعون إليها بين وقت وآخر : يزيدون عليه أو ينقصون منه ، ويستبدلون لفظة بلفظة ، وقافية بقافية .

وآخر هذه الأدلة العقلية هو ما وجدناه من شعر جاهل يحفل بذكر الكتابة وصورها ، والإشارة إلى أدواتها ، وتشبيه الأطلال والرسوم ببقايا الخطوط على الرق والمهارق وسائر أنواع الصحف . ولم نذكر من هذا الشعر إلا ما فيه صور شعرية مركبة تنبئ عن أن قائلها لا بد أن يكون عالماً بهذه الصور ، وأن الجاهل بها لا يتأتى له ذكرها ووصفها على هذا الوجه المفصل .

وبعد أن استوفينا هذه الأدلة العقلية التي استنتجنا منها أن بعض شعراء الجاهلية ربما استخدموا الكتابة في تقييد بعض شعرهم ، انتقلنا إلى ذكر الأدلة الصريحة المباشرة ، فأوردنا ما يزيد على عشرين نصاً ورواية ، لمنا نثارها ، وجمعنا متفرقها ، ونظمناها في سلك واحد لنرى أنها واضحة صريحة في أن بعض الشعر الجاهلي كان يقيّد ، سواء أكان الشعراء الجاهليون أنفسهم هم الذين يقيّدونه بخط أيديهم ، أم كانوا يستكتبون غيرهم لتقييد شعرهم .

أما تدوين الشعر الجاهلي فقد وجدنا أننا لا نستقيم لنا طرائق بحثه إلا إذا عبّدنا من حوله سبل الحديث عن نشأة التدوين العام وأوائل المؤلفات المدونة ، وذلك لأنه لا تخصيص إلا بعد تعميم ، فإذا كان الأصل الكلي — وهو التدوين عامة — ما زال غامض النشأة ، مشكوكاً في بداياته ، منكوراً قديمه وسبقه ، فإن الفرع الجزئي — وهو تدوين الشعر الجاهلي بخاصة — لا يصح أن يقوم وحده معلقاً في الفضاء وحوله يحب الشك والإنكار . ومن أجل ذلك مهّدنا بحديث موجز انتهى بنا إلى ثلاثة أمور :

الأول : ان صحف الكتابة كانت — منذ ظهور الإسلام وفي القرن الأول الهجري — من الكثرة والشيوع بمنزلة يتيسر معها ، لمن أراد ، أن يشتري منها ما ينو بجاحته ، فيستطيع أن يضم بعضها إلى بعض ، ويؤلف أجزاءها ، ويعمل من

مجموعة هذه الصحف كتاباً أو ديواناً مؤلفاً .

والثاني : استيفاء للأول ، وهو بيان المظهر اللغوي ، أو الصورة اللغوية للتدوين في ذلك العصر المبكر ، فجمعنا من الألفاظ التي وردت في نصوصهم وأخبارهم والتي كانوا يطلقونها ليدلوا بها على مجموعة الصحف المدونة ، والتي كانت تختلف عن ألفاظهم الدالة على الصحيفة المفردة - جمعنا من كل ذلك ما يدعم معرفتهم بالتدوين .

والثالث : أننا عرضنا من الروايات والنصوص عن تدوين الحديث والفقه ، والتفسير ، والمغازي والسيرة ، ما لا يبقى معه شك في أن بعضها كان يدون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد صحابته .

أما الشعر الجاهلي نفسه فقد دون منذ هذا العهد المبكر تدويناً عاماً ضمن هذه الموضوعات التي ذكرناها للاستشهاد به ، أو الاحتجاج ، أو التمثيل ، أو تفسير الألفاظ وشرح غريبها . وكان مدونو الحديث والتفسير والمغازي والسيرة هم من رواة الشعر وحفاظه . ودون فضلاً عن ذلك تدويناً خاصاً مستقلاً . فجمعنا من الأخبار والروايات ما تقطع بأن الشعر الجاهلي كان مدوناً في القرن الأول الهجري ، وأن العلماء الرواة في القرن الثاني قد وصلهم بعض هذه المدونات الشعرية واعتمدوها أصلاً من الأصول التي استقوا منها ما جمعوا من هذا الشعر . ثم أضفنا إلى هذه الأخبار والروايات الصريحة دليلاً ثانياً على أن العلماء الرواة في القرن الثاني قد أخذوا من المدونات ، وهو ما وقعوا فيه من تصحيف ، ثم جمعنا أمثلة على التصحيف الذي لا يمكن أن يكون من خطأ في السماع ، وإنما ينشأ من خطأ في القراءة .

وإذا كان ذلك كله ينتهي بنا إلى أن هذا الشعر الجاهلي قد كان مدوناً في القرن الأول الهجري ، فقد قطعنا شوطاً آخر قبله ، وجمعنا من النصوص والأخبار ما يرجح أن بعض هذا الشعر قد كان مدوناً منذ الجاهلية نفسها ، وحين استوى بين أيدينا كل ذلك زدنا عليه حديثاً موجزاً عن كتب القبائل والنسب ، وعن كتب العلم التي كانت تشتمل على بعض الحكم والأمثال وجوامع الكلم ، وأن

بعضها كان كذلك يدون في الجاهلية .

ثم تساءلنا عن السبب الذي جعل علماء القرن الثاني يُغفلون ذكر مصادرهم للمعرفة إذا كانوا قد أخذوا عن الصحف حقاً . وقد وجدنا جواب ذلك في هذه النصوص والأخبار الكثيرة التي أوردناها ، والتي تدلّ على أن القوم آنذاك كانوا يضعفون كل من يأخذ عن صحيفة أو ينقل من كتاب ، وكانوا يلزمونه ويدعونه صحفياً ، فكان لا بد إذن لهذا العالم من أن يأخذ علمه من مجالس العلماء الشيوخ . ونحن وصفنا هذه المجالس وضحنا معنى الرواية الأدبية ، وقلنا إن الرواية كانت طريقة علمية متكاملة تقوم على دعامين : الكتاب والسماع . فقد كان العالم الحقّ الجدير بالثقة هو الذي يتصل بالعلماء من ذوى السن ، فيحضر مجالسهم ويلازمهم ويستمع إليهم ويأخذ عنهم ، والكتاب في كل ذلك ، لو في أكثره ، هو الوسيلة أو الأداة : يقرأه على شيخه ، أو يستمع إلى بعض من يقرأه ، وقد تكون في يده نسخة أخرى من الكتاب يتابع قراءة القارئ ، والشيخ يستمع : يصحّح الخطأ ، ويشرح الغريب ، ويذكر من وجوه الخلاف في الألفاظ ما بلغ إليه علمه ، ويتحدث عما حول النص من جوّ تاريخي ، وقد يقوده اللفظ أو الخبر إلى لفظ في بيت آخر ، أو إلى خبر في حادثة أخرى ، فيستطرد ، ثم يعود إلى حيث كان . ثم إذا بلغ هذا المتعلم من العلم مبلغاً يتيح له أن يجلس منه المتعلمون مجلسه من أولئك العلماء ، لم يذكر الصحيفة التي أخذ منها أو الكتاب ، لئلا يُتوهّم فيه أنه محض اكتفى بالأخذ عن الصحف — وإنما أسند ما يلقيه من العلم إلى شيوخه ، فيقول : حدثنا فلان ، وأخبرنا فلان ، وصمت فلاناً . يقول . وهذه الصيغ المختلفة للتحديث مُوهمة أنها كانت رواية شفوية ، وأن مجلس العلم كان كله حديثاً لا كتاب فيه . ولكن الأمر على غير ذلك ، فإن هذه الصيغ كلها إنما تدلّ على ما ذكرناه من حديث العالم الشيخ في مجلسه ، والمتعلمون والعلماء من حوله يقرأون أو يستمعون إلى ما يقرأ ، والشيخ العالم يشرح . ثم أوردنا أخباراً وروايات كثيرة تدلّ على أن مجالس العلم كانت

تقوم على قراءة الكتاب وحديث الشيخ معاً ، بل لقد جمعنا أخباراً أخرى تدل على أن الإسناد وصيغ التحديث قد توهم السماع على حين لا سماع ، وإنما هو أخذ من الصحيفة وحدها من غير قراءة على الشيخ وسماع منه .

٤

وبعد أن استوفينا — في كل ما تقدم — الحديث عن الدعامة الأولى للرواية الأدبية : وهى الصحيفة المدونة ، كان لا بد لنا من أن نتحدث عن الدعامة الثانية وهى الرواية الشفهية أو السماع . فأنهينا إلى ثلاثة أمور فصلناها فى ثلاثة فصول :

أولها : بحث لغوى فى دلالة لفظى : رواية ورواية ، وأطوارهما اللغوية التاريخية ؛ دخلنا منه إلى تفصيل الحديث عن التدوين والرواية فى حفظ الشعر ، وذكرنا أن هذا التدوين الذى ذكرناه — على ما كان من وجوده بل من انتشاره — لم يكن له من سعة هذا الانتشار ما يتيح وجود نسخ كثيرة من الديوان الواحد تفى بحاجة القارئ آنذاك . لقد كان هذا الشعر — أو بعضه — مدوناً ، ولكن تدوينه كان مقصوراً على نسخ معدودة — هى الأمهات أو المراجع ، ينسخها أفراد قلائل من الرواة أو الشعراء أو أبناء قبيلة الشاعر أو الممدوحين من السادة والأشراف ، ثم يحفظ هؤلاء جميعاً ، أو بعضهم ، هذا الشعر ، ويتناقلونه إنشاداً — لا قراءة — فى مجالسهم ومشاهدهم وأسواقهم ، ويردونه شفاهاً فى سمرهم ومحافلهم ومناقراتهم ومواقف فخرهم ؛ فيشيع بين العرب ، ويتناقله الرُّكبان ، عن هذا الطريق من الرواية الشفهية ، من فرد إلى فرد ، ومن جيل إلى جيل ؛ لا عن طريق القراءة والمداينة من الكتاب أو الديوان .

ثم أنهينا إلى الحديث عن أمر له قيمته وخطره ، وذلك هو اتصال رواية الشعر الجاهلى من الجاهلية نفسها إلى عصر التدوين العلمى فى القرن الثانى .

ومهدنا لحدِيثنا بقول عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » ، وتعقيب محمد بن سلام عليه بقوله : « فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير . »

وقلنا إن كلام ابن سلام هذا ثلاثة أشرط : آخرها حق ، وموسطها باطل ، وأولها يحتاج إلى فضل بيان يوضحه . أما الحق الذي لا مرية فيه فقوله : « فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير . » وقد فصلنا وجه الحق فيه . وأما الباطل الذي لم نعد نشك في بطلانه وفساده فهو هذا التعميم الواسع في قوله : « فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب . » ولم نكتف بالتدليل على بطلان ذلك بما أوردناه في البابين الأولين من حديث مفصل ، وإنما جمعنا من كتاب ابن سلام نفسه نصوصاً تنقض قوله هذا ، أو - على الأقل - تضيّق ما فيه من تعميم واسع . وأما الشرط الثالث الذي يحتاج إلى فضل بيان يوضحه فهو قوله : « فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر . . . وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل . » وفصلنا الرد على ذلك باستقراء تاريخي تبعنا فيه حياة الرواية عند القوم ، مبتدئين بالمعالم الواضحة في منتصف القرن الثاني الهجري ، ومتدرّجين فيها إلى الوراء حتى وصلنا إلى أقصى ما استطعنا الوصول إليه من معالم حياة الرواية الأدبية .

فجمعنا من الروايات والأخبار ما يدل على أن القوم في القرن الأول الهجري لم يكونوا يكتفون برواية الشعر الجاهلي وإنشاده في المجالس والمحافل ، وإنما كانوا

كلّك يعلمونه الصبيان تعليمًا: يروونهم إياه ويؤدّبونهم به . ثم وقفنا وقفةً فيها شيء من التفصيل هند شعراء العصر الأموي - وخاصة جرير والفرزدق وسراقة البلق - وبينًا ، من شعرهم ، أنهم كانوا حلقة من حلقات الرواية الأدبية للشعر الجاهلي ولأخبار الجاهلية وأنسابها عامة . وانتقلنا إلى الحديث عن صدر الإسلام عصر الرسول الكريم وصحابه ، وفصلنا القول في اتصال رواية الشعر الجاهلي في زمنهم تفصيلًا وافيًا ، وحين انتقلنا إلى الجاهلية ذكرنا من الروايات والأخبار ما انتهى بنا إلى أن إنشاد الشعر وروايته كانا دأب العرب في جاهليتهم القريبة المتصلة بالإسلام ، حتى حين كانوا - وهم مشركون - يحاربون رسول الله . وبذلك قلّمنا من الشواهد والأمثلة ما يبيّن في وضوح أن رواية الجاهلية : أشعارها وأخبارها ، لم تنقطع منذ الجاهلية ، بل لقد اتصلت في زمن رسول الله وصحابه وخلفائه الراشدين ، واستمرت طوال القرن الأول حتى تسلمها العلماء الرواة من رجال القرن الثاني . ولم تكن ثمة فجوة تفصل هؤلاء الرواة العلماء عن العصر الجاهلي ، وإنما تلقّوه عن تقدمهم ، وورثوه عن سبقهم ، روايةً متصلةً وسلسلة محكمة ، يأخذها الخلف عن السلف ، ويرووها الجيل بعد الجيل ، حريصين عليها ، معنيين بها .

وعقدنا الفصل الثاني من هذا الباب على طبقات الرواة ، فرأيناهم ستّ طبقات : الشعراء الرواة ، ورواة القبيلة ، ورواة الشاعر ، ورواة مصلحين للشعر ، ورواة وضّاعين ، ورواة علماء . وفصلنا القول في كل طبقة تفصيلًا ، ووقفنا عند الطبقة الأخيرة ، وهم : الرواة العلماء ، وقلنا إنها طبقة متميِّزة من الطبقات السابقة ، ومدار تميّزها وتفرُّدها على أنها اتخذت من الشعر موضوعًا علميًا ، تدرسه دراسةً ، بعد أن تأخذه عن شيخ أو أستاذ في مدرسة من مدارس علم الشعر وروايته آنذاك ، ونعني بها تلك المجالس والحلقات التي كانت تُعقد في المساجد أو في منازل الشيوخ ، ويجتمع فيها التلاميذ من العلماء والمتعلمين ، يتحلّقون حول شيخ شهيد له بالحفظ والرواية ومعرفة كلام العرب والإحاطة

الواسعة بشعرهم ، وذلك بالاطلاع الواسع على ما سبق عصره من جهود الرواة في حفظ الشعر وتلويثه ، وتكون طريقة الدرس هي الرواية الأدبية بدعائمتها : الكتاب ، والسماع . وقلنا إن هذه الطبقة من الرواة العلماء كانت تجمع ما استطاعت جمعه من الشعر الجاهلي من الشيوخ المختلفين ، ومن أفواه الرواة من الأهراب ، ومن بعض الصحف المدونة ثم تدرسه ، وتمحصه ، وتفحصه ، وتميز صحيحه من فاسده ، والثابت النسبة من المشكوك فيه ، وتنتهي من ذلك إلى تسجيل ما ترجح لديها صحته في نسخة خاصة تصبح هي رواية ذلك الشيخ الراوية العلم ، ينقلها عنه تلاميذه وينسبونها إليه . وذكرنا أن هذه الطبقة من الرواة العلماء — بهذا التعريف الذي قدمناه والتحديد الذي قيدناها به — لم تكن موجودة فيما يبدو قبل مطلع القرن الثاني الهجري ، وربما كان أول شيوخها الذين مهدوا الطريق لمن تبعهم فكانوا هم الرواد السابقين : أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤) وحامد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦) . ومن هنا كان قول ابن سلام « وكان أول من جمع أشعار العرب وصاق أحاديثها : حماد الراوية » ، ومن هنا أيضاً قالوا : « كان خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه » .

ونخصمنا آخر فصول هذا الباب بالحديث عن الإسناد في الرواية الأدبية ، وقابلنا بينه وبين الإسناد في الحديث ، وشرحنا سبب التزام السند في رواية الحديث والتحليل منه أحياناً في رواية الشعر والأخبار . ثم عرضنا أمثلة من الأخبار المسندة التي يرتفع إسنادها إلى العصر الجاهلي بل إلى الشعراء الجاهليين أنفسهم ، ونماذج أخرى يسند فيها العلماء الرواة من الطبقة الأولى إلى من سبقهم وكان فيهم من أهل الجاهلية . ثم قلنا إن الإسناد في الرواية الأدبية قد أصبح في الغالب قاحلة عامة بعد القرن الثاني الهجري ، وأنه كان ينتهي إلى شيخ من شيوخ الطبقة الأولى من العلماء الرواة ، وأما هؤلاء العلماء الرواة من الطبقة الأولى فلم يكونوا في الغالب يُسندون إلى من قبلهم ، مع وجود الإسناد نفسه بما مثلنا له بالشواهد والأمثلة .

ثم كان لا بد لنا أن نعرض آراء القدماء والمحدثين في صحة الشعر الجاهلي ،
فهدنا لهذا الباب بحديث موجز عن « المشكلة الهومرية » ، وعرضنا للوجوه الكثيرة
من التشابه القريب بين الشعرين : العربي الجاهلي والهومري ، وانتهينا إلى بيان
جهود الدارسين الأوروبيين في ثلاثة أمور ؛ أولاً : من نظم الإلياذة والأوديسة ،
وصحة نسبتها إلى هومر . وثانياً : وسيلة حفظ الشعر الهومري : أكانت الرواية
الشفهية أم الكتابة . وثالثاً : المدارس اللغوية القديمة التي درست شعر هومر
ونقدته بعد أن جمعت ودونته .

ثم تحدثنا في الفصل الثاني عن آراء القدماء ، من علماء العرب ، في الوضع
والنحل ، وألمنا بما جاء في كتبهم من إشارات متفرقة إلى ذلك ورتبناها ، ثم
فصلنا القول في كتاب السيرة لابن إسحق واستدراكات ابن هشام عليه ، وفي
كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام .

وعقدنا الفصل الثالث لبيان آراء المستشرقين في صحة الشعر الجاهلي ، فعرضنا
عرضاً مفصلاً آراء مرجوليوت ، وليال ، ودلافيدا ، وبذلنا أقصى الجهد في نقل
أدلهم وبراهينهم وردودهم مفصلة واضحة .

ثم انتقلنا في الفصل الرابع إلى الحديث عن آراء المحدثين : فعرضنا رأي
المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وهو أول من طرق هذا الموضوع من
المحدثين . ثم أسهبنا في بيان رأي الدكتور طه حسين ، وردود الذين ألفوا كتباً
في الرد عليه . واستغنينا برودهم عن التفصيل في الرد لسببين :

أولهما : أننا التزمنا — كما نبهنا على ذلك في مواطن متفرقة — منهجاً واضحاً
في كتابة هذا البحث ، يقوم على الدراسة الخارجية لمصادر الشعر الجاهلي من
غير أن نخوض في تفصيلات الدراسة الداخلية وأجزائها ، والكثرة الغالبة من

شواهد الدكتور طه حسين إنما تعتمد على الدراسة الداخلية .

وثانيهما : أننا رتبنا آراء الذين ردوا على الدكتور ترتيباً مفصلاً واضحاً بحيث يقابل كل رأى من آرائه ردّه المفصل ، فجاء هذا الترتيب — فى جملته ومجموعه — معبراً عن رأينا ، فاستغنيا به عن الإعادة والتكرار .

ثم ختمنا هذا الباب بمحدث مفصل عن توثيق الرواة وتضعيفهم وعن مدرستى البصرة والكوفة . وجمعنا بعض الروايات والأخبار التى يتهم فيها القلماء بعضهم بعضاً بالكذب والنحل والوضع ، وخاصة الأخبار الكثيرة عن حماد الكوفى وخلف الأحمر البصرى ، ودرسناها دراسة مفصلة انتهينا منها إلى إظهار الوضع والتلفيق فى كثير من هذه الأخبار ، ثم بيننا أسباب تحامل تلاميذ كل مدرسة على تلاميذ المدرسة الأخرى ، بل تضعيف تلاميذ المدرسة الواحدة أحياناً لبعض زملائهم . وأرجعنا كل ذلك إلى عصبية قبلية حيناً ، وسياسية حيناً آخر ، وخلافات منهجية بين مدرستين مختلفتين حيناً ثالثاً ، وخصومات شخصية حيناً رابعاً .

وكان لا بد لنا من أن نفصل القول فى منهجى هاتين المدرستين والمصادر التى استقى منها علماء كل مدرسة الحديث واللغة والشعر الجاهلى ، فوجدنا أن المذهب البصرى قائم فى جملته على التشدد والتضييق والميل إلى التعقيد والقياس ، وأن الكوفيين كانوا أكثر حرية وأكثر جرأة ، وأنهم قد توسعوا حين ضيق البصريون وتوقفوا ، وأخذوا عن مصادر لم يرتضها البصريون . ومن هنا كثرت رواية الكوفيين فاتهمهم البصريون بالتزويد والوضع . وقلنا إن رواية اللغة والشعر عند الكوفيين كان فيها كثرة لا تكسر وزيادة لا تزيد ، وانتهينا إلى نفي تهمة الوضع المتعمد والكذب عن هؤلاء العلماء من المدرستين معاً ، ومع ذلك فإننا لم ننفي أن فى الشعر الذى رواه ما هو موضوع منحول ، غير أنهم لم يكونوا هم الذين وضعوه ونحلوه ، وإنما رواه بعضهم كما وجدته ، ثم قاسه على ما بين يديه من مقاييس نقدية تتفق مع منهجه ، فأسقط بعضه وصحح بعضه ، واختلف

علماء المدرستين فيما أسقطوا وفيما صححوا لما بيناه من اختلاف متاهجهم واختلاف مصادره .

ثم وقفنا عند كلمة « منحول » ، وفرقنا بينها وبين كلمة « موضوع » ، وقلنا إن هؤلاء العلماء كانوا يقولون أحياناً إن هذا الشعر منحول لامرئ القيس ، ويقصدون أنه شعر قديم جاهلي لا يشكُّون في قِدَمه وجاهليته ، ولكنهم يشكُّون في نسبته إلى امرئ القيس بعينه مثلاً . وذكرنا أيضاً أن هؤلاء العلماء كانوا أحياناً يسمعون قصيدة جاهلية يرويها أحد الرواة ولكنه لا ينسبها ، لأنه نسي نسبها أو لأنه رواها من غير نسبة ، فيستمع إليها العالم الراوية ويرجح نسبها إلى شاعر جاهلي بعينه ، لأنه رآها أقرب إلى روح ذلك الشاعر وطابعه الفني لكثرة دراسته لشعره ومعرفته بخصائصه . وأوردنا لكل ذلك من الشواهد والأمثلة ما يوضحه .

٦

وبعد أن اطمأننا إلى المحاولة التي أفرغنا فيها جهدنا ملء هذه الفجوة بين الشاعر الجاهلي نفسه ، والطبقة الأولى من العلماء الرواة ، وأظهرنا أن الرواية الشفهية والتدوين كانا يسيران معاً جنباً إلى جنب في حلقة متصلة من الجاهلية — أو على الأقل من صدر الإسلام — إلى القرن الثاني ، كان لا بدّ لنا أن نتحدث عن هذه الدواوين التي رواها هؤلاء العلماء الرواة ، ونقلها عنهم تلاميذهم ، حتى وصلت إلينا .

وكان ذلك موضوع حديثنا في الباب الخامس من هذا البحث ؛ فقسمناه إلى أربعة فصول : تحدثنا في الفصل الأول عن الدواوين المفردة بعامة ، ودواوين امرئ القيس وزهير بخاصة ، وتحدثنا في الفصل الثاني عن دواوين القبائل ، وأفردنا ديوان هذيل بحديث مفصل . وتحدثنا في الفصل الثالث عن مجموعات المختارات كالمفضليات والأصمعيات وحاسة أبي تمام وجمهرة أشعار العرب . ثم

تحدثنا في الفصل الرابع عن الشعر الجاهلي في غير الدواوين ، فاستقرأناه في بعض كتب التفسير والحديث ، واللغة والنحو ، والتاريخ والمغازي ، وكتب الأدب العامة .

وانتهينا من هذا الباب إلى أمرين :

الأول : أن هذه الكتب التي ذكرناها في الفصل الأخير — على كثرة ما فيها من الشعر الجاهلي الصحيح — ليست مصدراً من مصادر هذا الشعر ، وذلك لأن مؤلفيها لم يقصدوا إلى أن يجعلوها مصدراً يستقى منه الباحثون شعر الشاعر ، ولم يتخذوا من الشعر الجاهلي هدفاً لهم : يجمعونه ويدرسونه ويصححونه ، وإنما اتخذوا هذا الشعر وسيلة يتوسلون بها إلى الاستشهاد به أو التمثيل أو الاحتجاج أو تزيين ما يوردون من قصص وأخبار . وقد درسنا هذه الكتب دراسة مفصلة واستخرجنا منها مناهج مؤلفيها في إيراد الشعر الجاهلي بحيث انتهينا إلى هذه النتيجة .

والثاني : أن مصدر الشعر الجاهلي هو الدواوين نفسها ، وكتب المختارات الموثوق بروايتها ، ولا يعيننا من الدواوين إلا المروية ذات الإسناد إلى عالم راوية . وقد وجدناها على ضربين :

ضرب تستقل فيه رواية مفردة قائمة بذاتها : كرواية الأصمعي وحده أو المفضل وحده .

وضرب تجتمع فيه روايات مختلفة لعلماء من مدرسة واحدة أو من المدرستين معاً ، كذلك الدواوين التي جمعها علماء الطبقة الثانية وعلماء الطبقة الثالثة ، فأوردوا فيها روايات متعددة ، ولكنهم كانوا ينصون على أن هذه القصيدة من رواية الأصمعي وأن تلك من رواية المفضل ، وأن فلاناً انفرد برواية هذا الشعر أو ذلك ، أو أنه قد دفع هذه القصيدة أو أنكر تلك . بل لقد نصوا على الاختلاف في رواية الأبيات والألفاظ . والدارس المتتبع يستطيع ببعض الجهد والعناء أن يجرّد من هذه الروايات المجتمعة روايات مفردة قائمة بذاتها ترجع ، كالضرب الأول ، إلى عالم من الطبقة الأولى من الرواة ، وخاصة الأصمعي والمفضل .

وبذلك نكون قد وضعنا أصول مقياس واضح المعالم لدراسة الشعر الجاهلي ومعرفة صحيحه ، وذلك بأن قلّصنا من شعر للشاعر القدر الذي اتفقت عليه المدرستان البصرية والكوفية معاً ، فنطمئن إلى أن هذا القدر المشترك هو أقرب ما يكون إلى الصحة ، ثم ندرسه دراسة فنية داخلية بحيث نستشف روح الشاعر ، وطابعه وخصائصه الفنية والقوية ، حتى إذا أقمنا هذا المقياس الداخلي ، احتكنا إليه في صحة الشعر الباقي الذي انفرد بروايته أحد الرواة الأثبات ، ثم الذي انفرد بروايته راوٍ آخر ، ثم ما رواه غيرهما ، فما استقام على هذا المقياس الداخلي رجّحنا صحته وضمّمناه إلى القدر المشترك الأول ، وما لم يستقم نفينا وطرحناه .

• • •

أما ما حقّقه هذا البحث من جديد فأرجو أن يكون واضح المعالم بارز القسمات في ما قدمت من فصول وأبواب ، بحيث يغني عن إعادة الحديث فيه ، ويجنبني مزالتق الإدلال به والاستكثار بذكره .

مصادر البحث ومراجعته

المصادر والمراجع

(١) المطبوعة

- ١ - الآمدى - أبو القاسم ، الحسن بن بشر (- ٣٧٠ هـ)
المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض
شعرهم - تصحيح كرنكو ، القسنى سنة ١٣٥٤ هـ .
- ٢ - أحمد أمين
ضحى الإسلام .
- ٣ - أحمد محمد الحوفى
المرأة في الشعر الجاهلى - مطبعة نهضة مصر ، سنة ١٩٥٤ .
- ٤ - الأصفهاني - أبو الفرج ، على بن الحسين بن محمد الأموى (- ٣٥٦ هـ)
(١) الأغاني - ط . دار الكتب ، وبولاق ، والسامى بحسب ما
يذكر في الهامش .
- ٥ - الأصمعى - أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب (- نحو ٢١٥ هـ)
الأصمعيات - ط . برلين ١٩٠٢
ط . دار المعارف - تحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد
محمد شاكر .
- ٦ - الأعشى - ميمون بن قيس
ديوانه - شرح م . محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز .
- ٧ - امرؤ القيس بن حجر الكندى
ديوانه - طبعة هندية سنة ١٩٠٦ .
- ٨ - جمع حسن السندوى ، ط . الاستقامة .

- ٨ - ابن الأنباري - أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد (- ٥٧٥ هـ)
نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، نشر على يوسف .
- ٩ - البطليوسي - أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السيد (- ٥٢١ هـ)
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب - المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠١
- ١٠ - البغدادى - أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادى
(- ٤٦٣ هـ)
تقييد العلم - تحقيق يوسف العش ، دمشق ١٩٤٩ .
- ١١ - البغدادى - عبد القادر بن عمر (- ١٠٩٣ هـ)
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - السلفية ١٣٤٧ هـ ، وبولاق .
- ١٢ - بلاشير - الدكتور ريجيس بلاشير
تاريخ الأدب العربي - ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني ، مطبعة
الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٦ .
- ١٣ - البلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر (- ٢٧٩ هـ)
فتوح البلدان ، مصر ، ١٩٠١ .
- ١٤ - التبريزي - أبو زكرياء ، يحيى بن علي (- ٥٠٢ هـ)
(١) شرح القصائد العشر - الطبعة الثانية ، المطبعة المنيرية
سنة ١٣٥٢ .
- (٢) شرح الحماسة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- ١٥ - الجاحظ - أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب (- ٢٥٥ هـ)
(١) البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٤٨ .
(٢) الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٣٨ .
(٣) المحاسن والأضداد - الخانجي ، ١٣٢٤ .
- ١٦ - ابن الجزري - شمس الدين ، محمد بن محمد (- ٨٣٣ هـ)
النشر في القراءات العشر - ط . دمشق ١٣٤٥ هـ .

١٧ - ابن جلجل - أبو داود ، سليمان بن حسان الأندلسي (القرن الرابع)
طبقات الأطباء والحكماء - تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي
الفرنسي سنة ١٩٥٥ .

١٨ - ابن جنى - أبو الفتح ، عثمان بن جنى (- ٣٩٢ هـ)
الخصائص - ط . الهلال ١٩١٣ .

١٩ - الجهنياري - أبو عبد الله ، محمد بن عبدوس (- ٣٣١ هـ)
كتاب الوزراء والكتاب - تحقيق الأستاذة السقا والأبياري وشلي .
الطبعة الأولى ، مصطفى البابي الحلبي .

٢٠ - جواد علي
تاريخ العرب قبل الإسلام - مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

٢١ - الجواليقي - أبو منصور ، موهوب بن أحمد (- ٥٣٩ هـ)
المغرب - ط . ليبزج .

٢٢ - جورجى زيدان (- ١٩١٤)
العرب قبل الإسلام - الطبعة الثالثة سنة ١٩٣٩ .

٢٣ - جولد تسير
المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن - ترجمة : علي حسن عبد القادر .

٢٤ - حاتم الطائي
ديوانه - لندن ١٨٧٢ ، وضمن « خمسة دواوين العرب » .

٢٥ - ابن أبي حاتم ، محمد بن عبد الرحمن (- ٣٢٧ هـ)
(١) آداب الشافعي ومناقبه . القاهرة ١٩٥٣ هـ .
(٢) الجرح والتعديل ، الهند .

٢٦ - حاجي خليفة - مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي (- ١٠٦٦ هـ)
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصر ١٢٧٤ هـ .

- ٢٧ - ابن حبيب - أبو جعفر ، محمد بن حبيب بن أمية (- ٢٤٥ هـ)
 المهبر - طبع الهند ، ١٩٤٢ .
- ٢٨ - ابن حجر - شهاب الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن علي المسقلاني
 (- ٨٥٢ هـ) .
- (١) فتح الباري - بولاق .
 (٢) الإصابة في تمييز الصحابة - مطبعة السعادة ١٣٢٣ .
 (٣) تهذيب التهذيب - الهند ، ١٣٢٥ هـ .
- ٢٩ - ابن حزم - أبو محمد ، علي بن سعيد (- ٤٥٦ هـ)
 جمهرة أنساب العرب - تحقيق وتعليق بروفنسال ط . دار المعارف
 بمصر ، ١٩٤٨ .
- ٣٠ - حسان بن ثابت
 ديوانه - ط . النيل ، ١٩٠٤ .
- ٣١ - الخطيئة
 ديوانه - شرح أبي سعيد السكري ، مطبعة التقدم بمصر .
- ٣٢ - حميد بن ثور
 ديوانه - دار الكتب ١٩٥١ .
- ٣٣ - أبو حنيفة الدينوري - أحمد بن داود (- ٢٨٢ هـ)
 الأخبار الطوال - ط . السعادة سنة ١٣٣٠ هـ .
- ٣٤ - خليل يحيى نامي
 أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام - مجلة كلية
 الآداب - جامعة القاهرة ، مايو ١٩٣٥ .
- ٣٥ - ابن أبي داود السجستاني - عبد الله بن سليمان بن الأشعث (- ٣١٦ هـ)
 كتاب المصاحف ، مصر ١٩٣٦ .

٣٦ - ابن رشيق - أبو علي ، الحسن بن رشيق القيرواني (- ٤٦٣ وقيل ٤٤٥٦هـ)
العمدة في محاسن الشعر وآدابه - تحقيق محي الدين عبد الحميد
١٩٣٤ .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه - تصحيح النعساني ١٩٠٧ .

٣٧ - الزبيدي - أبو بكر ، محمد بن الحسن (- ٣٧٩هـ)
طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٩٥٤ .
٣٨ - الزبيدي - أبو عبد الله ، المصعب بن عبد الله بن المصعب (- ٢٣٦هـ)
كتاب نسب قریش - تحقيق بروفسال . ط . دار المعارف بمصر .
٣٩ - الزجاجي - أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحق (- ٣٣٧هـ)
الأمالي - الخانجي ١٣٢٤ .

٤٠ - الزمخشري - جار الله محمود بن عمر (٥٨٣هـ)
(١) الفائق في غريب الحديث - تحقيق البجاوي وأبو الفضل
إبراهيم ، القاهرة سنة ١٩٤٥ .
(٢) أساس البلاغة .

٤١ - زهير بن أبي سلمى
ديوانه - دار الكتب ١٩٤٤ .
٤٢ - الزوزني - أبو عبد الله ، الحسين بن أحمد (- ٤٨٦هـ)
شرح المعلقات السبع - التجارية ١٩٣٨ .

٤٣ - أبو زيد القرشي - محمد بن أبي الخطاب
جمهرة أشعار العرب - بولاق .

٤٤ - سراقه البارق

ديوانه - تحقيق حسين نصار - ١٩٤٧ .

٤٥ - السجستاني - أبو حاتم ، سهل بن محمد (- ٢٥٥هـ)
كتاب المعمرين من العرب - تصحيح الخانجي ، ١٩٠٥ .

- ٤٦ - ابن سعد - أبو عبد الله ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (- ٢٣٠ هـ)
كتاب الطبقات الكبير - ط . بريل في لندن سنة ١٣٢٢ .
- ٤٧ - ابن السكيت - أبو يوسف ، يعقوب بن إسحق (- ٢٤٤ هـ)
(١) إصلاح المنطق - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف .
(٢) تهذيب الألفاظ - تحقيق الأب شيخو ، بيروت ١٨٩٥ .
- ٤٨ - ابن سلام - محمد بن سلام الجهمي (- ٢٣١ هـ)
طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود محمد شاكر ، ط . دار المعارف .
- ٤٩ - سلامة بن جندل .
ديوانه - تحقيق الأب شيخو ، بيروت ١٩١٠ .
- ٥٠ - سيويه - أبو بشر ، عمرو بن عثمان (- ١٨٠ هـ)
الكتاب ، المطبعة الأميرية ببغداد .
- ٥١ - ابن سيده - أبو الحسن ، علي بن إسماعيل (- ٤٥٨ هـ)
المختص - المطبعة الأميرية ببغداد ١٣١٦ هـ .
- ٥٢ - السيرافي - أبو سعيد ، الحسن بن عبد الله (- ٣٦٨ هـ)
كتاب أخبار النحويين البصريين - تحقيق كركو سنة ١٩٣٦ .
- ٥٣ - السيوطي - جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر (- ٩١١ هـ)
(١) الزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .
(٢) الأشباه والنظائر في النحو - الهند ، ١٣٥٩ هـ .
(٣) شرح شواهد المفني ، مصر ١٣٢٢ .
- ٥٤ - ابن الشجري - أبو السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة
(- ٥٤٢ هـ) .

(١) مختارات شعراء العرب - المطبعة العامة ١٣٠٦ هـ .

(٢) الحماسة - الهند ، ١٣٤٥ هـ .

٥٥ - شوقي ضيف

الفن ومذاهبه في الشعر العربي - الطبعة الثانية .

٥٦ - شينخو - الأب لويس شينخو اليسوعي (- ١٩٢٧ م)

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، طبعة ثانية ،

بيروت ١٩٣٣ .

(٢) شعراء النصرانية - بيروت ١٩٢٦ .

٥٧ - صاعد الأندلسي - القاضي أبو القاسم ، صاعد بن أحمد الأندلسي

(- ٤٦٢ هـ)

طبقات الأمم - مطبعة السعادة بمصر .

٥٨ - الصفدي - صلاح الدين ، خليل بن أيبك (- ٧٦٤ هـ)

نكت الهميان ، مصر ، ١٩١١ .

٥٩ - الصولي - أبو بكر ، محمد بن يحيى (- ٣٣٦ هـ)

أدب الكتاب - تصحيح الأثرى ، السلفية ١٣٤١ .

٦٠ - طاش كبرى زاده - المولى أحمد بن مصطفى (- ٩٦٨ هـ)

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - الهند .

٦١ - الطبري - أبو جعفر ، محمد بن جرير (- ٣١٠ هـ)

(١) التاريخ - تاريخ الأمم والملوك ، طبعة مصر - وطبعة بريل

في ليدن .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تحقيق محمود محمد شاكر

ط . دار المعارف بمصر .

٦٢ - طرفة بن العبد

ديوانه - ط . شالون سنة ١٩٠٠ .

٦٣ - طه حسين

- (١) في الشعر الجاهلي - دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ .
 (٢) في الأدب الجاهلي - الطبعة الرابعة ، دار المعارف .
 ٦٤ - ابن عبد البر - أبو عمر ، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (-٥٤٦٣)
 (١) القصد والأهم - القلمى ، ١٣٥٠ .
 (٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله - مصر ، ١٣٢٠ .
 ٦٥ - ابن عبد الحكم - أبو محمد ، عبد الله بن عبد الحكم (-٥٢١٤) .
 فتوح مصر وأخبارها - ط . بريل ١٩٢٠
 ٦٦ - ابن عبد ربه - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (-٥٣٢٨) .
 العقد - تحقيق محمد سعيد العريان - ط . الاستقامة ، ١٩٤٠ .
 ٦٧ - ابن العبري - أبو الفرج ، غريغوريوس بن هارون الملقب (-٥٦٨٥)
 مختصر الدول - ط . بيروت .

٦٨ - عبيد بن الأبرص

ديوانه - دار المعارف .

٦٩ - عبيد بن شربة الجرهمي

أخبار عبيد - ط . الهند ، ١٣٤٧ .

٧٠ - أبو عبيد - عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (-٥٤٨٧)

(١) معجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥ .

(٢) اللآلئ في شرح أمالي القالي - تحقيق عبد العزيز الميمنى سنة ١٩٣٦ .

٧١ - أبو عبيدة - معمر بن المنفى (-٥٢١٣ ، ٢٠٨)

(١) النقائض - تحقيق بيفان ، بريل ١٩٠٥

النقائض - طبع الصاوى ١٩٣٥ م .

(٢) كتاب الخيل - الهند ، ١٣٥٨ .

- ٧٢- ابن العربي - القاضي أبو بكر ، محمد بن عبد الله (- ٥٤٦ هـ)
 العواصم من القواصم - ط . الجزائر .
- ٧٣- عرام بن الأصم السلمي (القرن الثالث ؟)
 كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها - تحقيق عبد السلام هارون ،
 ١٣٧٣ هـ .
- ٧٤- ابن فارس - أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا (- ٣٩٥ هـ)
 الصحاح في فقه اللغة - المكتبة السلفية سنة ١٩١٠ .
- ٧٥- الفراء - أبو زكرياء ، يحيى بن زياد (- ٢٠٤ هـ)
 معاني القرآن - ط . دار الكتب .
- ٧٦- فيليب حقي
 تاريخ العرب (مطول) .
- ٧٧- القالي - أبو علي ، إسماعيل بن القاسم بن عيذون (- ٣٥٦ هـ)
 الأمل - دار الكتب .
- ٧٨- ابن قتيبة - أبو محمد ، عبد الله بن مسلم (- ٢٧٦ هـ)
 (١) مختلف الحديث - ط . مصر ١٣٢٦ .
 (٢) تأويل مشكل القرآن - تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة
 عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٤ .
 (٣) الشعر والشعراء - تحقيق أحمد محمد شاكر - مطبعة عيسى
 البابي الحلبي سنة ١٣٦٤ .
 (٤) الميسر والقدح - تحقيق محب الدين الخطيب - السلفية
 سنة ١٣٤٣ .
 (٥) المسائل والأجوبة في الحديث واللغة - مكتبة القدسي ، سنة
 ١٣٤٩ .
 (٦) المعارف - تصحيح الصاوي ، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٥ .
- ٧٩- القفطي - الوزير جمال الدين ، أبو الحسن ، علي بن يوسف (- ٦٤٦ هـ)

إنباء الرواة على أنباء النحاة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،

سنة ١٩٥٥ .

٨٠ - القلقشندي - أحمد بن علي بن أحمد (- ٨٢١ هـ)

صبيح الأعشى .

٨١ - قيس بن الخطيم

ديوانه - ليبزج ١٩١٤ .

٨٢ - ليبد بن ربيعة العامري

ديوانه - فينا ، ١٨٨٠ م .

» بريل ، ١٨٩١ م .

٨٣ - المبرد - أبو العباس ، محمد بن يزيد (- ٢٨٥ هـ)

(١) الفاضل - ط . دار الكتب (تحت الطبع) .

(٢) الكامل - ط . ليبزج .

٨٤ - محمد أحمد الفمراوى

النقد التحليل لكتاب فى الأدب الجاهلى ، السلفية ، ١٩٢٩ .

٨٥ - محمد حميد الله الحيدري آبادى

مجموعة الوثائق السياسية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١ .

٨٦ - محمد الخضر حسين

نقض كتاب فى الشعر الجاهلى .

٨٧ - محمد الخضرى

محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية التاريخية التى اشتمل عليها كتاب

فى الشعر الجاهلى .

٨٨ - محمد فريد وجدى

نقد كتاب الشعر الجاهلى .

٨٩ - محمد لطفى جمعة

الشهاب الراصد .

٩٠ - المرتضى - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (- ٤٣٦ هـ)
أمالى المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ؛
الطبعة ١٩٥٤

٩١ - المرزبانى - أبو عبيد الله ، محمد بن عمران (- ٣٨٤ هـ)
(١) الموشع فى مأخذ العلماء على الشعراء ، السلفية ١٣٤٣ .
(٢) معجم الشعراء - تصحيح كرنكو ، القدس ١٣٥٤ .
٩٢ - المرزوقى - أبو علي ، أحمد بن محمد بن الحسن (فى القرن الخامس)
(١) الأزمنة والأمكنة ، ط . الهند ١٣٣٢ .
(٢) شرح ديوان الحماسة - نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ١٩٥١
٩٣ - المسعودى - أبو الحسن ، علي بن الحسين (- ٣٤٥ هـ)
(١) التنبيه والإشراف - تصحيح الصاوى - مصر ١٩٣٨ .
(٢) مروج الذهب - تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد -
المكتبة التجارية - ١٩٤٨ (الطبعة الثانية) .

٩٤ - مصطفى صادق الرافعى

(١) تاريخ آداب العرب - إخراج محمد سعيد الريان .
(٢) تحت راية القرآن ، مصر ١٩٢٦ .

٩٥ - المفضل بن محمد الضبي

المفضليات - تحقيق جيمس شارل ليال .
المفضليات - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف .

٩٦ - المقرئى - تقي الدين أحمد بن علي (- ٨٤٥ هـ)
إمتاع الأسماع - تصحيح محمود محمد شاكر - مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٩٤١ .

٩٧ - النابغة الذبياني

ديوانه - التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان - مطبعة السعادة بمصر .

- ٩٨ - ابن النديم - أبو الفرج ، محمد بن إسحق بن يعقوب (- ٣٨٥ هـ)
كتاب الفهرست - المكتبة التجارية ، مصر .
- ٩٩ - أبو نعيم - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (- ٤٣٠ هـ)
حلية الأولياء ، مصر ١٩٣٢ .
- ١٠٠ - أبو نواس - الحسن بن هاني (- ١٩٨)
ديوانه - الطبعة الأولى بالمطبعة العمومية بمصر ، ١٨٩٨ .
- ١٠١ - الواقدي - أبو عبد الله ، محمد بن عمر (- ٢٠٧ هـ)
مغازي رسول الله - جماعة نشر الكتب القديمة سنة ١٩٤٨ .
- ١٠٢ - ولفنسون - إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)
تاريخ اللغات السامية - الطبعة الأولى ١٩٢٩ .
- ١٠٣ - هذيل
- (١) ديوان الهذليين - ط . دار الكتب .
- (٢) شرح أشعار الهذليين - لندن ١٨٥٤ .
- (٣) أشعار الهذليين ما بقي منها في النسخة اللغذونية غير مطبوع -
برلين ، ١٨٨٤ .
- (٤) ديوان أبي ذؤيب - هانوفر ١٩٢٦ .
- (٥) أشعار ساعدة بن جؤية وأبي خراش - ليبزج سنة ١٩٣٣ .
- ١٠٤ - ابن هشام - أبو محمد ، عبد الملك بن هشام (- ٢١٨ هـ)
السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ط . مصطفى البابي
الحلبي ، ١٩٣٦ .
- السيرة النبوية - ط . بولاق .
- ١٠٥ - الهمداني - أبو محمد ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، المعروف بابن
الحائك (- ٣٣٤ هـ)
صفة جزيرة العرب - بريل ١٨٨٤ .

١٠٦ - ياقوت - أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (- ٨٦٢٦)

(١) معجم البلدان - الخانجي .

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - الرقاعي .

١٠٧ - يوسف هوروفتس

المغازي الأول ومؤلفوها - ترجمة حسين نصار ، ١٩٤٩

(ب) المخطوطة

١٠٨ - امرؤ القيس

(١) شرح ديوانه : تعلية ابن النحاس - معهد إحياء المخطوطات

العربية بجامعة الدول العربية ميكرو فيلم ، رقم ١٤٣ .

(٢) شرح ديوانه للطوسي - ميكرو فيلم في معهد إحياء المخطوطات

العربية ، رقم ٨٦٠ .

(٣) شرح ديوانه للأعلم ، مخطوطتان بدار الكتب ، ٤٥٠ تيمور

و ٨١ ش .

١٠٩ - البصري - أبو القاسم ، علي بن حمزة البصري (- ٣٧٥ هـ)

التنبيهات على أغاليط الرواة - رقم (٥٠٢ لغة) دار الكتب المصرية .

١١٠ - حسان بن ثابت

ديوانه - ميكرو فيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية ، رقم ٣٠٢ .

١١١ - حمزة بن الحسن الأصفهاني (- ٣٦٠ هـ)

التنبيه على حدوث التصحيف - مصورة فوتوغرافية بدار الكتب

المصرية ، رقم ٨٩٦ أدب تيمور .

١١٢ - الخالديان - أبو عثمان ، سعيد (- ٣٥٠) ؛ وأبو بكر محمد بن هاشم

(- ٣٨٠)

حماسة الخالدين - مخطوط في دار الكتب رقم ٥٨٧ أدب .

١١٣ - زهير بن أبي سلمى

شرح ديوانه لثعلب عن أبي عمرو - ميكروفيلم في معهد إحياء
المخطوطات العربية ، رقم ٨٢٢ .

١١٤ - أبو الطيب اللغوى - عبد الواحد بن على (- ٣٥١ هـ)

مراتب النحويين - مخطوط محفوظ بمكتبة أحمد تيمور - دار الكتب .

(>) الإنجليزية

1. Abbot, Nabia — The Rise of The North Arabic Script ..., Chicago, 1939.
2. Allen, Thomas W. — Homer: The Origins and The Transmission, Oxford, 1924.
3. Bowra, C.M. — Tradition and Design in The Iliad, Oxford, 1930.
4. Della Vida, Giorgio Levy — Pre-Islamic Arabia; The Arab Heritage, New Jersey, 1944.
5. Diodorus Siculus — History, William Heinemann, London.
6. Farmer, H.G. — History of Arabian Music, Luzac, London, 1929.
7. Geddes, W.D. — The Problem of The Homeric Poems, London, 1878.
8. Grohmann, Adolf — From The World Of Arabic Papyri, Cairo, 1952.
9. Hamidullah, M. — Some Inscriptions of Medinah of The Early Years of Hijrah; Islamic Culture, Vol. 13 No. 4, October 1939.
10. Jebb, R.C. — Homer : Introduction To The Iliad and The Odyssey, Glasgo, 1894.
11. Krenkow — The Use of Writing For The Preservation of Ancient Arabic Poetry; A Volume of Oriental Studies to E.G. Browne, Edited By J.W. Arnold.
12. Margoliouth, D.S. — The Origins of Arabic Poetry; JRAS, July 1925 P. 417-449.
13. Miles, G.C. — Early Islamic Inscriptions Near Ta'if in The Hijaz, JNES, Vol. 7, 1948.
14. O'Leary, De Lacy — Arabia Before Mohammad, 1927.
15. Olinder, Gunnar — Kings of Kinda.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الكتب

فهرس الشعر

فهرس الأعلام

١

- آدم - ٢٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩ ، ٤٦٥ ، ٦٠١ ،
آشور - ١٢
الآمدى - ٢٦٤ ، ٤٦٩ ،
٥١٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ،
٥٤٩ ، ٥٥١ - ٥٥٥
أبان بن تغلب - ٢٤٠
أبان بن عثمان - ١٤٩ ، ١٥١
أبان العطار - ١٨٢
إبراهيم الخليل - ٣٣٧ ، ٦١٨
إبراهيم بن عبد الله - ١٧٥ ،
٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١
إبراهيم بن متمم - ٢٣٥
إبراهيم النخعى - ١٣٦ ، ١٣٨ ،
٢٥٦ ، ٣٩١ ، ٤٣٢
أبرهة بن الصباح - ٦٦
الأبيرد - ٥٨٠
أبى بن خلف الحمقى - ١١٥ ،
١٢٧
أتى بن زيد - ١٣٠
أتى بن كعب - ٣٤ ، ٦٦ ، ٨٥
الأثرم - ٥٣٢
أثينا (الإلهة) - ٣١١
الأتينيون - ٣٠٨
- أجا ممنون - ٣١٢
الأحابين = بنو الحبناء
الأحباش - ١٢
الأحلاف - ٢٥١ ، ٣٢٩
أحمد بن حاتم الباهلى (أبو نصر) -
٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ،
٥١٨ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢ ،
٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ ،
٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨
أحمد بن الحارث الحراز - ٣٦٨
أحمد بن حنبل - ١٤٤ ، ١٤٦ ،
١٤٨
أحمد بن عبيد بن ناصح (أبو
جعفر) - ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦
أحمد بن عبيد الله بن عمار -
١٩٤
أحمد بن محمد بن إسماعيل (أبو
جعفر) - ٤٩٧
أحمد بن محمد الجراح (أبو بكر)
٥٧٤
أحمد محمد شاكر - ٥٧٧ ، ٥٧٨
أحمد بن محمد بن شجاع (أبو
أيوب) - ١٧٣
أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى

- (أبو بكر) - ٥٦٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠
 أحمد بن محمد النحاس =
 أبو جعفر النحاس
 أحمد بن يحيى = ثعلب
 أحر بن جندل - ١٣٠
 أحر - ٤٩٩ ، ٥٢٤ ، ٥٤٩ ابن
 الأحرى - ٤٤٦
 الأخوص - ٢٣٨
 الأخطل - ٢٠٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣
 الأخفش (علي بن سليمان ،
 أبو الحسن) - ١٧٦ ،
 ٤٥٤ ، ٤٩٨ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٧ ، ٥٧٥ ،
 ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٩٤
 الأخنس بن شهاب - ٧٧ ،
 ١٠١
 الأخوص - ٥٨٠
 أخيل - ٢٩٨ ، ٢٩٩
 إدورد براونلش - ٤١٢
 أرخيلوخوس - ٣٠٤
 أرسنارخ - ٣١٤ ، ٣١٥ ،
 ٣١٦
 أرسنوفان - ٣١٤
 أرسنونيخ - ٣١٥ ، ٣١٦
 أرطاة بن سُبَيْة - ٢٧٣
 أركتينوس - ٣٠٤
 أروى بنت عبد المطلب - ٣٤٢
- بنو الأزد - ١٥٣ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥
 أبو الأزهر - ٧٨
 أزواج النبي - ٩٠
 ابن الأزور - ٢٣٥
 أسامة (صاحب روح بن أبي
 مام) - ٣٣٣ ، ٦٠٩
 أسامة بن الحارث - ٥٧٠
 أبو أسامة = معاوية بن زهير بن
 قيس
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي -
 ٢٤٢ ، ٥٤٧
 إسحق بن العباس الهاشمي -
 ٤٧٧
 إسحق بن مرار = أبو عمرو
 الشيباني
 ابن إسحق (محمد بن إسحق) - ١٥٠ ،
 ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٩ ، ٣٧٩ ، ٣٩٠ ،
 ٣٩٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ،
 ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ،
 ٦٠٥ ، ٦٣٠
 أبو إسحق - ٣٣٣ ، ٦٠٩
 ابن أبي إسحق الحضري - ٤٣٦

بنو أشجع - ٥٤٣ ، ٥٤٦
 أصحاب الشجرة - ٤٣٠
 الأصمعي (عبد الملك بن قريب
 أبو سعيد) - ٩٩ ، ٨٠ ،
 ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٢٣ ،
 ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ،
 ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ،
 ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ٤٤٠ ،
 ٤٤٥ - ٤٤٨ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ،
 ٤٦١ - ٤٦٤ ، ٤٧١ ،
 ٤٧٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ،
 ٤٩٩ - ٥٢٤ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣ ،
 ٥٣٥ - ٥٤٢ ، ٥٤٧ ،
 ٥٥٥ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ،
 ٥٦٥ - ٥٧٢ ، ٥٧٥ ،
 ٥٨٢ ، ٥٨٧ ، ٥٩٧ ،
 ٦٣٣
 الأعاجم - ٨٠ ، ٨٢ ، ٤٠٦
 الأعراب - ٨ ، ٩ ، ١٠ ،
 ٤٧ ، ٥٨ ، ١١٦ ، ١١٧

بنو أسد - ٢٠١ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ،
 ٣٩٦ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ،
 ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٨٠ ،
 ٦١٢
 بنو إسرائيل - ٧٣
 إسقنديار - ٥٢
 الإسكندريون - ٣١٣ ، ٣١٥
 بنو أسلم - ٨ ، ٥٤٣
 أسلم بن سدرة - ٣٧
 أسماء - ٥٣١ ، ٥٣٩
 أسماء بن خارجة الفزاري - ٢٦٩
 أسماء بنت أبي بكر - ٢١٠ ،
 ٢٦١
 أسماء بنت مخربة - ٦٩
 إسماعيل (عليه السلام) -
 ٢٤ ، ٢١٤ ، ٣٥٥ ،
 ٦٠١
 إسماعيل بن إسحق القاضي -
 ٦٠٩
 إسماعيل بن عبد الرحمن = السدي
 إسماعيل بن عبد الله السكري -
 ٢٦٧
 إسماعيل بن يسار - ٤٠٦ ، ٤٢٦
 الأسود - ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٣٢٩
 الأسود بن سريع التيمي - ٢٤٦
 الأسود بن يعفر - ٨٢ ، ٣٣٨
 ٤٤٩ ، ٤٣٧ ، ٣٤٨
 أبو الأسود اللؤلؤي - ٣٥ - ٣٦ ، ٤٧
 أسيد بن أبي الميصر - ٧٦

الأعرج = عبد الرحمن بن هرمز

الأعشى (ميمون بن قيس ،

أبوبصير) - ٦٥ ، ٧٠ ،

٧٦ ، ٨١ ، ١٦٠ ، ١٧٧ ،

١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ،

٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ،

٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ،

٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ،

٣٦١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ،

٣٨٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،

الأعشى بن زرار بن النباش -

٣٣٨

الأعشيان - ٢٢٩

بنو أعصر - ٥٤٣ ، ٥٥٣ ،

الأعلم الشنمري (يوسف بن

سليمان ، أبو الحجاج) -

٣٩ ، ٩٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،

٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠٢ ،

٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ،

٥١٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ،

٥٢٦ - ٥٣٠ ، ٥٣٥ ،

٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ،

أعين الطيب - ١٩١

الإغريق - ٥٩ ، ٦٠ ، ٢٨٩ ،

٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ،

٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٥٦ ،

الأغلب - ٣٢٧ ، ٣٥٠ ،

٤٧٧ ، ٥٤٩ ،

١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ،

١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ،

١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٥٢ ،

٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،

٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،

٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ،

٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٤٣٤ ،

٤٣٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ،

٤٤٧ ، ٤٦٣ ، ٤٧٧ ،

٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،

٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ،

٥١٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ ،

٥٥٧ ، ٥٧٩ ، ٦١٧ ،

٦٢٩

ابن الأعرابي (محمد بن زياد ، أبو

عبد الله) - ١١٣ ، ١٢٤ ،

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٥٢ ،

٢٦٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ ،

٤٣٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٨ ،

٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٨٧ ،

٤٩٠ - ٤٩٣ ، ٤٩٦ ،

٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥١٣ ،

٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ،

٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٥ ،

٥٢٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٦ ،

٥٦٥ - ٥٦٩ ، ٥٧٠ ،

٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ،

٥٩٨

الأعرج = سلمة بن دينار

٥١٢ - ٥١٦ ، ٥١٨ ،

٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ،

٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٧ ،

٥٣٨ ، ٥٧٩ ، ٥٩٧ ،

٦٣٢

امرؤ القيس بن عابس - ٢٧٠

امرؤ القيس بن عمرو - ٢٧ ،

١٦٢

امرؤ القيس بن مالك الحميري

- ٤٦٩ ، ٥١٩

آل امرؤ القيس - ٥٤١

الأموي - ٤٤٦

الأمويون - ١٤١ ، ١٥٤ ،

١٧٠ ، ٤٢٢

أمير المؤمنين = علي بن أبي

طالب

أميمة - ٥٢٨

أميمة بنت عبدالمطلب - ٣٤٢

الأميون - ٧ ، ٤٤ ، ٤٥

أمية بن خلف - ٦٧

أمية بن أبي الصلت - ٥١ ،

٧٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١١٦ ،

١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٣٢٤ ،

٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،

٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،

٣٨٧ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٦١٠

أمية بن عبد شمس - ٢١٨ ،

٣٢٢

أفروديت - ٣١١

إفلاطون - ٣١١ ، ٣١٢

أفلق (مول أبي أيوب الأنصاري)

٧٤ -

الأفوه الأودي - ٢١٤ ، ٣٣٤ ،

٦١٠

الأقرع بن حابس - ٢٢٠

أكم بن صبيح - ١٦٦

إكزيتوفان - ٣١١

أكيدر بن عبد الملك السكوني -

٥٠

الألمان - ٢٩٢ ، ٣١٨

امرؤ القيس بن بكر (الذائد)

- ١١٩ ، ٦٢٢

امرؤ القيس بن حجر - ٦٤ ،

٧٢ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ،

٩٦ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ،

١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٧ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ،

٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ،

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ،

٣٧٣ ، ٣٨٠ - ٣٨٢ ،

٣٣٥ ، ٣٨٧ ، ٣٣٨ ،

٣٨٩ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ ،

٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ،

٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ،

٤٤٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٥ ،

٤٨٥ - ٤٩٢ ، ٤٩٣ -

٤٩٧ ، ٤٩٩ - ٥١٠ ،

- بنو أمية - ٨٩ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ،
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ،
 ٢٤٥ ، ٣٩٢ ، ٤٣٠ ،
 ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، ٤٧٤ ،
 ٥٥٨
- أبو أمية بن المغيرة - ٧٢
 أناكساجوراس - ٣١١
- ابن الأنباري (أبو البركات) - ٢٥٧
 ابن الأنباري (أبو محمد ، القاسم
 ابن محمد) - ٥٧٤ ،
 ٥٧٥ ، ٥٧٦
- ابن الأنباري (أبو بكر ، محمد بن
 القاسم) - ٤٣٥ ، ١٥٢ ،
 ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٧٤ ،
 ٥٧٦
- الأنباط - ١١ ، ١٣
 أنتماخ الكلاري - ٣١٣
 الأندلسي - ٣٧٨
 أنس بن زعيم - ٣٣٢
 أنس بن سعد - ١٣٢
 أنس بن مالك - ٧٤ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢١١ ،
 ٢٥٦
- الأنصار - ٦٩ ، ٩٤ ، ١٢٥ ،
 ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٣٢٩ ،
 ٣٤٤ ، ٣٨٨ ، ٤٠٦ ،
 ٤٢٢ ، ٥٥٩ ، ٥٥٨ ، ٥٠٩ ،
- أنف الناقة - ١١٠
 أنيس (أخو أبي ذر الغفاري) -
 ٤٩
 أهرن بن أعين القس - ١٤٢
 أهل الكتاب - ٤٥ ، ٧ ، ٥٥ ،
 ٥٦ ، ٦١ - ٦٤ ، ٧٩ ،
 ٩٢ ، ١٤٠ ،
 أهلوارد - ٤٩٤ ، ٤٩٥ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٥
 أوديسوس - ٢٩٧
 الأوربيون - ١١ ، ٢٨٧ ،
 ٦٣٠
 أورفيوس - ٣٠٢
 أورليان - ١٣
 الأوس - ٥ ، ٥٠ ، ٥١ ،
 ١٩٩ ، ٤٢١ ، ٥٤٨ ،
 ٦١٨
- أوس - ٢٢٩
 أوس بن أبي سلمى - ٥٣٤
 أوس بن حجر - ١٧٦ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،
 ٣٣٣ ، ٤٠٢ ، ٤٧٥ ،
 ٦١٠
 الأوسية - ٢٠٦
 أوفى - ٣٢٨ ، ٥٣٨
 أولندر - ١٦٢
 أوليري - ١٢
 بنو إيراد - ٦ ، ١١٤ ، ١٣٣ ،
 ٢١٦ ، ٥٤٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥٣
- أف - ١٣٣

- أبو البركات = ابن الأنباري
 بروكلمان - ٣٧٦
 برونابيدس - ٣٠٢
 بسطام بن قيس - ٢٦٩ ، ٢٧٢
 أبو بسطام = شعبة بن الحجاج
 البسوس - ٣٩٦
 بشر بن أبي خازم - ٤٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ٢٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
 ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٩٦ ،
 ٦١٠
 بشر بن عبد الملك السكوني -
 ٥٠
 بشر بن مروان - ٢٧٣
 بشير بن كعب - ١٦٨
 بشير بن نبيك - ١٤٥
 ابن بشير - ١١٧
 البصريون - ٣٧٨ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ،
 ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٥٦ ،
 ٤٥٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ،
 ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ،
 ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩١ ،
 ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥١١ ،
 ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٧ ،
 ٥٣٢ ، ٥٣٥ ، ٦٣١
 أبو بصير = الأعشى
 البطحاويون = قریش البطاح
- أبى بن خريم - ٢٧٣
 أيوب (النبي) - ١٦٧
 أيوب السخيتاني - ١٣٩
 أبو أيوب = أحمد بن محمد بن
 شجاع
 أبو أيوب الأنصاري - ٧٣ ، ٧٤ ،
 أيوبين الثاني - ٣١٦
 أيون - ٣١٢
 ب
 البابليون - ٦٠
 بنو باهلة - ٥٤٣ ، ٥٩٧
 الباهلي - ٥٦٦ ، ٥٦٧
 باورا (سيسيل مورييس) -
 ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٩ ، ٣٠٨
 باوزان - ٣١٢
 بجير بن زهير - ١١٥ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧ ، ٣٢٧
 بنو بجيلة - ٥٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٥٢
 بجير - ١٣٩
 البخاري - ١٤٦
 بنو بدر - ٥٤٩
 البراء - ٩٣ ، ٩٨
 البراجم - ٢٥٠ ، ٥١٩
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعري -
 ٤٥٢
 برة بنت عبد المطلب ٣٤٢
 برزخ بن محمد العروضي - ٢٨١

٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٧٣ ،

٤٧٦

بنو بلي - ١٥٧ ، ٢١٧ ، ٥٤٣ ،

٥٥٣ ، ٥٥٨

بتلى - ٢٩٣

بندار الكرخي (أبو عمرو) -

٥٧٤

البهاء بن النحاس - ٤٩٨ ،

٤٩٩

بهاء الدين أبو العباس أحمد -

٤٩٧

بوزانياس - ٣١٠

بولان - ٣٧

بوليبوس - ٣١٢

بيزنتراقوس - ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٨

بيكر - ١٥٠

ت

تأبط شرًا - ٢٦٨ ، ٤٥٣ ،

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،

٤٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،

٦١٠

ابن أخت تأبط شرًا - ٤٥٢ ،

٤٥٣ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ،

٤٦٠

التابعون - ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ،

١٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ،

البغدادى = عبد القادر البغدادى

بغيفى بن عامر - ١١١

بقية - ١٣٩

أبو بكر = أحمد بن محمد الجراح

أبو بكر = أحمد بن محمد بن عاصم

أبو بكر = ابن الأتبارى

أبو بكر = ابن دريد

أبو بكر = عاصم بن أيوب

أبو بكر = محمد بن عبد القنى

أبو بكر الصديق - ٨٠ ، ٥١ ، ٨٥ ،

٨٧ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٨٩ ،

٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ ،

٦٠٣

أبو بكر الصولى - ١١٧

أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة -

١٨٣

أبو بكر العبدى - ٥٧٤

أبو بكر بن العربى - ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

أبو بكر بن قيس الجعفى - ٢٣٣

أبو بكر الهلالى - ٢٧٠

أخو بكر - ٢١٧

بنو بكر - ٦ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١١٠ ،

١٣١ ، ٢٠٣ ، ٢٣١ ،

٢٦٥ ، ٣٩٨ ، ٥٤٨ ،

٦١٨

بكار بن محمد - ٧٤

البلاذرى - ٥٠

بلال بن أبى بردة - ٢٢٦ ،

٣٤٩ ، ٣٧٠ ، ٤٤١ ،

ثعلب (أبو العباس ، أحمد بن

يحيى) - ١٧٠ ، ١٨٠ ،

١٩٣ ، ٢٥٢ ، ٤٣٥ ، ٥٢٨ ،

٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٨ ،

٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ،

٥٥٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ،

بنو ثعلبة - ٢٧٣

ثعلبة بن سعد بن ذبيان - ٦٠٢

ثعلبة بن كعب الأوسى - ٢٣٣

بنو ثقيف - ٦ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٨ ،

١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ٢٣٢ ،

٢٧١ ، ٥٠٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٨ ،

ثمالة بن الوليد - ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،

ثمود - ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٩٠ ،

٤١٩ ، ٦٠١ ،

بنو ثور - ٤٣٠

الثوري - ٤٣٧

ثوسيديد - ٣١١ ، ٣١٢ ،

ثياجن الريجيوى - ٣١١

ج

جابر بن زيد (أبو الشعثاء) -

١٣٦ ، ١٨٠ ،

جابر بن سمرة - ٢٠٤

الجاحظ - ٤٢ ، ٦٥ ، ٨١ ،

١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٩٣ ،

٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤ ، ٣٣١ ،

٣٣٣ ، ٣٣٣ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ،

٤٣٣ ، ٤٣٢

تبان أسعد - ٣٣٩

تبغ - ١٥٣ ، ٣٩٠ ،

التبريزى - ٨٠ ، ٤٥٨ ، ٥٠٨ ،

٥٣٦ ، ٥٨٣ ، ٥٨٨ ،

تراجان - ١٣

بنو تغلب - ٦ ، ٦٥ ، ١١٠ ،

١١٤ ، ١٢٩ ، ١٨٨ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٢ ،

٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٥٤٣ ،

٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،

٥٥٦ ، ٦١٨ ،

أبو تمام - ١٧٤ ، ٤٥٨ ، ٥٨٢ ،

٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ،

٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٦٣٢ ،

تميم بن أبي بن مقبل - ٩٤ ،

١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ،

بنو تميم - ١٣١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٨ ،

٢٢٧ ، ٢٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،

٤٠٨ ، ٤٢١ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ ،

٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ،

التوعم الشكرى - ٥٠٧ ، ٥٢١ ،

التوزى - ٤٩٢

بنو تيم - ١١٠ ، ١١١ ،

تيمور - ٥٠٤

ث

ثابت قطنة - ٢١٧

ثابت بن قيس بن شماس - ٢١١

بنو ثعل - ٢٤٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٣ ،

جرير بن عطية — ١٥٥ ،

٢٢٧، ٢٠٤، ١٩٢، ١٩١

٢٤٢، ٢٤١، ٢٣٨، ٢٣٠

٣٧٦، ٣٧٣، ٣٧١، ٢٧٢

٦٢٨، ٥٣٦

ابن الجزري — ٣٥ ، ٣٦

بنو جشم — ٨

جشم بن الخزرج — ٣٢٧ ،

٣٥١

أبو جعفر = أحمد بن عبيد بن

ناصح

أبو جعفر = أحمد بن محمد بن

إسماعيل

أبو جعفر = الطبري

أبو جعفر = محمد بن الليث

الأصفهاني

جعفر بن أبي جعفر المنصور — ٤٤٥

جعفر بن أبي طالب — ٢٠٤

بنو جعفر — ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨

أبو جعفر المنصور — ٥٩٠

أبو جعفر بن النحاس (أحمد بن

محمد) — ١٦٩ ، ١٧٠ ،

٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٢،

٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨،

٤٩٩، ٥٠٠، ٥١١، ٥١٥،

٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩،

٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣،

٥٢٤، ٥٢٥، ٥٩٥

الجعفري — ١٦٠ ، ٢٢٩

بنو جعفي — ٢٣٤ ، ٥٤٣

٤٥٣، ٤٥٧، ٤٦٩، ٤٧٠،

٥٤٨، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨،

٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢،

٦٢٢

جامعة — ٥٥٣

جب (المستشرق الإنجليزى) —

١٦٢

جب — ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،

٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٧٦،

جبريل — ٢١٢

جبله بن الأيهم الفسائي — ٢٦٢

جبير بن مطعم — ٢١٩

الجحاف بن حكيم السلمى —

٦٠٤

جعندر بن ضبيعة — ١٩٨

جديس (وليم) — ٢٤٧، ٢٩٦،

٢٩٩ ، ٣٠٠

بنو جديلة — ٢٣٢

جدام — ٢٤٩ ، ٢٥٠

بنو جذيمة — ٦٠٤ ، ٦٠٥

جران العود — ٤٩٦

بنو جرم — ٥٤٣ ، ٥٥٤

الجري — ١٧٧

جرهم — ٢١٧

جروت — ٢٩٩

جرول = الخطيئة

ابن جريج — ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٥٦

ابن جرير = الطبري

جرير بن عبد الله البجلي —

٢٦٥ ، ٦٠٥

أبو الجويرية المبدى - ٥٣٤

ح

أبو حاتم السجستاني (سهل بن

محمد) - ٣٧ ، ١٥٧ ،

١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،

١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ،

٢٧١ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٤٣٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ،

٤٥٤ ، ٤٦٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧ ،

٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٠ ،

٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،

٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ،

٥٢٩

حاتم الطائي - ٧٨ ، ١٠١ ،

٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،

٢٣٥

حاجب بن زُرَّار - ٤٣٧ ،

٥٤٩

الحارث الأعور - ١٣٥

الحارث بن البرصاء - ٥٥٠

الحارث بن بكر الذيباني - ٥٥٠

الحارث بن حلزة - ٦٥ ، ٨١ ،

١٧١ ، ١٧٧ ، ٣٢٨ ،

٣٦٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ،

الحارث بن خالد بن العاصي -

١٥٦

الحارث بن أبي شمر الغساني -

٧٢ ، ١٦٦ ، ٢٦٦ ،

الحارث بن ظالم - ٦٧ ، ٣٤٠ ،

ابن جعل التغلبي - ٥٤٤

آل جفنة - ١٢٨

جفينة - ٥٠

ابن جليل - ١٤١

جليلة بن كعب - ٢٣٣

جليلة بنت مرة - ٣٦١

الحمحي - ٢٧٠

جميل بن معمر العذري - ٢٢٣ ،

٢٣٨

جناد بن واصل - ١٥٧ ، ١٥٨ ،

٢٨١ ، ٣٥٩ ، ٤٣٧ ، ٥٠٨ ،

٥٥٧

أبو جندب - ٥٦٦ ، ٥٦٨

أم جندب - ٥١٥

جندل بن المنفى الطهوي - ١٣٨

ابن جنى (أبو الفتح ، عثمان) -

١١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٣٧ ، ٤٦٤ ،

٥٦٣ ، ٦٢٢

الجهشياري - ٥٢

أبو جهل - ٦٧ ، ٦٩ ، ٣٤١

أبو جههم بن حذيفة - ٢٢٠

بنو جهينة - ٦ ، ٧ ، ٥٤٣ ، ٥٥٤ ،

الحواليقي - ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٥٦٤ ، ٥٦٩

جوته - ٣١٩

جولدثسير - ٥٦٠

جودفري كوزجارتن - ٥٦٣

جورجيليفي دلافيدا - ٣٧٤ ، ٦٣٠ ،

جويدي - ٣٨٤

جويرية - ٢٦٤ ، ٢٦٥

- الحارث بن عباد - ٣٢٦
الحارث بن عمرو - ٢٦٦ ،
٥٠٣، ٤٩٠، ٤٨٦، ٣٢٦
٥٢١ ، ٥٢٠ ، ٥٠٧
الحارث بن كلدة - ١٣٢
الحارث بن مارية - ٧٢ ، ١٢٩
الحارث بن مطرف - ٥٨٠
الحارث بن معاذ - ١٢٥ ، ١٢٦
الحارث بن هشام - ٣٤١ ،
٣٤٢
بنو الحارث - ١٢٦ ، ٢٣٣ ،
٥٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٤٩ ،
٥٥٠ ، ٥٥٤
حارثة بن بدر الغداني - ٣٣٠
حارثة بن عبيد الكلبي - ٢٣٤
الحارثي - ٢٣٠
حاطب بن أبي بلتعة - ٧١
بنو الحيناء (الأخابين) - ٢١٧
ابن حبيب = محمد بن حبيب
حبيب الأعلم - ٥٦٦
حبيب بن أبي ثابت - ٤٣٠
حبيب بن شاذب - ٥٨٠
حبيب بن عبد الله الهذلي - ٦١٣
ابن أبي حبيبة = ٢٤٩
أبو الحجاج = الأعلم الشنمري
أبو الحجاج = يوسف بن فضالة
الحجاج بن ذى الرقية - ٥٣٦
الحجاج بن يوسف - ٣٧ ، ٣٨ ،
٥٠ ، ١٣٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
١٩٩ ، ٢٧٣
- الحجازيون - ٤٣٢
حجر - ٥٢٥
بنو حجر بن عمرو - ٥٢٥
حجل - ٥٨٠
حجية بن المضرب الكندي -
٢١٠
حذيفة بن بدر - ٢٢٧ ، ٥٤٩
حرب بن أمية - ٢٢٠
أبو الحر - ٢٦٤
بنو الحر - ٥٤٦
حرميل - ١٣٢
حرملة بن سعد - ١١٤
حرملة بن عسلة - ٥٤٥ ، ٥٥٠
حريز بن نشبة العدوي - ٦١٢
أبو حزام العكلى - ٣٢٧
بنو حزم - ١٦٥
حزن بن رزاح - ٧٢
حسان بن ثابت - ٤٩ ، ٩٠ ،
٩١ ، ١٢٥ ، ١٥٨ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ،
٢٣٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٣٨ ،
٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ،
٣٧٨ ، ٤٧٠ ، ٤٩٦ ، ٥٥٩ ،
٥٦٢
أبو الحسن = الأخفش
أبو الحسن = الطوسي
أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى ،
الحسن البصرى - ٩٠ ، ١٣٦ ،
١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٨٠ ،
٢٠٤ ، ٤٣٠

حمزة بن الحسن الأصفهاني —
 ١٧٨
 حمزة بن عبد المطلب — ٣٤١
 حمل بن بدر — ٥٤٩
 حماد الراوية — ١١٧ ، ١٥٥ —
 ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٨
 ، ١٦٤ ، ١٦٩ — ١٧١ ،
 ، ٢٥٨ ، ٢٥٢ ، ٢٤٠ ، ٢٢٦
 ، ٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦
 ، ٣٥٩ ، ٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٢٨١
 ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ — ٣٧٢ ،
 ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٣٩٤ ، ٣٧٩
 — ٤٣٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧
 ، ٤٦٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥١
 ، ٤٧٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧١
 ، ٥٣٠ ، ٥٠٩ — ٥٠٧
 ، ٥٥٥ ، ٥٤٥ ، ٥٣٥ ، ٥٣٢
 ، ٥٥٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٧
 ٦٢٩ ، ٦٣١
 حماد بن بشر النسابة — ٢١٧
 حماد بن ربيعة بن النمر — ٢٣٦
 حماد بن سلمة — ٢٥٦
 حماد بن أبي سليمان — ٢٥٦
 حميد الأرقط — ٦١١
 حميد بن ثور — ١٨٩ ، ١٠٠
 ٦١١
 الحميدى — ٥٦٤ ، ٥٦٩
 حير — ١١ ، ٦٦ ، ٢٤٩ ، ٣٨٤
 ، ٤١٧ ، ٤١٦ ، ٤٠٩ ، ٣٩٠

الحسن بن الحسين = السكري
 الحسن بن علي — ٣٢٤
 الحسين (راوية جرير) —
 ٢٣٨ ، ١٩١
 الحسين بن أحمد الفزاري (أبو
 عبد الله) — ٥٥٦
 حسين الخادم — ٤٣٥ ، ٣٦٩ ،
 ٤٤٣
 ابنة الحصاء — ٥٢٥
 حصن بن بدر — ٥٤٩
 حصن بن حذيفة — ١٩٩ ،
 ٢٠١
 حطان بن عوف — ٧٨
 الحطيئة (أبو مليكة ، جرول) —
 ١١٠ ، ٧٣ ، ٤٧ ، ٤٣
 ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١١٩ ، ١١١
 ٢٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٢ ، ١٨٩
 ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩
 ٤٠٢ ، ٣٤٩ ، ٣٢٥ ، ٢٧٠
 ٤٧٣ ، ٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤١
 ٥٣٦ ، ٥٢٤ ، ٥٠٥ ، ٤٩٦
 أبو حفص = عمر بن لجأ
 حفصة بنت عمر — ٥٦ ، ٩٠
 الحكم بن عبدل — ٨٤
 أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب
 ٣٤٢ —
 الحلواني = أحمد بن محمد بن عاصم
 الحماس — ١٢٦ ، ٢٣٠
 حمران (مولى عثمان بن عفان) — ٥١

خراش - ٢٣٤
 خراش بن إسماعيل - ٢٣٢
 أبو خراش الهذلي - ٥٧٠، ٣٣٨، ٦١٣
 أبو خراشة = خفاف بن ندبة
 بنو خزاعة - ١٧١، ٦٦، ٨، ٢٣٣، ٥٥٢، ٥٤٣
 الخرج - ٥، ٥١، ٦٦، ٦١٨، ٥٤٨، ٤٢١، ١٩٩
 خرز بن لوزان - ٦٤، ١٢٣
 أبو الخطاب الأخفش - ٥٩٣، ٥٩٦
 الخطاب بن نفيل - ٢١٩، ٢٢٠
 الخطفي = حذيفة بن بدر
 الخطيب البغدادي - ١٤٣، ٥٨
 خفاف بن عبد قيس البرجمي - ٦١١
 خفاف بن ندبة - ٦١١
 خلف الأحمر (أبو محرز) - ١٧٤، ١٧٧، ١٨١، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٨، ٣٣١، ٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٣، ٣٣٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤٢٧، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٩ - ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٨ - ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٥٨٠، ٦٢٩، ٦٣١
 الخلفاء الراشدون - ٣٢، ٢٠٤، ٢٢٠

٤١٩، ٤٦٩، ٤٧٤، ٥٤٣
 حنظلة بن أبي سفيان - ٧١
 ابن الحنيفة - ٩٠
 أبو حنيفة (النعمان بن ثابت) - ٤٧٣، ٤٣٢، ٢٥٧
 أبو حنيفة الدينوري - ٦٦
 بنو حنيفة - ٦، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٤٨
 الحنيفة - ٣٣٧، ٣٩١
 الحواريون - ٣٦١
 حويطب بن عبد العزى - ٧٤
 أبو حية التميمي - ٤٧
 حيدة - ٢٧٣

خ

خالد بن عبد العزى - ٣٣٩
 خالد بن عبد الله القسري - ١٥٠، ١٥٤، ٢٥٠
 خالد بن عرفطة - ٥٥، ٦٢
 خالد بن كلثوم - ٢٥٣، ٥٥٥، ٥٤٨، ٤٨٥، ٤٣٧
 خالد بن معدان - ١٣٩
 خالد بن الهياج - ١٥٨
 خالد بن الوليد - ٥١، ٧٢، ٩١، ١٤٩
 خالد بن يزيد بن معاوية - ١٤١
 الخالديان - ٤٦٠
 خبيب بن عدي - ٣٤٢
 بنو خثعم - ٥٤٣

٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٥، ٥٢٤،

٥٦٤

دريد بن الصمة - ٤٦٩

دعد - ٢٣٦

دغفل النسابة - ١٦٠، ١٦٢،

٢١٧، ٢١٨، ٣٢٢

دماذ (رفيع بن سلمة) - ٢٦٤

دؤاد - ١٠٣ ابن

دؤاد الإيادي - ٢٠٠، ٢٠٢، أبو

٢٢٩، ٢٣٠، ٣٣٠، ٣٣١،

٤٥٢، ٤٥٧، ٥١٥،

ديدم - ٣١٥، ٣١٦

دى سلان - ٥٠٤

دى فوج - ٢٧

ديكارت - ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦،

ديودور الصقلي - ٩، ٣٠٢،

٣١٢

ديونيس - ٣٠٢

ذ

الذائد = امرؤ القيس بن بكر

الكندي

ذبيان - ٢٠١ بنو

ذر الغفاري - ٤٩ أبو

ذكوان (أبو عمرو بن أمية) -

٢١٨، ٣٢٢

ذهل - ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٥٢ بنو

ذو الإصبع العدواني - ٢٠٠،

خلاد بن قرة السدوسي - ٣٣٨

خلاد بن محمد - ١٥٨، ٥٥٩

خلاد بن يزيد الباهلي - ٣٤٦،

٤٥٦، ٤٦٦، ٤٦٧

ابن خلكان - ٣٧٠

أبو خليفة (الفضل بن الحباب) -

١٨٣، ١٨٤، ٣٤٩، ٤٧٣،

الخليل بن أحمد - ٤٧، ١٨٠،

٥٩٣، ٥٩٤

الخوارج - ٣٢٨

خوات بن جبير الأنصاري -

٥٣٩

أبو خيشمة - ٦٠٤

أبو خير الأموي - ٥٠٥

د

داحس (اسم فرس) - ٢٦٨

بنو دارم - ٢٢٨، ٢٦٥، ٥١٩

دانيال - ٥٥، ٦٢، ٦٣،

١٠٠، ١٤٠

داود (النبي) - ٩٧

أبو داود بن مئيم - ٢٣٦، ٣٤٧

٤٦٧

أبو داود = عبد الرحمن بن هرمز

درهم بن زيد الأوسي - ٦٦

أبو دريد (أبو بكر، محمد بن

الحسن) - ٢٧١، ٤٥٢،

٤٥٤، ٤٥٥، ٤٨٨، ٤٨٩،

٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٧، ٤٩٨،

أخو ربيعة = دغفل النسابة
بنو ربيعة - ٣٨٥ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ،
٥٩٨ ، ٥٤٦ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩
بنو ربيعة بن حنظلة - ٢٣٨
بنو ربيعة بن ذهل - ٥٤٣ ، ٥٥٢
بنو ربيعة بن مالك (ربيعه الجحوع) -
٢٣٨ ، ٦٦

الربيع بنت معوذ - ٦٩
أبو رجاء العطاردي - ٢٧٢
رزاح بن ربيعة - ٧٢
رسم السنديد - ٥٢
رسول الله = محمد بن عبد الله
ابن رشيقي - ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨
رفيع بن سلمة (أبو غسان) =
دماذ

الرماني - علي بن عيسى
رؤبة بن المعجاج - ٢٠٤ ،
٢٦٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥
روح بن عبادة - ٢٦٠
روح بن أبي همام - ٣٣٣ ،
٦٠٩
أبو روق - ٣٣٢
الروم - ١٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ،
٣٩١ ، ٣٨٢ ، ٢٢١
٤١٤ ، ٦١٨ ، ٦٢٧
الرومان - ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦
بنو رياح - ٥٨٠
الرياشي (العباس بن الفرغ) -
١٧٧ ، ٢ ، ٢٤٠ ، ٧٨

٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٣٢٦ ،
٣٦١ ، ٣٦٣
ذو الأهدام - ٢٢٨
ذو الرمة - ١١٧ ، ٢٢٦ ،
٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٣٧٠ ،
٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٤٤٢ ،
٥٢١ ، ٥٠٧ ، ٤٧٦ ، ٤٤٤
ذو القروح (امرؤ القيس) -
٢٢٩
أبو ذؤيب الهنلي - ٩١ ، ٦٩ ، ٣٩ ،
٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٧٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ،
٥٦٦ ، ٥٩٦ ، ٦١١ ، ٦١٣ ،

ر

الراعي ٢٢٦ ، ٢٣٤
أبو رافع - ٨٤
رافع بن خديج - ٧٨
بنو الرباب - ١٩١ ، ٢٥٠ ، ٥٤٣ ،
٥٤٥
ربيع بن خراش - ٣٤٩
الربيعون - ٤٠٠ ، ٣٩٨
ربيع - ٥٢٣
الربيع بن أبي الحقيق - ١٥١
الربيع بن خثيم - ٤٣٠
الربيع بن زياد العبسي - ١١٥ ،
١٢٨ ، ١٦١
ربيعه بن جشم - ٣٣٠ ، ٣٢٦ ،
٥٠٨ ، ٥٢٢

، ٢٢٤ ، ٣٣٣ ، ٢٢٢ ، ٢٠٨
 ، ٣٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧
 ، ٣٦٩ ، ٣٥٠ ، ٣٣١ ، ٣٢٨
 ، ٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٠
 ، ٤٨٥ ، ٤٣٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٢
 ، ٥٣٣ — ٥٢٦ ، ٥٠٢
 ، ٥٤١ ، ٥٣٨ — ٥٣٥
 ٦٣٢ ، ٥٤٢
 الزوزنى — ٨١
 زياد — ١١٧
 زياد بن أبيه — ٢٠٤ ، ٢٠١
 زياد الأعجم — ٢١٧
 زياد بن علاقة التغلبى — ٢٦٩
 الزيادى — ٤٩٢
 زيد بن أخزم — ١٠٣
 زيد بن ثابت — ٣٤ ، ٣٧ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٥٥
 ٣٢٣ ، ١٥٩
 زيد بن عمرو بن نفيل — ٢١٠ ، ٣٣٧
 زيد بن الكيس النسابة — ٢١٧
 زيد بنى هلال = زيد بن
 الكيس النسابة
 أبو زيد = عمر بن شبة
 أبو زيد الأنصارى = ٢٥٨ ، ١٧٧
 ، ٣٣٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٠
 ، ٤٣٥ ، ٤٣٤ ، ٤٢٨
 ، ٤٦٤ ، ٤٥٣ ، ٤٤٦
 ، ٥٣٦ ، ٥٣٢ ، ٥١١
 ٥٩٧ ، ٥٣٧

، ٤٤٦ ، ٤٤٠ ، ٤٣٤
 ، ٤٩٢ ، ٤٧٥ ، ٤٥٤
 ، ٥٦٩ ، ٥٦٥ ، ٤٩٤
 ٥٧١ ، ٥٧٠

ز

الزباء — ٢٠١
 الزبرقان بن بدر — ٧٣ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١١٢ ،
 ٣٤١ ، ٢٠٦ ، ١١٥
 أبو زبيد الطائى — ٢٠٥
 آل الزبير — ٤٠٦
 الزبير بن بكار — ٢٦٢
 الزبير بن عبد المطلب — ٤٥٦ ، ٤٦٨
 الزجاج — ٥٦٤ ، ٤٩٨
 زارة — ٥٤٩
 زر بن حبيش — ١٥٤
 أبو زرعة — ١٨٠
 الزمخشري (أبو عمر) — ٣٦ ، ٣٥ ،
 ٤٢٥ ، ١٢٦ ، ٩٩ ، ٨٠ ، ٤٩
 زمعة بن الأسود — ٣٤٣
 أبو الزناد — ١٥١
 ابن أبي الزناد (عبد الرحمن) — ١٥٤ ،
 ١٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩
 الزهرى = ابن شهاب الزهرى
 زهير بن جناب — ٢٣٣ ، ٧٢
 زهير بن أبى سلمى — ٨٧ ، ٧٩
 ، ١٦٩ ، ١٢٧ ، ١١٩ ، ٩٥
 — ٢٠٦ ، ١٨٧ ، ١٧٤

- أبو زيد القرشي (محمد بن أبي الخطاب) - ٩٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٥
 زيداء بنت جرير - ٢٢٧
 زينب - ٩٠
 زينودوت - ٣١٤ ، ٣١٥
 زيوس - ٢٨٩ ، ٣١١
- س
- ساعدة بن جؤية - ٢٢٤ ، ٥٧٠
 ساعدة بن العجلان - ٥٦٦
 ساكسو جراماتيكتس - ٣٧٥
 سالم - ١٩٨
 سالم بن عبد الله بن عمر - ٤٣٢
 سالم بن وابصة - ٦١٢
 سامة بن لؤى - ٦٠٢
 الساميون - ١٣
 السائب بن ذكوان - ٢٣٨
 سايس - ١١
 سبأ - ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٤١٩ ، ٤٧٥
 سبيع - ٥٣٣
 سبيعة بنت الأحب - ٣٤٤
 ستاسينوس - ٣٠٤
 سترابو - ٣١٢
 سجاح - ٣٢٧ ، ٣٥٠
 سحيم بن وثيل - ٥٨٠
 السحيم بن وثيل - ٥٨٠
- ابن أبي كريمة - ١٤٨
 السدري - ٥٧٥
 ابن السراج - ٥٦٤
 سراقه البارقي - ٢٣٠ ، ٦٢٨
 سرقيس - ٥٨٧
 السريان - ١٦٧
 سعاد - ٥٢٥
 أبو السعادات = ابن الشجري
 ابن سعد - ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٨
 ١٤٧ ، ٢٧٢
 سعد بن سعد بن مالك - ٨٣
 سعد بن سيل - ٦٠٥
 سعد بن مالك - ١١٤
 بنو سعد - ٥٤٣ ، ٥٥٣ ، ٥٩٥
 سعد بن أبي وقاص - ٥٠ ، ٣٢٢ ، ٣٤١
 سعدان بن المضرب - ٢١٠
 سعيد بن أوس = أبو زيد الأنصاري
 سعيد بن جبير - ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٨٣
 سعيد بن زرة - ٢٦١
 سعيد بن سلم الباهلي - ٤٦٣
 سعيد بن العاص - ٢٠١ ، ٧٩
 ٢٠٢
 سعيد بن عمرو بن سعيد - ٢٦٦
 سعيد بن المسيب - ١٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٥٦
 أبو سعيد = الأصمعي

١٣٠ ، ١٠١ ، ٩٩
سلطان بن سلامة (أبو نائلة)

٢٥١ -

ابن سلام الحمصي (محمد) -

١٨٠ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٩

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٤ -

٢٣٦ ، ٢٢١ ، ٢٠٦ ، ١٩٦

٢٦٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٤٨

٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥

٣٤٩ - ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ،

٤٠٩ ، ٣٩٢ ، ٤٩٠ ، ٣٨٨

٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤١٩ ، ٤١٤

٤٥٣ ، ٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٤

٤٦٧ ، ٤٦٢ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥

٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ -

٤٧٥ ، ٥٤١ ، ٦٠٠ ، ٦٠١

٦٢٧ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠

سلمة بن دينار (الأعرج) -

١٣٦ ، ١٣٧

آل سلمة - ٥٨٩ ، ٥٩١

أبو سلمة - ٢٠٥

أم سلمة (أم المؤمنين) - ٧٢

سلمي - ٤٩٠ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ،

٥٣٠ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ،

٥٩٠ ، ٦٠٤

أبو سلمى (والد زهير) - ١٢٧ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠

بنو سلول - ٥٩٧

سليط بن سعد بن معدان -

٢٦٩

أبو سعيد = الحسن البصري

أبو سعيد = السكري

أبو سعيد الضرير - ٥٨٩

بنو سعيد - ٥٤٣

سعية بن غريص - ٢٣٥ ،

٢٦٦

سفيان - ١٠٣

سفيان الثوري - ١٨٠

سفيان بن عيينة - ٣٧

أبو سفيان بن الحارث - ٣٣٦ ،

٦٠١ ، ٣٥٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٥

أبو سفيان بن حرب - ٧٦ ، ٧١ ،

٨٤ ، ٨٦ ، ١١٥ ، ١٢٧ ،

١٤٩ ، ٢١٤

آل أبي سفيان - ٨٦

سقراط - ٣١٢

السكري (أبو سعيد ، الحسن

ابن الحسين) - ١٧٠ ،

١٩٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٤٤٨ ،

٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ،

٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥١٥ ،

٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٤٥ ،

٥٤٧ ، ٥٥٦ ، ٥٦٨ ،

٥٦٢ - ٥٦٥ ، ٥٦٧ ،

٥٦٩ - ٥٧١ ، ٥٨١

ابن السكيت (يعقوب بن إسحق) -

٨١ ، ١٧٤ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ،

٤٩٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٩٢

السكون - ٥٤٤ ، ٥٥٤

سلامة بن جندل - ٨٢ ، ٩٥ ،

٦٣ ، ١١٥ ، ١٤٠ ، ١٦٩

سويداس - ٢٩٣

سيبويه - ٥٩٢ ، ٥٩٨

بنو السيد - ٢٧٣

ابن السيد البطليوسي - ٣٨ ، ٣٩ ،

٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣

السيرافي - ٥٦٤

سيرين - ٧٤

ابن سيرين - ١٠٣ ، ٢٥٦

سيف بن ذى وزن الحميري -

٣٣٨

سيمونيد السيوسي - ٣١١

سيناثيوس - ٣٠٨

السيوطي - ١٧٨ ، ٢٥٧ ،

٥٨٥

أبو سيارة = عميلة بن الأهل

ش

شأس بن زهير - ٢٦٩

أبو شأس - ١٨٨

الشافعي - ٨٦ ، ١٧٣ ، ٢٥٧

٥٦٢ ، ٥٦٣

شبة بن عقال - ٢٢٨

شتيم بن خويلد - ٨٢ ، ٩٩

ابن الشجري (أبو السعادات) - ٥٦٤

شراحيل بن عبد العزى - ١٢٩

شرحيل بن الحارث - ٢٢٨

شريح بن أوس - ٣٣٣ ، ٦١٠

شريح بن الحارث - ١١٦

سليم بن أسود (أبو الشعثاء) -

١٣٦

سليم بن قيس الهلالى - ١٤٦

بنو سليم - ٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ ،

سليمان (النبي) - ٧٣

سليمان بن يسار - ١٨٠

سليمي - ٥١٥

سماك بن حرب - ٢٤٠ ، ٢٦٣

٢٧٠ ، ٥٧٢

سماك العكري - ٢١٦

أبو سمال الأسدي - ٢٤٩

سمرة - ١٨٠

السمسمي (أبو الحسن ، علي

ابن عبيد الله -) ٥٦٤ ،

٥٦٩

السموئل بن عاديا - ٦٤ ،

٧٢ ، ٢٣٥ ، ٣٩٢

سمير بن أبي خازم - ٤٩

بنو سنان - ٥٦٢

أم سنبله الأسلمية - ٨

سنيار - ١٢٩

سنيكا - ٣٠٠

سهل بن رزاح - ٧٢

سهل بن محمد = أبو حاتم

السجستاني

أبو سهل بن يونس بن أحمد الحراني

٥٠٥ -

سهيل بن عمرو - ٧١

سودة بن أبي خازم - ٤٩

سويد بن الصامت - ٦٢ ،

بنو شيبة - ٢١١
 شيخو (الأب لويس) -
 ٣٦١ ، ٣٦٠
 الشيعة - ١٤٦

ص

أبو صالح - ٢١٦
 صبح (غلام حويطب بن
 عبد الغزي) - ٧٤

صبيح = صبح
 الصحابة - ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
 ٤٦ - ٤٨ ، ٥٨ ، ٧٥ ،
 ٧٨ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
 ٩٧ ، ٩٨ ، ١٣١ ، ١٤٠ ،
 ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٤ ، ٣٦٤ ،
 ٣٦٦ ، ٣٨٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٣ ، ٤٦٤ ، ٦٢٨

صهار بن عياش العبدى - ١٦٨
 صخر الفى الهذلى - ٥٦٧ ، ٥٦٨
 صدام (اسم فرس) - ٧٠
 صرمة بن أبي أنس الأنصارى -
 ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٥٣٠

صعصعة بن محمود - ١٣٠
 صعصعة بن معاوية السعدى -
 ٣٣٠

شريح بن هاني - ٢٣٣ ، ٢٧٣
 الشريد بن سويد الثقفى - ٢١٣
 ٢٣٢

الشريف المرتضى - ٢٧١
 شريك - ٢٣٧

أم

شرية بن عبد ٢٣٣
 شعبة بن الحجاج - ١٣٩ ،
 ١٥٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٥٧٢

الشعبى - ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٣٤٩
 الشعثاء = جابر بن زيد
 الشعثاء = سليم بن أسود
 الشعبوية - ٣٩٣ ، ٤٠٦ ،
 ٤٢٦ ، ٦٠٦

أبو
 أبو

الشفاء بنت عبد الله - ٥٦
 شكيب أرسلان - ٤٠٣
 شملة بن مغيث - ٢٣٤
 الشماخ بن ضرار - ١٠٢ ،
 ٤١٠ ، ٥٩٦

شمويل - ١٢٩
 الشنفرى - ١٧٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ،
 ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

شنين - ٥٢٣

شهاب - ٥٢٥

ابن شهاب الزهرى - ٨٠ ، ٩٣ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ،
 ١٥٤ ، ١٦٥ ، ٣٢٥ ،

٤٣٢ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠

بنو شيان - ٢١٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ،
 ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦

صعوداء (محمد بن هبيرة الأسدي)

٥٢٧ ، ٥٢٦ -

صفوان بن أمية - ٧١

صفوان بن عاصم - ٢٦٩

صفية بنت عبد المطلب - ٣٤٢

أبو الصلت بن أبي ربيعة - ٣٣٧ ،

٣٤٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥

صولون - ٣٠٨

الصولي - ٩٧ ، ١٣٨ ، ٢٧٩ ،

٤٦٠

بنو الصيداء - ٥٢٧

الصينيون - ٨٨ ، ٨٩

ض

بنو الضباب - ٥٤٦

أبن ضبة - ١٦٠

بنو ضبة - ٥٤٤ ، ٥٤٦

بنو ضبيعة - ١٣٢ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣

الضحاك بن مزاحم - ١٤١

ضرار بن الخطاب - ١٥٨ ،

٣٤١ ، ٥٥٩

ط

أبو طالب (عم رسول الله) - ١٥٩

٣٤٠ ، ٣٥٠

أبو طالب = المفضل بن سلمة

الطبري (ابن جرير) - ٤٥ ،

٥٠ ، ٥١ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٨٢ ، ٤٢٥ ، ٤٤٣

ابن الطرامة - ٢٣١

طرفة بن العبد - ٣٩ ، ٧٧ ،

٩٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ،

٢٢٧ ، ٢٥٣ ، ٣٤٧ ،

٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ،

٤٤٣ ، ٤٧٦ ، ٥٠٢ ،

٥٨٠ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧

ابن أبي طرفة الهذلي - ٢٦٨ ، ٢٧٥ ،

٥٦٥ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢

الطرماع بن جهم السنبسي -

٥٥٢

الطرماع بن حكيم - ٢٢٥

طريف بن مالك - ٥٢٠

طسم - ٢٤٧

طفيل الغنوي (المحبر) - ١٢٠

أبو طفيلة - ٢٦٨ ، ٢٧٢

طلحة بن عبيد الله بن عثمان -

١٢٦ ، ١٦٠

طلحة بن عبيد الله بن كريب

الخرزاعي - ٢٣٣

أبو الطمحان القيني - ٩٨ ، ١٣١ ،

٢٣١

طه حسين - ٢٢٢ ، ٢٩٢ ،

٣٧٩ - ٣٨١ ، ٣٨٤ ،

٣٨٦ - ٣٨٩ ، ٣٩٥ ،

٤٠٣ - ٤٠٥ ، ٤٠٧ -

٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ -

٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ،

٥٢٥ ، ٥٢٤ ، ٥٢٢

عاصم بن عبد الله - ٢٦٩

عافية بن شبيب - ٥٧٥

أبو العالية الأنطاكي - ٥٧٥

عامر - ١٧٦

بنو عامر - ٢٥٠ ، ٤٧٥

عامر التغلبي - ١٩٨

عامر بن جدرة - ٣٧

بنو عامر بن صعصعة ٥٤٤

عامر بن الطرب - ١٦٥ ، ٢٠٣

٢٧١

عامر بن عبد الملك المسمعي -

١٩٧ ، ٣٢٦

عامر بن العجلان - ٥٦٨

بنو عامر بن عقيل - ١٣١

عامر بن عمران = أبو عكرمة

الضبي

ابنة العامري - ٣٢٦ ، ٥٢٢

عاملة - ٢٤٩

عائشة بنت أبي بكر (أم

المؤمنين) - ٨ ، ١٤٥ ،

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٦١ ،

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٤١٠

ابن عائشة - ٢٧٨

العائشي - ٢٠٦

العباديون - ٢٣٩ ، ٢٦٣ ،

٥٩٥

عباد بن بشر - ٢٤٨

العباس بن بكار - ١٧٥ ، ٥٩٠

العباس بن عبد المطلب - ٦٧ ، ٧١

٦٣١ ، ٦٣٠

بنو طهية - ٥٤٤ ، ٥٥٣

الطوسي (أبو الحسن ، علي بن

عبد الله بن سنان) -

٤٩٠ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ١٢٤

٤٩٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٣ ، ٤٩١

٥٠٠ - ٥٠٢ ، ٥٠٦ ،

٥٠٧ ، ٥١٥ - ٥٢١ ،

٥٢٤ ، ٥٢٥ - ٥٢٧ ،

٥٥٦ ، ٥٧٤

بنو طي - ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٥٤٤

٥٥٢ ، ٥٤٦

أبو الطيب اللغوي - ٤٣٤ ، ٤٣٧ ،

٥١١ ، ٤٦٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٠

ظ

الظواهر = قريش الظواهر

ع

عاتكة بنت عبد المطلب - ٦٧ ،

٤٣٢

عاد - ١٤ ، ١٥ ، ١٣٣ ،

٢١٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٣٦ ،

٣٤٦ ، ٣٩٠ ، ٤١٩ ، ٦٠١

عاصم الأحول - ٢٥٦

عاصم بن أيوب (الوزير أبو

بكر) - ٧٩ ، ٤٨٥ ،

٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ،

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

١٩٩ -

عبد الرحمن بن هرمز - ١٨٢

ابن عبد ربه - ٥٢ ، ٤٥٢

عبد السلام هارون - ٥٧٧ ،

٥٧٨

عبد العزيز بن امرئ القيس -

١٢٩

عبد العزيز بن مروان - ١٤٥ ،

٢٧٣

عبد القادر البغدادي - ٤٣ ،

١٦٩ ، ٥٥٦ ، ٥٨٥ ،

٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦

عبد القيس - ٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ، بنو

٤٥٥ ، ٤٥٢ ، ١٦٨ ، ٦٣

٥٤٤ ، ٥٤٨ - ٥٤٩ ،

٦١٨

عبد الله بن إبراهيم الحمصي -

٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ،

٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠

عبد الله بن أبي بكر بن حزم -

٥٩٩

عبد الله بن جحش - ٦٠٣ ، ٦٠٤

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

- ٢٠٢

عبد الله بن جنح النكري - ٥٨٠

عبد الله بن الحارث السهمي -

٣٣٨

عبد الله بن حنش - ٩٣ -

٩٧ - ٩٨

أبو العباس بن الفرات - ٢٧٨

العباس بن الفرغ = الرياشي

العباس بن مرداس - ٧٨ ،

٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٤٧٣ ،

٦٠٤ ، ٦١١

أبو العباس = ثعلب

أبو العباس = المبرد

أبو العباس الأحول - ٤٨٥

أبو العباس الأعمى - ٤٠٦ ، ٤٢٦

العباس - ٣٩٢

عبد الأعلى بن عامر الثعلبي -

١٨٠

عبد الجبار بن عباس - ٤٣٠

عبد الحارث بن عبد العزى -

١٢٩

عبد الحكم بن عمرو - ١٤١

عبد الحميد بن عبد الواحد -

٢٦٩

عبد الحميد بن أبي عيسى

الأنصاري - ٢٣٣

آل عبد الدار - ٢١١

عبد الرحمن (ابن أخى الأصمعي)

- ٤٦٣

عبد الرحمن بن أبي بكر - ٨٥ ،

٢١٠

عبد الرحمن بن أبي بكرة - ٢٦٦

عبد الرحمن بن حسان - ١٢٥ ، ٢٣٠

عبد الرحمن بن أبي الزناد = ابن

أبي الزناد

عبد الرحمن بن عوف - ٦٧

عبد الله بن محمد بن عمارة —

١٦٥

عبد الله بن مرداس — ١٣٦

عبد الله بن مسعود — ٣٥ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ١٠٠ ، ١٣٩ ،

١٤٨ ، ١٥٤ ، ٤٣٠

عبد الله بن مسلم البكائي — ٢٧١

أبو عبد الله = ابن الأعرابي

أبو عبد الله = ابن سلام

أبو عبد الله = المصعب الزبيري

أبو عبد الله = اليزيدي

عبد الحميد عابدين — ١٦٧

عبد المسيح بن عسلة — ٥٤٥ ، ٥٥٠ ،

عبد المطلب بن هاشم — ٦٦ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ١٧١ ، ٢١٨ ،

٢٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٤٣٢

بنو عبد المطلب — ٦٧

عبد الملك بن قريش = الأصمعي

عبد الملك بن مروان = ٣٤ ،

١١٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،

١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٧ —

٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،

٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٧٣ ، ٥٥٨ ،

عبد الملك بن هشام = ابن هشام

آل عبد مناف — ٢١١

عبد الواحد بن عاصم — ٢٦٩

بنو عبد ود — ٥٤٦

عبد يغوث بن وقاص الحارثي —

١١٠ ، ٥٧٥

عبد الله بن أبي ربيعة — ٦٩

عبد الله بن رواحة — ١١٥ ،

٦٠٤

عبد الله بن الزبيري — ١٥٨ ،

٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

٤١٤ ، ٥٥٩

عبد الله بن الزبير — ٢٠٠ ،

٢٢٠

عبد الله بن زيد (أبو قلابه)

— ١٣٩

عبد الله بن سعد أبي سرح —

٣٢٣

عبد الله بن طاهر — ٥٨٨ ،

٥٨٩

عبد الله بن عامر — ٩٠ ، ٩١ ،

عبد الله بن عباس — ٣٧ ، ٤٥ ،

٥١ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ،

٩٣ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٠٣ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٤٠٥ ،

٥٣٦

عبد الله بن عمر — ٨٣ ، ٨٥ ،

١٤٦ ، ٤٣٢

عبد الله بن عمرو بن العاص —

٤٣ ، ٥٥ ، ١٤٦ ،

١٨٠ ، ٣٢٢

عبد الله بن عنمة — ٩٩

بنو عبد الله بن غطفان — ٥٣٣ ،

٥٣٦ ، ٥٤٤

٣٤٧، ٣٤٣، ٣٤٠، ٣٢٩
 ٤٢٨، ٣٧٦، ٣٥٩، ٣٤٩
 ٤٥٢، ٤٤٦، ٤٤١، ٤٣٥
 ٤٧٠، ٤٦٧، ٤٦٤، ٤٥٤
 ٤٨٧، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٧٣
 ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٣، ٤٨٩
 ٥١٢، ٥١١، ٥٠٢، ٥٠٠
 — ٥٢٧، ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٤
 ٥٤١، ٥٣٩، ٥٣٥، ٥٣٢
 ٥٨٧، ٥٦٦، ٥٥٥، ٥٤٧
 العتيبي — ٤٦٠ ، ٤٦١
 عتاب بن هري — ٥٨٠
 عتاب — ٢٣٢ بنو
 العتابي — ٥٦٤ ، ٥٦٩
 أبي عتيق — ٨٦ ، ٢٠٢ ابن
 عثمان بن جني = ابن جني
 عثمان بن أبي العاصي — ١٥٣
 عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع — ١٨٢
 عثمان بن عفان — ٣٢ ، ٣٤ ،
 ٣٥ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥١ ،
 ٥٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٠ ،
 ٢٠٥ ، ٤٢٩
 أبو عثمان = الجاحظ
 العجاج — ٢٠٤
 عجل — ٦ ، ٥٤٤ ، ٥٤٨ ، بنو
 ٥٥٢ ، ٥٥٤
 العجلاني = تميم بن أبي بن مقبل
 العجم — ٢٠٥ ، ٣٩٣
 عدنان — ٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٨٤
 ٣٨٦ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ،

عبدة بن الطبيب — ٢٠٧
 العبدى — ٦١٠
 العبرانيون — ١٢
 العبرى — ١٠ ابن
 عبس — ٥٤٤ بنو
 عبلة — ٣٢٨
 عبید (راوية الأعشى) — ٢٣٨
 — ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٤١
 عبید (راوية الفرزدق) — ٢٣٨
 عبید بن الأبرص — ٩٥ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،
 ٢٥٣ ، ٣٤٧ ، ٣٦١ ،
 ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
 ٤٧٥ ، ٥٩٧
 عبید الله بن أبي رافع — ٨٤
 عبید بن شریة — ١٥٩ ، ١٦٨
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٠
 عبید الله بن فرج الطوطا لقي —
 ٥٠٥
 عبيدة بن الحارث بن المطلب —
 ٣٤١
 عبيدة بن عمرو السلماني — ١٣٩
 أبو عبيدة (معمّر بن المثنى) —
 ٤٩ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٣٦ ،
 ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ،
 ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨

١٩٩ — ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ —
 ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ —
 ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ،
 ٢٤٦ ، ٢٥٠ — ٢٥٢ ،
 ٢٥٤ — ٢٥٦ ، ٢٦٩ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٢ — ٣٦٩ ، ٣٧١ ،
 ٣٧٤ — ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،
 ٣٩٤ — ٣٩٧ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ،
 ٤٠٨ ، ٤١٢ — ٤١٥ ،
 ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
 ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ —
 ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ —
 ٤٤٣ ، ٤٤٥ — ٤٤٧ ،
 ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ،
 ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥٤٨ —
 ٥٥٠ ، ٥٥٦ — ٥٥٨ ، ٥٨١ ،
 ٥٨٧ ، ٥٩٧ ، ٦٠٤ —
 ٦٠٦ ، ٦١٧ — ٦٢١ ،
 ٦٢٦ — ٦٢٨ ، ٦٣٠ ،
 العرب البائدة — ٤٦٥ ، ٦٠١ ،
 العرب العاربة — ٢٤ ، ٣٨٤ ،
 العرب المستعربة — ٣٨٤ ،
 عرام بن الأصبغ — ٨

٤١٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ،
 العدنانيون (القبائل العدنانية) —
 ٣٩٦ ، ٣٨٥ ، ٤٠٨ ،
 ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ،
 آل عدوان — ٥١٦ ،
 بنو عدوان — ٢٠٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ،
 بنو عدى — ١٣٨ ، ١٩١ ، ٥٤٦ ،
 عدى بن حاتم الطائي — ٢٣٥ ،
 عدى بن رثاث الإيادي — ٢١٦ ،
 عدى بن أبي الزغباء — ٢١٢ ،
 عدى بن زيد — ٥١ ، ٥٤ ،
 ٧٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
 ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦٠ ،
 ٢٠٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٣٩٢ ،
 بنو عنزة — ٥٤٤ ، ٥٥٤ ،
 عرار — ٢٣٧ ،
 العراقيون — ١٦٧ ،
 العرب — ١ ، ٤ — ٦ ، ٩ —
 ١٣ ، ١٥ — ١٩ ، ٢٣ ،
 ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٢ —
 ٤٤ ، ٤٦ — ٤٨ ، ٥٣ —
 ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ،
 ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٧ — ٨٩ ،
 ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
 ١١١ — ١١٣ ، ١١٦ ،
 ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
 ١٥١ — ١٥٥ ، ١٥٧ —
 ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
 ١٦٤ — ١٧١ ، ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٣ — ١٩٧ ،

٣٩٦، ٣٤٨، ٣٣٠، ٣٢٥
٥٠٢ ، ٤٠٨
علقمة بن حلاثة العامري - ٢١٤
علقمة بن قيس - ١٣٨، ١٣٦،
٤٣٢

علي بن حمزة البصري - ١٧٨
علي بن سليمان = الأخفش
علي بن أبي طالب - ١٣٥ ،
١٥٩، ١٥٠، ١٤٦، ١٣٦
٢٢٨، ٢١٩، ٢١٠، ٢٠٥
٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١، ٢٥٦
٤٦١ ، ٤٢٩

علي بن عبدالله بن سنان = الطوسي
علي بن عبدالله بن عباس -
١٤٧ ، ١٤٤

علي بن عبيد الله = السهمي
علي بن عيسى الرماني (أبو
الحسن) - ٥٦٤ ، ٥٦٩

أبو علي الأسواري - ٢٤٦
أبو علي القالي - ٣٩ ، ١٧٧
٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٤٥٢ ،
٤٥٤ ، ٤٩٢ ، ٥٠٣ ،
٥٧٧ ، ٥٧٥ ، ٥٠٥

عمارة بن أبي طرفة = ابن أبي
طرفة الهذلي

عمر بن إبراهيم - ٦٦
عمر بن الخطاب - ٤٠ ، ٥٠ ،
٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٧٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٠ ،
١٠٢ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ،

عرام بن المنذر بن زبيد - ٢٧٣
المرجي - ٦١٢
عروة بن الزبير - ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
٢١٠ ، ٣٢٥ ، ٥٩٩

عروة بن الورد - ١٧٤ ، ٢٠٢ ،
٢٠٤ ، ٢٣٢

عزرة - ١٤٨
العزى (صم) - ١٢٧ ، ٤١٢
العسكري - ١٧٨
عصم - ٥٢٥
عطاء بن دينار - ١٤٨ ، ١٨٣ ،
٢٥٦ ، ٤٣٠

عطاء بن مصعب الملقط - ٣٣١
ابنة عفزر = ماوية بنت عفزر

عقبة المضرب ابن كعب - ٥٣٦
عقبة بن أبي معيط - ٢١٨
عقيل بن أبي طالب - ٢١٦ ، ٢١٩
بنو عقيل - ٥٤٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٢
عكرمة - ١٤٧ ، ١٥٣

عكرمة بن أبي جهل - ٧١
عكرمة بن خالد - ١٥٦
أبو عكرمة الضبي (عامر بن عمران)
- ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٠

عكرمة بن عامر بن هاشم - ٣٣٩
عك بن عدنان - ٣٤٩ ، ٤٧٤
علاقة بن كريمة الكلابي - ١٦٨
علياء بن أرقم - ٦٩ ، ٩٤
علقمة بن عبدة (الفحل) -
٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ،

عمرو بن دينار - ١٥٦
 عمرو بن زرارة - ٥٠
 عمرو بن شأس - ٢٣٧
 عمرو بن شعيب - ١٤٤ ،
 ٢٣٧ ، ١٨٠

عمرو بن الصامت ٢٦٩-٢٧٠
 عمرو بن العاص ١٥٣ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤٥ ، ٣٤٢
 عمرو بن عبد الله بن جدعان -
 ٣٤٢
 عمرو بن أبي عمرو الشيباني -
 ٥٤٧

عمرو بن قمينة - ٣٩٧ ، ٤٧٥
 عمرو بن كركرة الأعرابي =
 أبو مالك

عمرو بن كلثوم - ١١٠ ، ١١٣ ،
 ١٢٩ ، ١٧١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
 ٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨

عمرو بن المرادة البلوي - ٢١٧
 عمرو بن معد يكرب - ٣٤٣
 عمرو بن ميمون الأودي - ٦٣
 عمرو بن نافع - ٩٠ - ١٣٦
 عمرو بن هند - ٧٥

أبو عمرو بن أمية - ٢١٨ ، ٣٢٢
 أبو عمرو الشيباني (إسحق بن مزار) -
 ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٣٢٧

١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٤٩ ،
 ٣٨٨ ، ٤٣٠ ، ٥٣٦ ، ٥٥٩ ،

٦٢٧

عمر بن أبي ربيعة - ٨٦
 عمر بن شبة - ٢٠٨ ، ٢٦٩
 عمر بن عبد العزيز - ١٤٢ ،
 ٢٧٣

عمر بن لجأ - ١٩١ ، ٢٢٨
 أبو عمر = الزمخشري
 أبو عمر الجري - ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،
 ٥٩٤

أبو عمر بن أبي الحباب - ٥٠٥
 عمران بن حصين - ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ٢٠٥ ، ٢٥٩

أبو عمران - ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٩
 عمرة - ١٣٣ ، ٢١١

عمرو بن أحر - ٩٦ ، ٢٧٣
 عمرو بن الأسود - ٥٧٩

عمرو بن أمية الضمري - ١٤٥
 عمرو بن بحر = الجاحظ

عمرو التغلبي - ١٩٨

عمرو بن ثعلبة - ٣٣١

عمرو بن الحارث - ٣٤٠

عمرو بن حجر - ٢٦٦

عمرو بن حمة الدوسي - ٢٠٣

عمير بن الحباب — ٢٧٢
 عميرة بن جعل — ١٨٨
 عميلة بن الأعزل (أبو سيارة) —
 ٦٠٥

عنزة — ٢١٣ ، ٢٦٩ ، ٣٢٧
 ، ٣٨١ ، ٣٦٣
 ٣٨٥ ، ٥٠٢

بنو عنزة — ٢٣٤ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤
 أبو العواذل — ٥٨٩
 عوف — ٦٠٢
 عوف بن عطية التيمي — ٢٥٠ ،
 ٣٢٩

بنو عوف — ٥١٩ ، ٥٤٤
 العوام بن عقبة — ٥٣٦
 أبو العيال الهذلي — ٦١٣
 عيسى بن إسماعيل — ٤٥٤
 عيسى بن عمر — ٤٣٦ ، ٤٣٤ ،
 ٤٥١ ، ٥٧٢

أبو العيناء — ٤٦٠ ، ٤٦١
 عيينة — ١٨٨
 عينية بن حصن — ٢١١ ، ٥٤٩

غ

غالب بن صعصعة — ٢٠٥ ،
 ٢٢٨
 غريص — ٢٦٦

، ٤٢٧ ، ٣٩٤ ، ٣٥٩
 ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٠
 ٤٨٩ ، ٤٨٧ — ٤٨٥
 ٥٠١ ، ٥٠٠ ، ٤٩٣ —
 ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٣ —
 ، ٥١٦ ، ٥١٤ — ٥١١
 — ٥٢١ ، ٥١٩ ، ٥١٧
 ، ٥٣٦ — ٥٢٧ ، ٥٢٣
 ، ٥٤٦ ، ٥٤١ — ٥٣٨
 ٥٥٦ ، ٥٥٥ ، ٥٤٧
 ٥٦٥ — ٥٧٠

أبو عمرو بن العلاء — ٤٩ ، ١٥٥
 — ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٥٦
 ، ١٩٦ ، ١٧٦ ، ١٧٤
 ٢٥٨ ، ٢٥٢ ، ٢٤٢ ، ٢٢٦
 ، ٢٧٢ — ٢٧٠ ، ٢٦٨
 ، ٣٢٦ ، ٢٧٦ — ٢٧٤
 ٤٠٩ ، ٣٨٤ ، ٣٥٩ ، ٣٢٩
 ، ٤٣٤ ، ٤١٩ — ٤١٧
 ٤٤٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٣٦
 ٤٦٤ ، ٤٥١ ، ٤٤٨ —
 ٥٠٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٧٧
 ٥١٧ ، ٥١٢ ، ٥٠٩ —
 — ٥٣٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢١
 ٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٥٠ ، ٥٣٧
 ٦٢٩ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩

العمري — ٢٣٣

عمليق — ٢٤٧

أبو العميثل — ٥٨٩

٢٦٩ -
 قرني - ١٦٥
 أبو الفرج الأصبهاني - ١٦٥ ، ١٨٣ ،
 ٣٢٦ ، ٢٦١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
 ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨
 ٤٧٤ ، ٤٦٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤١
 ٥٥٩
 فرجيل - ٢٨٨
 فردريك أوغست ولف = ولف
 القراء - ٣٧ ، ٤٤٦ ، ٥٠٠ ،
 ٥٢٧
 الفرزدق - ١٥٥ ، ١٦٠ ،
 ٢٠٤ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٦٢
 ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٠٥
 ٢٤٦ ، ٢٤١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٠
 ٣٧٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧١ ، ٣٢٥

٦٢٨

الفرس - ١٢ ، ١٦ ، ٨١ ،
 ٤١٤ ، ٣٩١ ، ٣٨٢ ، ١٦١
 الفرنسيون - ٤٠٣
 ابن الفريعة = حسان بن ثابت
 بنو فزارة - ١٩٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ،
 ٥٥١ ، ٥٥٣
 الفزاري - ٦١٢
 الفضل بن الحباب = أبو خليفة
 أبو الفضل الكنانى - ٥٧٩
 فلهاوزن - ٥٦٣
 بنو الفند - ٥٤٦
 بنو فهم - ٥٤٤ ، ٥٤٦

أبو غزية - ٢٦٢
 الغساسنة - ١٦ ، ١٨ ، ٦٤ ،
 ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٦٢
 غسان - ٢١٤ ، ٣٩٦
 أبو غسان = دماذ
 بنو غطفان - ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ،
 ٣٥٠ ، ٥٢٨ ، ٥٤١
 بنو غفيلة - ١٣٢
 الغمراوى = محمد أحمد الغمراوى
 الغنوى - ٢٠٩
 بنو غنى - ٥٤٤
 الغوث بن مر - ٦٠٢
 أبو الغول الأكبر - ٢٦٩
 أبو الغول النهشلى - ٢٦٩ ، ٥٥٠
 غيلان بن سلمة - ٥٠ ، ٣٣٢

ف

فارس - ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٢١ ،
 ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٧
 ابن فارس - ٤٧ ، ٤٨ ، ١٢٠ ،
 ٢٣٤
 الفارسي - ٥٦٤
 فارمر - ١٣
 فاطمة - ٥٤٠
 الفتح بن خاقان - ٦٠٩
 أبو الفتح = ابن جني
 فرات بن زيد اللبي - ٢٥٥ ،
 ٢٥٦
 فراس بن خندق (أبو المختار)

٢٠٩، ١٧١، ١٦٥، ١٦٤

٢١٨ ، ٢١٦ — ٢١٤

٢٣١، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩

٣٥٠، ٣٤٨، ٣٤٠، ٣٢٢

٣٩٠ — ٣٨٨، ٣٨١، ٣٧٨

٤٠٨، ٤٠٦، ٤٠٠، ٣٩٦

٤٢٣ — ٤٢١ ، ٤١٥

٥٥٩، ٥٥٨، ٥٥٢، ٥٠٨

٦١٨ ، ٦١٢ ، ٦٠٤

قريش البطاح — ٦

قريش الظواهر — ٦

بنو قريظة — ١٦٥ ، ٥٤٤

بنو قريع — ١١٠

قسامة بن زيد — ٢٥٦

قس بن ساعدة — ١٦٦، ٤٢٣

أبو قشع — ١٩٨

بنو قشير — ٥٤٤

قصي بن كلاب — ٧٢، ١٢٨

قضاة — ٢٢٩، ٢٤٩، ٤٧٤

القطاي — ٢١٧

أبو قلابة = عبد الله بن زيد

القلقشندی — ٩٧

قنص بن معد — ٢١٩

قيس بن بحر بن طريف — ٦٠٤

قيس بن الخطيم — ٦٦ ، ٩٤

٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢٦٢

قيس عيلان — ٥٩٧

قيس بن غالب — ١٩٨

قيس بن معد يكرب — ٢٦٤، ٣٢٤

أخو بني قيس (طرفة) — ٢٢٩

الفيروزبادي — ٨٥

الفينيقيون — ٦٠ ، ٣٠٣

ق

القارظ العنزي — ٣٣٤

القاسم بن محمد — ١٤٠

القاسم بن محمد = ابن الأنباري

القالي = أبو علي القالي

القبط — ٣٣

قتادة بن دعامة السدوسي —

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٥٦

القتبي — ٧٩

قتيبة — ١٩٨

ابن قتيبة — ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٧ ،

١٠٩، ١٧٨، ٢٤٠، ٢٧٩،

٢٩١، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٧٨،

٤٥٣ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩

قتيلة — ١٧٦

ابن أبي قحافة = أبو بكر الصديق

قحطان (القحطانيون) — ٣٨٤،

٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٠٧ ،

٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٥٤

القدار العنزي — ٢٣٤

قدامة بن موسى — ٣٥٠

قراد بن حنش — ٣٢٣، ٣٥٠،

٥٢٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

ابن قرّة — ٦٣ ، ١٣٩

قريش — ٦ ، ٥٠ ، ٥٣ ،

٦٦، ٧١، ٧٣، ٩٣، ١٢٧،

١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٧،

آل كسرى - ١٦٢
 كعب بن الأشرف - ١١٥ ،
 ٣٤١ ، ٢٤٨ ، ٢١٥
 كعب بن جميل - ٥٩٦
 كعب بن ربيعة - ٢٧٣
 كعب بن رداة النخعي - ٢٣٤
 كعب بن زهير - ١١٥ ، ١١٩ ،
 ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
 ٣٢٥ ، ٤٠٢ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢ ،
 ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٦٢٢
 كعب بن سعد - ٥٨٠
 كعب بن مالك - ١١٥ ، ١٢٧ ،
 ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٣٣٩
 أم كعب - ٥٤٢
 بنو كعب - ١٩١
 بنو كلاب - ١٩١ ، ٥٤٤
 بنو كلب - ٢٣٣ ، ٢٧٢ ، ٥٤٤ ،
 ٥٤٩ ، ٥٥٣
 الكلبي - ١٤٧ ، ٢٦٩
 ابن الكلبي - ٨٧ ، ١٦٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
 ٤١٢ ، ٤٦٩ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦
 كليب بن ربيعة - ٣٢٧ ، ٣٩٦
 بنو كليب - ٢٧٣
 الكميث بن زيد - ١٨٨ ، ٢٠٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٣٨
 أبو الكناس الكندي - ٢١٦
 بنو كنانة - ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٥٠
 بنو كندة - ١٣١ ، ٢١٦ ، ٣٨٥ ،
 ٣٩٧

أبو قيس بن الأسلت - ٢٠٧ ،
 ٣٣٧
 أبو قيس بن عبد مناف - ٦٦ ،
 ١٧١
 بنو قيس - ٢٠٠ ، ٢٢٩ ، ٣٨٥ ،
 ٤٢١ ، ٤٧٥
 بنو قيس بن ثعلبة - ١٩٩ ، ٢٦٩ ،
 ٣٣٨ ، ٥٤٤
 قيسبة بن كلثوم - ٩٨ ، ١٣١
 قيصر - ٢١٤
 بنو القين (بلقين) - ١٦٥ ، ٥٤٤
 بنو قينقاع - ١٦٥

ك

كالستين - ٣١٢
 كاليوس - ٣١٠
 أبو كبير الهذلي - ١٥٢
 كثير عزة - ٢٢٢ ، ٢٣٨
 كثير بن مرة الحضرمي - ١٤٥
 كرايست - ٣٠٢
 أبو كرب = تبان أسعد
 كردين - مسمع بن عبد الملك
 الكرمانى - ٦٦
 كريب - ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٧
 كريتمس - ٣١٦
 كزيفون - ٣٠٧
 الكسائي - ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،
 ٤٤٦ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٩٨
 كسرى - ١٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
 ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٣

ابن الكوفي — ٥٥٥

الكوفيون — ٤٣٣ ، ٣٧٨ —

٤٤٧، ٤٤٦، ٤٤١، ٤٣٧

٤٧٢، ٤٧١، ٤٦٢، ٤٥٦

٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٢، ٤٩١

٥٠٤، ٥٠٢، ٥٠٠، ٤٩٨

٥١٢، ٥١١، ٥٠٧، ٥٠٦

٥١٣ ، ٥١٦ — ٥١٩ ،

٥٣٢، ٥٢٩، ٥٢٧، ٥٢١

٦٣١، ٥٧٦، ٥٥٥، ٥٣٥

الكيلبان المحاربي — ٥٥٠

ابن كيسان النحوي — ٥٣٣

الكيس النمرى — ٢١٧

ل

اللات (صنم) — ٤١٢، ١٢٧

لاخان — ٢٩٧ ، ٢٩٨

لبيد بن ربيعة — ٨٢ ، ٨٧ ،

٩٦، ٩٩، ١٠١، ١١٥،

١١٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٨٧،

٢١٠، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤٣،

٢٤٤، ٢٦٣، ٢٧١، ٣٣٤،

٣٣٥، ٣٤٩، ٣٧٣، ٣٨٥،

٤٧٤

لحيان — ١١

بنو لحم — ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ١٢٩

لقمان (الحكيم) — ٦٢ ، ٦٣ ،

١٤٠ ، ١٦٩ ، ٢٤٧

لقيط بن زرارة — ٢٥٠ ، ٥٤٩

لقيط بن يعمر الإباضي — ٥٥٥

٩٤، ١١٤، ١٣٢، ١٣٣

ابن لقيم العبسي — ٦٠٤

لميس — ٩٥

ليال (شارلس جيمس) —

٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠،

٣٧٢، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨١،

٥٨٢ ، ٦٣٠

ليمان — ٢٧

الليث — ١٥٤

ليث بن أبي سليم — ٦٠٢

ليني — ٣٧٥

ليلي — ٤٧ ، ٨٢ ، ٩٤ ،

٣٢٤ ، ٥٢٤

أبو ليلي = النابغة الجعدي

لينوس — ٣٠٢

م

ماثيو أرنولد — ٢٩٠

بنو مازن — ١١١

المازني — ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٤٣٥،

٥٣٦

ماسرجويه — ١٤١

مالك بن أنس — ١٨٩ ، ٤٣٢،

٥٢٥

مالك بن الحارث — ٥٦٥ ، ٥٦٦،

مالك بن الدخشم — ٣٤١

مالك بن دينار — ١٣٦

أبو مالك — ٥١١

٥٣، ٥٢، ٤٨، ٤٥، ٤٤
 ٦٣، ٦٢، ٥٨، ٥٦، ٥٥
 ٧٣، ٧١، ٦٨، ٦٦
 ٨٣، ٨٠، ٧٨، ٧٥
 ٩٧، ٩٤، ٩٣، ٨٧، ٨٥
 ١٢٦، ١١٥، ١٠٢، ٩٨
 ١٤٠، ١٣١، ١٢٧
 ١٥٩، ١٥١، ١٤٣
 ١٨٩، ١٨٢، ١٦٩، ١٦٨
 ٢٠٩، ٢٠٥، ٢٠٤
 ٢٣٢، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٥
 ٢٥٩، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٤٨
 ٢٧٢، ٢٦٧، ٢٦١
 ٣٢١، ٢٧٨، ٢٧٧
 ٣٤٤، ٣٣٥، ٣٣٣، ٣٢٤
 ٣٥٥، ٣٥٣، ٣٥٠
 ٣٦٤، ٣٦٢، ٣٥٩
 ٣٧١، ٣٦٨، ٣٦٦
 ٣٩٠، ٣٨٨، ٣٧٩
 ٤٢٧، ٤٢٣، ٤١٧، ٤٠١
 ٦٢٤، ٥١١، ٤٣١، ٤٣٠

٦٢٨

١٢٦ — محمد J

محمد أحمد الغمراوي — ٤٠٣ ،
 ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،
 ٤٢٠ ، ٤٢١

محمد بن إسحق = ابن إسحق

محمد الأمين — ٤٧٢

محمد بن أيوب العزيزي — ٥٨٦

محمد بن حبيب — ١٧١ ،

المأمون — ٦٨ ، ٤٧٢

ماوية — ٥١٧ ، ٥١٢ ، ٥١٨

ماوية بنت عفزر — ٢٠١

المبرد (محمد بن يزيد) —

١٩٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،

٣٥٩ ، ٤٣٥ ، ٤٥١ ،

٤٦٢ ، ٤٩٨ ، ٥٩٥

ابن متويه (راوية الفرزدق) —

١٩١ ، ٢٢٨

مترودور المساوي — ٣١١

المتكلمون — ٣٧٨

التملس — ٧٠ ، ٧٥ ، ٢٠٣ ،

٢١١ ، ٣٩٨

متمم بن نويرة — ٢٣٦ ، ٣٤٧ ،

٤٦٧

المتنخل — ٥٧٠ ، ٦١١

أبو المثلث — ٥٦٧

مجاهش — ٢٧٣

مجاهد — ٨٤ ، ١٤٧ ، ١٨٠ ،

بنو محارب — ٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠ ،

٥٥٦

المحبر = طفيل الغنوي

أبو محجن الثقفي — ٢٣٦

محرز بن المكبر العنبري — ١١١

أبو محرز = خلف الأحمر

محل — ١٣٦

المخلق — ١٧٧ J

محمد ، صلى الله عليه وسلم

(أحمد ، رسول الله ، النبي)

٨ ، ١٢ ، ٣٢ ، ٣٥ ،

محمد بن عبد الغنى بن عمر بن
فندلة (أبو بكر) - ٥٠٥
محمد بن علي بن إبراهيم بن
زبرج العتاني - ٥٦٤
محمد بن عمر = الواقدي
محمد فريد وجدى - ٤٠٢
محمد بن القاسم = ابن الأتباري
محمد بن كعب القرظي - ٦٠٢
محمد لطفى جمعة - ٤٠٢، ٤١٢،
٤١٤، ٤١٨، ٤٢٢،
٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٨
محمد بن الليث الأصفهاني
(أبو جعفر) - ٥٧٥، ٥٧٦
محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي
- ٥٧٠، ٥٧١
محمد بن منصور بن مسلم -
٥٣٣
محمد بن المنكدر - ١٨٩
محمد بن هبيرة الأسدي =
صعوداء
محمد بن يزيد = المبرد
أبو محمد الأعرابي - ٤٥٨،
٤٥٩
محمود بن عمرو (والد صعصعة)
- ١٣١
مخارق بن شهاب - ١١١
المخيل السعدي - ٧٥
المختار بن أبي عبيد - ١٦١
أبو المختار = فراس بن خندق

٢٥٢، ٢٦٨، ٤٤٨،
٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٤،
٤٩٦، ٥٠٠، ٥٤٦،
٥٤٨، ٥٥٦، ٥٦٥،
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠
محمد بن الحسن = ابن دريد
محمد بن الحسن الأحول -
٥٦٥، ٥٦٩، ٥٧٠
محمد بن الحسن الشيباني - ٤٧٣
محمد حميد الله - ٣٢، ٣٣
محمد الخضر حسين - ٤٠٢،
٤١٢، ٤١٣، ٤١٤،
٤١٥، ٤٢١، ٤٢٣،
٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧
محمد الخصري - ٤٠٣، ٤١٩،
٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦
محمد بن أبي الخطاب = أبو زيد
القرشي
محمد بن خلف = وكيع
محمد بن رستم (أبو عبد الله)
- ٥٧٤
محمد بن زياد = ابن الأعرابي
محمد بن زياد الكلبي - ٢٣٣
محمد بن السائب الكلبي - ٢٣٣
محمد بن سعيد بن المسيب - ٣٤٢
محمد بن سلام = ابن سلام
محمد بن سهل - ٢٢٥، ٢٣٨
محمد بن العباس = اليزيدي
محمد بن عبد الرحمن الأنصاري
- ٢٦٩

مساور بن هند - ٢٦٨
المستشرقون - ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ،
١٦٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ،
٣٦٧ ، ٣٧٦ ، ٦٣٠
مسحل بن أتابقة - ٢٦٤ ، ٢٦٥
مسحل بن زيداء - ٢٢٧
مسروق بن عبد الرحمن - ١١٦
مسعر بن كدام - ٢٧٢ ، ٤٣٠
مسعود بن بشر - ٢٧٨
المسعودي - ٥٢ ، ٥٣
مسكين النابري - ٢١٧
مسلم الخزازي - ٢١٣
مسمع بن عبد الملك - ٣٢٦
مسيلم الكذاب - ٢٦٥ ، ٣٥٠
المسيب بن عسله - ٥٤٥ ، ٥٥٠
المسيب بن علس - ٢٢٤ ،
٣٣٣ ، ٥٩٠
المشركون - ٤٧ ، ٣٢٣
المصريين - ١٢ ، ١٦ ، ٦٠
مصطفى صادق الرافعي - ٣٧٧ ،
٣٧٩ ، ٤٠٣ ، ٦٣٠
مصعب بن الزبير - ١٩٩
المصعب بن عبد الله الزبيري -
٢١٥ ، ٢٥٠ ، ٤٧٤
مضر بنو - ١٥٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ،
٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٩ ،
٤٢٠ ، ٤٢١
مطر الوراق - ٩٠ ، ١٣٦
مطرف - ٢٠٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩
المطلب - ٦٠٥

مخرمة بن نوفل - ٢١٩ ، ٢٢٠
أ مخرمة بن المطلب - ٣٣٦ ، ٦٠٠
بنو مخزوم - ٥٤٧
أبو مخنف - ٢٣٣
المدائني - ٤٤٨ ، ٤٧٣
مذحج - ٣٤٩ ، ٤٧٤
مرامر بن مرة - ٣٧
مرجليوث - ٢٩٢ ، ٣٥٢ ،
٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ،
٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
٣٨٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ،
٤١٦ ، ٤١٨ ، ٦٣٠
مرداس بن صبيح - ٣٣١
المرار الأسدي - ٥٩٦
مرة - ٦٣
مرة بن عوف - ٥٤٤ ، ٥٥٠
المرزباني - ١٦٤ ، ٢٧٨ ،
٥٦١
المرزوقي - ٥٨٣ ، ٥٨٤
المرقش الأصغر - ٢٢٤
المرقش الأكبر - ٣٩ ، ٧٨ ،
٨٣ ، ٩٩ ، ١١٤ ، ١٣٢ ،
٢٢٤ ، ٢٢٩
أ مروان - ٤٠٦
بنو مروان - ١٦١ ، ١٩٥ ،
١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٤٥
مزد بن ضرار - ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
٤١٠
بنو مزينة - ٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣ ،
مسافع بن عبد مناف - ٣٤٢

المفضل بن عبد الله — ٤٨٦ ،

٥٨٧

أبو المفضل العنبري — ١١٧

المفضل بن محمد الضبي —

١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥،

٢٢٦، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣،

٢٥٨، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١،

٣٤٨، ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٢٨،

٤٣٤، ٤٣٧ — ٤٤٠ ،

٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٠،

٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٨٧،

٤٨٩ — ٤٩٣ ، ٤٩٥ ،

٤٩٦ ، ٥٠٠ — ٥٠٣ ،

٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ —

٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٩،

٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٤٥،

٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٧٣ —

٥٧٧، ٥٨٧، ٥٨٩، ٥٩٠،

٥٩١ ، ٦٣٣

مقاس العائذي — ٥٩٦

أبن مقله — ١٠٠

المقوقس — ٣٣

مكرز بن حفص — ٣٤١

المكيون — ٣٦٤

ملاعب الأسنة الحارثي — ٥٥٠

ملتون — ٢٨٨ ، ٣٠٨

أبو مليكة = الحطينة

أبن أبي ملكية — ٨٤

بنو المطلب — ٦٦ ، ١٧١

مطيع بن إياس — ٤٤٥

معاذ بن العلاء — ١٥٦

معاوية بن زهير — ٣٤٥

معاوية بن أبي سفيان — ٤٠ ،

٩٠ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ،

١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ ،

١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٢٠٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣٢٢ ،

٥٥٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠

معاوية بن شكل — ٥٨٠

معاوية بن مالك — ١٠١

معبد بن زرار — ٢٥٠

المعتزلة — ٣٧٨ ، ٣٩١

بنو معد بن عدنان — ٢٤٩، ٢١٦،

٣٢١ ، ٤٧٤ ، ٥٢٥

معديكرب — ٢٠٩

المعقر بن أوس — ٢١٠ ، ٢٣٠

معقل بن خويلد — ٧٧، ١٢٤،

١٦٣ ، ٢٧٠ ، ٣٣٨

المعل — ٥٢٠

معمر — ٩٣

معرب بن المثني = أبو حبيدة

المغيرة بن عبد الرحمن — ١٥٠

المفضل بن سلمة — ٢٩١

ميمون بن قيس = الأحمى
ميمونة بنت عبد الله - ٣٤١
مى - ٢٦٠
مية - ٢٧٥

ن

النايفة الجعدى - ٢٦٧، ٢٢٩،
٤٧٦، ٤٧٥، ٣٤٠، ٣٢٤
النايفة الذيبانى - ٦٤، ٤٩،
١٢٨، ١١٥، ٨٠، ٧٩
١٧٨، ١٧٤، ١٧٣، ١٦٠
٢٥٣، ٢٢٧، ٢٠٨، ١٨٨
٣٦٢، ٣٤٩، ٣٣٢، ٢٦٢
٥٠٢، ٤٤٣، ٣٧٣

نافع - ٤٦٤
نافع بن الأزرق - ٤٠٥
نائل (حفيد العباس السلى) -
٧٨

أبو نائلة = سلكان بن سلامة
النجاشى - ٢٠٦، ١٢٥، ٣٣،
٦٢٠

ابن نجدة - ٥٣٢
أبو النجم العجلى - ١١٧، ٢٧٩
التجيرى - ٥٩٠
ابن النحاس = أبو جعفر بن
النحاس
النخار بن أوس - ٢١٦، ٢٠٠،
٢٤٥، ٢١٧
النخار بن العقار - ٢٧٣

ابن مناذر - ١٧٤، ٥١١
المناذرة - ١٦، ١٨، ١٦١
المنخل بن عامر اليشكرى -
٥٧٩

المنذر الأكبر - ٧٢
المنذر بن ساوى - ٣٣
أبو المنذر = هشام بن عروة
المنصور (الحليفة العباسى) -
٥٩١، ٤٤٥، ٢٣٣، ٢٣٢

ابن منظور - ١٦٤
المنقع بن الحصين - ٣٢٢
المهاجرون - ٩٤، ٢٠٦،
٣٨٨، ٣٤٤
المهدي (الحليفة العباسى) -
٤٣٩، ٤٣٨، ٣٧٠، ٣٦٩
٥٧٥، ٤٥٣، ٤٤٥، ٤٤٣
٥٩١، ٥٩٠، ٥٧٦

المهلب - ٩٠، ١٣٦
مهلهل - ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠،
٢٣٢، ٣٢٧، ٣٥٥،
٣٩٧، ٣٩٦

بنت مهلهل - ٢٣٢
الموالى - ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٤،
٤٢٧

مؤرج - ٢٤٠، ٤٧٤
موسى بن سيار الأسوارى - ٢٤٦
موسى بن عقبة - ١٣٩، ١٤٤،
١٥٠، ١٤٧

أبو موسى الأشعرى - ١٠٠، ٣٤٩،
٤٧٣، ٤٥٢، ٤٤٨، ٤٤١

- بنو النضج - ١٣٦
 أبو الندى - ٤٥٩
 ابن النديم - ٨٧ ، ٧٦ ، ٦٨ -
 ٨٩ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٠ ،
 ١٦٨ ، ٢٤٨ ، ٣٧٠ ، ٤٤٣ ،
 ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، ٥٤٣ ،
 ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٥٥ ، ٥٧٣ ،
 ٥٧٦ ، ٥٨٠ - ٥٨٢
 ابنا نزار - ٤٥٤
 بنو نزار - ٢٦٦
 النصارى - ٧ ، ٦١ ، ٦٣ ،
 ٩٢ ، ١٤٠ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٨٩ ،
 ٣٩٢ ، ٤٢٤ ، ٦١٨
 أبو نصر = أحمد بن حاتم الباهلي
 أبو نصر الأعرابي - ٢٧٠
 آل نصر بن ربيعة - ١٦١ ،
 ١٦٢
 نصران - ٥٦٦
 نصيب - ٢٣٦ ، ٢٣٨
 النصر بن الحارث - ٥٢
 النصر بن طاهر - ١٨٩
 بنو النصير - ١٦٥ ، ٣٤٣ ، ٦٠٤
 ابن النطاح - ٥٥٨
 النعامة (اسم ناقة) - ٣٢٧
 النعمان بن المنذر - ٦٧ ، ٧٠ ،
 ٧٢ ، ٧٥ ، ١١٣ ،
 ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٩٥ ،
 ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ،
 ٣٤٠ ، ٤٣٧
 نفلوية - ٢٧٧
 نفيل بن عبد العزى - ٢٢٠
 النقباء - ١١٥ ، ١٢٧
 النمر بن تولب - ٢٣٦
 بنو النمر بن قاسط - ٣٢٦ ، ٥٠٨ ،
 ٥٢٢
 النمرى (أحد شراح الحماسة) -
 ٤٥٨
 النمرى = ربيعة بن جشم
 بنو نمر - ١٩١
 بنو نهد - ٧ ، ٧٢ ، ٥٤٤
 بنو نهشل - ٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠
 أبو نواس - ١٨١ ، ٤٤٤
 نوح - ٢٠٨ ، ٢٤٨ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣
 ابن نوح المطاردى - ٢٣٦ ، ٣٤٧ ،
 ٤٦٧
 نوفل بن مساحق - ١٣٨
 أبو نوفل بن أبي عقرب - ١٥٦ ،
 ٢٧٠
 بنو نوفل - ٥٢٧
 ابن نوفيل - ١٢٩
 نيتش - ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٩
 نيكاتور - ٣١٥ ، ٣١٦
 هاجر - ٢٧٣
 هاجر بن عبد العزى - ٢٣٣

هكتور - ٣٠٩
 أخوه لال = يزيد بن الكيس النسابة
 بنو هلال - ٢١٧
 همام بن غالب = الفرزدق
 همام بن منبه - ١٤٢ ، ١٤٦
 هند - ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٠
 هند بنت أثانة - ٣٤١
 هند بنت عتبة - ٣٤٢
 هند بنت معاوية - ٩٠
 الهنود - ١٢ ، ١٦ ، ٣٥٨
 ابن أبي هنيذة - ١٤٧
 هوازن - ٢٧١ ، ٣٤٤
 هومر - ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ -
 - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ -
 ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٧٦ ،
 ٦٣٠
 هومل - ١١
 الهيم بن عدي - ٢١٨ ، ٢٦٦ ،
 ٣٢٢
 هيرا - ٣١١
 هيرودوت - ٣٠٤ ، ٣١١
 هيروديان - ٣١٥ ، ٣١٦
 هيلانة - ٣١٢

و

الواقدي (محمد بن عمر) -
 ، ٢٣٧ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ٥٠
 ٤٧٠ ، ٤٦٨ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨
 بنو وائل - ٣٢٧

هاشم بن حرمل - ٦٠٥
 بنو هاشم - ٦٦ ، ١٧١ ، ٢١٩ ،
 ٥٤٤
 هاني - ٨٥
 هبل (صم) - ٧٦ ، ٨٤
 هبيرة بن عبد الرحمن - ١٤٥
 بنو الهجيم - ٥٥٤ ، ٥٤٤
 هلبة بن نخشم - ٢٢٣
 بنو هذيل - ٧ ، ٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ،
 ١٥٢ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٣٤ ،
 ٢٤١ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٥٤٤ ،
 ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ ، ٥٥٥ ،
 ٥٥٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ،
 ٦١٨ ، ٦٣٢
 هرم بن سنان - ٢٠٨ ، ٣٦٩ ،
 ٤٣٩
 هرمان - ٢٩٧ ، ٢٩٨
 هريرة - ٢٦٥
 أبو هريرة - ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ،
 مسيود - ٣١١
 هشام بن عبد الملك - ٢٧٩ ،
 هشام بن عروة - ١٤٥ ، ١٨٢ ،
 ١٨٣
 هشام بن محمد الكلبي = ابن الكلبي
 ابن هشام - ١٤٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
 ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
 ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٨٩ ،
 ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٩ ، ٦٣٠

يحيى بن سعيد القطان -

١٨٠ ، ٤٦٧

يحيى بن المبارك = اليزيدى

يحيى بن متى - ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٦٢

يحيى بن معين - ١٨٠

يحيى بن المهدي الحسيني -

٥٧١

يحيى بن يعمر - ٨٩

اليلمرى - ٢٣١

بنو يربوع - ١١١ ، ٥١٩ ، ٥٤٧

يزيد بن الصق - ٥٧٩ - ٥٨٠

يزيد بن عمرو الحنفى - ٣٣٠

أبو يزيد = قيس بن الخطيم

أبو يزيد (الخليل السعدى) - ٢٢٩

اليزيدى (أبو عبد الله ، محمد

ابن العباس) - ٤٨٨ ،

٤٨٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٢٤

اليزيدى (أبو محمد ، يحيى بن

المبارك) - ٤٧١ ، ٤٧٢ ،

٤٧٣

يسار - ٥٢٧ ، ٥٤٠

بنو يشكر - ٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥١

يشكر بن وائل الشكرى -

٢٦٤ ، ٢٦٥

يعرب بن قحطان - ٢٤٧ ، ٦٠٠

يعقوب (النبى) - ٦٤

يعقوب بن إسحق = ابن السكيت

يعلى بن الأشدق - ٢٦٧

أبو اليقظان - ٢٦٤ ، ٥٥٠

الوثنيون - ٣٥٨

أبو وداعة - ٢١١

وردان بن محرمة - ١١١

ورقة بن نوفل - ٥٥ ، ٦١ ،

٢١٠ ، ٣٣٧

بو الوفاء بن سلمة - ١٧٥ ، ٥٨٩

وكيع (محمد بن خلف) -

١٣٦ ، ٣٦٨

ولف (فردريك أوغست) -

٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ،

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩

الوليد بن عبد الله الجعفى - ٢٣٤

الوليد بن عبد الملك - ١٤٧ ،

١٥٨

الوليد بن عقبة - ١١٦

الوليد بن المغيرة - ٤٨

الوليد بن الوليد بن المغيرة - ٧٢

الوليد بن يزيد - ١٥٤ ، ١٥٧ ،

١٥٨ ، ١٦٤ ، ٥٠٨ ، ٥٥٧ ،

٥٥٨

ولم بن الورد - ٥٧٨

ونكلر - ١١

وهب بن منبه - ١٤٢ ، ١٥٠

ى

ياقوت - ٥١ ، ١٩٩ ، ٤٤٠ ،

٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٩٦

يوسف بن الماجشون - ٢٦٢
 يوسف هل - ٥٦٣ ، ٥٧٠
 يوسفوس - ٣٠١ ، ٣٠٣
 اليونان (اليونانيون) - ١٢٠٩ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
 يونس بن حبيب - ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،
 ٣٤٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ،
 ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ،
 ٤٤٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٩٣ ،
 ٥٩٤
 يونس بن متى - ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤١ ، ٢٦٢
 يونس بن يزيد - ١٥٠
 يوهانس (يوحانس) - ٢٤١

اليمانيون (اليمينيون) - ٣٩٩ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ،
 ٤٢٠ ،
 اليهود - ٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦١ ،
 ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٤ ، ١٤٠ ،
 ١٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٢٣ ، ٣٨٩ ،
 ٣٩٢ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٦١٨ ،
 يوحنا - ٢٤١
 يوسف - ٥٨٩
 يوسف بن الحكم الثقفى - ٥٠
 يوسف بن سعل - ١٥٩ ، ١٩٦ ،
 ٣٥٠
 يوسف بن سليمان = الأعلم
 الشتمرى
 يوسف بن عمر - ١٥٧ ، ٥٥٨ ،
 يوسف بن فضالة - ٥٠٥

فهرس الأماكن

- بارق — ٣٣٨
- باريس — ٥٠٣ ، ٥٠٤
- بيرا — ١١ ، ١٣
- البحر الأحمر — ١ ، ١٣
- بحر فارس — ١
- البحر الهندي — ١
- البحرين — ٦ ، ٥٤٩
- بدر — ٥٣ ، ٨٣ ، ١٤٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٣٤٢ ، ٤٣٠ ، ٤٢٣ ، ٣٤٥
- برجامس (برجام) — ٢٩١ ، ٣١٣ ، ٣١٦
- بردى — ٢٣٠
- برقة العيرات — ٥١٦
- برلين — ٥٦٣ ، ٥٦٤
- البصرة — ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٥١٢
- أشور — ١٦٧
- الإمعد — ٥٢٣
- أثينا — ٣٠٨
- أحد — ٧٦ ، ٨٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥
- أرجوس — ٣١٣
- الإسكندرية — ٢٩١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦
- الإسكوريال — ٤٩٧
- أصبهان — ٤٩١ ، ٥٨٩
- أعشاش — ٢٧٩
- أكسفورد — ٣٠٧
- ألمانيا — ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٠
- أم الجمال — ٢٧
- الأنبار — ٢٤ ، ٣٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ٦١٧
- إنجلترا — ٣٢٠
- الأندلس — ٤٩٢
- أوربا — ٨٨ ، ٣١٨ ، ٥٦٣
- إيونيا — ٣١٣
- باب بنى شيبه — ٢١١
- بابل — ١٢ ، ١٦٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٣

تونس - ٥٠٣

تياء - ٨٢ ، ١٠٢ ، ٢٦٦

ث

الثقل - ٥٣٨

ج

جبل الدروز - ٢٩

جبل رضوى = رضوى

جبل سلع - ٣٢ ، ٣٣

جبل عزور = عزور

جبل ورقان = ورقان

جبل القدس = القدس

جبل نهبان = نهبان

الجرع - ١٣٣

الجزيرة (جزيرة الفرات) - ١٢٠٦

١١٤ ، ١٣٣ ، ٦١٨

الجناح - ٩٥ ، ٥٢٨

جند يسابور - ١٦٧

الجواء - ٣٢٨ ، ٥٤٠

جوتنجن - ٣٠١

ح

الحائل - ٥١٨

الحبس - ٨١ ، ١٠٠

الحبشة - ١٧ ، ١٨ ، ٣٣ ، ١٤٩

١٦٧ ، ٣٨٢

٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٦٢٩ ،

٦٣١

بطحاء مكة - ٦

بطن قو - ٥١٥

بغداد - ٢٥٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،

٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩٨ ،

٥٦٤

البكرات - ٥١٦

بلاد الإغريق - ٣٥٦

بلاد الروم - ١٧

بلاد العرب (جزيرة العرب) - ٦ ،

٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٣ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ١٠٧ ،

١٦٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ،

٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،

٣٧٦ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،

٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٦١٧ ،

٦١٨

بلاد فارس - ١٧ ، ٥٥

بلاد هذيل - ٤٥٩

البندقية - ٢٩٣ ، ٣١٦

بولاقي - ٥٨٤

ت

تثليث - ١٣١

تدمر - ١٣

تركيا - ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٣٣

التعانيق - ٥٣٨

- الحجاز - ٨ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٥٢ ،
١٦٨ ، ٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ،
٤٢١ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
الحجر - ١١ ، ٢٧ ، ٤٣٩ ، ٥٣١ ،
٥٤٠
الحديبية - ٧ ، ٦٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
حران - ٣٢
حران اللجا - ٢٩
الحرّة - ١٤٥
الحرثان - ٤٣٢
الحرم - ٦
الحساء - ٥٤٠
حضر موت - ٢٦٤ ، ٤٢٦
حوران - ٢٧ ، ٣٢
حومة الدراج - ٥٣٨
حومل - ٢٣٠ ، ٥١٥
الحيرة - ١٦ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٧٠ ،
٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٢ ،
١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٢٦٣ ، ٣٤٨ ، ٦١٧ ، ٦٢١ ،
خ
الخبثان - ٥١٨
خراسان - ٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩
الخنديق - ٣٢
الخورنق - ٣٣٨
خيبر - ٦١
الخييف - ١٢٦
خييف سلام - ٨
د
دار الآثار العربية - ٣٢
دار الكتب المصرية - ٥٠٤ ، ٥٣٠ ،
٥٧٠ ، ٥٧٨
دار الندوة - ١٢٧
الدانيمرك - ٣٧٥
الدثينة - ٧٨
دجلة - ١
الدخول - ٢٣٠ ، ٥١٥
دمشق - ١ ، ١٤٦
دومة الجندل - ٥٠
الديار المصرية - ٤٩٧
دينور - ٥٨٩
ذ
ذات الدبر - ١٧٣
ذات الدبر = ذات الدبر
ذات عرق - ٢٦٦
الذنوب - ٣٤٧
ذو طوى - ٢١٥
ذو قار - ٢٢٧ ، ٢٦٩ ، ٥٧٩
ذو الهجاز - ٨١
ر
راذان - ٥٨٠
رامة - ٥٤١

سورية - ٩
 السويس - ٥٥
 سيل العرم - ٤٧٥
 سينوب - ٣١٣

ش

الشام - ١٦ ، ١٨ ، ٦٣ ، ٩١ ،
 ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ،
 ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
 ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠ ، ٣٨٢ ،
 ٤١٩ ، ٤٣١

الشجرة - ١٣٨ ، ٤٣٠
 شعب جبلة - ٢٠١
 شعب الخيف - ٨٦
 شمام - ٥٢٠

ص

الصفراء - ٧
 الصليب - ٨٢ ، ٩٥
 الصين - ٨٨ ، ٨٩

ض

ضرخاء - ٧
 ضفوى - ٤٣٩

ط

الطائف - ٦ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٢ ،
 ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٦٧ ، ٦١٨ ، ٦٢١

زحراحان - ٢٥٠ ، ٣٢٩
 زحان - ٤٥٩
 الرص - ٨٧
 الرسيس - ٨٧ ، ٥٣٤
 رضوى - ٦ ، ٧
 الرقة - ١٧٧ ، ٢٤٥
 الرمل - ٥١٨
 رملة عالج - ٥٣٩
 الرها - ١٦٧
 رهاط - ٧

ز

زبد - ٢٩
 زبدان - ٥٢٤
 زمزم - ٢٠٣
 زيونيا - ٢٩٤

س

سامرا - ٤٣٥
 صام - ٥١٨
 السدير - ٣٣٨
 سلح - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٥٣ ،
 ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠
 سمرقند - ٨٨
 سندار - ٣٣٨
 السهب - ٥١٨
 السواد - ٤٣٤ ، ٤٤٦
 السوارقية - ٨

غ

الفييط - ٢٧٣
 غسان (ماء) - ١١٢ ، ٦٢١
 الغور - ٥٣٩

ف

فارس - ١١٤ ، ٨٩ ، ٥٢
 الفرات - ٢٩ ، ١
 الفرع - ٧
 فرغانة - ٨٨
 فرنسا - ٣٢٠

ق

القاهرة - ٥٠٣ ، ٣٢
 قبرص - ٣١٣
 القدس - ٧
 قصر السلامة - ٤٤٣
 القطبيات - ٣٤٧
 قطربل - ٤٧٢
 القنان - ٩٦
 قنسرين - ٢٩
 قو (بطن قو) - ٥١٥
 القوادم - ٥٤٠

ك

كاظمة - ٥١٨
 الكعبة - ١٦٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٦٦
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٢٠ ، ٦٠٢

طروادة - ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠١ ، ٣١٢
 الطور - ٣٥٧ ، ٧٨
 طورسينا - ٢٧ ، ٢٥
 طيبة - ٣٠٤

ع

عارمة - ٥١٦
 عاقل - ٥١٨ ، ٨٧
 عالج (رملة عالج) - ٥٣٩
 العراق - ١٦٧ ، ١٦١ ، ٨١ ، ٥١ ،
 ١٧٥ ، ١٩٧ ، ٢٥٠ ، ٣٢٣ ،
 ٤١٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
 ٥٢٠ ، ٥٨٩
 العربية السعيدة - ٩
 عرعر - ٥١٥
 عُرَيْتَنَات - ٢٦٢
 عزور - ٧ ، ٦
 عسعر - ٥١٧
 العقنقل - ٢١٤
 عكاظ - ٦٨
 العلا - ٣٢
 عُمان - ١٩٢ ، ٦ ، ٥٢٠ ، ٥٩٧
 عمايتان - ٥١٨
 عيساباذ - ٤٣٨ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ،
 ٤٤٣
 عين تمر - ٥١

٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ،
 ٧٨ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٥ ،
 ١٥١ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ ،
 ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٣٢٧ ، ٣٤٤ ،
 ٣٥٠ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ، ٤٣٠ ،
 ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٥٩ ،
 ٦٠٣ ، ٦١٧ ، ٦٢١

المربد - ٤٦١

مر الظهران - ٧

مساليا - ٣١٣

المسجد الحرام - ٢٣٥

مسجد رسول الله - ٢١٩

مسجد السور - ٧٦

مسجد المدينة - ٣٤٤

مسجد موسى بن سيار - ٢٤٦

مصر - ١٧ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٥٦ ،

٦٠ ، ١٩٢ ، ٥٦٣ ، ٦١٨

مطبعة هندية - ٥٠٣

مطرق - ٨٢ ، ٩٥

معهد إحياء المخطوطات العربية -

٤٩٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٣٣ ، ٥٨٦

معين - ١١

مكتبة غوطة - ٥٠٤

مكتبة فيض الله - ٥٠٣

مكتبة كوبريلي - ٥٨٦

مكتبة لا له لي - ٥٠١

مكتبة نور عثمانية - ٥٣٣ ، ٥٣٨ ،

٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

مكة - ٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

الكوفة - ٦٣ ، ١١٦ ، ١٣٥ ،

١٧٧ ، ٢٠٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ ،

٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٣٤٨ ، ٣٩٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ،

٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ،

٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ،

٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ،

٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ،

٤٩٣ ، ٥١٢ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ،

٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ،

٥٧٣ ، ٦٣١

كيوس - ٣١٣

ل

لعلع - ١٣١

لندن - ٥٠٤ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ،

ليزر - ٥٦٣ ، ٥٧٠ ،

ليدن - ٤٩٤ ، ٥٦٤

م

ما بين النهرين - ٦ ، ١٢ ،

مأرب - ٤٧٥

المشلم - ٥٣٨

مدافع الريان - ٨٧

مدائن صالح - ٢٧ ، ٣٢ ،

المدرسة النظامية - ٢٥٧

مدين - ٨٢

المدينة المنورة (وانظر : يثرب) -

٦ ، ٧ ، ٨ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ٥١ ،

هـ
هانوفر — ٥٧٠
هجر — ١٦٦
هضب ذو إقدام — ٥١٨
همدان — ٥٨٩ ، ٥٩١
الهند — ٨٩ ، ٣٠٥
ميدلبرج — ١٥٠

و

وادي فران — ٢٥
وادي المكتب — ٢٥
ورقان — ٧
وزل صنعا — ٦٨

ي

يُرب (وانظر : المدينة المنورة) —
٤٩ ، ٩٤ ، ١٩٩ ، ٣٣٩
٦١٨
الجماعة — ٦ ، ٤٢٥ ، ٥٤٩ ، ٦١٧
٦١٨
يُيمن — ٥٤٠
اليمن — ٦ ، ٩ ، ١١ ، ٢٤ ، ٦٦
٦٩ ، ٧١ ، ١١٢ ، ١٦٧
١٦٨ ، ٢٦٤ ، ٣٤٠ ، ٣٨٠
٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩
٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٦
٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١
٥٤٩ ، ٦٢١
ينبع — ٦ ، ٧

٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١٢٧
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٧٣ ، ٢٣٤
٢٤٧ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧
٣٨٩ ، ٤١٢ ، ٦١٧ ، ٦١٨
٦٢١
ملحوب — ٣٤٧
منبع — ٥٣٣
ميجارا — ٣٠٨
ميسيا — ٣١٦

ن

نجد — ٨ ، ٣٢ ، ٢٧٠ ، ٤٠٠
٤٠٧ ، ٤٢١ ، ٥٤٩ ، ٥٨٠
نجران — ٧١ ، ١١٢ ، ١٦٦
٢٦٥ ، ٦٠٢ ، ٦٢١
النحات — ٤٣٩
النحيث — ٢٣٦ ، ٢٤٧
نخل — ٣٢٣
النصار — ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٣٢٩
نسر — ٢٧٣
نصاف صارة — ٩٦
النقا — ٢٧٣
النقارة — ٢٧
نملى — ١٠١
نمىل — ١٠٢
نهبان — ٧
نهر الحيرة — ٧٠
النيل — ١ ، ١٢٩

فهرست الكتب

١

- أخبار الشعراء لابن النحاس - ٤٩٨ ،
 ٤٩٩
 أخبار عبيد بن شربة - ٢٤٧ ،
 ٥٩٩
 أدب الكتاب - ٢٧٩
 أشعار الأزد - ٥٤٣ ، ٥٤٥
 أشعار بني أسد - ٥٤٥ - ٥٥٢
 أشعار أشجع - ٥٤٦
 أشعار بجيلة - ٥٤٦
 أشعار بني تغلب - ٥٤٣ ، ٥٤٤ ،
 ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٦
 أشعار بني تميم - ٥٤٦
 أشعار بني الحارث - ٥٤٦
 أشعار حمير - ٤٦٩ - ٥٤٣
 أشعار بني حنيفة - ٥٤٦
 أشعار بني ذهل - ٥٤٦
 أشعار الرباب - ٥٤٣ ، ٥٤٥
 أشعار بني ربيعة - ٥٤٦
 أشعار الستة الجاهليين - ٥٠٥
 أشعار بني سليم - ٥٥٢
 أشعار بني شيان - ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
 ٥٥٦
 أشعار الضباب - ٥٤٦
 أشعار ضبه - ٥٤٦
 أشعار الطائيين - ٥٥٢
 أشعار طي - ٥٤٦
 أشعار بني عامر بن صعصعة - ٥٤٤
 أشعار بني عبد ود - ٥٤٦
 أشعار بني عدوان - ٥٤٦
 أشعار بني عدى - ٥٤٦
 أشعار بني عوف بن همام - ٥٤٤
 أشعار بني فزارة - ٥٤٦
 أشعار الفند - ٥٤٦
 أشعار فهم - ٥٤٤ ، ٥٤٦
 أشعار كلب - ٥٤٩
 أشعار كنانة - ٥٤٦
 أشعار بني محارب - ٥٤٧ - ٥٥٦
 أشعار بني مخزوم - ٥٤٧
 أشعار مزينة - ٥٤٧
 أشعار بني نهشل - ٥٤٧
 أشعار الهذليين ما بقي منها في النسخة
 اللغونية غير مطبوع - ٥٦٣
 أشعار هذيل - ٥٤٧
 أشعار بني يربوع - ٥٤٧
 أشعار بني يشكر - ٥٤٧
 إصلاح المنطق - ٥٩٢ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨

البيان والتبيين — ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،
٦١١ ، ٦١٢
بيولف — ٣٠٧

ت

تاريخ آداب العرب للرافعي — ٣٧٧
تاريخ الطبري — ١٤٩ ، ١٨٢
تاريخ اليونان لكالسثين — ٣١٢
تأويل مشكل القرآن — ٢٧٩ ، ٣٧٨
تحت راية القرآن — ٤٠٣
التصحيف والتحريف للعسكري —

١٧٨

التعليقة لابن النحاس (شرح ديوان
امرى القيس) — ٤٩٧ ، ٤٩٨
تفسير الحسن البصري — ١٤٨
تفسير السدي — ١٤٨
تفسير سعيد بن جبير — ١٤٨ ،
١٥٨ ، ١٨٣

تفسير الطبري — ١٤٨ ، ٤٢٥
تفسير عروة بن الزبير — ١٤٧ ، ١٤٩
تقييد العلم — ٥٨ ، ١٤٣
التنبيه على حدوث التصحيف
للأصفهاني — ١٧٨
التنبيهات على أغاليط الرواة للبصري

١٧٨ —

تهذيب الألفاظ — ٥٩٢ ، ٥٩٧ ،
٥٩٨

التوراة — ٦١ ، ٦٤ ، ١٤٠ ، ٣٦٢

الأصمعيات — ٥٧٧ ، ٥٧٨ ،
٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،
٥٩١ ، ٦٣٢

الأصنام — ٤١٢

الأغاني — ١٨٣ ، ٢٦١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ،
أغنية رولاند — ٣٠٧

الإلياذة — ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،

٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،

٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٣٠ ،

أمالى القالى — ١٧٧ ، ٥٧٧

الأمثال لصحار العبدى — ١٦٨

الأمثال لمبيد بن شربة — ١٦٨

الأتاجيل — ٣٦١

الإنجيل — ٦١ ، ٦٤ ، ١٤٠

الإنصاف فى مسائل الخلاف — ٢٥٧

الإنبياءة — ٢٨٨

الأوديسة — ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،

٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ،

٦٣٠

إيون لإفلاطون — ٣١٢

ب

البارع — ٢٧٩

بلاد العرب قبل محمد — ١٢

٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٧ ،

٥٣٨ ، ٦٣٢

ديوان جران العود — ٤٩٦

ديوان حسان بن ثابت — ٤٩٦

ديوان الخطيب — ٤٤٨ ، ٤٩٦

ديوان خلف الأحمر — ٤٤٤

ديوان دريد بن الصمة — ٤٦٩

ديوان أبي ذؤيب — ٥٦٣ ، ٥٦٥ ،

٥٦٩

ديوان زهير بن أبي سلمى — ٤٨٥ ،

٥٠٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠ ،

٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٦٣٢

دواوين الشعراء الستة — ٥٠٢ ، ٥٠٣ ،

٥٢٨

ديوان طرفة — ٩٢ ، ٥٠٢

ديوان عبيد بن الأبرص — ٣٧٢

ديوان علقمة — ٥٠٢

ديوان عنبرة — ٥٠٢

ديوان كعب بن زهير — ٥٣٦

ديوان لبيد — ١٢٤

ديوان النابغة الذبياني — ٧٩ ، ٥٠٢

ديوان هذيل — ٥٤٨ ، ٥٥١ ، ٥٥٥ ،

٥٥٦ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥ ،

٥٧١ ، ٦٣٢

ر

الراماياتا — ٢٨٧

رسائل الحواريين — ٣٦١

الرواسيم (كتب جاهلية) — ٧٦

ج

جمهرة أشعار العرب — ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،

٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ،

٦٣٢

جمهورية إفلاطون — ٣١١

ح

حاسة أبي تمام — ١٧٤ ، ١٧٥ ،

٤٥٨ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ،

٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٦٣٢

الحيوان — ٣٣٢ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ،

٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١١ ، ٦١٢

خ

خزانة الأدب للبغدادى — ٤٣ ،

٥٤٧ ، ٥٨٥ ، ٥٩٦

الخصائص — ٤٢٨

الخيل — ٣٢٩ ، ٤٦٧

د

ديوان امرئ القيس — ٤٤٧ ، ٤٦٩ ،

٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ،

٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،

٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ ،

٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ،

٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ،

٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ،

ز

الزبور - ٦٤ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١٤٠ ،
٢٣٠

س

صفر أيوب - ١٦٧

السيرة النبوية لابن إسحق (تهذيب ابن
هشام) - ١٤٧ ، ١٥٠ ، ٢٤٧ ،
٢٤٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ،
٣٥٩ ، ٣٨٩ ، ٤٢٤ ، ٥٩٩ ،
٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ،
٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٣٠

ش

شرح أشعار المهذلين للسكري -
٥٦٣ ، ٥٦٨
شرح ديوان الأعشى للآمدى -
٢٦٤

شرح ديوان امرئ القيس - ٤٩٧
شرح ديوان الخطيئة للسكري - ٤٤٨
شرح المعلقات لابن النحاس - ٤٩٨
شرح المفصل ٣٧٨
شرح المفضليات لابن النحاس -
٤٩٨

شعر الأنصار - ١٥٧ ، ٥٠٩ ،
٥٥٨ ، ٥٥٩
شعر عبد القيس - ٥٤٤

شعر بنى عقيل - ٥٥٢

شعر فزارة - ٥٥١

شعر هذيل - ٥٤٤ ، ٥٦١

شعر بنى يشكر - ٥٤٤ ، ٥٥١

الشعر والشعراء لابن قتيبة - ٣٣٤

شعراء النصرانية لشيخو - ٣٦١

الشهاب الراصد - ٤٠٢

ص

الصادقة (صحيفة عبد الله بن عمرو)
١٤٤ ، ١٤٦

صحيفة جابر - ١٨٠

صحيفة دغفل في النسب - ١٦٢

الصحيفة الصحيحة (صحيفة همام بن

منبه) - ١٤٦

صحيفة قريش - ٦٦ ، ١٧١

صحيفة المتلمس - ٧٥ ، ٢١١

ط

طبقات ابن سعد - ٤٢ ، ١٤٧
طبقات فحول الشعراء - ١٩٤ ، ١٩٥ ،
٢٥٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ،
٣٩٠ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٥٤١ ،
٦٢٧ ، ٦٣٠

ع

العقد الثين في دواوين الشعراء الستة
الجاهليين - ٤٩٤ ، ٥٠٤

، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٠
 ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤
 ، ٣٨٠ ، ٣٧٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤
 ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١
 ، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥
 ، ٤٦٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠١ ، ٣٩٦
 ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤٠٨
 ، ٤٢١ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٥
 ، ٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٤
 ، ٥١١ ، ٤٥١ ، ٤٤٦ ، ٤٣٥
 ٦١٨ ، ٥٨٦

ك

الكتاب لسبيويه — ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،
 ، ٥٩٧ ، ٥٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤
 ٥٩٨
 كتاب أخبار الحر وأشعارهم — ٥٤٦
 كتاب بني أسد — ٥٤٣ ، ٥٥٢ ،
 ٥٥٣
 كتاب أسلم — ٥٤٣
 كتاب أشجع — ٥٤٣
 كتاب أشعار القبائل — ٥٥٥
 كتاب بني أعصر — ٥٤٣ ، ٥٥٣
 كتاب أهرن بن أعين — ١٤٢
 كتاب إيراد — ٥٤٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥٣
 كتاب باهلة — ٥٤٣
 كتاب بجيلة — ٥٤٣ ، ٥٥٢
 كتاب بلي — ٥٤٣ ، ٥٥٣
 كتاب النمام في تفسير أشعار هذيل

العمدة لابن رشيقي — ٥٨٥ ، ٥٨٨
 العواصم من القواصم — ٣٤
 العين للخليل — ١٨٠

ف

الفاضل للمبرد — ٢٧٨
 الفردوس المفقود للتلون — ٣٠٨ ، ٢٨٨
 الفهرست لابن النديم — ٤٨٥ ، ٣٧٠
 ٤٩٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥
 فهرست ابن خير — ٥٠٥
 في الشعر الجاهلي — ٤٠٢ ، ٤٠٤ ،
 ٤١٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦

ق

القرآن الكريم (المصحف ، كتاب
 الله) — ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٤ ،
 ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٤ ،
 ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ،
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٧١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
 ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
 ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ،
 ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٧٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨

- كتاب بنى ضبة - ٥٤٤
 كتاب بنى ضبيعة - ٥٤٤ ، ٥٥٣
 كتاب بنى طهية - ٥٤٤ ، ٥٥٣
 كتاب طلي - ٥٤٤ - ٥٥٢
 كتاب ابن عباس في أحكام القرآن -
 ١٤٧
 كتاب ابن عباس في التفسير - ١٤٧
 كتاب ابن عباس في نزول القرآن -
 ١٤٧
 كتاب بنى عبد الله بن غطفان -
 ٥٤٤
 كتاب بنى عبس - ٥٤٤
 كتاب بنى عجل - ٥٤٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤
 كتاب عدوان - ٥٤٤
 كتاب بنى عذرة - ٥٤٤ ، ٥٥٤
 كتاب بنى عقيل - ٥٤٤ ، ٥٥١
 ٥٥٢
 كتاب عنزة - ٥٤٤ ، ٥٥٤
 كتاب غنى - ٥٤٤
 كتاب فزارة - ٥٤٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٣
 كتاب قريش - ١٥٧ ، ١٦٤ ،
 ٥٥٨ ، ٥٥٨
 كتاب بنى قريظة - ٥٤٤
 كتاب بنى قشير - ٥٤٤
 كتاب بنى قيس بن ثعلبة - ٥٤٤
 كتاب بنى القين - ٥٤٤
 كتاب بنى كلاب - ٥٤٤
 كتاب كلب - ٥٤٤ ، ٥٥٣
 كتاب كنانة - ٥٤٤ ، ٥٥٠
 كتاب بنى محارب - ٥٤٤ ، ٥٥٠
- مما أغفله أبو سعيد الحسن بن
 الحسين السكري - ٥٦٣
 كتاب بنى تميم - ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ٥٦٠ ، ٥٥٩
 كتاب ثقيف - ١٥٧ ، ١٦٤ ، ٥٠٨ ،
 ٥٥٨
 كتاب جرم - ٥٤٣ ، ٥٥٤
 كتاب بنى جعفي - ٥٤٣
 كتاب جهينة - ٥٤٣ ، ٥٥٤
 كتاب بنى الحارث - ٥٤٣ ، ٥٥٠ ،
 ٥٥٤
 كتاب بنى حنيفة - ٥٤٣
 كتاب خثعم - ٥٤٣
 كتاب خزاعة - ٥٤٣ ، ٥٥٢
 كتاب دانيال - ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ١٠٠ ، ١٤٠
 كتاب داود (الزبر) - ٩٧
 كتاب بنى ذهل بن ثعلبة - ٥٤٣ ،
 ٥٥٢
 كتاب بنى ربيعة بن ذهل - ٥٤٣ ،
 ٥٥٢
 كتاب الزهري عن مشاهد الرسول -
 ١٥٠
 كتاب بنى سعد - ٥٤٣ ، ٥٥٣
 كتاب بنى سعيد - ٥٤٣
 كتاب السكون - ٥٤٤ ، ٥٥٤
 كتاب بنى سليم - ٥٥٢
 كتاب سليم بن قيس - ١٤٦
 كتاب بنى شيبان - ٥٤٤ ، ٥٥٠ ،
 ٥٥٣

محاضرات في بيان الأخطاء العلمية
التاريخية التي اشتمل عليها كتاب
في الشعر الجاهلي - ٤٠٣
« محمد » لمرجولوث - ٣٦٨
المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية
القديمة - ٣٨٤
المزهر للسيوطي - ١٧٨ ، ٥٨٥
مسند أحمد بن حنبل - ١٤٤ ، ١٤٦
معجم المطبوعات - ٥٨٧
المعرب للجواليقي - ٢٣٩
معلمة الدين والأخلاق - ٣٦٨
المعمرين من العرب للسجستاني -
٢٣٣
المغازي لوهب بن منبه - ١٥٠
مغازي رسول الله للواقدي - ٢٤٨
المفضليات - ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٤٤٥
، ٥١٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥
، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٥٨٢
، ٥٨٣ ، ٦٣٢
المقدمة لولف - ٢٩٢ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧
، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩
المقرب لبهاء بن النحاس - ٤٩٧ ،
٤٩٨
مقطعات الأعراب - ٥٤٤
الملاهي وأسمائها - ٢٩١
المهاجرات - ٢٨٧ ، ٢٩٤
المؤتلف والمختلف للآمدي - ٥٤٣ ،
٥٤٩ ، ٥٥١
الميسر والقنداح - ٢٩١

كتاب بني مرة بن عوف - ٥٤٤ ،
٥٥٠

كتاب مزينة - ٥٤٤ ، ٥٥٣
الكتاب المقدس - ٣٦١

كتاب النسب للزهرى - ١٥٤
كتاب نهد - ٥٤٤

كتاب بني نهشل - ٥٤٤ ، ٥٥٠
كتاب بني هاشم - ٥٤٤

كتاب بني الهجيم - ٥٤٤ ، ٥٥٤
كتاب بني يشكر - ٥٥١

كتاب يوسف بن سعد - ١٥٩ ،
١٩٦ ، ٣٥٠

الكشاف للزمخشري - ٤٢٥
الكوميديا الإلهية - ٣٠٨

ل

لسان العرب - ١٦٤

م

المثالب - ٢١٨ ، ٣٢٢

المجاز لأبي عبيدة - ٢٦٤

مجلة الثقافة الإسلامية - ٣٣

مجلة الجمعية الملكية الآسيوية -

٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٥٦٠

مجلة لقمان - ٦٢ ، ٦٣ ، ١٤٠ ،

١٦٩

مجلة المجمع العلمي بدمشق - ١٤٦

مجموعة أشعار الهدليين - ٥٧٠

ن

نزهة ذوى الكيس وتحفة الأدباء فى

قصائد امرئ القيس - ٥٠٤

نسب قريش - ١٦٥ ، ٢١٥

النقائض - ٢٦٩ ، ٣٧٦

النقد التحليلى لكتاب الأدب الجاهلى

- ٤٠٣ ، ٤٢٠

نقد كتاب الشعر الجاهلى - ٤٠٢

نقص كتاب فى الشعر الجاهلى -
٤٠٢

نواذر أبى زيد - ١٧٧

و

الوحشيات لأبى تمام - ١٧٥ ، ٥٨٩

فهرس الشعر

١٩١	جرير	كلابا	الهمزة	٢٠٦	زهير بن أبي سلمى	جلاد
٢٢٢	أوس بن حجر	طنبا	=	٥٤٠	=	فالحساء
٢٢٤	بشر بن أبي خازم	آبا	الحارث بن حلزة	١٩٧	١٧٧	الولاء
٥١٩٠٥١٢	امرؤ القيس	أحسا	=	٨١٠٦٥	=	القطباء
٦٤	الناظفة	المواقب	=	٣٦٢	=	والكفلاء
٧٩	امرؤ القيس	قرطب	=		=	الأشقياء
٤٨٧	=	ربرب	ب			
٥١٥	=	المطرب				
٥١٧	=	وبالشراپ	الناظفة الديباني	٢٠٨		مذهب
٩٠	حسان بن ثابت	القشيب	أبو حواد الإيادي	٢٢٠		والحروب
٩٥	عبيد بن الأبرص	كالكتاب	امرؤ القيس	٢٢٩		مطلوب
١٢٩	عبدالمزى بن امرؤ القيس	ذنب	=	٥٢٠		وصابوا
٢١١	قيس بن الخطيم	راكب	الحارث بن كلدة	١٣٢		العتاب
٢٦٢	=	المذاهب	الأخمس بن شهاب	٧٨		كاتب
٣٣٠	علقمة بن عبدة	مذهب	مقل بن عويلد			الكتاب
٣٣٣	بشر بن أبي خازم	الكوكب	١٦٣ ، ١٢٤ ، ٧٧			
	ت		عبيد بن الأبرص	٢٠٢		الأريب
٢٣١	مرداس بن صبيح	شتات	=	٣٤٧		فالقنوب
١٧٦		شواته	=	٣٦٢		يحيى
			زهير	٥٢٨		فلهب
٦٤	السمول	والتابوت	عميرة بن جمل	١٨٨		مذاهبه
٧٠		للوصرات	أبو تمام	٥٨٩		طالبه
١٩٢	الفرزدق	للرواة	معاوية بن جعفر	١٠١		الركابا
٢٠٩	الفنوى	فزلت	الأعشى	١١٠		ملعبا
٥١٦	امرؤ القيس	العبرات	الخطيئة	٤٣		آبا
٥٤١٠٥٢٨٠٢٢٢	زهير	أضلت	=	١٠		اللقبا

٥٢٥	=	ممد
٣٢٩، ٢٥٠	عوف بن عطية	واد
٣٢٩، ٢٥١	عوف بن عطية	الأسود
١٣٣، ١١٤	لقيط بن يمر	إياد
٩٢	طرفة	يجرد
٢١٢	=	نزود
٤٧٢	يحيى بن المبارك اليزيدي	ناد
٣٣٩	خالد بن عبد المزي	مفسد
٢٦٣	الأعشى	وتفتدي
٣٣٨	الأعشى أو الأسود بن يعفر	سنداد
٢٧٥	الناطقة الذبياني	مزود
٢٣٦	المر بن ثوب أو نصيب	بمدى
٢٢٥	الطرماع	القصاصد
١٥٣	تبع	حرم

ر

٤٧	الحطيفة	بواكر
١٧٦	=	قامر
٥٢٢، ٣٢٦	امرؤ القيس	أفر
٣٣٠	=	منتشر
٥٢١، ٥٠٧	=	وتدر
٥٢١، ٥٠٧	=	يأتمر
٥١٨	=	بقر
٥٢٠	=	والخصر
٣٤٤	سبيعة بنت الأحب	الكبير
٣٣١	عمرو بن ثعلبة	وازوراد
٩٦	عمرو بن أحم	زبر
٩٥	أمية بن أبي الصلت	والزبر
٩٩		المزبر
١٢٨		السفاير
١٣٨	جندل بن المخي	الدفر

ج

٣٢٨	الحارث بن حلزة	الشاحج
-----	----------------	--------

ح

٢١٤	أمية بن أبي الصلت	ججاجح
-----	-------------------	-------

١٢٩، ١١٣	عمرو بن كلثوم	قارج
----------	---------------	------

١٩٨	ابن مقبل	متمنع
-----	----------	-------

٢٣٥	السمول	أنواحي
-----	--------	--------

٣٦١	عبيد بن الأبرص	وتصفاح
-----	----------------	--------

٤٧٥	عبيد بن الأبرص	بالراح
-----	----------------	--------

د

٥٢٥	امرؤ القيس	فجد
-----	------------	-----

٤٧٣	يحيى بن المبارك اليزيدي	تميد
-----	-------------------------	------

٥٣٤	زهير	قطوا
-----	------	------

٩٩	عبد الله بن عنمة	مدادها
----	------------------	--------

٨١، ٦٥	الأعشى	أنشد
--------	--------	------

	امرؤ القيس بن	جرادا
--	---------------	-------

١١٩	الحارث الكندي	
-----	---------------	--

٥٢٤	امرؤ القيس بن حجر	منضودا
-----	-------------------	--------

٥٢٥	=	الحريدا
-----	---	---------

٧٩	زهير بن أبي سلمى	مرد
----	------------------	-----

٨٧	=	المخلد
----	---	--------

٢٠٧	=	بمخلد
-----	---	-------

٥٣٣	=	عواد
-----	---	------

٤٧٤، ٣٤٩	عباس بن مردأس	مطرود
----------	---------------	-------

٥٢٣	امرؤ القيس	ترقد
-----	------------	------

٥١٨	امرو القيس	قتره	١٨٩	حميد بن ثور	زاجر
٢٤٣	امرو القيس	ستره	٢٠٢	عروة بن الورد	الفقيه
	س		٥٥٩، ١٦٣	بشر بن أبي خازيم	المحار
١٨١		والهائجس	١٦٤		المحار
٢٤٣	امرو القيس	أنفسا	٢٠٦	عدى بن زيد	مستنير
٥١٧	=	أخرسا	٥١٩	امرو القيس	غدروا
٥١٧	امرو القيس	فأنكسا	٥٢٤	=	تدور
٧٥	=	المرجس	٥٢٧	زهير	الخبز
٥١٢	=	نياس	٥٣٣	=	تدور
٥١٧	=	نياس	٥٤٠	=	يسار
٨١	الحارث بن حلزة	الفرس	٥٤١	=	أكثر
١٠٠	حميد بن ثور	بالنقس	٢٢٨	الفرزدق	وقصورها
	ص		٧٠	عدى بن زيد	أوصار
٥٢٢	امرو القيس	تبوص	١٠٢	الشماخ	أسطرا
	ض		٢٤٢	ذو الرمة	قفرا
٥١٥	امرو القيس	بيض	٢٦٧	النايفة الجعدى	مظهرا
٢٠٣	ذو الأصم العدواني	الأرض	٣٢٤	الأعشى	تزارا
٣٢٦	=	والنفص	٥١٥	امرو القيس	فعرعرا
	ع		٥٢٤	=	فوارا
٧٩	النايفة الذبياني	الصوانع	٥٣٣	زهير	أصفرا
٩٥	عدى بن زيد	ترتفع	١٢٦	حسان بن ثابت	الهماخير
١٢٧	كمب بن مالك	واقع	٢١١		عبد الدار
٢١٤	=	متنمتع	٢٣٥	متمم بن نويرة	الأزور
١٣١	ذو الإصم	فاصطنعوا	٢٤٨	عباد بن بشر	قصر
٢٠٠	المعباس بن مرداس	المرائع	٢٤٩		تنز
٦١١	لقيط بن يعمر الإيادي	الضبيع	٢٦٠	جرير	أخبار
١١٤، ٩٥		سما	٢٧٣	زهير بن أبي سلمى	السم
			٥٣١، ٤٣٩	=	دهر
			٥٣٤	=	زهر
			٥٤٠	=	شهر
			٥٤٢	=	مزار

٢٣٦	أبو محجن الثقفي	خلق	١٣٣	لقيط بن يعمر	والوجها
٣٢٤	مزرد بن ضرار	المزق	١٣٠	سلامة بن جندل	صمصا
٥٢٢	امرؤ القيس	فاصدق	٥٢٥	امرؤ القيس	مروعا
٥٩٥	طرفة	يصدق	٢٠٧	أبو قيس بن الأسلت	والطاع
			٥٩٠	المسيب	بوداع
	ك			ف	
٥٤٠	زهير	سلكوا	١١٧	أبو النجم	كانحرف
١٢٦	كعب بن زهير	لكا	١٨١	أبو نواس	الصحف
	ل		٦٦	درهم بن زيد الأوسي	والصحف
٩٥	عدي بن زيد	الأحول	٦٦	قيس بن الخطيم	والصحف
١٨٧	لبيد	بالوحي	٢٠٢	=	قصف
٢٦٣، ٢٣٩	=	أضل	١٣٠	أبي بن زيد	ضميف
٢١٢	عدي بن أبي الزغباء	الفحل	١٨١	أبو نواس	الألف
٥٢٣	امرؤ القيس	بالجل	٢١١		جد مناف
٥٢٣	=	محل		ق	
١١٩	كعب بن زهير	جرول		ويأفئ	
١٢٦	حسان بن ثابت	قليل	٧٠	الأعشى	سملق
١٣١	قيسة بن كلثوم	الجمال	٨٢	=	تفهق
١٦٠	الفرزدق	دغفل	١٧٧	=	عروقها
٢٢٩	=	وجرول	٢٣٦	أبو محجن الثقفي	ذائقها
٣٢٥	=	ينحل	٣٢٨	أمية بن أبي الصلت	
١٧٧		غول			شملقا
١٧٨	الأعشى	العثل	١٧٧		سقا
٢٦٥	=	زجل	٢٠١	أبو دواد	وانقا
١٨٨	أبو شأس	الحمل	٥٢٣	امرؤ القيس	نمقا
١٨٨	الكيت	المبسل	٥٢٨	زهير	ملا
٢٠٧	عبد بن الطبيب	وتأميل	٥٣٩، ٥٣١	=	
٢١٧	القطامي	دغفل			الأخلاق
٢٧٢		صقيل	٨٤	سلامة بن جندل	فمطرق
٣٢٢	غيلان بن سلمة	السحل	٩٥، ٨٢	=	بن
٣٣٤	لبيد	الحاصل	١٥٢		الموارق
٤٥٢	الشنفرى	لأميل	٢١٧	عمرو بن المرادة	

٢١٧	ثابت قطنة	هلال
٢١٧	زياد الأعجم	دغفل
٢٣٠	سراقة البارقي	مهلهل
٢٣٩	الأعشى	خال
٢٢٥	مزرد	اتنحل
٢٢٧	الحارث بن عباد	حيال
٢٥٠	أبو طالب	للأرامل
٢٦١	جليلة بنت مرة	ل
٤٧٢	يحيى بن المبارك البزدي	الأول
٥٢٧	زهير	مفلول
٥٣٤	=	بالمعابل
٥٤٢	=	التقال
٧٥	الحبيل السعدي	نوافله
٨٧	زهير بن أبي سلمى	فعاقله
٥٢٩، ٥٣٠	=	ورواحه
٢٤٢	جرير	عاذله
١٨٧	الأعشى	وريفالها
٢٦٣، ٢٣٩	=	جرياها
م		
٧٨، ٣٩	المرقش	قلم
٦٤	خزرج بن لوزان	بدائم
٦٩	علياء بن أرقم	ظلم
١٢٣	=	التمائم
٧٦	الأعشى	ختم
٩٨	عدي بن زيد	كالقلم
٩٩	=	بالقلم
١٣٠	=	علم
٢٣٧	عمر بن شأس	العمم
٥١	أمية بن أبي الصلت	والقلم
١١٧	ذو الرمة	ميم

٤٦٠، ٤٥٨، ٤٥٣	تأبطشراً	يقل
٤٦١	خلف الأحمر	يقل
٥٢٣	امرؤ القيس	لأرخال
٥٣٧	زهير	يقلوا
٥٣٧	=	صل
٥٣٨	=	فالتقل
١٢٨	الربيع بن زياد	طولا
١٢٩	التهمان بن المنذر	الاباطيلا
١٣٢	مرقش	تقللا
٢٦٣، ٢٣٩	الأعشى	الرجلا
٢٣٤	=	مولا
	أبو الصلت بن أبي ربيعة	أبوولا
٤٧٤، ٣٤٠		
٥١٩	امرؤ القيس	باطلا
٧١	المطمس	مصلل
١٢٨		الشواكل
١٥٩	أبو طالب	للأرامل
٢٦٥، ١٩٧	امرؤ القيس	فاهل
٣٦٢، ٢٤٣	=	واهل
٣٩٥	=	منزل
٣٩٥	=	الليل
٥٠٨	=	ظفل
٥١٥	=	وحول
٥١٦	=	الرواحل
٥١٥	=	الحال
٥١٨	=	عائل
٥١٨	=	لثامل
٥١٨	=	عائل
٥٢٤	=	الحبل
٥٢٥	=	مال
٢١٣	عنتره	المأكل
٢١٧	مسكين الدرامي	للشمال

٨٧	لبيد	سلامها	٢٤٤، ١٢٣	لبيد	والمختوم
٩٦	=	أقلامها	١٢٧	بجير بن زهير	أحزم
			١٩٨		سالم
			٢٠٢	أبو دواد الإيادي	الإعدام
			٢٤٩	أبو سمال الأسدي	علموا
			٥٤٠	زهير	والديم
			٥٤١	=	قديم
	ن				
١٥٢	أبو كبير الهذلي	السفن			دما
٢٠٨	النايفة الذبياني	الظنون	٤٩	حسان بن ثابت	منمنما
٣٦٢، ٣٤٩، ٣٣٢	=	يخون	٧٨	حاتم الطائي	القلما
٥٤١	زهير	الظنون	٨٢	شتيم بن خويلد	الأحزما
			١٧٦	أوس بن حجر	الدماء
٩٤	تميم بن أبي بن مقبل	تمينا	١٩٢	جرير	ليعلما
٢١٣	أمية بن أبي الصلت	ومسانا	٢٠٣	الملتصم	نما
٢١٧	سماك المكري	اليقينا	٢١٢	السمول أو ابنه سمية	ظلمنا
٢٤٤	عدي بن زيد	مصلتنا	٣٢٤	النايفة الجعدي	العرما
٥٢٣	امرؤ القيس	الذاهبينا	٤٧٥	=	دارنا
			٥١٩	امرؤ القيس	عصا
٩٦، ٦٤	امرؤ القيس	رهبان	٥٢٥	=	فينتم
٩٦، ٨٣	=	إيمان			يألم
٥١٦	=	عدوان	٩٥	زهير بن أبي سلمى	يسلم
٥١٦	=	يمان	٥٣٧، ٣٣١	=	كالوشم
٥١٦	=	أزمان	٤٠٦	=	فالمشتم
٥٢٠	=	عمان	٥٣٤	=	بأقلام
٨٢	الأسود بن يعفر	مدين	٥٣٨	=	مفرم
١٠١، ٨٣	لبيد	وبان	٩٩	الزبرقان بن بدر	كلثوم
٩٦	=	يمان	١٥١	الربيع بن أبي الحقيق	توهم
٣٥٠	=	سبعين	٢٣١، ١١٠	=	واسلمى
١٨٨	النايفة الذبياني	عنى	٣٢٧	عنزة	مظلم
٢٦٢	=	المين	٣٢٨	=	إقدام
٢١٣	سويد بن عامر	الماني	٣٣٣	=	شام
٣٣٠	صمصمة بن معاوية	الطين	٥١٨	امرؤ القيس	يشه
٥٨٠		الحرون	٥٢٠	=	
٤٦٣		وعونها	٧٧، ٣٩	طرفة	

٥٢٤	امرؤ القيس	المصى			
١١١	عبد يثوث	لسانيا		ى	
١٨٧	زهير بن أبي سلمى	المتاليا	٣٩	أبو ذؤيب الهذلي	الهدى
٥٢٩	=	ليا	١٢٣٠٩٦٠٦٩	=	الحميري
٢٤٦		فاجيا	٩١	=	معى